المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
الدراسات العليا

دُرّة التّنزيل وغُرّة التّأويل

لأبي عبد ا لله محمد بن عبدا لله الأصبهاني
المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ
دراسة وتحقيق وتعليق

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه
في الكتاب والسنّة

إعداد الطالب
محمد مصطفى آيدين

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
عبدالستار فتح ا لله سعيد

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٥٣٧

المجلد الأول

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة الدكتوراه بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى

بعنوان :

درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وأتباعه، وبعد :

فقد اقتضت طبيعة هذه الرسالة أن تكون على قسمين رئيسين: الدراسة، والنص المحقق .

ففي القسم الأول : فصول ثلاثة فهي:

الفصل الأول : عصر أبي عبد الله الخطيب وحياته، وفيه مبحثان:

المبحث الأول:عصر الإمام الخطيب، وتناولت فيه: الحالة السياسية والحالة الاجتماعية والحالة العلمية.

المبحث الثاني: حياة الإمام الخطيب، وفيه تناولت ترجمة حياته الشخصية والعلمية.

الفصل الثاني:في التعريف بعلم متشابه القرآن، ودراسة كتاب **درة التنزيل وغرة التأويل**، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:التعريف بعلم متشابه القرآن، ويشتمل على مطالب سبعة:

١ - التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحا . ٢ - التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم. ٣ - موضوع علم المشابه اللفظي في القرآن الكريم . ٤ - نكتة هذا العلم، وحكمته ، وأهميته ، وفوائده. ٥ - نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن، وتطوره ، وتدوينه. ٦ - التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي. ٧ - الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي وتوجيهه.

المبحث الثاني: دراسة كتاب درة التنزيل وغرة التأويل، ويشتمل على مطالب ثمانية:

١ - تحقيق صحة اسم الكتاب. ٢ - تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف. ٣ - موضوع الكتاب. ٤ - سبب تأليفه. ٥ - منهج المؤلف في الكتاب. ٦ - مصادر المؤلف في الكتاب. ٧ - قيمة الكتاب العلمية ، وأثره فيمن بعده. ٨ - المآخذ على الكتاب.

الفصل الثالث : فهو لوصف النسخ وبيان منهجي في التحقيق.

وفي القسم الثاني:تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل الذي تناول مؤلفه فيه بتوجيه الآيات التي فيها تشابه لفظي، حيث بلغ عدد الآيات المتشابهة التي قام صاحب الكتاب بتوجيهها أربعاً وسبعين ومائتين آية، عدا نحو أربعمائة آية، والتي قارن بها الآيات الأصول.

وتضمن تحقيق النص: مقابلة النسختين الخطيتين على المعتمدة أصلا، وعزو الآيات، وتخريج الأحاديث والآثار مع بيان درجتها، وتخريج الشواهد الشعرية ، وشرح الكلمات الغريبة، والتعليق على ما يحتاج إلى التحقيق، وغير ذلك مما خدمت به نص الكتاب بفضل الله تعالى.

وأخيرا ألحقت بالكتاب خاتمة، وعددا من الفهارس التي تساعد الباحث على الحصول على طلبه من الكتاب بيسر وسهولة.

أهم النتائج التي توصلت إليها من دراسة الكتاب وتحقيقه :

١ - « **درة التنزيل وغرة التأويل**» على جلالة قدره من الكتب العجيبة التي تحيّر العلماء والمؤلفون في نسبته إلى مؤلفه الحقيقي، فبعض الدارسين يقول: إن مؤلف هذا الكتاب هو الراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ)، وبعضهم يقول هو إسماعيل بن محمد المعروف بقوام السنة (ت٥٣٥هـ)، وبعضهم يقول هو الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ). **فقد ذكرت أدلة قاطعة تثبت صحة نسبة كتاب درة التنزيل إلى أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي**(ت ٤٢٠هـ)، وتنفي نسبته إلى غيره ممن تنازع في نسبة الكتاب كالراغب الأصفهاني وقوّام السنة، والفخر الرازي.

٢ - تبين لي أن أبا عبد الله الخطيب لم يقف عند توجيه الآيات المتشابهة لفظاً، بل كان يتدخل في إظهار قواعد مهمة ذات علاقة بعلوم القرآن كالقصة والتكرار والترادف في الألفاظ القرآنية.

٣- ظهر لي أن اختيارات الخطيب وترجيحاته رحمه الله تدلنا على تمكنه من علم النحو واللغة.

أهم التوصيات:

توجيه طلاب العلم إلى تحقيق الكتب المؤلفة في توجيه الآيات التي تتكرر وتتشابه ألفاظُها في القرآن الكريم، إذ أن القارئ سيجد في مباحث تلك الكتب ما يساعده للرد على الطاعنين في القرآن الكريم، بجانب ما سيعلمه من أسرار التكرار، والتشابه اللفظي في كتاب الله عز وجل. وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ.

عميد كلية الدعوة وأصول الدين	المشرف على الرسالة	كتبه الطالب
د/عبد الله بن عمر الدميجي	أ.د/عبد الستار فتح الله سعيد	محمد مصطفى آيدين

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس إجمالي للكتاب

الموضوع	الجزء والصفحة
شكر وتقدير	١/٤
مفتاح رموز التحقيق	١/٦
المقدمة	١/٧
ـ أسباب اختيار تحقيق هذا الكتاب	١/٩
ـ خطة البحث	١/١٢
القسم الأول : قسم الدراسة	١/١٤ـ ١٣٢
ـ الفصل الأول: عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب وحياته	١/١٤ ـ ٢٧
ـ الفصل الثاني: التعريف بعلم متشابه القرآن ودراسة كتاب درة التنزيل	١/٢٨ـ ١٠٨
ـ المبحث الأول: التعريف بعلم متشابه القرآن	١/٢٩ـ ٥٤
ـ التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحاً	١/٣٠
ـ التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم	١/٣١
ـ تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحاً	١/٣٤
ـ موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم	١/٣٥
ـ نكتة هذا العلم، وحكمته، وأهميته، وفوائده	١/٣٩
ـ نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن وتطوره وتدوينه	١/٤٠
ـ التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي	١/٤٣
ـ الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي	١/٤٥
ـ المبحث الثاني: دراسة كتاب درة التنزيل وغرة التأويل	١/٥٤ـ ١٠٨
ـ تحقيق صحة اسم الكتاب	١/٥٥
ـ معنى اسم الكتاب	١/٥٧
ـ تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف	١/٥٨ ـ ٨٣
ـ موضوع الكتاب	١/٨٣
ـ سبب تأليف الكتاب	١/٨٥
ـ منهج المؤلف في الكتاب	١/٨٦
ـ مصادر المؤلف في الكتاب	١/٩٨
ـ قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده	١/٩٩
ـ المآخذ على الكتاب	١/١٠٦
ـ الفصل الثالث: وصف النسخ، ومنهج التحقيق	١/١٠٩ ـ ١٣٢
ـ المبحث الأول : وصف النسخ	١/١١٠
ـ وصف النسخ المطبوعة	١/١١٠
ـ وصف النسخ المخطوطة	١/١١٤
ـ المبحث الثاني: منهج التحقيق	١/١٣٠
القسم الثاني : النص المحقق لكتاب درة التنزيل وغرة التأويل	بدءاً من ١/١٣٤
ـ الخاتمة	٢/٨٤٦
ـ الفهارس	٢/٨٤٧

شكـر وتقديـر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فإني أشكر الله عز وجل الذي تفضّل عليّ بنعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وحقّـق لي بفضله وكرمه إنجاز هذا العمل المبارك بجوار بيته العتيق، الذي جعله مثابـة للنـاس وأمنـاً، فلـه الحمد أوّلا وآخرا.

ثم إني أقدّم جزيل شكري، وعظيم امتناني، وعميق تقديري لكـلّ مَن بـذل جهـداً في تعليمي، وكان له فضل عليّ في توجيهي، وإرشادي، من أساتذتي الكرام.

وأخـص منهم بالذكـر شيخـي، وأستـاذي، المشـرف علـى هـذه الرسـالة:

الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد

فلقد أولاني من حسن رعايته، وجميل صـبره، وسـعة صـدره، وكـان نعـم المشـرف في كل شيء عِلما وخلُقا وتعاوُنا وتواضُعا، ولم يدخر وسعا في التوجيه، والتسـديد، والإرشـاد، والتتبّع الجاد الدقيق لمراحل الدراسة والتحقيق أوّلا فأوّلا، ولم يكن لهذا الكتاب أن يرى النور على هذه الصورة لولا فضل الله أوّلا، ثم متابعته التامة، ونصائحه السديدة.

كما أرى لزاما علـيّ أن أسـجّل هنـا أنـني قـد أفـدت منـه كثـيرا في المسـائل العلميـة، والبحث، والتنقيب، وحل المشاكل التي كـانت تواجهـني أثنـاء البحـث، وكـان يجلس معي الساعات الطوال متجرّدا لتوجيهي، رغـم أشـغاله الكثيرة، والله أسـأل أن يجزيـه عـني خـيرا كثيرا، وأن يبارك في علمه، وينفع به الإسلام والمسلمين.

وأيضا أقدّم جزيـل شـكري وخـالص تقديـري لِصـاحبي الفضيلـة الأسـتاذين الكريمـين عُضْوَيْ لجنة المناقشة، فجزاهما الله عني خير الجزاء على مـا بـذلاه مـن جهـد في قـراءة هـذه الرسالة، لتبرز في أكمل حُلّة بما قدّماه من نصح وتوجيه وتصحيح.

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الشيخ **الدكتور الشريف منصور بن عون العبدلي**، أستاذي وشيخي، الذي نلت من فضيلته ـ منذ عرفته ـ كـلّ مسـاعدة علميـة عاليـة، وكلّ تشجيع في سبيل تقدّمي علميـاً، فجـزاه الله عـني وعـن العلـم، وأهلـه، وطلابـه خـير الجزاء.

كما أشكر أخي وزميلـي الدكتـور سليمان مـلاّ إبراهيـم أغلـو إمـام وخطيـب جـامع السليمانية بإستانبول، الذي كان له فضل عظيم في الإشارة إلى تحقيق هذا الكتاب.

كما أشكر إخواني وزملائي الذين كان لهم فضل عليّ، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ولا أنسى هنا أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والعاملين فيها، وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة فضيلة الدكتور الشريف راشد الراجح، وكلية الدعوة وأصول الدين متمثلة في عميدها فضيلة الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، ورئيس قسم الكتاب والسنة فضيلة الدكتور محمد سعيد البخاري وسائر أساتذتي فيها على رعايتهم، وحسن معاملتهم لنا في أطوار مراحل الدراسة، مع ما قدموه لنا من حسن الضيافة، وجميل الإكرام، فجزاهم الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء، ووفّق الله الجميع لما فيه رضاه، إنه سميع الدعاء.

* * * * *

مفتاح رموز التحقيق

الدرة : **درة التنزيل وغرة التأويل** لأبي عبد الله الخطيب.

البرهان : المراد به **البرهان في متشابه القرآن** للكرماني.

الملاك : المراد به **ملاك التأويل** لابن الزبير الغرناطي.

كشف المعاني : المراد به **كشف المعاني في المتشابه من المثاني** لابن جماعة.

فتح الرحمن : **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن** لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

اللسان : **لسان العرب** لابن منظور.

السير : **سير أعلام النبلاء** للذهبي.

المفردات : المراد به **مفردات ألفاظ القرآن** للراغب.

عمدة الحفاظ : **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** للسمين الحلبي.

الخطيب : المراد به **أبو عبد الله محمد بن عبد الله** مؤلف كتاب درة التنزيل.

الكرماني : المراد به **صاحب البرهان في متشابه القرآن** وليس الكرماني شارح البخاري.

(١٢٣/٣) : أقصد بالرقم الأول الجزء أو المجلد، وبالرقم الثاني الصفحة.

(أ) : نسخة أحمد الثالث (ب) : نسخة بايزيد.

(حـ) : نسخة أحمد الثالث الثانية. (خـ) : نسخة خسرو باشا.

(د) : نسخة دار الكتب المصرية. (ر) : نسخة راغب باشا.

(س) : نسخة أسعد أفندي. (ق) : نسخة كوبريلي.

(ك) : نسخة كوبريلي. (ل) : نسخة المتحف البريطاني.

(و) : نسخة ولي الدين.

[ ] : حصرت بهما **أرقام الآيات**.. ووضعت بينهما أيضا **ما أضفته للضرورة**.

﴿ ﴾ : حصرت بهما **الآيات القرآنية الكريمة**.

(( )) : حصرت بهما **الأحاديث والآثار والأقوال المنقولة بنصها**.

/ : خط مائل: فصلت به **بين رقم الورقة من المخطوط وبين الرمز المشير إلى الصفحة**، وكذلك يشير هذا الخط إلى **بداية صفحة جديدة من الأصل**.

(ص) : اختصار كلمة **صفحة**.

(ط) : اختصار كلمة **طبعة**.

بسم ا لله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمـد لله الـذي ﴿نـزّل أحسـنَ الحديـثِ كتابـاً متشـابِهاً..﴾[الزمر:٢٣]، وهـو كتـابٌ أُحكمت آياتُه، وأُتقنت فصولُه، وأُبدعت جملُه، واختِيرت كلماتُـه، وعـلا أسـلوبه، واتّفقت معانيه وائتلفت مبانيه، فلا ترى فيـه عوجـا، ولا تجد فيـه اختلافـا وتناقضـا، وصـدق ا لله إذ يقول:﴿..وإنه لَكتابٌ عزيز ۞ لايأتيه الباطلُ من بين يدَيْه ولا مــن خلفِـه تـنزيلٌ مـن حكيـمٍ حميدٍ﴾[فصلت:٤١ - ٤٢].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد ا لله، النبي الأمي، الذي أرسله ا لله ﴿شاهدا ومبشـرا ونذيـرا ۞ وداعيـا إلى ا لله بإذنـه وسـراجا منيرا﴾[الأحزاب:٤٥ ـ ٤٦]، وعلـى آلـه وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى من اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كثرت العلوم، وتنوعت الأبحاث حول القـرآن الكريـم مـن حيـث نزولُـه، وجمعُـه وترتيبه، ومناسـباته، ومبهماتـه، وأسـباب نزولـه، وناسـخه ومنسـوخه، ومحكمـه ومتشـابهه، وتفسيره.. وما إلى ذلك من علوم تتعلق بكتاب ا لله، أو تتصل به.

وعلم « **المتشابه اللفظي** » واحد من تلك العلوم الشريفة الكريمـة، وُلـد في أحضـان أئمـة القُرّاء، ونما وربا على أيدي كبار العلماء، الذين عكفوا طوال حياتهم على إحاطة كتاب ا لله بعقولهم، وقلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وبذلوا في خدمته عصارة أعمارهم وأوقاتهم، حتى عدّوا كلماته، وحروفه، وذكروا الفرق بين الآيتين، أو الآيات المتشابهة لفظاً.

ونتعرّف بهذا العلم على أسلوب القرآن الكريم في تكرير بعض آياته بالكلمات المتفقـة أو المختلفة، وحروفها المتشابهة، بأن تُذكَر الآية الواحدة ذات الموضوع الواحد في أكثر مـن موقع، مع اختلاف في جوانب التناول بين موقع وآخر، تقديما وتأخيرا، أو تعريفا وتنكيرا، أو جمعا وإفرادا، أو إبدال كلمة بـأخرى، أو حـرفٍ بـآخر، إلى غـير ذلـك مـن أنـواع التشـابه، وكثيرا ما يتصل هذا الاختلاف بمناسبة السياق القرآني في عـرض الأيـات، وذكـر الأحـداث التي يشتمل عليها.

إن هذا التنويع في الأسلوب القرآني هو لون عظيم من ألوان إعجازه، ووجه بديـع مـن وجوه بلاغته، ذلك لأنّ تكرير الآيات القرآنية بألفاظ متفقة، أو مختلفة ليس كمـا قـد يظنـه

بعض قصار النظر تكرارا خاليا عن فوائد وأسرار، وفي هذا الصدد يقول مؤلفنا أبو عبد الله **الخطيب** رحمه الله تعالى:

« إذا أورد الحكيم - تقدست أسماؤه - آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيّر فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بدَّ من حكمة هناك تطلَب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لاحكمة هناك، بل جهلتم»[١].

ومن هذا يتبين خطر هذا الموضوع، وأنه يجب أن يحاط بسياج من التحقيق العلمي الرصين، تتكسّر دونه أمواج الشبهات التي يسوقها الجاهلون، وترتدّ عنه أعاصير المطاعن التي يثيرها الزائغون، وما أكثر هؤلاء وأولئك.

وكتاب الإمام الخطيب أبي عبد الله « **درة التنزيل وغرة التأويل** » هو أقدم المصنفات - فيما نعلم - التي صُنّفت مستقلّة، مخصّصة في توجيه ما يتشابه، أو يتماثل، أو يتكرر من ألفاظ القرآن وآياته، عرفه علماء هذا الشأن قديما وحديثا، فأثنوا عليه، واتخذوه مثلا يحتذى، مع أن المعاصرين لم يروه إلاّ من خلال مطبوعة غير محققة، كثيرة الخطأ والخلل، والسقط.

وإني أحمد الله تعالى على أن وفقني، بمنه وكرمه، إلى تحقيق هذا الكتاب النفيس والاستفادة منه، وتقديمه إلى العلماء والقرّاء، إعلاء لكلام الله، وخدمة له، ونشر كنوزه بين أبناء الأمة الإسلامية عامة، وبين المتخصصين في الدارسات القرآنية خاصة، إذ أن القارئ الكريم سيجد في مباحثه - اليوم وفي الغد إن شاء الله - ما يساعده للرد على الطاعنين في القرآن الكريم، بجانب ما سيعلمه من أسرار التكرار، والتشابه اللفظي في كتاب الله عز وجل.

والكتاب الذي بين أيدينا يخرج محقّقا لأول مرة، وأنا بعد هذا الجهد لَشاكِرٌ لله تعالى فضْله عليَّ، إذْ وفقني إلى إخراجه في هذه الصورة، وسعيد بأنني عشت في رحاب القرآن أربع سنوات، وأمضيت بجواره أياما وليالي، هي من أحسن أيام العمر، وهل هنالك لحظات أسعد وأهنأ وآنس للنفس وأمتع من تلك التي يقضيها المؤمن مع كتاب ربه ؟ يتدبر معانيه، ويستجلي أسراره، ويتلقّى نفحاته، فيزيد إيمانا على إيمان.

* * * * *

(١) انظر من هذا الكتاب: ١٥٧/١ .

أسباب اختياري لتحقيق هذا الكتاب:

دفعتني إلى تحقيق هذا الكتاب أمور كثيرة، منها:

١ - أنّ كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبد الله الخطيب يندرج تحت علم متشابه القرآن، وهو من أهم علوم القرآن التي يحتاج إليها الدارس لتفسير القرآن الكريم، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أهمية موضوعه، وهو إبراز المعاني الكامنة فيما تشابه وتكرر من الآيات القرآنية، والرد على الطاعنين في القرآن الكريم.

وحباً في خدمة كتاب الله تعالى، وذب الطعن عنه، قمت بتحقيق كتاب الخطيب تحقيقا علمياً يعين القارئ وييسّر السبيل لمعرفة أسرار الآيات المتشابهة لفظا في القرآن الكريم.

٢ - القيمة العلمية للكتاب عالية القدر جداً، لدفع الإشكالات في الآيات القرآنية التي ظاهرها التعارض.

٣ - ومن الأسباب التي جعلتني أختار هذا الكتاب للتحقيق رغبتي العلمية الملحّة في حسم أمره، لوجود اختلاف في تسميته، وفي نسبته إلى مؤلفه الحقيقي، والفصلُ في قضية الاختلاف في اسم الكتاب، واسم مؤلفه بالأدلة والقرائن العلمية عمل علمي ضروري، خاصة بالنسبة لمثل هذا الكتاب في شرف موضوعه، وجلال قدره العلمي.

٤ - كنت أعرف قبل أن أشرع في هذا العمل أن الكتاب طبع في القاهرة مرتين سنة ١٣٢٦هـ ، وسنة ١٣٢٧هـ وأصبح نادرا، لايمكن أن يحصل المرء اليومَ على نسخة منه.

وكنت أعرف هذا ، وأعرف كذلك أن هذا الكتاب طُبع في لبنان مرتين: الأولى سنة ١٩٧٣م، والثانية سنة١٩٧٩م في دار الآفاق الجديدة ببيروت.

ويبدو أن الذي أشرف على إعادة طبعه ما كان يريد تحقيقه أو مقابلة نُسَخه من جديد، ولا كان عنده محاولة ذلك، لأن نفس الأخطاء والنقص في الطبعة المصرية القديمة تكررت كما هي، وليست هذه الأخطاء التي ترددت في تلك الطبعات هينة ولا يسيرة.

والشأن في كتاب طبع أربع مرات، أن يكون في غنى عن أن يقدم محقّقا، لكنه في كل هذه الطبعات لم يأخذ حظه من التحقيق، والتصحيح، والتمحيص، والدراسة فجاءت كلها مليئة بالخطأ والتصحيف والتحريف، والاضطراب في بعض الكلمات، لكونها قرئت على غير حقيقتها، كما سنذكر لذلك أمثلة ـ إن شاء الله ـ في مطلب وصف النسخ المطبوعة.

٥ - أنّ الكتاب المطبوع المتداول لم يقابَل بالنسخ المخطوطة الكثيرة، فمعلوم أن تقويم النص بمقابلة النسخ يعين على الفهم الراشد، والحكم السديد، ولذا لا بد من الوقوف عند كل اختلاف بين النسخ، والتزام ذكر ما كان منها على الصواب، وما يناسب السياق.

٦ ـ أنّ الكتاب المطبوع خالٍ تماماً من أيّ دراسة علمية عن الكتاب مؤلّفا، ومنهجا، وتعليقا، وفهرسة، وأبلغ دليل على ذلك أن الكتاب لم تُحسم نسبته إلى مؤلفه، بل كان فيها اختلاف كثير، حتى وفقني الله تعالى للفصل في أمره[٥].

٧ ـ ومن أسباب اختياري هذا الكتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبد الله الخطيب للتحقيق والدراسة أنه كان من أهمّ مراجعي عند إعدادي رسالة «الماجستير»، التي كانت تحمل عنوان: «**الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي خُتمت بها**»[٦]، حيث إن «درة التنزيل» كان يهتم بذكر مناسبة الأسماء الحسنى لمضامين الآيات التي خُتمت بها، ولقد نشأت في نفسي خلال تلك الفترة رغبة قوية لخدمة هذا الكتاب بإخراجه إخراجاً يليق بخطر موضوعه، وجلال مضمونه.

خطة البحث

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى قسمين رئيسين:

ـ قسم الدراسة.

ـ وقسم التحقيق.

أمّا قسم الدراسة فيتكوّن من مقدّمة وثلاثة فصول.

المقدمة:

وفيها ذكر الباعث على اختياري لتحقيق هذا الكتاب، وبينت فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث.

أما الفصول فكانت كما يلي:

الفصل الأول: عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب وحياته، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب، وتناولت فيه:

ـ الحالة السياسية.

ـ الحالة الاجتماعية.

ـ الحالة العلمية.

---

(٥) انظر من هذا الكتاب: ١/ ٥٨ .

(٦) هذا الموضوع قسّم بين ثلاثة من الباحثين في القرآن كله، وكان نصيبي فيه من أول سورة «المائدة» إلى آخر سورة «المؤمنون».

المبحث الثاني : حياة الإمام أبي عبد الله الخطيب، وفيه مطالب أربعة.

المطلب الأول : اسمه ، نسبه ، كنيته ، لقبه ، نسبته.

المطلب الثاني: مولده ، نشأته ، أسرته ، طلبه للعلم ، رحلاته ، مذهبه ، شيوخه ، تلاميذه.

المطلب الثالث: مكانته العلمية ، وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية ، ووفاته.

الفصل الثاني: في التعريف بعلم متشابه القرآن، ودراسة كتاب « **درة التنزيل وغرة التأويل** » ، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بعلم متشابه القرآن، ويشتمل على مطالب سبعة:

المطلب الأول : التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم.

المطلب الثالث : موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الرابع : نكتة هذا العلم، وحكمته ، وأهميته ، وفوائده .

المطلب الخامس: نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن، وتطوره، وتدوينه.

المطلب السادس :التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي.

المطلب السابع : الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي، وفي توجيهه.

المبحث الثاني: دراسة كتاب « **درة التنزيل** » ، ويشتمل على مطالب ثمانية:

المطلب الأول : تحقيق صحة اسم الكتاب.

المطلب الثاني : تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المطلب الثالث : موضوع الكتاب.

المطلب الرابع : سبب تأليف الكتاب.

المطلب الخامس: منهج المؤلف في الكتاب.

المطلب السادس: مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب السابع : قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده.

المطلب الثامن : المآخذ على الكتاب.

٢٥٢٧
جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية
مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الفصل الثالث: وصف النسخ، ومنهج التحقيق، **وفيه مبحثان:**

المبحث الأول : وصف النسخ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : وصف النسخ المطبوعة.

المطلب الثاني : وصف النسخ المخطوطة، مع نماذج مصورة منها.

المبحث الثاني : منهج التحقيق ، وفيه تفصيل لمنهجي في تحقيق الكتاب(٤).

القسم الثاني : النص المحقّق

وفيه طبّقت المنهج الذي أعددته على نصوص الكتاب، وعلّقت على ما يحتاج إلى تعليق، وغير ذلك مما خدمت به نصّ الكتاب بفضل الله تعالى.

* * * * *

هذا ما بذلته من الجهد في هذا الكتاب الجليل، وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد أدّيت حقّه العلمي وخدمته بهذا التحقيق والإخراج، فإن أصبت فذلك الفضل من الله، يؤتيه من يشاء، وإن أخطأت فمني، وأستغفر الله من تقصيري، والله أسأل أن يتقبّل صالح عملي ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يدخر ثوابه في صحائف أعمالي ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ❁ إلاّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم﴾[الشعراء:٨٨ - ٨٩] .

كما أرجو من القارئ الكريم أن يعذرني فيما يرى من خطإٍ أو زلل، فالكمال لله وحده، وأن يدعو لي بظهر الغيب دعوة صالحة بالرحمة والغفران، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكة المكرمة — محمد مصطفى آيدين

٢٥ من ذي الحجة سنة ١٤١٤هـ

٤ من ينيو « حزيران » سنة ١٩٩٤م

---

(٤) انظر من هذا الكتاب:١ (١٣٠ - ١٣٢).

القسم الأول

قســـم الدراســـة

الفصل الأول

عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب وحياته

يشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : **عصر الإمام أبي عبد الله الخطيب.**

فيه المطالب الآتية:

- **الحالة السياسية.**
- **الحالة الاجتماعية.**
- **الحالة العلمية.**

المبحث الثاني : **حياة الإمام أبي عبد الله الخطيب.**

يشتمل على مطالب أربعة :

المطلب الأول : **اسمه ، نسبه ، كنيته ، لقبه ، نسبته.**

المطلب الثاني : **مولده ، نشأته ، أسرته ، طلبه للعلم ، رحلاته ، مذهبه ، شيوخه ، تلاميذته.**

المطلب الثالث: **مكانته العلمية ، وثناء العلماء عليه.**

المطلب الرابع : **آثاره العلمية ، ووفاته .**

المبحث الأول

عصر الإمام أبي عبد ا لله الخطيب

الحالة السياسية:

كانت رقعة الإسلام خلال القرن الرابع الهجري تمتدّ من كَاشْغَر[١] في أقصى المشرق إلى السوس الأقصى في المغرب.

وبعد هذا الاتساع بدأ العالم الإسلامي يفقد قوته من الناحية السياسية، حيث ضعف كيان الدولة الإسلامية وتفكّكت، وذلك بسبب أن الأمراء والسلاطين بدأوا يستقلون عن مركز الخلافة العباسية في بغداد، فنشأت دويلات كثيرة، وقد أخذت كل دولة من هذه الدويلات تهدف إلى تكوين كيان مستقل، وذات سيادة مستقلة، لتنطلق منها إلى الاعتداء على غيرها من الدويلات والاستيلاء على ما تحت يدها.

وقد تضافرت على العالم الإسلامي ظروف داخلية وخارجية صعبة، فقد كانت الروم تهدد العالم الإسلامي من الخارج، واليهود والنصارى والفرق الضالة والدعوات الشعوبية تهدّد من الداخل، حيث كان هؤلاء جميعا يمثّلون قوة خبيثة داخل المجتمع الإسلامي، وكانوا يحرصون كلّ الحرص على أن لا تكون لدولة الإسلام وحدة سياسية، وإن كانوا يسرّون ذلك.

وفي هذه الفترة التي عاش فيها أبو عبد ا لله الخطيب شهد الجزء الشرقي من الأمة الإسلامية أشدّ حالات الانقسام والفوضى السياسية، بسبب كثرة الدويلات، والنزاع بين الأمراء والسلاطين، وعلى سبيل المثال فقد استبد البويهيّون[٢] (٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ) بأمور الدولة وشاركوا الخلفاء العباسيين حتى في بعض مظاهر الخلافة وشاراتها، فكان الأمير البويهي هو الذي يصدّر «الأوامر»، وعلى الخليفة توقيعها لتكتسب الشرعية أمام الرأي العام، ولولا عمق جذور الخلافة العباسية ، وولاء الناس لها لأسباب تتصل بالعقيدة الدينية، لما أبقى البُويْهيون على وجودها حتى بالصورة الرمزية التي كانت عليها[٣].

---

(١) هي إحدى مدن تركستان الشرقية.

(٢) ينتسب البويهيون إلى بويه الملقب بأبي شجاع، وهو عميد أسرة فارسية عاشت في بلاد الديلم، فقد اشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بني بويه، أي الديالمة. (ينظر: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٤٥ ، وبلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٠٧).

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ٣٧/٣ ، وتاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم، ١٦٨/٣ ، و محاضرات الخضري في تاريخ الأمم الإسلامية « الدولة العباسية »، ص٣٩٩ ، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز، ١١٩/١ ـ ١٢٠ .

ومن خلال هذا العرض السريع للأوضاع السياسية التي عاصرها المؤلف في عهد الخلافة العباسية وسيطرة البويهيين نستنتج أنه عاش عصر اضطرابات ودويلات متناحرة في ظل خلافة ضعيفة لا تقدر على القيام بحماية نفسها.

ولكن المؤلف لم يعكس لنا من خلال مؤلفاته شيئا من الواقع السياسي الذي عاصره، فقد كان منكباً على العلم مشتغلا به تعلُّما وتعليما وتصنيفاً.

الناحية الاجتماعية:

كانت السلطة في القرن الرابع الهجري في يد الدولة العباسية، وعاصمتها بغداد، ولكن تغلّب عليها آل بويه الفرس، الذين امتد حكمهم من فارس إلى بغداد نفسها، الأمر الذي جعلهم قادرين على الأخذ بزمام الأمور والتحكم بالبلاد ورقاب العباد، وقد أصبح لهم بحكم ذلك فرص الضرائب والمكوس، وجباية الأموال من كل طريق مما أثقل كواهل الناس، وجعل حياتهم الاقتصادية شاقة.

كما أن الفساد انتشر في جميع أركان الدولة حتى شمل الحِسبة[٤] والقضاء، وهما أهم ما يرتبط في حياة الناس المعيشية، والاجتماعية، فعمّت الفوضى والسرقة والغش والرشوة والتلاعب بمقدّرات الناس مما جعلهم يغرقون في الفقر والحاجة حتى أصبحت الحياة بالنسبة لعامة الناس حملاً ثقيلاً لا يطاق.

وإضافة إلى هذه الفوضى، فقد ازداد الخلاف المذهبي في هذا القرن، وكان البويهيون ـ وهم من الشيعة ـ يشجعون دعاة المذاهب الشيعية على التغلغل في البلدان، وفي نفس الوقت كانوا يشجعون النزاع المذهبي أيضاً للقضاء على الخلافة العباسية[٥].

الناحية العلمية :

وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة التي سبقت الإشارة إلى بعضها، ظل العلم والعلماء في مقاومة طويلة شاملة لكل عوامل التخلف والضياع، التي تسربت إلى جذور الأمة الإسلامية وحياتها، ذلك لأن العلم عند المسلمين دين، ومسؤولية إسلامية، وعبادة وقربى إلى الله

(٤) الحِسْبة: منصب كان يتولّاه في الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة، من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب. (المعجم الوسيط، ص١٧١).

(٥) ينظر:تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم، ٤٤٢/٣، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز، ١١٩/١ ـ ١٢٠ .

تعالى، لذلك وجدناه ينطلق من خلال أئمته الأعلام في حركة غلاّبة، من غير نظر إلى التقلّبات العاصفة في السياسة والحروب، أو الأزمات الطاحنة من فتن ، وثورات، ونكبات!![٦].

ويعتبر القرن الرابع الهجري قرناً مزدهراً من الناحية العلمية، حيث نضجت فيه ثمار العلوم في مختلف أنواعها، وظهر فيه كثير من أفذاذ العلماء والأدباء والشعراء ذوي الشهرة الواسعة في شتى ميادين العلوم والثقافة، في التفسير، والفقه، واللغة، والأدب، والشعر، والنثر، وغيرذلك من الفنون.

وكانت المكتبات العامة المليئة بذخائر العلوم تنتشر في كل مكان من العالم الإسلامي الواسع، فلا يكاد يخلو مسجد من مكتبة عامرة، وذلك أن العلماء كان من عادتهم أن يقفوا مكتباتهم على المساجد.

وكانت هنالك مكتبات في غير المساجد مثل بيت الكتب للصاحب ابن عباد (ت٣٨٥هـ)[٧] بالرَّيّ، وكان يحوي من الكتب ما يحتاج نقله إلى أربعمائة جمل أو أكثر، وكانت فهرستها تقع في عشرة مجلدات[٨].

وقد أوجد انقسامُ الدولة العباسية إلى دويلاتٍ عواصمَ ثقافية كثيرة، وكلّ منها يتنافس ليكون له كيانه الثقافي الخاص بجوار بغداد التي كانت آنذاك أكبر مركز ثقافي.

ومن هذه المدن التي ازدهرت بالعلوم والثقافة في مشرق العالم الإسلامي **مدينتا أصبهان**[٩] **والرَّيّ**[١٠]، وبخاصة في عهد البويهيين الذين اندفعوا في التأثير في الأدب العربي اندفاعا تاما، مع أن أصلهم كان من الفرس كما أن أغلب وزرائهم كابن العميد وابن عباد كانوا من الفرس »[١١].

وأبو عبد الله الخطيب الذي هو مؤلّف كتاب « **درة التنزيل وغرة التأويل** » عاش بين هاتين المدينتين في فترة من أزهى الفترات العلمية.

---

(٦) ينظر: العلم والعلماء في ظل الإسلام، للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، ص١٩ (نشر دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

(٧) هو إسماعيل بن عباد، كان أديبا عالما ويقرب العلماء والأدباء ، ولي الوزارة للبويهيين سنة ٣٦٦هـ، قلّده إياها مؤيد الدولة، وبعد وفاته سنة ٣٧٣هـ أمّره عليها أخوه فخر الدولة حتى توفي الصاحب سنة ٣٨٥هـ هـ (انظر: معجم الأدباء ٢/ ٦٦٢، سير أعلام النبلاء، ٥١١/١٦ ، نزهة الألبّاء في تراجم الأدباء لابن الأنباري، ٣٢٥ ـ ٣٢٧).

(٨) ينظر:معجم الأدباء، لياقوت، ٦٩٧/٢، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ١٩٨/١ ـ ١٩٩ .

(٩) اصبهان: بكسر الهمزة وفتحها، وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون ـ كما في اللباب لابن الأثير الجزري(٦٩/١) ـ، ويقال: بالفاء أيضا: أصفهان. وهي مدينة عظيمة مشهورة اعتنى العلماء بأوصافها إلى حدّ الإسراف كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان(٢٠٦/١).

(١٠) هي مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وأعلام المدن، محط الحجاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا، كما في معجم البلدان لياقوت، ١١٦/٣، تسمى اليوم شاه عبد العظيم، وتبعد عن طهران العاصمة سبعة كيلومترات، ولامتداد العمران وانتشاره تداخلتا، وهي إمارة من أربعة عشر إمارة تابعة للمنطقة المركزية، وحاضرتها طهران العاصمة. (هذه المعلومات أخذتها من الدكتور مسفر بن سعيد الغامدي، محقق كتاب فضائل القرآن لابن الضريس، نشر دار حافظ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، **ويقول في صفحة ٤٥**، والهامش رقم(٣) أن تلك المعلومات التي ذكرها أخذها من الأستاذ الدكتور محمد صديق العوضي، أستاذ اللغة الفارسية بجامعة الملك سعود).

(١١) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، ص ٢٠٨، للدكتور محمد جمال الدين سرور.

المبحث الثاني
حياة الإمام أبي عبد الله الخطيب

المطلب الأول: اسمه ، نسبه ، كنيته ، لقبه ، نسبته .

هو **محمد بن عبد الله**[١] ، المكنى **بأبي عبد الله** ، والملّقب **بالخطيب**، **الأصبهاني** (نسبة إلى أصبهان، وهي وطنه الأصلي) ، **الرازي**[٢] (نسبة إلى الرّي، وهي التي تولّى فيها الخطابة).

والمراجع التي بأيدينا لا تسعفنا في تحديد كونه فارسيا أو عربيا، وإنما نرجح أنه كان من أهل أصبهان نسباً ومولدا.

أما نسبته « **الإسكافي** »[٣] فهو نسبة إلى الأَسْكَفَة ، وهي حرفة الإسكاف[٤]، وكان بعض الأصبهانيين ينسبون إلى هذه الحرفة، يقول ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) في كتابه « **اللباب في تهذيب الأنساب** »:الإسكافي: نسبة إلى الأسكفة، منهم جماعة من الأصبهانيين.. »[٥]، ولعل مؤلّفنا الشيخ أبا عبد الله الخطيب كان من هؤلاء. والله أعلم.

قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) **في ترجمته**:« محمد بن عبد الله خطيب القلعة الفخرية[٦]، أبو عبد الله، المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي، صاحب التصانيف الحسنة، أحد أصحاب ابن عبّاد (ت٣٨٥ هـ)، وكان من أهل أصبهان، وخطيبا بالرّي»[٧].

---

(١) مصادر ترجمته:

- معجم الأدباء لياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)، ٢٥٤٩/٦، وانظر كذلك في ترجمة أبي علي المرزوقي (٥٠٦/٢) حيث فيها ذكرٌ للخطيب أيضا.
- الوافي بالوفيات للصفدي (ت٧٦٤هـ)، ٣٣٧/٣ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي(ت٩١١هـ)، ١/ ١٤٩.
- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي(ت ١٣٣٩هـ)،٦٤/٢ ، وجاء فيها:((الخطيب البغدادي)) وهو خطأ ظاهر.
- معجم المؤلفين لرضا كحالة، ٢١١/١٠ .
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ٤٩١/١ .
- الأعلام لخير الدين الزركلي، ٢٢٧/٦ .
- معجم المفسرين لعادل نويهض، ٥٥٨/٢ .

(٢) نسبة الخطيب إلى مدينة أصبهان جاءت صريحة في النسختين المخطوطتين لكتاب **درة التنزيل**، ورمز إليهما بـ (أ، ب)، وأما نسبته إلى الرّي جاءت في النسخة الواحدة المرموز إليها بـ (ق).

(٣) ينظر:معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ ، الوافي بالوفيات،٣٣٧/٣ ، بغية الوعاة، ١٤٩/١ .

(٤) الإسكاف: صانع الأحذية ومصلحها، وقيل: الخفّاف، وقيل: النجار، وقيل غير ذلك. (ينظر: القاموس المحيط، ص ١٠٦٠ كسف ، اللباب لابن الأثير الجزري ٥٧/١ ، والمعجم الوسيط، ص٤٣٩).

(٥) اللباب لابن الأثير، ٥٧/١ .

(٦) هذه القلعة يذكرها أيضا راوي كتاب درة التنزيل - كما سيأتي - في مقدمته، ولعل هذه القلعة تُنسب إلى فخر الدولة، يقول ياقوت الحموي في كتابه « **معجم الأدباء** » (٢٣٨/٤):« كان فخر الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيْه

<==

المطلب الثاني: مولده ، نشأته ، أسرته ، طلبه للعلم ، رحلاته ، مذهبه، شيوخه، تلاميذه:

يحيط غموض كبير بهذه الجوانب كلها من حياة **الخطيب الأصبهاني** رغم ما ذكره **الصاحب ابن عباد** (ت٣٨٥هـ) من ذيوع شهرته، وكان خليقاً بهذه الشهرة أن يكون لصاحبها تاريخ حافل بالأخبار، يحكي تفاصيل حياته، ويروي دقائق طفولته، وشبابه، وكهولته.

ولكن الكتب لم تسعفنا بأخبار وافية وشافية عن حياة الخطيب، بل حظه من الحديث في المصادر والمراجع قليل جدا.

فليس فيما بين أيدينا من المصادر ذكرٌ لتاريخ ميلاده ، ولا نعرف شيئا عن أسرته التي تربى فيها، ولا عن نشأته، شأنه في ذلك شأن الكثير من القدماء.

و لم تحدّثنا أيضاً تلك الكتب التي ترجمت له عن الفترة التي مكثها في أصبهان، ومتى صارخطيبا بالريّ.

وكذلك الأمر في طلبه العلم ، فلم ترو المصادر من أين وممّن أخذ العلم ؟، ولانعرف شيئا عن رحلاته العلمية إن كانت، وليس هناك أيّ ذكرٍ على أنه غادر مدينة أصبهان والرّيّ، و لم تظهر أيّة إشارة إلى ذلك في الكتب التي ترجمت له.

كما أن المصادر لم تذكر شيئا عن شيوخه، ولا عن تلاميذه، ولا شكّ أن هذا أمر يؤسف له ، خاصة بالنسبة لعالمٍ جليلٍ مثل أبي عبد الله الخطيب، وقد وقع مثل هذا لعددٍ من الأئمة الأعلام، كلٌّ بسبب خاصٍّ به، كالإمام أبي عبد الله القرطبي(ت٦٧١هـ) صاحب «الجامع لأحكام القرآن»، حيث لم يذكر من ترجم له التلاميذ الذين أخذوا عنه، وتخرّجوا عليه، وأفادوا من معرفته الشيء الكثير، فيبعد جدا أن يعزف الناس عنه، ولا يفيد منه.

ولعل السبب بالنسبة للخطيب الإسكافي هو ميله للعزلة كما سيظهر بعد قليل إن شاء الله، ولعل هذا هو ما جعل بعض المراجع الشهيرة في التراجم يغفل ذكره على الإطلاق مثل «سير أعلام النبلاء»، الذي ترجم فيه الذهبي لعلماء دون الخطيب الإسكافي بمراحل شاسعة. والله أعلم.

الديلمي قد استأنف عمارة قلعة الريّ القديمة وأحكم بناءها، وعظّم قصورها وخزائنها وحصّنها وشحنها بالأسلحة والذخائر وسمّاها فخراباذ، وهي مشرفة على البساتين والمياه الجارية أنزه شيء يكون، وأظنها قلعة طبرك، والله أعلم».

(٧) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦.

مذهبه في العقيدة:

ظهر لي بحسب واقع ما جاء في كتاب «**درة التنزيل** » أن الخطيب سنّيّ المذهب في العقيدة، إذ لم أجد عنده نفياً للصفات، أو تأويلا لها بالمجاز، ونحوه، أو غلواً في أحكام التكفير بالذنب، ويتضح ذلك بالاعتبارات التالية:

أولا: مما يدل على أنه مثبت للصفات، منكر على نفاتها، مقرّ لمذهب أهل السنة في علم الله تعالى بالجزئيات والكليات: ما قاله في تفسير قوله تعالى:﴿إنه سميع عليم﴾ [الأعراف:٢٠٠] « أي يسمع ما يكون منك، ويعلمه مع كل مسموع ومعلوم»[٨].

ثانيا: مما يدل على أنه ينقد بعض المذاهب العقائدية، حيث يقول: «وأمّا أن يكون الحكم بخلاف ما أنزل الله كفراً فهو مذهب الخوارج، يذهبون بـ « مَن » هنا إلى الشياع الذي في المجازاة، وهذا مخصوص به اليهودُ الذين تقدم ذكرُهم وتبديلهُم حكم الله تعالى لِيكذبوا رسول الله ﷺ وذلك كفرٌ»[٩].

مذهبه الفقهي:

ولما كان موضوع كتاب « درة التنزيل » بعيدا عن المسائل الفقهية لم نعرف من خلال الكتاب مذهبه الفقهي و لم يذكر من ترجم له أيضا انتسابه إل أحد من المذاهب الفقهية.

* * * * *

ولم أجد أحدا قبل ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) **يذكر ترجمة الخطيب، بل تأكّد لديّ أنّ كل ما أورده أصحابُ كتب التراجم عنه إنما هو عبارة عن أخبار يسيرة في أسطر قليلة وردت في معجم الأدباء لياقوت، والذين أتوا بعده كرروا ما جاء فيه ونقلوه من غير زيادة.**

ولا شك أن ترجمة الخطيب التي أوردها ياقوت في معجمه جاءت موجزة، لا تتفق ومنزلته العلمية، ولا تشفي غليل الباحث أيضا، لأنها لاتتعدى اسمه وكنيته، وعمله، وشهرته التي عرف بها، وثناء الصاحب ابن عبّاد (ت٣٨٥هـ) عليه، وتسمية بعض الكتب التي صنفها.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه عاش حياة علمية خالصة فلم يختلط بالناس، وعلى ذلك لا توجد له إلاّ أخبار يسيرة.

---

(٨) ذكر ذلك الخطيب أثناء كلامه عن الآية الثالثة من سورة فصلت حسب ترتيبه، وانظر من هذا الكتاب:٢/٧٠٢.

(٩) انظر من هذا الكتاب، الآية السادسة من سورة المائدة حسب ترتيب المؤلف: ٢٨٥/١ .

وقد يكون ابتعاده عن الخلفاء والولاة وعدم اتصاله بهم وتقربه إليهم، سببا في هذا الإغفال. لأن كثيرا من العلماء والشعراء والأدباء، لم يعرفوا و لم يشتهروا إلا بعد أن ارتبط اسمهم بخليفة قرّبهم إليه، أو والٍ شملهم برعايته.

غير أن ياقوتا الحموي يشير في ترجمته الموجزة التي كتبها عنه في «معجم الأدباء»، إلى أنه كان أحد أصحاب **ابن عباد الصاحب** - وزير آل بويه الشهير -. وإذا كان ذلك صحيحا، فإنه يعني أن مجال الشهرة كان مفتوحا أمامه لو أراد، لِما نعرفه عن الصاحب ورعايته العلماء والأدباء.

إلاّ أننا لم نلمس لهذه الصحبة أيّ تأثير على الخطيب الإسكافي، فإن من يدرس حياة ابن عباد، ويتعرف على من اتصل به من العلماء والأدباء والشعراء، يجدهم كثيرين، وذاعت شهرتهم، وبعضهم ممن ليسوا بمنزلة الإسكافي العلمية والأدبية، وقد اقترنت أسماؤهم باسم ابن عباد، وهذا يجعلنا نميل إلى القول بأن **الخطيب الإسكافي** كان يؤثر العزلة في حياته، حتى لو كان من أصحاب ابن عباد.

ولعله كان منصرفا إلى مهنته الخاصة التي اتخذها مصدرا لعيشه، وقد آثرها على الكسب من تقرّبه إلى ذوي السلطان، فلم يطرق أبوابهم أو يتردد على مجالسهم. فابتعد بذلك عن مجال الاشتهار، لأن وقته مستغرق في العلم والمهنة(١٠).

* * * * *

المطلب الثالث: مكانته العلمية ، وثناء العلماء عليه:

ربما كان بيان مكانة الخطيب العلمية أسعد حالا، وإن غطى الغموض جوانب ترجمته، لأن الذي وصل من مؤلفاته كان كافيا لتكوين فكرة جليلة عن هذا الرجل وعلمه، كما يوجد من معاصريه من امتدحه، وكذلك فإن كثيرا ممن نقلوا عنه متأخرا امتدحوا علمه.

كفى الخطيبَ مكانةً أن يكون من أوائل المؤلفين الذين ألّفوا في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم، ومن جاء بعده ممن ألف في هذا النوع من أنواع التفسير هم عيال

---

(١٠) انظر تفصيل هذا في مقدمة تحقيق الشيخ أحمد عبد الباقي لكتاب « **لطف التدبير** » للخطيب الإسكافي ، ص ١٤.

عليه، وقد عرف قيمته الأئمة وقدّروه، حتى ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) حذا في كتابه «ملاك التأويل» حذو «**درة التنزيل**» للإسكافي، ونهج نهجه فاعتمد عين ما ورد فيه من آيات مع استدراك ما أغفل، ووصف مؤلِّفَه قائلا:

«..إنه[١١] باب لم يقرعه ممن تقدّم وسلف، ومَن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخلف، أحدٌ **فيما علمته** على توالي الأعصار والمُدد، وترادف أيام الأبد، مع عظيم موقعه، وجليل منزعه، ومكانته في الدين، وفتّه أعضاد ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين، إلى أن ورد عليّ كتاب لبعض المعتنين من جلّة المشارقة نفعه الله، سماه بكتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل**»، قرع به مغلق هذا الباب، وأتى في هذا المقصد بصفوٍ من التوجيهات لباب، وعرّف أنه باب لم يوجف عليه[١٢] أحد قبله بخيل ولا رِكاب، ولا نطق ناطق قبلُ فيه بحرفٍ مما فيه. وصدق رحمه الله، وأحسن فيما سلك وسنّ، وحقّ لنا به ـ لإحسانه ـ أن نقتدي ونستنّ...»[١٣].

ولقد منّ الله على **الخطيب** بالعلم الواسع، حتى نال إعجاب العلماء المعاصرين له، **كالصاحب ابن عباد** (ت٣٨٥هـ) حيث أشاد بمكانته العلمية عند ما قال ـ كما روى ياقوت الحموي [١٤]:

« قال ابن عباد: فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة: حائك، وحلاج، وإسكاف. فالحائك:أبو علي المرزوقي، والحلاج: أبو منصور ابن ماشدة، والإسكاف: أبو عبد الله الخطيب».

ونقل ياقوت قول ابن عباد في ترجمة أبي علي المرزوقي(ت٤٢١هـ)أيضا، حيث قال:

«قال الصاحب بن عباد:« فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك، وحلاج، وإسكاف، فالحائك هو المرزوقي، والحلاج أبو منصور ابن ماشدة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالريّ، صاحب التصانيف في اللغة »[١٥].

وذلك ـ لا شك ـ دليل واضح على سموّ مكانة أبي عبد الله الخطيب العلمية ومركزه الثقافي في العصر الذي عاش فيه رحمه الله تعالى.

---

(١١) أي توجيه الآيات المتكررة والمشتبهة في القرآن الكريم.

(١٢) في المطبوع: عنه، ولعل الصواب ما أثبته.

(١٣) ملاك التأويل، مقدمة المؤلف، ١/١٤٥ ـ ١٤٦ .

(١٤) معجم الأدباء ٦/٢٥٤٩ .

(١٥) معجم الأدباء، ٢/٥٠٦ .

و« ليس يعني الصاحب أن أصبهان لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقرة، ولكنه عني أنهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات، وإلا فإن عباقرة أصبهان كثيرون، وقد ظهر فيها فحول كُثار»(١٦).

أو لعله يقصد أجمعهم للعلم، وأعظمهم في فنونه، فهم الذروة من أهل أصبهان.

ولقد تتبعت كثيرا أقوال العلماء الذين نقلوا في مؤلفاتهم عن «درة التنزيل» فألفيت بعض العبارات التي تدل على مكانة الخطيب العلمية الفذة في علم اللغة والتفسير، ومن ذلك:

قال الكرماني في كتابه «متشابه القرآن»:

« وسأل **الخطيب** عن هذه المسائل(١٧) فأجاب عنها فقال:« إن اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، كان اختلافها واتفاقها سواء، إذا أدّي المعنى المقصود ».

ثم قال الكرماني **تعقيبا على جواب الخطيب** :« وهذا جواب حسن، إن رضيت به كفيت مؤنة السهر إلى السحر»(١٨).

ولا يزال الثناء والتقدير مستمرّين على الخطيب وكتابه الجليل من العلماء في كل عصر، كلما جاءت مناسبة ذلك.

وقد نوّه **الشيخ الزرقاني** ـ في عصرنا الحاضر ـ بمكانة الخطيب أثناء كلامه عن أسلوب القرآن في كتابه الممتع «مناهل العرفان في علوم القرآن »، **حيث قال:**

«ولعلمائنا الأفاضل ــ أكرمهم الله ــ أذواق مختلفة في استنباط الفروق الدقيقة بين استعمال حرف أو كلمة، مكان حرف أو كلمة، ومن السابقين في حَلْبة هذا الاستنباط الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ(١٩) في كتابه **درة التنزيل وغرة التاويل**، وهاك مثالا منه يفيدنا فيما نحن فيه، إذ يتحدث عن سرّ التعبير بالفاء في لفظ « كلوا » من قوله سبحانه في سورة البقرة[٥٨]:﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم﴾، وعن سرّ التعبير بالواو لا بالفاء في لفظ « كلوا » أيضاً، من قوله سبحانه في سورة الأعراف[١٦١]:﴿وإذ قيل

---

(١٦) نقلت هذه اللفتة عن عبد السلام هارون رحمه الله في مقدمته على كتاب شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي (ت٤٢١هـ)، وهذا هو الذي يعنيه ابن عباد بقوله: الحائك.

(١٧) انظر من هذا الكتاب، الآية الأولى من سورة الأعراف: ٣٤٩/١ .

(١٨) البرهان في متشابه القرآن للكرماني، ص١٨٤ . (تحقيق الشيخ أحمد عز الدين عبد الله خلف، وقام بنشره دار الوفاء للطباعة والنشر في مدينة المنصورة بمصر سنة ١٤١١هـ، ط. الأولى.

(١٩) في الكتاب ٤١٢هـ ، وهو خطأ مطبعي، وقد يكون تصحيفا عن تاريخ الوفاة الذي ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، وهو سنة ٤٢١هـ .

لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم..﴾ مع أن القصة واحدة، ومدخول الحرف واحد، ثم نقل جواب الخطيب على هذه المسألة[٢٠].

* * * * *

المطلب الرابع: آثاره العلمية ، ووفاته:

للخطيب مؤلفات عديدة متنوعة بعضها في اللغة ، والأدب، وبعضها في التفسير وعلوم القرآن، ونذكر ها هنا ما وصل إلى علمنا منها:

١ - « غلط كتاب العين »[٢١].

٢ - « كتاب الغرة » يتضمن شيئا من غلط أهل الأدب[٢٢].

٣ - « مبادئ اللغة »[٢٣] ، وهو أشهر كتبه كما يقول الصفدي[٢٤].

وكتاب « مبادئ اللغة » يشتمل على موضوعات شتى، أولها باب ذكر السماء والكواكب، ثم باب أسماء البروج والأزمنة، ثم باب الليل والنهار، ثم باب صفة الحر والبرد، وباب الرياح، وباب أسماء الرعد والبرق، وباب المياه وأوصافها وذكر أماكنها..الخ

---

(٢٠) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني، ٣٢٨/٢، وفي نقل الشيخ الزرقاني كلام الخطيب تصرُّف يسير. وانظر : الآية الأولى من سورة البقرة من كتابنا هذا ، ١٣٨/١ .

(٢١) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦.
- الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣.
- بغية الوعاة للسيوطي، ١٥٠/١.
- كشف الظنون لحاجي خليفة، ص ١٤٤٤ ، وجاء فيه:« وفيه - أي في غلط العين - شيء كثير من أغلاط الأدباء».
- هدية العارفين(٦٤/٦)، وجاء فيه: « غلط العين على سيبويه » بدل « كتاب غلط العين ».
- البلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق خان القِنّوْجي(ت١٣٠٧هـ) ص ٤٨٠ .

(٢٢) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ .
- الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣ .
- بغية الوعاة للسيوطي، ١٥٠/١.
- كشف الظنون لحاجي خليفة، ١٤٤٤ .

(٢٣) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ .
- الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣ .
- بغية الوعاة للسيوطي، ١٥٠/١.
- كشف الظنون لحاجي خليفة، ص ، ١٥٧٩ .
- هدية العارفين، لإسماعيل باشا، ٦٤/٢ .
- البلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق خان القِنّوْجي(ت١٣٠٧هـ) ص ٤٩٠ .

وطبع « مبادئ اللغة ».بمطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٥هـ، ثم طبع بدار الكتب العلمية في يروت، عام١٤٠٥هـ.

(٢٤) الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣ .

٤ ـ « شواهد كتاب سيبويه »[٢٥].

وفي هذا الكتاب شرح الخطيب أبيات كتاب سيبويه[٢٦].

٥ ـ « نقد الشعر»[٢٧].

٦ ـ « درة التنزيل وغرة التأويل » في الآيات المتشابهة[٢٨].

هذا الكتاب أفرده مؤلفه ليتناول فيه جانبا من جوانب التفسير، وهو توجيه الآيات المتشابهة لفظا، وهو الكتاب الذي نقوم بتحقيقه، والحمد لله الذي قدّر لي هذا العمل المبارك، وسيأتي الكلام عليه، موسعا في الفصل الثاني، تحت المبحث الثاني[٢٩] إن شاء ا لله تعالى.

وهو أخلق كتبه بأن يقال فيه أنه أشهر كتبه ، وأعظمها ابتكاراً.

٧ ـ « لطف التدبير في سياسات الملوك »[٣٠].

تناول الخطيب فيه أخبار الملوك والأمراء السابقين رغبة في إفادة من عاصره من الولاة، مرتبا ذلك كله على أبواب يحتاج إليها كلّ من ساس أمر الناس، أو ولي شأنهم، فكان ذلك مجيداً بارعاً في التقسيم والتبويب وحسن العرض[٣١].

---

(٢٥) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ .

ـ الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣ .

ـ بغية الوعاة للسيوطي، ١/ ١٥٠ .

(٢٦) كشف الظنون، ص١٤٢٨ .

(٢٧) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ .

ـ الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣ .

ـ بغية الوعاة للسيوطي، ١/ ١٥٠ .

ـ كشف الظنون، ص١٩٧٣ .

(٢٨) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦.

ـ الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣.

ـ بغية الوعاة للسيوطي، ١٥٠/١.

ـ « أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون » ، ص ١٤٦، للشيخ عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده، القرن الحادي عشر.

(٢٩) انظر من هذا الكتاب: ١(٥٥ ـ ١٠٨).

(٣٠) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ .

ـ الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٧/٣ .

ـ بغية الوعاة للسيوطي، ١/ ١٥٠ .

ـ كشف الظنون لحاجي خليفة، ١٥٥٥.

ـ هدية العارفين لإسماعيل باشا، ٦٤/٢ .

وطبع كتاب « لطف التدبير » بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الباقي، في دار الكتب العلمية في بيروت، ط. الثانية ٣٩٩هـ.

وهذ الكتاب طُبع مؤخرا مهذّبا، طبعته المكتبةُ المكيَّةُ بمكة المكرمة في ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

(٣١) مقدمة تهذيب كتاب لطف التدبير، ص ٥ .

وهذه الكتب السبعة المتقدمة ذكرها ياقوت في « معجم الأدباء » وتناقلها عنه مَن ترجم للمؤلف بعد ذلك.

وهناك كتب أخرى لأبي عبد الله الخطيب لم تذكرها المصادر التي ترجمت له، وعثرت منها على ما يأتي:

٨ - « كتاب المجالس»(٣٢).

تكلم الخطيب في كتابه « المجالس » على شرح طائفة من الآيات القرآنية التي يعترض عليها الملحدون، والأحاديث، والأمثال ، والأشعار، والحِكم، مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة.

٩ - « كتاب خلق الإنسان »(٣٣).

يبدأ الخطيب كتابه هذا بمقدمة يتناول فيها تدرّج الإنسان في سنّه، منذ ولادته إلى آخر مراحل سنّه، ثم يتناول أسماء جملة خلق الإنسان، مثل الطّلل، والشّبح(٣٤)، والجسم، والجسمان، وهكذا، ثم فصل في أجزائه مبتدئاً بالرأس.. إلى أن انتهى إلى القدم...، ثم يختم كتابه بـ « باب الحمل والولادة » .

١٠ - « مختصر كتاب العين » (٣٥).

لم يذكر هذا الكتاب مَن ترجم له، وهو صريح النسبة إلى الخطيب، حيث جاء في الغلاف:

« مختصر كتاب العين »

استخراج أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب أيده الله

١١ - « شرح الحماسة »(٣٦).

١٢ - « جامع التفسير » (٣٧).

١٣ - « معاني القرآن »(٣٨).

ومن العجيب أن الذين ترجموا للخطيب الإسكافي لم ينوّهوا إلا بجانبه اللغوي والأدبي، ولم ينوّهوا بتفوقه في التفسير وعلوم القرآن، مع رسوخ قدمه فيهما، بل لم يذكروا له كتابا في التفسير، غير

---

(٣٢) منه نسخة خطية في مكتبة كوبريلي، برقم ٢٢٢ لغة، وهي تقع ١٢٥ ورقة، وأوراقها من القطع المتوسط، وعندي نسخة مصورة أخذتها من الدكتور عبد الرحمن العثيمين جزاه الله عني خيرا.

(٣٣) طبع بتحقيق خضر عوّاد العكل،(رسالة الماجستير في آداب اللغة العربية)، دار عمار في عمان، ودار الجيل في بيروت، ط . الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

(٣٤) يقول الخطيب في كتابه « **خلق الإنسان** » (ص٤٠) : الطلل والشّبح والعَطَل، والشّرَف، والآلُ، والسَّمامَة: شخص الإنسان.

(٣٥) وتوجد منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٣١٧ لغة، ويقع في ٢٢٣ ورقة، وهو غير الكتاب السابق « غلط كتاب العين ».

(٣٦) لم أقف عليه، وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، ص ٦٩١ ، وذكره إسماعيل باشا في هدية العارفين(٦٤/٢) بعنوان: شرح الحماسة الطائية .

(٣٧) لم أقف عليه، لا مخطوطا ولا مطبوعاً، وقد جاء ذكره مرتين في آخر كتابنا هذا في سورة « الكافرون ». انظر من هذا الكتاب:٨٤٢/٢ .

(٣٨) لم أقف عليه أيضا، لا مخطوطا ولا مطبوعاً.

كتاب « **درة التنزيل** » مع أنه يشير في آخر هذا الكتاب في « سورة الكافرون » إلى أن له كتابا في التفسير يحمل اسم «**جامع التفسير** »[٣٩].

وكذلك يشير في كتابه « **المجالس** » إلى أن له كتابا في التفسير يحمل اسم « **معاني القرآن**» حيث جاء فيه أثناء الكلام عن الحروف المقطعة[٤٠]:« والكلام في تفصيلها يطول ، وهو مجموع في بابٍ من أبواب خطبة الكتاب الذي ألّفناه في **معاني القرآن** » .

وفاة المؤلف:

أصحاب كتب التراجم[٤١] الذين ترجموا للخطيب ذكروا بالتحديد أنه توفي سنة عشرين وأربعمائة من الهجرة النبوية (٤٢٠هـ)، وهذا هو المشهور المتداول.

وقيل: كانت وفاته سنة ٤٢١هـ ، وهو ما ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون »[٤٢]، وإسماعيل باشا في « هدية العارفين »[٤٣].

---

(٣٩) انظر من هذا الكتاب: ٢/ ٨٤٢ .

(٤٠) كتاب المجالس، ٧/ ب .

(٤١) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ ، والوافي بالوفيات، ٣٣٧/٣ ، والأعلام للزركلي، ٢٢٧/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢١١/١٠، ومعجم المفسرين لِعادل نويهض، ٥٥٨/١ .

(٤٢) ينظر: كشف الظنون: ٦٩١ ، ١٤٢٨ ، ١٥٥٥ ، ١٥٧٩ .

(٤٣) ينظر: هدية العارفين، ٦٤/٢ .

الفصل الثاني

التعريف بعلم متشابه القرآن

ودراسة كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل »

يشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : **التعريف بعلم متشابه القرآن.**

يشتمل على مطالب سبعة:

المطلب الأول : **التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحاً.**

المطلب الثاني : **التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم.**

المطلب الثالث : **موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.**

المطلب الرابع : **نكتة هذا العلم ، وحكمته ، وأهمّيته ، وفوائده.**

المطلب الخامس: **نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن ، وتطوّره، وتدوينه.**

المطلب السادس: **التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي.**

المطلب السابع : **الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي.**

المبحث الثاني : **دراسة كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل »**

يشتمل على مطالب ثمانية:

المطلب الأول : **تحقيق صحة اسم الكتاب.**

المطلب الثاني : **تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف.**

المطلب الثالث : **موضوع الكتاب.**

المطلب الرابع : **سبب تأليف الكتاب.**

المطلب الخامس : **منهج المؤلف في الكتاب.**

المطلب السادس : **مصادر المؤلف في الكتاب.**

المطلب السابع : **قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده.**

المطلب الثامن : **المآخذ على الكتاب.**

المبحث الأول

التعريف بعلم متشابه القرآن.

يشتمل على مطالب سبعة:

المطلب الأول : **التعريف بالمتشابه لغةً واصطلاحاً.**

المطلب الثاني : **التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم.**

المطلب الثالث : **موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.**

المطلب الرابع : **نكتة هذا العلم ، وحكمته ، وأهمّيته ، وفوائده.**

المطلب الخامس: **نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن ، وتطوّره، وتدوينه.**

المطلب السادس: **التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي.**

المطلب السابع : **الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي.**

المبحث الأول

التعريف بعلم متشابه القرآن

المطلب الأول : التعريف بالمتشابه لغة واصطلاحا:

المتشابه في اللغة: اسم فاعل مشتق من التشابه، وأبدأ هنا بذكر ما قاله علماء اللغة في بيان معناه، فأقول وبالله التوفيق:

١ ـ قال إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ):« والمشتبِهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات »[١].

٢ ـ قال أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ):« الشين والباء والهاء: أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكُله لوناً ووصفاً... »[٢].

٣ ـ قال محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ):« تشابه الشيآن واشتبها، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضًا »[٣].

٤ ـ قال محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ):« تشابه الشيآن واشتبها: أشبه كل واحدٍ منهما صاحبَه. والمشتبهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات.. وأمور مشتبهة ومشبِّهة: مشكلة يشبه بعضها بعضاً »[٤].

٥ ـ قال أحمد بن محمد الفيّومي (ت٧٧٠هـ):« واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميّز ولم تظهر..، وتشابهت الآيات: تساوت أيضا..، فالمشابَهَة: المشاركة في معنىً من المعاني، والاشتباه: الالتباس »[٥].

٦ ـ قال محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧ هـ):« وشابهه وأشبهه: ماثله، وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وأمور مشتبهة ومشبّهة: مشكلة »[٦].

نستطيع ـ حسب ما مرّ بنا لدى أهل اللغة ـ أن نقرّر بأن المتشابه يطلق في اللغة على ما تَماثَل من الأشياء وأشبه بعضها بعضاً، وعلى ما يلتبس من الأمور.

---

(١) الصحاح للجوهري ٦/٢٢٣٦، شبه.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٣/٢٤٣.

(٣) أساس البلاغة، ص٣٢٠.

(٤) لسان العرب، ١٣/٥٠٣ ـ٥٠٤ شبه.

(٥) المصباح المنير، ص٣٠٤.

(٦) القاموس المحيط، ص ١٦١٠ مادة شبه.

المتشابه في الاصطلاح: أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعنى، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة:﴿وأُتُوا به متشابهاً﴾[البقرة:٢٥] أي: متفق المناظر ومختلف الطعوم. وقد يقال لكلّ ما غمض ودقّ: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، كما يقال للحروف المقطّعة في أوائل السور: متشابه لخفاء معناها، وليس من جهة الشبه بغيرها والتباسها بها.

والمتشابه مثل المشكل، لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله(٧).

وقال محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١ هـ):« المتشابه: المشكل الذي يُحتاج فيه إلى فكرٍ وتأمّل(٨)».

وهو أعمّ من المتشابه في القرآن وغيره، والدليل على ذلك أن أبا منصور الثعالبي (ت٤٢٩ هـ) ألّف كتابا بعنوان « المتشابه »، وهو كتاب صغير الحجم خصّصه لأخبار الأدباء والشعراء والكتّاب، وقد أوجز في مقدمة كتابه هذا، الخطّةَ التي سار عليها فقال:« ثم إنّ هذا الكتاب مبنيّ على ثلاثة أقسام: فالقسم الأول في المتشابه الذي يشبه التصحيف(٩)، والقسم الثاني في المتشابه من التجنيس الصحيح، والقسم الثالث في المتشابه خطاًّ ولفظاً »(١٠).اهـ

* * * * *

المطلب الثاني: التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم :

ذهب ابن المُنَادِي(١١)- وهو من أوائل من ألف في متشابه القرآن ــ إلى أن المتشابه في القرآن الكريم يطلق على أشياء كثيرة ، حيث قال: « إن المتشابه كائن في أشياء: فمنها متشابه إعراب حروف القرآن ، ومنها متشابه غريب القرآن ومعانيه، وفي ذلك كُتُبٌ عن المسمّين آنفاً، ومنها متشابه تأويل القرآن ، وفي ذلك كُتُبٌ عن أهل التأويل كمجاهد ،

---

(٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص١٠٢، والبرهان للزركشي ٦٩/٢.

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤف المناوي، ص٦٣٣. (تحقيق د/محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر بدمشق، ط. الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

(٩) من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿..وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[الكهف:١٠٤]. (ينظر: المتشابه لأبي منصور الثعالبي: ص١١).

(١٠) انظر : المرجع السابق، ص ١١.

(١١) هو أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين ابن المُنَادِي: عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد.(٢٥٦ -٣٣٦هـ). ينظر لترجمته: طبقات الحنابلة:٢٩١، والبداية والنهاية:٢١٩/١١، وتاريخ بغداد:٦٩/٤، الأعلام:١٠٧/١. قال ابن الأثير الجزري في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب» (٢٥٨/٣) :« المُنَادِي: ــ بضم الميم، وفتح النون، وسكون الألف، وبعدها دال مهملة ـ : هذه النسبة إلى من ينادي على الأشياء التي تباع، والأشياء الضائعة ».

وقتادة ، وأبي العالية ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن يسار ، وعطية ، والسدي ، وأبي صالح، وغيرهم، ومنتهى أكثر ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنهما، يدخل في ذلك متشابه ناسخ القرآن ومنسوخه ، وتقديمه وتأخيره ، وخصوصه وعمومه ، وأكثر مَن سمّينا قبلُ لهم كتبٌ في ذلك. وقد يدخل في ذلك متشابه النوادر، والفرائض، والإباحات والتصريح والكنايات، وفي ذلك كتبٌ لعدة من الفقهاء. ومنها متشابه خطوط المصاحف الأول، وحروفٌ كتبت في بعضها على خلاف ما كتبت في البعض الآخر، وفي ذلك كتبٌ لبعض القرّاء. ومنها متشابه حروف القرآن المجموعة للإذكار من النسيان، وهو هذا الضرب[١٢] الذي أجرينا ذكر أصول المتشابه مِن أجله »[١٣].

ومن الواضح أن ابن المنادي ـ رحمه الله ـ توسّع في استعمال كلمة المتشابه، وبالرجوع إلى الكتب المصنفة في علوم القرآن نجد أن أصحابها تناولوا المتشابه في نوعين منفصلين، واقتصروا عليهما فقط، وهما:

الأول :المتشابه الذي يقابل المحكم[١٤].

والثاني : المتشابه اللفظي الذي يحصل في بعض آيات القرآن الكريم.

وإذا كان المتشابه[١٥] هو الذي يحتمل أكثر من وجه من وجوه الرأي والنظر، لِما فيه من اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، أو بعضهم، فإنّ الآيات التي فيها تشابه لفظي هي عبارة عن الآيات التي تكرّرت واشتبهت بسبب التقديم والتأخير، أو الزيادة والحذف، أو التعريف والتنكير، أو إبدال حرف مكان حرف آخر، أو كلمةٍ مكان كلمةٍ أخرى...

والنوع الأول[١٦] ليس مجال بحثنا الآن في هذه الرسالة ، وقد تناوله الزركشي في كتابه «البرهان » [١٧] تحت عنوان:« النوع السادس والثلاثون: معرفة المحكم من المتشابه».

---

(١٢) يعني به المتشابه اللفظي في الآيات القرآنية.

(١٣) متشابه القرآن لابن المنادي، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(١٤) اختلفت أقوال العلماء في تعريف المحكَم والمتشابه، أهمّها:

أ ـ المحكم: ما لم يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً واحداً، والمتشابه: ما احتمل أوجُهاً.

ب ـ المحكم: ما عرف العلماءُ تأويله وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه: ما لم يكن إلى علمه سبيل ممّا استأثر الله بعلمه .

جـ ـ المحكم: ما استقلّ بنفسه و لم يحتج إلى بيان واستدلال، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان واستدلالٍ بردّه إلى غيره.

(ينظر للتوسّع: تفسير الماوردي ٣٠٥/١، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٦٨/٢ ـ ٧٧، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٣ ـ ٣٢).

(١٥) أي المتشابه الذي يقابل المحكم.

(١٦) هو المتشابه ضد المحكم.

(١٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٦٨/٢.

وتناوله السيوطي في « الإتقان »[١٨] تحت عنوان:« النوع الثالث والأربعون: في المحكم والمتشابه»، وبحث أيضاً في هذا الموضوع في كتابه « معترك الأقران »[١٩] تحت عنوان: «الوجه التاسع من وجوه إعجازه: انقسامه إلى محكم ومتشابه »، كما تناوله في كتابه «التحبير»[٢٠] تحت عنوان:« النوع الرابع والأربعون والخامسُ والأربعون: المحكم والمتشابه ».

وأمّا النوع الثاني فهو المتشابه اللفظي في بعض آيات القرآن وسوره، وهذا هو موضوع كتاب « درة التنزيل » الذي وفقني الله تعالى لتحقيقه.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من المتشابه قد تناوله علماء الدراسات القرآنية تحت تسميات مختلفة، ولعلّ ذلك يرجع إلى زيادة في البيان والإيضاح. فمثلا:

قد تناوله الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في كتابه « فنون الأفنان» تحت عنوان: أبواب المتشابه، وقال:«.. فنحن نذكر الآن من محاسن المتشابه في اللفظ: أبواب المتشابه»[٢١]، وأورد تحت هذا العنوان بعض أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بذكر أمثلة كثيرة، من غير ذكر السبب والحكمة في ذلك.

وسمّى الإمام الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه « البرهان في علوم القرآن » هذا النوعَ علم المتشابه[٢٢].

وسمّاه الإمام السيوطي في « الإتقان »[٢٣] الآيات المشتبهات، وتناوله رحمه الله في كتابه «معترك الأقران »[٢٤] تحت عنوان: الوجه السادس من وجوه إعجازه مشتبهات آياته ، وتناوله أيضا في كتابه « التحبير »[٢٥] تحت عنوان: النوع التاسع والستون: الأشباه.

وكلّ ما تقدم يكشف لنا أن الذين صنّفوا في علوم القرآن أشاروا إلى هذا التفريق بين المتشابه الذي يقابل المحكم وبين المتشابه في اللفظ، وراعوا هذا التقسيم في مصنّفاتهم، وجعلوا كلّ قسم عِلماً خاصاً مستقلاً من علوم القرآن.

---

(١٨) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٣.

(١٩) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١٠٣/١.

(٢٠) التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص ١٠١ .

(٢١) فنون الأفنان في علوم القرآن، ص ٣٧٦.

(٢٢) البرهان في علوم القرآن ١١٢/١، حيث إن الزركشي خصّص النوع الخامس من كتابه لهذا العلم.

(٢٣) الإتقان في علوم القرآن ١١٢/١، وقد تناوله السيوطي في النوع الثالث والستين.

(٢٤) معترك الأقران ٦٦/١.

(٢٥) التحبير في علم التفسير، ص ١٢٤.

تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحا :

ويجدُر بنا في هذا المقام أن نورد ما ذكره العلماء في تعريف علم المتشابه اللفظي الذي هو موضوع بحثنا:

١ ـ قال الزركشي (ت٧٩٤هـ) في البرهان :« وهو ـ أي علم المتشابه ـ إيراد القصة الواحدة في صور شتّى وفواصل مختلفة.. »[٢٦].اهـ

٢ ـ قال السيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان[٢٧] :« والقصد إيراد القصة الواحدة في صور شتّى، وفواصل مختلفة بأن يأتي[٢٨] في موضع واحد مقدّما وفي آخر مؤخرا كقوله تعالى:﴿وادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّة﴾[البقرة:٥٨]، وفي الأعراف[١٦١]:﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجّدا﴾..، وفي موضع بزيادة وفي آخر بدونها..، وفي موضع معرّفا وفي آخر منكّراً، أو مفردا وفي آخر جمعاً، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً» اهـ.

٣ ـ قال أبو البقاء (ت١٠٩٤هـ) في كتابه الكليات[٢٩] :« إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير، والزيادة والترك، والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، والإدغام والفكّ، وتبديل حرف بحرف » اهـ.

وتتبين لنا من كلام السيوطي وأبي البقاء متابعتهما لِما قاله الزركشي من قبل.

ويجدر أيضا أن أذكر هنا أنّ هؤلاء العلماء الأجلّاء ما أرادوا مِن القصة: المعنى المشهور للقصة القرآنية، كقصة موسى عليه السلام ، بل المراد بالقصة[٣٠] عندهم: الأمر والموضوع مطلقاً ، سواء ورد في أثناء قصة قرآنية أو غيرها، والدليل على ذلك أن الأمثلة التي ذكروها، منها ما يوجد في هذا القصص القرآني، ومنها ما يوجد في غيره ، ومن الأمثلة على وجود آيات متشابهاتٍ في غير القصص:

(٢٦) البرهان في علوم القرآن، ١١٢/١.

(٢٧) الإتقان في علوم القرآن ٣٣٩/٣ ، وانظر معترك الأقران ٦٦/١.

(٢٨) في الإتقان: بل تأتي، والمثبت من معترك الأقران، ٦٦/١ .

(٢٩) الكليات لأبي البقاء، ص ٨٤٥ . (مؤسسة الرسالة ، ط. الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م بإعداد د/ عدنان درويش ومحمد المصري.

(٣٠) قال الجوهري في الصحاح (١٠٥١/٣ قصص):« والقصة: الأمر والحديث ». وفي المعجم الوسيط (ص٧٤٠): «القصة: التي تكتب، و ـ الجملة من الكلام، و ـ الحديث، و ـ الأمر، و ـ الخبر، و ـ الشأن » اهـ.

قوله تعالى في سورة النساء [١٣٥]:﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله..﴾ وفي سورة المائدة [٨]:﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط..﴾.

يقول **أبو عبد الله الخطيب** رحمه الله تعقيبا على ذلك:

« للسائل أن يسأل فيقول: ما الفائدة في تقديم قوله ﴿بالقسط﴾ على قوله ﴿شهداء لله﴾ في الآية الأولى، وتأخيره عنه في الآية الثانية ؟ » ، ثم أجاب عن المسألة(٣١).

وقد فهم بعض الباحثين(٣٢) أن المراد بالقصة في كلام الزركشي والسيوطي المعنى المشهور للقصة، ولكن الصواب أن تفهم على معناها العام، لأن الزركشي لم يحصر المتشابه في القصص ، بل صرح بأنه يكثر فيه حيث قال:« يكثُر في إيراد القصص والأنباء »(٣٣). وكذلك المثال الذي تقدّم ذكرُه يؤيد ما ذهبنا إليه أيضا ، لأنه ليس من القصص القرآني. والله أعلم .

وفي نهاية المطاف نستطيع أن نقول: إنّ المتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم هو أن تجيء الآيات القرآنية متكرّرة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته ، في ألفاظ متشابهة، وصور متعدّدة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطناباً، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمةٍ بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان(٣٤) .

* * * * *

المطلب الثالث: موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم :

موضوع هذا العلم هو الآيات القرآنية باعتبار ما فيها من تشابه لفظي. ونتعرّف به على تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن الكريم في تكرير بعض آياته في عدة مواضع بالكلمات المتفقة، أو المختلفة، ممّا يؤدي إلى اشتباه بعض ألفاظه، واختلافها إيجازاً وإطنابا، وتقديما وتأخيرا، وذكرا وحذفا...، إلى غير ذلك من الأنواع التي تقدم ذكرها سابقا، ممّا قد

---

(٣١) انظر من هذا الكتاب: ١/ ٢٥٧ .

(٣٢) الدكتور عدنان زرزور في كتابه « علوم القرآن » ص١٦٦. والدكتور صلاح الدين رسلان في كتابه:«القرآن الحكيم (رؤية منهجية جديدة..) » ص٢٦٣. والشيخ علي محمد الزبيري في كتابه « ابن جزيّ ومنهجه في التفسير» ٢/٨٠٢ .

(٣٣) البرهان للزركشي،١/١١٢.

(٣٤) ينظر: مقدمة تحقيق كشف المعاني لابن جماعة، ص ٤٥.

يظنه بعض قصار النظر تكرارا خاليا عن فوائد وأسرار، فالمتشابه اللفظي في الآيات القرآنية على هذا النحو لون من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم.

لقد تناول ابن المنادي (ت٣٣٦هـ) هذا المتشابه اللفظي في كتابه تحت نوعين رئيسين، هما:

الأول: النوع الأبوابي، فقد خصصه لجمع النظائر من ألفاظ القرآن التي تشتبه على من كان سيّء الحفظ من حفّاظ القرآن الكريم.

وقد ذكر تحت هذا النوع تسعة أقسام، وأشار أثناء ذكر هذه الأقسام(٣٥) أكثر من مرة أن منها ما يُجمَع للحفظ فقط(٣٦)، ومنها ما يُجمَع لرأي العين دون الحفظ(٣٧)، ومنها ما يصلح بعضه للحفظ، وبعضه لرأي العين(٣٨).

وقد أوصل ابن المنادي أبواب هذا النوع من المتشابه إلى خمسين بابا، إضافة إلى عشرين بابا فأكثر تتفرع تحتها، حيث قال:« ومبلغ أبوابه الأصول خمسون بابا، والمتفرعة عشرون بابا فأكثر، وبذلك كمُل النوع الأبوابي من متشابه الكلام المخوف على بعض القَرَأَة ـ بترك مراعاة حفظ نظم حروفه ـ الغلطُ.. »(٣٩).

وبالتتبع تبين لي أن هذه الأمثلة وغيرها مما ذكرها ابن المنادي تحت النوع الأبوابي كلها فيما تكرر من أجزاءٍ متفقة في الآيات القرآنية ، سواء كانت تلك الآيات في موضوع واحد،

---

(٣٥) هذه الأقسام تقع من كتاب «متشابه القرآن » لابن المنادي ما بين(٦٦ ـ ١٥٨).

(٣٦) من أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿إن الله كان عزيزا حكيما﴾، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى في سورة النساء[٥٦]:﴿..لِيذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾. (انظر: متشابه القرآن لابن المنادي:٦٦).

(٣٧) ومن الأمثلة التي ذكرها تحت هذا القسم:

قوله تعالى:﴿فقال الملأ﴾ بالفاء.

وذلك في موضعين:

الأول في هود [٢٦-٢٧]:﴿..عذاب يومٍ أليم ﴿ فقال الملأ من قومه..﴾.

والثاني في المؤمنين [٢٣ ـ ٢٤] في قصة نوح:﴿.. أفلا تتقون ﴿﴾ فقال الملأ من قومه..﴾.(ينظر:متشابه القرآن لابن المنادي،ص١٠٧).

(٣٨) ومن الأمثلة التي ذكرها تحت هذا القسم:

قوله تعالى:﴿وجاءهم البينات﴾ بغير تاء.

وذلك في موضعين من سورة آل عمران:

فالأول:﴿..وشهدوا أن الرسول حقّ وجاءهم البيناتُ..﴾[آل عمران:٨٦].

والثاني:﴿..كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّناتُ..﴾[آل عمران:١٠٥].

(٣٩) متشابه القرآن لابن المنادي ، ص١٥٨.

أو موضوعاتٍ مختلفة، وليس فيها ذكرٌ من الآيات المتشابهة التي في بعضها شيءٌ مما ليس في الأخرى، من تقديم وتأخير، وحذف وزيادة، وتعريف وتنكير، في قضيةٌ واحدة ، وموضوع واحد.

والثاني: النوع السوري(٤٠)، فقد ذكر ابن المنادي فيه الآيات التي تتغاير فيها أبنية الكلام والقصص ، والآيات التي يتغير ترتيبُها في التقديم والتأخير ، والإيجاز والتأكيد...(٤١).

وهذا النوع السوري الذي ذكره ابن المنادي هو أساس للكتب المؤلفة المتخصصة لتوجيه الآيات المتشابهة ، بمعنى أن الآيات التي ذُكرت في هذا النوع هي التي تكوّن متن مسائل تلك الكتب، والتي منها كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل » الذي نحققه.

واعتنى أيضا بذكر أنواع هذا اللون من المتشابه بعضُ العلماء الذين صنفوا في علوم القرآن ؛

فقد توسّع ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) فيه، وأخذ هذا البحثُ حجما كبيرا من كتابه(٤٢)، حيث إنه رحمه الله جعل لهذا المتشابه سلسلة من الأبواب، وتحت بعضها عدّةُ فصول، ولكنه لم يحصر أنواعه، وإنما اكتفى بذكر بعضها، مثل باب إبدال كلمة بكلمة، أو حرف بحرف من المتشابه، وباب الحروف الزوائد والنواقص من المتشابه، وباب في المقدّم والمؤخّر من المتشابه.

ثم تناول هذا الموضوع من مصنّفي علوم القرآن بعد ابن الجوزي: الإمامُ الزركشي (ت٧٩٤ هـ)، وبيّن ما يتعلّق به في خمسة عشر فصلا، وجعل الفصل الأول منها:« المتشابه باعتبار الأفراد »(٤٣)، وحصر هذا النوع من المتشابه في ثمانية أقسام(٤٤):

---

(٤٠) يعني النوع الذي يراعى فيه ترتيب السور في القرآن الكريم ، وسيأتي الكلام عليه في نشأة علم المتشابه اللفظي ٤٢/١.

(٤١) ينظر: متشابه القرآن لابن المنادي، ص١٦١،

(٤٢) فنون الأفنان في علوم القرآن (٣٧٦ -٤٨٧)، طبعة دار البشائر الإسلامية بتحقيق الدكتور حسن عتر.

(٤٣) ثم عقد الفصول الباقية، فجعل منها الفصل الثاني لِما جاء على حرفين، والثالث: ما جاء على ثلاثة أحرف، والرابع: ما جاء على أربعة أحرف..، والثاني عشر: ما جاء على خمسة عشر حرفا، والثالث عشر: ما جاء على ثمانية عشر وجها..، وآخرها الفصل الخامس عشر: ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا. (ينظر:البرهان للزركشي، ١٣٣/١ - ١٥٤).

قلت: ما ذكره الزركشي من الفصل الثاني إلى الفصل الخامس عشر هو على نفس الطريقة التي ألف الكسائي كتابه « متشابه القرآن » عليها ، وعلى طريقة النوع الأبوابي التي خصص ابن المنادي النصف الأول من كتابه « متشابه القرآن» لها.

(٤٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١١٢/١ - ١٣٢ .

الأول : أن يكون في موضع على نظم، وفي آخر على عكسه، كقوله تعالى:﴿قل إنّ هدى الله هو الهدى..﴾[البقرة:١٢٠، الأنعام:٧١]، وفي سورة آل عمران [٧٣]:﴿قل إنّ الهدى هدى الله..﴾.

الثاني : ما يشتبه بالزيادة والنقصان، ومثاله في سورة البقرة[٣٨]:﴿فمن تبع هُداي..﴾ وفي طه[١٢٣]:﴿فمن اتبع هُداي..﴾.

الثالث: بالتقديم والتأخير، وهو قريب من الأول، ومنه في البقرة[١٢٩]:﴿..يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم..﴾ بتأخير ﴿ويزكّيهم﴾، وما سواه:﴿..ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾[آل عمران:١٦٤ ، الجمعة:٢] بتقديم ﴿ويزكّيهم﴾.

الرابع: بالتعريف والتنكير، ومنه في سورة البقرة[١٢٦] قوله تعالى:﴿هذا بلدا آمنا﴾، وفي سورة إبراهيم[٣٥] قوله تعالى:﴿هذا البلد آمنا﴾.

الخامس: بالجمع والإفراد، كقوله تعالى في سورة البقرة[٨٠]:﴿لن تمسّنا النارُ إلاّ أيّاماً معدودة﴾ وفي آل عمران[٢٤]:﴿..لن تمسّنا النار إلاّ أيّاما معدودات﴾.

السادس: بإبدال حرفٍ بحرفٍ غيره، كقوله تعالى في سورة البقرة[٥٨]:﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا..﴾ بالفاء، وفي سورة الأعراف [١٦١]:﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها..﴾ بالواو.

السابع: بإبدال كلمة بأخرى، ومنه قوله تعالى في البقرة [١٧٠]:﴿..ما ألفينا عليه آباءَنا..﴾، وفي سورة لقمان [٢١] :﴿..ما وجدنا عليه آباءَنا..﴾

الثامن: بالإدغام وتركه، ومنه قوله تعالى:﴿ومن يشاقق الرسول﴾ [النساء:١١٥]، وفي سورة الحشر [٤]:﴿..ومن يشاقّ الله فإنّ الله شديد العقاب﴾.

وهذه الأنواع الثمانية التي ذكرها الزركشي في الفصل الأول آنفا، هي مجمل الأنواع التي اشتملت عليها الكتب المؤلّفة في توجيه الآيات المتكررة والمشتبهة في كتاب الله العزيز.

والذي يطّلع على الكتب القديمة المؤلّفة في توجيه الآيات المتشابهة يرى أنّ مؤلّفيها لم يحدّدوا أنواع هذا اللون من المتشابه، وإنما أشاروا في مقدمات كتبهم إلى بعض ما ستتضمّنه كتبهم من صوره (٤٥).

---

(٤٥) ينظر: مقدمة كتاب« متشابه القرآن » لابن المنادي،(ص٥٩). ومقدمة « البرهان في متشابه القرآن » للكرماني، (ص١١٠). ومقدمة « كشف المعاني » لابن جماعة، (ص ٨٠). ومقدمة « فتح الرحمن » للشيخ زكريا الأنصاري(ص١٥) .

المطلب الرابع : نكتة هذا العلم، وحكمته، وأهميته، وفوائده :

نكتته[٤٦]:« ما في إحدى المتشابهتين ممّا ليس في الأخرى من تقديم أو تأخير أو زيادة»[٤٧].

حكمته :« التصرف في الكلام، والإتيان به على ضروب، لِيُعلمهم ـ أي العرب ـ عجزهم عن جميع طرق ذلك: مبتدأً به ومتكرّرا[٤٨]»، وهذا التصرف في اللفظ بريء من الإسراف والتقتير، حيث إنك تجد القرآن الكريم قد احتفظ بالمعنى في صورة كاملة لا ينقص شيئا يعتبر عنصرا أصليّا فيه، كما أنه لا يزيد شيئا يعتبر دخيلا فيه وغريبا عنه، بل هو كما قال الله تعالى:﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير﴾[هود:١].

أهمّيته : ترجع أهمية هذا العلم إلى تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية، إذ أنّ علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قسم قائم بذاته، وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي، لا عمل للبشر فيه مع تنوّع استعمالاته من تقديم وتأخير، أو زيادة وحذف، أو تعريف وتنكير، أو إبدال شيء منه بشيء آخر في الموضوع الواحد...

وترجع أهميته أيضا إلى أهمية نشأته، حيث إنه أنشئ حفاظا على القرآن الكريم من أن يقع اللحن في كلماته، وتيسيرا لِحَفَظَة كتاب الله عز وجل، وهو من علوم القرآن التي تخدمه وتحافظ عليه وتبرز كثيرا من وجوه إعجازه وأسراره التي لا تنفد .

* * * * *

من فوائد هذا العلم:

١ ـ من خلال دراسة هذا العلم نلاحظ في كثير من ألفاظ القرآن أنها اختيرت اختيارا يتجلّى فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار، وبذلك نتعرّف على أنّ لأسلوب القرآن الكريم طابعاً خاصا يسلكه في اختيار ألفاظه وتراكيبه، ولذا فإن هذا العلم هو أساس هام للدراسات اللفظية في القرآن الكريم[٤٩].

---

(٤٦) قال ابن دريد في جمهرة اللغة(٤٠٩/١):« كل نقْطٍ في شيءٍ خالف لونه، فهو نكت ونكتة ».اهـ . وفي المعجم الوسيط (ص ٩٠٥):« النكتة: الأثر الحاصل من نكْتِ الأرض . و ـ النقطة في الشيء تخالف لونه. و ـ العلامة الخفية. و ـ الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس. و ـ المسألة العلمية الدقيقة، يتوصل إليها بدقّة وإنعام فكرٍ ». اهـ . ولعل المعنى هنا: علامةُ علمِ المتشابه الخفيةُ، أو المسألة العلمية الدقيقة.

(٤٧) التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص١٢٤.

(٤٨) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١١٢/١.

(٤٩) ينظر: مقدمة المحقق لكتاب « فنون الأفنان في علوم القرآن » لابن الجوزي، ص ٩٥.

ومن ناحية أخرى فإن هذا العلم يكشف لنا أن الآيات المتشابهات في القرآن الكريم مترابطة الأجزاء والجمل مع تنويع الأسلوب في الاستعمالات القرآنية من تكرار، وإيجاز وإطناب، وتقديم وتأخير، وحذف وزيادة، وتعريف وتنكير ، في قضية واحدة وموضوع واحد.

٢ ـ أنه يردّ على بعض المتشكّكين والملحدين الذين يطعنون في القرآن من خلال ما تشابه أو تماثل أو تكرّر من ألفاظ القرآن وآياته، مدّعين أنّ ما به من المتشابه اللفظي غير مفهوم، أو تكرار لا هدف له.

٣ ـ من عجيب أمر هذا العلم « المتشابه اللفظي في القرآن » أنه كما كان دليل إعجاز من ناحية، كان أكبر عون على حفظ كتاب الله تعالى، إذ أن التصنيف في هذا العلم يساعد حفّاظ القرآن الكريم على ضبط حفظهم بأداء كل لفظ في موطنه، دون ما التباس بالمتشابه معه.

٤ ـ إن علم الآيات المتشابهات يملأ النفس إيمانا بعظمة الله تعالى وقدرته حين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقرآن الكريم، ودراستُه تعين على الفقه في كتاب الله، وإظهار إعجازه وغزارة معانيه وأسراره.

* * * * *

المطلب الخامس : نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن وتطوّره وتدوينه:

إنّ القول على سبيل الجزم والقطع ببداية محدّدة لهذا الفن ليس بأمر هيّن، لعدم وجود أخبار قاطعة بذلك، ولكن أستطيع القول حسب ما أمكنني الاطّلاع عليه من المراجع أنّ هذا النوع من المتشابه تدرّج كالتالي:

١ ـ نشأ أوّل ما نشأ محدودا يسيرا يتداوله القرّاء، تيسيرا لحفظ ألفاظ القرآن المتشابهة، وصيانة لها من الغلط.

ثم بدأ فيه التأليف بما وضعه بعض القرّاء لإرشاد الذين يحفظون كتاب الله، حيث يتحيّر الحافظ أحيانا، أو ينتقل سهوا من آية إلى آية، ومن سورة إلى أخرى.

وأقدم ما وقفت عليه كتابٌ يحمل اسم « متشابه القرآن »(٥٠) ، لأحد الأئمة القراء السبعة، وهو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ)(٥١). وقد وضع الكسائي كتابه هذا على أساس طريقة الجمع التي تقوم على عرض الآيات المتشابهة لفظاً.

---

(٥٠) مخطوط منه نسخة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم (٤٨٠)، ويحتوى على ٣٢ ورقة، وجاء في أول الكتاب:« بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب متشابه القرآن، تصنيف أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي
⟸

قال ابن المنادي (ت٣٣٦ هـ) في مقدمة كتابه « متشابه القرآن »:« ولم يبق إلاّ النوع الذي استحدثه فريق من القرّاء، ولقّبوه « **المتشابه** »، وإنما حملهم على وضعهم إياه للقَرَأَة ردّاً من سوء الحفظ، وحَدَاهُم[٥٢] كونُ القرآن ذا قصص، وتقديم وتأخير، كثير ترداد أنبائه ومواعظه، وتكرار أخبار مَن سلف من الأنبياء، والمهلَكِين الأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره، قد يجيء حرف من غير هذا الضرب، فيأتي بالواو مرة ، وبالفاء مرة ، وآخر يأتي بالإدغام تارة ، وبالتبيان تارة ، وأسماء متماثلة.. ». ثم قال:« فاستحبّوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حُفظ منع من الغلط»[٥٣].

ومما يؤكد أن واضعي هذا العلم هم الأئمة القرّاء ، أن ابن المنادي رحمه الله قد اقتصر في سياق أسماء بعض مصنفي[٥٤] المتشابه على ذكر أسماء القراء، حيث يقول:

« سألت أبا الحسن إدريس بن عبد الكريم[٥٥] المقرئ، أن يدفع إليّ كتابَ خلف بن هشام[٥٦] (ت٢٢٩هـ) ، الذي صنفه في متشابه حروف القرآن، فقال لي حين سألته ذلك: قال لي خلف حين سألته ما سألتني : إيش تعمل بهذا الكتاب ؟ فقلت له : أكتبه عنك كما كتبه غيري، وأحفظه كما حفظه فلان وفلان، قال: فقال لي خلف : أرأيتَ إن قلت لكم إن في القرآن ثلاثةَ أحرف من وجوه المتشابه فوجدتموه أكثر مما قلت لكم، أكنتمْ تقبلون ذلك

ﷺ ، فأول ذلك ما كان في القرآن حرف ليس غيره. باب حرف واحد في سورة البقرة:﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾.....، وفيها:﴿والله غني حليم﴾ » ، ومنه نسخة أخرى في المركز تحت رقم ٦٩٥هـ باسم متشابهات القرآن العظيم، وعدد أوراقها: ٨٠ . وذكر بروكلمان في كتابه " تاريخ الأدب العربي ١٩٨/٢ للكسائي كتابا باسم «المشتبه في القرآن». **يقول الأخ صفوان الداودي** محقق «وَضَح البرهان في مشكلات القرآن» لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري(١٩/١،الهامش:٤):« وقد اطلعت عليه ـ أي على كتاب الكسائي ـ فهو يذكر الآيات المتشابهة في الألفاظ دون تفسير». وبناء على كلام الأخ صفوان يكون هذا الكتاب نفس الكتاب الأول.

(٥١) هو علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي إمام في اللغة والنحو والقراءة. له عدة تصانيف منها معاني القرآن والمصادر والحروف والقراءات والنوادر ومختصر في النحو. (غاية النهاية ٥٣٥/١).

(٥٢) أي ساقهم وحثّهم علي ذلك. وفي الصحاح (٢٣٠٩/٦ ـ ٢٣١٠ حدو):« الحَدْو : سوق الإبل والغناء لها.. ».

(٥٣) متشابه القرآن لابن المنادي، ص٥٩.

(٥٤) من الأسماء التي ذكرها : عيسى بن عثمان المروزي، وكان من أصحاب حفص بن أبي داود، وموسى الفراء إمام أهل الكوفة في القرآن.. (ينظر: متشابه القرآن لابن المنادي، ص٦١).

(٥٥) هو إدريس بن عبد الكريم الحداد: إمام ضابط متقن ثقة، قرأ على خلف بن هشام، توفي سنة ٢٩٢هـ (من كتاب المبسوط:٦٥، الهامش رقم(١) نشر دار القبلة بجدة، تحقيق سُبيع حمزة حاكمي، ط. الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

(٥٦) هو خلف بن هشام البزار البغدادي: أحد القراء العشرة ، ولد سنة ١١٠هـ وتوفي سنة ٢٢٩هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢٧٣/١ ، نشرة برجستراسر، طبع الخانجي بمصر١٩٣٣م . والأعلام ، ٣١٢/٢).

مني ؟ فقلت له: لا، ولكني لا أجد بداًّ من أن أكتبه عنك، قال: فأعطانيه، وقال لي: قد نصحت لك وأنت أعلم...»(٥٧).

ثم يقول ما خلاصته:إنه مكث مدة يظن أن خلَفاً أول من رسم للناس هذا المتشابه من أجل المحاورة التي كانت جرت بينه وبين إدريس فيه، حتى ورد إليه كُتُبٌ أخرى من مشايخ القَرَأَة المتقدمين. ويستدل بما يراه دليلا عنده « أن كتاب موسى الفرّاء من بين تلك الكتب أول شيء وضع في هذا الضرب »(٥٨).

٢ - وهناك من توسّع في هذا النوع أسئلة أو تأليفاً، حتى ذكروا أمورا لاجدوى وراءها، ودقائق لا طائل تحتها، مما دفع ابن المنادي إلى استنكار ذلك حيث يقول:

« ولقد أوغل جماعة ممن شاهدناهم فيه ، حتى بلغوا به ألف حرف، ثم صعدوا به وصوّبوا ، فأقبلوا يتذاكرون فيما بينهم منه بمحالات، وبما لا يجدي، وإن كان غير محال نفعا. فكان ممن يحذق فيه أبو جعفر محمد بن إسحاق الكوفي المراوِحي(٥٩)، وكان مما يلقيه: كم في القرآن:«مِن » ، و « مَن » ، و « ما » ، و « لن » ،...وكان غيرُه يلقي: كم في القرآن حرفان مقترنان على لفظ واحد ؟ يريد بذلك قولَه في آل عمران [١٥] :﴿..ورضوانٌ من الله والله بصير بالعباد﴾ ، وفيها:﴿..واتبعوا رضوانَ الله والله ذو فضل عظيم﴾[آل عمران:١٧٤]...»(٦٠).

٣ - وهناك طريقة أخرى استُحدثت في تصنيف الآيات المتشابهات ، تعدّ تطوّرا كبيرا في تدرّج هذا الفن، وهي تعتمد على حصر المتشابهات على أساس كل سورة سورة، حسب ترتيب المصحف الشريف، وقد أشار إلى ذلك ابن المنادي، وجعل النصف الثاني من كتابه «متشابه القرآن » لهذا النوع من التأليف(٦١)، حيث قال:« ..نذكر ما في النوع السوري من تغاير أبنية الكلام والقصص، وترتيبها في التقديم والتأخير، والإيجاز، والتأكيد..(٦٢)». ثم قال:

«..وكأن الذي استحدثه أراد أن يقرّب بعض الأشكال إلى بعض، فعمد إلى ما في سورة البقرة من حرف له نظير مذكور في سورة أخرى أو سور عدة، فأضاف تلك النظائر

---

(٥٧) متشابه القرآن لابن المنادي، ص٦١ .

(٥٨) متشابه القرآن لابن المنادي، ص ٦٢ .

(٥٩) هو من شيوخ ابن المنادي. انظر: متشابه القرآن لابن المنادي، ص١٥٩، الهامش:١ .

(٦٠) متشابه القرآن لابن المنادي، ص١٥٨.

(٦١) ذلك يقع ما بين (١٦١ - ٢٢٦) من كتاب متشابه القرآن لابن المنادي.

(٦٢) متشابه القرآن، لابن المنادي، ص١٦١.

إلى الحرف أو الحروف التي تشبهها في سورة البقرة، حتى إذا استنظف[٦٣] ما في سورة البقرة من ذكر القصص والحروف المتشابهة ذكر ما في سورة آل عمران وما يليها إلى آخر القرآن بذلك النعت »[٦٤].

وهكذا بدأت هذه الدراسة القرآنية متمثّلة في تتبّع الآيات التي تشابهت، وجمع نظائرها كما فعل أئمة القراءات.

٤ - ثم تطوّرَ التصنيفُ فيه، فاتجهت همّة طائفة من العلماء إلى توجيه هذا النوع من الآيات، وبيان السبب، والحكمة في اختصاص كل آية بما جاء فيها مختلفاً عن الآية المشابهة لها، وذلك لمّا نشأ أقوام من الزنادقة والملحدين فجعلوا يطعنون في كتاب الله العزيز، محتجّين لباطلهم بما في القرآن من آيات تبدو لهم متعارضة المعنى، وتكرار لا فائدة فيه، وتشابهٍ في الألفاظ القرآنية مما يؤدي إلى اشتباه بعضها ببعض، بسبب تقديم أو تأخير، أو غير ذلك مما تقدم ذكره.

ومن هنا انتقل هذا العلم إلى مرحلة من أجلّ مراحل العلم، وهي مرحلة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وبيان أسراره العلمية، وما فيه من وجوه الإعجاز، وهذه المرحلة هي التي كان فيها الكتاب الذي نحققه « درة التنزيل وغرة التأويل » لأبي عبد الله الخطيب، وما تبعه من المؤلفات التي سنذكرها إن شاء الله بعد قليل.

* * * * *

المطلب السادس :التأليف في توجيه متشابه القرآن اللفظي:

تكلمنا فيما سبق عن نشأة وتطوّر التأليف في كتب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، سواء منها ما جُمع تحت النوع الأبوابي، أو النوع السوري[٦٥] كما سمّاهما ابن المنادي رحمه الله تعالى.

والنوع السوري الذي ذكر ابن المنادي صورة التأليف فيه[٦٦] هو أساس للكتب التي خُصّصت لتوجيه الآيات المتشابهة كما قلنا سابقاً، فهو بمثابة المتن لها، وهي شارحة وموجّهة، ومبيّنة لأسرار التشابه في الآيات المتعددة.

---

(٦٣) أي تناول ما فيها من تلك الآيات ولم يترك شيئا منها.

(٦٤) متشابه القرآن، لابن المنادي، ص١٦١.

(٦٥) النوع الأول من كتاب ابن المنادي يقع ما بين (٦٧ - ١٥٨)، والنوع الثاني يقع ما بين (١٦٢ - ٢٢٦).

(٦٦) ينظر نشأة علم المتشابه اللفظي من هذا الكتاب ، ص ٤٢ .

من كل ما تقدم يمكننا أن نقسم المؤلفات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم إلى قسمين:

أولا: مؤلفاتٌ ظهر فيها الاقتصارُ على جمع الآيات المتشابهات.

وهذا النوع من التأليف يتمثل فيما قام به بعض أئمة القراءات مِن جمع النظائر من ألفاظ القرآن التي تشتبه على مَن يريد حفظ القرآن الكريم، ليتنبّه لها، فيُتقن حفظها دون أيّ التباس بما يشبهها. وأقدم ما وصل إلينا من مؤلفاتٍ بهذا النوع هو ما يعزَى إلى أبي الحسن الكسائي (ت١٨٩هـ) بعنوان « متشابه القرآن » كما تقدم ذكره.

وقد أشار إلى هذا النوع من التأليف الكرمانيّ (ت٥٠٥ هـ) في مقدمة كتابه « البرهان في متشابه القرآن » فقال:« واقتصروا على ذكر الآية ونظيرها ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلاّ مَن وفّقه الله لأدائه »(٦٧).

ثانيا: مؤلفاتٌ لم يكتفِ أصحابها بجمع تلك الآيات، بل اتجهوا إلى **توجيه** ما تكرّر، واشتبه لفظاً، أو اختلف من آيات الكتاب العزيز تقديما وتأخيرا، وإفرادا وجمعا، وتعريفا وتنكيرا، إلى غير ذلك من أنواع المتشابه.

والتأليف في توجيه المتشابه اللفظي أخذ طريقين:

الأول : **توجيه مدْرج** في ثنايا كتب التفسير وعلوم القرآن والإعراب وغير ذلك، حيث يذكره المؤلف عند مناسبته، ولا يفرده بالبحث.

وعلى سبيل المثال يقول القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) في سرّ تكرار قوله تعالى:﴿لا أعبد ما تعبدون﴾:

« ربما قيل في قوله تعالى:﴿قل يا أيها الكافرون ۞ لا أعبد ما تعبدون﴾[الكافرون:١ ـ٢]، كيف يحسن ذلك في الحكمة مع التكرار الذي فيه ؟

وجوابنا أنه لا تكرار في ذلك، لأن قوله تعالى:﴿ لا أعبد ما تعبدون﴾ المراد به في المستقبل، وقوله تعالى:﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ [الكافرون:٣ ـ ٥] المراد به في الحال، ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ [الكافرون:٤]، المراد به في المستقبل، وفي الحال: أي لا أعبد ما تقدمت عبادتكم له، ومن يعُدُّ ذلك تكرارا فمن قلة معرفته، وتدبّره، لأنه ينظر إلى اللفظ ويعدل عن تأمل المعنى »(٦٨).اهـ

(٦٧) البرهان في متشابه القرآن للكرماني، ص ١١٠ .

(٦٨) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، نشر دار النهضة الحديثة، بيروت. ص٤٨٤.

الثاني : توجيه مفرد بالتأليف ، مستقل في كتب خاصة به، والذين سلكوا هذا النوع من التأليف في متشابه القرآن اتخذوا محورا خاصا من حيث كيفية تناوله، ومن حيث معالجته، حيث إنهم يذكرون الوجوه المحتملة في بيان هذا النوع من التفسير، وذلك يتم بعد تتبّع الآيات ذات الموضوع الواحد، أو ذات الأسلوب الواحد، وفي ذلك يستعملون طريقة طرح السؤال والجواب عنه، كما في « درة التنزيل » لأبي عبد الله الخطيب(ت٤٢٠هـ)، و«ملاك التأويل » لابن الزبير الغرناطي(ت٧٠٨هـ)، و «كشف المعاني » لأبي عبد الله ابن جماعة (ت٧٣٣هـ).

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الذين يؤلّفون في توجيه الآيات المتشابهات لا يقفون عند كل آية هي من المتشابه اللفظي، بل يتنقّلون بين الآيات المتشابهة منْتقين ما يحتاج إلى توجيه، تاركين توجيه ما لا يحتاج إلى إعمال فكر، وما لا يبدو فيه إشكال. ومن هذا اختلف المتشابه بالنسبة للأفراد والعلماء بحسب دائرة علم كل منهم، فما يهتدي إليه عالم قد يغفل عنه الآخر، وقد تشتبه الآية على عالم ولا تشتبه على غيره وهكذا، ومماّ لا شكّ فيه أيضا أنّ قدرات المشتغلين بتوجيه الآيات من هذا النوع تتفاوت تفاوتا بعيداً، لأن ميدان التوجيه فسيح وحمّال ذو وجوه تحتملها ألفاظ الآيات الكريمة.

وبهذا الاعتناء ونحوه ـ وما أكثره ـ يصون الله كتابَه من طعن الملحدين. وما زالت الدراسات حول هذه الآيات في حاجة إلى استكمال ، وإلى توسيع، وتعميق، حسب ما جدّ من حاجات الزمان.

* * * * *

المطلب السابع : الكتب المؤلّفة في المتشابه اللفظي، وفي توجيهه:

نذكر في هذا المبحث ما استطعنا جمعه وإحصاءه من الكتب المؤلفة في نوعي التأليف في علم متشابه القرآن الكريم، وهما:

أ ـ جمع الآيات المتشابهات لفظا.

ب ـ توجيه الآيات المتشابهات لفظا.

أولا : الكتب التي جمعت الآيات المتشابهات لفظاً:

١ ـ كتاب[٦٩] نافع بن عبد الرحمن، وهو أحد القرّاء السبعة (ت١٦٩هـ)[٧٠].

---

(٦٩) ذكر ابن النديم كتاب نافع في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست، ص٥٥).

(٧٠) وقيل توفي سنة ١٧٠هـ (ينظر:غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار بتحقيق د/عدنان زرزور، الهامش(٤) من صفحة:٥٢).

٢ ــ متشابه القرآن لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وهو أحد القرّاء السبعة(ت١٨٩هـ)، وهو ــ فيما يحسبه السيوطي ــ أول كتاب أُفرد بالتصنيف في متشابه القرآن[٧١]، وقد جمع مصنّفه فيه رحمه الله الآيات المتشابهات من حيث اللفظ، بحسب ترتيب السور و لم يتعرض لأسرار المتشابه وبيان فروقه الدقيقة.

٣ ـ كتاب محمود بن الحسن[٧٢] .

٤ ـ كتاب خلف بن هشام الأزدي، وهو أحد القراء العشرة. (ت٢٢٩هـ)[٧٣] .

٥ ـ كتاب القطيعي[٧٤].

٦ ـ كتاب حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٨)[٧٥].

٧ ـ كتاب علي بن القاسم الرشيدي [٧٦].

٨ ـ كتاب جعفر بن حرب المعتزلي(ت٢٣٦هـ) [٧٧].

٩ ـ كتاب مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ)[٧٨].

١٠ ـ كتاب أبي علي الجبائي(ت٣٠٣هـ)[٧٩].

---

(٧١) انظر: الإتقان للسيوطي٣/٣٣٩، كشف الظنون لحاجي خليفة،٢/١٥٨٤، مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢/٤٨٣

(٧٢) ذكروا أنه توفي في حدود الثلاثين ومائتين، وعدّه الحاكم الجشمي فيمن ذهب إلى العدل من الشعراء وأئمة اللغة.(ينظر: فوات الوفيات لابن شاكر ٢/٥٦٢، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار بتحقيق د/عدنان زرزور، الهامش(١) من صفحة(٥٢). وذكر ابن النديم كتابه في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست، ص٥٥).

(٧٣) ذكر ابن النديم كتابه في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست، ص٥٥).

(٧٤) هو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك (أبو بكر القطيعي)، توفي سنة٣٦٨هـ . (ينظر: لسان الميزان، لابن حجر١/١٤٥). وذكر ابن النديم كتابه في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست لابن النديم، ص٥٥).

(٧٥) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست، ص٥٥).

(٧٦) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست، ص٥٥).

(٧٧) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست، ص٥٥).

(٧٨) ذكره ابن النديم في الكتب المؤلفة في متشابه القرآن، (انظر: الفهرست، ص٥٥). وذُكر في مؤلفات مقاتل بن سليمان الآيات المتشابهات. **قال عبد الله شحاتة محقق تفسير مقاتل** :« وربما كانت الآيات المتشابهات هي الوجوه والنظائر في القرآن فيكون الكتاب واحدا واسمه متعدد ».(انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٥/ ٧٣ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م).

(٧٩) اسمه محمد بن عبد الوهاب ، كان شيخ المعتزلة في البصرة، وإليه تنسب فرقة "الجبائية ".(ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان:٣٩٨ ــ٣٩٩، ترجمة رقم ٥٧٩ ، والأعلام للزركلي، ٦/٢٥٦). وذكر ابن النديم كتابه في الفهرست، ص٥٥.

١١ ـ كتاب أبي الهذيل العلاف[٨٠].

١٢ ـ متشابه القرآن العظيم، تأليف أبي حسين أحمد بن جعفر ابن أبي داود المُنَادِي(٣٣٦هـ) ، وكتاب ابن المنادي هذا يعتبر مرحلة أساسية في تحديد هذا العلم وتقعيده، ووضعِ ضوابط له، وقد جمع فيه مصنِّفُه النظائر من ألفاظ القرآن التي تشتبه على القارئ ليحفظها وينتبه لها فيتقن حفظها. ونجد في آخر هذا الكتاب مبحثين[٨١] تناولهما المؤلف على طريقة الكتب التي أُلِّفت في توجيه تلك الآيات مما يدل على اهتمامه بهذا الجانب أيضا.

١٣ـ مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية[٨٢].

١٤ ـ هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب[٨٣]، تأليف شيخ القراء نور الدين علي بن عبد الله السخاوي الشافعي (ت٦٤٣هـ)، وهي أحسن منظومة فيما يشتبه على القارئ من الآيات المتماثلة. وقد قام بشرح هذه المنظومة الأستاذ القارئ محمد نجيب الشهير بالآلا ، وسمّاه «كشف الحجاب عن هداية المرتاب»[٨٤].

١٥ ـ بغية المريد حفظ القرآن المجيد[٨٥]، تأليف السيد عمر السمهودي المدني[٨٦]، يقع في٣١ ورقة، ويقول مؤلِّفه في المقدمة:« قد نظم العالم العامل...،خاتمة المحققين عمدة المدققين نور الدين علي السخاوي...،منظومة في مشكل القرآن ومتشابه الفرقان، فإنها بيِّنة الألفاظ واضحة المعنى للحفّاظ، وأما من أراد الحفظ فقد يعسر لضيق النظم عليه في بعض المواضع الفهمُ خصوصا وقد تقاصرت الهمم وتقاعست[٨٧] عن الترقي بحفظ المتشابه والمحكم، فاقتديت في ذلك بالشيخ الإمام...، وألّفتُ هذه الرسالة المتكفّلة بواضح البيان والدلالة وسميتها « بغية المريد حفظ القرآن المجيد » [٨٨].

(٨٠) هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله العبدي: من شيوخ المعتزلة، وقيل توفي في أول أيام المتوكل سنة٢٣٥هـ (ينظر:طبقات المعتزلة:٣٣). وذكره ابن النديم كتابه في الفهرست، ص٥٥.

(٨١) انظر متشابه القرآن لابن المنادي، (٢٢٧ ـ ٢٣٢).

(٨٢) توجد منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم (١١٩٦)تفسير، وتقع في١١ورقة.

(٨٣) هو من مطبوعات المكتبة المحمودية الكائنة بميدان الأزهر الشريف بمصر، وتاريخ الطبع غير موجود.

(٨٤) طبع على نفقة مطبعة الاقتصاد في خان الحرير ـ حلب ،سوريا، بدون تاريخ.

(٨٥) وجاء في الهامش الأيسر عبارة هي:وإن شئت سمّها " تحفة الغايه لما في القرآن من المتشابه " .

(٨٦) لم أحصل على ترجمته.

(٨٧) القَعَس : خروج الصدر ودخول الظهر: ضد الحَدَب...، وتقاعس الرجل عن الأمر: أي: تأخر ولم يتقدم فيه (الصحاح ٩٦٤/٣ قعس).

(٨٨) منه نسخة مصورة عندي ، وتقع في ثلاثين ورقة، وخطها مقروء ، وهي في دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٠ . التفسير.

١٦ ـ مشابه القرآن على حروف المعجم لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي(ت ٦٧١هـ)[٨٩].

١٧ ـ التبيان في متشابهات القرآن، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)[٩٠].

١٨ ـ كتاب معين الإنسان على ضبط متشابه القرآن[٩١].

١٩ ـ المشكل والمتشابه من آيات القرآن " منظومة "[٩٢].

٢٠ ـ إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن للعلامة عطية بن عطية الأجهوري الشافعي (ت ١١٩٤هـ)[٩٣].

٢١ ـ منظومة في مشابهات القرآن، للعلامة محمد الخضري الدمياطي(ت١٢٨٧هـ)[٩٤].

٢٢ ـ كنز المتشابهات، تأليف محمد محبوب [٩٥].

٢٣ ـ متشابه التنزيل (منظومة)[٩٦].

٢٤ ـ تيسير الوهاب المنان على توضيح متشابه القرآن، تأليف محمد بن انبوجا التنيقي،(توفي في أول القرن الثاني الهجري)، وهو شرح محمد أحمد الأسود الشنقيطي[٩٧]، وهوكما قال:« شرح لطيف وجيز علىنظم متشابه القرآن العزيز الذي من جمله الكتاب المسمى بالبحر المحيط المشتمل على ألف بيت منها المفردات والثنائيات والثلاثيات إلى التسعة والعشرين إلى غير ذلك..».

٢٥ ـ مثاني الآيات المتشابهات الكاملات[٩٨]، تأليف عبد الرزاق بن أحمد الشاحذي اليماني ، جعله مؤلفه لحفاظ كتاب الله عز وجل، ورتبه على ترتيب السور.

---

(٨٩) منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، تحت رقم ١٢٢٢، ويقع في ١٠٧ ورقة، وتلك النسخة مصورة من مكتبة شهيد علي باستانبول.

(٩٠) منه نسخة مصورة عندي، وهي محفوظة في مكتبة عاطف أفندي في استانبول تحت رقم٧٨. وهي ٧٣ ورقة.

(٩١) مجهول المؤلف والناسخ وعدد الأوراق:٣٨ ، منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) تحت رقم ٧٥٥ في مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى، وهي مصور عن المكتبة الوطنية بتونس برقم ٥٧٨٩.

(٩٢) مجهول المؤلف، وعدد الأوراق:٨، وتوجد منه نسخة مصورة على شريط مصغر (ميكروفيلم) في مركز البحث العلمي:٥٦٥ بجامعة أم القرى.

(٩٣) مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية والمكتبة الأزهرية [علوم القرآن ـ عدة نسخ]. نقلا عن كلام المحقق لكتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني " ص٣٧٧.

(٩٤) طبع في مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢١هـ ـ ١٩٠٣م

(٩٥) مطبوع، منه نسخة في مكتبة الحرم المكي، بدون تاريخ.

(٩٦) مجهول المؤلف،طبع في مطبعة الحجاز في عهد الخلافة العثمانية، سنة ١٣١١ هـ ،منه نسخة في مكتبة الحرم المكي.

(٩٧) طبع في عام ١٤٠١ هـ على نفقة عبد الله أحمد كعكي في مكة المكرمة.

(٩٨) مطبوع، سنة الطبع غير مذكورة، وهو يقع في ١٠٧ ورقة.

٢٦ ـ التفسير في متشابه القرآن، وهو يبحث في المعاني المختلفة لكلمات مفردة مثل هدى وكفر..الخ وذلك في مواضع مختلفة من القرآن(٩٩).

٢٧ ـ سلسلة ضبط المتشابهات في القرآن الكريم، جمع وترتيب محمد بن عد الله الصغير(١٠٠).

٢٨ ـ التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن، تأليف عبد الغفور عبد الكريم البنجابي(١٠١).

* * * * *

ثانيا : الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً

توجيه الآيات المتشابهة يعتبر نوعاً مستقلا بذاته في علم التفسير، حيث أُفردت له مؤلَّفات خاصة كما أفردت مؤلَّفات مستقلة تتعلق بجوانب خاصة من تفسير القرآن الكريم، مثل « تفسير مبهمات القرآن »، و« تفسير آيات الأحكام » و « تفسير غريب القرآن ».

ومن المؤلَّفات في توجيه الآيات المتشابهات:

١ ــ درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب(ت٤٢٠هـ). وهو الكتاب الذي قمت بتحقيقه بتوفيق من الله عز وجل، قد خصصنا لدراسة هذ الكتاب مبحثا مستقلا(١٠٢).

٢ ـ البرهان في متشابه القرآن للإمام محمود بن حمزة الكرماني(ت ٥٠٥هـ) . ويعرّفنا به مؤلّفه فيقول:« فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقص، أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبيّن ما السبب في تكرارها ، والفائدة في إعادتها. وما الموجب للزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى ؟، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة الأخرى التي تشاكلها أم لا؟ ليجري

---

(٩٩) ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٤/١٠ في الباب الثامن. ومنه نسخ خطية في مكتبات تركيا: في مكتبة فيض الله برقم ٧٩ ، ومكتبة حميدية ٥٨ ، والمكتبة العمومية برقم ٥٦١ .

(١٠٠) دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط . الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

(١٠١) نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ط . الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(١٠٢) انظر من هذا الكتاب: ١(٥٥ ـ ١٠٨).

ذلك مجرى علامات تزيل إشاكالها ، وتمتاز بها عن أشكالها من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها.. »[١٠٣]. وفي نهاية مقدمته يشير إلى أنه سيحكي كلام الخطيب إذا بلغ إليه، وإن كان يتضح من كلامه أنه لم يطلع على كتاب الخطيب، حيث يقول:« **وروى أبو مسلم في تفسيره عن أبي عبد الله الخطيب كلمات معدودات منها. وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغتُ إليها مستعينا با لله ومتوكلا عليه** »[١٠٤].

٣ ـ ملاك التأويل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)[١٠٥]، وقد حصر مصنّفُه موضوعه في توجيه الآيات التي تكررت واشتبهت في القرآن الكريم. وهو يعتبر أوسع وأشمل مِن الكتب المؤلفة في موضوعه.

قال ابن حجر في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي(ت٧٠٨): «.. وجمع كتابًا في فن من فنون التفسير سماه ملاك التأويل نحى فيه طريق **الحصكفي**[١٠٦] **الخطيب** في ذلك، فلخص كتابه وزاد عليه شيئا بنفسه »[١٠٧].

٤ ـ كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تأليف شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة(ت٧٣٣هـ) [١٠٨].

٥ ـ كتاب قطف الأزهار في كشف الأسرار للإمام جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)[١٠٩]. وهذا الكتاب يعتبر من الكتب المؤلفة في توجيه متشابهات القرآن كما أشار إلى ذلك مؤلِّفه حيث قال:« وهذا كتاب شفعت به تلك، ونظمته معها في سلك، في أسرار التقديم والتأخير، والتأكيد، والحذف، والإيجاز والإطناب، والنكت البيانية: من

---

(١٠٣) البرهان في متشابه القرآن للكرماني، ص١١٠.

(١٠٤) المرجع السابق؛ ص١١١.

(١٠٥) كتاب « ملاك التأويل » للغرناطي طُبع بتحقيقين: تحقيق سعيد الفلاح ،(رسالة دكتوراة، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). والثاني تحقيق د/محمود كامل أحمد ، نشر دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(١٠٦) للكلام على هذه النسبة انظر من هذا الكتاب: ٦٥/١.

(١٠٧) الدرر الكامنة ٨٩/١ ، طبعة دار الكتب الحديثة بمصر.

(١٠٨) حقّقه د/ عبد الجواد خلف، وقامت بنشره دار الوفاء للنشر والتوزيع في مدينة المنصورة بمصر سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، الطبعة الأولى.

(١٠٩) هذا الكتاب لم يكمله مؤلفه، وإنما وصل إلى قوله تعالى:﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم..﴾ [التوبة:٩٢]،حقّقه الأخ أحمد بن محمد الحمادي، وحصل به على درجة الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٢هـ.

التشبيه(١١٠)، والاستعارة(١١١)...، إلى غير ذلك من أنواعه، **وسرّ ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة** من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقص، أو إبدال كلمة بأخرى...»(١١٢).

٦ ـ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن(١١٣)، تأليف شيخ الإسلام أبي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ). يقول مؤلّفه رحمه الله تعالى في المقدمة:« فهذا مختصر من ذكر آيات القرآن المتشابهات المختلفة بزيادة أو تقديم، أو إبدال حرف بآخر، أو غير ذلك مع بيان سبب تكراره.. »(١١٤).

٧ ـ أضواء على متشابهات القرآن يحتوي على ١٦٥١ سؤال وجواب، بقلم الشيخ خليل ياسين(١١٥).

* * * * *

الكتب التي اهتمّت في ثناياها بتوجيه تلك الآيات المتشابهات:

ويلحق بهذا النوع كتبٌ، تعرّض أصحابها ـ في بعض المواضع ـ للحديث عن توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ، أثناء تفسير القرآن الكريم، أو ردّ شبهات الطاعنين، ولكنهم تناولوا هذا النوع من التوجيه بمنهج آخر، غير الذي لجأ إليه أصحاب الكتب المتخصصة في هذا الفن، من طرح سؤال وجواب.

ولا ننسى في هذا المقام التنبيه إلى أن هؤلاء قد يفوقون ـ وإن كان في قليل من المواضع ـ على تعليلات وتوجيهات أصحاب هذا الشأن، وقد أشرت إليها في هوامش الكتاب في كثير من الأحيان.

ومن تلك الكتب :

١ ـ تأويل مشكل القرآن(١١٦) لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ).

٢ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)(١١٧).

---

(١١٠) هو إقامة شيء مقام شيء لِصفة جامعة بينهما ذاتية أو معنوية. (التوقيف على مهمّات التعاريف «معجم لغوي مصطلحي» ص١٧٦، للشيخ عبد الرؤوف المناوي(ت١٠٣١هـ).

(١١١) هي ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذِكر المشبّه من البين، نحو: لقيتُ أسداً؛ يعني رجلا شجاعاً. (المرجع السابق، ص٥٨).

(١١٢) قطف الأزهار للإمام السيوطي، رسالة الدكتوراه، الجزء الأول،ص٦٣ ـ ٦٤.

(١١٣) نُشر بتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني. (عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥ـ ١٩٨٥).

(١١٤) مقدمة فتح الرحمن للشيخ الأنصاري، ص١٥

(١١٥) من منشورات دار ومكتبة الهلال في بيروت ١٩٨٠م، الطبعة الثانية.

(١١٦) ينظر على سبيل المثال: تأويل مشكل القرآن:٥٢، ٢٣٥ ، ٢٣٩.

٣ - معاني القرآن لأبي جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ)(١١٨) .

٤ - تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ت٤١٥هـ)(١١٩).

٥ - الكشاف للزمخشري (٥٣٨هـ)(١٢٠).

٦ - المحرر الوجيز لابن عطية (ت٥٤٢هـ)(١٢١).

٧ - زاد المسير لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)(١٢٢) .

٨ - التفسير الكبير للفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) (١٢٣).

٩ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(ت٦٧١هـ)(١٢٤) .

١٠ - أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل(١٢٥)، لمحمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح(توفي بعد سنة ٦٩١هـ)(١٢٦).

١١ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسين بن محمد النيسابوري(ت٧٢٨هـ)(١٢٧).

١٢ - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن(ت٧٤١هـ)(١٢٨).

١٣ - البحر المحيط لأبي حيان(ت٧٤٥هـ)(١٢٩) .

١٤ - الدر المصور في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)(١٣٠).

---

(١١٧) ينظر على سبيل المثال: تفسير الطبري: ٩/ ٢٩٧ ، ٣٣/١٤ .

(١١٨) ينظر على سبيل المثال: معاني القرآن : ٢٧١/٢ ، ٦٣/٣ .

(١١٩) ينظر على سبيل المثال: تنزيه القرآن، ص٤٠٩، ٤٨٤ .

(١٢٠) ينظر على سبيل المثال : الكشاف ٥٣٠/١ ، ٣٩/٢ .

(١٢١) ينظر على سبيل المثال:المحرر الوجيز: ٤٠٠/٥ .

(١٢٢) ينظرعلى سبيل المثال: زاد المسير:١٧٥/٢ ، ١٥٣/٤ .

(١٢٣) ينظر على سبيل المثال:التفسير الكبير:١٥٢/٣ ، ٩٧/١٣ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٥٢/١٨ ، ١٠٨/٢١ ، ٢٦٧/٢٥

(١٢٤) ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٩/٥ .

(١٢٥) هو مؤلَّف حول بعض الآيات التي يقع فيها إشكال أو يحتمل أن تكون محل نظر لسبب من الأسباب المتعلقة بالتشابه اللفظي، أو بالتكرار أو اللغة أو بنكتة بلاغية أو بغير ذلك مما يكون التفسير أو التوضيح جوابا له. (ينظر على سبيل المثال: تفسير أبي بكر الرازي:١٩١ ، ٢٩٧).

(١٢٦) طبع هذا الكتاب بتحقيق د/ محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، بيروت. ط . الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م).

(١٢٧) ينظر على سبيل المثال: غرائب القرآن:٣٩٨/١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٨، ٤٣١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ ، ١٦٦/٧، ٢٣/٩ .

(١٢٨) ينظر على سبيل المثال: لباب التنزيل للخازن: ٥٣/٢ - ٥٤ .

(١٢٩) ينظر على سبيل المثال: البحر المحيط: ٢٦٣/٣ ، ١٨٥/٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ١١٥/٦ ، ٢٦٣/٨.

(١٣٠) ينظر على سبيل المثال: الدر المصون:٦٥٧/٣ ، ٦٧/٥ ، ٢١٠ ، ٣٥٤ ، ٣٧٣ ، ٣٩٧ ، ٣٠٢/٦ ، ٤٦٧/٧.

١٥ - تفسير ابن كثير(ت٧٧٤هـ)[١٣١].

١٦ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[١٣٢].

١٧ - الفتوحات الإلهية، المعروف بـ «حاشية الجمل» للشيخ سليمان بن عمر(ت١٢٠٤هـ)[١٣٣].

١٨ - روح المعاني للآلوسي(ت١٢٧٠هـ)[١٣٤].

١٩ - تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)[١٣٥].

* * * * *

فائدة وتنبيه :

هناك بعض الكتب أُلّفت في المتشابه، بحث أصحابُها في آيات الصفات والعقائد، أو في المتشابه الذي يقابل المحكم، دون أن يبحثوا في المتشابه اللفظي، نذكر بعضها هنا دفعاً للاشتباه ، وتحاشيا من التباسها بموضوعنا:

١ - حل الآيات المتشابهات[١٣٦]، وكتب على غلاف المخطوط: كتاب في حل المشكل والمتشابهات من الأحاديث والآيات والرد على الملحدين ، للشيخ الجليل الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني(ت٤٠٦هـ).

٢ - حقائق التأويل في متشابه التنزيل، تأليف السيد الشريف الرضيّ (ت٤٠٦هـ)[١٣٧].

٣ - متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ)[١٣٨].

٤ - متشابهات القرآن[١٣٩] لمحمد بن عبد المؤمن الدمشقي المصري المعروف بابن اللبان(ت٧٤٩هـ).

٥ - تفسير الآيات المتشابهات[١٤٠]، للشيخ ملاّ علي القارئ (ت١٠١٤هـ)، وهذا الكتاب يبحث في المتشابه الذي أشار إليه قوله تعالى:﴿هو الذي أنزل عليك الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أمُّ الكتابِ وأخرُ متشابِهاتٌ..﴾[آل عمران:٧].

(١٣١) ينظر على سبيل المثال:تفسير ابن كثير ٣٠٢/٢ .

(١٣٢) ينظر على سبيل المثال: بصائر ذوي التمييز:١٤١/١ ، ١٤٥ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ .

(١٣٣) ينظر على سبيل المثال:حاشية الجمل : ١٠٥/٢، ١١٠ ، ٤٧٨/٣ ، ٢٥٤/٤ ، ٣٤٨ .

(١٣٤) ينظر على سبيل المثال: روح المعاني:٢٧٧/٣ ، ٤٦/٥ ، ٢٣٦/٧ ، ٢٤٤ ، ١٤٤/٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧٠ ، ٣١/١٢ ، ٢٤١/١٥ ، ١٣٤/٢١ ، ١٧١/٢٢ ، ١٥٠/٢٧ ، ٨٨/٢٨ ، ١٢٣.

(١٣٥) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير: ٢٠٠/٦ ، ١٧٠/٨ ، ٢٠٣ ، ٧/١١ ، ١٥٣/١٢ ، ٣٤ ، ٤٩/١٤ ، ٧٠ ، ١١٨.

(١٣٦) منه نسخة خطية محفوظة في مكتبة عاطف أفندي بإستانبول برقم ٤٣٣ تفسير، وتقع في ٧٤ ورقة.

(١٣٧) من مطبوعات دار الأضواء ، بيروت، ط . الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(١٣٨) نشرته دار التراث بالقاهرة بتحقيق الدكتور عدنان زرزور.

(١٣٩) هكذا في دار الكتب المصرية برقم(٩٤ مجاميع) تفسير . يشير محقق كتاب البرهان في متشابه القرآن للكرماني في فهرسة مصادر التحقيق(ص٣٩٦) إلى أن هذا الكتاب طبع بالقاهرة بدون تاريخ، ثم يقول:((والنسخ المخطوطة بعنوان "تبيين المتشابه من كتاب الله المكرم وحديث نبيه العظم ﷺ "، حديث ٤٩٥ - ٤٩٦، المكتبة التيمورية)).

(١٤٠) منه نسخة خطية محفوظة في مكتبة السليمانية بإستانبول رقم١٠٥٥، مجاميع(الأوراق بين٨٤ - ١١٦).

المبحث الثاني

دراسة كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل »

يشتمل على مطالب ثمانية:

المطلب الأول : **تحقيق صحة اسم الكتاب.**

المطلب الثاني : **تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف.**

المطلب الثالث : **موضوع الكتاب.**

المطلب الرابع : **سبب تأليف الكتاب.**

المطلب الخامس : **منهج المؤلف في الكتاب.**

المطلب السادس : **مصادر المؤلف في الكتاب.**

المطلب السابع : **قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده.**

المطلب الثامن : **المآخذ على الكتاب.**

المبحث الثاني

دراسة كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل »

المطلب الأول : تحقيق صحة اسم الكتاب

ذكر المصنف رحمه الله اسم الكتاب في مقدمة كتابه حيث قال :« وسميته **درة التنزيل وغرة التأويل** »[١]، ولا شك أن هذا تصريح واضح من صاحب الكتاب، والحَكَمُ في صحة العنوان هو المصنّف نفسه، وليس لغيره أن يتحكّم في اسم كتابه الذي نص عليه.

وهذا الاسم هو الذي ذُكر في جميع الكتب التي ترجمت للخطيب بلا استثناء،، وسار ذكره عليه، واشتهر به ، وكذلك الحال في النسخ الخطية المنسوبة إلى الخطيب، بخلاف النسخ المنسوبة إلى غير الخطيب، حيث جاء فيها العنوان للكتاب مختلفا من نسخة إلى أخرى مما يدل على التصرف.

ولم يقع الاختلاف في عنوان الكتاب إلا في النسخ المنسوبة في الغلاف إلى الراغب الأصبهاني، فهو في بعضها: «تفسير درة التأويل في متشابه التنزيل » للراغب الأصفهاني[٢] ، وفي البعض الآخر: كتاب « درة التأويل وغرة التنزيل في الآيات المتشابهة والمكررة »[٣]، وفي بعضها الآخر: «حل متشابهات القرآن » للراغب الأصفهاني.[٤]، وفي بعضها الآخر: كتاب « أسرار التأويل وغرة التنزيل » للراغب الأصفهاني[٥]، وإحدى نسختي أحمد الثالث ليس فيها عنوان الكتاب[٦] في الغلاف، ولا في أول الكتاب، إلا أنها تُنسَب للراغب الأصفهاني في فهرسة «طوبْ قَبو سَراي » باسم «درة التأويل في متشابه التنزيل ».

وبعد البحث والتنقيب لا أتردد في أن اسم الكتاب هو كما سمّاه مصنفه ، إذ تأكد لديّ يقينا أن اسم الكتاب هو « **درة التنزيل وغرة التأويل** » ولا عبرة بأي عنوان يختلف مع هذا العنوان، وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ ورود ذكر العنوان في مقدمة المؤلف في النسخ المعتمدة، إضافة إلى ذلك أن أوثق وأكمل النسخ التي اخترتها للتحقيق قد حملت هذا الاسم بالذات، وذلك واضح في غلاف تلك النسخ، وفي مقدمتها(أ ، ب، ك)، وكذلك في بعض النسخ غير المعتمدة، وهي(د،ق).

---

(١) نسخة أحمد الثالث (أ) ، ونسخة بايزيد (ب) ، ونسخة كوبريلي (ك)، ونسخة دار الكتب المصرية (د).

(٢) مكتبة خسرو باشا بإستانبول ، برقم ٢٥ تفسير .

(٣) مكتبة أسعد أفندي بإستانبول ، برقم ١٧٦ تفسير .

(٤) مكتبة راغب باشا بإستانبول ، برقم ١٨٠ تفسير .

(٥) مكتبة المتحف البريطاني، برقم ٥٧٨٤ .

(٦) مكتبة أحمد الثالث ، برقم ١٨٣ .

٢ ــ تصريح من نقل عنه بنفس العنوان مثل ابن الزبير(ت٧٠٨هـ)[٧]، والسيوطي(ت٩١١هـ)[٨] ، وهناك من يقتصر أحياناً على الجزء الأول من العنوان وهو « درة التنزيل»[٩]، أو صاحب كتاب الدرة[١٠]، أو صاحب درة التنزيل، إما لشهرته وإما لأنّ الناقل لا يعرف اسمه الكامل.

وأما الكتاب المنسوب للراغب فإنه يحمل أسماء مختلفة منها:« درة التأويل وغرة التنزيل»، و« حل متشابهات القرآن »، كما تقدم.

٣ ـ الذين ترجموا للخطيب وذكروا تصانيفه لم يختلفوا في عنوان هذا الكتاب بلا استثناء[١١]، حيث حوت تلك الكتب المترجمة للخطيب هذا الاسم « درة التنزيل وغرة التأويل » بحروفه.

ونطمئن بذلك إلى أن عنوان الكتاب « **درة التنزيل وغرة التأويل** » عنوان صحيح، **لوجوده** على أغلفة النسخ المعتمدة الثلاثة ، وفي مقدمة تلك النسخ، وهي: نسخة مكتبة أحمد الثالث، وبايزيد، وكوبريلي، وكذلك نسخة دار الكتب المصرية، **ولتصريح** الأئمة الناقلين بها أيضاً، كالإمام ابن الزبير حيث صرح باسم كتاب الخطيب وقال:« .. إلى أن ورد عليّ كتاب لبعض المعتنين من جلّة المشارقة نفعه الله، سماه بكتاب **درة التنزيل وغرة التأويل** »[١٢].

فإذا ثبت هذا فما معنى التساؤل عن صحة عنوان الكتاب إذن ؟

إن الذي يثير هذا التساؤل ويفرضه على الباحث هو أنه أُلِّفت كتبٌ أخرى تحمل هذا الاسم، أو قريباً منه ، وعلى رأس ذلك كتاب ذُكر في مؤلفات الراغب، يحمل اسم « غرة التنزيل ودرة التأويل » كما في «تاريخ حكماء الإسلام » لظهير الدين البيهقي(ت٥٦٥هـ)[١٣]، وفي كشف الظنون[١٤] يحمل اسم « درة التأويل في متشابه التنزيل » ، والكتاب الذي يحمل هذا الاسم في كشف الظنون[١٥] هو نفس كتاب الخطيب[١٦]، بنفس المقدمة التي ذكرها

(٧) في كتابه:ملاك التأويل لابن الزبير:١٤٦/١ .

(٨) في كتابه:قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي: ٢٠٥/١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ .

(٩) انظر: ملاك التأويل:١٤٧/١، وتفسير الآلوسي ١٣٤/٢١.

(١٠) انظر: ملاك التأويل:١٤٩/١.

(١١) انظر: معجم الأدباء لياقوت:٢٥٤٩/٦ ، والوافي بالوفيات للصفدي:٣٣٧/٣ ، وبغية الوعاة للسيوطي:١٤٩/١، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة:٢١١/١٠ ، والأعلام للزركلي:٢٢٧/٦ .

(١٢) ملاك التأويل ، ١٤٦/١ .

(١٣) ص ١١٢ .

(١٤) ٧٣٩/١ .

(١٥) كشف الظنون٧٣٩/١.

حاجي خليفة. ولا يخفى أن العناوين متشابهة، ولا مانع أن يكون الراغب قد ألّف كتابا بهذا العنوان. وهو ـ كما ترى ـ قريب من عنوان « درة التنزيل وغرة التأويل » للخطيب. وا لله أعلم.

معنى اسم الكتاب :

من حقّ المؤلف أن يطلق على الكتاب الذي ألّفه الاسم الذي يوحي بأنه معتزّ به، وبعمله الذي قام به، ولا يعاب المؤلف بسبب ذلك، وهذا شيء مألوف عند علماء الإسلام قديما وحديثا، فالإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) سمىّ تفسيره العظيم « جامع البيان عن تأويل آي القرآن »، والإمام الراغب الأصبهاني(ت٥٠٢هـ) سمىّ كتابه باسم «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين»[١٧]، والإمام ابن قدامة[١٨](ت٦٨٢هـ) سمىّ كتابه في الفقه المقارن باسم « المغني ».

ومؤلّفنا رحمه ا لله تعالى إنما سار على هذا الدرب الذي سار عليه العلماء في تسمية كتبهم، فأطلق على كتابه هذا الاسم العظيم، ألا وهو « **درة التنزيل وغرة التأويل** ».

ومعنى الدرة ـ كما قال ابن دريد (ت٣٢١هـ) ـ :« الحبَة العظيمة من اللؤلؤ[١٩]، كما أن الغرة: هي أول كلّ شيء، أو أفضله »[٢٠].

وعلى ذلك فاسم الكتاب يدل على أن العمل الذي قام به صاحب هذا الكتاب عمل عظيم، يوصف تارة بالدرّة، وتارة بالغرّة.

وإضافة «درة » إلى « التنزيل » على معنى اللام، والمعنى: أن هذا الكتاب العظيم يشتمل على أسرار عظيمة لكتاب ا لله المتصف بالعظمة والجلال، فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدُّرة بالنسبة لغيرها من حبّات اللؤلؤ.

أما إضافة « غرة » إلى « التأويل » ـ وهو التفسير ـ فإنها توحي بأن ما قام به المؤلف في هذا الكتاب هو عمل رائد في بابه، لم يسبق إليه، فهو أوّل كتاب في هذا الفن، وأفضل كتاب كذلك، ولا يراد من التأويل هنا المعنى العام من التأويل، وإنما يراد به ضربٌ معيَّن من التأويل، وهو ما يتعلق بأسرار الآيات القرآنية المتشابهة لفظاً. وا لله أعلم.

* * * * *

---

(١٦) هو المصور عندي عن مكتبة خسرو باشا، ومكتبة المتحف البريطاني.

(١٧) طبع بتحقيق د/عبد المجيد النجار، في دار الغربي الإسلامي، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(١٨) هو عبد الرحمن بن محمد ابن قدامة المقدسي الحنبلي.

(١٩) جمهرة اللغة لابن دريد، ٦٤١/٢ .

(٢٠) انظر لمعنى " الغرة ":الجمهرة لابن دريد، ١٢٤/١ ، والمصباح المنير للفيّومي، ص ٤٤٤.

المطلب الثاني: تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف

ظل كتاب « **درة التنزيل وغرة التأويل** » مرجعا أساسيا يستسقي منه المؤلفون في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً، ولكن هذا الكتاب على جلالة قدره من الكتب العجيبة التي تحيّر العلماء والمؤلفون في نسبته إلى مؤلفه الحقيقي.

الاختلاف في نسبة الكتاب وأسبابه :

محتوى هذا الكتاب في جميع النسخ واحد، مع ما يقع بين هذه النسخ المخطوطة ما يقع بين نسخ أيّ مخطوط، من اختلاف يسير، إلاّ أنه قد ذُكر على أغلفة بعض النسخ المخطوطة، وفي بعض كتب التراجم ما يخالف ذلك، مما أثار مسألة التنازع في نسبة الكتاب إلى المؤلف الأصلي.

فبعض الدارسين يقول: إن مؤلف هذا الكتاب هو حسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ[٢١].

وبعضهم يقول: إنه إسماعيل بن محمد الطلحي التيمي الأصفهاني الملقّب بقوام السنة المتوفى سنة ٥٣٥هـ.

وبعضهم يقول: إنه لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

وفي كشف الظنون[٢٢] ذكرٌ للكتاب غير أنّ مؤلفه نسبه إلى الراغب مرة، وإلى الفخر الرازي مرة أخرى، وهذا ما جاء في أغلفة بعض مخطوطات الكتاب، وفي نسخة راغب باشا ونسخة خسرو باشا، ونسخة أسعد أفندي كُتب أنها من تأليف الحسين بن المفضل الراغب الأصفهاني رحمه الله.

وكذلك الأمر في بعض فهارس المكتبات، حيث نُسب الكتابُ في بعضها للفخر الرازي كما في فهرس مكتبة كوبريلي برقم ١٥٥[٢٣]، وفهرس دار الكتب المصرية برقم ٤٤٠[٢٤]، من غير أن يكون هناك أيّ اختلاف جوهري بين النسخ كلها. سواء كان نُسب الكتاب إلى الخطيب، أو إلى الراغب، أو إلى الفخر الرازي .

وما فعله بعض المفهرسين من اكتفاءٍ بمجرّد وجود العنوان والنسبة على الغلاف، لا يكفي للجزم بأن هذا الكتاب لمن ورد اسمه في الغلاف، وبخاصة إذا ورد ما ينافي ذلك في مكان آخر.

---

(٢١) تطرق الدكتور أبو اليزيد العَجَمي في مقدمة تحقيقه لكتاب « الذريعة » للراغب الأصفهاني إلى ما قيل حول وفاة الراغب، فقال في آخر المطاف:« فالرأي الراجح والمرتضي أنه توفي سنة ٥٠٢هـ ». الذريعة، ص٢٥ .

(٢٢) ٧٣٩/١ .

(٢٣) هذه النسخة في الغلاف صريحة النسبة لأبي عبد الله الخطيب، كما سيأتي بيانه في مبحث وصف النسخ.

(٢٤) هذه النسخة في الغلاف منسوبة إلى راوي الكتاب وفي المقدمة صريحة النسبة لأبي عبد الله الخطيب .

تحقيق نسبة الكتاب للخطيب فقط:

ولعل أول شيء يجب أن نقرّره هنا هو أن كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل » صحيح النسبة إلى مؤلفه أبي عبد الله الخطيب الأصفهاني المتوفى سنة ٤٢٠هـ ، وذلك للأمور التالية:

١ - ذكر اسمه صريحا في النسخ المعتمدة(٢٥) على ورقة العنوان:

حيث جاء في نسخة أحمد الثالث (أ):

درة التنزيل وغرة التأويل

إملاء الشيخ الإمام العالم

أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الأصبهاني

رحمه الله تعالى

وجاء في نسخة بايزيد (**ب**):

كتاب درر التنزيل وغرر التأويل(٢٦)

تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد الزاهد الورع

أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب

تغمده الله تعالى بفضله ورحمته

وجاء في نسخة كوبريلي (**ق**):

كتاب درة التنزيل وغرة التأويل

إملاء الشيخ الإمام العالم العامل العارف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الرازي

رحمه الله تعالى

بالقلعة الفخرية

بخلاف النسخ المنسوبة إلى الراغب الأصفهاني فإن عنوان الكتاب فيها مختلف كما أشرنا إلى ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث(٢٧).

---

(٢٥) ذلك في النسخ المرموز إليها بـ (أ ، ب ، ق).

(٢٦) عنوان الكتاب في مقدمة هذه النسخة لا يختلف عن سابقها، إذ فيها تصريح المؤلف بتسمية الكتاب أيضا إذ يقول فيها :« وسميته درة التنزيل وغرة التأويل » .

(٢٧) انظر من هذا الكتاب: ١/٥٥.

٢ ـ ما ذكره راوي الكتاب إبراهيم بن علي المعروف بابن أبي الفرج الأَرْدَسْتاني(٢٨) في مقدمة الكتاب(٢٩) ما نصه:« هذه المسائل بيان الآيات المتشابهة لفظا بأعلامٍ نصبت عليها من المعنى أملاها **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب** رحمه الله في القلعة الفخرية إملاء لمّا خلا فيها ولم يحضره غيري ممّن يسوغ له حمل ما يُكتَب فيه ويُكتَب به، فكتبت عن لفظه المسائل والأجوبة..»(٣٠).

٣ ـ عدم شكّ المتقدّمين ممّن نقل من الكتاب في نسبته إلى الخطيب، ولا يطعن في نسبته إليه وجود كتاب يحمل اسم درة التنزيل وغرة التأويل منسوبا إلى أكثر من واحد.

إن أقدم من نصّ على الكتاب ونسبه لأبي عبد الله الخطيب، هو **أبو مسلم محمد بن علي الأصبهاني** (ت٤٥٩هـ)، وهذا التاريخ قريب إلى وفاة المصنف (ت ٤٢٠هـ) بتسعة وثلاثين عاما كما يظهر ذلك من تاريخ وفاتهما.

ويذكر لنا ذلك **محمود بن حمزة الكرماني** (ت٥٠٥هـ) في كتابين شهيرين من كتبه، هما: غرائب التفسير وعجائب التاويل، والبرهان في متشابه القرآن.

الكتاب الأول:غرائب التفسير وعجائب التأويل(٣١)، ولقد قدمت هذا الكتاب في الذكر، لأنه أُلِّف قبل «**البرهان في متشابه القرآن** »، كما أشار إلى ذلك مؤلِّفه الكرماني في مقدمة «البرهان»، حيث قال:« فإني بحمد الله قد بيّنت ذلك كله بشرائطه في كتاب «**لباب التفسير**»(٣٢)، وكتاب **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، مشتملا على أكثر ما نحن بصدده، ولكني أفردت هذا الكتاب(٣٣) لبيان المتشابه.. ».

(٢٨) نسبة إلى أردستان، قال ابن الأثير الجزري: «الأردستاني: ـ بفتح الألف وسكون الراء وفتح الدال وسكون السين المهملتين، وفتح التاء المنقوطة من فوقها باثنتين ، وفي آخرها النون ـ هذه النسبة إلى أردستان، **وهي** بلدة قريبة من أصفهان على طرف البرية على ثمانية عشر فرسخا من أصفهان، وقيل بكسر الألف والدال ». (اللباب في تهذيب الأنساب ٤١/١) .

(٢٩) ذلك في النسخ (أ ، ب ، ك ، د) .

(٣٠) انظر من هذا الكتاب: ١٣٤/١ .

(٣١) طبع بتحقيق د/شمران العجليّ، (ط . الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ،نشر دار القبلة، بجدة، ومؤسسة علوم القرآن بدمشق).

(٣٢) يشير محقق كتاب البرهان للكرماني إلى وجود نسختين للربع الأول من هذا الكتاب، ينظر: صفحة ٣٤ .

أ ـ النسخة الأولى محفوظة في المكتبة التيمورية تحت رقم ١٣٨ تفسير، وتقع في ٤٨٥ صفحة ، وهي من أول القرآن إلى آخر سورة الأنعام.

ب ـ النسخة الثانية في قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية، رقم ٧٢١ تفسير، وتقع في ١٢٧ورقة من القطع الكبير، وهي أول القرآن الكريم إلى آخر الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

(٣٣) يعني كتابه البرهان في متشابه القرآن.

ويصرّح **الكرماني** في كتابه «غرائب التفسير » باسم **الخطيب** أحيانا فيما ينقله عنه، وعلى سبيل المثال يقول:

« سؤال: لِم ختم هذه الآية بقوله:﴿هم الأخسرون﴾، وختم ما في النحل بقوله:﴿هم الخاسرون﴾ ؟

الجواب: هؤلاء قوم وصفوا بفعلين كل واحد منهما موجب للخسران، وهو أنهم صدوا وصدوا غيرهم، ولهذا قال: يضاعف لهم العذاب، وليس كذلك ما في النحل، لأنهم وصفوا بفعل واحد ، وهو قوله:﴿استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [النحل:١٠٧] ».

ثم استمر قائلا:« قال **الخطيب**: إنما جمع هاهنا على **الأخسرين** مراعاة لما قبلها من الفواصل، وهي:﴿يفترون﴾ و ﴿يبصرون﴾، وليس معها ألف، وما في النحل معها ألف ، وهو:﴿الكافرون﴾ ، و﴿الغافلون﴾ »[٣٤].

وللمقارنة رجعت إلى كلام **الخطيب** من كتابه «**درة التنزيل** » في هذا الموضع، وتأكّدت أن الكرماني لخّص كلام الخطيب[٣٥].

ويقول **الكرماني** في موضع آخر من كتابه «**غرائب التفسير** »:« قال **الخطيب**: لمّا جاء في قصة شعيب مرة «الرجفة»[٣٦]، ومرة «الصيحة»[٣٧]، ومرة «الظلّة»[٣٨]، ازداد التأنيث حسنا»[٣٩].اهـ

وجاء في درة التنزيل **للخطيب** في هذا الموضع:« فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا[٤٠] به غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات[٤١].

الكتاب الثاني: البرهان في متشابه القرآن، وتبدو أهمية ذكر هذا الكتاب، لأنه كتابٌ ألّفه الكرماني مخصّصاً لنفس الموضوع الذي يتناوله كتاب درة التنزيل للخطيب، وهو توجيه الآيات المتشابهة لفظا.

---

(٣٤) غرائب التفسير للكرماني، ٥٠٢/١ .

(٣٥) انظر من هذا الكتاب: ٤٥٩/١ .

(٣٦) ذلك في قوله تعالى:﴿فأخذتهم الرجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ سورة الأعراف:٩١ .

(٣٧) ذلك في قوله تعالى:﴿..وأخذت الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ سورة هود:٩٤ .

(٣٨) ذلك في قوله تعالى:﴿..فأخذهم عذاب يوم الظُّلة..﴾، سورة الشعراء:١٨٩ .

(٣٩) غرائب التفسير للكرماني، ٥١١/١ .

(٤٠) أي قوم شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٤١) انظر من هذا الكتاب:٤٦٧/١ .

وفي هذا الكتاب يشير إلى أنه ينقل عن «**الدرة** » بواسطة أبي مسلم الأصفهاني هذا، حيث يقول:

« وروى **أبو مسلم**(٤٢) في تفسيره(٤٣) عن **أبي عبد الله الخطيب** كلمات معدودات منها. وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغت إليها مستعينا با لله ومتوكّلا عليه »(٤٤).

وفي موضع آخر قال الكرماني في أثناء بحثه عن سر التشابه اللفظي للآيات :« قال **أبو مسلم** حاكيا عن **الخطيب**: إنما جاء المعروف في الأولى معرّف اللفظ.. »(٤٥).

وبالرجوع إلى كتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل** » **للخطيب** في هذا الموضع وجدت نفس العبارة (٤٦).

ومما يلفت النظر أيضا أن **الكرماني** قد لايذكر حكاية **أبي مسلم** عن **الخطيب**، بل يصرح باسم **الخطيب** فيقول حين ينقل عن الدرة:« **قال الخطيب**»، في مرات كثيرة(٤٧).

وعلى سبيل المثال يقول في كتابه «**البرهان في متشابه القرآن** »(٤٨):

« قوله تعالى:﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم﴾ [الأنفال:٥٢].

ثم قال بعد آية:﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم﴾ [الأنفال:٥٤].

ثم يقول(٤٩):« **قال الخطيب**: قد أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال: ذَكر في الآية الأولى عقوبَته إيّاهم عند الموت كما فعل بآل فرعون ومَن قبلهم من الكفار. وذكر في الثانية ما يفعله بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون ، ومَن قبلهم ، فلم يكن تكرار ».

ثم يمضي ويقول:« **قال الخطيب**: فالجواب عندي: أن الأول إخبار عن عذاب لم يمكّن الله أحداً من فعله: وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم. والثاني: إخبار عن عذاب مكّن الناس من فعل مثله وهو الإهلاك والإغراق ».

وبالرجوع إلى كلام **الخطيب** من كتابه « **درة التنزيل** » في هذه المسألة، وهي السؤال عن فائدة التكرار في سورة الأنفال في موضعين(٥٠) نجد أن هناك تطابقاً شبه كامل، حيث يقول **الخطيب**:

---

(٤٢) هو محمد بن علي الأصبهاني المتوفى سنة ٤٥٩ ، والذي تقدم ذكره آنفا.

(٤٣) لم أقف على تفسيره، لأنه ـ فيما أعلم ـ مفقود .

(٤٤) البرهان في متشابه القرآن:١١١.

(٤٥) المرجع السابق:١٤٠ .

(٤٦) انظر من هذا الكتاب : ٢١٣/١ .

(٤٧) ينظر على سبيل المثال: البرهان في متشابه القرآن للكرماني:١٢٠ ، ١٣٨، ١٨٤ ، ٢٠٠ .

(٤٨) ص ٢٠٤ .

(٤٩) أي الكرماني.

(٥٠) ذلك في الآيتين(٥٢،٥٤) من سورة الأنفال.

«وهذه المسألة قد أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال: أخبر الله تعالى عن إجراء العادة فيهم بنوعين من العذاب مختلفين، وإذا كان كذلك لم يكن تكرارا، لأنه ذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت، والبشارةَ التي أتتهم بعذاب الحريق، وأنه فعل بهم ذلك كما فعله بآل فرعون، ومن كان قبلهم من الكفار، ثم ذكر في الثانية ما يفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار، وما أجرى عليه العادة في تعذيبه إياهم بعد الموت في القبور وغيرها ».

ثم استمر **الخطيب** قائلا:« والجواب عندي: أنه أخبر في الأولى عمّا عاقبهم به من العذاب الذي لم يملّك الناس إيقاعه، ولم يمكّن بعضَهم مِن أن يفعل ببعضٍ مثلَه، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم، وإخبارُهم إياهم بمصيرهم إلى عذاب يحرقهم، وفي الثانية أخبر عمّا أنزله بهم من العذاب الذي مكّن الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك والإغراق، لأن ذلك مما أقدر الله تعالى العباد عليه »[٥١]. اهـ

واتضح مما سبق أن **الكرماني** نقل عن كتاب « درة التنزيل » بواسطة **أبي مسلم الأصبهاني** المتوفى سنة ٤٥٩هـ ، مصرحا باسم **أبي عبد الله الخطيب** ـ وهو قريب العهد بالمؤلف ـ وهذا يكفي وحده للاطمئنان إلى صحة نسبة هذا الكتاب إلى الخطيب، بخلاف الذين نقلوا عن الكتاب ونسبوه إلى الراغب كالآلوسي[٥٢]، وإلى الفخر الرازي كابن عاشور[٥٣].

ومن الجدير بالذكر هنا أن **الفيروزآبادي** (ت ٨١٧ هـ) صاحب القاموس المحيط قد نقل حرفيا[٥٤] كتاب « **البرهان في متشابه القرآن** » للكرماني في الجزء الأول من كتابه الموسوم بـ «**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** »، وأقرّ الكرمانيَّ على تصريحه باسم **الخطيب**[٥٥]، في جميع المواضع التي نقل عنه فيها، بل في بعض المرات يلقبُ الخطيبَ بقوله:« **قال الإمام** »[٥٦].

ومما يدل على صحة نسبة الكتاب إلى الخطيب تصريح الشيخ الحسين بن سليمان بن الريّان (ت٧٧٠هـ) باسم درة التنزيل واسم مؤلفه في مقدمة كتابه المسمّى بـ « **الروض الريّان في أسئلة القرآن** » حيث قال:

---

(٥١) انظر من هذا الكتاب: ٢٢٥/١ .

(٥٢) انظر على سبيل المثال تفسير الآلوسي: ١٣٤/٢١، ١١٦/٢٨ . ١٩/٢٩ ، ١٥٥/٢٩ .

(٥٣) ينظر على سبيل المثال تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ٧٠/١٤ ، ١١٨ .

(٥٤) أشار إلى هذه الحقيقة محقق كتاب « البرهان في متشابه القرآن » (ص٧٤) ، وقد تأكدت منها بمراجعة الكتاب.

(٥٥) انظر على سبيل المثال « بصائر ذوي التمييز » للأماكن التي صرح فيها الفيروزآبادي باسم الخطيب: ١٤١/١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٤ ، ٢٨٤ .

(٥٦) ينظر على سبيل المثال « بصائر ذوي التمييز » للأماكن التي يقول فيها الفيروزآبادي: قال الإمام ويعني به الخطيب: ٢١٩/١، ٢٤٨ ، ٢٥٢.

« جمعته من عدة كتب، منها : مفاتيح الغيب تفسير الإمام فخر الدين بن الخطيب الرازي، ومن الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، ومن التلخيص للكواشي، ومن أسئلة القرآن لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ومن **درة التنزيل وغرة التأويل لمحمد بن عبد الله الخطيب الأصفهاني**، وفيه أسئلة أخذتها من أفواه العلماء لم أجدها في شيء من هذه الكتب. نفعنا الله بالقرآن العظيم. آمين »(٥٧).

وقد أرسل إليّ مؤخّراً شقيقي سليمان ـ حفظه الله ـ من القاهرة رسالة صغيرة(٥٨) في بيان الحكمة في آيتي البقرة والأعراف، وهي رسالة في حكمة تغاير التعبير في آيتي البقرة والأعراف حيث قال في الأولى:﴿قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً..﴾[البقرة:٣٥]، وفي الثانية:﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما..﴾[الأعراف:١٩].

وصاحب الرسالة نقل عن الدرة، وصرح باسم **الخطيب**، وأرى أن أنقل ما جاء في الدرة والرسالة المذكورة لتتمّ المقارنة على سبيل الاستئناس لما جزمنا به من نسبة الكتاب.

قال **الخطيب** في « **درة التنزيل** »(٥٩) في الحكمة عن العطف في سورة البقرة بالواو، وفي سورة الأعراف بالفاء:« ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول، والآخر بعده.. »(٦٠).

وجاء في الرسالة:« وكذلك في **تفسير الخطيب**(٦١)، ذكر أن ما في البقرة خطاب لهما بعد الدخول، وما في الأعراف قبل الدخول ».

٤ ـ جميع كتب التراجم التي ترجمت للخطيب ذكرت كتاب « **درة التنزيل** » ضمن مؤلفاته التي صنّفها، ومن أقدم وأشهر العلماء الذين ترجموا له وذكروا كتابه: ياقوت بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ) في كتابه « **معجم الأدباء** »(٦٢)، وصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ) في كتابه « **الوافي بالوفيات** »(٦٣)، والحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ) في كتابه « **بغية الوعاة** »(٦٤).

---

(٥٧) الروض الريان في أسئلة القرآن للشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريّان (ت٧٧٠هـ)، ١/١(النص المحقق) حققه الأخ عبد الحليم بن محمد نصار السلفي لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٤هـ.

(٥٨) هي مصورة عن دار الكتب المصرية، مجاميع ١٢٢ تفسير، وهي ثلاث ورقات، والمؤلف مجهول وتاريخ النسخ مجهول أيضا.

(٥٩) انظر من هذا الكتاب: ١/ ١٣٩ .

(٦٠) أوضح الكرماني في كتابه البرهان(ص١٢٠) كلام الخطيب وقال:« والخطيب ذهب إلى أن ما في الأعراف خطاباً لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول ».اهـ

(٦١) يعني به درة التنزيل.

(٦٢) معجم الأدباء ٢٥٤٩/٦ (تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٩٩٣) .

(٦٣) الوافي بالوفيات، ٣٣٧/٣ .

(٦٤) بغية الوعاة، ١٤٩/١ (تحقيق محمد أبو الفضل ، ط الأولى، طبعة عيسى بالباي الحلبي) .

٥ ـ اتفق كلّ الذين ترجموا للمؤلف، وتعرّضوا لبيان مؤلفاته[٦٥]، على لقبه «الخطيب» بلا استثناء، ولم يعرف به أحدٌ ممن يُظنّ نسبة الكتاب إليه إلا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، وفي ذلك ما يثبت أن الكتاب للخطيب لا للراغب أو غيره، لأن الراغب أو قوام السنة، أو الفخر الرازي لم يعرَف واحدٌ منهم بلقب **الخطيب**، رحمهم الله تعالى.

٦ ـ ويؤيد نسبة الكتاب إلى الخطيب ما أشرنا إليه سابقاً أن ابن الزبير الغرناطي صرح باسم كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» في مقدمة كتابه «ملاك التأويل»[٦٦]، ولكنه لم يذكر اسم مؤلفه.

ولكن في «**الدرر الكامنة**» لابن حجر نصٌّ يدل على أن هذا الكتاب الذي ذكره ابن الزبير في مقدمة كتابه «ملاك التأويل» هو **للخطيب**، حيث يقول ابن حجر في ترجمة **ابن الزبير** المذكور:«.. وجمع كتاباً في فن من فنون التفسير سماه «**ملاك التأويل**» نحا فيه طريق الحصكفي[٦٧] **الخطيب** في ذلك، فلخص كتابه وزاد عليه شيئاً بنفسه»[٦٨].

قلت: إن «**الحصكفي**[٦٩]» وفي نسخة الهند: «**الحصافي**» لعلهما تصحيف من «**الإسكافي**»، حيث إن «**الحصافي**» أقرب إلى «**الإسكافي**» كما لا يخفى، لكن المهمّ هو ذكر لقب «**الخطيب**» هنا.

٧ ـ وجود تشابهٍ في الأسلوب والطريقة والغرض بين ما جاء في كتاب «**المجالس**» للخطيب، وبين ما جاء في كتابه «**درة التنزيل**»، حيث إنّي قارنت بينهما للتعرّف على

(٦٥) انظر: على سبيل المثال معجم الأدباء لياقوت ٢٥٤٩/٦، والوافي بالوفيات للصفدي (٣٣٧/٣)، وبغية الوعاة للسيوطي(١٤٩/١).

(٦٦) ملاك التأويل، ١٤٦/١.

(٦٧) في طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند (٨٤/١) إشارة في الهامش إلى نسخة فيها: «الحصافي» بدلا من الحصكفي، يقول المحقق: قلت: وفي كشف الظنون لحاجي خليفة (١٨١٣/٢): الحصنكفي».

(٦٨) الدرر الكامنة ٨٩/١، طبعة دار الكتب الحديثة بمصر، وطبعة الهند، ٨٤/١.

(٦٩) قال ابن الأثير الجزري في اللباب(٣٦٩/١): الحصكفي ـ بفتح الحاء وسكون الصاد المهملتين وفتح الكاف وفي آخرها الفاء ـ: هذه النسبة إلى حِصن كيفا، وهي مدينة من ديار بكر، والمشهور بالنسبة إليها أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين محمد الحصكفي الخطيب بميّافارقين ـ وهي مدينة من بلاد الجزيرة من ديار بكر ـ، وتوفي سنة٥٥١هـ». وهذه المعلومة تفيدنا عدم صحة نسبة أبي عبد الله الخطيب إلى هذه المدينة، لأن جميع كتب التراجم اتفقت على أنه من أصفهان، وكان خطيبا بالرّيّ، وهذا يؤيد قولنا بأن ما جاء في إحدى النسخ: الحصافي تصحيف من الإسكافي. والله أعلم.

أسلوب المؤلف من خلال هذين الكتابين، ومن ثمّ فقد رأيت تشابها في الأسلوب، وفي الطريقة مما يرجح أن الكتابين «**الدرة** » و«**المجالس**» لمؤلّف واحد، ومن الأمثلة على ذلك:

يقول **الخطيب** في كتابه «**المجالس** »:

« مسألة من المعشرات في آي القرآن، وهي التي لكلّ واحد منها **عشرة أجوبةٍ** من الآيات التي **يعترض بها الملحدون** »(٧٠).

ويقول **الخطيب** في مقدمة كتابه «**درة التنزيل**»: «.. ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا، وصار المبهم المتشابه ، وتكرار المتكرّر تبياناً، **ولِطعن الجاحدين رداً، ولمسلك الملحدين سداً..** »(٧١).

وفي نهاية نفس الكتاب يشير من جديد إلى الغرض الذي من أجله ألف كتابه «الدرة» ويقول :« هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التي **يقصد الملحدون** التطرق منها إلى عيبها..»(٧٢).

ولا يخفى علينا أن في النصوص التي أوردناها من الكتابين «الدرة » و«المجالس » تشابهاً في أمر بارز، وهو:

الاتفاق بين الكتابين في الغرض الذي من أجله تناول مؤلفُهما مثل هذه الآيات.

يقول في « **المجالس** »:« مسألة من المعشرات في آي القرآن، وهي التي لكلّ واحد منها **عشرة أجوبةٍ** من الآيات التي **يعترض بها الملحدون** ».

ويقول في مقدمة كتابه «**درة التنزيل** »:«.. **ولِطعن الجاحدين رداً، ولمسلك الملحدين سداً..**».

ويقول في نهاية « **الدرة** » كما مر آنفاً: «هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التي **يقصد الملحدون التطرق منها إلى عيبها..**»(٧٣).

وهناك ملاحظة تجذب الانتباه، وهي استعمال كلمة « **والسلام** » في أواخر الآيات التي يتناولها في هذا الكتاب(٧٤) وفي كتابه «المجالس» في آخر كل مجلسٍ(٧٥).

(٧٠) مخطوطة كتاب المجالس للخطيب:(٢/أ)

(٧١) انظر من هذا الكتاب: ١/١٣٦ .

(٧٢) انظر من هذا الكتاب: ٢/٨٤٥ .

(٧٣) انظر من هذا الكتاب: ٢/ ٨٤٥ .

(٧٤) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال: ١/١٩٤، ١/ ٢٠٤ .

(٧٥) ينظر على سبيل المثال كتاب المجالس : ٩/ب ، ١٧/ب ، ١٨/ب ، ٢٠/أ ، ٢٥/أ ، ٢٩/أ .

هذه بعض **الأدلة والقرائن** التي تثبت أن كتاب « **درة التنزيل** » صحيح النسبة إلى مؤلفه **أبي عبد الله الخطيب**، وتُعيد نسبة الكتاب إلى صاحبه بعد أن تردّد طويلاً بين مؤلِّفين جمع بينهم مجرد البلد أو الكنية أو الحرفة. والله أعلم.

* * * * *

مناقشة بعض الآراء التي تنفي الكتاب عن الخطيب:

يذهب الأستاذ الدكتور أحمد فرحات[٧٦] إلى أن عدم ذكر ابن الزبير الغرناطي في كتابه «ملاك التأويل» اسمَ الخطيب يدل على شكه في نسبة كتاب «درة التنزيل» إلى الخطيب.

والسؤال هنا:

لماذا كانت عبارة ابن الزبير تدل على شكه في نسبة الكتاب إلى الخطيب فقط، ولا تدل على شكه في نسبته إلى قوام السنة الذي نسبه إليه[٧٧]، فلو سلّمنا جدلا أن العبارة تحمل معنى الشك ـ وهذا غير مسلّم ـ، فهو شك بالنسبة للجميع، وليس للخطيب فقط.

ومما يذكره الدكتور أحمد فرحات أيضا في نفي نسبة الكتاب إلى الخطيب أن الخطيب لم يعرف في التفسير..، ولم يعرف له كتاب في التفسير إلا ما قيل من نسبة كتاب «درة التنزيل»، وإن كتبه المعروفة كلها في الأدب واللغة، وهي: «مبادئ اللغة»، و«الغرة» في بعض ما يغلط به أهل الأدب، و«لطف التدبير في سياسة الملوك»، و«غلط كتاب العين»، و«نقد الشعر»، و«نقض العثمانية» ـ وهي للجاحظ ـ، و«شرح كتاب سيبويه»[٧٨].

أقول جوابا على هذه النقطة:

هل هناك تعارض بين اللغة والتفسير؟ والتفسير من أسسه اللغة، وكثير من علماء اللغة ألفوا في تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه، بل إن الزمخشري وهو إمام من أئمة اللغة، وضع أعظم كتبه في التفسير من حيث اللغة والبلاغة، وهو «الكشاف»، مع علمنا بما شانه به من الاعتزاليات.

---

(٧٦) ينظر: مقالة الدكتور أحمد فرحات التي نشرت في مجلة الشريعة الكويتية، في العدد الخامس عشر، جمادى الأولى، ١٤١٠هـ ديسمبر ١٩٨٩م، (ص ٥٥)، وهي مجلة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر.. وفيما بعد سيأتي الكلام على موضوع هذه المقالة.

(٧٧) الدكتور أحمد فرحات ذكر بعض المرشحات التي يراها من الأدلة الكافية لنسبة الكتاب إلى قوام السنة، وسيأتي بيان موقفنا مما ذكره هناك إن شاء الله تعالى.

(٧٨) المجلة السابقة، ص ٥٥ .

وهكذا أثار الدكتور أحمد فرحات جملة من أمثال هذه الأقوال، وكلها لا تثبت عند البحث والتمحيص العلمي.

لكن الأستاذ الدكتور أحمد فرحات بعد هذه الجولة ينسب الكتاب إلى قوام السنة الأصبهاني، وسنعود لمناقشة هذا بعد نفي نسبة الكتاب إلى الراغب الأصفهاني إن شاء الله تعالى.

* * * * *

كتاب « درة التنزيل..» ليس للراغب الأصفهاني :

وقد نَسب كتاب درة التنزيل إلى **الراغب** بعضُ الذين نقلوا عن الكتاب مثل الإمام **الآلوسي**(١٢١٧هـ)، صاحب « روح المعاني »، حيث نقل عن كتاب « **الدرة** » أكثر من مرة ونسبه إلى الراغب، ومن الأمثلة على ذلك:

يقول **الآلوسي** رحمه الله: « وعن **الراغب** معنى قوله تعالى:﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا..﴾[٧٩][المنافقون:٧]: أنهم يأمرون بالإضرار بالمؤمنين وحبس النفقات، ولا يفطنون أنهم إذا فعلوا ذلك أضروا بأنفسهم، فهم لايفقهون ذلك ، ولا يفطنون له.. »[٨٠].

هذه العبارات تقارب تماماً عبارات الخطيب في «**درة التنزيل** »[٨١].

والآلوسي رحمه الله أحيانا ينقل عن «**الدرة** » ولا يصرح باسم مؤلفه، وهذا يدلنا على أنه إما نقل بالواسطة وإما أنه يشك في نسبته إلى الراغب، حيث يقول:

«**وقال بعضهم**: قدّم أمر خلق الإنسان من نطفة لأن النعمة في ذلك قبل النعمة في الثلاثة بعد، ثم ذكر بعده ما به قوام الإنسان من فائدة الحرث وهو الطعام الذي لا يستغني عنه[٨٢] الجسد الحيّ، وذلك الحب الذي يختبز فيحتاج بعد حصوله إلى حصول الماء ليعجن به..»[٨٣].

هذه العبارة تقارب أيضا من عبارات الخطيب في « **درة النزيل** »[٨٤].

وفي بعض الأحيان يصرح الآلوسي باسم **الراغب**، ولكنه ينقل بصيغة التمريض حيث يقول : « ونقل عن **الراغب** ما يدل على أن المقام في هذه الآية مقام الضمير حيث ذُكر عنه أنه قال في **درة التنزيل**:.. »[٨٥].

إن أول ما يطالعنا في هذه المواضع التي نقل فيها الآلوسي عن كتاب « **درة التنزيل** » أن الآلوسي لايستخدم صيغة الجزم، وإنما يذكر العبارات التالية:« **عن الراغب** »[٨٦]، و«**نقل عن الراغب**»[٨٧]، و« **قال بعضهم**»[٨٨].

---

(٧٩) تكملة الآية:﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على مَن عند رسول الله حتىّ يَنْفضّوا..﴾

(٨٠) روح المعاني للآلوسي، ١١٦/٢٨ .

(٨١) ينظر للمقارنة: درة التنزيل وغرة التأويل ٧٨٢/٢.

(٨٢) في روح المعاني: عند، وهو خطأ، وأثبته من درة التنزيل.

(٨٣) روح المعاني للآلوسي، ١٥٠/٢٧ .

(٨٤) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٧٦٣/٢.

(٨٥) روح المعاني للآلوسي، ١٣٤/٢١ ، حيث نقل كلام صاحب الدرة بتصرف، وانظر درة التنزيل في الآية الثانية من سورة السجدة. ٦٥٠/٢.

(٨٦) روح المعاني، ١١٦/٢٨ .

(٨٧) المرجع السابق، ١٣٤/٢١ .

والذي يبدو ـ وا لله أعلم ـ أن وجود اسم **الراغب الأصبهاني** على غلاف النسخة التي وقف عليها **الآلوسي** هو الذي أدىّ إلى هذا الخطأ، حيث إنه أثبت ما وجده على الغلاف، علما بأن جميع النسخ المنسوبة إلى الراغب ـ كما أشرنا سابقا ـ انفردت من بين النسخ المنسوبة إلى الخطيب بعدم ورود اسم الراوي، واسم الكتاب، واسم مؤلفه في مقدمة الكتاب.

كما حصل ذلك **لأبي عبد ا لله البلنسي** (ت٧٨٢هـ) في كتابه تفسير مبهمات القرآن الموسوم بـ «**صلة الجمع وعائد التذييل**..»(٩٢)، حيث نسب كتاب «**درة التنزيل** » إلى راويه ابن أبي الفرج الأردستاني(٩٣)، لوجود اسمه على غلاف بعض النسخ، وهو في الحقيقة من تأليف الخطيب بدليل ما كتب في مقدمة تلك النسخ من أنه قد أملاه عليه **أبو عبد ا لله محمد بن عبد ا لله الخطيب** في القلعة الفخرية إملاءً(٩٤).

ومما ينفي نسبة الكتاب إلى الراغب أيضاً وجود الناقلين عن الكتاب، القريبين من عهد المؤلف كأبي مسلم، والكرماني اللذين صرحا باسم أبي عبد ا لله الخطيب(٩٥)، إذ أنّ هذا الاسم والكنية لا يشترك فيهما الراغب الأصفهاني، الذي هو الحسَين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني(٩٦).

ومن الأدلة التي تنفي أيضاً نسبة الكتاب للراغب عدم وجود تشابه بين الكلمات التي فسّرها الراغب في المفردات وبين الكلمات المفسرة في الدرة، ومن أمثلة ذلك:

قال **الراغب** في «**المفردات** » في معنى الوليجة:« الولوج: الدخول في مضيق، قال تعالى:﴿حتى يلِج الجملُ في سمِّ الخِياط﴾ [الأعراف:٤٠]..، والوليجة: كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله، من قولهم: فلانٌ وليجةٌ في القوم: إذا لحِق بهم وليس منهم؛ إنساناً كان أو غيره.. »(٩٧).

---

(٩١) المرجع السابق، ٢٧/١٥٠.

(٩٢) طبع هذا الكتاب بتحقيق الزميلين الدكتور حنيف القاسمي، وعبد ا لله عبد الكريم العوضي (نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)

(٩٣) ينظر تفسير البلنسي، حيث إنه يقول (٢/٢٢٤):« ذكره الأردستاني » ، وفي (٢/٢٤٩):« هذّبته من كلام الأردستاني رحمه ا لله »، وفي (٢/٣٩٥):« ذكر ذلك الأردستاني في كتاب الدرة »، ويقول في(٢/٤٠٩):« ذكر ذلك الإمام أبو إسحاق الأردستاني في كتاب درة التنزيل ».

(٩٤) انظر نسخة كوبريلي (ك)، ونسخة دار الكتب المصرية (د) ، في ورقة العنوان وفي مقدمة كلٍ منهما.

(٩٥) ينظر: البرهان في متشابه القرآن للكرماني:ص ١١١ ، ١٤٠ ، ١٧٤ .

(٩٦) ينظر: تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي، ص١١٢ ، وبغية الوعاة للسيوطي، ٢/٢٩٧ .

(٩٧) المفردات للراغب، ص٨٨٢ .

وقال **الخطيب** في بيان معنى الكلمة نفسها: فقولك:« وَلَجَ، بمعنى « دخـل »، والوَلِيجَـة: المدخل، وهو الوسيلة التي يدخل بها[٩٥] الإنسان حريم الإنسـان، كالبـاب المفتـوح لـه يفعـل فِعله.. »[٩٦].

مثال آخر:

قال **الراغب** في معنى السـلطان:« السّـلاطة: التمكّـن مـن القهـر، يقـال: سـلّطْتُه عليـه، فتسلّط، قال تعالى:﴿ولو شاء الله لسلّطهم﴾ [النساء:٩٠]..، ومنه سمّي السـلطان، والسـلطانُ: يقال في السلاطة، نحو:﴿ومن قُتِل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً﴾[الإسراء:٣٣]..، وقـد يقـال لذي السلاطة، وهو الأكثر، وسمّي الحجة سلطانا..،والسَّليط: الزيت بلغة أهل اليمن..»[٩٧].

وقال **الخطيب** في « **درة التنزيل** »:« وحقيقة **السلطان** من السّلِيط، وهو الزيت الذي يضيء به السّراج، والسلطان: الحجّة، لأنها تضيء ، فتُبيِّن الحقّ من الباطل ، والسلطانُ الذي يملك الناس ضياء يدفع ظلام الظُّلم عنهم، إذ كانوا لولا هو لَصـاروا مـن التغـاور[٩٨] والتنـاهب[٩٩] في ظـلامٍ يـتزايد ولا يتناقص، كأنه ضياءٌ يجلو ظلام الدنيا))[١٠٠].

في هذين المثالين يتضح لنـا الفـارق بـين الأسـلوبين، وأنهمـا لشـخصين مختلفـين، وأن عبـارات **الخطيب** وألفاظه يغلب عليها الطابع الأدبي السهل، ولا شك أن هذا لا يستغرب مـن **الخطيـب** لأنـه ـ كما مر ـ أديب لغوي، اختصر « **كتاب العين** » للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، وهـو أول معجـم للغـة العربية. والله أعلم.

مناقشة من ينسب الكتاب إلى الراغب :

وقد اطّلعت على مقالتين للدكتور **عمر عبد الرحمن الساريسي** في موضـوع نسبة كتـاب «**درة التنزيل وغرة التأويل** » إلى مؤلفه : إحداهما في مجلة اللغة العربية بدمشق بعنوان:« **كتـاب درة التـنزيل وغرة التـأويل لـلراغب، وليـس للخطيـب الإسـكافي** »[١٠١]، والأخـرى في مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة الأردني[١٠٢]، بعنوان:

« **تحقيق نسبة كتاب درة التنزيل وغرة التأويل**» .

(٩٥) في(ك): لها.

(٩٦) انظر من هذا الكتاب: ٢٠٨/١ .

(٩٧) المفردات للراغب، ص٤٢٠ .

(٩٨) التغاور مصدر تغاور، من أغار بعضهم على بعض. (انظر القاموس المحيط، ص٥٨٢ غور).

(٩٩) أي من التسابق، تقول اللغة:تناهب المتسابقان: ناهب كل واحد منهما صاحبه.(المعجم الوسيط، ص٩٥٦).

(١٠٠) انظر من هذا الكتاب: ٤٧٦/١ .

(١٠١) الجزء الأول، المجلد ٥١ (١٣٩٦ محرم ـ ١٩٧٦ كانون الثاني). الصفحات(١١٤ ـ ١١٧).

(١٠٢) العدد المزدوج ٣ ـ ٤ ، السنة الثانية،(ص٩٦ ـ ٩٨) ، وهذه المقالة الثانية نشرت حرفيا في كتاب صاحبها، وهو " الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب"، « ص ٧٤ ـ ٨٢ »(مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

وينفي فيهما **الدكتور الساريسي** أن يكون الخطيب مؤلّفا لكتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل** » ، ويحاول إثبات نسبته إلى **الرغب الأصفهاني**، قائلا:

« تنسب بعض المصادر هذا الكتاب **لأبي عبد ا لله محمد بن عبد ا لله المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى ٤٢٠هـ**، كما نرى في «**معجم الأدباء** » لياقوت[١٠٣]، وفي «**الإتقان في علوم القرآن** » للسيوطي[١٠٤]، بل إن هذا الكتاب قد طبع مرتين فيما أعلم، منسوبا إليه أيضا.

ونسبة هذا الكتاب إلى هذا المصنّف بحاجة إلى إعادة نظر؛ ذلك أنني وجدته، وأنا أنقب في بحثي هذا، منسوبا لمصنف آخر ، هو **الراغب الأصفهاني**، الحسين بن مفضل بن محمد، الذي عاش إلى أوائل المائة الخامسة، وذلك بتعديل طفيف أجري على العنوان ليصبح **درة التنزيل في متشابه التنزيل** ». ثم يشير إلى أرقام النسخ التي ذُكر على أغلفتها اسم **الراغب** صريحا، مع بعض اختلاف في عنوان الكتاب من نسخة إلى أخرى، ثم يقول **إن تلك النسخ تلتقي في أمرين هامين، هما:**

« ـ النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني.

ـ والمادة الأساسية التي يقوم عليها الكتاب من إدارة الفروق الدقيقة بين الآيات القرآنية المتشابهة الصيغ والتراكيب »[١٠٥].

وهكذا لمجرّد وجود اسم الراغب على تلك النسخ السابقة يرى الدكتور **الساريسي** أويجزم بنسبة الكتاب إلى الراغب، وينفيها عن الخطيب.

والحقيقة أن وجود اسم الراغب على أغلفة بعض النسخ قد أوهم عدداً من الباحثين[١٠٦] أن الكتاب للراغب الأصفهاني، وليست الحال كذلك، لأنه ليس للراغب كتاب باسم « **درة التنزيل وغرة التأويل** »، وإنما ذكروا له كتابا اسمه « **غرة التنزيل ودرة التأويل**» كما قال ذلك **ظهير الدين البيهقي**(ت.٥٦٠هـ) في كتابه «**تاريخ حكماء الإسلام**[١٠٧]»، وقد

(١٠٣) معجم الأدباء ، ٢٥٤٩/٦ .

(١٠٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٣٣٩/٣.

(١٠٥) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ العدد المزدوج ٣ ـ ٤(ص ٩٦ -٩٨).

(١٠٦) وقع في هذا: الأستاذ محمود الدغيم في مقدمة تحقيقه لكتاب **عمدة الحفاظ** طبعة تركيا حيث قال (ص٥):« بينما نجد أن الراغب الأصبهاني قد ألف المفردات، قبل درة التأويل في غرة التنزيل في الآيات المتشابهة والمكررة، توجد منه نسخة في مكتبة أسعد أفندي في السليمانية تحت رقم ١٧٦ أشار أنه ألفها بعد **المفردات**، وبعدها ألف جزءا من التفسير، ثم توفي رحمه ا لله. ويجدر الانتباه إلى أن كتاب **الراغب** هذا قد طبع مرارا ونسب إلى **الخطيب** الإسكافي، دون تدقيق حيث توجد منه ثلاث مخطوطات قد عزيت للراغب وهي مطابقة لما طبع ».

ووقع في هذا أيضاً الأخ **صفوان عدنان داوودي** في مقدمة تحقيقه لكتاب « **المفردات** » للراغب، (ص٨ ـ ٩) .

(١٠٧) تاريخ حكماء الإسلام ، ص٦٢.

وقد ذُكر هذا الكتاب أيضا باختلاف يسير في العنوان وهو « **درة التأويل في متشابه التنزيل** » منسوبا إلى **الراغب** في بعض كتب التراجم الأخرى التي تقدمت الإشارة إلى بعضها، مثل «**كشف الظنون** »[١١١].

هذا، ومن ناحية أخرى فإن النسخ المنسوبة إلى الراغب لم تورد اسم الكتاب ولا اسم المؤلف في المقدمة، حيث وقع سقط في مقدمة تلك النسخ، ووقع فيها اختلاف جوهري أيضا حيث لم يُذكر فيها كلام راوي الكتاب الذي يصرح عادة باسم الكتاب وصاحبه بخلاف النسخ المنسوبة إلى الخطيب، ففيها تصريح باسم الكتاب، ومؤلفه الخطيب.

ثم يذكر **الدكتور عمر الساريسي** دليلا آخر ـ حسب رأيه ـ يستدل به على نسبة كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل » **للراغب الأصفهاني** فيقول: « ويدعم القول بصحة هذه النسبة للراغب، إلى جانب هذه الإشارات[١١٢] ، إشارة الراغب نفسه في بعض مصنفاته إليه، من جهة، وإشارته فيه إلى بعض كتبه المتواترة نسبتها إليه، من جهة أخرى »[١١٣].

كما نلاحظ أن **الدكتور الساريسي** ذكر في هذا الدليل إشارتين ـــ إلى جانب الإشارات السابقة ـ ينطلق منهما في تحقيق نسبة الكتاب للراغب.

يقول الدكتور الساريسي في الإشارة الأولى من هذا الدليل:

« فهو[١١٤] في مقدمة كتاب «**مفردات ألفاظ القرآن الكريم** » يشير إليه في قوله:« وأتبع هذا الكتاب ـ أي المفردات ـ، إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل، بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من إخوانه، نحو ذكره **القلب** مرة، **والفؤاد** مرة، **والصدر** مرة، نحو ذكره تعالى في عقب قصة:﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ [الروم:٣٧] وفي أخرى:﴿لقوم يتفكرون﴾[يونس:٢٤]، وفي أخرى:﴿لقوم يعلمون﴾[البقرة:٢٣٠]، وفي أخرى:﴿لقوم يفقهون﴾ [الأنعام:٩٨]، وفي أخرى:﴿لأولي الأبصار﴾ [آل عمران:١٣]، وفي أخرى:﴿لذي حجر﴾ [الفجر:٥]، وفي أخرى:﴿لأولي النهى﴾ [طه:٥٤] ونحو ذلك مما يعده من لا يُحِقُّ الحق ويبطل الباطل، أنه باب واحد، فيقدر أنه إذا فسر ﴿الحمد لله﴾ بقوله: الشكر لله، و﴿لاريب فيه﴾ بـ **لا شك فيه** ، فقد فسر القرآن ووفاه التبيان »[١١٥].

(١١١) ١/ ٧٣٩ .

(١١٢) يعني بالإشارات: ما رآه دليلا على نسبة الكتاب للراغب الأَصفهاني من وجود النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني على تلك النسخ المخطوطة التي وقف عليها .

(١١٣) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، س٩٩.

(١١٤) أي الراغب الأصفهاني.

(١١٥) مقدمة كتاب المفردات للراغب، ص ٥٥ .

ثم يقول الدكتور **الساريسي** تعقيبا على كلام الراغب السابق[١١٣]:

« إنه في مقدمة **المفردات** رسم خطة هذا الكتاب[١١٤]:« لَينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة »، أي ليوضح ما بين المفردات من فروق دقيقة يخيل للقارئ أنها مترادفة على معنى واحد، وذلك كما يمثّل للقلب والفؤاد والصدر، وكما يمثّل للآيات:﴿لقوم يؤمنون﴾ ، و﴿لقوم يتفكرون﴾ ، و﴿قوم يعلمون﴾ و﴿يفقهون﴾، و﴿وأولي الأبصار﴾، و﴿أولي النهى﴾، و﴿ذي حجر﴾. وهي أمثلة نافذة في ملاحظة الفروق الدقيقة بين الصيغ المتشابهة ».

ثم يقول الدكتور **الساريسي**[١١٥]:« وهو ينجز ما يعد به، وذلك في الآية السادسة في سورة المائدة قوله تعالى:﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة:٤٤]، وبعده:﴿فأولئك هم الظالمون﴾ [المائدة:٤٥]، وبعده:﴿فأولئك هم الفاسقون﴾[المائدة:٤٧].

ثم يقول **الساريسي**:« ويضيف ـ أي الراغب ـ:« وللسائل أن يسأل فيقول: الموضع[١١٦] الذي وصف فيه من لم يحكم بكتاب الله بالكفر، هل باين الموضع الذي وصف فيه من ترك حكم الله بالظلم والفسق ؟» ثم يأخذ في الإجابة، للتدليل على أن ثمة فروقا في المعنى بين هذه الآيات »[١١٧].

ثم يستمر الدكتور **الساريسي** قائلا:« وكذلك يفعل في المسألة العاشرة من سورة الأنعام، في قوله تعالى:﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأنعام:٩٧]، والآية الثانية بعدها:﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ [الأنعام:٩٨]، والآية الثالثة:﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ [الأنعام:٩٩].

ثم يضيف الدكتور فيقول:« وكذلك يفعل في مختلف مسائل آيات هذا الكتاب، فهو يعدد الآيات المتشابهة في السورة أو في السور ، ثم يثير الأسئلة عن الفروق المعنوية بينها ثم يجيب عليها »[١١٨].

هذا الذي استدل به الدكتور **الساريسي** في الإشارة الأولى من الدليل السابق على نسبة الكتاب للراغب لا يصلح أن يكون دليلا، لما بيناه سابقا.

---

(١١٣) مجلة اللغة العربية الأردني السابقة، ص٩٩ .

(١١٤) يعني بذلك كتاب " درة التنزيل وغرة التأويل " حسب رأيه.

(١١٥) مجلة اللغة العربية الأردني السابقة، ص٩٩ .

(١١٦) في المقالة المذكورة: الموضوع.

(١١٧) مجلة اللغة العربية الأردني السابقة، ص١٠٠ .

(١١٨) في مجلة المشار إليها سابقا: ٩٩ ـ ١٠٠.

ومما يؤيد كلامنا هذا ذلك المقال الطويل الذي رد به **الدكتور أحمد فرحات** على مقالة الدكتور الساريسي السابقة وجعل عنوانه:

«**كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لا تصح نسبته إلى الراغب الأصفهاني** »[١١٩].

وقد ناقش **الدكتور أحمد فرحات** ما استدل به **الدكتور الساريسي** ـ في الدليل السابق بالإشارتين اللتين تشكّلان نقطة انطلاق له ـ على أن الكتاب للراغب فقال[١٢٠]:

« سبق أن رأينا أن الأخ الكاتب يعتبر الكتاب الذي أشار إليه **الراغب** في مقدمة كتاب «**المفردات**» بعنوان « **تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة** » هو نفس الكتاب المسمى بـ« **درة التنزيل وغرة التأويل** » مع تعديل طفيف في العنوان ».

اعترض **الدكتور أحمد فرحات** على هذا الاعتبار قائلا:

« ونقول للأخ الكاتب:

إن هناك اختلافا جوهريا بين عنواني الكتابين، وليس اختلافا طفيفا كما زعم، بل إن هذا الاختلاف بين العنوانين يؤدي إلى اختلاف كبير بين موضوعي الكتابين كما هو واضح من صفة كل منهما:

فكتاب « تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد » هو أولا كتاب في الألفاظ المترادفة التي يظن الناس عدم وجود فروق بينها، ومن ثمّ يمكن استعمالها بمعنى واحد. وقد مثّل لها **الراغب**: بـ«**القلب**»، و«**الفؤاد**»، و «**الصدر** »، وقد ألحق **الراغب** بالألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ما تختتم به الآيات مما يظنّه بعض الناس أنه باب واحد، وقد أشار إلى ذلك بقوله:«ونحو ذكره تعالى في عقب قصة:﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾[الروم٣٧]، وفي أخرى:﴿لقوم يتفكرون﴾[يونس:٢٤] وفي أخرى:﴿لقوم يعلمون﴾[البقرة:٢٣٠] وفي أخرى:﴿لقوم يفقهون﴾[الأنعام:٩٨] وفي أخرى:﴿لأولي الأبصار﴾[آل عمران:١٣]، وفي أخرى:﴿لذي حِجر﴾[الفجر:٥]، وفي أخرى:﴿لأولي النهى﴾[طه:٥٤]، ونحو ذلك مما يعده مَن لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد... »..

وأما كتاب « **درة التنزيل وغرة التأويل** » فهو في بيان الآيات المتشابهات تشابها لفظيا، وليس هو من باب « تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة».

(١١٩) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية في العدد الخامس عشر، جمادى الأولى ١٤١٠هـ ديسمبر ١٩٨٩م، (ص ٢٣ ـ ٨٠). وفي هذه المقالة الطويلة حاول الدكتور أحمد فرحات أن يثبت نسبة الكتاب لإسماعيل بن محمد المعروف بقوّام السنّة المتوفى سنة ٥٣٥هـ، سنؤخر الكلام عليه إلى ما بعد من هذا الكتاب: ٨٠/١ .

(١٢٠) المجلة السابقة، (ص٣٤ ـ ٤١) .

فكتاب «**المفردات** » يشير إلى كتابٍ في « تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد»، والألفاظ المترادفة تختلف في اللفظ وتشترك في المعنى. أما « **درة التنزيل** » فهو في الآيات المتشابهة في اللفظ ، والمختلفة في المعنى، نتيجة لاختلاف السياق الذي وردت فيه، ومن ثم فهناك فرق كبير بين موضوعي الكتابين:

الأول(١٢١): يكون التركيز فيه على الألفاظ التي يظن فيها الاتفاق في المعنى، فيبيّن ما بينها من الفروق الدقيقة والغامضة.

والثاني: يتناول الآيات المشتركة في الألفاظ، ليبيّن مناسبة كل لفظ للسياق الذي ورد فيه، مراعيا معنى الآية. وكذلك ما ذُيِّلت به الآيات ﴿لقوم يفقهون﴾، أو ﴿يعقلون﴾، أو ﴿يؤمنون﴾، فكتاب " تحقيق الألفاظ " يتناولها من جانب بيان الفروق بين ﴿يفقهون﴾ و﴿يعقلون﴾ و﴿يؤمنون﴾ لبيان الفروق بين هذه الكلمات، بينما يتناولها «درة التنزيل» باعتبار التشابه الوارد في ألفاظ الآية:﴿إن في ذلك لآيات﴾، ﴿إن في ذلك لآيات﴾ ومناسبة كل تذييل لما سبقه من الآيات المشار إليها ».

ثم يقول **الدكتور أحمد فرحات**:« وما أظن أن الأخ الكاتب باستطاعته أن يأتي بالفروق الغامضة الدقيقة بين « **القلب** »، و « **الفؤاد** » ، و « **الصدر** »، وبين قوله ﴿لذي حجر﴾، و﴿لأولي النهى﴾ التي أشار **الراغب** إليها من كتابه " درة التنزيل "، لأن كتاب "درة التنزيل" لم يقصد إلى هذا.

وما جاء فيه من الكلام على قوله تعالى:﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [المائدة:٤٧]، لم يكن بهدف بيان الفرق بين الكفر والظلم والفسوق، وإنما للاشتراك في لفظ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ بين الآيات الثلاث، ولبيان المناسبة بين كل لفظ، والموضع الذي ذكر فيه...، ومن ثمّ لم يبيّن صاحب «درة التنزيل » الفروق بين الكفر والظلم والفسوق ».

وكذلك ما جاء في سورة الأنعام من قوله تعالى:﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأنعام:٩٧]، وبعدها:﴿لقوم يفقهون﴾ [الأنعام:٩٨]، وبعدها:﴿لقوم يؤمنون﴾ [الأنعام:٩٩]، وهو المثال الثاني الذي استشهد به الأخ الباحث على بيان الفروق الدقيقة الغامضة بين المفردات.

ثم أورد ما قاله **صاحب درة التنزيل** في توجيه الآيات الثلاث من سورة المائدة، وهي:

« قوله عز وجل:﴿..ومَنْ لَمْ يحكمْ بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[المائدة:٤٤].

---

(١٢١) هو كتاب « تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد » .

وبعده:﴿..فأولئك هم الظالمون﴾[المائدة:٤٥].

وبعده:﴿..فأولئك هم الفاسقون﴾[المائدة:٤٧].

وكذلك أورد ما قاله **صاحب الدرة** في توجيه الآيات الثلاث من سورة الأنعام ، وهي:

قوله تعالى:﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأنعام:٩٧].

والآية الثانية بعدها:﴿وقد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ [الأنعام:٩٨].

والآية الثالثة:﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ [الأنعام:٩٩].

ثم يعلق الدكتور أحمد فرحات على ذلك فيقول:

« وهكذا نرى بعد أن ذكرنا تفصيل ما جاء في المثالين، أنهما لا يصح فيهما ما قاله الأخ الباحث: من أن الراغب أنجز ما وعد به من بيان الفروق الدقيقة الغامضة في الألفاظ المترادفة، كما لا يصح قوله:« إنه يفعل ذلك في مختلف مسائل آيات هذا الكتاب »[١٢٥].

ثم يمضي الدكتور أحمد فرحات يناقش الدكتور الساريسي في الإشارة الثانية[١٢٦] من ذلك الدليل فيقول:

« يقول الأخ الكاتب: أما إشارته في هذا المصنف نفسه، أي : «درة التنزيل وغرة التأويل » إلى مصنفاته الأخرى، فقد وردت في عرضه لما في سورة «الكافرون »:﴿قل يا أيها الكافرون ﴾ لا أعبد ما تعبدون ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ لكم دينكم ولي دين﴾ من تكرار، إذ يقول على إحدى صفحات مخطوطة «درة التأويل في متشابه التنزيل »:

« إن سأل سائل عن التكرار في هذه السورة، فالجواب أن يقال: إنا قد أجبنا في «**جامع التفسير**» عن ذلك بأجوبة كثيرة، فنذكر منها واحدا في هذا الموضع..»، وينهي إجابته بقوله:« فلم يقع تكرار على هذا الوجه، ولا على الأوجه الأخر التي ذكرنا في **جامع التفسير** ».

ثم يقول **الكتور الساريسي**:« وحينما راجعت كتب **الخطيب الإسكافي** لم أجد فيها « جامع التفسير » هذا ، بل إنه هو تفسير الراغب الموجود في مكتبة أياصوفيا برقم ٢١٢ في إستانبول، وهو باسم جامع التفسير بعينه »[١٢٧].

ويقول الدكتور أحمد فرحات تعقيبا على هذا الكلام:

« ونقول للأخ الكاتب: إن ما وصلنا من تفسير الراغب، لم يرد فيه، ما يشير إلى أن المؤلف قد سماه باسم « الجامع »، فهذه مقدمة تفسيره يقول فيها الراغب:« القصد في هذا الإملاء

(١٢٥) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية، ص ٣٩ .

(١٢٦) هي إشارة الراغب ـ حسب رأيه ـ في «درة التنزيل » إلى بعض كتبه التي تواترت نسبتها إليه.

(١٢٧) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ص ١٠٠ ، و الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص ٧٧.

- إن نَفَّس[١٢٥] الله في العمر - ووقانا من نُوَب[١٢٦] الدهر - : وهو مرجو أن يسعفنا بالأمرين - أن نبين من تفسير القرآن وتأويله نُكَتاً بارعة تنطوي على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين[١٢٧] ومَن دونهم من السلف المتقدمين - رحمهم الله - إشارة مجملة، ونبين من ذلك ما ينكشف عنه السر، ويَثْلَج[١٢٨] به الصدر..»[١٢٩].

ثم إن النسختين الموجودتين من تفسير الراغب في المكتبة السليمانية تحملان اسم «تفسير القرآن العظيم» للعالم العلامة الراغب الأصفهاني، وكذلك لم يسمه صاحب معجم الأدباء، وإنما قال:« له كتاب تفسير القرآن وهو كبير »[١٣٠].

ويمضي **الدكتور أحمد فرحات** قائلا: « ثم إن بعض المترجمين للراغب ذكروا أن للراغب تفسيرا، ولكنه لم يتمه[١٣١]، وما بين أيدينا من نسخ تفسير الراغب يؤكد هذه الحقيقة. وهذا يعني أن الإحالة التي وردت في سورة «الكافرون » في كتاب «درة التنزيل» على «جامع التفسير » لا يمكن أن تكون إلى «تفسير الراغب»، لأن سورة «الكافرون»، في آخر القرآن، ومن ثمّ لا يمكن أن يكون الراغب قد فسرّها، لأنه لم يتمّ تفسيره ».

ثم يقول **الدكتور أحمد فرحات**:« وبناء على هذا فلا يمكن الجزم بأن اسم تفسير الراغب هو « جامع التفسير» لمجرد ورود ذلك في بعض النسخ الخطية دون تحقيق ».

ثم يشير الدكتور هنا إلى إعادة النظر في تسمية تفسير الراغب حيث يقول:« وبناء على هذا التحقيق لابد من إعادة النظر فيما سبق أنْ سمّيناه «مقدمة جامع التفاسير » والذي طبع[١٣٢] بتحقيقنا»[١٣٣].

ثم يمضي **الدكتور أحمد فرحات** يناقش الساريسي فيما ذهب إليه من آراءٍ حول عنوان الكتاب، ومقدمة الكتاب، والإملاء، والتمهيد للمسائل في مادة الكتاب، ومادة الكتاب.

ولا أريد أن أتعرض لهذا كله، لأن ما ذكره **الدكتور الساريسي** في المواضع السابقة لإثبات نسبة كتاب « **درة التنزيل** » للراغب الصفهاني لا يعدو أن يكون مجرد رأي لا يملك عليه دليلا قويا.

---

(١٢٥) أي أمهل وأطال.

(١٢٦) النُوَب جمع النُوبة، وهي النازلة والمصيبة. (ينظر: المعجم الوسيط، ص٩٦١).

(١٢٧) كلمة " والتابعين " سقطت في المقالة، وأثبتت من مقدمة الراغب، ص٢٧ .

(١٢٨) أي يرضي ويطمئن.

(١٢٩) مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني، ص ٢٧ .

(١٣٠) مقالة الدكتور أحمد فرحات:٤٢ .

(١٣١) سير أعلام النبلاء، المجلد ١٨، حاشية صفحة ١٢١ ، ومقالة الدكتور فرحات، ص٤٢ الهامش٣ .

(١٣٢) طبعت تلك المقدمة بتحقيق د/ أحمد فرحات في دار الدعوة، بالكويت ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

(١٣٣) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية في المقالة التي رد فيها الدكتور فرحات على الساريسي في نسبة الكتاب إلى الراغب، ص٤٢، الهامش (٤) .

وإنما أطلنا النقل نوعاً ما عن **الدكتور أحمد فرحات** لسببين:

أ ـ لتأكيد وجهاتنا في نفي الكتاب عن الراغب.

ب ـ وأيضاً تمهيداً لمناقشة وردّ الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ الدكتور أحمد فرحات من نسبة الكتاب إلى **إسماعيل بن محمد الأصبهاني المعروف بقوام السنة** (ت٥٣٥هـ).

مناقشة من نسب الكتاب لقوام السنة الأصفهاني:

فلقد حاول الدكتور أحمد فرحات أن يثبت كتاب درة التنزيل لإسماعيل بن محمد المعروف بقوام السنة (١٣٤) بعد أن نفى نسبة الكتاب إلى كلٍّ من الراغب والخطيب .

وهذه دعوى أهون من سابقتها على كل حال، وأيسر في الرد والإبطال ، لأن نسبة الكتاب إلى أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ، المعروف بقوام السنة لا تصح لما يأتي:

١ ـ لأنه لم يرد اسمه على أيّ من مخطوطات هذا الكُتاب الكثيرة، ولا مطبوعاته، ولا في الكتب التي ترجمت له، وما ذكره الدكتور أحمد فرحات من احتمال أن النسّاخ حرّفوا اسم المؤلف وغيروه غير مسلّم، وهو احتمال بعيد.

والذي أوقع الدكتور أحمد فرحات في هذا هو وجود تشابهٍ في الكنية وبعض الاسم بين أبي القاسم الحسين بن محمد المفضل الأصفهاني المعروف بالراغب، والذي نفى أن يكون الكتاب له، وبين أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفباني المعروف بقوام السنة.

٢ ـ كذلك لا يمكن أن يكون الكتاب لقوام السنة، نظرا لأن **قوام السنة** من أهل القرن السادس، حيث توفي سنة ٥٣٥هـ، وكتاب « **درة التنزيل** » كان قبل ذلك بكثير، حيث قد استفاد منه **أبو مسلم محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن مهر يزد الأصبهاني**(٤٥٩هـ) في تفسيره، كما يشير إلى ذلك الكرماني في مقدمة كتابه « **البرهان** » إذ يقول:« وروى أبو مسلم في تفسيره عن **أبي عبد الله الخطيب** كلمات معدودات منها، وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغت إليها..»(١٣٥).

٣ ـ لم يسبق لأحدٍ من معاصري قوام السنة، أو ممن ترجموا له أن نسب الكتاب إليه، ولو على سبيل الظن والاحتمال، وبالتالي فلا يوجد مصدر واحد يمكن للدكتور أحمد فرحات أن يستند إليه في هذه النسبة المستحدثة.

(١٣٤) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية (٧١ ـ ٨٠).

(١٣٥) البرهان في متشابه القرآن للكرماني، ص١١١ .

٤ ـ وأما ما ذكره الدكتور أحمد فرحات من أنه « لا يوجد كتاب يحمل اسم **الجامع في التفسير** لفظا إلا كتاب أبي القاسم إسماعيل بن محمد المعروف بقوام السنة، والذي ذكره معظم من ترجموا له» فغير مسلّم، لأن مؤلف كتاب درة التنزيل سمىّ تفسيره في سورة «الكافرون » مرتين بعنوان «جامع التفسير » ، **حيث جاء على لسانه** :« إنا قد أجبنا في جامع التفسير..» وفي آخر السورة قال:«.. فلم يقع تكرار على هذا الوجه، ولا على الوجوه الأخر التي ذكرنا في جامع التفسير »[١٣٦]، فأين هذا من كتاب يحمل اسم «الجامع في التفسير »؟

وما ذهب إليه من أن هذا العنوان « الجامع في التفسير » لا ينطبق إلا على كتاب واحد، يعود إلى مؤلف واحد، وهو أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني (ت٥٣٥هـ) **فغير مسلّم أيضا**، لأن هذا الكتاب بنفس العنوان « الجامع في التفسير » ذُكر أيضاً من مؤلفات أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ)، مما يبعد هذا الاحتمال الذي أورده الدكتور أحمد فرحات[١٣٧].

وأمّا ما ذكره **الدكتور أحمد فرحات** من أن كتاب «جامع التفسير » الذي ورد اسمه في سورة «الكافرون » من كتاب «درة التنزيل » فلم تذكر كتب التراجم أن للخطيب كتابا بهذا العنوان، فغير مسلَّم أيضا، إذ أن للخطيب كتبا أخرى وقفت عليها، لم تذكرها الكتب التي ترجمت للخطيب، مثل «مختصر العين »، وكتاب « المجالس »، وكتاب «خلق الإنسان »[١٣٨].

وعدمُ ذكر كتاب «جامع التفسير » في ترجمة الخطيب لا يكفي دليلا على أنه ليس من مؤلفاته، حيث إن الخطيب نفسه أشار أيضا إلى كتابٍ له بعنوان « معاني القرآن »[١٣٩] في ثنايا كتابه «المجالس » ، مع ذلك لم يشر إليه من ترجموا له، ولم يكن هذا الإهمال مقصودا، بل ربما كان المصنف قد ألفه في فترة متأخرة من حياته، ولم تذع شهرته كسائر مصنفاته لعدم ظهور أهميته في حياته أو إشادته به من خلال مصنفات أخرى تبعته.

ومن الجائز أن يكون تفسير **الخطيب** المسمى بـ «جامع التفسير » والذي جاءت تسميته في سورة «الكافرون » هو عين كتابه «معاني القرآن » ، والذي جاءت تسميته في كتابه «المجالس»، ومن الجائز أيضا أن يكون له كتاب، أو أكثر فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم،

---

(١٣٦) مقالة الدكتور أحمد السابقة، ص٧١ . وانظر درة التنزيل، ٨٤٢/٢ .

(١٣٧) انظر تاريخ التراث العربي لبروكلمان، (ملحق١/١٧٥)، حيث ذكر أن الجزء السابع من « الجامع في التفسير» للرماني في مكتبة باريس برقم ١٥٢٣، وفي " الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى" لأبي الحسن علي بن عيسى (ت٣٨٤هـ) تحقيق الدكتور/ فتح الله صالح على المصري ـ دار الوفاء ، المنصورة ط الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨".

(١٣٨) انظر من هذا الكتاب لمؤلفات المؤلف : ١ (٢٤ ـ ٢٦).

(١٣٩) المجالس، ٧/ب .

وبناء على هذا الاحتمال يكون « جامع التفسير» و «معاني القرآن » كتابين مختلفين من كتبه التي لم تُذكر في ترجمته. وا لله أعلم.

والخلاصة:

أن ما ذكرناه سابقاً يمثل أدلة قاطعة على عدم صحة نسبة الكتاب إلى قوام السنة، وما ذكرناه من احتمالاتٍ هي أقرب إلى الواقع من الاحتمالات التي ذكرها الأستاذ الدكتور أحمد فرحات، فإذا تعادلت الاحتمالات أو تساقطت، فإن أدلتنا تبقى سالمةً من المعارضة بفضل ا لله تعالى.

كتاب « درة التنزيل » ليس للفخر الرازي :

لقد صرح أصحاب كتب التراجم التي ترجمت للخطيب بنسبة كتاب « **درة التنزيل**» إليه، **وأخطأ صاحب « كشف الظنون »**(١٤٠) **فنسب الكتاب إلى الفخر الرازي**، الذي ينسَب إلى مدينة الريّ كما ينسب إليها **الخطيب** الإسكافي، لكونه خطيبا بها، كما ذكر ذلك ياقوت في «معجم الأدباء »(١٤١).

وكذلك وقع في نفس الوهم **الشيخ ابن عاشور** (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره «التحرير والتنوير» حينما ذكر في مقدمة التفسير المذكور كتابَ **درة التنزيل** من بين أهم الكتب التي ألفت في التفسير حيث قال:«وكتاب **درة التنزيل** المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني »(١٤٢)، وقد جانب الصواب تماما حينما صرح بنسة الكتاب إلى الرازي حيث قال:« **وأبدى الفخر في درة التنزيل** وجها لاختلاف الأوصاف في قوله تعالى:﴿لقوم يتفكرون﴾ وقوله:﴿لقوم يعقلون﴾ وقوله:﴿لقوم يذّكرون﴾.. »(١٤٣).

وسبب الوقوع في هذا الخطأ هو أن الخطيب الإسكافي والفخر الرازي كليهما يلقّبان بـ «**أبي عبد ا لله** » مع أن اسمهما مختلف، إذ أن اسم **الخطيب الإسكافي**: محمد بن عبد ا لله، واسم **الفخر الرازي**: محمد بن عمر، ولكن لكونهما ينسبان إلى مدينة الرّيّ صار اشتباه بينهما، ولكن الفخر الرازي لم يلقّب بـ «**الخطيب**»، وإنما اشتهر بـ « **ابن الخطيب**»(١٤٤).

---

(١٤٠) ٧٣٩/١ .

(١٤١) معجم الأدباء، ٢٥٤٩/٦ .

(١٤٢) التحرير والتنوير، ٧/١.

(١٤٣) المرجع السابق، ١١٨/١٤. بتصرف يسير. وانظر درة التنزيل للخطيب، ٥٠٢/٢ .

(١٤٤) قال الزركلي في الأعلام (٣١٣/٦): وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري، وإليها نسبته، ويقال له «ابن خطيب الريّ ». اهـ

وأبو مسلم الأصبهاني (ت٤٥٩هـ) **والكرماني** (ت٥٠٥ هـ تقريبا) ذكرا لقب «**الخطيب**»، ونَقَلا عن كتابه «درة التنزيل» قبل ميلاد الفخر الرازي بعشرات السنين، فكيف ينسب الكتاب للفخر الرازي؟ إذ من غير الممكن أن أبا مسلم والكرماني ينقلان عن أحد عاش بعدهما.

* * * * *

المطلب الثالث: موضوع الكتاب

موضوع الكتاب هو توجيه الآيات القرآنية المتشابهة لفظاً، التي تتفق في بعض ألفاظها وتفترق في البعض الآخر، أو تتكرّر في عدة مواضع بالكلمات المتفقة، أو المختلفة، والتي يَرِد حولها سؤالٌ، أو يقع فيها إشكالٌ، أو يحتمل أن تكون محل نظر لسببٍ من الأسباب التي تتعلّق بالاستعمالات القرآنية من تكرار، أو تقديم وتأخير، أو اختيار كلمة مكان أخرى..، وإلى غير ذلك من الأنواع التي تقدم ذكرها في مطلب موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم(١٤٥).

وقد لا يتبادر إلى ذهن القارئ موضوع الكتاب من اسمه «**درة التنزيل وغرة التأويل**» أو يتبادر إليه شيء آخر بعيد عن صميم الموضوع، بخلاف عنوان كتاب «متشابه القرآن العظيم» لابن المُنادِي (ت٣٣٦هـ)، وكتاب «البرهان في متشابه القرآن» للكرماني (ت ٥٠٥هـ)، لأن القارئ لهذين العنوانين يعلم أن موضوع الكتابين: علم متشابه القرآن، وكذلك الأمر في عنوان كتاب «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وكتاب «العمدة في غريب القرآن» لمكيّ بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، حيث إن قارئ هذين العنوانين لا يتردّد في تصنيفهما ضمن مصنفات علم غريب القرآن.

والمتأمّل في الخطبة الموجزة التي استهلّ بها الخطيب كتابه **درة التنزيل**، والآياتِ التي تناولها في الكتاب من حيث كيفيةُ تناوله، ومعالجته للمشكلات، وتوجيهاته فيها، لا يجد أيّ صعوبةٍ - ولو لم يشر اسم الكتاب إلى ذلك - في تصنيف «درة التنزيل» ضمن الكتب المؤلّفة في علم متشابه القرآن، بل يتأكد - إذا قارن كتاب «درة التنزيل..» بغيره من الكتب المؤلفة في هذا الباب - أنّ كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» يعتبر سجلاً أو مرجعاً أساسيا لمن ألّف في هذا الفن.

(١٤٥) انظر من هذا الكتاب: ١ (٣٥ - ٣٨).

وقد أشار المؤلف رحمه الله تعالى إلى موضوع كتابه، حيث قال: «... تدعوني دواع قوية، يبعثها نظر وروية **في الآيات المتكررة، بالكلمات المتفقة، والمختلفة، وحروفها المتشابهة..**»(١٤٦).

وهو يشير أيضا في المسألة الرابعة من مسائل الآية الرابعة(١٤٧) في سورة البقرة إلى موضوع **الكتاب** فيقول:

«والمسألة الرابعة في هذه الآية(١٤٨): تقديم قوله عز وجل:﴿وقولوا حطة﴾ وتأخيره في سورة البقرة عن قوله:﴿وادخلوا الباب سجدا﴾.

والجواب عن ذلك مما يحتاج اليه في مواضع من القرآن **في مثل هذه الآية التي قصدنا الفرق بين مختلفاتها**: وهو أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم، وما حكاه من قولهم، وقوله عز وجل لهم لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها.. »(١٤٩).

ويقول رحمه الله تعالى في الآية الحادية عشرة من سورة البقرة:

« **الآية الحادية عشرة من هذه السورة مفارقة الآي التي شرطنا الفرق بينها فيما خالفها بلفظٍ يسيرٍ من الآية التي بإزائها، غير أنها مثلها في التكرير، والحاجة إلى ذكر الفائدة في إعادتها..** »(١٥٠).

من كل ما تقدم يتبيّن لنا أن الخطيب رحمه الله جعل موضوع كتابه « **درة التنزيل** » في توجيه ما تكرر من آيات الكتاب العزيز بالكلمات المتفقة والمختلفة، أو تشابه لفظاً، أو اختلف إيجازاً وإطناباً، أو تقديما وتأخيراً، أو ذكراً وحذفاً، أو تعريفاً وتنكيراً، أو إبدال لفظٍ بآخر ونحو ذلك.

* * * * *

---

(١٤٦) انظر من هذا الكتاب، مقدمة المؤلف:١/١٣٥ .

(١٤٧) يقول الخطيب في هذا الموضع:« قوله تعالى:﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ۞ فبدَّل الذين ظلموا قولا...﴾ [البقرة:٥٨-٥٩].

ففي هذه الآية ست مسائل، إذا قوبلت بالآية التي تشابهها من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى:﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئآتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا...﴾ [الأعراف: ١٦١ - ١٦٢]».

(١٤٨) أي من سورة الأعراف.

(١٤٩) انظر من هذا الكتاب: ١/ ١٤٨ .

(١٥٠) انظر من هذا الكتاب: ١/ ١٧٨ .

المطلب الرابع: سبب تأليف الكتاب

ذكر المؤلّف رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه الأسباب التي دفعته إلى تأليفه هذا الكتابَ، وهي:

أ ـ طلبُ رفع اللبس في الآيات القرآنية التي تتكرر في عدة مواضع، والآياتِ التي تتشابه بسبب التقديم والتأخير، أو التنكير والتعريف، إلى غير ذلك من أنواع التشابه، وبيانُ سرّ الاختلاف بين تلك الآيات، ووجه الحكمة من وراء ذلك.

وقد ذكر المؤلف هذا السبب قائلا:« ... **تطلُّباً لعلاماتٍ ترفع لُبس إشكالها، وتخصّ الكلمة بآيتها، دون أشكالها...** »[١٥١].

ب ـ تركُ العلماء الذين سبقوه هذا الجانبَ من التفسير، وهو توجيه الآيات المتشابهة، وتبيينُ ما أشكل منها، حيث يقول رحمه الله: « ... تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأوِّلين المحقِّقين المتبحِّرين، **فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف ؟ ولم يقرع بابها، ولم يفتر هم عن نابها، ولم يسفر عن وجهها...**»[١٥٢].

ج ـ الردّ على الملحدين الطاعنين الذين يزعمون أن في القرآن اختلافا، وأن أسلوبه يتعارض بعضه مع بعض، على الرغم من أن الموضوع واحد، فجاء هذا الكتاب ليبيّن الحكمة من اختلاف هذا الأسلوب بالتقديم تارة، والتأخير تارة أخرى، وبزيادة بعض الألفاظ في موضع دون موضع، ونحو ذلك، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك. فبذلك يزداد المؤمنون إيمانا بكتاب ربهم، وتطمئن قلوبهم إلى أنه الكتاب المعجز.

وإلى هذا السبب يشير المؤلف بقوله:« ... **ولطعنِ الجاحدين رداً، ولِمسلك الملحدين سداً..**»[١٥٣]، **وفي نهاية الكتاب يقول:**« هذا آخر ما تكلّمنا عليه من الآيات التي يقصد الملحدون التطرق منها إلى عيبها.. »[١٥٤].

* * * * *

(١٥١) انظر من هذا الكتاب: ١/ ١٣٥ .

(١٥٢) انظر من هذا الكتاب: ١ / ١٣٦ .

(١٥٣) انظر من هذا الكتاب: ١/ ١٣٦ .

(١٥٤) انظر من هذا الكتاب: ٨٤٥/٢ .

المطلب الخامس : منهج المؤلف في الكتاب

كما علمنا مماّ سبق أن **الخطيب** رحمه الله تعالى قد حصر موضوع كتابه «**درة التنزيل**» في الآيات المتشابهة لفظا، والتي تتكرر بألفاظ متفقة ، أو مختلفة دون غيرها من الآيات، وقد صرح المؤلف بذلك في مقدمته(١٥٥).

وبعد النظر في هذا الكتاب، والتتبع لطرائق المؤلف، والمقارنة بين قضاياه نستطيع تقديم صورة علمية لمنهج المؤلف فيما يلي:

١ ـ الإنشاء والابتكار:

فإن المؤلف رحمه الله تعالى يتميز بالاستقلال البارز بما لم يسبق إليه، في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً، حيث إنه يعتمد في كتابه هذا على نفسه، وليس هناك كتاب في هذا الفن نقل عنه، أو تأثر به، كما أبان هو ذلك في مقدمة الكتاب(١٥٦).

٢ ـ الترتيب :

سلك المؤلف رحمه الله تعالى في تأليف كتابه «درة التنزيل..» مسلك المفسرين ، وصنف كتابه على ترتيب السور، والآيات في المصحف الشريف، مبتدئا من سورة البقرة، ثم سورة آل عمران، وسورة النساء، وهكذا؛ فيورد اسم السورة، ثم يتتبّع كلّ ما تكرر واشتبه من الآيات في تلك السورة مع الآيات في غيرها من السور، **فيقول** مثلا: سورة البقرة، الآية الأولى(١٥٧) منها، والآية الثانية منها، والآية الثالثة منها..، حتى إذا ما انتهى من سورة البقرة، انتقل إلى السورة التي تليها وهي سورة آل عمران، ثم إلى سورة النساء..، وهكذا.

وقد بلغ عدد ما تناوله الخطيب في هذا الكتاب من الآيات الأم **أربعا وسبعين ومائتين آية،** من غير أن يلحق بها في العدّ ما يشبهها من الآيات، وقد بلغت الآيات المتشابهة التابعة للأصول السابقة **اثنين وخمسين وثلاثمائة آية** .

٣ ـ الاستدراك على نفسه:

انتهج المؤلف أن يذكر المتشابه في الموضع الأول حسب ترتيب المصحف كما قلنا في الترتيب، وقد يستدرك على نفسه فيذكر الآية التي فيها التشابه في الموضع الثاني، إذا نسي

(١٥٥) انظر من هذا الكتاب: ١/ ١٣٥ .

(١٥٦) انظر من هذا الكتاب: ١/ ١٣٦.

(١٥٧) يقصد المؤلف في كتابه بالآية الأولى والآية الثانية، والآية الثالثة... ترتيبها في كلامه هو ، لا في ترتيب السورة الكريمة.

ذلك في الموضع الأول، وينبه على أن مكانها كان في سورة كذا، وقد حصل ذلك منه في مواضع عدة، ومن أمثلة ذلك:

تناول رحمه الله آية سورة النساء، وهي قوله تعالى:﴿..ومَن يطع الله ورسولَه يُدْخلْه جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾[النساء:١٣]، في الحديث عن الآية السابعة من سورة المائدة، وهي قوله تعالى:﴿قال الله هذا يومُ ينفعُ الصادقين صدقُهم لهم جناتٌ تجري مِن تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾[المائدة:١١٩]، وقال:

« **وكان حقُّها أن تذكر في موضعها**(١٥٨)**، لكني لم تحضرْني هناك فذكرتها مع أخواتها، وإن كان ذكرُها مقدَّما في القرآن**(١٥٩)».

كما رأينا أن المؤلف لمّا لم يذكر الآية في موضعها الأول، في سورة النساء ذكرها هنا في سورة المائدة.

وبهذا يتضح أنّ ما وضعه ابن الزبير في كتابه ملاك التأويل(١٦٠) عند آية سورة النساء السابقة مِن علامةٍ(١٦١)، وهي (غ) تدل على أن صاحب الدرة غفل عنها فليس بصحيح، لأن المؤلف رحمه الله استدرك تلك الآية وذكرها في هذا الموضع من سورة المائدة، مع أخواتها، إلاّ إذا قصد ابن الزبير أن المؤلف ترك ذكرها في موضعها الأصلي من سورة النساء، فهذا صحيح كما قرر المؤلف نفسه ذلك.

ويقول في الآية الثامنة من سورة هود:

« **حكم هذه الآية أن يكون ذكرها في سورة الأعراف، ثم لمّا تأخرت وجب أن تذكَر في سورة العنكبوت، إلاّ أناّ رأيناها تتعلّق بهذه السورة**(١٦٢) **فذكرناها فيها**، وهي قوله تعالى:﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله..﴾[هود:٨٤، الأعراف:٨٥]، ومثله في سورة العنكبوت ، يخالفه بزيادة الفاء، وهو قوله:﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله..﴾[العنكبوت:٣٦].. »(١٦٣).

(١٥٨) موضعُها في أوائل سورة النساء، فرقم الآية : ١٣ .

(١٥٩) انظر من هذا الكتاب: ١/ ٢٨٨ .

(١٦٠) ملاك التأويل (١/٣٣٥)

(١٦١) كما فعل ذلك في بعض الآيات الأخرى أيضا، وأشار إليها، بـ« غ » دلالةً على أن صاحب الدرة غفل عنها، مع أن صاحب الدرة تناول أكثر هذه الآيات التي أشار إليها بـ« غ » في المواضع التالية.

(١٦٢) أي بسورة هود.

(١٦٣) انظر من هذا الكتاب : ١/ ٤٧١ .

ويقول الخطيب في الآية الأولى من سورة الفرقان:

« قوله تعالى: ﴿واتخذوا مِن دونه آلهةً لا يخلقون شيئاً وهم يخلَقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً﴾ [الفرقان:٣].

وقال قبله في سورة الرعد – **وكان حكم هذه الآية أن تذكر هناك** – :﴿قل من ربّ السموات والأرض قلِ الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا..﴾[الرعد:١٦][١٦٤]».اهـ

ومن الجدير بالذكر أن الخطيب لم ينفرد بذلك وحده ، إذ أنّ ممّن ألّف في هذا الفن وقع فيما وقع فيه الخطيب، من نسيانٍ أو غفلةِ ذكرِ المتشابهِ في الموضع الأول، وذكرِه في الموضع التالي الذي يشبهه حين يتذكّر، وعلى سبيل المثال أن **الكرماني** تناول آية سورة النحل [٩٦]:﴿..ولَنَجزِيَنَّ الذين صبروا أجرَهم بأحسنِ ما كانوا يعملون﴾ في سورة الزمر عند قوله تعالى: ﴿..وَيَجْزِيَهم أجرَهم بأحسنِ الذي كانوا يعملون﴾[الزمر:٣٥] ، حيث قال في هذا الموضع:«وكان حقه أن يذكر هناك[١٦٥] »[١٦٦].

٤ - طريقة العرض:

وقد اتخذ المؤلف رحمه الله تعالى في عرضه للآيات المتشابهة التي يريد توجيهها منهجا خاصا، حيث عقد في كل سورة بحثا خاصا لكلّ آية يعتبرها من نوع التشابه اللفظي، ويذكر معها ما يشبهها من آيات أخرى، سواء كانت من نفس السورة، أو من سور أخرى، ثم يقوم بتوجيه تلك الآيات التي اجتمعت أمامه، على طريقة إثارة السؤال ، وتقرير الجواب، والرد على ما يعرض من شبهٍ في هذا المقام.

وهذا المنهج الذي ابتكره الخطيب في كتابه منهج محدد، تَبِعه في ذلك مَن ألّف بعده في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً[١٦٧].

ونعرض مثالا صغيرَ الحجم ليتضح الأمر أكثر وضوحاً، في منهج المؤلف، في عرض الآيات المتشابهة:

فلدى تعرّضه مثلا لِما بين آية سورةالنساء وآية سورة الأحزاب من تشابه، يستهلّ كلامه على النحو التالي:

(١٦٤) انظر من هذا الكتاب: ٢ / ٥٨٣ .

(١٦٥) أي في سورة النحل.

(١٦٦) البرهان للكرماني، ص٣٢٢ .

(١٦٧) كابن الزبير في ملاك التأويل، حيث يقول: الآية الأولى، والآية الثانية، والآية الثالثة، وهكذا..

« **الآية الخامسة منها**[١٦٨]:

قوله عز وجل:﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن ا لله كان عفواً قديرا﴾[النساء:١٤٩].

وقال في سورة الأحزاب[٥٤]:﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن ا لله كان بكل شيء عليما﴾.

للسائل أن يسأل عن الآية الأولى لِم خصّ فيها ﴿خيراً﴾، ولِم عمّ في الثانية بلفظ ﴿شيء﴾ ؟

والجواب أن يقال: إنما خصّ في هذا الموضع **الخير** بالإبداء لأنه بإزاء **السوء** الذي قال فيه:﴿لا يحب ا لله الجهر بالسوء من القول إلاّ مَن ظُلم..﴾[النساء:١٤٨]، والمعنى:لا يحب ا لله أن يَجهر بالقول السيء غيرُ المظلوم، وهو أن يدعو على مَن ظلمه، أو أن يخبر بظلمه له، أو أن ينتصر منه بسوء مقاله فيه فقال: إن أبديتم ثناء وذكرا جميلا لمن يستحقهما أو أخفيتموهما أو سكتّم عمّن أساء إليكم بالعفو عنه فإنّ ا لله مع قدرته كثير العفو عن خليقته، **فاقتضت في هذه الآية المقابلة أن يُجعل بإزاء السوء الخيرُ**.

وأمّا في الآية التي في الأحزاب فلأنّ قبلها تحذيراً من إضمار ما لا يحسن إضماره في قوله عز وجل:﴿وا لله يعلم ما في قلوبكم..﴾[الأحزاب:٥١]، وقوله:﴿..وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن..﴾[الأحزاب:٥٣]، **فاقتضى هذا المكان العموم**، فقال تعالى: إن تبدوا مما حذّرتكم شيئا أو تخفوه ﴿فإن ا لله كان بكل شيء عليماً﴾ لم يزل عليما بما يكون كلعلمه بما كان »[١٦٩].اهـ

ويتكرر في صفحات الكتاب ـ كما في المثال السابق ـ وعلى وتيرة واحدة ابتداء المؤلف المسألة بعبارة: « للسائل أن يسأل فيقول » أو « للسائل أن يسأل عن كذا..»، أو نحو ذلك، ويبدأ الإجابة غالباً بعبارة « الجواب أن يقال [١٧٠]»، «الجواب عن ذلك أن يقال[١٧١]» ، ثم يأتي الجواب، أو تتوالى الأجوبة على السؤال الواحد، إن اقتضى الأمر التفريع والتنويع.

* * * * *

(١٦٨) أي من سورة النساء، حسب ترتيب المؤلف.

(١٦٩) انظر من هذا الكتاب: ١ (٢٦١ - ٢٦٢).

(١٧٠) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال: ١/ ٢٠١ ، ١/ ٢٥٧ .

(١٧١) انظر من هذا الكتاب:١/ ٤٧٧ ، والآية الثانية من سورة يس:

٥ ـ الأدلة والشواهد :

إن المؤلف رحمه الله تعالى كان يوجّه كلامه غالباً بما يشهد له من القرآن الكريم، أوالحديث والأثر، أوشعر العرب على النحو التالي:

أ ـ القرآن الكريم :

مما يلفت الانتباه في كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» أن مؤلفه يكثر من الاستدلال والاستشهاد بالآيات القرآنية على ما يقول.

وعلى سبيل المثال يتحدث المؤلف رحمه الله عن الفائدة في تقديم ﴿بالقسط﴾ على ﴿شهداء﴾ في قوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ..﴾ [النساء:١٣٥]، وتأخيره عنه في قوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ..﴾ [المائدة:٨]، ويقول:

«..وأمّا الآية التي في سورة المائدة فإن فحواها[١٧٢] يدل على أنها للولاة، فقال:﴿كونوا قوامين لله﴾ لا لِنفع، ويكون ﴿بالقسط﴾ متعلّقا بـ﴿قوامين﴾ أي: كونوا قوامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به في حال كونكم ﴿شهداء﴾ أي: وسائط بين الخالق والخلْق، أو بين النبي ﷺ وأمته **كما قال تعالى:**﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لِتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[البقرة:١٤٣]»[١٧٣].

ب ـ الأحاديث والآثار:

كان الخطيب مقلاً من الاستشهاد بالحديث والأثر، وما قلة شواهده من الحديث والأثر إلا دليل عدم ربط التوجيه في الآيات المتشابهة بهما كثيراً. لأن موضوع الكتاب كان منصبا على معرفة الحكمة والسر في التغيّر الحاصل في بعض ألفاظ القرآن الكريم للقصة الواحدة أو الموضوع الواحد، من تقديم وتأخير، أوجمع وإفراد، وإلى غير ذلك من أنواع التشابه.

ومن الأمثلة التي تدل على **استشهاده بالحديث الشريف** ما جاء في الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة:

«قوله تعالى:﴿..ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها..﴾[البقرة:١٨٧]. وقال في موضع آخر من هذه السورة:﴿..تلك حدود الله فلا تعتدوها..﴾ [البقرة:٢٢٩]».

وفي هذا الموضع يقول الخطيب:

---

(١٧٢) أي معناها، وفحوى الكلام: معناه.(القاموس المحيط،١٧٠٢فحو).

(١٧٣) انظر من هذا الكتاب: ١/ ٢٥٩ ، ١/ ٤٢٨ .

« للسائل أن يسأل فيقول: كيف اختص الموضع الأول بقوله:﴿فلا تقربوها﴾ والموضع الثاني بقوله:﴿فلا تعتدوها﴾؟

الجواب أن يقال: الأول خرج على أغلظ الوعيد كما قال:﴿ولا تقربا هذه الشجرة..﴾[البقرة:٣٥]، وإنما كان نهى عن أكلها لا عن الدنوّ منها، فخرج مخرج قول القائل - إذا نهى عن الشيء وشدّد الأمر فيه -:لا تقرب هذا الشيءَ، وما أحسن ما قال النبي ﷺ في المنع من مقاربة الحرام:«مَن رَتَعَ حوْل الحِمى يوشِك أن يقع فيه»[١٧٤].

وكذلك الأمر في الآثار، فإنه لم يورد منها إلاّ قليلاً.

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده عن قتادة في الموضع الذي بحث فيه عن الفرق بين قوله تعالى:﴿..يحرِّفون الكلِم عن مواضعِهِ..﴾[١٧٥] [المائدة:١٣]، وبين قوله تعالى:﴿..من بعد مواضعه..﴾ [المائدة:٤١][١٧٦]، حيث قال في هذا الموضع:

«...ويحتمل أن يكون المراد ما ذهب إليه أكثر أهل التفسير، وهو أن قوماً أرسلوا هؤلاء إلى النبي ﷺ في قصة زانٍ محصنٍ فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه. **وقال قتادة**:« كان هذا في قتيلٍ منهم فقالوا: إن أفتاكم محمد بالدية فاقبلوه، وإن أفتاكم بالقَوَدِ فاحذروه[١٧٧] »[١٧٨].

والخطيب رحمه الله يورد الأحاديث والآثار بدون أسانيدها، ولا يذكر درجة ما أورده من الروايات، وإنما يقول على سبيل المثال: قال قتادة[١٧٩]، وقال الحسن[١٨٠]..، كما فعل بعض المفسرين مثل الماوردي في تفسيره « النكت والعيون ». قد قمت ـ بفضل الله تعالى ـ بتخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها بقدر الإمكان في مواضعها.

* * * * *

(١٧٤) سيأتي تخريج هذا الحديث في مكانه إن شاء الله. وانظر من هذا الكتاب: ١/ ٢٠١ .

(١٧٥) ذلك في قوله تعالى:﴿فبِما نقضِهم ميثاقهم لَعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسيةً يحرّفون الكلِم عن مواضعه ونسُوا حظاً مّما ذُكّروا به..﴾

(١٧٦) وهو جزء من قوله تعالى:﴿..سمّاعون لِلكذب سمّاعون لِقومٍ آخَرين لمْ يأْتوك يحرِّفون الكلِم مِن بعد مواضعه..﴾

(١٧٧) انظر لتخريجه: ١/ ٢٦٩ .

(١٧٨) انظر من هذا الكتاب: ١ / ٢٦٩ .

(١٧٩) انظر من هذا الكتاب : ١/ ٣١٩ .

(١٨٠) انظر من هذا الكتاب: ١/ ٢٧٥ .

جـ ـ الشعر العربي:

إنه في بعض الأحيان يوجّه كلامه بما يستشهده بشعر العرب، لأن الشعر ديوان العرب، وفيه تفسير معاني كتاب الله تعالى، والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في سورة المائدة عند تناوله قوله عز وجل:﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ﴾[المائدة:٩]، وما يشابهه من قوله تعالى في آخر سورة الفتح[٢٩]:﴿..وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾، حيث قال:

« للسائل أن يسأل فيقول: لِم رُفع قوله:﴿مغفرةٌ وأجر عظيم﴾ في الآية الأولى، ونُصب في الثانية؟

والجواب أن يقال: لقوله تعالى:﴿ لهم ﴾ في الأولى، وقوله:﴿ منهم ﴾ في الثانية فائدة، وذلك أنه لمّا قال في الأولى:﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ عُلم أنهم وُعدوا بما هو حق لهم، فعدل عن ذكر المفعول إلى جملة تضمنت معناه، والجملة ابتداء وخبر، وهي في موضع مفرد منصوب، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا مغفرةً، **ومثله قول الشاعر:**

وجَدْنا الصّالِحين لهم جزاءٌ وجناتٍ وعيناً سلسبيلا[١٨١]

كأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً وجناتٍ وعيناً، فاللام في « لهم » داخلة على ضمير «الصالحين» فكأنها داخلة عليهم، وكأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً، وعطف على موضع الجملة التي هي « لهم جزاء » منصوباً، إذ كان موضع الجملة موضع نصب»[١٨٢].

٦ ـ الاهتمام بتفسير الآيات الكريمة والقراءات:

كثيرا ما يعتني بتفسير الآيات التي تناولها عناية بالغة، ولا يقتصر على القدر المناسب، وهو توجيه الآيات التي تتشابه، بسبب ورودها في القرآن الكريم مكرّرةً بألفاظ متفقة، وألفاظ غير متفقة، وعلى سبيل المثال:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾:« أي: إن انتهوا عن كفرهم فلا عدوان عليهم، إنما العدوان على من أقام على الضلالة وظلم نفسَه بلزوم الجهالة...، وقال بعده:﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة..﴾ أي: لا يكون شرك وكفر، اقتضى هذا أن يكون بعده:﴿ويكون الدين كله لله﴾ فأُمروا بإبطال كل كفر قدَروا عليه، وأتبعه قوله:﴿فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾ أي: إن انتهوا وانتقلوا

(١٨١) سيأتي تخريج البيت في ١/ ٢٦٤ .

(١٨٢) انظر من هذا الكتاب : ١/ ٢٦٤ .

إلى الإيمان، وكفوكم عن قتالهم بما يظهرون من الإسلام فإن الله يعلم عملكم وعملهم على القراءتين[١٨٣] جميعا، فيكون الخطاب للمقاتِلين، ولفظ المغايبة للمقاتَلين[١٨٤]».

ويقول رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى:﴿..قد جاءتكم بيّنةٌ من ربكم..﴾ [الأعراف:٧٣] :« أي: آية تشهد بصحتها نفوسُكم أنها من قدرة الله تعالى، المختصة بفعله، لا بفعل غيره، ثم قال:﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾[هود:٦٤] أي: هذه ناقة ليست ملك أحدٍ منكم، وإنما هي لله استخرجها من الصخرة، أو الهضبة أمارة لصدق نبيه عليه السلام لتؤمنوا عندها، فاتْركوها تَرْعَ في الصحارى التي هي أرض الله من الكلإ الذي هو من نعمة الله تعالى، ولا تتعرضوا لها بسوء، فيأخذكم عذاب أليم ينال منكم ويؤلمكم...[١٨٥]».

والمؤلف رحمه الله تعالى يهتم بتوجيه القراءات القرآنية التي ترد في الآيات التي يتناولها، وعلى سبيل المثال نورد ما ذكره في توجيه قوله تعالى:﴿وإن تلووا﴾، حيث قال:

« ﴿وإن تلْوُوا﴾ ألسنتكم بالشهادة و لم تُفصحوا بها و لم تقوموا بما يجب عليكم فيها، أو تتركوا ما يلزمكم منها، فإن الله عليم بعملكم، وهو مجازيكم على فعلكم.

وقيل: تلْوُوا بمعنى تَمْطُلوا[١٨٦]، مِن لويت الغريم إذا دفعته، كأنه قال: إن تدفعوا الشهادة و لم تؤدّوها وقت الحاجة إليها.

ومن قرأ " تَلُوا[١٨٧] " ـ بضم اللام وواو واحدة ـ فالمعنى: إن تلوا[١٨٨] أمر الناس، من الولاية، أو تتركوه.

ويجوز أيضاً أن يكون الأصل " تَلْوُوا " فأبْدلت من الواو المضموضة همزة، ثم خففت بإلقاء حركتها على اللام، وحذفها وإن كان هذا مستضعفاً في الهمزة العارضة[١٨٩].

ومما بحث فيه قوله تعالى في سورة البقرة[٥٨]:﴿..نغفر لكم خطاياكم..﴾، وقوله تعالى في سورة الأعراف [١٦١]:﴿..نغفر لكم خطيئآتكم..﴾، وقال ـ رحمه الله ـ:

(١٨٣) والقراءتان هما: بياء الغيبة في:« يعلمون »، وتاء الخطاب في:« تعلمون »، فالأول قراءة الجمهور والثاني قراءة يعقوب، وانظر لذكر المراجع : ١/ ٢٠٤ .

(١٨٤) انظر من هذا الكتاب ، الآية التاسعة عشرة من سورة البقرة: ٢٠٣/١ .

(١٨٥) انظر من هذا الكتاب: ٣٧٥/١ .

(١٨٦) من باب « قتل »، ومَطَله بدَيْنه مطْلاً: إذا سوّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى. (المصباح المنير:٥٧٥).

(١٨٧) « تلوا » بلام مضمومة وواو ساكنة: قراءةُ حمزة وابن عامر. والباقون: « تلوُوا » بلامٍ ساكنةٍ وواين بعدها، أولاها مضمومة. وسيأتي المراجع في مكان الآية إن شاء الله تعالى. انظر من هذا الكتاب: ١/ ٢٥٩ .

(١٨٨) في(ب،ك): أن تلووا.

(١٨٩) انظر من هذا الكتاب ، الآية الرابعة من سورة النساء: ٢٥٩/١ .

« وأمّا المسألة الثانية فجمعه للخطيئة على "الخطايا" في سورة البقرة، وعلى "الخطيئآت" في سورة الأعراف على قول أكثر القراء[١٩٠]».

٧ ـ عدم الالتفات لأسباب النزول إلا عند المناسبة:

لا يلتفت ـ رحمه الله ـ كثيرا إلى ذكر أسباب نزول الآيات، ولكنه لا يغفله عندما يدعو الأمر إلى ذلك، كما أنه لا يذكر سبب النزول إلا بشيء من التحفظ، فيقول: روي، أو قيل[١٩١]..، ويحمّل المسؤولية على الذين رووه.

٨ ـ تفسير بعض الكلمات الغريبة لتوضيح المعنى والتوجيه الذي ذكره :

وإذا أردت أن ترى بين يديك نصوصا لغوية من نصوص الخطيب في كتابه « الدرة» لتتبين بنفسك كونه إماما في اللغة، فإليك ما قاله في معنى **العليّ** ، وفي معنى **الهلوع** ، وما ذكره في معنى **الدأب**، وفي الفرق بين **الضلال والسفاهة** :

قال رحمه الله تعالى:« وأما قوله:﴿إنه عليّ حكيم﴾ فالعليّ : القادر على الشيء، القاهر له، ولذلك **قال الشاعر**:

اعْمِد لِما تَعْلو فما لَكَ بالّذي لا تستطيعُ مِن الأمور يَدان[١٩٢]

فجعل بإزاء تعلو:لا تستطيع، فالقادر على الشيء أتمّ قدرة يكون عالياً به[١٩٣] قاهراً له»[١٩٤].

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى **الهَلُوع** :« والجواب الذي أذهب إليه أن **الهلَع** أصله: التسرّع والقلَق نحوَ الشيء، فالحريص يهلَع، والجزوع يهلَع، أي: يتسرّع إلى تمكين الحزن من نفسه،... والحريص يتسرّع إلى مشتهاه، اتباعاً لهواه، وإن كان فيه رَداه[١٩٥]، والإنسان في حال صغره مطبوع على هذه الخلال، لأنه يتسرّع إلى الثّدْي، ويحرص على الرضاع، وإن مسّه ألَمٌ جزع وبكى، وإن تمسّك بثدي فزوحم عليه منع بما في قدرته من اضطراب وبكاءٍ، فلا يزال يفعل ذلك حتى يردّ إليه الخير الذي كان له، ثم هو على ذلك إلى آخر عمره، **والهلع** في كلام العرب أصله: القلق والتسرّع في الحرص والجزع، **يقال**: ناقةٌ هِلْواع: أي مسرعة، وظِلْمان[١٩٦] هوالع: أي مسرعات»[١٩٧].اهـ

---

(١٩٠) هم ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي، وانظر من هذا الكتاب: ١/ ١٤٥.

(١٩١) انظر من هذا الكتاب، الآية الأولى من سورة العنكبوت،٢/٦٠٨، حيث جاء فيها:« وقيل : إن هذه الآية نزلت في سعد بن مالك، وهو سعد بن أبي وقاص، وروي عنه أنه قال: كنت براً بأمي... ».

(١٩٢) سيأتي تخريجه في الآية الثالثة من سورة الشورى. انظر من هذا الكتاب: ٢/٧١٣ .

(١٩٣) أي مقتدرا عليه.

(١٩٤) الآية الثالثة من سورة الشورى ، انظر من هذا الكتاب: ٢/٧١٣ ـ ٧١٤ .

(١٩٥) أي هلاكه .

(١٩٦) ظِلْمان ـ بالكسر والضم ـ جمع ، مفرده: الظّليم: الذكر من النّعام. (ينظر القاموس المحيط، ١٤٦٤ظلم).

(١٩٧) الآية الأولى من سورة المعارج، انظر من هذا الكتاب:٢/٧٩٩ ـ ٨٠٠ .

وقال رحمه الله تعالى في معنى « **الدأب** »:

الدأب، أصله الهمز، وهو العادة، وما يجري عليه قوم في معاملة »(٢٠٠).

وقال رحمه الله تعالى في الفرق بين « **الضلال** » و« **السفاهة** »:

« والضلال من صفات الفعل، تقول: ضل فهو ضالّ، والسفاهة من صفات النفس، وهي ضد الحلم، وهي معنى ثابت يولد الخفّة والعجلة المذموتين، والحلم معنى ثابت يولد الأناة المحمودة » (٢٠١).

٩ - التحقيق والتمحيص لما ينقل من الآراء:

تظهر شخصية الخطيب في نقده الصريح والخفي لآراء بعض العلماء، بعبارات تدل على أنه كان مجتهدا، ولم يكن ناقلا أو معتمدا على آراء غيره دون تمحيص وتحقيق، مثل قوله: **فليس بشيء**. أو باطل.

ومن ذلك ما قاله في معرض بيان وجه الحكمة عن مجيء قوله تعالى ﴿بلداً﴾ نكرةً في سورة البقرة(٢٠٢)، ومعرفةً ﴿البلدَ﴾ في سورة إبراهيم(٢٠٣):

« فأما قول من يقول: إنه جعل الأول نكرة، فلما أعيد ذكرها أعيد بلفظ المعرفة، كما تقول: رأيت رجلا، فأكرمت الرجل، **فليس بشيء**، وليس ما ذكره مثل هذا المكان مكانه»(٢٠٤).

مما يدل أيضاً على أن المؤلف ناقد محقّق ما جاء في سورة آل عمران عند كلامه عن تذكير الضمير ﴿فأنفخ فيه﴾، وتأنيثه ﴿فتنفخ فيها﴾، وعن وجه ذكر قوله تعالى:﴿بإذني﴾(٢٠٥) مضافا إلى ضميره سبحانه وتعالى، ووجه ذكر قوله تعالى:﴿بإذن الله﴾(٢٠٦) مضافاً إلى الظاهر، وهو لفظ الجلالة، حيث قال في هذا الموضع:

---

(٢٠٠) انظر من هذا الكتاب: ٢٢٢/١ .

(٢٠١) انظر من هذا الكتاب: ٣٦٩/١ .

(٢٠٢) وهو قوله تعالى:﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنا..﴾[البقرة: ١٢٦].

(٢٠٣) ذلك في قوله تعالى:﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلدَ آمنا..﴾ سورة إبراهيم:٣٥ .

(٢٠٤) انظر من هذا الكتاب: ١٧٧/١.

(٢٠٥) ذلك في قوله تعالى في سورة المائدة [١١٠] :﴿..وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني..﴾

(٢٠٦) ذلك في قوله تعالى من سورة آل عمران[٤٨ - ٤٩]:﴿ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿ ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم..﴾

«مسألة في ذلك: قد قال بعض أهل النظر في معنى هذه الآية: إنما قال:﴿..فيكون طيراً بإذنِ اللهِ وأُبرىء الأكمهَ والأبرصَ وأُحيي الموتى بإذن الله..﴾، فذكر إذن الله في هذين الموضعين، ولم يقل **بإذن الله** في قوله:﴿..أني أخلُقُ لكم من الطين كهيئة الطير﴾ ولا في قوله:﴿فأنفخ فيه﴾ ولا في قوله:﴿وأنبِّئكم بما تأكلون وما تدّخِرون في بيوتكم..﴾، لأن ما وصفه من هذه الأفعال إنما هي أفعاله، ولم تكن أفعالاً لله تعالى، فلهذا لم يذكر أن ذلك كان بإذن الله، كما ذكر الإذن فيما وصفه من قبلُ مما فعله الله عز وجل دونه، وذلك أنه لم يعنِ بالإذن أمره له بأن يطيعه في ذلك، وإنما عنى به أن الله تعالى هو الذي فعله، فلهذا جعل ذِكر الإذن فصلاً بين فعله وفعل الله تعالى».

ثم قال تعليقا على ذلك: «قلت:**ذلك سهوٌ منه**، لأن الذي ذكر أنه لم يذكر معه إذن الله، لأنه مِن فعل عيسى ـ على نبينا وعليه السلام ـ، فقد نطقت سورة المائدة بخلافه، وهو قوله تعالى:﴿..وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفُخ فيها فتكون طيرا بإذني﴾[المائدة:١١٠] فسوىّ بين الفعلين اللذين ذكرهما مَن حكيتُ كلامَه أنهما مختلفان، وأن أحدهما فِعل عيسى عليه السلام، فلهذا لم يذكر معه الإذن، والآخرَ فِعلُ غيره(٢٠٥). ثم قال تعالى:﴿..وتُبرئُ الأكمهَ والأبرص بإذني وإذْ تُخرجُ الموتى بإذني..﴾ [المائدة:١١٠].

فذكر الإذن في أربعة مواضع لأفعال عيسى عليه السلام، **وهذا دلّ على أنّ ما ذهب إليه مَن ذكرتُ كلامه بذكر الإذن في فعلين من سورة آل عمران على أنهما فِعل الله تعالى، وما لم يذكر معه الإذن فِعل عيسى ـ عليه السلام ـ باطلٌ**»(٢٠٦).

١٠ ـ عدم الالتزام بعزو الأقوال لأصحابها مع أمانة النقل:

يذكر الأقوال أحيانا دون ذكر أصحابها، ولا يلتزم رحمه الله تعالى بعزوها إلى أصحابها إن نقلها، ولكنه لا يتصرف في الأقوال التي ينسبها إلى أصحابها، بل يوردها كما هي.

ومن الأمثلة على ذلك:

نقلُه عن الزجاج (ت ٣١١هـ) في الموضع الذي تحدث فيه عن الفرق بين قوله: ﴿ثلاثة رابعهم﴾، و﴿خمسة سادسهم﴾ بلا واو، وبين قوله:﴿سبعة وثامنهم﴾(٢٠٧) بالواو، حيث قال:

---

(٢٠٥) في(أ): وأن أحدهما فعل عيسى والآخر فعلهن فلهذا لم يذكر معه الإذن. وفي(ب): وأن أحدهما فعل عيسى والآخر فعل غيره. وفي(ك):"لم يكن" بدل "لم يذكر". والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٢٠٦) انظر من هذا الكتاب:١/٢٣١.

(٢٠٧) ذلك في الآية (٢٢) من سورة الكهف.

«وقد سوىّ النّحويّون بين الجملة التي تجري صفةً للنكرة، أو حالاً للمعرفة إذا كان فيها ذكرُ الأول في أن دخول الواو عليها، وحذفها منها جائزان. **قال الزجاج:**« دخول الواو هاهنا، وإخراجها من الأول واحد»[٢٠٨].

وهذه العبارة التي نقلها الخطيب عن الزجاج موجودة حرفيا في كتاب «معاني القرآن» للزجاج[٢٠٩]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على دقته في إسناد القول إلى صاحبه، وتقيُّده بعبارة مَن ينقل عنه.

١١ - الاختيار والترجيح للآراء:

يقف الخطيب مرجِّحا، معلِّلا، مختارا ، حيث إننا كثيرا ما نراه يختار ويرجح وجها من الوجوه المتعددة التي يعرضها في المسائل النحوية، مع تعليل لهذا الاختيار.

وعلى سبيل المثال حين كان يتحدث عن رفع قوله: ﴿الصابئون﴾ في سورة المائدة[٢١٠] قال:

« فرفع « الصابئون » ونوى به التأخير عن مكانه، كأنه قال بعد ما أتى بخبر: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون هذه حالهم أيضا، وهذا مذهب سيبويه، لأنه لايجوز عنده ولا عند البصريين، وكثير من الكوفيين: إن زيدا وعمرو قائمان».

ثم رجح رأي سيبويه حيث قال:..« إنّ « إنّ » لها عملان، النصب والرفع على مذهب البصريين، وأنّ لها عملا واحدا عند الكوفيين، وهو النصب إلا أن **المذهب الصحيح ما ذهب إليه سيبويه**، وهذه الآية تدل عليه، لأنه قدّم فيه «الصابئون » والنية بها التأخير على مذهب سيبويه، وإنما قدم في اللفظ وأخر في النية، لأن التقديم الحقيقي التقديم لكتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم السلام.. »[٢١١].

١٢ - التركيز على نقد الآراء لا الأشخاص :

التزم المؤلف رحمه الله بأخلاق الإسلام، وأدب العلماء، وذلك بعدم التصريح باسم مَن ينقده، وإنما قصر كلامه على نقد الرأي في ذاته، كما نرى ذلك في الآية الأولى من سورة القمر حيث قال:

---

(٢٠٨) انظر من هذا الكتاب :٥٢٩/٢ ، الآية الأولى من سورة الكهف.

(٢٠٩) معاني القرآن للزجاج، ٢٧٧/٣ .

(٢١٠) الآية: ٦٩ .

(٢١١) انظر من هذا الكتاب: ١٦٠/١ .

« للسائل أن يسأل عن قوله:﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ في ابتداء قصة عادٍ وتكريره في آخرها ؟.

وقد سئل عن ذلك **بعض أهل النظر** فأجاب بأن الأول ليس هو تخويفاً لعادٍ، وأن الثاني لها، فلا يكون تكريراً، إذ جعل كل واحد من الخبرين خبراً عن غير ما أخبر به عن الآخر. **وهذا الذي ذهب إليه لا وجه له،** لأنه قال:﴿كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصرا..﴾ [القمر:١٨ - ١٩] فلا يصح أن تدخل الفاء في قوله:﴿فكيف كان﴾ عقيب إخباره عن عادٍ بأنها كذّبت... »(٢١٢).

وهذه أبرز السمات التي توضّح لنا منهجَ الخطيب في كتابه « **درة التنزيل وغرة التأويل**» ويتضح لنا أيضا من هذا العرض أن الإمام الخطيب صاحب منهج راقٍ في التصنيف والتأليف، شأنه في ذلك شأن العلماء الأجلاء رضي ا لله عنهم أجمعين.

* * * * *

المطلب السادس : مصادر المؤلف في الكتاب

يتبين المطلع على كتاب **درة التنزيل وغرة التأويل** أن مؤلفه الخطيب رحمه ا لله تعالى على علْم جمّ، وثقافة عالية، واطلاع واسع على الكتب والمؤلفات، حيث يقول في مقدمة الكتاب «تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين..، فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها»(٢١٣).

والحقيقة ليس هناك أيّ تصريح - في مقدمة الكتاب ولا في داخله - بأيّ من أسماء المصادر التي قد يكون استقى منها المؤلف معلوماته في توجيه الآيات المتشابهة.

لكننا إذا تتبعنا ما في الكتاب نلمح بوضوح أن المؤلف اعتمد - ولو كان قليلا - على أقوال بعض المفسرين من الصحابة والتابعين، وكذلك اعتمد على أقوال بعض أئمة اللغة والنحو في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وذكر الخطيب رحمه ا لله من المفسرين بعضَ أسماء أعلام الصحابة والتابعين، مثل ابن عباس رضي ا لله عنهما(٢١٤) ، والحسن(٢١٥)، وقتادة(٢١٦) والسدي(٢١٧)، ولم يذكر كتبا معينة.

---

(٢١٢) انظر من هذا الكتاب، الآية الأولى من سورة القمر ٧٤٩/٢. وانظر لبعض الأماكن الأخرى التي فيها نقد للخطيب من غير أن يذكر اسمَ من ينقده : ٢٣٠/١، ١/ ٢٨٤ وانظر أيضا:الآية الثالثة من سورة الشورى، ٧١٤/٢ .

(٢١٣) انظر من هذا الكتاب: ١٣٦/١ .

(٢١٤) انظر من هذا الكتاب: ٢٨١/١ ، وانظر أيضا: الآية الأولى من سورة العنكبوت:٦١١/٢ .

(٢١٥) انظر من هذا الكتاب:٢٧٥/١، ٢٨١/١، ٤٢٠/١ .

(٢١٦) انظر من هذا الكتاب: ٢٦٩/١ ، ٢٨٢/١ ٣١٩/١ .

(٢١٧) انظر من هذا الكتاب : ٢٨٢/١، ١/ ٣٨٠ .

أما في الجانب اللغوي والنحوي فقد ذكر الخطيب ـ على قلّة ـ عدداً من أسماء الأئمة المعروفين مثل: الخليل بن أحمد ، وسيبويه، والزجاج، والفراء، والمبرد، وقد يصرح أحيانا بأسماء كتبهم التي رجع إليها.

فقد ورد ذكر «كتاب العين» للخليل بن أحمد في «درة التنزيل» مرة واحدة وذلك عند بيان معنى اللهو، وفي هذا الموضع نقل صاحب الدرة عنه، حيث قال:«واللهو، قال فيه صاحب العين:«ما شغل الإنسان من هوى وطرب»(٢١٨).

ومن مصادره النحوية: «الكتاب» لسيبويه، و«المتقضب» لأبي العباس المبرد، و«معاني القرآن» للزجاج، و«معاني القرآن» للفراء.

أما كتاب سيبويه(٢١٩) فهو المصدر الأول للخطيب في قضايا النحو كما أنه مصدر أساسي لمن بعده.

وكتاب «**المقتضب**» لأبي العباس المبرد، وهو مخصص للنحو فقط، وله كتاب آخر ألفه في النحو واللغة والأدب وهو «الكامل»، وقد وجدت أن الخطيب في «درة التنزيل» نقل عن المبرد رأيا واحدا من غير أن يذكر اسم الكتاب، وعثرت عليه في كتابه «المقتضب»(٢٢٠).

وكتاب «**معاني القرآن**» للزجاج كان من المصادر الأولى التي اعتمد عليها الخطيب في كتابه الدرة، وكان تأثر الخطيب بكتاب الزجاج واضحا، رغم أنه رحمه الله صرح باسم الزجاج مرة واحدة، ولكنني اكتشفت مواضع أخرى اتفقت فيها عبارات الخطيب مع العبارات التي وجدتها في معاني القرآن للزجاج(٢٢١) وإن لم يشر إليه الخطيب صراحة.

وكذلك «**معاني القرآن**» للفراء، كان الخطيب يرجع إليه، في بيان مذهب أهل الكوفة النحوي(٢٢٢)، ونلاحظ أن الخطيب مع انتمائه للمذهب البصري في النحو يجوِّز رأي الفراء الذي يعتبر إماما في النحو الكوفي(٢٢٣)، ولا يدل هذا إلا على اهتمام الخطيب بآراء الفراء النحوية، وعلى سعة أفقه العلمي حيث لم يتعصب لمذهبه فقط.

* * * * *

(٢١٨) انظر من هذا الكتاب: ٣١٧/١، وانظر كتاب العين للخليل،٨٧/٤ .

(٢١٩) انظر من هذا الكتاب:١٥٩/١ ، ١٧٥/١ .

(٢٢٠) انظر من هذا الكتاب :١٧٥/١ .

(٢٢١) انظر من هذا الكتاب:٢٦٥/١ ، وانظر لنفس الموضوع معاني القرآن للزجاج، ٢٩/٥.

(٢٢٢) انظر من هذا الكتاب: ٣١٢/١ .

(٢٢٣) انظر من هذا الكتاب: ١ (١٥٩ ـ ١٦٠).

المطلب السابع : قيمة الكتاب العلمية، وأثره فيمن بعده

تأتي أهمية كتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل**» من كونه أول كتاب وصل إلينا خالصا لتوجيه وتفسير الآيات المتشابهة في القرآن الكريم.

وقد أشار **الخطيب** في مقدمة كتابه الدرة إلى أنه لم يجد أحداً من العلماء قبله، تناول هذا النوع من التأليف، وأقرّه على ذلك ابن الزبير (ت٧٠٨هـ) في كتابه «**ملاك التأويل**»، وصرّح بأن كتاب «**درة التنزيل وغرة التأويل**» للخطيب أولُ كتابٍ عُرف مِن بين الكتب المؤلفة في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً، ولم يعرَف قبله كتابٌ آخر في موضوعه(٢٢٤).

هذا، ومن ناحية أخرى فإن أهمية كتاب الخطيب لا تقتصر على سبقه وحسب، بل تظهر فيما انطوى عليه من توجيهاتٍ علمية سديدة، وفوائدَ نادرةٍ، تكشف عن كثير من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، وتبرز عظمة القرآن في مبانيه ومعانيه، وما أودعه الله تعالى فيه من دقائق الأساليب، وجوامع الإحكام والإتقان، ومراعاة أدق الفروق عند استعمال الألفاظ، في القصص والأخبار المكررة، التي طعن الملحدون في القرآن الكريم بها، لأنهم يجهلون أسرارها، وما وراءها، ومن جهل شيئاً عاداه كما قيل بحق.

وقد جاء هذا الكتاب فريداً في شموله لكثير من الآيات التي تتكرر وتشتبه على بعض الناس، وفي منهج تأليفه التوجيهي الدقيق، وهو يضم في أعطافه وثناياه ما يَهَب القارئ ملكة التفهم لأسرار هذا الكتاب العظيم.

وإذا أراد الإنسان أن يتعلّم الردّ على الطاعنين في أسلوب القرآن الكريم من ناحية اشتماله على الآيات التي تتكرر بألفاظ تتفق أحيانا، وتختلف أحيانا أخرى، فإنه يجد بغيته في هذا الكتاب، لأنّ مؤلفَه رحمه الله تعالى قدّم من خلال هذه الآيات حلولا كثيرة، لِما قد يثيره بعض الملحدين من مشكلاتٍ لغويّة، ونحويّة، وأسلوبية.

والكتاب أيضا ذو فائدة كبيرة في بعض المسائل النحوية واللغوية، فإنه تطرّق إلى شرح بعض الكلمات القرآنية الغريبة(٢٢٥)، وذكرِ بعض قضايا النحو(٢٢٦).

---

(٢٢٤) انظر ملاك التأويل، ١٤٦/١ .

(٢٢٥) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال::معنى **اللهو** (٣١٩/١)، ومعنى **السمة** في الآية الثانية من سورة الحجر ٤٩٨/٢ ، ومعنى **الأشد** في الآية الأولى من سورة يوسف٤٨٦/١، ومعنى **هلوع** في الآية الأولى من سورة المعارج ٧٩٩/٢، وهذه الكلمة ليس لها أيّ ذكر في كتاب **المفردات للراغب**، ولكننا نجد **الخطيب** مؤلف **الدرة** قد توسع في شرح هذه الكلمة، مما يزيد قيمة الكتاب من الجهة اللغوية.

(٢٢٦) من الأمثلة على ما ورد في الكتاب من المسائل النحوية:

أ ـ ذكر الفرق بين « **ما** » و «**الذي** » ، في الآية التاسعة من سورة البقرة، وانظر من هذا الكتاب: ١٦٨/١.

ب ـ وقال في آخر الأية الأولى من سورة الأنعام: «ومن النحويين مَن ذهب إلى أنها ــ أي **السين** ــ مأخوذة من «**سوف**»، وإن كان ذلك عندنا ليس بصحيح ».اهـ وانظر من هذا الكتاب: ٢٩٤/١.

<===

أثر الكتاب في اللاحقين عليه:

تقبّل العلماء قديماً وحديثاً كتاب « **درة التنزيل وغـرة التأويل** » للخطيب بالقبول الحسن، وكان ولا يزال عمدة العلماء في موضوعه، بل هو أنموذج فريد لما جاء بعده، لأنه كتاب متمحّض للبحث في توجيه الآيات المتكررة والمشتبهة بحثا شاملاً، فلا عجب أنْ ترك أثره الكبير فيمن صنف بعد الخطيب في هذا النوع من التأليف.

فلقد استفاد من « **درة التنزيل** » العلماء الذين داروا في فلك موضوع هذا الكتاب، ونهلوا منه، فاستفاد منه أصحاب الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة إلى حد كبير، والمفسرون، وغيرهم، سواء ذكروا الكتاب ومؤلفه، أم تركوا ذلك، لأنه كما أشرنا سابقا أن كتاب « درة التنزيل » يعتبر أساسا للكتب المؤلفة في موضوعه، و لم نعرف إلى الآن من سبقه إلى التأليف فيه مستقلا.

وقد صرح بذلك **الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي** وبيّن ما قلناه من أصالة، وأهمية لكتاب «الدرة » في موضوعه حيث يقول:

«.. بقي هنا نكتة، وهو أنه جمع اللهو واللعب في آيات ، فتارة قدّم اللعب كما هنا[٢٢٧]، وتارة قدّم اللهو كما في العنكبوت[٢٢٨]، فهل لهذا التفنّن نكتة خاصة أم لا ؟ فأبدى بعضهم لذلك نكتة وزعم أنها من نتائج أفكاره، وليس كما قال: فإنها مذكورة في درة التنزيل[٢٢٩]، **وهو أبو عذرته**[٢٣٠] **في هذا الفن**.. »، ثم يقول في آخر نفس الصفحة :« وإن أردت التفصيل فطالع درة التنزيل»[٢٣١].اهـ

جـ - وذكر في الآية الرابعة من سورة هود قاعدة تتعلق بالأفعال الخمسة، حيث قال:« ولا يقال لهم في حال الجمع إلاّ «**تدعوننا** » عند الرفع، ولا تسقط النون إلاّ لناصب أو جازم، نحو « **لن تدعونا** »، و «لم تدعونا ». فأما إذا رفعتَ خطاب الجماعة لم تكن إلاّ ((تدعوننا » **وهذا من مبادئ هذا العلم** ». وانظر من هذا الكتاب ٤٦٣/١.

(٢٢٧) أي في الآية (٧٠) من سورة الأنعام.

(٢٢٨) الآية رقم ٦٤ .

(٢٢٩) في حاشية الشهاب الخفاجي:« درة التأويل »، ولعل الصواب ما أثبته، حيث إن الشهاب نفسَه ذكر ما أثبته في نفس الصفحة بعد عدة أسطر.

(٢٣٠) جاء في الصحاح(٧٣٨/عذر):« العذرة:البكارة، والعذراء : البكر ». وعذرة الجارية افتضاضها، والاعتذار : الافتضاض، ويقال: فلان أبو عُذْر فلانة، إذا كان افترعها ، وافتضّها، وأبو عذرتها. وقولهم: ما أنت بذي عُذْر هذا الكلام، أي لستَ أول من افتضّه.(لسان العرب،٥٥١/٤عذر). وعلى ذلك **فمعنى قوله:« وهو أبو عُذْرته »** أن كتاب درة التنزيل هو أول كتاب أُلّف في هذا الفن . و الله أعلم.

(٢٣١) حاشية الشهاب على البيضاوي، ٤٩/٤ .

أولها: التأثر باقتفاء أثره في التأليف في هذا الفن، ومتابعة خطاه، والسير على طريقته التي ابتكرها، مع إضافة ما يفتح الله به على اللاحق، وللسابق فضل العلم والسبق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثانيها: التأثر المصرَّح به، أي: نقل الرأي منسوبا إلى الخطيب، وقد نقل الكرماني في كتابه البرهان عن الخطيب مصرِّحاً باسمه في ستة عشر موضعا(٢٣٤)، وأحيانا ينقل عنه دون التصريح باسمه بعبارات متفقة في الكتابين(٢٣٥).

ثالثها: التأثر غير المصرّح به، أي نقل الرأي دون ما عزوٍ له إلى قائله.

وبعد تقصٍّ وتمحيص ومقارنة تبيّن لي أن جُلّ الآيات التي تناولتها الكتب المؤلفة بعد الخطيب تكاد تتفق في عناوينها ومضمونها مع ما جاء في درة التنزيل، بل إنّ قوة التشابه بلغت في بعض الأحيان حدّ التطابق في العبارة، الأمر الذي يؤكد الشوط الكبير لتأثر الكتب بعد الخطيب بكتابه «**درة التنزيل** ».

وأذكر هنا مثالا من « **الدرة** » على صعيد التوجيه ، ثم أنقل ما قاله أصحاب الكتب المؤلفة بعد الدرة لنتأكّد أن الالتقاء بين كتاب الدرة للخطيب والكتب الأخرى المؤلفة بعد الدرة واضح إلى حد كبير، ولكي يتجلىّ لنا أيضا مدى أثر كتاب الخطيب في اللاحقين عليه، خلال بضعة قرون.

يقول الخطيب :

« **الآية الحادية عشرة منها**(٢٣٦):

قوله تعالى:﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالقُ كلِّ شيءٍ فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال في سورة المؤمن(٢٣٧)[٦٢]:﴿ذلكم الله ربكم خالقُ كلِّ شيءٍ لا إله إلاّ هو فأنيَّ تُؤْفكون﴾.

---

(٢٣٤) هي في الصفحات التالية:١٢٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٩٤ (مرتين) ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ (مرتين)، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٠ . وقد سها محقق كتاب البرهان حينما قال(ص٤٠):« وقد صرح الكرماني بالنقل عن الخطيب في كتابه البرهان في أربعة عشر موضعا ».

(٢٣٥) ينظر على سبيل المثال من كتاب البرهان للكرماني:٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨، ٣٢٩،

(٢٣٦) أي من سورة الأنعام .

(٢٣٧) أي سورة غافر.

للسائل أن يسأل فيقول: لماذا قدّم في سورة الأنعام ﴿لاإله إلاّ هو﴾ على قوله:﴿خالق كل شيء] ، وقدّم في سورة المؤمن:﴿خالق كلّ شيء ﴾ على قوله:﴿لا إله إلاّ هو﴾ ؟

والجواب أن يقال: لأنّ ما في هذه السورة جاء بعد قوله تعالى:﴿وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ وخلَقهم وخَرقوا له بنين وبناتٍ بغير علمٍ..﴾ [الأنعام:١٠٠]، فلما قال:﴿ذلكم الله ربكم﴾ أتى بعده بما يدفع قولَ مَن جعل لله شريكاً، فقال:﴿لا إله إلاّ هو﴾ ثم قال:﴿خالق كلّ شيء﴾.

وفي سورة المؤمن جاء هذا بعد قوله تعالى:﴿لَخَلْقُ السموات والأرض أكبرُ مِن خلق الناسِ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾[غافر:٥٧]، **فكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان، لا على نفي الشريك عنه هنا،** كما كان في الآية الأولى، فكان تقديم ﴿خالق كلّ شيءْ﴾ هاهنا أولى»(٢٣٦).اهـ

ويقول الكرماني (ت ٥٠٥هـ) **في هذا الموضع ـ وهو من أوائل من نقل عن «درة التنزيل» ـ :**

« قوله تعالى:﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء﴾ [الأنعام:١٠٢] في هذه السورة، وفي سورة المؤمن [٦٢]:﴿خالق كل شيءٍ لا إله إلا هو﴾:

قدّم ﴿ لا إله إلا هو﴾ في هذه السورة ، لأن فيما قبله ذكر الشركاء والبنين والبنات، فدفع قول قائليه بقوله:﴿لا إله إلا هو﴾، ثم قال:﴿خالق كل شيء﴾.

وفي المؤمن قبله ذكر الخلق، وهو:﴿لَخلق السموات والأرض أكبرُ من خلق الناس﴾ [غافر:٥٧]، **فجرى الكلام على إثبات خلق الناس، لا على نفي الشريك:** فقدم في كل سورة ما يقتضيه ما قبله من الآيات »(٢٣٧).

وقال ابن الزبير (ت٧٠٨هـ) **في نفس الموضع:**

« والجواب عن ذلك: أن آية الأنعام لما تقدم فيها قوله تعالى:﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾ [الأنعام:١٠٠] وقوله تعالى:﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ [الأنعام:١٠١] **كان الملائم نفي ما جعلوه وادعوه من الشركاء، والصاحبة والولد، فقدم ما الأمر عليه من وحدانيته سبحانه وتعالى عن الشركاء، والولد فقال:﴿لا إله إلا هو ﴾** وعرف العباد بعد بأن كل ما سواه سبحانه خلقه وملكه فقدم الأهم في الموضع.

وأما آية غافر فتقدمها قوله تعالى:﴿لخَلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ [غافر:٥٧] ثم قوله تعالى:﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً..﴾

(٢٣٦) انظر من هذا الكتاب: ٣٢٧/١.

(٢٣٧) البرهان للكرماني، ص١٧٦ ، وانظر كتابه غرائب التفسير له، ٣٧٨/١

[غافر:٦١]، **فلما تقدم ذكر الخلق الأعظم ولم يتقدم هنا ما تقدم في آية الأنعام ما أتبع بالتنبيه على أنه سبحانه خالق كل شيء فكان تقديم هذا التعريف هنا أنسب وأهم،** ثم أعقب بالتعريف بوحدانيته تعالى فجاء كل على ما يجب ويناسب.. »(٢٣٨).

وقال الحسين بن محمد النيسابوري(ت٧٢٨هـ) **في تفسيره « غرائب القرآن »:**

« وإنما قال ههنا:﴿لا إله إلا هو خالق كل شيء﴾ [الأنعام:١٠٢] وفي المؤمن(٢٣٩) بالعكس، لأنه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات، فكان دفع الشرك أهم، وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والأرض، فكان تقديم الخالقية أهم»(٢٤٠).

وقال ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) **في الموضع السابق:**

« لما تقدم هنا:﴿وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ وخلقهم..﴾ [الأنعام:١٠٠] فناسب تقديم كلمة التوحيد النافية للشرك رداً عليهم ، ثم ذكر الخلق.

ولما تقدم في المؤمن كونه خالقا بقوله تعالى:﴿لَخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ [غافر:٥٧] ناسب تقديم كلمة " الخلق " ثم كلمة التوحيد »(٢٤١).

وقال الآلوسي(٢٤٢) (ت١٢٧٠هـ) **رحمه الله تعالى في هذا الموضع:**

« قال بعض المحققين: لأن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى:﴿وجعلوا لله شركاء﴾[الأنعام:١٠٠]، فلما قال جل شأنه:﴿ذلكم الله ربكم﴾ أتى بعده بما يدفع الشركة فقال عز قائلا:﴿لا إله إلا هو ﴾ [الأنعام:١٠٢] ثم ﴿خالق كل شيء﴾ [الأنعام:١٠٢] وتلك جاءت بعد قوله سبحانه:﴿لخلقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [غافر:٥٧], **فكان الكلام على تثبيت خلق الناس، وتقريره ، لا على نفي الشريك عنه جل شأنه كما كان في الآية الأولى،** فكان تقديم ﴿خالق كل شيء﴾ هناك أولى، والله تعالى أعلم بأسرار كلامه »(٢٤٣).

وقد نقل الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) في تفسيره المسمى بـ «مفاتيح الغيب » عن كتاب «درة التنزيل » من غير عزو إليه باختلاف يسير في الألفاظ، حيث جاء فيه(٢٤٤):

(٢٣٨) ملاك التأويل، ٤٦٨/١ - ٤٦٩ .

(٢٣٩) هي الآية (٦٢) من سورة غافر.

(٢٤٠) غرائب القرآن للنيسابورى، ١٧٩/٧ .

(٢٤١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة ، ص١٦٤ ، قلت: لا يخفى أن ابن جماعة اختصر كلام صاحب الدرة.

(٢٤٢) هو محمود بن عبد الله الحسيني، ولد في بغداد وتوفي فيها (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ)

(٢٤٣) تفسير الآلوسي، ٢٤٤/٧ .

(٢٤٤) التفسير الكبير للرازي٥٧/٣.

« قوله تعالى:﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾[البقرة:٤٨]. اعلم أن اتقاء اليوم اتقاء لما يحصل في ذلك اليوم من العقاب والشدائد، لأن نفس اليوم لا يتّقى، ولا بد من أن يَرِدَه أهل الجنة والنار جميعا، فالمراد ما ذكرناه.

ثم إنه تعالى وصف اليوم بأشد الصفات وأعظمها تهويلا، وذلك لأن العرب إذا دُفع أحدهم إلى كريهة وحاولت أعوانه دفاع ذلك عنه بذلت ما في نفوسها الأبية من مقتضى الحمية فذبّت عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته. فإن رآى من لا طاقة له بمانعته(٢٤٥) عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة. فإن لم تغن عنه الحالتان من الخشونة والليان لم يبق بعده إلا فداء الشيء بمثله. إما مال أو غيره وإن لم تغن عنه هذه الثلاثة تعلل بما يرجوه من نصر الأخلاء والإخوان، فأخبر ا لله سبحانه أنه لا يغني شيء من هذه الأمور عن المجرمين في الأخوة (٢٤٦)». اهـ كلام الفخر الرازي.

فلما رجعت إلى كتاب الخطيب في **درة التنزيل** وجدت أنّ هذه العبارات التي ذكرها الرازي في هذه المسألة متفقة في أكثرها مع عبارات الخطيب في الدرة . وأرى من المناسب ـ أيها القارئ ـ أن أنقل لك كلام الخطيب في « درة التنزيل » حتى تقارن بين كلامه وكلام الرازي، فتعرفَ مدى تأثر الفخر الرازي بالخطيب الإسكافي.

قال **الخطيب** في كتابه **درة التنزيل**: « والوجه في الأول أنّه لمّا قال:﴿ لاتجزي نفس عن نفس شيئا ﴾ بمعنى: لايغني أحد عن أحد فيما يلزمه من العقاب ولايكفّر سيآته ما له من الثواب، وهو كقوله-عزّمن قائل-:﴿...واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده ولامولود هو جازٍ عن والده شيئا...﴾ [لقمان:٣٣] فهذه الأشياء التي ذُكر في هذه الآية امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع تُتّقَى بها المكاره وتُتداوى بها الشدائد، **ألا ترى العرب إذا دُفع أحدهم إلى كريهة وارتهنت نفسه بعظيمة وحاولت أعزّته دفاع ذلك عنه وتخليصه منه بدأت بما في نفوسها الأبية من مقتضى الحميَّة، فذبّت عنه كما يذُبُّ الوالد عن ولده بغاية قوته وجَلَدِه**(٢٤٧) ، **فإن رآى مَن لا قِبل له بممانعته ولا يَدَ له بمدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة والشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة، فإن لم تغن عنه الحالتان ولم تنجه الخلتان**(٢٤٨) **من الخشونة واللين لم**

---

(٢٤٥) لعل الصواب: بممانعته، كما في درة التنزيل.

(٢٤٦) هكذا في الكتاب، ولعل الصواب: في الآخرة.

(٢٤٧) الجلد ـ محركة ـ: الشدة والقوة (القاموس المحيط، مادة جلد).

(٢٤٨) الخَلّتان تثنية الخلّة، والخَلّة بفتح الخاء ـ:الخصلة، وجمعها:خلال (القاموس).

يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله، وفكه من الأسر بعدْله(٢٤٩) **إمَّا بمال وإمّا بغيره، فإن لم تغن هذه الثلاثة في العاجلة تعلل بما يرجوه من نصر في الآجلة، وإدالة**(٢٥٠) **في الخاتمة**، كما قال تعالى:﴿...ثم بغي عليه لَينصرنه الله﴾[الحج:٦٠] وقال تعالى:﴿...فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾[الإسراء:٣٣] على أحد وجوه التفسير، فأخبر الله تعالى أن ما يغني في هذه الدنيا عن المجرمين، وترتب هذه المراتب بين العالمين، لايغني منه شيء في الآخرة عن الظالمين »(٢٥١).

هذه بعض أمثلة(٢٥٢) مما نقلها هؤلاء العلماء من « **درة التنزيل** » وما ضمنوه من نصوص في مؤلفاتهم.

وهكذا نرى التأثير الواضح لكتاب « **درة التنزيل** » على مَن بعده، واستمرار هذا التأثير عبر القرون المتتالية، ونفوذه إلى أئمة التأليف في هذا الفن، وإلى أئمة التفسير، وما ذلك إلاّ لأصالة ما حواه كتاب « **درة التنزيل** » من علم مكين، وما سطره **الخطيب** من تحقيق وتحرير، فرحم الله أئمتنا الأعلام، ورضي عنهم أجمعين.

* * * * *

المطلب الثامن : المآخذ على الكتاب

أشرت من قبل إلى أهمية الكتاب وسعة انتشاره وتداوله بين الناس، فلأذكر الآن ما يؤخذ عليه استكمالا لدائرة دراسته، لأن كل عمل بشري من غير المعصوم ﷺ لا بد أن يكون فيه نقص وعليه مآخذ، ومن المآخذ التي تؤخذ على هذا الكتاب ما يلي:

١ ـ مبالغة المؤلف رحمه الله، وتوسعه في القضايا النحوية(٢٥٣)، والقضايا اللغوية(٢٥٤)، وعدم اقتصاره على ما هو بصدده؛ من توجيهِ الآيات التي فيها تشابه من تقديم وتأخير، أو

---

(٢٤٩) أي:بفدائه، والعدل:الفداء (القاموس المحيط).

(٢٥٠) الإدالة: الغلبة (القاموس المحيط).

(٢٥١) انظر من هذا الكتاب، ١٤١/١ .

(٢٥٢) من أراد المزيد من الأمثلة فليراجع:**درة التنزيل** ٣٥٩/١ عند الكلام على الآية الخامسة من سورة الأعراف، ويقابله كلام الكرماني في «**البرهان** »ص ١٨٦، **وكلام ابن جماعة** في « **كشف المعاني** »، ص١٧٦، **وكلام زكريا الأنصاري** في كتابه « **فتح الرحمن** »، ص١٩٤. وانظر لمثال آخر:**درة التنزيل** عند الكلام على الآية السابعة من سورة التوبة ٤٤٢/١، ويقابله **كلام الكرماني** ص٢١٢، **وكلام ابن جماعة**، ص٢٠١، **وكلام زكريا الأنصاري**، ص٢٤١.

(٢٥٣) من الأمثلة على التوسع في القضايا النحوية مما هو زيادة على ما يبحث عنه:

أ ـ في الآية الرابعة من سورة آل عمران بحث عن الحكمة في اختصاص ما في سورة آل عمران بقوله:﴿بأنا﴾، وفي سورة المائدة بقوله:﴿بأننا﴾. ثم قال في الأخير:« مسألة: اعلم أن النون التي حذفت من أنا غير النون التي حذفت من أني ، وقد جاء القرآن بهما جميعا... »، وانظر من من هذا الكتاب ٢٣٧/١ .

ب ـ توسّع رحمه الله في ذكر وجهات البصريين والكوفيين من النحاة في مسألة الكاف، هل هي للخطاب أو هي اسم ، وذلك في الآية السابعة من سورة الأنعام، في قوله تعالى:﴿قل أرأيتكم﴾[الأنعام:٤٠].

<==

تعريف وتنكير، أو زيادة وحذف..، وبيانِ الحكمة في تكرير بعض الآيات بالكلمات المتفقة أو المختلفة.

ولا شك أن هناك قضايا نحوية يضيفها الشيخ في كتابه، القصد منها توجيه ما يراه من تشابه واشتباه في بعض الآيات القرآنية، ومثل هذه الأمور يجدها القارئ في ثنايا الكتاب، وهي زيادات تنبئ عن شخصية المؤلف العلمية، وتدل على مدى تعمّقه في اللغة والنحو.

لكن محل النقد هو توسّعه واستطراده في هذا اللون، زيادةً على المطلوب في الموطن الذي يبحثه.

٢ ـ التكرار، وهذا قليل ، و لم يكن إلاّ مرتين أو ثلاث مرات، فقد درج الخطيب على التزام ترتيب السور والآيات، وهذه الطريقة إذا كان لها كثير من المزايا فإنها في بعض الأحيان توقعه في التكرار، بأن يتناول الآية مع ما يشبهها من آية أو آيات في موضعين حيث يعيد في الموضع الثاني بعض الآيات التي تناولها في الموضع الأول، بألفاظ متقاربة(٢٥٥).

٣ ـ تناوله بعضَ الآيات بالتطويل أخرجه عن نطاقِ الموضوع، وهو توجيه الآيات المتشابهة لفظاً.

وعلى سبيل المثال: أنه رحمه الله تطرّق إلى معنى قوله عز وجل:﴿إن يكن غنيا أو فقيرا﴾[النساء:١٣٥]، وكذلك معنى قوله تعالى:﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا..﴾[النساء:١٣٥]، في الموضع الذي لا يستدعي المقام ذكر هذا كله، حيث إنه كان

جـ ـ ذكر رحمه الله الفرق بين لام الجحود ولام كي وتوسع فيه كثيراً، وذلك في الآية العاشرة من سورة هود ٤٧٧/١ .

(٢٥٤) انظر من هذا الكتاب لمعرفة توسع المؤلف في شرحه للكلمات الغريبة التالية:

أ ـ الوليجة، فقد توسع في شرح معناها في الآية العشرين من سورة البقرة، مع أن معناها بهذا التوسع لايرتبط بتوجيه تلك الآيات التي تناولها في ذلك الموضع. وانظر من هذا الكتاب: ٢٠٨/١ .

ب ـ السلطان، فقد توسع في بيان معناها أيضا. وذلك في الآية التاسعة من سورة هود . وانظر من هذا الكتاب،٤٧٦/١ .

(٢٥٥) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال(٢٤٣/١):**الآية السادسة من سورة آل عمران** في ترتيب المؤلف وهي قوله تعالى:﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[آل عمران:١٣٦]، وبحث فيها رحمه الله عن وجه ذكر الواو في قوله تعالى:﴿ ونعم﴾، ووجه حذفها من قوله تعالى في سورة العنكبوت[٥٨]:﴿..خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾، **وقد تناول نفس المسألة في سورة العنكبوت في الآية الخامسة منها** حسب ترتيب المؤلف بألفاظ متقاربة(٦١٧/٢). **وكذلك الأمر في الآية الرابعة من سورة المائدة**(٢٧٣/١)، حيث تناول فيها الخطيب وجه الحكمة عن حذف ﴿لكم﴾ في قوله تعالى:﴿قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا..﴾[المائدة:١٧]، وقد تناول نفس المسألة في الآية الثانية من سورة الفتح حسب ترتيبه من هذا الكتاب (٧٣١/٢). وكذلك الأمر في الآية الأولى من سورة يونس (٤٤٥/١)، حيث تناول فيها الخطيب تقديم ﴿يضرهم﴾ على ﴿ينفعهم﴾ في آية سورة يونس، وكرر هذه المسألة بألفاظ متقاربة في الآية الثانية حسب ترتيبه من سورة الفرقان. وانظر من هذا الكتاب: ٥٨٤/١ .

يتحدث في هذا الموضع عن الفائدة في تقديم ﴿بالقسط﴾ على ﴿شهداء﴾ في قوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله﴾[النساء:١٣٥]، وتأخيره عنه في قوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط..﴾[المائدة:٨][٢٥٦].

٤ - وهناك جانب آخر وهو الإطناب في الجواب، مما يسبب أحياناً اضطراباً في الكلام.

وعلى سبيل المثال يبحث رحمه الله في الآية العشرين من سورة البقرة[٢٥٧] عن الحكمة في كيفية اختلاف اللفظ في المواضع الثلاثة[٢٥٨] التي موضوع كلٌّ منها واحد، وهو البعث والحثّ على الجهاد، في حدود أربع صفحات.

ويأتي الكرماني صاحب كتاب **متشابه القرآن** ويستخلص كلام الخطيب ويقول:

« أطنب الخطيب في هذه الآيات: ومحصول الكلام: أن الأول للنبي والمؤمنين. والثاني للمؤمنين. والثالث: للمخاطبين »[٢٥٩].

٥ - عدم وضوح العبارة في بعض الأحيان، حيث إن الخطيب قد تبدر منه أحيانا بعض العبارات الغامضة، فقد يقدم ما يستحق التأخير، وقد يختصر في العبارة مما يخلّ المعنى، ولكن يخفف من حدّة هذا أن عبارته مستقيمة في أكثر الأحيان، ولعل هذا المأخذ راجع إلى أخطاء النساخ.

٦ - عدم تصريح الخطيب بمن يأخذ عنه ، أو يذكر رأيه أحياناً، حيث يقول مثلا: قال « بعض أهل النظر[٢٦٠] »، و« أكثر أهل التفسير »[٢٦١]،.. ولم يوضح أسماء من نقل عنهم.

وهذه بعض الأمور التي لاحظتها خلال دراستي لكتاب درة التنزيل لأبي عبد الله الخطيب، منها ما تكون في صميم جوهر العمل، ومنها ما تكون جانبية، أو شكلية، لا تقلّل من قيمة الكتاب، ولا تضعف الثقة به، بل سيظلّ مصدرا أساسيا مهماً لمن يصنف في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً. والله أعلم.

---

(٢٥٦) انظر من هذا الكتاب: ١/ ٢٥٧.

(٢٥٧) انظر من هذا الكتاب: ١/٢٠٥ .

(٢٥٨) المواضع الثلاثة هي: قوله تعالى:﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مَثَلُ الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضراء وزُلزِلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب﴾[البقرة:٢١٤]. وقال في سورة آل عمران [١٤٢]:﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولَمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾. وقال في سورة التوبة [١٦]:﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خبير بما تعملون﴾.

(٢٥٩) البرهان للكرماني، ص١٣٨ .

(٢٦٠) انظر من هذا الكتاب على سبيل المثال: ١/ ٢٣٠ ، ١/ ٢٨٤.

(٢٦١) انظر من هذا الكتاب:الآية الثانية من سورة المائدة: ١/ ٢٦٩ .

الفصل الثالث

وصف النسخ ، ومنهج التحقيق

فيه مبحثان:

المبحث الأول: **وصف النسخ.**

فيه مطلبان:

المطلب الأول: **وصف النسخ المطبوعة.**

المطلب الثاني: **وصف النسخ المخطوطة.**

المبحث الثاني: **منهج التحقيق.**

المبحث الأول

وصـــف الـــنسـخ

المطلب الأول: وصف النسخ المطبوعة:

تحقيق كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل » اقتضاني أن ألقي ضوءاً على تاريخ نشره في تفصيل عملي.

وقد ظهر الكتاب قبل تحقيقي عن طريق المطبعة في أربع طبعات ، هي كما يلي:

الطبعة الأولى:

لقد طبع هذا الكتاب القيم سنة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م في مطبعة السعادة بمصر باعتناء الشيخ عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر الشريف رحمه الله وأجزل مثوبته.

ومحقق هذه الطبعة قد اعتمد في تصحيح الكتاب على مخطوطتين، حيث جاء في غلاف النسخة المطبوعة:

« تنبيه: صحح هذا الكتاب على نسختين :الأولى محفوظة برواق السادة الأتراك. والثانية بالكتبخانة الخديوية بمصر باعتناء حضرة الفاضل الشيخ عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر الشريف».

ولكن ليس هناك أي وصف لهاتين النسختين اللتين ذكرهما، وأستطيع القول: إن مصحح هذا الكتاب ربما لم يقف على نسخة كاملة من مخطوطاته، ولذا فالكتاب المطبوع فيه سقط كبير مهم، وذلك يبدأ من النصف الأخير للآية الرابعة من سورة البقرة، والجزء الكبير من الآية الخامسة، والمصحح أشار إليه في موضعه بوضع نقاط كثيرة هكذا[1]:(.................)

وهذه الطبعة في مجلد واحد في ٣٩٨ صفحة، بدون أي مقدمة عن الكتاب أو عن المؤلف ، وقد جاءت خالية أيضا عن أيّ تعليق، أوتخريج، أوتوضيح في المواضع التي تحتاج إلى ذلك، ومع ذلك نلحظ فيها أحياناً ذكر بعض الفروق بين النسخ أثناء الكتاب.

---

(١) يشير في الهامش إلى هذا السقط الكبير قائلا:« هنا سقط في النسخ التي بأيدينا ، ولذا تركنا هذا البياض علامة عليه». انظر درة التنزيل، طبعة مصر، ص ١٢ ، وانظر كذلك طبعة دار الآفاق الجديدة بلبنان (ص ١٩)، إذ هي كررت طبعة مصر بدون أيّة إشارة إلى ذلك.

وجاء عنوان الكتاب في هذه الطبعة هكذا:

« كتاب درة التنزيل وغرة التأويل »

في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز

للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ

رواية الإمام إبراهيم بن علي بن محمد

المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني

الطبعة الثانية :

الطبعة الثانية لهذا الكتاب بعد سنة من ظهور الأولى، حيث كانت في سنة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م في مطبعة محمد محمد مطر الوراق بمصر أيضا.

وكلتا الطبعتين الأولى والثانية طُبعت على نفقة أحمد ناجي الجمالي، ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه، وقد تيسّر لي الحصول عليهما عن طريق شقيقي سليمان حفظه الله تعالى.

والحقيقة أن هاتين الطبعتين نسخة واحدة، إلا أن في الثانية استُدرك السقط الموجود في الآية الرابعة والخامسة من سورة البقرة، وليس هناك أي إضافة أخرى.

وجاء في ورقة العنوان من هذه الطبعة:

« كتاب درة التنزيل وغرة التأويل »

في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز

للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ(٢)

رواية الإمام إبراهيم بن علي بن محمد

المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني

« **تنبيه:** صحح هذا الكتاب على ثلاث نسخ ، الأولى محفوظة برواق السادة الأتراك، والثانية بالكتبخانة الخديوية بمصر، والثالثة منسوخة من نسخة من المكتبة الحنبلية بالقدس الشريف ».

ونلاحظ في هذه الطبعة عدم وجود أي ذكر لمن اعتنى بإخراج الكتاب.

---

(٢) في الأصل: ٤٣١، وهو خطأ مطبعي.

الطبعة الثالثة والرابعة:

بعد الطبعتين المصريتين السابقتين أعيد طبعُ هذا الكتاب في بيروت في دار الآفاق الجديدة مرتين، أولاهما في سنة ١٩٧٣م، وكانت الثانية في سنة ١٩٧٩م.

وهاتان الطبعتان لا تختلفان عن بعضهما البعض، وكلتاهما مأخوذة بحروفها عن الطبعة الأولى المصرية التي طبعت بعناية الشيخ عبد المعطي السقا رحمه الله، وكتب على الطبعتين الأخيرتين في ورقة العنوان : طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة .

وجاءت في مقدمة الناشر العبارة التالية:

« ..ودرة التنزيل وغرة التأويل، وهو هذا الكتاب الذي يسرّ دار الآفاق الجديدة ببيروت أن تقدمه للقراء، وللباحثين في الدراسات القرآنية، بعد أن صححه وقابله على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة الأستاذ عادل نويهض.. »(٣)، **من غير أيّ إشارة إلى الطبعة المصرية** مما يوهم أن عملا جديدا تمّ بها.

ولكن الحقيقة أن طبعتي « دار الآفاق الجديدة » هما طبق الأصل من الطبعة المصرية الأولى، على ما فيها من أوهام وأخطاء وتصحيفاتٍ ونقص، مع إضافة نحو صفحة ونصف صفحة عن ترجمة الخطيب، وعدد من الحواشي التي فيها عزو بعض الآيات، ولم يضيفوا أي مخطوطة جديدة مما يسدّ السقط الموجود في الطبعة المصرية الأولى التي أعادوا طبعها.

كما أن جميع التعليقات التي يشار إليها في الطبعة المصرية الأولى عينها موجودة في الطبعتين (١٩٧٣، ١٩٧٩م) اللتين طبعتا في دار الآفاق الجديدة، مما يدلنا على أن الكتاب أعيد طبعه فعلاً في بيروت بصف حروف جديدة،من غير إشارةٍ قط إلى أن هذا الكتاب قد طبع بمصر.

ومما يجدر ذكره أن طبعتي بيروت لم ينتبه مخرجهما إلى التصحيح الذي جاء في الطبعة الثانية للكتاب، والذي ذكرناه من قبل، ولهذا جاءت طبعتا بيروت أيضا تحملان السقط الذي حصل في الطبعة المصرية الأولى، وهذا يؤكد ـ مع الأسف ـ ظننا في نقلهم الحرفي للطبعة المصرية الأولى، بلا أي جهد جديد يستحق ادعاء ما ادعوه حين إخراج الكتاب في طبعتيه الأخيرتين (١٩٧٣، ١٩٧٩ م).

جزى الله الشيخ عبد المعطي السقا خيرا على ما قام به من جهد في إخراج الكتاب لأول مرة، فقد أحيا كنزا من تراثنا العلمي، وجزى الله ناشري الكتاب أيضا خيرا على ما قاموا به في هذا السبيل.

---

(٣) مقدمة الناشر من النسخة المطبوعة: (ص ٥ ـ ٦).

غير أننا لاحظنا وجود أخطاء كثيرة جدا في المطبوع سواء في الطبعتين المصريتين القديمتين، أو في طبعتي بيروت اللتين كررتا كل الأخطاء السابقة بلا أدنى تغيير تقريباً، وهي أخطاء شائعة في اللغة، وألفاظ الآيات، وتصحيف الكلمات، وأسقاط ألفاظ أو جمل من النص الأصلي، مما يفسد المعنى في كثير من الأحيان، بل يقلبه قلبا، ويفيد نقيض المقصود.

بعض الجداول لبعض الأخطاء التي وقعت في النسخة المطبوعة(٤)

جدول رقم (١)

بعض الأخطاء التي وقعت في كتابة الآيات القرآنية

التسلسل	الخطأ في النسخة المطبوعة	الصفحة	السطر	صوابه في نسختنا المحققة	الصفحة	السطر
١	فكلوا منها	١٠	١٣	﴿وكلوا﴾	١٣٨/١	١٣
٢	إن الذين آمنوا من آمن با لله واليوم الآخر	٢١	٢	﴿إن الذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿من آمن با لله..﴾	١٥٧/١	١٥
٣	أن تشركوا به شيئا	١٣٤	٤	﴿ أن لا تشركوا به شيئا﴾	٣٣٩/١	١٤
٤	وقد أرسلنا	١٥٠	١٩	﴿ولقد أرسلنا..﴾	٣٦٥/١	٤
٥	إلا أن امرأته قدرناها من الغابرين	١٦١	١٧	﴿..إلاّ امرأته قدّرناها من الغابرين﴾	٣٨٥/١	١
٦	نزل الفرقان على عهده..	٣٩١	١٦	﴿نزّل الفرقان على عبده..﴾	٦٦٤/٢	٩
٧	أم تسألهم أجرا فمنهم من مغرم مثقلون	٤٥٣	٣	﴿أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون﴾	٧٤٠/٢	٣

جدول رقم (٢)

بعض الأخطاء الموجودة في المطبوع بسبب تغيير وتحريف

التسلسل	الخطأ في النسخة المطبوعة	الصفحة	السطر	صوابه في نسختنا المحقّقة	الصفحة	السطر
١	وقد غير فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى	٢٠	١٦	وقد غيّر فيها لفظة **عما** كانت عليه في الأولى	١٥٧/١	١١
٢	وليس في لفظه معنى التأييد	٢٥	٧	وليس في لفظه معنى **التأبيد**	١٦٧/١	٩
٣	أن يقال نبين الأول الفرق بين..	٢٥	٢٠	أن يقال نبين **أوّلا** الفرق بين..	١٦٨/١	١٣
٤	**وإذ قيل** جاز أن يقول..	١٠٧	١٣	**وإذا قيد** جاز أن يقول	٢٩٣/١	١٣
٥	**أي في** فرقة الإسلام أو في فرقة الكفر	١٢٩	١٥	**أ في** فرقة الإسلام أم في فرقة الكفر..	٣٣١/١	١٠
٦	مما **رواه** الكفار جوابا له..	١٥١	٢٢	مما **رآه** الكفار جوابه له..	٣٦٧/١	١٠
٧	كرر عليهم لوط الإنكار **وأعادوا إليهم**	١٦٤	٩	كرر عليهم لوط الإنكار **وأعاد إليهم**	٣٨٩/١	٧
٨	أشبه بما **بينت** عليه الآيات المتقدمة	١٦٦	١٨	أشبه بما **بُنيت** عليه الآيات المتقدمة	٣٩٣/١	١
٩	فلا يصلح أن تدخل الفاء **في قوله فكان**	٤٥٩	١٢	فلا يصح أن تدخل الفاء **في قوله ﴿فكيف كان﴾**	٧٤٩/٢	١٣
١٠	كما يجعل **أمر الولاة** سهلا..	٤٩٠	٢٢	كما يجعل **أمر الولادة** سهلا..	٧٨٩/٢	٥

(٤) في الأمثلة التالية سأذكر أرقام الصفحات من طبعة دار الآفاق الجديدة، لأنها هي المتداول بين الناس.

جدول رقم (٣)

بعض الأخطاء الموجودة التي تُفسد المعنى بسبب السقط(٥)

التسلسل	السقط في النسخة المطبوعة	الصفحة	السطر	تمامه في نسختنا المحقّقة	الصفحة	السطر
١	ألحق بما في واحده علامة التأنيث في الجمع..	٢٣	٢١	ألحق بما في واحده علامة التأنيث لاستوائهما في الجمع	١٦٤/١	١٠
٢	وبيّنا ما يليق من الاسمين بكل آية **فقلنا قوله تعالى:﴿ولن ترضى عنك﴾**	٢٦	١٧	وبيّنا ما يليق من الاسمين بكل آية **فكان قوله تعالى:﴿..بعد الذي جاءك من العلم..﴾ واقعا بعد خبر ا لله تعالى:﴿ولن ترضى عنك ..﴾**	١٧٠/١	٥
٣	وأمرتَ بالتوجه نحوها من الظالمين	٢٨	٥	وأمرتَ بالتوجه نحوها **صرتَ** من الظالمين	١٧٣/١	٥
٤	ثلاثة أفعال لا تكون إذن بإذن ا لله	٦٧	١٠	ثلاثة أفعال لا تكون **إلا بإذن** ا لله	٢٣١/١	١٣
٥	لأن أولها افتتح إلى قصة نوح..	١٤٩	١٤	لأن أولها افتتح **إلى أن انتهى** إلى قصة نوح	٣٦٣/١	١
٦	وغيرها من الفكر والتنبيه على..	٢٥٨	٧	وغيرها **من النعم التي تبعث على الفكر**	/٢	٥٠١/٢
٧	ما لا يتسهل على الفاعلين	٣٢٨	١٤	ما لا يتسهل **عليه نفعه، أي يعبدون أصناما لا تقدر على ما يتسهّل** على الفاعلين	/٢	٥٨٤/٢

* * * * *

المطلب الثاني: وصف النسخ المخطوطة :

بين أيدينا اثنتا عشرة نسخة خطية، واعتمدت على ثلاث منها اعتمادا تاما، وهي نسخة مكتبة أحمد الثالث (أ)، ونسخة مكتبة بايزيد (ب)، ونسخة مكتبة كوبريلي (ك)، لأنها فقط تامة من بين النسخ كلها، صريحة النسبة إلى محمد بن عبد ا لله، أبي عبد ا لله الخطيب، وصريحة عنوان الكتاب.

وقفت عندها طويلا لاختيار نسخة الأصل، وبعد دراسة ومقارنة طويلة تمّ اختيار نسخة أحمد الثالث (أ) أصلا، وجعلتها معتمدي الأول في التحقيق، ولكني أعدل عنها إذا ظهر لي وجه الحق في النسختين الأخريين (ب، ك)، وقد أنتقل ـ عند الضرورة ـ إلى نسخة أخرى غير الثلاثة المذكورة (أ ، ب ، ك)، ولذا يجد القارئ هوامش كثيرة مما يدل على كثرة الفروق بين النسخ.

وأقل النسخ تصحيفا بعد نسخة أحمد الثالث هما نسختا بايزيد (ب) وكوبريلي (ك)، وقابلت النص عليهما، وكثيرا ما رجعت إلى النسخ الباقية لبيان فروق جوهرية.

---

(٥) هناك سقط في النسخة المطبوعة المتداولة بين الناس في سورة البقرة بلغ صفحتين، وذلك من آخر الآية الرابعة والجزء الكبير من الآية الخامسة حسب ترتيب المؤلف، حيث جاء فيها سورة البقرة على النحو الآتي: الآية الأولى..، الآية الثانية..، الآية الثالثة..، الآية الرابعة..، الآية السادسة.. وانظر النسخة المطبوعة، ص ١٩.

ولقد كان همي الأول بمقابلة هذه النسخ الثلاث مقابلة دقيقة مع كثرة الرجوع إلى النسخ الأخرى: استكمال النقص، وتصحيح الخطأ، وتدارك السهو.

وفيما يلي تفصيل وصف النسخة التي جعلتها معتمدي في التحقيق، والنسخ الباقية التي جعلت اثنتين منها للمقابلة ، والأُخر للمراجعة عند الحاجة:

١ ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث:

توجد هذه النسخة بمكتبة أحمد الثالث التابعة لمتحف طوب قبو بإستانبول ـ أعاد الله عزها وأمجادها بالإسلام ـ تحت رقم (٨٥) تفسير، وهي التي جعلتها الأصل ، وقد حصلت على صورة منها بواسطة الأخ حسن كوك بولوت، وتتكون هذه النسخة من ثماني ومائة لوحة (١٠٨)، وكل لوحة فيها صفحتان، وكل صفحة فيها خمسة وعشرون سطرا.

وفي مقدمة الشروط التي يجب أن تتوافر في النسخة الأم: الأقدمية، والضبط: بمعنى أنها تكون من الناحية التاريخية أقرب إلى عصر المؤلف، ومن الناحية العلمية تكون أقرب النسخ إلى كلام المصنف..

وبعد دراسة دقيقة وفحص عميق لما لدينا من النسخ لم يبق أمامنا إلا اختيار نسخة مكتبة أحمد الثالث لتكون أساسا للتحقيق وذلك للاعتبارات التالية:

الأول : أنها أقدم الأصول المخطوطة وأقربها إلى عصر المؤلف، إذ كتبت في القرن السابع، كتبها ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

الثاني: أنها أضبط النسخ من حيث استقامة العبارة، وأتقنها، وأقلها تصحيفا، ويرجع ذلك إلى أن ناسخها من العلماء المعروفين وهو ياقوت الحموي كما ذكر ذلك في ورقة العنوان.

الثالث: أنها تامة، ليست فيها مخرمة، وهي مأخوذة من نسخة علىنسخة المؤلف وعليها تمليكات ومطالعات.

الرابع : عند مقابلتها مع النسخ الأخرى خصوصا النسخة (ب ، ك) وجدتها قليلة السقط والأغلاط، فقد كتب في حواشي بعض صفحاتها مقابل السطر ما فات ناسخها من كلمات، ووضع إلى جانبها إشارة (صح)، ومن السطر إشارة إلى مكانها .

ولهذا اتخذت هذه النسخة أصلا في التحقيق، فنقلت النص منها، وحددت أرقام أوراقها في الهامش ، وبعد ذلك عارضت النص ـ كما قلت سابقا ـ بنسختي (ب ، ك) لجمع الخلافات، وجعله أقرب ما يكون إلى الصورة التي أرادها المؤلف، وكثيرا ما استعنت بالكتاب المطبوع في قراءة بعض الكلمات.

ورمزت إليها بالحرف (أ)، وفي السطر الواحد ١٥ كلمة تقريبا، وهي كاملة في مجلد واحد، وخطها مقروء نسخي معتاد، واضح إلى حد كبير، وقد كتبت فيها أسماء السور والرؤوس مثل الآية الأول، والآية الثانية، وبعض الكلمات مثل :« للسائل أن يسأل فيقول » بالمداد الأحمر، وكذلك الآيات القرآنية التي يريد المؤلف أن يتناولها من نوع تشابه لفظي .

وفي الصفحة الأولى عنوان الكتاب واسم مؤلفه هكذا:

درة التنزيل وغرة التأويل
إملاء الشيخ الإمام العالم
أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الأصبهاني
رحمه الله تعالى

وفي مقدمة هذه النسخة أن الراوي الذي قام بكتابة هذا الكتاب هو إبراهيم بن علي ابن محمد، المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني، حيث صرح بأن أبا عبد الله الخطيب قد أملاه عليه في القلعة الفخرية لما خلا فيها و لم يحضره غيره.

وعلى الجانب الأيمن من ورقة العنوان كتابة قليلة، وهي:« الحمد لله وحده، بسم العبد الفقير إلى الله..» وباقي الكتابة غير مقروءة، وعلىالجانب الأيسر كتب اسم متملكه بخط مغاير لخط الناسخ هكذا:« الحمد لله ملكه من فضل الله ذي اللطيف الحفي محمد بن إبراهيم العزي الحنفي في رجب سنة خمس وتسعين ».

وتحت كتابة التمليك كتابة أخرى بخط مغاير أيضا هكذا:« بخط ياقوت الحموي لا ياقوت المستعصمي رحمهما الله ... وسائر المسلمين ».

يبدو - والله أعلم - أن هذه التفرقة بسبب خلط بعض الباحثين بين ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد، الحموي (ت٦٢٦هـ)، وياقوت المستعصمي[٦] (ت٦٩٧هـ)، ونسبوا لأحدهما ما للآخر، حيث إن الخط العربي عرف أربعة من كبار الخطّاطين تشاركوا باسم

(٦) نسبة إلى الخليفة المستعصم بالله، آخر خلفاء بني العباس، المقتول على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ . (انظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية ١٣/٢٠٠).

واحد، هو «**ياقوت**»[٧]، وكانوا جميعا في عصر واحد، هو القرن السابع، وقد ميّز بينهم نسبتهم أو لقبهم[٨].

وفي الصفحة الأولى أيضا عبارة بخط ناسخ الكتاب في عرض الصفحة تشير إلى أن هذه النسخة قد قوبلت بالأم، وهي:

«شاهدت على الأصل المنقول منه هذا الكتاب ما صورته: شاهدت على الأصل المنقول منه: أبو عبد الله الخطيب مصنف هذا الكتاب أديب مشهور من أهل أصبهان، له تصانيف حسنة مفيدة يعرف بفضلها أهل أصبهان والري[٩]، وكان في أيام الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد، يقرأ عليه الآداب بأصبهان، وكان الصاحب يقول: تعيّنت[١٠] فضائل أصبهان لرجلين حائك وإسكاف، يريد بالإسكاف أبا عبد الله الخطيب هذا، ولذلك يعرف بالإسكافي، ويريد بالحائك أبا الحسن أحمد بن محمد المرزوقي مصنف شرح الحماسة، وشرح المفضليات، وكتاب الأزمنة وغير ذلك. كتب عبد الله الفقير إليه ياقوت بن عبد الله الرومي ثم الحموي أبو عبد الله رفق الله تعالى به».

كما جاء في الصفحة الأولى:

«فائدة:

لا تكمل مروءة المرء حتى تستكمل فيه اثنتا عشرة[١١] خصلة من خصائل الطير:

الأولى: الديك (٣)

الكرم، والعزلة، ومعرفة أوقات الصلوات

الثاني الغراب (٣)

البكورة إلى المعاش، والحذر من الشدائد، وإخفاء النكاح

والثالث: البوم (٣)

القناعة، والعزلة، والصمت

والرابع: الحمام (٣)

حب الوطن، والتآلف، والصبر على الشدائد

---

(٧) ياقوت اسم مختص بمن كان من الرقيق، والذين يشتركون في هذا الاسم يميَّزون بالنسبة إلى رجل (مثل المالكي، المستعصمي)، أو لبلدٍ (الموصلي، الحموي). (انظر: كتاب ياقوت المستعصمي، ص٧، تأليف الدكتور/ صلاح الدين المنجد)

(٨) انظر: كتاب ياقوت المستعصمي، تأليف الدكتور/ صلاح الدين المنجد، ص ٧.

(٩) هنا كلمة غير مقروءة.

(١٠) في الأصل: تعيدت، ولعل الصواب ما أثبته.

(١١) في الأصل: اثنا عشر، ولعل الصواب ما أثبته.

وهـذا كـلام يبـدو لي وا لله أعلـم أنـه مـن إضافـات النسـاخ للطرافـة، ولا تعلُّـق لـه بالموضوع.

٢ ـ نسخة مكتبة بايزيد :

هذه النسخة تامة أيضا، كتبت بخط نسـخ معتـاد، وعلـى الورقـة الأولى كتـب : «درر التنزيل وغرر التأويل » وهو غير العنوان الحقيقي للكتاب، لأن عنوان الكتاب في مقدمة هـذه النسخة لا يختلف عن سابقتها، إذ فيها تصريح المؤلف بتسمية الكتـاب أيضـا إذ يقـول فيهـا: «وسميته درة التنزيل وغرة التأويل »(١٢).

ونسبت هذه النسخةُ الكتاب إلى أبي عبد ا لله الخطيب حيث جاء في الغلاف:

كتاب درر التنزيل وغرر التأويل

تأليف الشيخ الإمام العالم الوحد الزاهد الورع

أبي عبد ا لله محمد بن عبد ا لله الخطيب

تغمده ا لله تعالى بفضله ورحمته

وهذه النسخة لا تقل عـن نسـخة أحمـد الثـالث (أ) في الجـودة والإتقـان، وهـي تعـد أصوب النسخ الموجودة بغض النظر عن نسخة أحمد الثالث، لولا أن كاتبها رحمه ا لله شـطح قلمُه فأسقط في غير ما موضع منه كلمة أو جملة.

ورمزت إليها بالحرف (ب)، وهي مصورة من المكتبة العمومـيـة بإسـتانبول «بـايزيد» تحت رقم (٣٦٥)، وتقع في ١٤٧ ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحـة مـن ٢١ سطرا، وفي السطر الواحد من ١٦ إلى ١٨ كلمة.

ويوجد على الصفحـة الأولى عـدة تمليكـات، ممـا يـدل علـى أن الكتـاب تداولتـه أيـدٍ كثيرة، حيث انتقل من واحد إلى آخر بالشراء الشرعي، ومن عبارات التمليك المقروءة:« هـو الباقي(١٣) بحمد ا لله ومنه للعبد الضعيف محمد بن الحسين(١٤) عفا ا لله عنهما بحكم التمليـك في نصف شعبان من..(١٥)».

وفي أعلى وأسفل عنوان الكتاب توجد كتابات كثيرة، والـذي يبـدو لي أنهـا مِـن قبـل النساخ ، وأكثرها غير مقروءة.

---

(١٢) مقدمة المؤلف في نسخة (ب).

(١٣) هنا كلمة غير مقروءة.

(١٤) هنا أيضا كلمة غير مقروءة.

(١٥) كلمة غير مقروءة.

وفي الصفحة الأخيرة:« والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله الأخيار المنتخبين[١٦] ، وسلّم تسليما كثيرا ، وفرغ من كتبه: العبد الراجي عفو الله تبارك وتعالى عبد الله بن أبي البدر بن علي بن علي بلّغه الله أمانيه، وغفر له ولوالديه وللمسلمين، وذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وستمائة »[١٧].

٣ ـ نسخة مكتبة كوبريلي الأولى:

ورمزت إليها بالحرف (ك)، وهي من مكتبة كوبريلي بإستانبول، تحت رقم (١٥٤)، وهي ذات خط واضح في عمومه، تعتريها بعض الأخطاء، وكتبت بخط النسخ القديم في مائتين وتسع وثلاثين ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وأسطر صفحاتها سبعة عشر سطرا، بمعدل (١٥) كلمة في كل سطر.

ونسبت هذه النسخة هذا الكتاب في الغلاف إلى راويه حيث جاء فيه:

« كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لأبي الفرج الأردستاني رحمه الله تعالى آمين».

وأما في مقدمة الكتاب جاءت النسبة صريحة إلى أبي عبد الله الخطيب، هكذا:

« قال الشيخ الإمام إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني: هذه المسائل في بيان الآيات المتشابهة لفظا بأعلام نصبت عليها من المعنى **أملاها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب رحمه الله في القلعة الفخرية** إملاء لمّا خلا فيها، ولم يحضره غيري ممن يسوغ له حمل ما يُكتَب فيه ويُكتب به، فكتبت عن لفظه المسائل والأجوبة... »[١٨].

وليس في هذه النسخة ما يشير إلى تاريخ نسخها، وربما تكون من القرن السابع، واتخذتها من الأصول لقدمها ودقة ضبطها، وقلة سقطها.

ويوجد على صفحة هذه النسخة ختم تملّك غير مقروء، كما يوجد في أقصى يسار صفحة العنوان:« من نعم الله سبحانه على الراجي رحمته محمد الحافظ بن جمال الدين القدسي عفا عنهما بمنه وكرمه ».

أما الصفحة التي تلي صفحة العنوان ففي أعلاها كتب:« بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر وأعن يا كريم، قال الشيخ الإمام إبراهيم بن علي المعروف بابن أبي الفرح الأردستاني.. ».

---

(١٦) الانتخاب هو الاختيار كما جاء في الصحاح (٢٢٣/١ نخب)، ومعنى المتخبين: أنهم اختارهم الله تعالى لكي يكونوا سلالة محمد ﷺ.

(١٧) نسخة (ب): ١٤٧/ب.

(١٨) مقدمة نسخة (ك).

٤ ـ نسخة مكتبة كوبريلي الثانية :

ورمزت إليها بالحرف (ق)، وهي في مكتبة كوبريلي التابعة بإستانبول تحت رقم (١٥٥)، عدد أوراقها ١٤٦ ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ٢١ سطرا، وفي السطر ١٥ كلمة تقريبا .

وجاء في غلاف هذه النسخة:« كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل » إملاء الشيخ الإمام العالم العامل العارف أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الرازي رحمه الله تعالى بالقلعة الفخرية، كتب برسم ولد العزيز ملا عثمان حفظه الله تعالى، آمين يا رب العالمين »، إلاّ أن خطبة الراوي التي جاءت في النسخ السابقة (أ ، ب ، ك) غير موجودة في هذه النسخة.

وكتب أيضا في الورقة الأولى تحت العنوان:« قال العلامة الجلال السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن: النوع الثالث والستون في الآيات المتشابهات ، أفرده بالتصنيف خلق، أولهم فيما أحسب الكسائي، ونظمه السخاوي، وألف في توجيهه الكرماني كتابه البرهان في متشابه القرآن، وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي..الخ»(١٩).

وهي نسخة كاملة، ولكنها قليلة الإتقان، وكثيرة الأغلاط، وخطها نسخي معتاد، واضح مقروء، وعلى الورقة الأخيرة كتب:

«وتم الفراغ منه ليلة الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى سنة احدى وسبعين وستمائة للهجرة النبوية صلى الله علي صاحبها وسلم تسليما كثيرا آمين. كتب برسم ولد العزيز بن ملا عثمان حفظ الله تعالى آمين سنة إحدى وستين بعد الألف، عافانا الله من الفتن، وأعاذنا بفضله من المحن، إنه ذو الطول... فمن استرحم لصاحبه وكاتبه غفر له آمين. كتبه: أحمد بن ملا عثمان الكردي الشافعي عفي عنهما. آمين ».

٥ ـ نسخة دار الكتب المصرية:

توجد هذه النسخة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم (٤٤٠) تفسير، وبهذه النسخة نقص غير قليل في المقدمة مما يدل على أنها لم تقابل بنسخ أخرى، والورقة الثالثة منها غير موجودة عندي، وهي إما ساقطة من الأصل، وإما غير موجودة نهائيا، وإلى جانب ذلك أن آخر الآية الرابعة والجزء الكبير من الآية الخامسة في سورة البقرة سقطت من هذه النسخة كالمطبوعة، وهي تتكون من ٢٤٧ ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ٢١ سطرا، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (د).

---

(١٩) انظر للتثبت: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٣٩/٣.

وقد أطلقت هذه النسخة على الكتاب اسم « درة التنزيل وغرة التأويل » إلا أنها نسبت الكتاب إلى راويه المشار إليه، وهو إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني، ولكنه للخطيب الإسكافي بدليل ما كتب في المقدمة من أنه أملاه عليه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب في القلعة الفخرية لما خلا فيها...[١٩].

وعلى الورقة الأخيرة ختم غير مقروء، وفيها تاريخ النسخ واسم الناسخ، حيث جاء فيها:« والحمد لله وحده وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وكان الفراغ من كتابة هذا في ثالث شهر محرم الحرام سنة تسع وتسعين وتسعمائة على يد العبد الفقير الراجي عفو ربه الباري الفقير يوسف بن سراج[٢٠] الحنفي الأزهري غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة وجميع المسلمين. آمين ».

٦ ـ نسخة مكتبة راغب باشا:

هذه النسخة والتي بعدها منسوبة في أغلفتها إلى الراغب الأصبهاني، وهي مثل مضمون النسخ المتقدمة المنسوبة إلى الخطيب، إلا أنها جاءت باختصار ذكر الأسئلة التي كان المؤلف يصوغها على ألسنة السائلين ليجيب عنها، كما أن مقدمة المؤلف فيها تنقص عن النسخ المنسوبة إلى الخطيب، بالإضافة إلى سقط بعض الآيات تماما، مثل الآية التاسعة من سورة الأنعام، مما يجعل النسخ التي اعتمدت عليها أتم وأكمل من النسخ المنسوبة إلى الراغب.

وبالنظر لشدة التشابه والتقارب بين النسخ المنسوبة للراغب، نستطيع أن نقول إنها قد نُقلت عن أصل واحد، وأما الاختلافات الموجودة بينها ، وهي قليلة، فمردها إلى الناسخ في كل منها، إما لنسيانه نسخ بعض الكلمات والعبارات أو لعدم استطاعته قراءة الأصل.

والخط الذي كتبت به النسخ المنسوبة إلى الراغب ، من حيث نوعه ووضوحه، يجعلنا نرجح أنها كتبت مؤخرا.

ومع ذلك كنت جادا في الاطلاع على النسخ المنسوبة إلى الراغب بغض النظر عن كونها ناقصة بالمقارنة إلى النسخ المنسوبة إلى الخطيب، والمعتمدةِ في التحقيق، وكنت أشير إلى الفروق بين تلك النسخ في مواقعها عند الضرورة.

ونسخة راغب باشا رمزت لها بالحرف (ر)، وعنوان هذه النسخة :« حل متشابهات القرآن » للراغب الأصفهاني، وقد كتبت بخط جميل مضبوط بالشكل أحيانا، والنسخة مصححة ومقابلة على بعض النسخ الأخرى.

---

(١٩) ينظر مقدمة نسخة دار الكتب المصرية.

(٢٠) هنا كلمة غير مقروءة.

وهي مصورة عن مخطوطة في مكتبة راغب باشا، التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول، وقد جاءت هذه النسخة ضمن مجموع تحت رقم (١٨٠)، وتقع في ١٥٣ ورقة، وهي الكتاب الثاني في هذا المجموع، حيث تبدأ من الورقة ١٢٨، وتنتهي في ٢٨١ .

وهذا المجموع يشمل ستة كتب، وهي بالترتيب:

١ ـ حل متشابهات الحديث لابن فورك.

٢ ـ حل متشابهات القرآن للراغب الأصفهاني.

٣ ـ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني.

٤ ـ لمع في الاعتقاد للشيخ أبي القاسم القشيري.

٥ ـ بغية المقاصد للشيخ [٢١].

٦ ـ الفصول في أصول التوحيد للشيخ الكامل المرقوم.

والناسخ لم يذكر اسمه في آخر المخطوطة كما هو المعتاد، بل اكتفى بقوله:« والحمد لله على إنعامه وصلواته على النبي محمد وآله. فرغ من كتابته في اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة ثلاث وستين ومائة وألف ».

٧ ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث الثانية:

لا توجد لهذه النسخة ورقة العنوان، وفي الصفحة الأولى منها فهرسة للسور القرآنية حسب أرقام الصفحات للمخطوطة، وعلى سبيل المثال: سورة الكهف: ١٠١، وسورة الأنبياء:١٠٣، وهكذا.

وهي منسوبة للراغب الأصبهاني بعنوان : «درة التأويل في متشابه التنزيل » تحت رقم (١٨٣) في فهرسة مكتبة أحمد الثالث التابعة لقصر طوب قبو سَراي بإستانبول، وتقع في ١٧٧ ورقة، ولا يوجد لها تاريخ للنسخ، ولا اسم ناسخها، وقد رمزت لها بالحرف (ح).

٨ ـ نسخة أسعد أفندي:

وهي النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة أسعد أفندي التابعة للمكتبة السليمانية تحت رقم (١٧٦) تفسير، وخطها مقروء، ولكنها مضغوطة الكتابة، وهي تقع في ١٠٧ ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ٢٥ سطرا، ولا نجد اسما لناسخها، ولا تاريخا لنسخها، وقد رمزت لها بالحرف (س).

واسم الكتاب كما جاء في صفحة العنوان:

---

(٢١) الاسم غير مقروء.

« كتاب درة التأويل وغرة التنزيل في الآيات المتشابهة والمكررة، تصنيف الإمام البارع الوارع أبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني، المعروف بالراغب برد الله مضجعه وجعل الجنة مأواه ».

٩ ـ نسخة خسرو باشا :

هذه النسخة كتبت بخط النسخ الجميل، بمداد أسود ثابت، عدا العناوين التي كتبت بالمداد الأحمر، وعلى الورقة الأولى كتب: «تفسير درة التأويل في متشابه التنزيل للراغب الأصفهاني عليه رحمة الباري ».

وهي مصورة عن مكتبة خسرو باشا، التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول، تحت رقم (٢٥)، وهي تقع في (١٨٥) ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ٢١ سطرا.

وجاء في نهاية المخطوطة:« قد وقع الفراغ والاختتام بلطف الله على وجه الاهتمام في المدرسة المسماة بدار الحديث السليمانية في شهر إسلامبُول على يد أضعف العباد حال تشتيت الفؤاد المحتاج إلى رحمة ربه الرحمن في اليوم السابع من شهر رمضان من سنة ست وسبعين ومائة وألف مصطفى بن إبراهيم بن محمد، أحسن إليه وإليهما الصمد ».

١٠ ـ نسخة المتحف البريطاني :

وهي مثل النسخ المنسوبة إلى الراغب، توجد في المتحف البريطاني تحت رقم (٥٧٨٤)، وتشتمل على ٢٣٤ ورقة، بعنوان «كتاب أسرار التأويل وغرة التنزيل »، واسم المؤلف غير واضح، لوجود الطمس في ورقة العنوان، إلا أنه نسب إلى الراغب الأصفهاني في فهرسة معهد إحياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

وقد حصلت على نسخة منها مصورة من المتحف البريطاني بواسطة أخي **الدكتور حنيف القاسمي** حفظه الله تعالى.

وخط هذه النسخة واضح إلى حد كبير، ولكنها كثيرة الطمس مما أدى إلى صعوبة قراءتها، مع أنها حديثة العهد، وقد رمزت لها بالحرف (ل).

١١ ـ نسخة مكتبة ولي الدين :

هذه النسخة محفوظة في مكتبة ولي الدين التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول تحت رقم (٢٥٣) ، وتقع في (١١٨) ورقة، وهي مسجلة في فهرسة تلك المكتبة بعنوان « تفسير متشابهات القرآن »، من غير ذكر اسم مؤلفه، ولكنها عين إحدى النسخ المتقدمة المنسوبة للراغب الأصفهاني، ورمزت لها بالحرف (و).

١٢ ـ نسخة دار الكتب المصرية الثانية:

هذه النسخة حديثة العهد، وهي كتبت في سنة ١٣١٧هـ ، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٦٠، وتقع في ٥٢٧ صفحة، ورمزت لها بحرف (م).

وليس لها ورقة العنوان، إلا أن الكتاب في الصفحة الأولى بعد ورقة العنوان منسوب إلى الراغب الأصفهاني كسابقتها.

ولا بد لي من التنويه هنا قبل أن أختم القول في هذه الفقرة: أنه يوجد للكتاب مخطوطتان أخريان لم أقف عليهما، وهما:

١٣ ـ نسخة جوتا :

جاء في فهرس جوتا[٢٣]: « درة التنزيل وغرة التأويل » لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله الخطيب فخر الدين الرازي.

وفي نسبة الكتاب إلى الفخر الرازي خطأ، إذ أن فخر الدين الرازي ليس هو محمد بن عبد الله الخطيب، وإنما هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الخطيب.

١٤ ـ نسخة إيران :

لم أستطع الحصول على نسخة إيران حتى ساعة تقديم الرسالة للمناقشة، مع بذل كل الجهود الممكنة عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

وهي مذكورة في فهرسة الكتب الخطية الموجودة بالمكتبة المركزية بجامعة طهران، في المجلد الثالث عشر: ٣٣٩٣ ـ ٣٣٩٤ ضمن مجموعة برقم ٤٤٣٤، وتقع المجموعة في ١٣٦ ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ١٥ سطرا، والمقاس:١٣×١٨، وذكر المفهرس أن تاريخ النسخ يرجع إلى القرنين التاسع والعاشر، وأنها نسخة مصحّحة وفيها مقابلات.

ولما كانت الفهرسة باللغة الفارسية قام أحد الإخوة جزاه الله خيراً بالترجمة للجزء المطلوب.

يقول المفهرس: الكتاب الأول من هذه المجموعة هو: درة التنزيل وغرة التأويل (١ـ ٦٤/ب)؛ من تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ، وقد طبع

---

(٢٣) الديباجة، ص ١٠ ، وجوتا مدينة بألمانيا الشرقية سابقا.

طبع بمصر سنة ١٣٢٦هـ ، وليس بـ«درة التأويل في متشابه التنزيل» للراغب الأصبهاني، وليس بـ«درة التنزيل وغرة التأويل» للإمام الفخر الرازي.

ثم يقول: الكتاب يختص بآيات جاءت في القرآن متشابهة ومكررة مع اختلاف يسير، وأصبحت حجة للملحدين الذين يريدون الطعن في القرآن.

وهذا القسم يشمل المقدمة إلى الآية السابعة من سورة المائدة، وفي أوله وآخره سقط، ويبدأ من قول المؤلف في مقدمة الكتاب: «في حالة توزع الرأي فيها مذاهب..»، وينتهي عند قوله: وقال في سورة المجادلة: ﴿تجري من تحتها الأنهار..﴾ [المجادلة:٢٢].

ويرى في هذه النسخة عدة أسطر في المقدمة، ليست موجودة في النسخة المطبوعة بمصر.

والكتاب الثاني من هذه المجموعة هو: تفسير المتشابهات، من ص (٦٥/أ ـ ١٣٤/ب)، ومن الممكن أن يكون للإمام الرازي أو للراغب، وهو غير «تنزيه القرآن عن المطاعن» لعبد الجبار الرازي، الذي طبع في مصر ١٣٢٤هـ، والذي عناوينه: مسائل وأجوبة، ويشبه تماماً كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للإسكافي، ويمكن أن يقال أنه زبدة الكتاب ومختصره.

وصفه: خطه أقدم، ويبدأ من سورة البقرة إلى سورة التحريم.

أوله: في التأكيد بتكرار الأمر. مسألة: قوله تعالى: ﴿..قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا..﴾ [البقرة:١٧٠] ، جوابه: أن «ألفينا» و «وجدنا» معناهما واحد.

وآخره: مسألة: قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض..﴾ [الملك:١٦]، جوابه: لما تقدم هنا ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ [الملك:١٥] الآية.

نماذج مصورة من بعض

النسخ المخطوطة

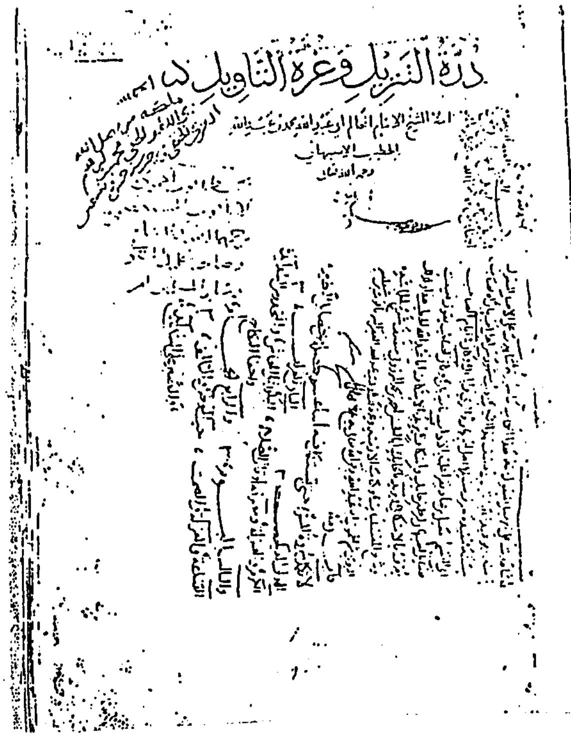

اللوحة الأولى من الأصل (أ) وفيها عنوان الكتاب

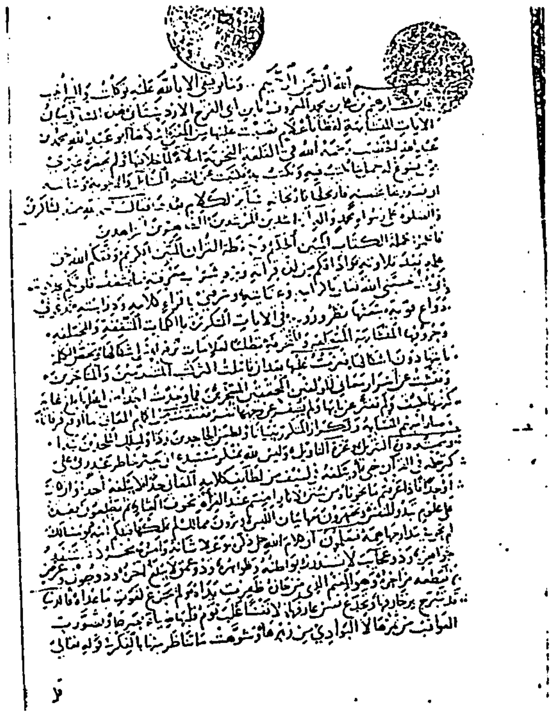

الصفحة الأولى من الأصل (أ)

اللوحة الأولى من النسخة (ب)

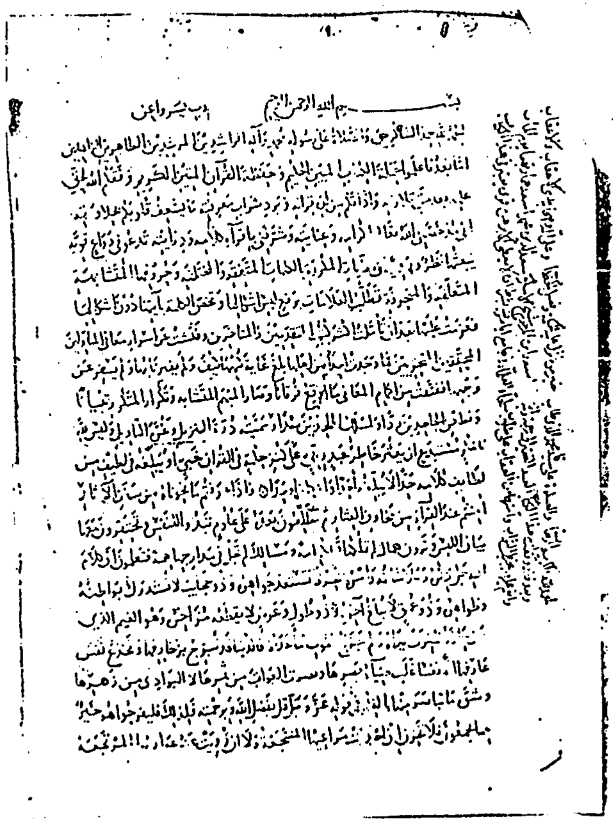

الصفحة الثانية من النسخة (ب)

الصفحة الأولى من النسخة (ك)

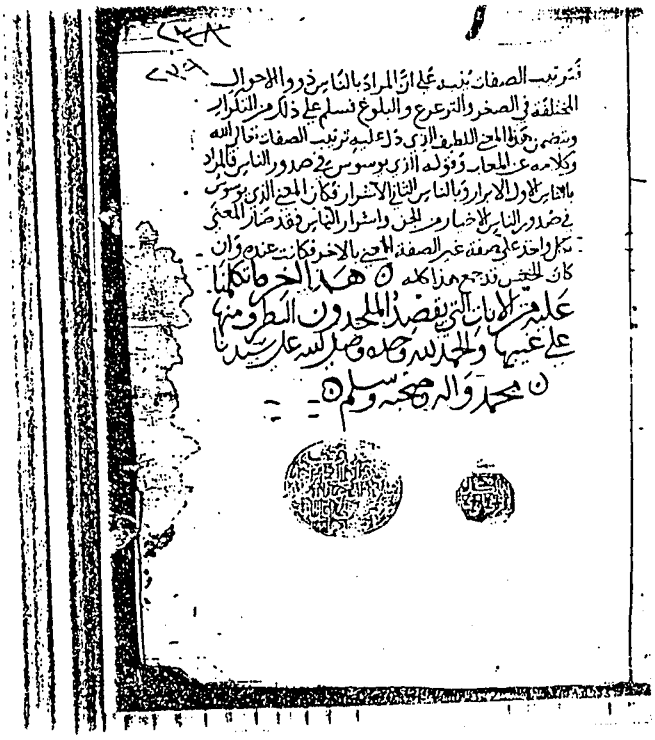

الصفحة الأخيرة من النسخة (ك)

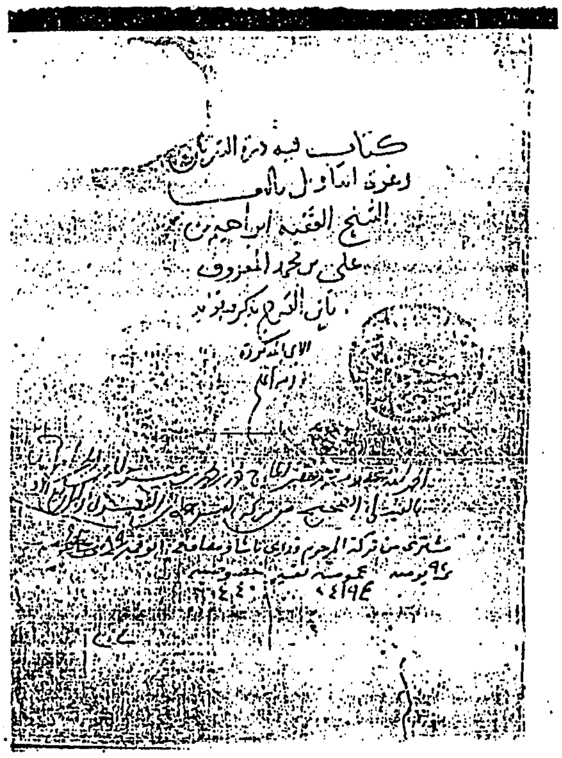

ورقة العنوان من النسخة (د)

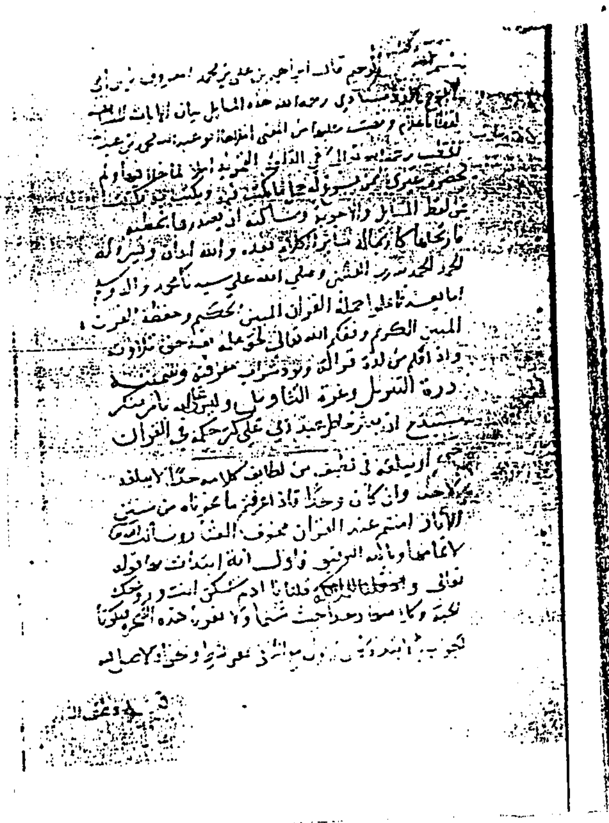

الصفحة الأولى من النسخة (د)

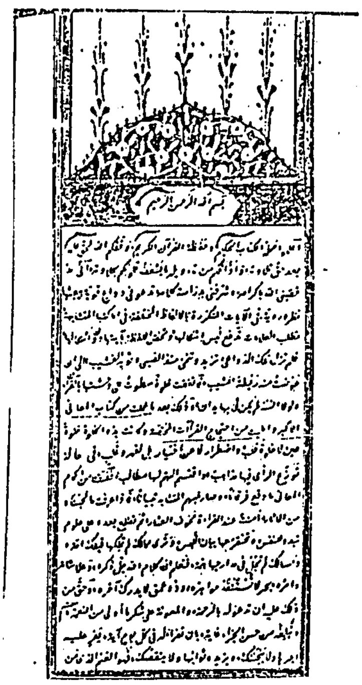

الصفحة الأولى الأولى من النسخة (ر)

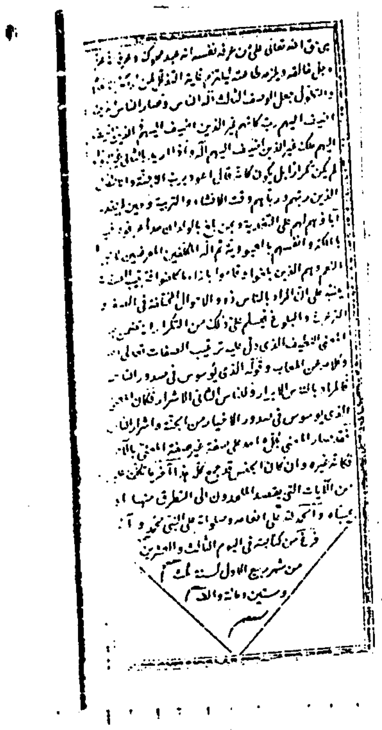

الصفحة الأخيرة من النسخة (ر)

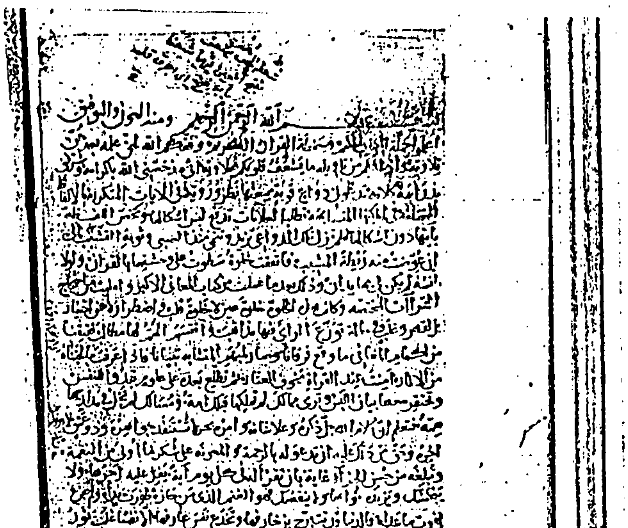

اللوحة الأولى من النسخة (س)

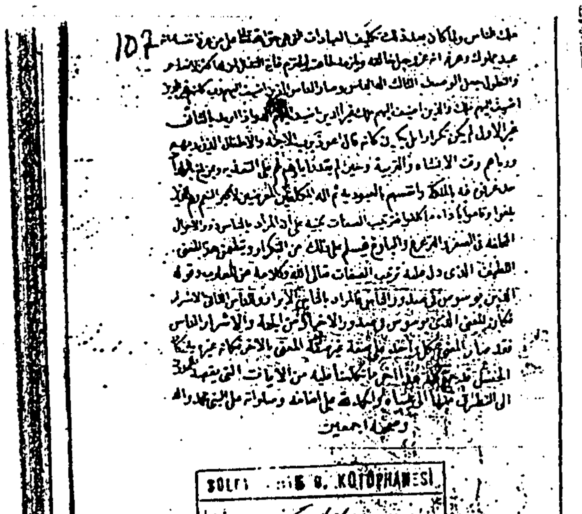

الصفحة الأخيرة من النسخة(س)

المبحث الثاني

منهج التحقيق

يتلخص عملي في تحقيق هذا الكتاب بما يلي:

١ ـ اعتمدت على نسخة مكتبة أحمد الثالث (أ)، واتخذتها أصلا للاعتبارات التي تقدم ذكرها في مبحث وصف النسخ، وأثبت أرقام المخطوطة إلى جانبها، ورمزت لصورة الصفحة اليمنى بـ (أ)، ولصورة الصفحة اليسرى بـ (ب)، وأشرت بخط مائل في وسط الكلام إلى انتهاء صفحة من الأصل المخطوط، وابتداء صفحة جديدة.

وبعد أن انتهيت من النَّسْخ قابلت نسخة أحمد الثالث (أ) بنسختي بايزيد (ب) وكوبريلي(ك) المعتمدتين ،وأشرت إلى ما كان بينها من فروق في الحواشي، وكثيرا ما رجعت إلى سائر النسخ الأخرى غير الثلاثة ، وربما أثبت منها في المتن ما رأيته صوابا من حيث المعنى مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية، و لم أضع المُثْبتَ من النسخ الأخرى بين حاصرتين في المتن، وإنما كتبته في الحاشية بين علامتي التنصيص هكذا: « ... ». تحاشيا عن التشويش.

وكنت أريد أن أجعل النسخة المطبوعة المتداولة بين الناس واحدة من النسخ التي أقابل عليها، لكن وجدت بها جملة وافرة من الأخطاء والتصحيفات، والأسقاط، وهي أيضا في مضمونها لا تخرج عن النسخ الموجودة عندي، و لم أعول على إثبات الفروق بين النسخ المخطوطة وبين المطبوع، إلا فيما أثبته من المطبوع بخلاف المخطوطات، ونبهت عليه في موضعه.

٢ ـ اعتمدت في انتساخ الكتاب الرسم الإملائي المتعارف عليه في عصرنا، واستعملت علامات الترقيم كالنقطة، والفاصلة، وعلامة الاستفهام، والتعجب، وقسمت الجُمل والفقرات حسب إرادة المعنى المقصود منها.

٣ ـ إذا اقتضى المقام زيادة كلمة أو عبارة، زدتُها ووضعتُها بين معقوفين هكذا[..]، وهو يرمز لزيادة مني يقتضيها السياق.

٤ ـ ضبطت من الألفاظ ما يحتاج إلى ضبط حتى لا تلتبس قراءته على القرّاء مع شرح الغريب منها، معتمدا في ذلك على المصادر الموثوق بها عند أهل اللغة، وشرحت أيضا بعض العبارات الغامضة في الكتاب بما يكشف غموضها ويوضح مراد المؤلف قدر المستطاع.

٥ ـ لم ألتزم ذكر الاختلاف بين النسخ في عبارات الترحُّم والترضي والثناء، مثل عبارة «تعالى » وعبارة « عز وجل » بعد لفظ الجلالة، ومثل عبارة « عليه السلام »، و«ﷺ»،

و«صلوات الله عليه وسلامه» بعد ذكر الرسول أو النبي، ومثل «رضوان الله عليه»، و«رضي الله عنه» بعد ذكر اسم الصحابي، لأنها كثيرة أولا، ولا تؤثر في النص ثانيا، ولأنها من تصرف النساخ غالبا.

٦ ـ جعلت الآيات القرآنية بين هلالين مزهّرين هكذا: ﴿ ﴾، مع عزوها إلى سورها في القرآن الكريم، واضعا رقمها مع اسم سورتها بجانبها بين معقوفين في داخل النص،هكذا: [ ]، وذلك حسب ورودها في المصحف الشريف، وكذلك الآيات المستشهد بها من سور أخرى، فكنت أعزوها وأكتب اسم السورة، ورقم الآية بعد كتابة الآية، منعا للتشويش، وكثرة الحواشي بما لا طائل تحته.

٧ ـ وضعت أمام كل آية، أراد المؤلف توجيهها رقما متسلسلا بين المعقوفين هكذا [١]، [٢] مثل «[١]الآية الأولى من سورة البقرة قوله تعالى..: ، [٢] الآية الثانية منها قوله تعالى:..، [٣]الآية الثالثة منها قوله تعالى:..، وهكذا حسب ترتيب المؤلف، للتنبيه على بدء آية جديدة، وانتهاء آية سابقة، ليسهل على الباحث الرجوع إلى ما يريد عند الحاجة، بيسر وسهولة. وذلك من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الناس ، حيث بلغ عدد الآيات التي تناولها المؤلف بالتوجيه ٢٧٤ آية، عدا نحو ٤٠٠ آية، والتي قارن بها الآيات الأصول.

٨ ـ إذا كان في المخطوط في كتابة الآيات القرآنية خطأ صوّبته من المصحف الشريف من غير تنبيه إلى ذلك في الحاشية في أكثر الأحيان، ومسترشداً في ذلك بـ«المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » لمحمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى.

٩ ـ ربما ذكر المؤلف أسماء للسور غير متداولة ، فأذكر ما هو المتداول بين القراء والموجود في أحدث طبعات المصحف، فسورة التوبة يذكرها المؤلف باسم سورة براءة، وسورة غافر يذكرها باسم سورة حم المؤمن، وهكذا.

١٠ ـ علقت على بعض التوجيهات التي ذكرها المؤلف بالرجوع إلى المؤلّفات الأخرى في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مثل كتاب «البرهان في متشابه القرآن » للكرماني، و« ملاك التأويل » لابن الزبير، و«فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن » للأنصاري، وذلك لتوضيح ما أبهم من كلام المؤلف، أو إبداء توجيه آخر لم يذكره المؤلف، أو إلى بعض الفروق التي لمستها بين ما أورده الخطيب من توجيهات، وما ذكره غيره، وأشرت لذلك في الحواشي.

وقد حاولت أيضا أن أرجع في تحقيق بعض النصوص التي فيها تصحيف أو اضطراب إلى الكتب التي نقلت عن كتابنا « درة التنزيل » لمقابلتها وتصحيحها بحسب ما جاءت في تلك النقول، وقد أشرت في الهامش إلى كل تصويب من هذا القبيل.

١١ ـ قمت بتخريج ما في الكتاب من الأحاديث والآثار، وذلك بالرجوع إلى كتب الأحاديث المعروفة، مشيرا إلى الكتاب، والباب، ورقم الصفحة ورقم الحديث أو الأثر إن وُجد، وإن لم أجد في كتب الحديث رجعت إلى التفاسير المهتمة بالروايات، وذكرت حكم ما توصل إليه السابقون إن وجد.

١٢ ـ قد عُنيت بتخريج الشواهد الشعرية المستشهد بها من الدواوين، والمعاجم، وكتب النحو والأدب واللغة، وبعض المصادر الأخرى، وقمت بضبطها وشرح ألفاظها الغريبة، وبينت موضع الشاهد إن كان غامضا.

١٣ ـ ترجمت للأعلام الواردة في النص، مع مراعاة الإيجاز، وقد لا أعرِّف ببعض مشاهيرهم، وإذا تكرر العلم في موضع آخر ـ وهذا ما يحصل كثيرا ـ اكتفيت بترجمته في الموضع الأول.

١٤ ـ أشرتُ ـ في حدود الإمكان ـ إلى مواضع النصوص النحوية واللغوية في كتب أصحابها، أو في الكتب التي فيها، ككتاب سيبويه، والعين للخليل والمقتضب للمبرد ، وجمهرة اللغة لابن دريد.

١٥ ـ عرفت بالأماكن المذكورة في الكتاب معتمدا على المعاجم المتخصصة بتحديد البلدان.

١٦ ـ وأخيرا ألحقت بالكتاب عدداً من الفهارس الفنية التي تساعد الباحث على الحصول على طلبه من الكتاب بسهولة وسرعة، وكان فيها فهرس للآيات المتشابهة التي تناولها المؤلف بالتوجيه، وثان للآيات التي استشهد بها المؤلف في غير موضعها، وثالث للأحاديث والآثار، ورابع للأعلام الواردة في النص، وخامس للأبيات الشعرية، وسادس للأماكن، وسابع للقبائل والأمم، وثامن للمذاهب والفرق، وتاسع للمراجع والمصادر، وعاشر للموضوعات الواردة في الرسالة تفصيلا .

* * * * *

القسم الثاني

النص المحقّق

لكتاب «درّة التّنزيل وغرّة التّأويل»

تأليف الإمام أبي عبد الله الأصبهاني

المعروف بالخطيب الإسكافي

المتوفى سنة ٤٢٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب(١)

قال(٢) إبراهيم بن علي بن محمد، المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني: هذه المسائل في(٣) بيان الآيات المتشابهة لفظاً بأعلام نصبت عليها من المعنى، أملاها أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الخطيب ــ رحمه الله ــ في القلعة الفخرية(٤) إملاءً(٥) لمّا خلا فيها، ولم يحضره غيري(٦) ممّن يسوغ له حملُ ما يكتبُ فيه(٧)، ويكتَب به(٨)، فكتبت عن لفظه المسائلَ والأجوبة، وسألته أن يصدّرها بخطبة، فارتجلها كارتجاله سائر الكلام بعدها(٩)، فقال:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الراشدين المرشدين الطاهرين الزاهدين(١٠)، أما بعد:

فاعلموا(١١) حملة الكتاب المبين الحكيم(١٢)، وحفظة القرآن المتين(١٣) الكريم، وفّقكم الله تعالى لحقّ علمه، بعد حقّ(١٤) تلاوته، وأذاقكم من لذّة قراءته(١٥)، وبرد شراب

---

(١) بدل هذه الجملة جاءت في (ك): ربّ يسّر وأعن يا كريم ، وهي جزء من الآية (٨٨) من سورة هود.

(٢) في (ك): قال الشيخ .

(٣) « في » أثبتت من (ك).

(٤) تقدم بيانها في قسم الدراسة ، وانظر من هذا الكتاب: ١/١٨ .

(٥) هذا ليس بغريب، لأن علماءنا السابقين رحمهم الله نقلت معظم كتُبهم إلينا بهذه الطريقة، حيث إن كثيرا منهم أملوا كتبهم من خواطرهم من غير مراجعة.

(٦) ولعل هذا يفسر لنا أنّ وجود عدد كبير من الناس في مثل هذا المجلس يعوق المؤلف الذي يملي من ذهنه على البديهة، ولايفيد الحضور شيئا.

(٧) يريد الورق.

(٨) يريد القلم.

(٩) مقدمة الراوي هذه ليست في النسخ (ح ، خ ، ر ، ز ، س).

(١٠) في(د ، ط): الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(١١) مقدمة المؤلف هذه تختلف في بعض جزئياتها في النسخ (ح ، خ ، ر ، س) والتي نُسبت في أغلفتها إلى الراغب الأصبهاني دون ذكر اسمه في المقدمة، وهي كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلموا حملة الكتاب الحكيم، وحفظة القرآن الكريم، وفّقكم الله لحقّ علمه بعد حق تلاوته، وأذاقكم من تأويله ما يشغف قلوبكم بحلاوته، إني مذ خصّني الله بإكرامه، وشرّفني بدراسة كلامه، تدعوني دواعٍ قوية، يبعثها نظر وروية في الآيات المتكررة، بالألفاظ المختلفة، في أماكنها المتشابهة، تطلباً لعلاماتٍ تدفع لبس أشكالها، وتخصّ اللفظة بآيتها دون أشكالها، فلم تزل تلك الدواعي تزيد وتنمو منذ الصبى وثوبه القشيب، إلى أن عوّضت منه ريطة المشيب، فاتفقت خلوة سطوت على وحشتها بالقرآن، ولولا أنسه لم يكن لي بها يدان، وذلك بعد ما عملت من كتاب المعاني الأكبر، وأمليت من احتجاج القراءات المختصة، وكانت هذه الخلوة خلوة عين، لا

<==

معرفته(١٦)، ما(١٧) يشغف قلوبكم بحلاوته، إنّي مذ خصّني الله تعالى بإكرامه وعنايته، وشرّفني بإقراء كلامه ودراسته،(١٨) تدعوني دواعٍ قويّةٌ، يبعثها نظرٌ ورَوِيّةٌ(١٩)، في الآيات المتكرّرة، بالكلمات المتّفِقة، والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلّقة(٢٠)، والمنحرِفة(٢١) تطلُّباً لِعلاماتٍ ترفع لبس إشكالها، وتخصّ الكلمة(٢٢) بآيتها، دون أشكالها(٢٣)، فعزمت عليها بعد

حلوة قلبٍ، واضطرار لا عن اختيار، بل لقهر وغلب، في حالة توزّع الرأي فيها مذاهب، واقتسم المهمّ لها مطالب، ففتقنا من أكمام المعاني ما وقع فرقاناً، وصار لمبهم المتشابه تبياناً، فإذا عرفت ما لَحَبْناه من الآثار أمنتَ عند القراءة مخوف العثار، ثم تطلع بعده على علوم تبدو للنفس، وتحقر معها بيان اللبس، وترى ممالك لم تملكها قبلك أمة، ومسالك لم تجل في مدارجها همة، فتعلم أن كلام الله جل ذكره وعلا شأنه وأمره بحر لا تستنفد جواهره، وذو عمقٍ لا يبلغ آخره، وحقّ مَن دلّك عليه أن تدعو له بالرحمة والمعونة على شكر ما أولي من النعمة، وتبلغه من حسن الجزاء غاية، بأن تقرأ له في كل يوم آية، يقرّ عليه أجرها، ولا يبخسك ويزيدها ثوابها، ولا ينقصك، فهو الغنم الذي من حازه ظفرت يداه، ولم يجزع لفوت ما عداه، فالدنيا قد تتبرج بزخارفها، وتخدع نفس عارفها، إلا نفسا غلب نور قلبها ضياء بصرها، وتصور العواقب لا البوادي من زهرها، وشوّه ما تناصر منها وتوالى، بالفكر في قوله تعالى:﴿قل بفضل الله وبرحمته ..﴾ الآية[يونس:٥٨]، فلا يحزن إن أحدبت مراعيها المنتجعة، ولا إن زويت عنه عواريها المرتجعة. شغلنا الله بالحق عما يلهي من أحوال العاجلة، وبالعمل على ما يهوّن أهوال الآجلة، إنه سميع قريب ».

قلت: ينظر لوصف النسخ المنسوبة إلى الراغب الأصبهاني من هذه الرسالة، ص .

(١٢) في (ك): الكتاب العزيز المبين، وفي (د): القرآن المبين الحكيم، وفي (ط): الكتاب المتين الحكيم.

(١٣) في(د): المبين.

(١٤) كلمة « حق » أثبتت من (ب،ك).

(١٥) في (ك): قرآنه.

(١٦) من هنا إلى قوله « وسميته درة التنزيل وغرة التأويل » سقط من (د).

(١٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): ممّا .

(١٨) في(ب،ك): درايته.

(١٩) أي نظرٌ وتفكيرٌ، قال في اللسان(١٤/٣٥٠ روي):« الرَّوِيَّة في الأمر: أن تنظر ولا تعجل..، والروية: التفكير في الأمر ».

(٢٠) هكذا في (أ)، وفي النسخ الأخرى: المنغلقة.

(٢١) لعلّ المؤلف رحمه الله يريد إذا ورد في الآيات المتكرّرة من القرآن كلماتٌ حروفُها متشابهة، إلاّ أنها تتّفق أحياناً، وتختلف أحياناً أخرى، فإن بعض هذه الكلمات قد يتعلّق بالمعنى الأصلي للآية، والبعض الآخر قد يُعدل به عن هذا المعنى إلى معنى آخر يراد أيضاً من الآية، وقد أشار المؤلف إلى النوع الأول من ذلك بقوله:« المتعلِّقة »، كما أشار إلى النوع الثاني منه بقوله:« المنحرفة »، أي المعدول بها عن معنىً إلى معنىً آخر. قال في اللسان(٤٣/٩ مادة حرف):«حرف عن الشيء يحرِف حَرْفاً وانحرف وتحرّف واحرورَف: عدل..، وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرّف وانحرف واحرورف».

(٢٢) في (ح،خ،ر): اللفظة.

(٢٣) يعني أنه يريد أن يكون ذلك مجرى علاماتٍ تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها.

أن تأمّلت أكثر كُتب المتقدّمِين، والمتأخِّرين، وفتّشت عن أسرار معاني المتأوِّلين[٢٤] المحقِّقين المتبحِّرين[٢٥]، فما وجدتُ أحداً مِن أهلها بلغ غايةَ كُنْهها، كيف ؟ ولم يَفْترَّ عن نابها[٢٦]، ولم يَسْفِرْ عن وجهها[٢٧]، ففتقتُ من أكمام[٢٨] المعاني ما أوقع[٢٩] فرقاناً، وصار لِمبهم[٣٠] المتشابه وتكرارِ المتكرِّر تبياناً، ولِطعن الجاحدين ردًّا، ولِمسلك الملحِدين سدًّا، وسمّيْتُه « **درة التنزيل وغرة التأويل** »[٣١]. وليس على الله بأمر منكر[٣٢] مستبدع أن يعثر خاطر عبد ربيء،[٣٣] على كنز حكمة في القرآن خبيء[٣٤]، أو يبلّغه في لطيف من لطائف[٣٥] كلامه حداً، لا يبلغه أحدٌ وإن كان أوحدا. فإذا عرفتم ما نحوناه من سنن الآثار أمنتم عند القرآءة مخاوف[٣٦] العِثار، ثمّ تطّلعون بعده على علومٍ تبدو[٣٧] للنفس، وتحتقرون معها بيان اللبس، وترون ممالك لم تملكها قبلكم أمّة، ومسالك لم تـجُلْ في مدارجها همّة، فتعلمون أنّ كلام الله

(٢٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): المؤلفين، ومعنى المتأوِّلين: المفسِّرين، يقال أوّل الكلام، وتأوّله:فسّره. (لسان العرب،٣٣/١١ مادة أول).

(٢٥) أي المتوسّعين في العلم، والمتعمِّقين فيه، والمكثرين منه، يقال: استبحر الرجل في العلم والمال وتبحّر: اتّسع وكثر ماله، وتبحّر في العلم: اتّسع. (اللسان ٤٤/٤ بحر ، والمعجم الوسيط، ص ٤٠).

(٢٦) في(ب): ولم يفتر نابها.

(٢٧) يقال:افترّ فلان ضاحكاً ، أي أبدى أسنانه. وافترّ عن أسنانه إذا كشَر ضاحكاً. والنَاب: السِنّ بجانب الرّباعية. ولم يَسْفِرْ عن وجهها: أي ولم يَكشفها. وفي هذه العبارة يريد المؤلف رحمه الله أن يعرِّفنا أنّ ما قام به في كتابه «درة التنزيل» باب لم يقرعه أحد قبله على هذا الوجه من التأليف.

(٢٨) أي من المعاني المستترة، قال في اللسان(٥٢٦/١٢كمم):« والكُمّة: كلّ ظرف غطّيت به شيئاً وألبسته إياه، فصار له كالغلاف، ومن ذلك أكمام الزرع: غُلُفها التي تخرج منها... وأكمام النخلة: ما غطّى جُمّارَها من السعف والليف والجِذع ».

(٢٩) في(ح،خ،ر): وقع.

(٣٠) في(أ،ب،ك): المبهم، والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٣١) في(ك): «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل ».

(٣٢) في(أ،ب،ك):وليس لله بمنكر ، والمثبت من (د).

(٣٣) الربيء : الطليعة الذي يرقب العدوّ من مكانٍ عالٍ لئلا يدهم قومه، وحكى سيبويه في العين الذي هو الطليعة: أنه يذكّر ويؤنّث، فيقال: ربيءٌ ، وربيئةٌ . (ينظر: لسنا العرب،٨٢/١ ربأ، والمعجم الوسيط، ص٣٢١).

(٣٤) أي خفي ومستتر.

(٣٥) في(ك): من لطيف.

(٣٦) في(أ،ك):مخوف، والمثبت من (ب). وفي(د): ..مخوف العثار، وسألت الله تعالى لإتمامها، وبالله التوفيق. والكلام بعد هذا إلى الآية الأولى من سورة البقرة سقط من(د). والعِثار مصدر عثر،بمعنى الكبوة، (القاموس، ص٥٦٠).

(٣٧) في (ك): تبدر.

ـ جل ذكره وعلا شأنه وأمره ـ بحرٌ لا تستنفد[٣٨] جواهره، وذو عجائب لا تستدرك بواطنه وظواهره، وذو عمقٍ لا يبلغ آخره، وذو طُولٍ[٣٩] وعرضٍ لا يقطعه[٤٠] مُزاخِرُه[٤١]، وهو المَغْنم[٤٢] الذي مَن حازه ظفرت يداه، ولم يجزع لفوت ما عداه، فالدنيا قد تتبرّج[٤٣] بزخارفها، وتخدع نفس عارفها، إلاّ نفساً غلب نور قلبها[٤٤] ضياء بصرها، وتصوّرت[٤٥] العواقب من ثمرها، لا البوادي من زهرها، وشوّهتْ[٤٦] ما تناظر منها بالفكر في قوله تعالى: / [٢ / ب] ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مماّ يجمعون﴾[يونس:٥٨]، فلا تحزن إن أجدبت[٤٧] مراعيها المنتجعة[٤٨]، ولا إن زُويت[٤٩] عنها عواريها المرتجعة.

فحقٌّ مَن دلّكم عليه أن تدعوا[٥٠] له بالمغفرة[٥١] والرحمة، والمعونة على شكر ما أولي من النعمة، شغلنا الله بالحقّ عماّ يُلهي من أحوال العاجلة، وبالعمل على ما يهوّن أهوال الآجلة، إنّه لطيف قريب سميع مجيب.

ومن الآن أبيِّن الطريق الذي سلكته، وأفضى به إلى علم ما عرفته، وأذكر ما نبّهني على علم ما ادّعيته، لأريكم مثل ما رأيته، وبالله التوفيق، وبه أستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(٣٨) في (ب): لا تستعدّ.

(٣٩) من هنا إلى قوله: « وحقّ مَن يدلك..» سقط من (ك).

(٤٠) في (أ): لا يقطعه، والمثبت من(ب).

(٤١) أي مُفاخِره، والمزاخِر اسم فاعل من زاخره، قال في اللسان(٣٢١/٤ زخر):«زاخَرْته فزخرْته، وفاخرته ففخرْته»، وفي (أ) : لا تقطعه، وفي (ك) نقص في العبارة.

(٤٢) أي الغنيمة، وفي (ب): الغيم، وهو خطأ، وفي (ط): الغنم.

(٤٣) في (ب): تبرج.

(٤٤) " نور قلبها " ليست في (ب، ك)، وفي (أ): نوم ، والمثبت من (خ،ر).

(٤٥) في (ب) : ونصرت، وهو خطأ.

(٤٦) أي النفس، والتشويه: التقبيح.

(٤٧) أي يَبست لعدم وجود الماء.

(٤٨) هكذا في (ب،ك)، وفي (أ): المنجعة. قلت: والمراعي جمع المرْعى، والمرعى: موضع الرعْي. وأما المنتجعة فقال في اللسان (٣٤٧/٨ نجع):« التنجُّع والانتجاع والنُّجْعة: طلب الكلإ ومساقطِ الغيث، وفي المثل: من أجدب انتجع..، ويقال نجعت الإبلُ والغنمُ المرتعَ وانتجعته ». والمعنى: المراعي التي كانت مطلوبة لخضرتها قبل ذلك.

(٤٩) أي نُحِّيت عنها وأُبعدت منها.

(٥٠) في(ب): أن يدعوا.

(٥١) في (أ): بالمغفرة عنه.

[سورة البقرة][1]

[١] [الآيــة الأولى][2]

فأول آية ابتدأت بها قوله تعالى:﴿ وقلنا يا آدمُ اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وكُلا منها رَغَدًا حيْثُ شِئْتُما ولاتقْرَبا هذه الشَّجَرَةَ...﴾[3][البقرة:٣٥].

وقال في سورة الأعراف [١٩]:﴿ ويا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فكُلا من حَيْثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبا هذه الشَّجَرَةَ...﴾[4].

فعطف﴿كلا﴾ على﴿اسكن﴾ بالفاء في هذه السورة[5] وعطفها عليه في سورة البقرة بالواو.

والأصل في ذلك أنَّ كلَّ فعل عُطف عليه ما يتعلّق به تعلُّق الجواب بالابتداء، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو[6] كقوله تعالى:﴿ وإذ قُلنا ادخلُوا هذه القَرْيةَ فكُلوا منها حيْثُ شِئْتُم رَغَدًا..﴾[البقرة:٥٨] فعطف «كلوا» على «ادخلوا» بالفاء لمّا كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها، فكأنّه قال: إن دخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصِل الى الأكل، والأكل متعلّق وجودُه بوجوده. يبيِّن ذلك قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة الأعراف:﴿وإذ قيل لهم اسكُنوا هذه القَرْيةَ وكُلوا منها حيْثُ شِئتم وقولوا حطة...﴾[الأعراف:١٦١] فعطف ﴿كلوا﴾ على قوله ﴿اسكنوا﴾ بالواو دون الفاء، لأن «اسكنوا» من السكنى، وهي المقام مع طول لُبْث. والأكل لايختصُّ وجودُه بوجوده، لأنَّ من يدخل[7] بستانا قد يأكل منه وإن كان مجتازًا، فلما لم يتعلّق الثاني بالأول تعلُّق الجواب بالابتداء وجب[8] العطف بالواو دون الفاء، وعلى هذا قولُه تعالى في الآية التي بدأت[9] بذكرها:﴿ وقُلنا يا آدَمُ اسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجَنّةَ وكُلا منها رغدا حيث شئتما﴾[10].

---

(١) هذه الزيادة غير موجودة في النسخ المعتمدة، وقد جاء في نسختي (خ،ر): فأول ذلك في سورة البقرة: الآية الأولى قوله تعالى:.. **قلت: يقصد المؤلف من الآية الأولى الآيةَ الأولى في تناوله، لا في موقعها من السورة.**

(٢) هذه الزيادة أيضا غير موجودة في النسخ المعتمدة، وقد أثبتها لكون المؤلف رحمه الله درج عليها فيما بعد.

(٣) في (ك):﴿ ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾.

(٤) قوله تعالى:﴿ ولاتقربا هذه الشجرة ﴾ لايوجد في (ك).

(٥) أي:في سورة الأعراف.

(٦) «دون الواو» أثبتَ من (ك).

(٧) في (ب، ك): دخل.

(٨) في (أ): فوجب.

(٩) في(ب،ك): بدأنا.

(١٠) قوله تعالى﴿... وكلا منها رغدا حيث شئتما ﴾ ليس في (ب،ك).

وبقي أن نُبيِّن(١١) المراد بالفاء في قوله تعالى:﴿...فكُـلا مـن حَيْـثُ شِئْتما...﴾(١٢) مِن سورة الأعراف [١٩] مع عطفه على قوله ﴿اسـكن﴾ وهـو أنَّ «اسـكن» يقـال(١٣)لمن دخـل مكانـا، فـيراد بـه(١٤): الـزم المكـان الـذي / دخلْتَـه ولاتنتقـل منـه(١٥)، ويقـال أيضـا لمـن لم يدخله(١٦) اسكن(١٧) هذا المكـان، يعـني ادخلْـه واسـكنه، كمـا تقـول لمن تعرض عليـه دارا ينزلها(١٨) سكنى فتقول: اسكُن هذه الدار فاصنع(١٩) فيهـا مـا شـئتَ مـن(٢٠) الصناعـات، معنـاه: ادخلْها ساكِنا لها فافعل فيها كذا وكذا، فعلى هذا الوجه قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿وقلنـا يـا آدم اسكُن أنت وزوجُكَ الجَنَّةَ فكلا...﴾ بالفاء. فالحمل(٢١) علـى هـذا المعنى في هـذه(٢٢) الآيـة أولى، لأنَّه ـ عز من قائل وجلّ ـ قال لإبليس:﴿..اخـرج منهـا مذءومـا مدحـورا..﴾[الأعراف:١٨] فكأنه قال لآدم: اسكُن(٢٣) أنت وزوجُك الجنة، أي: ادخل(٢٤)، فيقال(٢٥): اسـكن، يعـني ادخـل ساكنا، ليوافق الدخولُ الخروجَ، ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول، والآخر بعده(٢٦)، مبالغة في الإعذار، وتأكيدا للإنذار وتحقيقا لمعنـى قولـه(٢٧) عـز وجـلَّ:﴿..وَلا تقْرَبـا هـذه الشَّجَرَةَ فتكونا مِنَ الظّالِمِينَ﴾[البقرة:٣٥].

[٣/أ]

---

(١١) لفظ «نبين» غير واضح في(ب).

(١٢) أول الآية:﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما...﴾.

(١٣) في(ب):ويقال.

(١٤) في(ك):منه.

(١٥) في(ك):عنه.

(١٦) في (ب):لمن يدخله.

(١٧) في(ب):ادخل، وهو خطأ.

(١٨) في(ب):« سواها »بدلا من « ينزلها » وهو خطأ.

(١٩) في(ك):واصنع.

(٢٠) « فيها ما شئت من » ليست في (ب).

(٢١) في(أ، ب):الحمل، والمثبت من (ح، خ ، ر ، س).

(٢٢) في(ب):« سورة » بدل « هذه » وهو خطأ.

(٢٣) في(ب،ك): ادخل.

(٢٤) « أي: ادخل » ليست في (ب،ك).

(٢٥) في(ب ، ك):فقال.

(٢٦) هنا ذكر الكرماني في كتابه **البرهان**(ص١٢٠) رأي الخطيـب، وقـال:« والخطيب ذهب إلى أن مـا في الأعـراف خطاباً لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول ».اهـ

(٢٧) في(أ):وتحقيقا لقوله عزوجل، والمثبت من (ب،ك).

[٢] الآيــة الـثـانـيــة

قوله تعالى:﴿ واتَّقُوا يَوْمًا لاتَجْزِي نفس عن نفس شيئا ولا يُقْبَلُ منها شفاعةٌ ولايؤْخَذُ منها عدلٌ ولاهم ينصَرون ﴾ [البقرة:٤٨].

وقال في هذه السورة بعد العشرين والمائة[١]:﴿ واتَّقُوا يوما لاتجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئا ولايقبَل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعةٌ ولاهم ينصَرون ﴾ [البقرة:١٢٣].

فقدّم في الأولى قبول الشفاعة على أخذ الفدية، وفي الثانية قبول الفدية على نفع الشفاعة.

والوجه في الأول[٢] أنَّه لمّا قال:﴿ لاتجزي نفس عن نفس شيئا ﴾ بمعنى: لايغني أحد عن أحد فيما يلزمه من العقاب، ولايكفِّر سيآته ما له من الثواب، وهو كقوله عز من قائل: ﴿..واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده ولامولود هو جازٍ عن والده شيئا..﴾ [لقمان:٣٣] فهذه[٣] الأشياء التي ذُكر ـ في هذه الآية ـ امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع تُتَّقَى[٤] بها المكاره وتُتداوى[٥] بها الشدائد، ألا ترى العرب إذا دُفع أحدهم[٦] إلى كريهة وارتهنت نفسه بعظيمة وحاولت أعزَّته دفاع ذلك عنه[٧] وتخليصه[٨] منه بدأت[٩] بما في نفوسها الأبيّة[١٠] من مقتضى الحميَّة، فذبَّت عنه كما يذُبُّ الوالد عن ولده بغاية قوته وجَلَدِه[١١] ، فإن رأى مَن لا قِبل له بممانعته ولا يَدَ له بمدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة والشفاعة فحاول بالملاينة[١٢] ما قصر عنه بالمخاشنة[١٣]، فإن لم تغن عنه الحالتان[١٤] ولم

---

(١) في(ك): بعد المائة والعشرين.

(٢) في (ح): في الأولى.

(٣) في (ك): وهذه.

(٤) في أكثر النسخ: تتلقى، والمثبت من(ح ، خ ، ر ، س).

(٥) في (أ، ب ، ك): تداوى. والمثبت من(ح ،خ ، ر ، س).

(٦) في (ك): إذا وقع أحدها.

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): منه.

(٨) في (ب): وتخلصه..

(٩) في (ط): بذلت.

(١٠) قال في المصباح (ص٣): أبى الرجل يأبى إباء وإباءةً: امتنع، فهو آبٍ وأبيٌّ ».

(١١) الجلد ـ محركة ـ: الشدة والقوة (القاموس المحيط، ص ٣٤٩ مادة جلد).

(١٢) أي: باللين، وفي القاموس المحيط(ص ١٥٩٠ ، مادة لين): لاينه ملاينة ولينا:لان له.

(١٣) أي: بالخشونة، وفي المصدر السابق: وخاشنه: ضد لاينه.

(١٤) هما الدفاع بواسطة النفس، والدفاع بواسطة الشفاعة.

تنجه(١٥) الخلتان(١٦) من(١٧) الخشونة واللين(١٨) لم يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله، وفكه من الأسر(١٩) بعدْله(٢٠) إمَّا بمالٍ(٢١) وإمّا بغيره(٢٢)، فإن لم تغن عنه(٢٣) هذه الثلاثة(٢٤) في العاجلة تعلّل بما يرجوه من(٢٥) نصر في الآجلة، وإدالة(٢٦) في الخاتمة، كما قال تعالى:﴿..ثمّ بُغِيَ عليه لَيَنْصُرَنَّهُ الله..﴾ [الحج:٦٠] وقال تعالى:﴿..فلا يُسْرِفْ في القتل إنّه كان منصورا﴾ [الإسراء:٣٣] على أحد وجوه التفسير(٢٧)، فأخبر الله تعالى أن ما يغني في هذه الدنيا(٢٨) عن المجرمين، ويترتّب(٢٩) هذه المراتب بين العالمين، لايغني منه(٣٠) شيء / في الآخرة عن الظالمين. [٣/ ب]

والفائدة في قوله تعالى في الآية الثانية وتقديم الفدية(٣١) على نفع(٣٢) الشفاعة هي: أنه لّما قال:﴿واتقوا يوماً لا تَجزي نفس عن نفس شيئا﴾ ـ ومعناه ما ذكرنا ـ ، عقّبه(٣٣) بنفي الفداء، لأن النفس تجزي عن النفس بفداء مؤقت يرتهن(٣٤) عنها مدة معلومة، ويكون(٣٥)

(١٥) قوله « ولم تنجه الخلتان » ليس في(ك).

(١٦) الخَلّتان تثنية الخلّة، والخَلّة بفتح الخاء ـ:الخصلة، وجمعها:خِلال (القاموس المحيط، ص١٢٨٥، مادة خلل).

(١٧) في(ب):بين، وهو خطأ.

(١٨) في(أ ، ر): والليان، والمثبت من (ب ، ك).

(١٩) في(ب): من الأسرة.

(٢٠) أي:بفدائه، والعدل:الفداء (القاموس المحيط).

(٢١) في(ك):إمَّا مال.

(٢٢) في (أ): غيره.

(٢٣) « عنه » ليست في (ب،ك).

(٢٤) الثلاثة هي: أولا: أن يغني أحد عن أحد، وذلك في قوله تعالى:﴿لاتجزي نفس عن نفس شيئا﴾ وعبر عن ذلك بالخشونة، وهذا أول أسلوب يستخدَم في الذب عمن يراد الذب عنه. وثانيا: أن يسأل شفاعة الشافعين، وذلك في قوله تعالة:﴿ولايقبل منها شفاعة﴾ وعبر عن ذلك باللين. وثالثا: أن يختار طريق الفداء، وذلك في قوله تعالى:﴿ولايؤخذ منها عدل﴾ وعبر عن ذلك بفداء الشيء بمثله.

(٢٥) في (أ): في .

(٢٦) الإدالة: الغلبة (القاموس المحيط، ص ١٢٩٣ ، مادة دول)، وفي (أ): وإذالة.

(٢٧) في ذلك وجهان: نصره في الدنيا، ونصره في الآخرة.

(٢٨) في (أ): الدار.

(٢٩) في(ك):ومرتب، وفي (أ،د):وتترتب، وفي (ب): وترتّب، والمثبت من (خ ، ر).

(٣٠) في (أ): شيء منه.

(٣١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): وتقديم قول الفدية.

(٣٢) في (ب): نفي.

(٣٣) جواب « لما قال ».

(٣٤) في (ر): ترتهن.

بعد ذلك فداءٌ يفكّ الرهن ويخلّصه من التَّبِعَات[٣٦]، فيكون معنى ﴿لا تَجزي نفس عن نفس شيئا﴾ لاتغني عنها بفداء محصور بوقت، ولا بفداء يخلّصه[٣٧] على وجه الدهر[٣٨]، ويكون بعد ذلك ﴿ولاتنفعها شفاعة﴾ معناه: ولاتخفف[٣٩] مسألة من عذابها، ولاينقّص شفيع من عقابها، ﴿ولا هم ينصرون﴾ وهو الوجه الرابع الذي ذكرناه[٤٠] أخيرا في شرح الآية المتقدمة.

---

(٣٥) في (أ ، ب ، ك):ويكون بعد ذلك قد انفك الرهن وتخليصه من التبعات. وفي (ب): تخلصه. والمثبت من(ر،س).

(٣٦) التبعات جمع التَبِعَة ـ على وزن كلمة ـ: ما اتّبعتَ به صاحبَك من ظُلامة ونحوها، والتَّبِعة والتِّباعة: ما فيه إثم يُتَّبع به (لسان العرب، مادة تبع ٨/٣٠).

(٣٧) في (ب): مخلّصه.

(٣٨) في (أ ، ب): على وجه الرهن ، والمثبت من (ق ، ك).

(٣٩) في (أ): ولا تخفف عنها.

(٤٠) في (أ ، ب):ذكرنا، والمثبت من (ك).

[٣] الآيـة الـثـالـثـة

قولـه تعـالى:﴿ وإذْ نجَّيْنـاكم مِـن آل فرعـونَ يسـومونكم سـوءَ العـذابِ يُذبِّحـون أبناءَكم...﴾ [البقرة:٤٩].

وقوله عز من قائل في سورة إبراهيم عليه السلام [٦]:﴿ وَإذْ قَالَ مُوسى لقومـه اذكـروا نعمةَ الله عليكم إذ أَنْجاكم من آل فرعونَ يسومونكم سوءَ العذابِ ويذبِّحون أبناءَكم...﴾.

فأدخل الواو في قوله[١]:﴿ ويذبحون أبنـاءكم ﴾[٢] في سـورة إبراهيـم، وحذفهـا منـه في سورة البقرة، [و][٣]جعل ﴿ يذبِّحون ﴾ بدلا من قوله ﴿يسومونكم سوء العذاب ﴾.

والقول في ذلك: أنّـه إذا جعـل﴿ يذبحـون ﴾ بـدلا مـن قولـه:﴿يسـومونكم سـوء العذاب﴾ لم يحتج إلى الواو، وإذا جُعل[٤] قوله[٥]:﴿ يسومونكم سوء العـذاب ﴾ عبـارة عـن ضروب[٦] من[٧]المكروه هي غير[٨] ذبح الأبناء لم يكن الثاني إلاّ بالواو، وفي الموضعين يحتمل الوجهـان[٩] إلاّ أنّ الفـائدة الـتي تجـوز[١٠] أن تكـون خصّصـت لهـا الآيـة في سـورة إبراهيـم بالعطف[١١] بالواو[١٢]، هي[١٣] أنّها[١٤] وقعت هنا[١٥] في خبر قد[١٦] ضمن خبرا متعلّقا به،

(١) «قوله» أثبت من(ك).

(٢) في(ك):« ويذبحون» وليس فيها « أبناءكم » .

(٣) زيادة يقتضيها المقام.

(٤) في(ر): ولما جُعل.

(٥) « قوله» زيد من(ك ، ر).

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ):ضرر، وهو خطأ.

(٧) «من » أثبتت من (ك).

(٨) « غير » ساقطة من (أ).

(٩) في (أ ، ب): الوجهين، والمثبت من (ك) .

(١٠) في النسخ المعتمدة:بدون التحتانية والفوقانية، وفي(ح):يجوز.

(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ب): العطف، بدون حرف الجر.

(١٢) قال السمعاني في تفسيره (ص:٦٣):"قال في موضع بغير الواو وقال هاهنا بـالواو؛ ذكـر الـواو يقتضـي أنـه سـبق الذبح عذاب آخر، وتركُ الواو يقتضي أن العذاب هو الذبح.(القسم الثاني، تحقيق تفسير أبـي المظفـر السـمعاني من أول سورة الرعد إلى أول سورة الأنبياء، تحقيق وتعليق فاروق حسين محمد أمين)، وقـد أشـار إلى هـذا المعنى الفراء في معاني القرآن (٢/٦٩).

(١٣) في (ب ، ك): وهي.

(١٤) في(ك):أنما .

(١٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): نفيا، ولا وجه له.

(١٦) « قد » ليست في (أ).

لأنّه قال قبله:﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أنْ أَخرِجْ قومَك من الظّلمات إلى النور وذكِّرْهم بأيّام الله إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبّارٍ شكور﴾ [إبراهيم:٥] ثم قال:﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمةَ الله عليكم..﴾ فضمن[١٧] إخبارُه[١٨] عن إرساله[١٩] موسى بآياته إخبارَه[٢٠] عنه[٢١] بتنبيهه[٢٢] قومه على نعمة الله ودعائهم إلى[٢٣] شكرها، فكان قوله ﴿ويذبحون﴾ في هذه السورة[٢٤] في قصة مضمّنة قصة تتعلّق بها، هي قوله تعالى:﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا...﴾.

و[٢٥]القصة المعطوفة على مثلها يَقْوَى[٢٦] معنى العطف فيها فيختار[٢٧] فيما كان يجوز فيه العطفُ[٢٨] على سبيل الإيثار، لا على سبيل الجواز، وليس كذلك موقع ﴿يذبحون﴾ في الآية التي في سورة البقرة، لأنه تعالى أخبر عن نفسه بإنجائه بني إسرائيل، وهناك[٢٩] أخبر عن موسى عليه السلام أنه قال لقومه كذا، بعد أن أخبر عنه أنه أرسله إليهم بآياته. فافترق الموضعان من هذه الجهة[٣٠].

---

(١٧) ف(ك):وضمن.

(١٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): وإخباره، وفي(ب):إخبار، بإسقاط الهاء، وفي (ر) إيثاره.

(١٩) في (أ ، ب):عن إرسال، والمثبت من (ك ، ح ، ر).

(٢٠) « إخباره » غير واضحة في (أ)، وقوله « إخباره عن » ساقط من(ك).

(٢١) في(أ،ب):عن. والمثبت من(ر).

(٢٢) في(ب ، ك): تنبيهه، والمثبت من(ح ، ر)، وهي غير واضحة في (أ).

(٢٣) في(ب):على.

(٢٤) أي: في سورة إبراهيم.

(٢٥) « الواو » ليست في (ب).

(٢٦) في(أ، ب، ك):تقوى، والمثبت من(ق).

(٢٧) أي العطفُ.

(٢٨) في (ب ، ك): العطف العطف.

(٢٩) أي: في الآية (٦) من سورة إبراهيم .

(٣٠) في(ك): من هذا الوجه، وفي(ر): من هذه الوجوه.

[٤] الآيــة الرابـعـة

قوله تعالى:﴿وإذْ قلنا ادْخلوا هذه القريةَ فكلوا منهـا حيث شِئْـتم رغَـداً وادْخلـوا البابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ نغفرْ لكم خطاياكم وسَنَزِيدُ المحسنين ۞ فَبَدَّل الذيــن ظَلمـوا قولا..﴾[(١)][البقرة:٥٨-٥٩].

ففي[(٢)] هذه الآية ـ إذامـا ذكـرت[(٣)] ـ / ست مسـائل إذا قوبلت بالآيـة الـتي[(٤)] [٤/أ]
تشابهها[(٥)] من سورة الأعراف، وهي قولـه تعـالى:﴿ وإذْ قيـل لهـم اسْكُنوا هـذه القريـةَ وكُلوا منها حيْث شِئْـتم وقولـوا حِطَّـةٌ وادْخلـوا البـابَ سُـجَّداً نغفـرْ لكـم خَطِيئـآتِكم سَنَزِيـدُ المحـسنين ۞ فبدَّل الذين ظَلموا منهم قولاً..﴾[(٦)][الأعراف:١٦١ ـ ١٦٢].

فالمسألة الأولى عطف[(٧)] « كلوا » على ما قبله بالفـاء في سـورة البقـرة، وبـالواو في سورة الأعراف، وهذه قد مرَّ الكلام[(٨)] فيهـا مستقصى في قولـه تعـالى:﴿ وقلْنـاَ يـا آدمُ اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجَـنَّة..﴾[(٩)][البقرة:٣٥].

وأمّا المسألة الثانية[(١٠)] فجمعه[(١١)] للخطيئة[(١٢)] على « **الخـطـايا** » في سورة البقــرة، وعـلـى « **الخطيئآت** » في سورة الأعراف على قول أكثر القراء[(١٣)].

---

(١) قوله تعالى:﴿ فبدل الذين ظلموا قولا...﴾ ساقط من(ك).

(٢) في(ك): في هذه الآية، بدون الفاء.

(٣) « إذا ما ذكرت » ليست في (ك ، ر).

(٤) في(ك): بالتي.

(٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ب):تشبهها

(٦) في(أ): ظلموا قولا، باسقاط "منهم", والمثبت من(ح).

(٧) في(ب): عطفه.

(٨) انظر من هذا الكتاب:١٣٨/١ .

(٩) من قوله «في قوله تعالى:﴿وقلنا يا آدم اسكن...﴾ » أثبت من(ك).

(١٠) في (أ): والمسألة الثانية، والمثبت من (ب ، ك).

(١١) لفظ « فجمعه» ساقط من(ك).

(١٢) في(ح،ك): الخطيئة.

(١٣) هم ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي كمـا في زاد المسير (٢٧٦/٢)، وقرأ نـافع وابـن عـامر ويعقـوب بجمـع السلامة ورفع التاء:**خطيئآتكم**، وقرأ أبـو عمـرو :**خطيـاكم** على وزن عطايـاكم. (ينظر: كتـاب السـبعة لابـن مجاهد:٢٩٥، كتاب الإقناع في القراءات السبع لابـن خلـف ٦٥٠/٢، والكشـف عـن وجـوه القـراءات السـبع للقيسي٤٨٠/١، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري٢٧٢/٢).

وأما(١٤) المسألة الثالثة زيادة(١٥) « **رغدا** » في سورة البقرة وحذفه له(١٦) في سورة الأعراف.

وأما المسألة الرابعة تقديم ﴿ وقولوا حطّة ﴾ في سورة الأعراف وتأخيره في سورة البقرة.

والمسألة الخامسة إدخاله **الواو** على ﴿سنزيد﴾(١٧) في هذه السورة واسقاطها منها في سورة الأعراف.

والمسألة السادسة زيادة ﴿منهم﴾ في سورة(١٨) الأعراف في قوله(١٩):﴿..فبدّل الذين ظلموا منهم..﴾(٢٠) وسقوطها(٢١) من الآية في سورة البقرة(٢٢).

فأمّا الكلام في ﴿الخطايا﴾ واختيارها في سورة البقرة فلأنها(٢٣) بناء موضوع(٢٤) للجمع الأكثر، و« الخطيئآت » جمع السلامة وهي للأقل. الدليل على ذلك أنك إذا صغّرت الدراهم قلت: دُرَيْهمات، فتردّها الى الواحد، وتصغّره ثم تجمعه على لفظ القليل الملائم للتصغير، وكذلك **الخطايا**، لو صغرت(٢٥) لَقلتَ:خطيئات فرددتها الى «خَطيئة » ثم صغّرتها على «خُطيئة » ثم جمعتها(٢٦) جمع السلامة الذي هو على حدّ التثنية المنبئ(٢٧) عن العدد الأقل(٢٨) من الجمع، فإذا ظهر الفرق بين **الخطايا والخطيئآت**، وكان هذا الجمع المكسر موضوعا(٢٩) للكثير، والمسلّم(٣٠) موضوعا(٣١) للقليل استعمل(٣٢) لفظ الكثير

(١٤) في نسخة(ك) تقديم وتأخير هنا.

(١٥) في (ب): زيادته.

(١٦) « له » أثبتت من(ك).

(١٧) في(ك): سنزيد المحسنين

(١٨) « سورة » أثبتت من(ك).

(١٩) « قوله » أثبتت من(ك).

(٢٠) في(ك):﴿...منهم قولا غير الذي قيل لهم﴾.

(٢١) في (أ): وسقوطه، والمثبت من (ق)، وهي سقطت من (ب، ك).

(٢٢) في(أ): في سورة البقرة منها، وفي (ب): وسورة البقرة منها، والمثبت من (ك ، ح ، ر).

(٢٣) في(ر): فإنها.

(٢٤) في (أ): معوض، وهو خطأ.

(٢٥) في(ك): لو صغرتها.

(٢٦) في(ر): تجمعها.

(٢٧) في(أ): المبنية على العدد..، وفي(ك): المبنى...، والمثبت من (ح ، خ).

(٢٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ب): الأول.

(٢٩) في(أ،ب ، ك):موضوعه. والمثبت من(ح ، خ ، ر).

(٣٠) يعني جمع المونث السالم.

في الموضع الذي جعل الإخبار فيه عن نفسه بقوله:﴿وإذ قلنا ادخلوا...﴾ وشرط لمن قام بهذه الطاعة ما يشرطه[٣٣] الكريم إذا وعد من مغفرته[٣٤] الخطايا كلّها، وقرن إلى الإخبار عن نفسه ـ جل ذكره ـ ما يليق بجوده وكرمه فأتى[٣٥] باللفظ الموضوع للشمول فيصير كالتوكيد بالعموم لو قال: نغفر[٣٦] لكم خطاياكم كلّها أجمع[٣٧].

ولّما لم[٣٨] يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه ـ عز اسمه ـ وإنما قال:﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية..﴾ فلم يسمِّ الفاعل، أتى بلفظ ﴿الخطيئآت﴾، وإنْ كان المراد بها الكثرة كالمراد[٣٩] بالخطايا إلاّ أنه أتى في الأول لما ذكر الفاعل بما[٤٠] هو لائق بضمانه من اللفظ. ولما لم يسمّ الفاعل في الثاني في[٤١] سورة الأعراف وضع / [٤/ب] اللفظ[٤٢] غير موضعه للفرقان بين ما يؤتى به على الأصل وبين ما يعدل عنه إلى الفرع .

والمسألة الثالثة[٤٣] في الإتيان بقوله ﴿رغدا﴾ في هذه السورة وحذفها في سورة الأعراف؛ فالجواب[٤٤] عنها كالجواب[٤٥] في الخطايا والخطيئات، لأنه لما أسند الفعل إلى نفسه ـ تعالى ـ كان اللفظ بالأشرف الأكرم[٤٦]، فذكر معه الإنعام الأجسم، وهو أن يأكلوا رغدا[٤٧]، ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه لم يكن مثل الفعل الذي في

---

(٣١) في(أ، ب ، ك): موضوعه، والمثبت من(ح ، خ ، ر).

(٣٢) « استعمل » جواب إذا.

(٣٣) في(ر): ما يشترطه.

(٣٤) في (ب): مغفرة.

(٣٥) في(أ):وأتى.

(٣٦) في(أ،ب):يغفر ، والمثبت من(ر).

(٣٧) في أكثر النسخ:جمع، وفي(ك):جمعا، والمثبت من(خ).

(٣٨) « لم » سقطت من(ر).

(٣٩) في(أ): كما المراد.

(٤٠) في(ر) :ما .

(٤١) في(ك): من.

(٤٢) هو لفظ « الخطيئآت » .

(٤٣) في(ك): المسألة الرابعة في هذه الآية حذف قوله "رغدا" في سورة الأعراف، والإتيان به في سورة البقرة.

(٤٤) في(ك): والجواب.

(٤٥) في(ك): نحو الجواب.

(٤٦) في(أ): كان اللفظ الأشرف الأكرم، وفي(ك): كان اللفظ اللفظ الأشرف، وفي(خ): كان اللفظ لفظ الأشرف الأكرم ، والمثبت من(ح).

(٤٧) أي: أكلا واسعا طيبا، وفي المفردات للراغب(ص:١٩٨):عيش رغد ورغيد: طيب واسع.

سورة البقرة، فلم يذكر معه ما ذكر فيها من الإكرام الأوفر، وإذا[٤٨] تقدم اسم[٤٩] المنعم الكريم اقتضى ذكر نعمته الكريمة[٥٠].

والمسألة الرابعة[٥١] في هذه الآية[٥٢] تقديم قوله عز من قائل:﴿وقولوا حطّة﴾ وتأخيره في سورة البقرة عن قوله:﴿وادخلوا الباب سجدا﴾[٥٣] والجواب عن ذلك مما يحتاج إليه في مواضع من القرآن في مثل[٥٤] هذه الآية[٥٥] التي قصدنا الفرق[٥٦] بين مختلفاتها: وهو أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء - صلوات الله عليهم - وما حكاه[٥٧] من قولهم و[٥٨] قوله - عز وجل - لهم لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها، وكيف لايكون كذلك؟ واللغة التي خوطبوا بها غير العربية، فإذًا حكاية اللفظ زائلة وتبقى حكاية المعنى، ومن قصد حكاية المعنى[٥٩] كان مخيرا بأن يؤديه بأيّ لفظ أراد، وكيف شاء من تقديم وتأخير بحرف لايدل على ترتيب كالواو، ولو[٦٠] قصد حكاية اللفظ ثم وقع في المحكي اختلاف لم يجز، ولو قال قائل حاكيا عن غيره: قال فلان: زيد وعمرو ذهبا، وكان هذا لفظا محكيا، ثم قال ثانيا قاصدا إلى حكاية هذه اللفظة من كلامه: عمرو وزيد ذهبا، لم يجز له ذلك، لأنه غيّر قوله وأخّر ما قدّمه، وإن[٦١] قصد حكاية المعنى كان ذلك[٦٢] مرخّصا له.

---

(٤٨) في(ك): فإذا.

(٤٩) يعني بالاسم هنا نون العظمة "نا" في قوله تعالى:﴿وإذ قلنا ادخلوا﴾، لأنه لم يتقدم شيء من الأسماء الحسنى

(٥٠) من قوله « وإذا تقدم اسم المنعم » إلى هنا أثبت من (ب ، ك).

(٥١) في (ك):والمسألة الخامسة.

(٥٢) أي آية سورة الأعراف.

(٥٣) من قوله « وتأخيره...» إلى هنا سقط من(أ،ب) والمثبت من(ك)

(٥٤) « مثل » أثبت من(أ).

(٥٥) في(ك): الآيات.

(٥٦) في(ك): للفرق.

(٥٧) في(ك): وحكاه، وفي(أ): ومما حكاه

(٥٨) الواو أثبتت من(ك).

(٥٩) « المعنى » ليست في (أ).

(٦٠) « ولو » سقط من(ب).

(٦١) في(ك): فإن.

(٦٢) « ذلك » سقطت من(أ).

والمسألة الخامسة(٦٣) في هذه الآية إثبات الواو في قوله:﴿وسنزيد المحسنين﴾(٦٤) في هذه السورة، وحذفها في سورة الأعراف منها، فالفرق(٦٥) بين الموضعين المؤثر في الموضع الذي يقصد(٦٦) الفرق فيه(٦٧) دقيق، وهو أن قوله:﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية...﴾ ﴿ادخلوا﴾ في موضع المفعول من﴿قلنا﴾، والمفعول يكون مفردا، ويكون مكانه جملة، والفاعل عند البصريّين لايكون إلا مفردا، ولا تصح الجملة مكانه(٦٨)، وكذلك(٦٩) يقولون في قوله تعالى:﴿ثم بَدَا لهم مِنْ بعدِ ما رَأَوا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّه..﴾ [يوسف:٣٥] إن فاعل ﴿بدا﴾ هو البداء الذي دل عليه الفعل، لأن الفعل دال على مصدره(٧٠) وكذلك(٧١) قوله:﴿أو لم يهدِ لهم كم أهلكنا..﴾ [السجدة:٢٦]، فاعل﴿يَهْدِ﴾ **عندنا مفرد محذوف**(٧٢)، وعند الكوفيين تصح الجملة أن تقوم مقام الفاعل.

فعلى مذهبنا ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا...﴾ : الذي أقيم مقام فاعل ﴿ قيل﴾ مفرد لايصح أن يكون جملة، ولايجوز أن يكون ﴿اسكنوا﴾ مكان الفاعل كما كانت مكان المفعول في قوله:﴿وإذ قلنا / ادخلوا..﴾ فيكون في هذا المقام الفاعلُ لفظاً مفرداً(٧٣) هو [٥/أ]
«**القول**» كما كان **البداء** فاعل قوله:﴿ثم بدا لهم..﴾(٧٤)وإذا خرج قوله « اسكنوا » عن أن يكون فاعلا، وكان(٧٥) لفظة(٧٦) في موضع(٧٧) الفاعل و لم(٧٨) يتعلق بالفعل الذي قبله

---

(٦٣) في(ك): والمسألة الثالثة في هذه الآية حذف الواو من قوله ﴿سنزيد المحسنين﴾ في سورة الأعراف وإثباتها في سورة البقرة.

(٦٤) في (أ): « سنزيد المحسنين» بدون الواو،

(٦٥) في (أ): والفرق.

(٦٦) في(ر): نقصد.

(٦٧) في(ح ، خ ،ر): منه.

(٦٨) هذا رأي المؤلف رحمه الله ، وهو اختيار ابن هشام في كتابه شرح شذور الذهب، حيث يقول فيه (ص١٦٧):« أنهما ـ أي الفاعل ونائب الفاعل لا يكونان جملة، هذا هو المذهب الصحيح ».

(٦٩) في (ح ، ر): ولذلك، وفي(أ):كذلك، والمثبت من (ب).

(٧٠) في(أ): مصدر، والمثبت من(ك)، وفي(ر): المصدر.

(٧١) في(ر): كذلك.

(٧٢) هو لفظ « الهدي »، والتقدير: أو لم يهدِ لهم الهدي.

(٧٣) في(ب): فعلى هذا التقدير يكون لفظا مفردا، وفي(ك):فعلى هذا التقدير يكون المقام مقام الفاعل لفظا مفردا.

(٧٤) في(ك):﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات...﴾

(٧٥) في(ر): كان.

تعلّق الفاعل بفعله معنى[٧٩]، ولا تعلّق المفعول بفعله الواقـع بـه[٨٠] في قولـه تعـالى:﴿وإذ قلنا ادخلوا..﴾ صـار[٨١] كأنـه منفصـل عـن الفعـل في الحكـم وإن كـان متصـلا بـه في اللفظ. وجواب الأمر الذي هو ﴿اسكنوا﴾ قولُه:﴿نغفر لكم خطاياكم﴾، والجواب في حكـم الابتـداء ينفصـل[٨٢] كمـا ينفصـل[٨٣] ولا دليـل في اللفـظ[٨٤] علـى انفصالـه إلا بفصل[٨٥] ما أصله أن يكـون متعلقـا بـه بحـرف عطـف وهـو:﴿وسـنزيد المحسـنين﴾[٨٦] وحذف[٨٧] الواو منه واستئنافه خبرا مفردا. وهذه المسألة هي التي غلط فيهـا أبـو سـعيد السيرافي[٨٨] في أول ما شرحه من ترجمة الكتـاب[٨٩]،وهـي قولـه:« هـذا بـاب علـم مـا الكلم من العربية »[٩٠] وعدّة[٩١] الوجوه التي تحتملهـا هـذه اللفظـة، وذِكـره في جملتهـا: هذا باب أن يعلم ما الكلم من العربية فجعل « مـا الكلـم » ـ وهـي جملـة ـ في موضـع الفـاعل مـن[٩٢] **يعلـم** »[٩٣]، وهـذا مـا يأبـاه مذهبـه[٩٤]، ومذهـب أهـل البصـرة. وقـد

---

(٧٦) في(ك): لفظ.

(٧٧) في(ب،ك): موقع

(٧٨) في(ح): فلم.

(٧٩) « معنى » ساقط من النسخ المعتمدة، وأُثبِت من (ر).

(٨٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ح): فيه.

(٨١) « صار » ساقط من(ب).

(٨٢) أي الجواب.

(٨٣) أي الابتداء.

(٨٤) « في اللفظ » أثبتت من(ك).

(٨٥) في(ب): « انفصال».

(٨٦) في(ب،ك): سنزيد.

(٨٧) في (ك): وتحذف.

(٨٨) هو الحسن بن عبد الله السيرافي، أبو سعيد: إمام النحو، صـاحب التصـانيف ولـه « أخبـار النحويـين البصريـين» و«شرح كتاب سيبويه» طبع منه جزء،وتوفي سنة٣٦٨هـ(سيرأعلام النبلاء١٦/٢٤٨،الأعلام ٢/١٩٥).

(٨٩) أي: كتاب سيبويه، وهو عُرف بهـذا الاسم مـن قديـم الدهـر إلى يومنـا هـذا، قـال السـيرافي:« وكـان كتـاب سيبـويه لشـهرته وفضله عَلمـا عنـد النحويـين، فكـان يقـال بـالبصرة: قـرأ فـلان الكتـاب، فيُعلـم أنـه كتـاب سيبويه».(ينظر: أخبار النحوين البصرين، ص:٥٠ ، نزهة الألباء، ص٧٥).

(٩٠) ما بين «...» كلام سيبويه، وانظر: الكتاب لسيبويه، ١/١٢.

(٩١) في (ق): وعدّه.

(٩٢) في(أ): ومن، بزيادة الواو، وهوخطأ.

أومأت[٩٥] إلى غرضي فيما يجوز أن تكون[٩٦] الواو فيه[٩٧] محذوفة من قوله ﴿ سنزيد المحسنين﴾ في سورة الأعراف وثابتة فيه[٩٨] في سورة البقرة، فتأملوه[٩٩] فإنه مسألة مشكلة في النحو تفهموه إن شاء الله[١٠٠].

المسألة[١٠١] السادسة في هذه الآية[١٠٢] قوله تعالى في سورة البقرة[١٠٣]:﴿فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم...﴾، وفي سورة الأعراف في هذه القصة:﴿فبدّل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم﴾.

وللسائل[١٠٤] أن يسأل فيقول: هل في زيادة ﴿منهم﴾ في هذه الآية في سورة الأعراف حكمة وفائدة تقتضيانها ليستا في سورة البقرة؟

والجواب أن يقال: إن قوله تعالى:﴿فبدّل الذين ظلموا..﴾ وإن لم يذكر فيه «منهم» معلوم أن المراد[١٠٥] بالظالمين: الذين ظلموا من المخاطَبين بقوله:﴿ادخلوا هذه القرية﴾،﴿فكلوا﴾،﴿وقولوا حطة﴾[١٠٦]، فالذين ظلموا من هؤلاء هم الموصوفون

---

(٩٣) من أول « وعدة الوجوه التي تحتملها » إلى هنا الكلام لأبي سعيد السيرافي، ينظر: شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد اليسرافي ١/٤٥-٤٦،(تحقيق:د. رمضان عبد التواب ورفقائه، نشر الهيئة المصرية العامة ١٩٨٦م).. وانظر كتاب سيبويه، ١/١٢ .

(٩٤) أي مذهب أبي سعيد السيرافي.

(٩٥) في (ر): أومأنا.

(٩٦) في (أ): أن تكون له.

(٩٧) لفظ « فيه » أثبت من (ب).

(٩٨) لفظ « فيه » ليس في(ب).

(٩٩) في(ك):« فتأمله إن شاء الله »، وليس فيها:« فإنه مسالة مشكلة في النحو تفهموه ».

(١٠٠) هذا التعليل الذي ذكره المؤلف لايشفي الغليل بالنسبة لزيادة الواو في سورة البقرة وحذفها في سورة الأعراف، فإنه رحمه الله تعالى ربط هذا الموضوع بمسألة نحوية كانت موضوع جدل بين البصريين والكوفيين، وهي جواز وقوع الجملة فاعلا وعدم جواز ذلك، وأرى أن التعليل الذي ذكره المؤلف لحذف الواو في سورة الأعراف إنما بناه على مذهب البصريين. وفي هذا نظر، لأن القرآن الكريم فيه ما يستدل به على مذهب البصريين وفيه ما يستدل به على مذهب الكوفيين. والله أعلم.

(١٠١) في(ك): المسألة، بدون الواو.

(١٠٢) في(ك): في هذه الآي.

(١٠٣) في (أ): في هذه السورة.

(١٠٤) في (ب): للسائل، وفي(ك): فللسائل.

(١٠٥) في (أ): من المراد.

(١٠٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ب): وقوله:حطة، وهو خطأ.

بالتبديل، والمغيّرون لِما قدم إليهم من القول إلا أن في سورة الأعراف معنى يقتضي زيادة «منهم» هناك ولايقتضيها هنا[١٠٧]، وهو أن أول القصة في سورة[١٠٨] الأعراف مبني[١٠٩] على التخصيص والتمييز بدليل لفظة[١١٠] « مِن » لأنه قال تعالى:﴿ومِن قوم موسى أُمَّةٌ يَهْدُون بالحقِّ وبه يَعْدِلون﴾[الأعراف:١٥٩]، فذكر[١١١] أنّ منهم من يفعل ذلك، ثم عدَّ صنوف إنعامه عليهم، وأوامره لهم، فلما انتهت قال:﴿فبدّل الذين ظلموا منهم...﴾، فأتى في آخر ما حكى عنهم من مقابلة نعم[١١٢] الله عليهم بتبديلهم[١١٣] ما قدم به القول إليهم فأتى بلفظة « من » التي هي للتخصيص والتمييز بناء على أول القصة التي هي:﴿ومن قوم موسى..﴾ ليكون آخر / الكلام[١١٤] لأوله مساوقا[١١٥]، [٥/ب] وعجزه[١١٦] لصدره مطابقا، فيكون الظالمون من قوم موسى بإزاء الهادين منهم، وهناك ذكر أمة هادية عادلة، وهنا ذكر أمة مبدلة عادية مائلة[١١٧]، وكلتاهما من قوم موسى، فاقتضت التسوية في المقابلة[١١٨] ذكر[١١٩]﴿منهم﴾ في سورة الأعراف.

وأما في سورة البقرة فإنه[١٢٠] لم تبنِ[١٢١] الآيات التي قبل قوله:﴿فبدّل الذين ظلموا قولا..﴾ على تخصيص وتبعيض، فتحمَل الآية الأخيرة على مثل حالها، ألا ترى

---

(١٠٧) في(ك): في سورة البقرة.

(١٠٨) « سورة » أثبتت من(ك).

(١٠٩) في(ق) بني.

(١١٠) في(ب، ك): بلفظة، بدون لفظ « بدليل ».

(١١١) في(ب): فذكر.

(١١٢) في (ب): نعمة.

(١١٣) في (ب): تبديلهم.

(١١٤) من بعد قوله « ليكون آخر الكلام» إلى آخر الآية الرابعة ساقط من نسخة دار الكتب المصرية، والنسخة المطبوعة

(١١٥) أي: متابعا ومسايرا، وفي اللغة: المساوقة: المتابعة، كأن بعضه يسوق بعضا(لسان العرب،مادة سوق).

(١١٦) العجز- مثلثة الجيم -:مؤخر الشيء(القاموس المحيط، مادة عجز).

(١١٧) في(ب): أمة عادية مبدلة مائلة، وفي(ك): أمة حائرة عادية.

(١١٨) المقابلة هي إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة، (كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري،ص: ٣٧١).

(١١٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ،ب):وذكر.

(١٢٠) في(أ):فإن.

(١٢١) في(ب): لم نبين، وفي(خ): لم ين، وفي(ك): بدون نقط، والضبط بالحركات المثبت هو يتناسب مع المتعلق، وهو قوله:« على تخصيص ».

أنه قال: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم..﴾ [البقرة:٤٨] ثم تكرّر[١٢٢] الخطاب لهم إلى أن انتهى إلى قوله:﴿وظلّلنا عليكم الغمامَ وأنزلنا عليكم المنّ والسّلوى...﴾[البقرة:٥٧]، وقوله[١٢٣]:﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية...﴾[البقرة:٥٨]، وتعقبه[١٢٤] بقوله:﴿فبدل الذين ظلموا...﴾[١٢٥] فلم يحتج إلى « منهم » لأنه لم يتقدمه ما تقدم في سورة الأعراف مما يقتضيها.

(١٢٢) في(أ،ب): يكون، وفي(خ): كرر، وما أثبته من (ر ، ك).

(١٢٣) « وقوله» أثبتت من(ك).

(١٢٤) في(ك): وتعقيبه، وفي(ح): ويعقبه.

(١٢٥) في(أ):﴿فبدل الذين﴾ بدون "ظلموا".

[٥] الآية الخامسة[١]

قوله تعالى في سورة البقرة[٦١]:﴿...ذلك بأنّهم كانوا يَكْفرون بآيات الله ويَقتلون النبيين بغير الحقّ..﴾ بالألف واللام .

وقال في سورة آل عمران[٢١][٢]:﴿إنّ الذين يَكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقٍّ..﴾ نكرة غير معرفة.

وكذلك[٣] في هذه السورة:﴿..ويقتلون الأنبياء بغير حقٍّ ذلك بما عصوْا وكانوا يَعْتَدون..﴾[٤][آل عمران:١١٢].

والجواب عن ذلك: أن الآية الأولى في سورة البقرة خبر عن قوم عُرفوا وعُرفت أفعالهم ومضت[٥] أزمنتهم وأحوالهم[٦]، فلما شُهروا شُهر[٧] فعلهم بوقوعه منهم.

وقيل: «الحق» هو ما قاله الله تعالى:﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق...﴾[الأنعام:١٥١]، والحق هو[٨] أن يكون[٩] قتل نفسا مؤمنة لم يجب عليها القتل، والقاتلُ[١٠] مكلَّف، أو[١١] أن يرتد أو يزني[١٢] وهو محصن. فهذا معلوم مخبر عنه بلفظ المعرفة، والقتل وقع منهم من غير أن يكون[١٣]على الأوجه الثلاثة المعلومة.

على أن هذه الآية يسأل عنها[١٤] فيقال: قد كان في قوله:﴿ويقتلون النبيين﴾ كفاية، لأنه لايقتل نبي بحق، لأنه لايرتكب واحدا من الأوجه[١٥] الثلاثة التي توجب القتل.

---

(١) سقطت الآية الخامسة من أولها إلى قوله:«...الآية ﴿إن الذين يكفرون﴾، ولم يقل: إن الذين كفروا » من نسخة دار الكتب المصرية، ومن النسخة المطبوعة أيضا.

(٢) في (أ،ب،ك):وفي سورة آل عمران، والمثبت من(ر).

(٣) في(ب): كذلك، بدون الواو.

(٤) في (أ ، ب): ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾، والتتمة من (ك).

(٥) في(خ): وانقضت.

(٦) لفظ « أحوالهم » ليس في(ك).

(٧) في(ب،ك): وشهر، وهو خطأ، لأن " شهر " جواب " فلما " والمثبت من(خ،س).

(٨) في(أ): وهو، والمثبت من(ب،ك).

(٩) أي القاتل.

(١٠) في (أ): فالقاتل.

(١١) في(ب): وأن.

(١٢) في (أ): ويزني.

(١٣) في(أ): كان.

(١٤) في(ك): فيها.

(١٥) لفظ « الأوجه » ليس في(أ،ب)، والمثبت من(خ،ر).

وعن هذا أجوبة، منها: ما ذكرنا(١٦)، والآخر أن يقال(١٧): إن المعنى(١٨): أنهم كانوا يقتلونهم من غير أن يقع(١٩)منهم ما يوجب(٢٠) عليهم القتل عندهم، وفي دينهم، وليس هذا موضع ذكر هذه الوجوه، وإنما القصد في هذا المكان إلى التفرقة(٢١) بين لفظ(٢٢) المعرفة والنكرة في الآيتين.

والموضع الثاني الذي نكّر(٢٣) فيه « حق » هو خبر عن قوم يرون ذلك ويعتقدونه ويدينون به، ألا تراه قال تعالى:﴿إن الذين يكفرون بآيات ا لله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشّرهم بعذاب أليم﴾[آل عمران:٢١]، هؤلاء قوم لم يمضوا و لم ينقرضوا، فلذلك قال:﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾(٢٤) .

وقال في أول الآية:﴿إن الذين يكفرون...﴾ و لم يقل:« إن الذين كفروا » فلما لم تكن هذه الحال واقعة منهم كانت مخالفة للحال الواقعة (٢٥) التي جُعلت خبرا عن قوم(٢٦) مضوا على هذه الأفعال، / فقال فيهم:﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. [٦/أ]

فأما قوله تعالى:﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من ا لله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من ا لله...﴾ [آل عمران:١١٢] فهو خبر عن قوم كانوا في عصر النبي ﷺ فقال:﴿...وضُربت عليهم المسكنةُ ذلك بأنّهم كانوا يَكْفرون بآيات ا لله ويَقتلون الأنبياءَ بغير حقٍّ...﴾[آل عمران:١١٢] فكان(٢٧) خبرا عن اعتقادهم لأنه لايجوز أن يعاقبوا وتضرب

---

(١٦) في(خ): ما مر.

(١٧) على هذا الوجه اقتصر **الزمخشري** في تفسيره فقال(١/٢٨٥):« فإن قلت: قتل الأنبياء لايكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره؟ قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يَقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيُقتلوا، وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، فلوا سُئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم ». وذهب **ابن عطية** في تفسيره(١/٣٢٢) إلى أنَّ في التصريح بقوله﴿بغير الحق﴾ تعظيما لِما فعلوه،وتشنيعا عليهم

(١٨) « إن المعنى » ساقط من(ب)، وفي(ك): المعنى، وفي(خ):والآخر أن المعنى.

(١٩) في (و): وقع.

(٢٠) في(ك): يجب.

(٢١) في(ر): الفرق.

(٢٢) كلمة « لفظ » سقطت من(أ،ب)، وأثبتت من(ك).

(٢٣) في (أ): تكرر، وهو خطأ، وفي (ب): ذكر، وهو خطأ، والمثبت من (ح ، خ ، ر ، ك).

(٢٤) من قوله « هؤلاء قوم لم يمضوا » إلى هنا سقط من (ك).

(٢٥) « الواقعة » سقطت من (أ).

(٢٦) في(ك): عنهم قوم، وهو خطأ.

(٢٧) في(أ): وكان.

عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا[٢٨] منهم فيصيرون مثل الأولين الذين أخبر عنهم بقوله[٢٩]: ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين...﴾[آل عمران: ٢١] في تمييزه إياهم[٣٠] عن القوم الذين كانوا في عصر موسى صلى الله على نبينا وعليه، فقال لهم: ﴿...اهبطوا مصرا فإنَّ لكم ما سألتم...﴾[البقرة: ٦١] فاختير لفظُ المعرفة في القصة التي وقعت ووقع الإخبار عنها، ولفظُ[٣١] النكرة في القصة التي وقع التهديد[٣٢] مقارنا لها ليمنع من وقوعها، وما كان في خبر ما لم يقع فالذنب في حيِّز[٣٣] المذكور، والعقاب عليه مثله كالمذكور.

(٢٨) لفظ « لا » غير واضح في(ب).

(٢٩) كلمة « بقوله » ليست في(ح).

(٣٠) لفظ « إياهم » ليس في(ب،ك).

(٣١) قوله « ولفظ » معطوف على « لفظ المعرفة ».

(٣٢) في(د،ر):التهدد.

(٣٣) في(أ،ك):خبر، والمثبت من(ب، د،س).

[٦] الآية السادسة

قوله تعالى:﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَن آمن بالله واليوم الآخر وعَمِل صالحاً فلهم أجرُهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾(١)[البقرة:٦٢]

وقال في سورة المائدة[٦٩]:﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعَمِل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾(٢).

وقال في سورة الحج[١٧]:﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾(٣).

للسائل أن يسأل فيقول: هل في اختلاف هذه الايات بتقديم(٤) الفِرق وتأخيرها، ورفع «الصابئين» في آية ونصبِها في أخرى غرض يقتضي ذلك؟

فالجواب أن يقال: إذا أورد الحكيم - تقدست أسماؤه - آية على لفظة مخصوصة ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيّر فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى(٥) فلا بدَّ من حكمة هناك تطلَب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم(٦)، وإن لم تدركوها فليس لأنه لاحكمة هناك، بل جهلتم(٧).

فأما(٨) الآية الأولى في هذه السورة ففيها(٩) مسائل، ليس هذا المكان مكانها، لأنه يقال: كيف قال الله تعالى(١٠):﴿إن الذين آمنوا...﴾ إلى قوله(١١):﴿من آمن بالله واليوم الآخر...﴾ أي: من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وإذا وُصفوا بأنهم آمنوا فقد ذكر أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر، إلا أن الذي نذكره(١٢) في هذا المكان هو(١٣) أن المعنى: إن الذين

---

(١) في(ب) إلى ﴿...فلهم أجرهم عند ربهم)، وفي(ك) إلى ﴿...فلهم أجرهم﴾.

(٢) في(ب):﴿...فلاخوف عليهم)، والمثبت من (أ،ك).

(٣) في(أ، ب):﴿...يفصل بينهم يوم القيامة..﴾، وتمام الآية من(ك).

(٤) في(ب): هل في الاختلاف هذه الآية تقديم..، ولفظ "هذه الآيات"ساقط من(أ)، والمثبت من(ر،س،ك).

(٥) في(ب): في الأول.

(٦) في(ك): وإن أدركتها فقد ظفرت... بل جهلتَ.

(٧) إن المصنف رحمه الله تعالى يجلّ كلام الله تعالى، ويعتقد أن لكلّ حرفٍ أو لفظ فيه، وفي موضعه حكمة، فإن جهلها الإنسان اتهم نفسه، وليس كلامَ ربه جل وعلا .

(٨) في(ب): وأما، وفي(ك): أما، بدون الواو.

(٩) في(ر):فيها.

(١٠) لفظ « الله تعالى » ليس في(ك)، وفي(أ):قال تعالى. والمثبت من(ب).

(١١) لفظ « إلى قوله » زيد من(خ،ر،س).

(١٢) في(ب):يذكره، وفي(ر): ذكرهم ، وفي(خ ، س): إلا الذين نذكرهم.

آمنوا بكتب الله المتقدمة مثل صحف إبراهيم والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود(١٤)، والذين آمنوا بما أتى به(١٥) الإنجيل وهم النصارى، فهذا ترتيب على حسب ما ترتب عليه(١٦) تنزيل الله تعالى كتبه(١٧)، فصحف(١٨) إبراهيم عليه السلام قبل التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والتوراة قبل الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، فرتبهم الله(١٩) عز وجل في هذه الآية على ما رتبهم عليه في بعثة(٢٠) الرسالة.

ثم أتى بلفظ(٢١) « الصابئين »(٢٢)، وهم الذين / لايثبتون على دين وينتقلون(٢٣) من ملة إلى ملة، ولا كتاب لهم، كما للطائفتين(٢٤) اللتين ذكرهما الله تعالى(٢٥) في قوله:﴿ أنْ تقولوا [٦/ب]

---

(١٣) في (خ،ر،س): أراد، بدلا من "هو".

(١٤) قوله « وهم اليهود » أثبت من(ك).

(١٥) لفظ « به » ساقط من(أ)،

(١٦) لفظ « عليه » ساقط من(أ،ب،ك)، والمثبت من(ر).

(١٧) في(ك): التوراة وكتبه.

(١٨) في(أ،ب،ك):وصحف، والمثبت من(ر).

(١٩) لفظ الجلالة ليس في(أ،ب،ك)، وأثبت من(ر).

(٢٠) لفظ « بعثة » ساقط من(ب).

(٢١) في(ب،ك): بذكر.

(٢٢) قال **ابن قتيبة** في كتابه **تفسير غريب القرآن**(ص:٥٢):«وأصل الحرف من صبأت، إذا خرجت من شيء إلى شيء، ومن دين إلى دين ؛ ولذلك كانت قريش تقول في الرجل إذا أسلم واتبع النبي ﷺ قد صبأ فلان ـ بالهمز ـ أي: خرج عن ديننا إلى دينه». وقد ذكر **ابن الجوزي** في تفسيره(١/٩١ ـ ٩٢) في معنى«الصابئين» سبعة أقوال:

أحدها: أنه صنف من النصارى، ألين قولا منهم، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روى عن ابن عباس.

والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم.

والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور.

والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة.

والسابع: قوم يقولون: لا إله إلا الله، فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولانبي، قاله ابن زيد». اهـ

وقال **ابن كثير** في تفسيره(١/١٥٧) بعد أن ذكر الأقوال في معنى الصابئين:«وأظهر الأقوال ـــ والله أعلم ـــ قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه. ولهذا كان المشركون ينبزون مَن أسلم بالصابيء، أي:أنه خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك». اهـ

(٢٣) في(ب): يتقلبون.

إنما أُنْزِلَ الكتابُ على طائفتين مِن قَبْلِنا...﴾[الأنعام:١٥٦]، فوجب أن يكونوا متأخرين عن أهل الكتاب.

وأما بعد هذا الترتيب فترتيبهم في سورة المائدة، وتقديم « الصابئين» على « النصارى» ورفعه هنا ونصبه هناك ترتيب ثان لهم.

فالأول على ترتيب الكتب، والثاني على ترتيب الأزمنة لأن الصابئين، وإن(٢٦) كانوا متأخرين عن النصارى، بأنه(٢٧) لا كتاب لهم، فإنهم متقدمون عليهم بكونهم قبلهم، لأنهم كانوا قبل عيسى عليه السلام.

فرفع « الصابئون » ونوى به التأخير عن مكانه، كأنه قال بعد ما أتى بخبر: إن الذين آمنوا والذين هادوا(٢٨) من آمن با لله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٢٩)، والصابئون هذه(٣٠) حالهم أيضا(٣١)، وهذا(٣٢) مذهب سيبويه(٣٣)، لأنه لايجوز عنده ولا عند البصريين، وكثير من الكوفيين: إن زيدا وعمرو(٣٤) قائمان(٣٥). والفراء(٣٦)

---

(٢٤) المراد بالطائفتين في الآية: اليهود والنصارى، والخطاب في قوله تعالى:﴿أن تقولوا..﴾ للكافرين من العرب، والتقدير:وأنزلنا هذا الكتاب لهدايتكم كراهة أن تقولوا يوم القيامة أو لئلا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا...

(٢٥) قوله « ا لله تعالى » ساقط من(ب).

(٢٦) لفظ «وإن » ساقط من(ب).

(٢٧) في(ر): فإنه.

(٢٨) في(أ،ب):﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى..﴾، والمثبت من(ر،ك).

(٢٩) جملة « ولاهم يحزنون » ليست في(ك).

(٣٠) في(ك): هذا.

(٣١) كلمة « أيضا » ليست في(ك). **قلت**: تناول الخطيب هذه المسألة في كتابه « المجالس » (ورقة٧٨ب) وذكر مثل هذا التقدير حيث قال:« كأنه قال : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم با لله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم، والصابئون هذه حالُهم، فيرفع « الصابئون » بالابتداء ويكون خبره محذوفا يدل عليه الخبر المنويّ به التقديم.. ».اهـ

(٣٢) أي: التقديم والتأخير مذهبُ سيبويه حيث إنه ـ رحمه ا لله ـ يقول في مؤلَّفه المشهور بـ«**الكتاب** (١٥٥/٢): «وأما قوله عز وجل:﴿والصابئون﴾ فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتدأ على قوله:﴿والصابئون﴾ بعدما مضى الخبر». اهـ

(٣٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الفارسي، ثم البصري الملقَّب سيبويه: إمام النحو، وأول من بسط علم النحو، وفي تاريخ وفاته خلاف، قيل:١٨٠هـ وقيل:١٨٨هـ.(ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٥١/٨، الأعلام:٨١/٥).

(٣٤) في(أ): عمروا، وهو خطأ.

يجيز هذا على شريطة[٣٧] أن يكون الاسم الأول المنصوب بـ"إنّ" لا إعراب[٣٨] فيه[٣٩]، نحو: إن هذا وزيد قائمان، وهذه من كبار المسائل[٤٠] ذوات الشُّعب[٤١].

ويتعلق بالخلاف بين البصريين والكوفيين[٤٢] في أنّ " إنّ " لها عملان، النصب والرفع على مذهب البصريين، وأنَّ لها عملا واحدا عند الكوفيين، وهو النصب[٤٣] إلا أن المذهب الصحيح ما ذهب إليه سيبويه، وهذه الآية تدل عليه، لأنه قدّم فيه "الصابئون" والنية بها التأخير على مذهب سيبويه، وإنما قدم في اللفظ وأخر في النية، لأن التقديم الحقيقي التقديم[٤٤] لكتب الله المنزلة[٤٥] على الأنبياء[٤٦] عليهم السلام، فاذا فعل ذلك في الآية

---

(٣٥) ينظر: معاني القرآ للزجاج (١٩٢/٢-١٩٣) حيث إنه رحمه الله ذكر اختلاف أهل العربية في تفسير رفع **الصابئون** وتوجيهاتهم.

(٣٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله، أبو زكريا، الكوفي صاحب الكسائي: العلامة، صاحب التصانيف، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. توفي سنة ٢٠٧هـ بطريق الحج.(ينظر: سير أعلام النبلاء:١١٨/١٠ ، الأعلام:١٤٥/٨).

(٣٧) في(أ): على شرط، وفي (ب): على شرطه، والمثبت من(خ،ر،س،ك).

(٣٨) في(ب): بأن الإعراب.

(٣٩) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣١٠/١ - ٣١١) . قلت: إن المصنف رحمه الله استساغ تجويز الفراء هذا، حيث قال في كتابه (المجالس: ورقة ٧٩/ أ):« والجواب الثالث ما ذهب إليه الفراء، وهو أن يكون «والصابئون» عطفا على موضع « إن الذين» ولايجوِّز ذلك في مثل: إن زيدا وعمرو منطلقان، وإنما يجوِّز الرفع إذا كان المنصوب باسم **إنَّ** لا إعراب ظاهر فيه ».اهـ.

(٤٠) في(خ): وهذا من كبار المسائل المختلف فيها.

(٤١) اهتم أهل التفسير واللغة بإعراب كلمة ﴿والصابئون﴾ اهتماما كبيرا،مما يدل على ذلك أنهم اختلفوا فيه بسبب أن هذه الكلمة وقعت مرفوعة بالواو مع أنها معطوفة على اسم " إنَّ " في ظاهر الكلام. وقد ذكر مؤلفُنا أبو عبد الله الخطيب في كتابه المجالس(٧٨ ب - ٨٠ ب) في الجواب عن ذلك عشرة أوجه، وجعل الوجه الأول ما ذهب إليه سيبويه واختاره في كتابنا هذا كما تقدم.

(٤٢) أي: بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة.

(٤٣) قال **ابن الأنباري** في كتابه **الإنصاف**(١٧٦/١):«ذهب **الكوفيون** إلى أن « إن » وأخواتها لاترفع الخبر، نحو« إن زيدا قائم » وما أشبه ذلك. وذهب **البصريون** إلى أنها ترفع الخبر.»اهـ. قلت:إن الخبر **قائم** مرفوع في مذهب **الكوفيين** قبل دخول"إن"، لأنهم - كما في الإنصاف لابن الأنباري ــ يرون أن « إن » وأخواتها تنصب الاسم لكونها تشبه الفعل. ولمّا كانت تعمل هذه الحروف من أجل شبهها بالفعل فهي فرع عليه، وإذا كانت فرعا عليه فهي أضعف منه، لأن الفرع أبدا يكون أضعف من الأصل؛ فينبغي أن لايعمل في الخبر». وردّ على هذا الرأي **ابن الأنباري في الإنصاف**(١٨٥/١) فقال: «والذي يدل على فساد ما ذهبوا إليه أنه ليس في كلام العرب عامل يعمل في الأسماء النصبَ إلا ويعمل الرفعَ؛ فما ذهبوا إليه يودي إلى ترك القياس ومخالفة الأصول لغير فائدة، وذلك لايجوز، فوجب أن تعمل في الخبر الرفع كما عملت في الاسم النصب..»اهـ.

(٤٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ح،د): التقدم.

الأولى ـ وكان هنا(٤٧) تقديم(٤٨) آخر بتقديم(٤٩) الزمان، وجاءت آية(٥٠) أخرى(٥١) قدم فيها(٥٢)هذا الاسم(٥٣) على ما أخر عنه في الآية التي قبلُ(٥٤) ثم أقيمت في لفظه أمارة تدل على تأخره عن مكانه ـ كان(٥٥) ذلك دليلا على أن هذا الترتيب بالأزمنة(٥٦)، وأن النية به(٥٧) التأخير والترتيبُ بالكتب المنزلة.

وأما الترتيب الثالث في سورة الحج فترتيب الأزمنة الذي(٥٨) لا نيَّة للتأخير معه، لأنه لم يقصد في هذا المكان أهل الكتب، إذ كان أكثر من(٥٩) ذكر ممن(٦٠) لا كتاب لهم، وهم الصابئون والمجوس(٦١) والذين أشركوا عبدة(٦٢) الأوثان(٦٣)، فهذه ثلاث طوائف، وأهل الكتاب طائفتان(٦٤).

فلما لم يكن القصد في الأغلب الأكثر من المذكورين ترتيبهم بالكتب رتّبوا بالأزمنة، وأخروا « الذين أشركوا » لأنهم وإن تقدّمت(٦٥) لهم أزمنة وكانوا(٦٦) في عهد أكثر

---

(٤٥) في النسخ المعتمدة: بكتبه المنزلة. والمثبت من(خ).

(٤٦) في(ك): على أنبيائه.

(٤٧) في(ك): هاهنا.

(٤٨) في(ب): تقدم.

(٤٩) في(ب): تقدم.

(٥٠) في(أ): به، بدل « آية »، ولا وجه له.

(٥١) هي آية المائدة

(٥٢) في(ب): فيه، فلا وجه له هنا.

(٥٣) أي: الصابئون.

(٥٤) أي: في الآية (٦٢) من سورة البقرة.

(٥٥) جواب « فإذا فعل ذلك ».

(٥٦) في(أ):الأزمنة، بدون حرف جر.

(٥٧) « به » سقطت من(أ ،ب)

(٥٨) في(أ،ب): التي. والمثبت في(ك)، وهو الصواب، لأنه يتناسب مع العائد في قوله"معه".

(٥٩) في(ب):من من ، وهو تكرار ظاهر.

(٦٠) « ممن » سقطت من(ب).

(٦١) قال في القاموس المحيط(مادة مجس):"مجوس ـ كصبور ـ .. رجل مجوسي، جمعه مجوس، كيهودي ويهود". وهم كما قال القرطبي(٢٣/١٢):« عبدة النار القائلون بأن للعالم أصلين: نورا وظلمة ».

(٦٢) في(ب): وعبدة.

(٦٣) في(ك): الأصنام، قلت:معناهما واحد، لأنه جاء في المصباح المنير(٦٤٧/٢): الوثن: الصنم..".

(٦٤) في(أ): طائفتين، وهو خطأ.

(٦٥) في(ح): وإن بعدت.

الأنبياء الذين تقدمت بعثتهم صلوات الله عليهم، فإنهم كانوا أكثر ممَّن[٦٧] مُني[٦٨] رسول الله ﷺ بهم[٦٩]، وصَلِيَ[٧٠] بجهادهم، وكأنهم[٧١] لما كانوا موجودين في عصر النبي ﷺ كانوا أهل زمانه، وهذا الزمان متأخر عن أزمنة الفرق الذين قُدّم[٧٢] ذكرهم[٧٣].

---

(٦٦) من قوله « ترتيبهم بالكتب..» إلى هنا سقط من (ب).

(٦٧) في النسخ المعتمدة:من، والمثبت من(خ،ر،س).

(٦٨) أي: ابتلي بهم، وفي لسان العرب(مادة مني): مُنيت بكذا وكذا: ابتليت به، ويقال: مني ببليّة، أي ابتلي بها.

(٦٩) « بهم » سقطت من (ك).

(٧٠) قال في المصباح المنير(١/٣٤٦):« صلي بالنار، وصليها ـ من باب تعب ـ:وجد حرها » .

(٧١) في(ك): فكأنهم.

(٧٢) في(ك): قد مرَّ.

(٧٣) استشكل هذه الآيات الثلاث الدكتور أحمد فرحات وقارن بينها وقال في حكمة ترتيب ذكر الفرق فيها :« إن كل آية من الآيات الثلاث تختص بفترة زمنية معينة، فآية البقرة تتحدث عن الفرق الثلاث ومصيرها قبل بعثة النبي ﷺ ومجيء شريعته الخاتمة الناسخة، ومن ثم كان مصير أهل هذه الملل الثلاث كمصير المؤمنين بنبوة محمد ﷺ، لأن أهلها كانوا مؤمنين با لله واليوم الآخر عاملين بمقتضى شرائعهم المنزلة عليهم، ولم يحرفوا دينهم أو يغيروه، بل إنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ وشريعته كما بشرت به كتبهم، وكما هو واضح من سبب نزول آية البقرة. أما آية المائدة فإنها تختص فترة ما بعد الإسلام منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وإلى قيام الساعة، وهي تبين أن الطوائف الثلاث لم يعد مقبولا منها بعد مجيء الإسلام إلا الدخول فيه والعمل بشريعته، لأنه ناسخ لكل ما سبقه، فالذين استجابوا منهم لذلك كان مصيرهم كمصير المؤمنين من أمة محمد ﷺ . وأما آية الحج فإنها تختص بيوم القيامة، ومن ثم ذُكر فيها إلى جانب الطوائف الأربع طائفتان ليستا من ضمن الأديان والملل المنزلة من عند الله، وهما طائفتان المجوس وطائفة الذين أشركوا، ولأن يوم القيامة يوم فصل بين الخلائق جميعا، ومن ثم ذكر الملل الست التي ينطوي تحتها جميع الناس، ولم يذكر فيها:﴿من آمن با لله واليوم الآخر﴾ لأن الإيمان با لله واليوم الآخر لايمكن أن يكون يوم القيامة، ولو حصل فإنه لايقبل » (مجلة الشريعة الإسلامية، جامعة الكويت، العدد الثامن، ربيع الأول ١٤٠٧هـ ص:٥١) .

[٧] الآيــة الســابعــة(١)

قوله تعالى:﴿وقالوا لن تمسَّنا النارُ إلاّ أيّاماً مَعدودةً...﴾ [البقرة:٨٠].

وفي سورة آل عمران:﴿...قالوا لن تمسَّنا النارُ إلاّ أيّاماً مَعدوداتٍ...﴾ [آل عمران:٢٤].

فإن قيل:فما الفرق بين اللفظتين(٢)؟ ولِم كانت الأولى ﴿معدودة﴾ / والثانية ﴿معدودات﴾ والموصوف في المكانين موصوف(٣) واحد وهو قوله(٤):﴿أياما﴾؟ [٧/أ]

والجواب(٥) عنه أن يقال: إن الجمع بالألف والتاء أصله للمؤنث نحو مسلمة ومسلمات، وصفْحة(٦) وصَفَحَات، ومكسورة ومكسورات، ولا يكاد يجيء الجمع الذي واحده مذكّر هذا المجيءَ إلا ألفاظ(٧) معدودة، نحو حمام وحمامات، وجَمل(٨) سِبَطْرٌ وجمال سِبَطْرات(٩)، وأسَد(١٠) سِبَطْر وأُسُد(١١) سِبَطْرات(١٢)، أي: تسبطِرُ عند الوثوب(١٣).

وأما قولهم: كوز(١٤) مكسور، وجَرَّة(١٥) مكسورة، فإن ما فيه هاء التأنيث يُجمع على «مكسورات» فيقال: جِرار مكسورات، وكيزان مكسورة، وليس(١٦) قولك: كيزان

---

(١) في(ك): الآية السابعة في هذه السورة.

(٢) في (أ): اللفظين. وفي(ك) صيغة السؤال هكذا: للسائل أن يقول ما بين اللفظتين ؟

(٣) « موصوف » لا يوجد في (ب) .

(٤) « قوله » أثبت من(ك).

(٥) في(أ ، ب): الجواب، والمثبت من(ك).

(٦) قال في المصباح المنير(ص:٣٤٢):« والصَّفْحُ - بالفتح - من كل شيء جانبه، والصَّفْحَةُ - بالتاء - مثله، والجمع: صَفَحَاتٌ، مثل سَجْدَة وسَجَدَات».

(٧) في النسخ المعتمدة : ألفاظا، والمثبت من (خ ، ر ، س).

(٨) في(أ): وجمل وسِبِطر وجمالات وسبطرات وأسود سبطرات. والمثبت في(ب،ك).

(٩) قال الجوهري في كتابه الصحاح(مادة سبطر):«جمال سِبَطْرات:طوال على وجه الأرض والتاء ليست للتأنيث، وإنما هي كقولهم:حمامات ورجالات في جمع المذكر». نقل **ابن منظور**(لسان العرب،٣٤٢/٤ مادة سبطر): قول ابن برّي حيث قال:« قول الجوهري: إنما هي كحمّامات ورجالات وهمٌ في خلطه رجالات بحمّامات، لأن رجالا جماعة مؤنثة بدليل قولك: الرجال خرجت وسارت، وأما حمّامات فهي جمع حمّام، والحمّام مذكر، وكان قياسه أن لايجمع بالألف والتاء. وقال: قال سيبويه: وإنما قالوا: حمّامات واصطبلات فجمعوها بالألف والتاء وهي مذكرة، لأنه لم يكسروها، يريد أن الألف والتاء في هذه الأسماء المذكورة جعلوها عوضا من جمع التكسير».انتهى كلام ابن بري.

(١٠) قوله « وأسد سبطر » إلى « عند الوثوب » ساقط من(ك).

(١١) في(أ): وأسود. فلا فرق بين هذا والمثبت، لأن جمع الأسد:آساد وأسود وأُسُد وأسْد.(لسان العرب، مادة أسد).

(١٢) جاء في الصحاح للجوهري(٦٧٦/٢ مادة سبطر): أسد سِبطر، مثال هِزَبْر، أي:يمتد عند الوثبة. وجاء في لسان العرب(٣٤٢/٤ سبطر):«جمل سِبِطر وجمال سِبطرات: سريعة، ولاتكسر، واسبطرّت في سيرها: أسرعت وامتدت».

(١٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): عند الوثبة.

(١٤) جاء في لسان العرب(٤٠٢/٥ مادة كوز):« كاز الشيء كوزا: جمعه، والكوز من الأواني، معروف، وهو مشتق من ذلك، والجمع أكواز وكيزان وكِوَزَة، حكاها سيبويه مثل عود وعيدان وأعواد وعِوَدَة ». وفي المعجم الوسيط(ص:٨٠٤):الكُوز: إناء بعُروَة يشرب به الماء.

مكسورات(١٧) بأصل، بل المستعمل المستمر في ذلك أن يقال(١٨):«كيزان مكسورة» و(١٩)«ثياب مقطوعة» و﴿سرر مرفوعة﴾(٢٠)، و﴿أكواب موضوعة﴾(٢١)، و﴿نمارق مصفوفة﴾(٢٢).

فالصفة الجارية على جمع المذكر(٢٣) الواحد يستمر(٢٤) فيه التأنيث على الحد الذي بينته.

وعلامة الجمع المؤنث الواحد(٢٥): الألف(٢٦) والتاء في الأصل، فلما كان(٢٧) ﴿معدودة﴾ من المطرد(٢٨) المستمر، استعمل لفظها في الأول(٢٩)، ولما كان الجمع بالألف والتاء قد يكون فيما واحده مذكر وإن قلّ، فكان(٣٠) على سبيل من سبل المجاز، يستعمل(٣١) ذلك فيه كقوله تعالى:﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾[البقرة:٢٠٣] وقال:﴿...في أيام معلومات﴾[الحج:٢٨].

والأيام جمع يوم، وهو مذكر، فيكون هذا على أحد الوجهين، إما أن يكون المراد: اذكروا(٣٢) الله في ساعات أيام معلومات ومعدودات، لأن المراد أن يكبّر الله تعالى(٣٣) في اليوم الواحد في أدبار الصلوات الخمس المكتوبة(٣٤)، فحذفت الساعات، وأقيم المضاف إليها مُقامها، وإما أن يكون ألحق بما في واحده علامة التأنيث لاستوائهما في الجمع ودخولهما في الفرعية التي يكتسبان بها(٣٥) لفظ المؤنث.

فلما(٣٦) قيل(٣٧): جِرار مكسورة، والجرة مؤنثة جاز(٣٨) أيضا « كيزان مكسورات» حملا على الجمع الذي يساويه في التأنيث الذي ليس بحقيقي، وإذا كان ذلك كذلك فـ﴿معدودة﴾ المذكورة في

---

(١٥) الجرَّة ـ بالفتح ـ: إناء معروف، والجمع جِرار، مثل كلبة وكِلاب.(المصباح المنير:٩٦/١). قال الخطيب في كتابه مبادىء اللغة(ص:٥٤):« والجرة ملآى، وجمعها جِرار، وهي أكبر الكيزان ».وفي المعجم الوسيط(ص:١١٦):إناء من خزَف.

(١٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وتقيس، بدل« وليس».

(١٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): كيزان مكسورة، فلا وجه له هنا.

(١٨) من قوله " وليس قولك " إلى قوله« أن يقال » ساقط من(ك).(٦)

(١٩) في(ب): أو.

(٢٠) جزء من الآية(١٣) في سورة الغاشية، وهي:﴿فيها سرر مرفوعة﴾أي:رفيعة القدر.

(٢١) جزء من الآية(١٤) في السورة السابقة، وهي:﴿وأكواب موضوعة﴾ أي:أقداح بين أيديهم للشرب منها.

(٢٢) جزء من الآية (١٥) في السورة السابقة، وهي:﴿ونمارق مصفوفة﴾أي: وسائد ومرافق يتكأ عليها، بعضها إلى بعض.

(٢٣) في(ب،ك): مذكر.

(٢٤) في(ر):مستمر.

(٢٥) في(ك): الواحدة.

(٢٦) في (أ): بالألف.

(٢٧) في (أ): كانت.

(٢٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ب): مطرد.

(٢٩) وهو في سورة البقرة في قوله تعالى:﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾.

(٣٠) في (ب): وكان.

(٣١) في(خ): استعمل.

(٣٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): فاذكروا.

(٣٣) لفظ الجلالة أثبت من(ر).

(٣٤) في (أ،ب): المعدودة، والمثبت من(ك).

(٣٥) «بها » سقطت من(ك).

(٣٦) في(ك): فكما.

الآية التي في سورة البقرة(٣٩) مستمرة في بابها وباب غيرها، والجمع بالألف والتاء ليس بمستمر، وإنما هو على ضرب من التشبيه(٤٠) بما أصله الألف والتاء، فكان استعمالها أوّلًا(٤١) أولى، ولجواز الألف والتاء على غير طريق الاستمرار استعمل في الثاني ليشمل الأصلَ والجائزَ بالاستعمال.

فأما المعنى في القلة فسواء في قوله ﴿معدودة﴾ و﴿معدودات﴾، وقد قال(٤٢) أيضا:﴿أيام معلومات﴾(٤٣) على أن تكون(٤٤) الأيام المعلومة(٤٥) في الأصل تسعة(٤٦) . فثلاثة منها أيام معلومة، وثلاثة أخرى منها مثلها، وثلاثة ثالثة معلومة(٤٧)، فتجمع(٤٨)هذه(٤٩) الثلاثات على الأيام المعلومات، لأن واحدتها أيام معلومة، والمعلومة تجمع على المعلومات(٥٠).

---

(٣٧) في(ب): قال.

(٣٨) في(ك):حار، وفي(أ ، د): صار.

(٣٩) في(أ، ب):في هذه السورة. والمثبت من(ك).

(٤٠) في(ب): من التثنية، وهو خطأ.

(٤١) « أولا » أثبت من(ر).

(٤٢) في(ب،ك): وقد يقال.

(٤٣) في(أ،ب): معلومات، وفي(ك): أياما معلومات، والمثبت من(ر)، وهو الصواب حيث إنه جزء من الآية(٢٨) في سورة الحج، ومثل ذلك قوله تعالى:﴿واذكروا الله في أيام معدودات..﴾البقرة:٢٠٣.

(٤٤) « تكون » أثبتت من (ك).

(٤٥) الأيام المعلومة هي أيام عشر ذي الحجة على ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنه فيما رواه البخاري عنه، حيث قال رحمه الله:«قال ابن عباس:﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات..﴾أيام العشر، والأيام المعدودات:أيام التشريق» (كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، معلّقا، صحيح البخاري بشرحه فتح الباري،٤٥٧/٢). قال الحافظ ابن حجر:« وقد وصله عبد بن حميد من طريق عمرو بن دينار عنه وفيه:"الأيام المعدودات أيام التشريق، والأيام المعلومات أيام العشر ».

(٤٦) في(ك): تسعة في الأصل.

(٤٧) في(أ):« فكل ثلاثة أيام منها معلومة » بدل « فثلاثة منها أيام معلومة، وثلاثة أخرى منها مثلها وثلاثة ثالثة معلومة ».

(٤٨) في(ك ، خ ، ر):ثم تجمع.

(٤٩) « هذه » ليست في(ك).

(٥٠) يشير كلام المصنف رحمه الله تعالى إلى أن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكّرا أن يقتصَر في الوصف على تأنيثه مفردا، نحو قوله تعالى:﴿فيها سرر مرفوعة ﴾ وقد يأتي: سرر مرفوعات على تقدير: ثلاث سرر مرفوعة، وتسع سرر مرفوعات:لكنه ليس بالأصل، فجاء في البقرة على الأصل، وفي آل عمران على الفرع. (ينظر: البرهان للكرماني:١٢٧). وذكر **الآلوسي** توجيها آخر فقال(١١١/٣):«جمعُ التكسير لغير العاقل يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة تارة ومعاملة جمع الإناث أخرى فيقال: هذه جبال راسية، وإن شئت قلت: راسيات، وجمال ماشية ، وإن شئت ماشيات، وخص الجمع هنا لما فيه من الدلالة على القلة كموصوفه، وذلك أليق بمقام التعجيب والتشنيع ». اهـ

[٨] الآيـة الثـامنـة (١)

قوله تعالى:﴿...فتمنّوُا الموتَ إنْ كنتم صادقين ۞ ولن يتمنّـوْه أبـداً بمـا قدّمـتْ أيديهـم وا لله عليم بالظالمين﴾(٢)[البقرة:٩٤-٩٥].

وقال عــز وجـل في سـورة الجمعـة [٦ ـ ٧]:﴿...فتمنـّوُا المـوتَ إنْ كنتـم صـادقين ۞ ولايتمنّوْنَه أبداً بما قدّمتْ / أيديهم...﴾(٣). [٧/ب]

وللسائل(٤) أن يقول: هل في الآية الأولى ما يقتضـي « لـن » الناصبـة، وفي الثانيـة(٥) مـا يقتضي(٦) الاقتصار على « لا » ورفْعَ الفعل بعدها(٧)؟

فالجواب(٨) أن يقال: إن الآية الأولى لما كانت مفتتحة بشـرط(٩) علّقـت صحتـه بتمـني الموت، ووقع هذا الشرط غاية ما يطلبه المطيع، ولا مطلوب وراءه على مـا ادّعـوه لأنفسـهم، وهو أن لهم الدار الآخرة خالصة مـن(١٠) دون غيرهم وجـب(١١) أن يكـون مـا يبطـل تمنـّي الموت المؤدّي إلى بطلان شرطهم(١٢) أقوى ما يستعمل(١٣) في بابه، وأبلغه في المعنـى، وينتفـي شرطهم به(١٤)، فكان(١٥) ذلك بلفظة(١٦) « لن » التي هـي للقطـع والثبـات، ثـم أكّـدت(١٧) بقوله تعالى﴿ أبدا ﴾ ليُبطل تمني الموت الذي يُبطل(١٨) دعواهـم بغايـة مـا يبطُـل بـه مثلـه. ألا

---

(١) في(ك): الآية الثامنة في هذه السروة.

(٢) قوله تعالى﴿وا لله عليم بالظالمين﴾ ليس في(ب،ك).

(٣) في(أ،ب):﴿ولايتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم﴾، والمثبت في(ك). وتمام الآية:﴿وا لله عليم بالظالمين﴾.

(٤) في(ب):فللسائل.

(٥) في(ك):وفي الآية الثانية.

(٦) في(ب،ك):ما يوجب.

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): « بينها »، بدل « الفعل بعدها ».

(٨) في(ب،ك):والجواب.

(٩) هو في قوله تعالى:﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند ا لله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت...﴾ البقرة:٩٤.

(١٠) لفظ «من» ساقط من (أ).

(١١) « وجب » جواب « لما كانت ».

(١٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): شرطه.

(١٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): ما استعمل.

(١٤) في(ب،ك): في معنى ما ينتفى، وفي (ر): وأبلغه في نفي ما ينتفي، والمثبت من (أ).

(١٥) في(أ،ب): وكان، والمثبت من (ك).

(١٦) « بلفظة » سقطت من(ب).

(١٧) في(ر): أكد.

(١٨) في(ك): هو يبطل.

ترى أنه ليس بعد حصول الدار الآخرة خالصة لأمة من الأمم مقترح لِمقترح، ولامطلب لُمطَّلِب(١٩).

وليس كذلك الشرط الذي علّق به تمني الموت في سورة الجمعة، لأنه قال:﴿قل يا أيّها الّذين هادوا إنْ زعمْتُم أنّكم أولياءُ للهِ مِن دون النّاس فتمنَّوُا الموتَ إنْ كنتم صادقين﴾(٢٠)[الجمعة:٦]، وليس زعمهم أنهم أولياء لله(٢١) من دون الناس، المطلوب الذي لا مطلوب وراءه، لأنهم يطلبون بعد ذلك إذا صح لهم هذا الوصف دارَ الثواب.

فلما كان الشرط في هذا المكان قاصرا عن(٢٢) الشرط في المكان الأول، ولم يكن الدعوى دعوى غاية المطلوب، لم يحتج في نفيه وإبطاله إلى ما هو غاية(٢٣) في بابه، فوقع الاقتصار على ﴿ لايتمنونه﴾(٢٤)، وليس في لفظه(٢٥) معنى التأبيد، وإنما حصل ذلك فيه بمقارنته(٢٦) من قوله ﴿ أبدا ﴾، فكان الأول أوكد وأبلغ، لأن لفظي(٢٧) الاسم والفعل(٢٨) للتأبيد(٢٩)، فافترق الموضعان لهذا المعنى(٣٠).

---

(١٩) المُطَّلِب اسم الفاعل من « اطّلَبْتُ » على وزن « افتعلت » بمعنى « طلبت ». (المصباح المنير:ص ٣٧٥).

(٢٠) قوله تعالى:﴿إن كنتم صادقين﴾ ليس في(أ).

(٢١) في(ر): أولياء الله.

(٢٢) في(ب):على، فلا وجه له هنا.

(٢٣) لفظ « غاية » ساقط من(أ).

(٢٤) في(ح) وفي النسخة المطبوعة:على ما لا يتمنونه.

(٢٥) أي: لفظ « لا ».

(٢٦) في(ب،ك): بما قارنه.

(٢٧) في(ب،ك): لفظيّ.

(٢٨) في(ك،ر): الفعل والاسم.

(٢٩) جواب المؤلف رحمه الله يقوم على أساس أن « لن » تقتضي النفي المؤبد بذاتها، وقد أنكر ذلك الزركشي في كتابه البرهان (٢/٤٢١) فقال:((والحق أن « لا » و « لن » لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلة، والتأبيد وعدمه يؤخذان من دليل خارج، ومن احتج على التأبيد بقوله:﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾[البقرة:٢٤] وبقوله:﴿لن يخلقوا ذبابا﴾[الحج:٧٣] عورض بقوله:﴿فلن أكلم اليومَ إنسيا﴾[مريم:٢٦] ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم، وبقوله:﴿ولن يتمنوه أبدا﴾[البقرة:٩٥]، ولو كانت للتأبيد لكان ذكر الأبد تكريرا والأصل عدمه...وقد استعملت « لا » للاستغراق الأبدي في قوله تعالى:﴿لايُقضى عليهم فيموتوا﴾[فاطر:٣٦] وقوله:﴿لاتأخذه سنة ولانوم﴾[البقرة:٢٥٥]،﴿ولايئوده حفظهما﴾[البقرة:٢٥٥]... وغيره مما هو للتأبيد. وقد استعملت فيه « لا » دون « لن » ؛ فهذا يدل على أنها لمجرد النفي، والتأبيد يستفاد من دليل خارج)).

(٣٠) في(أ): فافترق الموضعان، والمثبت في(ب،ك).

[٩] الآية التاسعة[١]

قوله تعالى:﴿...قلْ إنّ هُدَى اللهِ هو الهدى ولئن اتّبَعت أهواءَهم بعد الذي جاءك مِن العلْم ما لك من الله مِن وليّ ولا نَصير﴾[البقرة:١٢٠].

وقال في هذه السورة أيضا[٢]:﴿...وما أنت بتابعٍ قبلتَهم وما بعضُهم بتابعٍ قبلةَ بعض ولئن اتّبعتَ أهواءَهم من بعد ما جاءك من العلم إنّك إذاً لَمِن الظّالمين﴾[البقرة:١٤٥].

وقال في سورة الرعد[٣٧]:﴿ولئن اتّبَعت أهواءَهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا واق﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: « ما » في هذه المواضع بمعنى « الذي »، فما الفائدة في إخراج بعضها على لفظ « الذي » وإيقاع الآخر على لفظ « ما »، وإدخال « مِن » في «بعد» في قوله تعالى:﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾[٤][البقرة:١٤٥] ؟

وهل بين[٥] [قوله تعالى][٦]:﴿ من بعد ما جاءك من العلم﴾، وقوله[٧]:﴿بعدما جاءك من العلم﴾ فرق؟ وهل بين « الذي » و« ما » فرق ؟

والجواب عن ذلك أن يقال: نبيِّن[٨] أوَّلا[٩] الفرق بين « الذي » وبين « ما » / لِيصح الفصل ويظهر[١٠] موضع كل واحد منهما، والمعنى الذي يليق بهما[١١]. [٨/أ]

اعلم أن «ما » إذا كانت بمعنى « الذي » فإنها توافقها، بأنها[١٢] تُبيَّن بصلتها[١٣]، وتخالفها في أشياء[١٤] كثيرة، فتصير « الذي » متضمنة من البيان ما لاتتضمنه[١٥] « ما »، فمن

(١) في(ك): الآية التاسعة في هذه السورة.

(٢) « أيضا » أثبت من(د).

(٣) في(ك): للسائل أن يقول.

(٤) في (أ): « ما جاءك من العلم » ، والمثبت من (ب ، ك).

(٥) « بين » ساقطة في(أ).

(٦) في النسخ الخطية: قولك، ولعل ما أثبته هو المناسب للمقام.

(٧) في(ب): قولك.

(٨) في(أ): نتبين.

(٩) في المطبوعة: الأول.

(١٠) في(أ): ويتبين، والمثبت من (ب ، ك).

(١١) في(ك): بهم.

(١٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): فإنها.

(١٣) في(ب):بفصلتها، وهو خطأ.

(١٤) في(أ،ك):بأشياء، والمثبت في(ب).

(١٥) في(أ): ما لايتضمنه، بالياء.

ذلك أنك تُدخل على « الذي » أسماء الإشارة، فتكون « الذي » صفة لها كقوله تعالى:﴿أمَّن هذا الذي هو جندٌ لكم...﴾ [الملك:٢٠] وقوله تعالى:﴿أمَّن هذا الذي يرزقكم إنْ أمسك رزقَه...﴾[الملك:٢١] فيكتنف[١٦] « الذي »[١٧] بيانان: أحدهما: الإشارة قبلها، والآخر[١٨] الصلة بعدها، ولايكون[١٩] ذلك في « ما » لأنها لايوصف بها[٢٠] كما يوصف بـ« الذي »، لايقال[٢١]: أمَّن هذا ما هو جند لكم.

والثاني[٢٢]: إن « ما » تنكَّر فيجري[٢٣] ما كان صلة لها صفةً[٢٤] تُبيِّنُها، وليس ذلك في « الذي» وهو كقوله في الشعر:

ربَّ ما تَكْرَهُ النفوسُ مِن الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحَلِّ العِقالِ[٢٥]

والثالث: إن « الذي » تُثَنَّى وتجمع وتؤنَّث فتلحقها[٢٦] هذه العلامات بيانا لهذه المعاني، و « ما » لايلحقها ذلك[٢٧]، بل هي[٢٨] على لفظة واحدة في التثنية والجمع والتأنيث.

---

(١٦) في(أ): فينكشف، وفي(ب): فيه، بدل "فييكتنف"، وفي(ك،د):فيتكيف، والمثبت في(ر،س،ص)، وهو ما جاء في البرهان للكرمان (ص:١٢٩)حيث قال: فيكتنف "الذي" بيانان... ومعناه: فيحيط به، وجاء في القاموس المحيط(مادة كنف): اكتنفوا فلانا: أحاطوا به.

(١٧) "الذي" سقطت من(ب).

(١٨) "والآخر " سقطت من(ب).

(١٩) في(أ): ولايكون ذلك فيما لايوصف بها كما يوصف بها كما توصف الذي. وفي العبارة خلل ظاهر. والمثبت في(ب،ك).

(٢٠) في(ب): لاتوصف.

(٢١) في(ب،ك): لاتقول.

(٢٢) وهو من الأشياء التي تخالف " ما " فيها " الذي ".

(٢٣) في المطبوعة:إن " ما " يذكر في حيز ما كان صلة.

(٢٤) في (أ): ما كان صفة لها صفة.

(٢٥) قائل هذا البيت هو أمية بن أبي الصلت، ويُنسَب إلى حنيف بن عمير اليشكري، ويُنسَب لنهار ابن أخت مسيلمة الكذاب. والبيت من شواهد سيبويه (الكتاب:١٠٩/٢ ، ٣١٥)، وقال (١٠٨/٢):« و"رب" لايكون ما بعدها إلا نكرة، وقال أمية بن أبي الصلت » وأنشد البيت. وهو في **التبصرة والتذكرة** لابن اسحاق الصيمري(٢٩١/١)، و**المساعد** لابن عقيل (ص:١٦٣/١)، و**شذور الذهب** لابن هشام (ص:١٣٢) ، و**حاشية الصبان** (١٥٤/١). و"ما" في بعض الكتب متصلة بـ"رب"، وفي بعضها منفصلة، وهو أنسب للمعنى المراد، لأن "ما" هنا نكرة موصوفة بالجملة بعدها، والرابط ضمير محذوف أي:تكرهه، وأما الذي يوصَل بـ "رب" ما الكافة. والفَرجة ـ بفتح الفاء ـ: الراحة من حزن أو مرض (لسان العرب، مادة عقل)، والمعنى: رب شيء من الأمور تكرهه النفوس له فَرجة تعقب الضيق والشدةَ كحلِّ عقال الدابة.

(٢٦) في(ب): وتلحقها.

(٢٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ):ذاك.

(٢٨) في(أ): فهي. والمثبت في (ب،ك).

والرابع: إن « الـذي » لزمتهـا(٢٩) أمـارة التعريـف، وهـي الألـف والـلام، وليـس ذلـك ولاشيء مما(٣٠) ذكرنا في « ما»، ولِشدة إبهامها(٣١) خص التعجب بها، لأن سـبب التعجـب إذا استُبهِم كان أبلغ(٣٢) في معناه.

فإذا تبينت(٣٣) أن « الـذي » و« مـا » الـتي بمعناهـا اسمـان مبهمـان ناقصـان، فـ« الـذي» تزيد(٣٤) على « ما » في وجوه البيان التي(٣٥) ذكرنا، رجعنا إلى الآيات الثلاث، وبيَّنـا ما يليق من الاسمين بكل آية، فكان قوله تعالى:﴿...بعد الذي جاءك مـن العلـم ...﴾ واقعـا بعـد خبر الله تعالى:﴿ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهـم...﴾[البقرة:١٢٠] أي: لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتها، ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبـع ملتهـا، واتبـاع الملتين في عصر النبي ﷺ كفرٌ، ولذلك قال الله تعالى:﴿...قل إن هـدى الله هـو الهـدى..﴾ أي: الإيمان الذي بعثك به هوالطريق المؤدي(٣٦) إلى رضا الله وإلى ثوابه.

ثم قال:﴿...ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك مـن العلم مـالك مـن الله مـن ولي ولانصير﴾[البقرة:١٢٠]، فمنعه من اتباع الفرقتين(٣٧) بالعلم الذي حصل(٣٨) له بصحـة الإيمان وبطلان الكفر.

و« الذي »(٣٩) في هذا المكان واقعة على العلم الذي ثبت به(٤٠) الإسلام، وصح بـه(٤١) الإيمان، وكما أن هذا العلم مانع(٤٢) من الكفر الذي هو أكبر الذنوب، فالعلم الذي يمنع منـه

(٢٩) في (ك): قد لزمتها.

(٣٠) « مما » تكررت في (أ).

(٣١) أي: إبهام « ما ».

(٣٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): كان أعجب بلغ.

(٣٣) "تبينت" غير واضحة في(ب).

(٣٤) في(أ): يزيد.

(٣٥) في(ب): الذي.

(٣٦) « المؤدي » ليست في (أ).

(٣٧) في(ر): الفريقين.

(٣٨) في(ر): جعل.

(٣٩) في(ك):فالذي.

(٤٠) في(ك): به ثبت.

(٤١) « به» ليست في(أ).

(٤٢) في(ب):مانعا، وهو خطأ.

أفضلُ العلوم، فإذا عُبِّر عنه بأحد هذين(٤٣) الاسمين المبهمين، وجب أن يختص(٤٤) منهما بالأشهر، إذ كان للعلم(٤٥) المحيط بالأكثر(٤٦)، وهو جملة الدين.

فأما الموضعان الآخران(٤٧) فليس القصد فيما عبِّر بلفظة « ما » عنه فيهما(٤٨) مثل القصد في الآية / الأولى، وذلك أن قوله:﴿..من بعد ما جاءك من العلم..﴾ جاء بعد خبر [٨/ب]
الله تعالى عن مخالفة أهل الكتاب للنبي ﷺ في القبلة، لأنه ـ عز اسمه ـ قال(٤٩):﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لَمن الظالمين﴾[البقرة:١٤٥]، فمنع ـ عز وجل ـ من(٥٠) اتباع أهوائهم في أمر القبلة، وهو بعض الشرع بما حصل له من العلم بأن القبلة هي التي أمر النبي ﷺ بالتوجه إليها(٥١)، فإذا كان ذلك(٥٢) بعض الشرع كان العلم بصحته(٥٣) بعض علم(٥٤) الشرع، ولم يكن(٥٥) كالعلم في الآية الأولى(٥٦) الذي(٥٧) هو محيط بكل الشرع وبكل(٥٨) الإيمان. فلمَّا كان(٥٩) واقعا على بعض ما وقع عليه الأول(٦٠)، لم يشتهر(٦١) شهرتَه فعبِّر عنه باللفظ الأقصر(٦٢)كما(٦٣) خص الأول باللفظ الأشهر(٦٤).

---

(٤٣) في(ب): هاتين.

(٤٤) في(ك):يخص.

(٤٥) « للعلم » ليست في (أ).

(٤٦) في(ر): بالأكبر.

(٤٧) هما قوله تعالى:﴿..ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم..﴾[البقرة:١٤٥]، والموضع الثاني قوله تعالى:﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم..﴾[الرعد:٣٧].

(٤٨) في(ب): منهما.

(٤٩) في(ب،ك): قال عز اسمه.

(٥٠) في(ب):عن، و "من" ساقطة في(ك).

(٥١) ذلك في قوله تعالى:﴿..فول وجهك شطر المسجد الحرام..﴾[البقرة:١٤٤].

(٥٢) في(ب): كذلك.

(٥٣) في(ب): بصحة.

(٥٤) "علم" ساقطة من(ب).

(٥٥) في(أ): فلم يكن.

(٥٦) أي: الآية(١٢٠) من سورة البقرة.

(٥٧) في(ب): التي، وذلك خطأ.

(٥٨) في(أ،ب،ك):وكل، والمثبت في(ر).

(٥٩) أي: أمر القبلة.

(٦٠) هو الشرع والدين كله، والقبلة بعض الشرع،ولا يمثل الشرع كلَّه.

وكذلك قوله تعالى في سورة الرعد[٣٧]:﴿..ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق﴾، إنما جاء بعد قوله:﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومِن الأحزاب مَن ينكر بعضه..﴾[الرعد:٣٦]، فنهى الله تعالى عن اتباع أهوائهم في البعض[٦٥] مما أُنزل إليه[٦٦]، وهو الذي ينكره[٦٧] الأحزاب بما ثبت له[٦٨] من العلم بصحة هذا البعض الذي ينكرونه، كما ثبت له بباقيه.

فلما كان هذا العلم بعض العلم الذي عبِّر عنه بلفظة « الذي » صار كالشائع في أبعاض هي[٦٩] مجموعة في الأول الذي عبِّر عنه باللفظ الأشهر، فكان العلم المانع من اتباع أهوائهم فيه مثل[٧٠] ما عبّر به[٧١] عن ذلك.

فإن قال قائل[٧٢]: فكيف[٧٣] خص ما في القبلة بلفظة « من » فقال:﴿..من بعد ما جاءك من العلم..﴾[البقرة:١٤٥] ولم يكن ذلك في قوله:﴿..بعد الذي جاءك من العلم..﴾[البقرة:١٢٠] ولا في قوله في سورة الرعد[٣٧]:﴿..بعد ما جاءك من العلم..﴾ وهل لاختصاص هذا المكان بـ« مِن» فائدة تخصه[٧٤] دون المكانينِ الآخرين؟

---

(٦١) في(أ): لم يشهره، وفي(ك): لم يشهر. والمثبت في النسخ الأخرى.

(٦٢) هو لفظ "ما".

(٦٣) في(ب): لما.

(٦٤) هو لفظ"الذي".

(٦٥) أي: في بعض القرآن الذي أنكره الأحزاب، وهم كفار أهل الكتاب الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه. وفي إنكارهم بعض القرآن وجهان: أحدهما: أنهم عرفوا نعت رسول الله ﷺ في كتبهم وأنكروا نبوته، والثاني: أنهم عرفوا صدقه وأنكروا تصديقه.(ذكرهما الماوردي في تفسيره ٣٣٤/١).

(٦٦) في(ب): أنزل إليه عز وجل، وفي(د): بما أنزل الله عز وجل.

(٦٧) في (ر): تنكره.

(٦٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): لهم.

(٦٩) "هي" سقطت في(ب).

(٧٠) في(ب): بمثل.

(٧١) « به » سقطت من (أ).

(٧٢) من قوله:« فإن قال قائل » إلى « ولا في قوله » ساقط من صلب المتن في(أ)، وأثبت في الجانب الأيسر ولكنه ممسوح الخط.

(٧٣) في(ب): وكيف.

(٧٤) « تخصه » أثبتت من (ك).

قلت: هنا فائدة تقتضي « مِن » وليست في الآيتين الأخرين(٧٥)، وهي: أن أمر القبلة مخصوص بفرائض مضيقة وأوقات مخصوصة(٧٦) لها في اليوم وفي الليلة(٧٧) مؤقتة، فخص بـ«مِن» التي هي لابتداء الغاية، والقبلة شرع كان(٧٨) يجوز نسخه كما نسخ ما هو مثله(٧٩)، فكأنه قال هناك:﴿..ولئن اتبعت أهواءهم..﴾ من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالقبلة التي ولّيتها(٨٠)، وأمرت(٨١) بالتوجه نحوها(٨٢) صرت(٨٣) من الظالمين(٨٤).

فلمَّا تخصّص بوقت مضيّق محدود لم يكن بدٌّ في المعنى من العلم بالوقت الذي نقل فيه عن القبلة الأولى(٨٥) إلى غيرها، وليس كذلك ما بعد قوله:﴿..قل إن هدى الله هو الهدى..﴾ لأن العلم الذي وقع التوعد معه على اتباع أهواء أهل الكتاب لم يتخصص وجوب العلم به بوقت دون وقت إذ(٨٦) كان واجبا في الأوقات كلها، ولم يكن مما(٨٧) يجوز أن ينسخ لأنه علم بالإيمان، وصحة الإسلام، وبطلان الشرك والكفر، فلما لم يتخصص وجوبه بوقت دون آخر لم يحتج معه إلى لفظة « من » التي هي(٨٨) للحد وابتداء الغاية.

وكذلك الآية في سورة الرعد، لما كان العلم المانع من اتباع أهوائهم علما بأن(٨٩) جميع ما أنزل الله(٩٠) تعالى حق، وأن قول الأحزاب الذين ينكرون بعضه باطل، كان هذا أيضا من العلوم / التي [٩/أ] لايتخصص(٩١) الفرض فيها بوقت يجب حده بزمان(٩٢) بل هو واجب في الأوقات كلها، فلم يكن لدخول «من» في الآيتين(٩٣) مقتض(٩٤) كما كان له في الآية المتوسطة(٩٥).

---

(٧٥) في(ب): الأخرتين.

(٧٦) في(ك): خمسة.

(٧٧) في(ب): والليلة.

(٧٨) « كان » ليست في(أ).

(٧٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): قبله بدل « مثله ».

(٨٠) في(أ): دليتها.

(٨١) في(أ): فأمرت.

(٨٢) في(ك): إليها.

(٨٣) « صرت » سقطت من المطبوعة.

(٨٤) ذلك في الآية (١٤٥) من سورة البقرة.

(٨٥) أي: بيت المقدس، وكان التوجه إليه ثابتا بالسنة ثم نسخ بالقرآن، وذلك في قوله تعالى:﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام..﴾ البقرة:١٤٤.

(٨٦) في (ب ، ك): إذا .

(٨٧) في(أ): ما.

(٨٨) « هي » ساقطة من (أ).

(٨٩) في(ب): أن.

(٩٠) في(أ): ما نزل ما أنزل الله، وهو خطأ.

(٩١) في(أ): لايخصص.

(٩٢) في(أ،ك): بمن، والمثبت من(ب).

(٩٣) هما آية سورة البقرة(١٢٠) وآية سورة الرعد (٣٧).

(٩٤) في(ب): مقتضى.

ومما يبين لك الأغراض التي أشرت(٩٦) إليها في(٩٧) الآي(٩٨) الثلاث، وأنها تجوز أن تكون مقصودة ـ والله أعلم ـ: ما اقترن من الوعيد بكل واحدة(٩٩) منها؛ فالموضع الذي منعه بعلمه من(١٠٠) اتباع أهوائهم في قوله:﴿ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم..﴾[البقرة:١٢٠]، هو منع من الأعظم الذي هو الكفر، فكان(١٠١) الوعيد عليه(١٠٢) أغلظ، وهو قوله:﴿...مالك من الله من ولي ولا نصير﴾[البقرة:١٢٠].

والآية الأخيرة أيضا(١٠٣)، لما كان العلم بها مانعا من العمل بشطر من الدين، وترك شطر منه، كان مثل الأول في استحقاق الوعيد، وكان مثله في الغلظة، وهو قوله:﴿..ما لك من الله مو وليّ ولا واق﴾[الرعد:٣٧].

وأما اتّباع أهوائهم في أمر القبلة، فلأنه(١٠٤) مما يجوز نسخه، فكان الوعيد عليه أخف(١٠٥) من الوعيد على ما هو الدين كله أو بعضه مما لا يجوز(١٠٦) تبديله وتغييره، فصار(١٠٧) الوعيد المقارن(١٠٨) له دون الوعيد المقرون في الموضعين(١٠٩) الآخرين(١١٠)، وهو قوله تعالى:﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين﴾[البقرة:١٤٥] أي: إن فعلت ذلك وضعت الشيء غير موضعه ونقصت الدين حقه . فهذا الكلام في الفرق بين المواضع الثلاثة.

---

(٩٥) هي آية سورة البقرة(١٤٥).

(٩٦) في (ك): أشرنا.

(٩٧) « في » أثبتت من(ك ر)، وفي (أ): والآي.

(٩٨) في(ك): الآيات.

(٩٩) في(ك): واحد.

(١٠٠) في (ب): من .

(١٠١) في(ك): فصار.

(١٠٢) في(ك): فيه.

(١٠٣) « أيضا » سقطت من(أ).

(١٠٤) في(أ): فإنه.

(١٠٥) في (ر): أخوف.

(١٠٦) في(ب): لا يصح.

(١٠٧) في(ر): فكان.

(١٠٨) في(ر): مقارن.

(١٠٩) في(ب،ك): بالموضعين.

(١١٠) « الآخرين » ليست في(ر).

[١٠] الآية العاشرة [١]

قوله تعالى:﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنا..﴾[البقرة: ١٢٦].

وقال في سورة إبراهيم[٢][٣٥]:﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلدَ آمنا..﴾.

للسائل[٣] أن يسأل فيقول: لِم كان في سورة البقرة[٤] « بلدًا »[٥] نكرة، وفي سورة إبراهيم معرفة؟

والجواب[٦] عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: إن[٧] الدعوة الأولى وقعت، و لم[٨] يكن المكان قد جعل بلدًا، فكأنه قال: ربّ[٩] اجعل هذا الوادي بلدا آمنا، لأن الله تعالى حكى عنه[١٠] أنه قال:﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم..﴾[إبراهيم:٣٧] بعد قوله: اجعل هذا الوادي بلدا آمِنا[١١]، ووجه[١٢] الكلام فيه:تنكير « بلد» الذي هو مفعول ثان[١٣]، و« هذا» مفعول أول.

والدعوة الثانية وقعت، وقد جُعل[١٤] الوادي[١٥] بلدا، فكأنه[١٦] قال: اجعل هذا المكان الذي صيَّرته كما أردت ومصَّرته كما سألت[١٧] ذا أمنٍ على من أوى إليه ولاذ به[١٨]فيكون «البلد» على[١٩] هذا عطف بيان على مذهب سيبويه[٢٠]، وصفة على مذهب[٢١] أبي العباس المبرد[٢٢] و«آمِناً»

(١) في(ك): الآية العاشرة في هذه السورة.

(٢) في(أ،ب): وفي سورة إبراهيم، والمثبت من(ك).

(٣) في(ك): فللسائل.

(٤) في(أ،ب): في هذه السورة. والمثبت من (ك).

(٥) في(ب): بلد.

(٦) في(ك): الجواب.

(٧) « إن » ساقطة من(ب،ك).

(٨) «و لم » تكررت في (أ).

(٩) « رب » ليست في (ب).

(١٠) أي عن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة و أزكى التسليم.

(١١) « آمِناً » ليست في (ب).

(١٢) في(ك): وجه.

(١٣) في(ب): ان، وهو خطأ.

(١٤) في(ك): وقد جعلت.

(١٥) " الوادي " أثبتت من(ر).

(١٦) في(ب): وكأنه.

(١٧) في (ر): سئلت .

(١٨) «ولاذ به » أثبتت من(ك،ب،ر). ومعنى « لاذ به »:لجأ إليه. (لسان العرب، مادة لوذ ٥٠٧/٣).

(١٩) في(ب،ك): بعد، بدل «على ».

(٢٠) يرى سيبويه رحمه الله أنَّ ما يأتي بعد الأسماء المبهمة مثل "أسماء الإشارة " يكون عطفا فيقول:« فالأسماء المبهمة توصَف بالألف واللام ليس إلاّ، ويفسَّر بها، ولاتوصَف بما يوصف به غير المبهمة، ولاتفسَّر بما يفسَّر به غيرها إلاّ عطفًا». (الكتاب لسيبويه:١٩٠/٢).

(٢١) يرى المبرد رحمه الله أن ما يأتي بعد الأسماء المبهمة يكون نعتًا، ويمثّل لذلك فيقول:« إذا قلت: جاءني هذا الرجل - لم يكن على معهود، ولكن معناه: الذي ترى. فإنما " هذا " اسم مبهَم يقع على كل ما أومأت إليه بقُربك. وإنما ⟸

مفعولا ثانيا[٢٣]، فعرّف حيث[٢٤] عرف[٢٥] بالبلدية، ونكّر حيث كان مكانا من الأمكنة غير مشهور بالتميّز[٢٦] عنها بخصوصية[٢٧] من عمارة وسكنى الناس[٢٨].

والجواب الثاني: أن تكون الدعوتان واقعتين بعد ما صار المكان بلدا، وإنما طلب من[٢٩] الله تعالى أن يجعله آمنا[٣٠]، وللقائل أن يقول[٣١]: اجعل ولدك هذا ولدًا أديبا،وهو ليس يأمره[٣٢] بأن يجعله ولدًا، لأنّ ذلك ليس[٣٣] إليه، وإنما أمره[٣٤] بتأديبه، فكأنه قال: اجعله على هذه الصفة، / [٩/ب] وهذا كما يقول[٣٥]: كن رجلا موصوفا بالسخاء، وليس يأمره[٣٦] بأن[٣٧] يكون رجلا، وإنما يأمره[٣٨] بما يجعله[٣٩] وصفا له من السخاء،فذكر الموصوف وأتبعه الصفة، وهذا[٤٠] كما تقول: كان

توضّحه بما تنعته به». (المقتضب للمبرد:٤/٢١٦). **ذكر الصيمري** رحمه الله الفرق بين الصفة وعطف البيان فقال:«الفرق بين الصفة وعطف البيان: أن الصفة معنًى، كل من كان فيه وجب أن يوصف به مثل قولك: زيد العاقل، فكل من حصل فيه العقل فقد استحق الصفة بعاقل، وليس كذلك عطف البيان؛ لأنه ليس كل أحد يجب أن يسمى بزيد، فقد بان أن عطف البيان لو شاركه غيره في كل شيء لم يجب له مثل اسمه العَلَم» (التبصرة والتذكرة للصيمرى،١/١٨٣).

(٢٢) هو محمد بن يزيد الأزدي البصري، أبو العباس المعروف بالمبرد: نحوي أخباري، صاحب « الكامل » مطبوع، و«المقتضب» مطبوع. ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ. (سير أعلام النبلاء:١٣/٥٧٦، الأعلام:٧/١٤٤).

(٢٣) في(ر): مفعول ثان.

(٢٤) في(د):حين.

(٢٥) « عرف » ساقطة من (أ).

(٢٦) في(أ،ب،ك): بالتمييز، والمثبت من(ح،خ،ر).

(٢٧) في (أ): خصوصية، بدون الباء.

(٢٨) هذا لايتنافى مع كون سورة البقرة مدنية وسورة إبراهيم مكية، حتى يقال: إن القاعدة المعروفة أن تتقدم النكرة وتتأخر المعرفة، لأن الواقع من إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليس على الترتيب الموجود في القرآن الكريم.

(٢٩) في(ب): إلى.

(٣٠) هذا الجواب الثاني هو اختيار الزمخشري حيث قال (٢/٣٧٩):« فإن قلت: أي فرق بين قوله:﴿اجعل هذا بلدا آمنا﴾ وبين قوله:﴿اجعل هذا البلد آمنا﴾؟ قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولايخافون، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمنا)). قلت: لايخفى أن كلام الزمخشري مبني على أن الدعوتين وقعتا بعد أن صار المكان بلدا.

(٣١) في(ب،ك): والقائل يقول.

(٣٢) من قوله « وهو ليس يأمره » إلى قوله « بأن يكون رجلا » ساقط من(ك).

(٣٣) في(أ):ليس ذلك.

(٣٤) في(ب): يأمره.

(٣٥) في(ر): تقول.

(٣٦) في(ب،ر): تأمره.

(٣٧) في(أ،ب): أن، والمثبت من (ك).

(٣٨) في(ب): تأمره.

(٣٩) في(ب): بما جعله.

(٤٠) في (ب): وهو.

اليوم يوما حارًّا، فتجعل(٤١) « يوما »(٤٢) خبر « كان »، و «حارًّا » صفة له، ولم تقصد أن تخبر عن اليوم بأنه(٤٣) كان يوما(٤٤)، لأنه(٤٥) يصير خبرا غير(٤٦) مفيد، وإنما القصد أن تخبر عن حرّ اليوم، فكان(٤٧) الأصل أن تقول: كان اليوم حارا، وأعدت لفظ(٤٨) « يوم» لِتجمع بين الصفةوالموصوف، فكأنك قلت: كان هذا اليوم من الأيام الحارة، وكذلك تقول: كانت الليلة ليلة باردة، فتنصب «ليلة» على أنها خبر «كان»، وحكمُ الخبر أن يتم به الكلام، ولو قلت: كانت الليلة ليلة لم يكن الكلام تاما، لأن القصد إلى الصفة دون الموصوف. فكذلك قوله تعالى:﴿..رب اجعل هذا بلدا آمنا..﴾[البقرة:١٢٦]. يجوز أن يكون المراد: اجعل هذا البلد بلدًا آمنا، فيدعو له بالأمن بعد ما قد(٤٩) صار بلدا على ما مثّلت(٥٠)، ويكون مثل(٥١) قوله:﴿..اجعل هذا البلد آمنا..﴾[إبراهيم:٣٥]، وتكون الدعوة واحدة قد أخبر الله تعالى عنها في الموضعين(٥٢).

فأما قول من يقول: إنه جعل الأول نكرة، فلما أعيد(٥٣) ذكرها أعيد بلفظ(٥٤) المعرفة، كما تقول: رأيت رجلا، فأكرمت الرجل، فليس بشيء، وليس ما ذكره مثلاً لهذا، ولا هذا المكان مكانه(٥٥).

---

(٤١) في(ب): فيجعل.

(٤٢) « يوما » سقطت من (ر).

(٤٣) في(أ،ب،ك): أنه. والمثبت من(ر).

(٤٤) في (أ): اليوم.

(٤٥) « لأنه » ساقطة من(ر).

(٤٦) في(ب): عن غير، ولاوجه له.

(٤٧) في(ب): وكان.

(٤٨) في(ر): لفظة.

(٤٩) « قد » ساقطة من(ب).

(٥٠) في(ك): مثلنا.

(٥١) في(ب): مثله.

(٥٢) هناك جواب ثالث وهو: أنه تقدم في سورة البقرة ذكر البيت في قوله تعالى:﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً..﴾[البقرة:١٢٥] وقوله:﴿..وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين..﴾[البقرة:١٢٥]، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد، لأن ذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريف، بخلاف آية سورة إبراهيم، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به، فذكره بلام التعريف. وإلى هذا ذهب ابن الزبير في ملاك التأويل (٢٣٤/١).

(٥٣) في(ب): أعد.

(٥٤) في(ب): لفظ.

(٥٥) في(ب):وليس ما ذكره مثل هذا المكان مكانه.

[١١] الآيـة الحادية عشرة

في[١] هذه السورة مفارقة للآي التي شرطنا الفرق بينها وبين ما خالفها[٢] بلفظ يسير من الآية التي بإزائها غير أنها مثلها في التكرار[٣]، والحاجة إلى ذكر[٤] الفائدة في إعادتها، وهي قوله تعالى:﴿تلك أمّة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبْتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾[البقرة:١٣٤].

للسائل في ذلك سؤلان:

أحدهما: أن يقول: ما فائدة الآية وهي خبر يعلمه المخاطَب قبل أن يخبَر بـه، ولا[٥] يستفيد بذكره ما لم يكن يعلمه[٦] قبل، لأنه يعلم أن الأمة[٧] التي[٨] وصّاها يعقوب عليه السلام قد مضت وانقضت[٩] ولها ما كسبت من أجر، وعليها ما اكتسبت من إثم، وللمخاطبين أيضا ان يؤاخَذوا بعملهم، لا بعمل غيرهم، ولايسألوا[١٠] عمّا عمله من تقدمهم. وإذا كان معنى الآية هكذا[١١] فهو معلوم لكل أحد مميِّز[١٢] لايحتاج إلى استفادته بإخبار مخبر؟

والسؤال الثاني هو عن[١٣] تكرار هذه الآية[١٤]، لأنها ذُكرت في صدر العشر المفتتحة بقوله تعالى:﴿إذ قال له ربه أسلم..﴾[البقرة:١٣١][١٥]، ثم أعيدت[١٦] في خاتمة هذه العشر التي تنقطع إلى قوله تعالى:﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها..﴾[البقرة:١٤٢].

---

(١) في(أ،ب):من، والمثبت من(ك،ر).

(٢) في(أ،ب): بينها فيما خالفها. والمثبت من(ك،ر).

(٣) في(ب):التكررة، وفي(ك): التكر. وفي(ر):التكرر. والمثبت من(أ).

(٤) « ذكر » سقطت من (ر).

(٥) في(ب): فلا.

(٦) في(ب،ك): علمه.

(٧) المراد بالأمة التي وصاها يعقوب عليه السلام: بنو يعقوب، حيث إنه عليه السلام وصّى بنيه ما وصّى به أبوه إبراهيم عليه السلام بنيه كما جاء في قوله تعالى:﴿ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[البقرة:١٣٢].

(٨) « التي » سقطت من(ك).

(٩) « وانقضت » ليست في(أ).

(١٠) في(أ): ولا يسألون.

(١١) في(ب،ك): هذا.

(١٢) في(ب،ك): لكل مميز.

(١٣) « عن » سقطت من(أ).

(١٤) حيث إن هذه الآية تكرّرت في الآية (١٤١) من سورة البقرة، وهي:﴿تلك أمّة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبْتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾.

(١٥) تمام الآية:﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾.

(١٦) أي: تلك الآية، وهي:﴿ تلك أمة قد خلت..﴾ إلى آخر الآية.

فأما الجواب(١٧) عن السؤال الأول وذكر فائدة الآية مع وضوح معناها لكل ذي معرفة فمن(١٨) وجهين.

أحدهما: أن يكون مثل هذا الكلام يقال، وإن كان معلوما للإنسان على سبيل التنبيه على العصيان والبراءة إليه من فعله، وأنه(١٩) هو(٢٠) المؤاخذ(٢١) به من(٢٢) دون غيره، فيخرج(٢٣) الكلام على حدّ من المعدلة(٢٤) والنَّصَفة(٢٥)لا مذهب لأحد عنه، ويكون هذا أدعى له(٢٦) إلى / التأمل [١٠/أ] والتدبُّر وأقرب له(٢٧) من التبصُّر، كما قال تعالى لنبيه ﷺ:﴿وإنْ كذّبوك فقلْ لِي عملِي ولكم عملُكم أنتم بَريئُون مِمّا أَعملُ وأنا بَرِيءٌ ممّا تَعلمون﴾[يونس:٤١]، فهذا أيضا معلوم إلاّ أنه على سبيل تخليتهم مع النظر(٢٨) لأنفسهم والتبرّيء(٢٩) مما يعود بسوء العاقبة عليهم، وعلى هذا الحد:﴿لكم دينكم ولي دين﴾[الكافرون:٦]، وهذا كثير، والقصد به مفيد كما بيَّنا.

والوجه الثاني من الجواب عن السؤال الأول أن يقال: إن هذه الاية تبكيت(٣٠) للمعاندين من أهل الكتاب الذين ادعوا أن لزوم دينهم وشريعتهم مما أوجبه الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ على سلفهم وخلفهم، فاحتج عليهم بأن(٣١) ما يدعونه لايقدرون فيه(٣٢) على أن يقولوا: إنهم سمعوا ذلك منهم مشاهدة، لقوله تعالى:﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي..﴾(٣٣)[البقرة:١٣٣] على معنى لمْ تكونوا شهداء، فإذًا لم يثبت(٣٤) ذلك عندهم بمشاهدة تقطع العذر وتلزم الحجة، لأن تلك الأمة قد خلت وانقضت وأدّت عن الله

---

(١٧) في(ر): فالجواب.

(١٨) في(أ،ب،ك): من، والمثبت من(ر).

(١٩) في (أ): فإنه.

(٢٠) « هو » ليست في(ر).

(٢١) في(ب): المأخوذ.

(٢٢) « من » سقطت من(ب).

(٢٣) في(ك): فخرج.

(٢٤) المعدلة: العدل، وجاء في لسان العرب(٤٣١/١١ عدل): العدالة والعدولة والمعدِلة والمعدَلة كله: العدل، والعدل ضد الجور.

(٢٥) جاء في اللسان(٣٣٢/٩ نصف): النصف والنَّصَفَة والإنصاف: إعطاء الحق.

(٢٦) « له » سقطت من(أ).

(٢٧) في(ب): إليه.

(٢٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ):من النظر. وفي(ك): مع البطر.

(٢٩) في(ب): والتبر، وهو خطأ.

(٣٠) قال في اللسان(١١/٢ بكت): التبكيت: التقريع والتوبيخ.

(٣١) « بأن » سقطت من(ك).

(٣٢) « فيه » ليست في(أ).

(٣٣) قوله تعالى:﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ ليس في(ك).

(٣٤) في(ر): فإذا ثبت.

تعالى ما تحملت[٣٥]، وهو أن تكون التوراة قد أخبرت بمجيء عيسى عليه السلام ومجيء النبي ﷺ بعده[٣٦]، فلها الأجر في صحة أدائها وإظهارها ما أخذ الله به من[٣٧] الميثاق عليها[٣٨] في قوله تعالى:﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتبيِّننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾[آل عمران:١٨٧].

ومعنى[٣٩]﴿ولكم ما كسبتم﴾أي: إثم ما كسبتم[٤٠] لِما[٤١] نبذتم[٤٢] ذلك وراء ظهوركم، واشتريتم به ثمنا قليلا، فهذا معنى قوله:﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم..﴾.

يبين ذلك أنهم[٤٣] إذا لم يعلموا ما يدعونه من طريق المشاهدة لم يبق إلاّ أن يعلموه[٤٤] بخبر مخبر، والمخبر الذي بينهم وبين تلك الأمة ممن يجوز[٤٥] عليه الكذب، فهذا[٤٦] خبر الله[٤٧] تعالى، وهو[٤٨] الخبر الذي لايكذب نبيُّه[٤٩] على ذلك بقوله[٥٠] عند الانتهاء:﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومَن أظلم ممَّن كتم شهادة عنده من الله..﴾[٥١][البقرة:١٤٠]أي: إذا لم تعلموا ذلك من طريق مشاهدة[٥٢] لانقضاء تلك الأمة، فالله تعالى أعلم منكم[٥٣]، وقوله[٥٤] أصدق من قيلكم، وأنتم تعلمون

(٣٥) « ماتحملت » سقطت من(ب).

(٣٦) « بعده » سقطت من(أ).

(٣٧) في(ب): الميثاق، بدون حرف جر.

(٣٨) في(ب): عليهم.

(٣٩) من هنا إلى قوله « فهذا معنى قوله:﴿تلك أمة﴾ » سقط من(ك).

(٤٠) « إثم ما كسبتم » سقطت من(أ).

(٤١) في(ب): أما ، بدل « لِما » ، وهو خطأ.

(٤٢) في(ب): نبذكم.

(٤٣) في(ب،ك): أنه.

(٤٤) في(أ): يعلمونه.

(٤٥) « يجوز» ليست في(ر).

(٤٦) في(ب): وهذا.

(٤٧) في(ك): عن الله، بدل «خبر الله ».

(٤٨) « وهو » ليس في(أ).

(٤٩) في(ب،ك): ينبه.

(٥٠) في(ب): قوله.

(٥١) في بعض النسخ: أم يقولون. وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر. والمثبت وهو بالتاء قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص. (كتاب السبعة لابن مجاهد:١٧١).

(٥٢) في(ر): المشاهدة.

(٥٣) في(ك): منكم أعلم.

(٥٤) في(ب،ك): وقيله.

فتكتمون ما عندكم من الشهادة حسدًا وبغيا وطلبا للرئاسة، والله تعالى قد[٥٥] ثبت ببعثة[٥٦] محمد ﷺ أنه رسوله ، وأن هذا القرآن تنزيله بحجج لائحة[٥٧]، وبراهين[٥٨] واضحة وهو- عز من قائل - يخبر خبرا حقا وقولا صدقا[٥٩]، أن الذي[٦٠] يدعون نقله عنهم ليس بحق. فإذا بطل عِلمكم[٦١] من طريق المشاهدة، ومن[٦٢] طريق الخبر، لم يثبت لكم من الحجة ما ثبت[٦٣] عليكم، ويكون معنى قوله:﴿ولاتسألون عما كانوا يعلمون﴾ و[٦٤]لاتسألون عن عملهم، لأنه لا حجة لكم فيه، بل الحجة عليكم به، لأن عملهم إبلاغهم الرسالة[٦٥]، وفيها ما هو حجة عليكم، وقد قاموا به حق القيام، وثبت لهم صدق هذا[٦٦] المقام[٦٧]، فلا تسألون عن عملهم الذي هو صفتهم[٦٨]، ولايقال لكم: هل أدَّوْا ذلك إليكم، لوضوح الحجة به عليكم / . [١٠/ب]

ويجوز أن يكون في ضمن هذه الآية:« وهم مسئولون عن عملكم تبكيتا لكم، وتثبيتا لحجتهم[٦٩] عليكم »، فيُذكر أحد الضدّين، ويكتفى به[٧٠] عن الضد الذي ينافيه، كما قال الله[٧١] تعالى:﴿..وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ..﴾ في معناه: وتقيكم البرد[٧٢]، فكذلك قوله:﴿ولاتسألون عما كانوا يعملون﴾ وهم مسئولون عن عملكم كقوله[٧٣] تعالى:﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخِذوني وأمّيَ إلهين من دون الله..﴾[المائدة:١١٦] فأخبر –

---

(٥٥) « قد » : ليست في(ك).

(٥٦) في(ك): ببعثه .

(٥٧) أي: بأدلة ظاهرة، والحُجج جمع الحجة، وهي الدليل والبرهان مثل غرفة وغرفة.(المصباح: ١٢١).

(٥٨) البراهين جمع البرهان، وهو الحجة (المصباح:٤٦).

(٥٩) في(ب): قولا وفعلا.

(٦٠) في(ب): الذين.

(٦١) في النسخ المعتمدة: علم. والمثبت من(خ،ر).

(٦٢) « من » ليست في(ك).

(٦٣) كذا في أكثر النسخ، وفي(أ): يثبت.

(٦٤) في(أ،ب،ك): لا. والمثبت من(ر).

(٦٥) هكذا في أكثر النسخ. وفي(أ): بل الحجة عليكم إبلاغهم الرسالة.

(٦٦) « هذا » ليست في(ب). وفي(ك): هذه. والمثبت من(أ).

(٦٧) في(ك): المقالة.

(٦٨) في(ك): هذه صفته. وفي(ر): هو صفته.

(٦٩) هكذا في أكثر النسخ. وفي(أ): لحجته.

(٧٠) « به » ليست في(ر).

(٧١) لفظ الجلالة أثبت من(ب).

(٧٢) في(ك،ر): ومعناه:وتقيكم الحر والبرد.

(٧٣) في(ك): كما قال الله.

عز اسمه ـ أنه[٧٤] يسأل عيسى عليه السلام عن عمل القوم بعده، وادّعائهم عليه ما لم يقله[٧٥] تبكيتا للقوم وتثبيتا للحجة[٧٦] عليهم، فذلك[٧٧] معنى المحذوف من الآية بإزاء المثبت فيها اكتفاء بذكره [عنه][٧٨].

وبقي الجواب عن فائدة تكرار الآية في أول هذه[٧٩] العشر، وفي آخرها، وهو أنها[٨٠] ذُكرت في الأول بعد قوله تعالى[٨١]:﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلـهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلـها واحدا ونحن له مسلمون ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم..﴾[٨٢][البقرة:١٣٣-١٣٤]. ومعناه: أن إسرائيل عليه السلام قرّر بنيه على عبادتهم التي ثبتت[٨٣] عندهم ووصّاهم بها، فقال تعالى لهؤلاء: أتنفون ما ثبت من وصية يعقوب عليه السلام بنيه[٨٤]، وتقريره إياهم، وإقرارهم بها[٨٥]، والأمة قد انقضت، وحالها في عبادتها قد ثبتت[٨٦]. ومن نفى ما ثبت من الدين فقد دخل في الكفر، فهذه الآية الأولى عقب[٨٧] ما ثبت من تقرير يعقوب عليه السلام لبنيه[٨٨] وإقرارهم له، وهذه الآية كرِّرت بعينها بعد قوله تعالى:﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله..﴾[٨٩][البقرة:١٤٠] أي: أم أنتم تثبتون[٩٠] ما هو منتف، ومن أثبت في الدين ما ليس منه[٩١] من هذا[٩٢] البهتان[٩٣] العظيم فهو في الإثم كمن

(٧٤) « أنه » أثبتت من(ر).

(٧٥) في (أ): لم يقل.

(٧٦) في(ب): لحجته.

(٧٧) في (ب): فكذلك.

(٧٨) في جميع النسخ: عنها، ولا معنى له، لأن الضمير هنا يعود على المحذوف من الآية لا على الآية نفسها.

(٧٩) في(ب): هذا.

(٨٠) في(ر): أنها إذا.

(٨١) في(أ،ب):بعد الأول في قوله. والمثبت من (ك،ر،خ).

(٨٢) قوله تعالى:﴿ولكم ما كسبتم﴾ ليس في(ب). وقوله:﴿لها ماكسبت ولكم ما كسبتم﴾ ليس في(ك).

(٨٣) في(ر): ثبت.

(٨٤) « بنيه » أثبتت من(أ).

(٨٥) في (ب ، ك): به.

(٨٦) في(أ،ب،ك): ثبت. والمثبت من(ر،ح،خ).

(٨٧) في(ب): عقيب.

(٨٨) في(أ): لنبيه، وهو خطأ من الناسخ.

(٨٩) في بعض النسخ: أم يقولون. وهي قراءة متواترة، وانظر الهامش (٥١) من صفحة(١٨٠).

(٩٠) في(أ،ب،ك): مثبتون. والمثبت من(ح،خ،ر).

(٩١) في (ب): فيه.

(٩٢) « هذا » سقطت من(ب).

نفى عنـه مـا هـو منـه[٩٤]، فـفي الأول[٩٥] نفـي مـا هـو ثابـت مـن إقـرار بـني إسـرائيل، وفي الثاني[٩٦] إثبات ما هو منتفٍ[٩٧] من كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق[٩٨] هودا أو نصارى، وكل واحد من هذين[٩٩] يوجب من البراءة ويستحق به مـن غلـظ[١٠٠] الوعيـد، والتخويـف بالعقـاب، والتنبيه على الكبيرة التي[١٠١] تحبط الحسنات مثل ما يوجبه الآخر، فلذلك أعيد في الدعوى الثانيـة الباطلة[١٠٢] ما قدم في الدعوى الأولى الكاذبة، وكما[١٠٣] اسـتحقت تلـك[١٠٤] بـراءة الذمـة مـن قائلها وتنبيهه على فساد قوله، كذلك اسـتحقت هـذه فصـارت الثانيـة في مكانهـا، وحقّهـا كمـا وقعت الأولى في محلها ومستحقها، فلم[١٠٥] يكن ذلك تكرارا[١٠٦]، بل كان وعيدا عقيب كبيرة، كما كان الأول وعيدا عقيب كبيرة أخرى[١٠٧] غير الثانية. والسلام[١٠٨].

---

(٩٣) « البهتان » ليست في(ك).

(٩٤) في(ك): فيه.

(٩٥) ذلك في الآية (١٣٣) من سورة البقرة.

(٩٦) لك في الآية (١٤٠) من سورة البقرة.

(٩٧) في(ب،ك): منفي.

(٩٨) « وإسحاق » أثبتت من(ر).

(٩٩) أي هذين الجُرمنن وهما: نفي ما هو ثابت، وإثبات ما هو منتفٍ أصلا.

(١٠٠) في(أ): غلط، وهو خطأ.

(١٠١) في(أ): الذي، وهو خطأ.

(١٠٢) تلك الدعوى: ادّعاؤهم اليهودية لإبرايهم عليه السلام.

(١٠٣) في(ب):فكما.

(١٠٤) أي: الجريمة التي ارتكبوها حين نفوا وصية يعقوب عليه السلام لبنيه.

(١٠٥) في(ك): ولم.

(١٠٦) في(أ): تكرار.

(١٠٧) غير واضحة في(أ).

(١٠٨) « والسلام » ليست في(ك). قلت: يبدو أن المؤلف رحمه الله تعالى كان يملي على تلميذه المسائل مسألة مسألة وفي نهاية الحديث عن المسألة الواحدة كان يختمه بإلقاء السلام على تلميذه، فهذا هو السر في تكرار كلمة «والسلام» في مواضع كثيرة من هذا الكتاب. والله أعلم.

[١٢] الآية الثانية عشرة

قوله تعالى في هذه السورة[(١)]: ﴿قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النّبيون / من ربّهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مُسلمون﴾[البقرة:١٣٦]. [١١/أ]

وقال تعالى شبيها[(٢)] بهذه[(٣)] الآية في سورة آل عمران [٨٤]: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتي موسى وعيسى والنّبيون مِن ربّهم لا نفرِّق بين أحدٍ منهم ونحن له مُسلمون﴾.

للسائل أن يسأل عن موضعين من هاتين الآيتين: أحدهما: قوله عز وجل: ﴿أنزل إلينا﴾ في الأولى[(٤)] و﴿علينا﴾ في الثانية[(٥)]، والموضع الثاني: تكرار ﴿أوتي﴾ في الأولى، وحذفها[(٦)] في الثانية[(٧)]؛

فيقول: هل لاختيار[(٨)] « إلى » مع قوله ﴿ أنزل﴾ في سورة البقرة[(٩)] فائدة توجب اختصاصها؟ وهل لاختيار « على » مع ﴿أنزل﴾ في سورة[(١٠)] آل عمران معنى يقتضيها؟ ولِم كرر ﴿أوتي﴾ هنا[(١١)] ولم يكرر هناك[(١٢)] ؟.

والجواب المختصر[(١٣)] المشار به إلى الفرق بين الموضعين في « إلى » و« على »[(١٤)] : أن أول الآية[(١٥)] التي اختصت بها[(١٦)] « على » ﴿قل آمنا بالله..﴾، وأول الآية[(١٧)] التي اختصت

---

(١) في(ك): الآية الثانية عشر من هذه السورة قوله عز وجل.

(٢) في(ب): مشبها.

(٣) في(ب): لهذه.

(٤) في(أ): في الأول.

(٥) في(ر): وفي الثانية: ﴿أنزلنا علينا﴾.

(٦) في (ب): وتركها.

(٧) في(ك): والوضع الثاني أنه قال في الآية من سورة البقرة: ﴿وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾ فأعاد ﴿أوتي﴾ مع ذكر ﴿النبين﴾ ولم يعده في موضعه من سورة آل عمران، وقال: ﴿وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم﴾.

(٨) في(ب): الاختيار.

(٩) في(أ،ب): ف هذه السورة. والمثبت من(ك).

(١٠) لفظ « سورة » ليس في (أ).

(١١) أي: في سورة البقرة. وفي(ك): هناك، وهو خطأ.

(١٢) في(ك): هاهنا

(١٣) « المختصر » أثبتت من(ك، ح ، خ ، ر ، و). وفي (أ): المختص.

(١٤) في(أ): في«على» و« إلى ».

بها[١٨] « إلى »:﴿قولوا آمنا با لله...﴾، وشرحُ ذلك: أن « على » موضوعة لكون الشيء فوق الشيء، ومجيئه من علوّ فهي مختصة[١٩] من الجهات[٢٠] الست بجهة واحدة، و« إلى » للمنتهى، ويكون المنتهى[٢١] من الجهات الست كلها.

وإنْ[٢٢] توجَّه نحو الشيء شيء[٢٣] عن يمينه[٢٤] أو عن شماله، أو من[٢٥] قدّامه، أو من ورائه، أو من فوقه، أو من تحته، فإنه إذا بلغه يقال فيه انتهى إليه، فلا تتخصص "إلى" بجهة واحدة، كما تتخصص « على ».

فقوله تعالى:﴿قولوا آمنا با لله وما أنزل إلينا..﴾ اختيرت فيها « إلى » لأنها مصدَّرة بخطاب[٢٦] المسلمين، فوجب أن يختار لها[٢٧] « إلى »، ثم جعل[٢٨] ما عُطف عليه على لفظه لحقّ[٢٩] الإتباع، وإن صح فيه معنى الانتهاء، فالمؤمنون لم ينزل الوحي[٣٠] في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما أنزل على الأنبياء[٣١] ـ صلوات ا لله عليهم وسلامه ـ، ثم انتهى من عندهم إليهم، فلما كان[٣٢] ﴿قولوا﴾[٣٣] خطابا لغير الأنبياء وكان لأممهم[٣٤]، كان اختيار « إلى» أولى من اختيار « على ».

---

(١٥) الآية (٨٤) من سورة آل عمران.

(١٦) في(أ،ب): لها.

(١٧) الآية (١٣٦) من سورة البقرة.

(١٨) في(ب،ك): لها.

(١٩) في(أ،ب): فهو مختص. والمثبت من(ك ، ر ، ق).

(٢٠) في(ب): بالجهات.

(٢١) في(ب): وتكون المنفي، فلا وجه له.

(٢٢) في(ك): فإن.

(٢٣) "شيء" سقطت من(ك).

(٢٤) في(أ،ب): من عن يمينه. والمثبت من(ر،ح،خ،ك).

(٢٥) « من » ليست في (أ).

(٢٦) في(ب): لخطاب.

(٢٧) "لها" سقطت من(أ)، وفي(ك): له.

(٢٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ):يجعل.

(٢٩) في(ك): بحق.

(٣٠) " الوحي " سقطت من(أ).

(٣١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): أوليائه.

(٣٢) في(ر): كانوا، وهو خطأ.

(٣٣) في(ب): قوله، وهو خطأ.

(٣٤) في(ر): لأمتهم، وفي(ك): وإنما كان لأمتهم.

ولما[٣٥] كانت في سورة آل عمران قد صدِّرت الآيةُ بما هو خطاب للنبي ﷺ ، وهو قوله[٣٦]:﴿قل آمنا با لله وما أنزل علينا﴾ كانت « على » أحقّ بهذا المكان، لأن الوحي أُنزل عليه.

وفي لفظة « أنزل » دلالة انفصال الشيء من فوق إلى أسفل[٣٧] ، وأن يُقْرَن إليه ما يشاكله[٣٨]فيما يستحقه من المعنى أولى، وإن كان القرآن قد نطق بجميع ذلك في الأنبياء صلوات ا لله عليهم وفي غيرهم، كقوله[٣٩] عز وجل:﴿..نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدِّقا لما بين يديه...﴾[آل عمران:٣] وقال بعده[٤٠]:﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات...﴾[٤١][آل عمران:٧] وقال في موضع آخر[٤٢]:﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق..﴾[المائدة:٤٨].

فالمنزَل على الأنبياء مُنْتَهٍ إليهم، فلذلك صحت[٤٣] « إلى» إلاّ أنّ « على » أصلها[٤٤]: إذا قصد الإفصاح[٤٥] بالمعنى أن يستعمل فيمن[٤٦] نزل الوحي عليه[٤٧]، وشَرِكةُ الأمة في اللفظة[٤٨] له[٤٩] مجاز لا حقيقةٌ، و« إلى » في ذكر الإنزال المتعلق بأمم الأنبياء صلوات ا لله عليهم وسلامه أشبه بحقيقة معناها[٥٠] مِن « على »، فلذلك خصتا[٥١] في الموضعين باللفظين المختلفين، وجعل ما بعدهما يجري مجراهما كما يجب في حكم الاتباع.

(٣٥) في(ب): ولما.

(٣٦) " قوله " ليست في(ب،ك).

(٣٧) في(أ): دلالة انفصال الشيء من فوق ثم انتهى من عنده إليهم أسفل. وفي العبارة خلل ظاهر، والمثبت من(ب،ك).

(٣٨) في(ب): وإن قرب إليه ما شاكله.

(٣٩) في(ك): لقوله.

(٤٠) " وقال بعده " أثبت من(ك).

(٤١) في(أ،ب):﴿أنزل عليك الكتاب﴾ والمثبت من(ك).

(٤٢) في(ب): وفي سورة النحل.

(٤٣) في(ك): فلذلك صلحت " إلى" وصحت.

(٤٤) في(أ): صحت "إلى " على أن أصلها..

(٤٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): الإيضاح.

(٤٦) في(ب): فيما.

(٤٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): إليه.

(٤٨) في(ب): في اللفظ.

(٤٩) " له " سقطت من(أ). قلت: أي للنبي ﷺ .

(٥٠) في(ب،ك): معناه.

(٥١) في(أ،ب): خصا، والمثبت من(ر،ك).

وأما الموضع الثاني الذي أعيد فيه لفظة ﴿أوتي﴾ من سورة البقرة و لم تعد(٥٢) فيما بإزائها من سورة آل عمران، فالجواب عنه أن يقال(٥٣): إنما اختصر(٥٤)هناك(٥٥)، لأن العشر التي فيها(٥٦) مصدَّرة بقوله:﴿وإذ / أخذ ا لله ميثاق النبين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة..﴾[آل عمران:٨١] فقدّم ذكر(٥٧) إيتاء الكتاب، واكتفى به عن التكرير في الموضع الذي كرِّر فيه من سورة البقرة على سبيل التأكيد. [١١/ب]

وبيان ذلك: أن هذه العشر مبنيَّة على ذكر عهد ا لله إلى الأنبياء صلوات ا لله عليهم وسلامه، وما أخذ عليهم من المواثيق(٥٨) في تبيين ما أنزله(٥٩) إليهم للناس(٦٠)، فقوله:﴿..وما أوتي النبيون من ربهم﴾ هو قوله:﴿وإذ أخذ ا لله ميثاق النبين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة﴾ في المعنى، فلمّا تقدم هذا الذكر وجاء ﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾ اكتفى عن إعادة ﴿وما أوتي النبيون﴾ بالذكرالمتقدم، ولـمّا لم يتقدم في سورة البقرة ذكر إيتاء(٦١) النبيين ما أوتوا(٦٢) من الكتب في هذه العشر لم يكن فيه ما يغني عن التأكيد بإعادة اللفظ. هذا الفرق بين الموضعين. وا لله أعلم.

---

(٥٢) في(ب،ك):ولم يعد.

(٥٣) " عنه أن يقال " ليست في(ر).

(٥٤) في(أ): اختص، وفي(ك): فالجواب عنه إذا اختصر أن يقال:لأن العشر التي..

(٥٥) " هناك " ليست في(ك).

(٥٦) في(ب): في سورة آل عمران.

(٥٧) سقطت من(ب).وفي(ك):فقد ذكر.

(٥٨) في(ك): من المواثيق عليهم.

(٥٩) في(أ): أنزل.

(٦٠) في(أ): إلى الناس.

(٦١) في(ك): الإيتاء.

(٦٢) في(أ): وما أوتوا،بزيادة الواو.

[١٣] الآيـة الـثـالـثـة عـشـرة[١]

قوله تعالى:﴿قد نرى تقلُّبَ وجهك في السّماء فلنولِّيَنّك قبلةً ترضاها فَوَلِّ وجهَك شطْرَ المسجدِ الحرامِ وحيث ما كنتم فولّوا وجوهَكم شطرَه..﴾[البقرة:١٤٤].

وقال بعده[٢] في هذه[٣] العشر:﴿ومِن حيْث خرجْتَ فولِّ وجهَك شطرَ المسجدِ الحرامِ وإنه لَلْحَقُّ من ربّك وما الله بغافلٍ عمّا تعملون ﴾ ومِن حيث خرجتَ فولِّ وجهَك شطرَ المسجدِ الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره..﴾ [البقرة:١٤٩-١٥٠].

للسائل أن يسأل عن الفائدة في تكرار هذه الآي[٤] في هذه[٥] العشر مع أن في واحدة[٦] كفاية؟

فالجواب[٧] عنه أن يقال: إن قوله تعالى:﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ هو الأمر الأول بالتوجه نحو القبلة التي هي الكعبة، والخطاب[٨] للنبي ﷺ وما بعده[٩] هو خطاب له ولأمته، وهو قوله:﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره..﴾.

وأما الآية الثانية وهي[١٠] قوله:﴿ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾، فالخروج[١١] خروجان، أحدهما: خروج المصلي من مكان إلى مكان[١٢] يرى فيه الكعبة وهو المسجد الحرام، فكأنه قال: ومن أيّ باب من أبواب المسجد خرجت فتوخَّ[١٣] استقبال الكعبة بالصلاة، والخروج[١٤] الثاني خروج من البلد الذي فيه المسجد الحرام وهو

(١) في(ك): الآية الثالثة عشر من هذه السورة.

(٢) « بعده » ليست في(ب).

(٣) في(ب): هذا.

(٤) في(أ): في تكرار هذه الآية. والمثبت من(ح،خ،ر،س،ك)

(٥) في(ب): هذا.

(٦) في(أ،ب): في كل واحدة. والمثبت من(ر،ك).

(٧) في(ب): والجواب، وفي(ر):الجواب.

(٨) في(أ،ك): واللفظ، والمثبت من(ب).

(٩) في(ك): وبعده، وفي(ر): وبعده ماهو، وذلك خطأ.

(١٠) في(ب،ك): وهو.

(١١) في(ب): والخروج، وفي(ك):الخروج.

(١٢) « إلى مكان » سقطت من(ب).

(١٣) أي: فاقصد، يقال: توخيت الشيء أتوخاه توخيا، إذا قصدت إليه وتعمدت فعله، وتحريت فيه (النهاية لابن الأثير، ١٦٥/٥)

(١٤) في(أ): وبالخروج، فلا وجه له.

الحرم، فكأنه قال: وإن(١٥) خرجت من البلد من أيّ باب خرجتَ فاجعل الكعبة قبلة لك تتوجه نحوها بصلاتك.

فعلى هذا يكون لكل آية فائدة، فالأولى(١٦) ليس فيها خروج، والثانية(١٧) فيها(١٨) خروج من أقرب الأماكن إلى الكعبة، والثالثة(١٩) خروج مما عدا ذلك(٢٠) عام في البلاد. وقد(٢١) كان يتوهم أن للقرب حرمة لايثبت مثلها للبُعد، فوقعت مظاهرة(٢٢) بالأمر بتولّي القبلة في القرب والبعد.

ولفظة ﴿خرجت﴾ لفظة الماضي، وهي في موضع المستقبل(٢٣) لأن المعنى معنى الشرط والجزاء، و﴿حيث﴾ وحدها(٢٤) وإن تضمنت معنى الشرط فإنه لايجزم بعدها(٢٥) الفعل المستقبل، بل تقول: من حيث تخرجُ، فترفع / الفعلَ، وإن(٢٦) أردتَ :من أيّ موضع [١٢/أ] تخرجْ، فـ« أيّ موضع »(٢٧) يجزم الفعلَ، و« حيث » لاتجزمه(٢٨) إلا إذا قارنتها(٢٩) « ما »(٣٠)، فتقول:حيثما تنزلْ أنزل، فإن قلت: حيث تنزلُ أنزلُ، بطل الجزم ووجب الرفع.

فقوله تعالى:﴿وحيث ما كنتم﴾؛ و« كنتم »(٣١) في هذا المكان في موضع فعل مجزوم، كأنه قال: وحيث ما تكونوا فولّوا وجوهَكم شطره(٣٢)، وليس كذلك ﴿ومن حيث

(١٥) في(ك): فإن.

(١٦) أي الآية الأولى وهي (١٤٤) من سورة البقرة.

(١٧) أي الآية الثانية، وهي (١٤٩) من سورة البقرة.

(١٨) في(أ،ب،ك): هي، والمثبت من(ح،ر،س).

(١٩) أي الآية الثالثة، وهي (١٥٠) من سورة البقرة.

(٢٠) في(أ،ب): ذاك.

(٢١) « وقد » أثبتت من(ب،ك).

(٢٢) في(أ): مطاهرة. قلت: المظاهرة هنا بمعنى المعاونة، بمعنى فوقعت الآيات يظاهر بعضها بعضا..

(٢٣) مكان « الستقبل » بياض في(أ).

(٢٤) في(ر): وحدتها، وهو خطأ.

(٢٥) في(أ،ب،ك): بها، والمثبت من(ح،ر).

(٢٦) في(أ،ب): فإن، والمثبت من(ك).

(٢٧) في(ك): وأي، وفي(ر): فإنه يجزم.

(٢٨) في(ك): لاتجزم.

(٢٩) في(ب): قاربتها.

(٣٠) « ما » سقطت من(أ).

(٣١) « وكنتم » سقطت من(أ).

(٣٢) في(ك): فقوله تعالى:﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ وليس كذلك﴿ومن حيث خرجت﴾.

خرجت﴾ إلا أنه لايخرج عن تضمن معنى الشرط[٣٣]، يبيِّن ذلك دخول الفاء في الجواب، ولولا هذا المعنى ما احتيج إليهَا، فلهذا قلنا: إن الماضي بعدها[٣٤] بمنزلة المستقبل، كما يكون في قولك: إن خرجت خرجت، إلا أن الماضي[٣٥] لايجزم كما لايجزم[٣٦] الفعل في صلة «الذي» وإن دخله[٣٧] معنى الشرط.

إذا قلت: الذي يزورني فله درهم، فأوجبت الدرهم بالزيارة، و" حيث " في هذا الموضع على غير ما هي عليه في قولك[٣٨]: قعدتُ اليوم حيث قعدتُ أمسِ، لأن تلك[٣٩] شائعة كشياع الأسماء التي تقع بمعنى الشرط ويجازى بها[٤٠].

(٣٣) في(ب): عن معنى تضمن الشرط.

(٣٤) أي: بعد « حيث ».

(٣٥) في(ك): المستقبل.

(٣٦) في(أ): كما يجزم، وهو خطأ.

(٣٧) في(أ): دخل.

(٣٨) في(ك): قوله.

(٣٩) أي اللفظة المذكورة في الآية.

(٤٠) في(أ): ومجازاتها، والمثبت من(ب،ك). **قلت**: ذكر الشهاب الخفاجي توجيها آخر في حاشيته على البيضاوي(٢/٢٥٧) فقال:«ذُكر﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ في ثلاث مواضع، فإما أن يكون كرّره اعتناء بشأنه، لأنه من مظانّ الطعن وكثرة المخالفين فيه لعدم الفرق بين النسخ والبداء، أو لأنه ذُكر في كل محل على وجه قُصد به غير ما قصد في الآخر معنى، وإن تراءى من اللفظ تكرره ففي الأول ذُكر بعد قوله ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ بتعظيم النبي ﷺ بابتغاء مرضاته، وثانيا بعد قوله﴿ولكلٍ وجهة﴾ لجري العادة الإلهية. الخ..».

[١٤] الآية الرابعة عشرة [1]

قوله تعالى:﴿وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بل نتّبعُ ما ألفَيْنا عليه آباءَنا أوَلَوْ كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون﴾[البقرة:١٧٠].

وفي هذه[2] الآية موضعان يشابهان[3] موضعين من آيتين أخريين:

الأول: قوله:﴿ما ألفينا عليه آباءَنا..﴾ وبإزائه قوله[4] في سورة لقمان[الآية:٢١]:﴿وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بل نتّبعُ ما وجدْنا عليه آباءَنا..﴾.

والموضع الثاني[5] يشبه[6] قوله[7] في سورة المائدة[الآية:١٠٤]:﴿..أوَلَوْ كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون﴾.

للسائل[8] أن يسأل فيقول: هل لتخصيص الموضع الذي في سورة البقرة[9] بقوله[10]:﴿ألفينا﴾ دون قوله[11]:﴿وجدنا﴾ فائدة تخصه؟ وهل لتخصيص الموضع[12] الثاني بقوله:﴿لايعقلون شيئا﴾ دون قوله:﴿لايعلمون شيئا﴾ فائدة؟ وهل لتخصيص ﴿لايعلمون﴾ في موضعه دون قوله:﴿لايعقلون﴾ في موضعه فائدة[13] ؟

والجواب[14] عن الموضع[15] الأول وهو قوله:﴿ألفينا﴾: أن ﴿ألفينا﴾ يقصد بها بعض الوجوه التي يستعمل عليها[16]:﴿وجدنا﴾، لأنه يقال: وجدت الشيء، فلا يحتاج إلى مفعول

(١) في(ك): الآية الرابع عشر في هذه السورة

(٢) في(ك): في هذه، بدون الواو.

(٣) في(أ): يتشابهان، والمثبت من(ب،ك).

(٤) « قوله » أثبتت من(ك).

(٥) في(ب): الثالث، وهو خطأ.

(٦) ساقطة من(أ). وهي أثبتت من(ب). وفي(ك): مشبه.

(٧) في(ك): لقوله.

(٨) في(ك): وللسائل.

(٩) في(أ،ب): في البقرة. والمثبت من(ك).

(١٠) « بقوله » سقطت من(ب).

(١١) « قوله » أثبتت من(ك).

(١٢) في(ر).: المكان.

(١٣) صيغة السؤال في(ك): وهل في سورة المائدة لاختصاص لفظ﴿يعلمون﴾ دون قوله﴿يعقلون﴾ المستعمل في سورة البقرة فائدة؟

(١٤) في(ك): فالجواب.

(١٥) في(ر): القول.

(١٦) في(أ):عليه.

ثانٍ إذا وجدته عن عدم، ولوِجدان[١٧] الضالة تقول: وجدتُ الضالة. وتقول:وجدتُ زيداً عاقلا، فيكون[١٨] الوجود[١٩] متعلقا بالخبر الذي هو المفعول[٢٠] الثاني، فلا[٢١]بدّ له في هذا الوجه منه[٢٢]، ولايكتفى بالمفعول الأول.

وأما قولهم: ألفيت، فإنها مخصوصة[٢٣] بهذا[٢٤] الوجه[٢٥] من وجوه " وجدت "، لايقال: ألفيت درهما بمعنى: وجدت درهما، ولا ألفيت الضالة بمعنى: وجدتها، وإنما يقال: ألفيت زيدا عاقلا، وألفيته على الهدى وعلى الضلالة، فكان في الموضع[٢٦] الأول استعمال اللفظ الأخص[٢٧] أولى، وتأخير اللفظ المشترك إلى المكان الثاني أولى.

وأما المسألة الثانية من هذه الآية في قوله:﴿أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ مع قوله في سورة المائدة:﴿أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون﴾ فالجواب عنها أن يقال[٢٨] / : إن[٢٩] لقوله:﴿يعلمون﴾[٣٠] رتبةً ليست[٣١] لقوله [١٢/ب] ﴿يعقلون﴾، وإذا وقفت على ما بينهما سهُلت[٣٢] عليك معرفة ما أوجب[٣٣] تخصيص كل مكان باللفظ المختص[٣٤] به[٣٥] .

---

(١٧) في(ب): ووجدان.

(١٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): فلا يكون.

(١٩) في(ب): الموجود.

(٢٠) « المفعول » سقطت من(ك).

(٢١) في(أ،ب): ولا، والمثبت من(ر،ك).

(٢٢) أي من المفعول الثاني.

(٢٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): فإنما تخص منه.

(٢٤) في(ك): لهذا.

(٢٥) « الوجه » سقطت من(ك):.

(٢٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): في هذا الموضع.

(٢٧) في(ك): الأخص بالمكان.

(٢٨) من قوله « وأما المسألة الثانية » إلى هنا أثبت من (ح،خ،ر،س)، ونسخة(ك) مثل النسخ السابقة مع بعض خلل في ذكر الآيات. وفي(أ،ب): وأما الجواب عن المسألة الثانية في هذه الآية في قوله:﴿لايعقلون شيئا﴾ مع ما في سورة المائدة من قوله:﴿لايعلمون شيئا ولايهتدون﴾ أن يقال..

(٢٩) لفظ « إن » سقطت من(أ).

(٣٠) في(ب): أن قوله﴿لايعلمون﴾ رتبته.

(٣١) في(ر): ليس.

(٣٢) في(ك): سهل.

(٣٣) في(ب): وجب.

(٣٤) في(ر): المخصوص.

فقول القائل: يعلم، معناه: يدرك الشيء على ما هو به مع سكون إليه، وقوله: يعقل، معناه: يحصره[٣٦] بإدراك له عما[٣٧] لايدركه، ولذلك جاز أن تقول[٣٨]: يعلم الله كذا، ولايجوز أن تقول[٣٩] يعقل الله كذا، لأن العقل: الشد، والعاقل: الذي يحبس نفسه عما تدعو إليه الشهوات، ولا شهوة لله تعالى فيُحبَس[٤٠] عنها، فلذلك لا يقال لله[٤١] عاقل، ويقال: عقل فلان الشيء وهو يعقله بمعنى حصره[٤٢] بإدراكه له[٤٣] عما لا يدركه، وشدّه بتمييزه له[٤٤] عن غيره مما لا يدركه[٤٥]، وهذا لا يصح في حق الله[٤٦] تعالى.

فإذا كانت رتبة ﴿يعلمون﴾ زائدة على رتبة ﴿يعقلون﴾ فأخبر[٤٧] الله تعالى عن الكفار في سورة المائدة فقال:﴿وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزل الله وإلى الرسولِ قالوا حسبُنا ما وجدْنا عليه آباءَنا أَوَلَوْ كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون﴾ [المائدة:١٠٤] فبيّن[٤٨] أنهم ادعوا رتبة العلم بصحة ما كان آباؤهم عليه، لأنهم قالوا: ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾، ولفظة « حسبنا » تستعمل فيما يكفي في بابه ويغني[٤٩] عن غيره، فالمدرك للشيء إذا أدركه على ما هو به وسكنت نفسه[٥٠] إليه فذاك حسبه، فاستعمل لفظة « يعلمون » ونفى عنهم النهاية لأنهم ادعوها بقولهم[٥١]: حسبنا، فكأنهم قالوا: معنا[٥٢] علم سكنت[٥٣] نفوسنا إليه مما وجدنا عليه آباءَنا من الدين، فنفى ما ادعوه[٥٤] بعينه وهو العلم.

---

(٣٥) في(ك): له.

(٣٦) في(أ،ب): يحضره. لأنه جاء في الفروق اللغوية(ص٦٦):«وقيل: العقل يفيد معنى الحصر والحبس».

(٣٧) « عما » سقطت من(أ).

(٣٨) في(ب): يقول.

(٣٩) في(ب): يقول.

(٤٠) غير واضحة في(ب،ك).

(٤١) في(ر): الله.

(٤٢) في(أ،ب): حضره، والمثبت من(ح،ر،ك) وهو الصواب.

(٤٣) « له » أثبتت من(ر،ك). وفي (ر) : بتميزه.

(٤٤) في(أ،ب): وشدة، والمثبت من(خ،ر). ولفظ " له " ليس في (ب ، ك).

(٤٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): لم يدركه.

(٤٦) في(ب،ك): في الله.

(٤٧) في(ك): وأخبر.

(٤٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ):فتبين. والمثبت أليق بهذا الموضع، لأنه معطوف على « أخبر ».

(٤٩) في(ب): أو يغني، وفي(أ): يعني، وهو خطأ.

(٥٠) من هنا إلى قوله « معنا علم سكنت » سقط من(ك).

(٥١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): بقوله.

والموضع الأول في سورة البقرة لم يحك عنهم فيه أنهم ادعوا[٥٥] تناهيهم في معرفة ما اتبعوا عليه[٥٦] آباءهم، بل كان قوله تعالى:﴿وإذ قيل لهم اتّبعوا ما أنزل ا لله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا..﴾[البقرة:١٧٠]، و لم يدعوا أن ما أَلْـفَوْا عليه آباءهم كان كافيهم وحسبهم، فاكتفى بنفي أدنى منازل العلم لِتكون كل دعوى مقابَلةً بما هو بإزائها مما يبطلها. والسلام[٥٧].

---

(٥٢) « معنا » ساقطة من(ك).

(٥٣) في(أ،ب): سكن. وفي(ر): تسكن.

(٥٤) في(أ،ب،ك): ما ادعوا. والمثبت من(ر).

(٥٥) « أنهم ادعوا » سقطت من(ب).

(٥٦) في(ب،ك): فيه، بدل « عليه ».

(٥٧) «والسلام » ليست في (ر).

[١٥] الآية الخامسة عشرة

قوله تعالى في[١] هذه السورة:﴿ يا أيّها الّذين آمنوا كلوا من طيّباتِ ما رزقْناكم واشكروا للهِ إنْ كنتم إيّاه تعبدون ﴿﴾ إنما حرّم عليكم الميتةَ والدّمَ ولحمَ الخنزيرِ **وما أهلّ به لغير ا لله** فمن اضطُرَّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن ا لله غفور رحيم﴾[البقرة:١٧٢-١٧٣].

وجاء في ثلاثة مواضع بعده[٢]: ﴿**وما أهل لغير ا لله به**﴾:

أوّلها في سورة المائدة[الآية:٣]:﴿حُرّمت عليكم الميتةُ والدّمُ ولحمُ الخنزيرِ وما أهلّ لغير ا لله به..﴾

والثاني[٣] في آخر سورة الأنعام[الآية:١٤٥]:﴿قل لا أجد فيما أُوحيَ إليّ محرَّما على طاعمٍ يَطْعَمُه إلاّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزيرٍ فإنّه رِجسٌ أو فِسقاً **أهلَّ لغير ا لله به**..﴾.

وفي سورة النحل[الآية:١١٥]:﴿ إنما حرّم عليكم الميتةَ والدم ولحم الخنزير **وما أهلّ لغير ا لله به**..﴾.

فجاء في المواضع الثلاثة[٤] ﴿به﴾ مؤخرة عن قوله ﴿لِغير ا لله﴾[٥]، وفي الموضع الأول من سورة البقرة[٦] مقدّمة[٧] على قوله ﴿لغير ا لله﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٨]:لِم اختلف الموضع الأول مع المواضع[٩] التي بعده؟

والجواب أن يقال: أما الموضع الأول فإنه جاء على الأصل الذي يقتضيه حكم اللفظ، لأن الباء التي يتعدى بها[١٠] الفعل[١١] في هذا المكان من جملة الباءآت / التي كحرف[١٢] من نفس الفعل[١٣]، [١٣/أ] تقول: ذهبت بزيد، ثم تقول: أذهبت زيدا، فتصير الباء كالهمزة المزيدة[١٤] في بنية الفعل، فيجب لذلك أن تكون أحق بالتقديم. وما يتعدى إليه[١٥] الفعل باللام لا تتنزّل لامُه منزلة الحرف من نفس الفعل[١٦] فصار قوله:﴿أهلّ به لغير ا لله﴾ بمنزلة ذُبح لغير ا لله مسمىً عليه اسم بعض الآلهة.

---

(١) في(ك): من.

(٢) أي: بعد الموضع الأول وهو سورة البقرة.

(٣) ((والثاني)) ليست في(ب،ك)، وفيهما بدل ذلك: وفي آخر الأنعام.

(٤) في(ب): في الثلاثة مواضع.

(٥) في(أ): لغير، بدون لفظ الجلالة.

(٦) ((من سورة البقرة)) أثبتت من(ك).

(٧) في(أ): مقدم.

(٨) هكذا في(ب،د،ك،ر)، وفي(أ): للسائل أن يقول؟.

(٩) في)(ب): من المواضع، وفي(ر،ك): والمواضع.

(١٠) في(ر): به.

(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): إلى الفعل، فلا داعي إلى ذكر حرف الجر.

(١٢) في(ر): بحرف.

(١٣) في(ب): العلم، وهو خطأ.

(١٤) في(ك): كالمزيدة.

(١٥) « إليه » سقطت من(ك).

(١٦) في(ب): العلم.

فلما كان هذا الأصل في الأول جرت الآية الأولى عليه، ولما كان الإهلال بالمذبوح(١٧) لا يستنكر إلا إذا كان لغير الله، كان ما عدا الأصلِ بتقديم المستنكر أحق وأولى.

ألا ترى أنهم(١٨) يقدمون المفعول إذا كانوا ببيانه أعنى، فيقولون: ضرب زيدا عمرو، فيقدمون المفعول على الفاعل(١٩)، لأن الاهتمام بأمره أتم، لأن هذا ينفى به ما في وهم متوهم، أو قول قائل: ضرب زيد محمداً(٢٠)، فيقع الخلاف في المفعول لا في الفاعل(٢١)، فيقول(٢٢) المنكرُ لذلك المثبتُ صحةَ ما عنده: ضرب عمراً زيد لا محمداً(٢٣)، فإن تُرِك قوله: محمدا كان مكتفيا عنه بتقديم المفعول.

وكذلك(٢٤) ما ينكره من الفضلات(٢٥) كالظرفين والحال، فقال(٢٦) المخاطب لو(٢٧) توهم: ضرب زيد عمراً اليومَ، فقال المنكر: ضرب أمسِ زيد عمرا، فقدّم «أمسِ»(٢٨) على الفاعل والمفعول به، لأنه هو الذي ينكره ويمنع أن يكون على ما توهمه، والباقي من الكلام ليس فيه ما يستنكره، فالعناية بتقديم ما يزيل الشك عنه أتم، وهو بالتقديم أحقّ، وكذلك قوله تعالى(٢٩):﴿وما أهل به لغير الله﴾ مع قوله:﴿وما أهل لغير الله به﴾ في هذه(٣٠) الآي الثلاث.

---

(١٧) أي ذكر اسم من ذبحه له. والإهلال: رفع الصوت، وكل من رفع صوته فقد أهل إهلالا، وأهل الرجل: رفع صوته بذكر الله تعالى عند نعمة أو رؤية شيء يعجبه، وحرم ما أهل به لغير الله، أي ما سمي غير الله عند ذبحه. (المصباح المنير،ص٦٣٩)

(١٨) في(ر): تراهم.

(١٩) في(أ،ب): الفعل، والمثبت من(د،ك).

(٢٠) في(أ،ب،):ضرب محمد زيدا، والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٢١) في(أ،ب): الفعل، وهو خطأ. والمثبت من(ر،ك).

(٢٢) في(ر): فيكون.

(٢٣) في(أ): ضرب زيدا عمرو لا محمدا، وفي(ب،ك): ضرب عمرا زيدا لامحمدا. والمثبت من(ح،خ،ر) وهو الصواب والله أعلم، لأنه لا اختلاف في الفاعل وإنما الاختلاف في المفعول كما يشير إلى ذلك المؤلف.

(٢٤) في (ر): ولذلك.

(٢٥) الفضلات جمع الفضْلة وهي اسم لِما يفضُل بمعنى الزيادة.(المصباح المنير:٤٧٥). وفي (ر): المفضلات.

(٢٦) في(ب): فيقال.

(٢٧) في(ر): أو، بدل « لو ».

(٢٨) قوله « زيد عمرا، فقدم أمس» سقط من(أ).

(٢٩) « قوله تعالى » أثبتت من(ح،ر).

(٣٠) « هذه » أثبتت من(ح،خ،ر). وفي(ك): في هذه الآي.

[١٦] الآية السادسة عشرة[١]

قوله تعالى:﴿..فمن اضطُرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾[البقرة:١٧٣].

وقال في سورة الأنعام [الآية:١٤٥]:﴿..فمن اضطُرّ غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾.

وقال في سورة النحل [١١٥]:﴿..فمن اضطُرّ غير باغٍ ولا عادٍ فإن الله غفورٌ رحيم﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: هل لاختلاف هذه[٢] الألفاظ التي أُتبعت قولَه:﴿فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ﴾ معنى يخصص[٣] كل مكان باللفظ الذي اختص[٤] به؟

والجواب[٥] أن يقال: قصد الله تعالى في المواضع الثلاثة أن يبين للمضطر ما له أن يتناوله[٦] من المحرَّم الذي يمسك به رَمَقَه[٧]، فذكر في الموضعين الأخيرين:﴿فإن ربّك غفور رحيم﴾ و﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فكان[٨] تعريضا بمغفرته لمن اضطر إلى تناول[٩] المحرَّم[١٠] في حالته، والموضع الأول بدأ فيه[١١] بصريح اللفظ في إسقاط[١٢] الإثم فقال:﴿فلا إثم عليه﴾ ثم عقَّبه بما اتصف به من المغفرة والرحمة.

وفي هذه الآي الثلاث سؤال آخر، وهو أنه قال في الأولى:﴿إن الله غفور رحيم﴾ وفي الثانية:﴿فإن ربك غفور رحيم﴾[١٣] وفي الثالثة:﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فهل لاختصاص الأول والأخير[١٤] بذكر « الله » تعالى فائدة؟ ولاختصاصه في الآية الثانية بقوله:﴿فإن ربك غفور رحيم﴾ وعدوله عن ذكر « الله » تعالى إلى ذكر / « ربك » فائدة تخصصه[١٥] بمكانه؟ [١٣/ب]

---

(١) في(ك): الآية السادسة عشر في هذه السورة.

(٢) « هذه » أثبتت من(ر).

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): مخصص.

(٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): يختص.

(٥) في(ب،ك): الجواب.

(٦) في(ب،ك): تناول.

(٧) الرمَق - بفتحتين -: بقية الروح وآخر النفَس.(النهاية لابن الأثير٢/٢٦٤)، وقد يطلق على القوة، ويأكل المضطر من الميتة ما يسد به الرمق، أي ما يمسك قوته ويحفظها.(المصباح المنير:٢٣٩).

(٨) في(ر): كان.

(٩) في(ب): مناولة.

(١٠) « المحرم » سقطت من(أ).

(١١) « فيه » سقطت من(أ).

(١٢) في(ب): وإسقاط، وفي(أ):بإسقاط، والمثبت من(ر،ك).

(١٣) في (أ): فإن ربك.

(١٤) في(ر): والثاني.

(١٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): مخصصة.

والجواب عن ذلك أن يقال: لكل موضع معنى يوجب اختصاص اللفظ الذي ذُكر فيه، فأما الأول فلأنه لمـّا قال[١٦]:﴿ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ إنما حرّم عليكم ..﴾[١٧] [البقرة:١٧٢-١٧٣] كذا[١٨]، كان[١٩] بما قدمه مثبتا عليهم إلـهيته،لأن الإله هو الذي تحقّ له العبادة[٢٠] بما له من النعمة، فلمـّا قدم ذِكر ما رزقهم منها وطالبهم بشكرها أتبعه بقوله:﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾، وختم الآية بأن قال:﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ أي:إن[٢١] من أنعم عليكم غايةَ النعمة واستحق بها غايةَ التعبّد والتذلّل هو الذي يغفر لكم عند الضرورة تناوُلَ ما حرم[٢٢] عليكم في حال الاختيار، رحيم بكم[٢٣].

وكذلك[٢٤] الآية الثالثة مبنية على مثل هذا، لأن أولها:﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾[النحل:١١٤] فكان[٢٥] مشبها لما قدمنا ذِكره فقال:﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

وأما الثانية[٢٦] فلأنه قدم عليه ذِكر[٢٧] أصناف ما خلقه الله تعالى[٢٨] لتربية الأجسام، فقال:﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشاتٍ..﴾[٢٩][الأنعام:١٤١] فذَكر الثمار والحب وأتبعه بذكر الحيوان[٣٠] من الإبل والبقر والغنم[٣١] خص هذا الموضع بذكر « الرب » لأن الرب هو القائم بمصالح المربوب فكان هذا أليق بهذا المكان. والله أعلم.

---

(١٦) في(ب): فإنه قال.

(١٧) بقية الآية:﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾. وفي بعض النسخ:﴿إنما حرم عليكم الميتة..﴾ كذا .

(١٨) « كذا » سقطت من(ب).

(١٩) « كان » جواب « لما قال ».

(٢٠) في(ر): العبادات.

(٢١) « إن » ليست في(ب).

(٢٢) في(ب): حرمه.

(٢٣) « بكم » سقطت من(ك).

(٢٤) في(ك): وكذا.

(٢٥) في(ك): وكان.

(٢٦) أي آية الأنعام. وفي(ر): الثالثة، وهو خطأ.

(٢٧) « ذِكر » سقطت من(ب).

(٢٨) « الله تعالى » سقطت من(أ).

(٢٩) بقية النص:﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرعَ مختلِفا أكُلُه والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتو حقه يوم حصاده..﴾

(٣٠) ذلك في قوله تعالى:﴿ومن الأنعام حَمولةً وفرْشًا..﴾[الأنعام:١٤٢] وقوله تعالى:﴿ثمانية أزواج من الضأْن اثنين ومن المعز اثنين..﴾[الأنعام ١٤٣] وقوله تعالى:﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين..﴾[الأنعام:١٤٤].

(٣١) « والغنم » أثبتت من(ب،ك).

[١٧] الآية السابعة عشرة[١]

قوله تعالى:﴿إنّ الّذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويَشْترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النارَ ولا يُكلّمهم الله يومَ القيامةِ ولا يُزكّيهم ولهم عذاب أليم﴾[البقرة:١٧٤].

وقال في سورة آل عمران[٢][الآية:٧٧]:﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يومَ القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب إليم﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: إن[٣] الإخبار في الموضعين عن أهل الكتاب الذين كتموا ذِكر النبي ﷺ من[٤] كتابهم المنزَّل عليهم من التوراة والإنجيل، والتوعدُ في الموضعين مختلف، والكبيرة واحدة[٥]، فهل هناك معنىً يوجب اختلاف الوعيد في المكانين؟

الجواب أن يقال[٦]: الوعيد في كل[٧] مكان[٨] من المكانين على حسب ما ذكر من عظيم[٩] الذنب وكبير الجُرم[١٠]، فقال في سورة البقرة[البقرة:١٧٤]:﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾[١١] فوصفهم بأنهم خالفوا الله في أمره ونقضوا ما قدّم إليهم من عهده[١٢]، حيث قال:﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنّه للناس ولا تكتمونه..﴾ [آل عمران:١٨٧] فهؤلاء لم يبيّنوا[١٣] وكتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه وتركِ ما أمر الله بإتيانه ثم قال:﴿ويشترون به ثمنا قليلا﴾ أي:نصيبا يسيرا من الدنيا، فجاء على هذا أغلظُ الوعيد[١٤]، وهو قوله:﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ أي:هذا الحظّ اليسير[١٥]

---

(١) في(ك): الآية السابعة عشر في هذه السورة.

(٢) في(أ،ب): وفي سورة آل عمران، والمثبت من(ك).

(٣) « إن » أثبتت من(ر).

(٤) في(خ،ر): في ، بدل « من ».

(٥) في(ب): والكبير وواحده، وهو خطأ من الناسخ.

(٦) في(ب): هناك، بدل « يقال ».

(٧) « كل » سقطت من(ب).

(٨) « مكان » سقطت من(ب،ك).

(٩) في(ب،ك): من عظم الذنب وكبر الجرم.

(١٠) الجرم ـ بضم الجيم ـ : الذنب.(القاموس المحيط،١٤٠٥،حرم).

(١١) في(أ،ب):﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا﴾ والمثبت من نسخة(ك) لأن قوله تعالى:﴿ويشترون به ثمنا قليلا﴾ ياتي تفسيره فيما بعد.

(١٢) في(ب): ما تقدم من عهده. وفي(ك): ما قدم عهده.

(١٣) في(أ،ب،ك): لم يؤمنوا، والمثبت من(ح،خ،ر).

(١٤) في(أ):فلهذا أغلظ الوعيد. وفي(ب):فجاء هذا أغلظ الوعيد. والمثبت من(ح،خ،ر،س،ك).

(١٥) « هذا الحظ اليسير » ليست في(أ).

الذي نالوه من الدنيا مِن مطعم ومشرب[١٦] / إنما هو نار في أجوافهم، ثم قال:﴿ولايكلمهم [١٤/أ]
ا لله يوم القيامة﴾ أي: ليسوا ممّن ترجَى نجاتهم فيجيئهم من قِبل ا لله كلامٌ أو سلامٌ كما قال في أوليائه:﴿تحيَّتُهم يومَ يلْقوْنَه سلام﴾[الأحزاب:٤٤] ثم قال:﴿ولايزكّيهم﴾ أي لا يطهّرهم من ذنب الكفر[١٧] بالعفو عنهم، ﴿ولهم عذاب أليم﴾، ثم قال:﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾[البقرة:١٧٥]، فكرّر ذِكر سوء اشترائهم ووعيدهم[١٨]، وأنهم باعوا الإسلام بالكفر، واشتروا عذابَ ا لله بالغفران[١٩]، واقتحموا[٢٠] عذاب النار فعل[٢١] من يعجب من صبره عليها[٢٢].

فهذه أنواع كثيرة[٢٣] من التوعد اقترنت[٢٤] بما حصل[٢٥] من الذنب العظيم في كتمان ما لم يجب كتمانه، والإعراض عن تبيين ما وجب[٢٦] بيانُه[٢٧].

والآية التي في سورة آل عمران لم يذكَر في أولها من الذنوب التي ارتكبوها مثل ما ذُكر في أول هذه الآية[٢٨] قال:﴿إن الذين يشترون بعهد ا لله وأيمانهم ثمنا قليلا..﴾ فكان هاهنا ذِكر بعض ما ذُكر في الآية الأولى[٢٩] وهو:﴿يشترون به ثمنا قليلا﴾ فقُرن به من الوعيد أقل مما قرنه بالآية الأولى، وهو أن قال:﴿لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي: لا نصيب لهم من الخير، ﴿ولا يكلّمهم ا لله﴾ كما يكلّم أولياءَه ﴿ولا ينظر إليهم﴾ نظرة[٣٠] رحمة ﴿ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم﴾.

---

(١٦) في(أ،ب): لِمطعم ومشرب، وفي(ك): المطعم والمشرب، بدون حرف الجر، والمثبت من(خ،ر،س).

(١٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): من ذنب الذنب.

(١٨) في(ك):فكرر الخبر إليهم بوعيدهم.

(١٩) في(ب): بالكفران.

(٢٠) أي:ورموا بأنفسهم النار، يقال: اقتحم عقبة أو وَهْدةً: رمى بنفسه فيها، وكأنه مأخوذ من اقتحم الفرس النهر، إذا دخل فيه.(المصباح المنير٢/٤٩١).

(٢١) في(ب): فهل، بدل " فعل ".

(٢٢) ذلك في باقي الآية السابقة:﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾.

(٢٣) مثل عدم كلام ا لله لهم، وعدم تزكيتهم وعدم النظر إليهم يوم القيامة.

(٢٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ):اقتربت.

(٢٥) في(ك): فصل.

(٢٦) في(أ،ب): أوجب، والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٢٧) في(ك): تبيانه.

(٢٨) يعني آية البقرة حيث جاء في أولها من الذنوب كِتمان ما لا يجوز كتمانه، وهذا لم يذكر في آية آل عمران.

(٢٩) في(ك): في هذه الآية الأولى.

(٣٠) في(أ،ب): نظر. والمثبت من(ح،خ،ر).

[١٨] الآية الثامنة عشرة[١]

قوله تعالى:﴿..ولا تُباشِروهن وأنتمْ عاكِفون في المساجد تلك حدودُ الله فلا تقْربوها..﴾[البقرة:١٨٧].

وقال في موضع[٢] آخر من[٣] هذه السورة:﴿..تلك حدودُ الله فلا تعْتدوها..﴾[٤] [البقرة:٢٢٩].

للسائل أن يسأل فيقول[٥]: كيف اختص الموضع الأول[٦] بقوله:﴿فلا تقربوها﴾ والموضع الثاني بقوله:﴿فلا تعتدوها﴾؟

الجواب أن يقال: الأول[٧] خرج على أغلظ الوعيد كما قال:﴿ولا تقربا هذه الشجرة..﴾ [البقرة: ٣٥]، وإنما كان نهي عن أكلها لا عن الدنوّ[٨] منها، فخرج مخرج قول القائل - إذا نهى عن الشيء وشدّد الأمر فيه - : لا تقرب هذا الشيءَ، وما أحسن ما قال النبي[٩] ﷺ في[١٠] المنع من مقاربة الحرام: «مَن رَتَعَ حوْل الحِمى يوشِك[١١] أن يقع فيه»[١٢]، وكما روي عن بعض الصالحين أنه قال: «إني لأحب أن يكشّف الحاجز بيني وبين ما حرّم الله»[١٣].

(١) في(ك): الآية الثامنة عشر من هذه السورة.

(٢) « موضع » أثبتت من(ك).

(٣) « من » أثبتت من(ك).

(٤) الآية الأولى في الصيام، وهذه الآية في الطلاق.

(٥) في(أ): للسائل أن يقول.

(٦) « الأول » أثبتت من (ك). وفي(ب): الأولى.

(٧) في(أ): الأولى.

(٨) في(أ،ب): لا الدنو . والمثبت من(ر،ك).

(٩) في(ك): وما أحسن قوله عليه السلام.

(١٠) في(ك): من المنع.

(١١) في(ك): أوشك.

(١٢) جزء من الحديث الذي أخرجه الجماعة وغيرهم بألفاظ متقاربة، وهو في صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري(٢٩٠/٤،رقم٢٠٥١)، كتاب البيوع، باب الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشْتَبِهات من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال النبي ﷺ :« الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهة... والمعاصي حِمى الله، من يرتعْ حول الحِمى يوشِك أن يواقعه ». وهو في صحيح مسلم(١٢١٩/٣،رقم١٥٩٩)،كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات. وأبو دواد في البيوع(رقم٣٣٢٩). والترمذي في البيوع(رقم١٢٠٥ . والنسائي في البيوع(رقم٤٤٥٣). وابن ماجه في الفتن(رقم٣٩٨٤). وأحمد في المسند(رقم١٨٣٧٥،١٨٣٩٦،١٨٤٠٢). قال في اللسان(١٩٩/١٤حمى):« الحمى بكسر الحاء وفتح الميم:موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى».

(١٣) لم أقف عليه، ولكن هناك حديث مروي عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدل على هذا المعنى، وهو:«اجعلوا بينكم وبين الحرام سِترا من الحلال، من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه، ومن أرتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحِمى يوشك أن يقع فيه، وإن لكل ملك حِمى،

<==

فلمّـا كان هذا الموضع الأول(١٤) نهيا عن مواقعة النساء في حالة الاعتكاف في المساجد صار فيه تحذيرٌ من دواعي المواقعة فاقتضى من المبالغة مـا لم يقتضـه(١٥) قولـه:﴿..فـلا جنـاح عليهمـا فيمـا افتـدت بـه تلـك حـدود الله فـلا تعتدوهـا..﴾ [البقرة:٢٢٩]، فكأنـه قـال: لا تتجاوزوها(١٦)، يعني أنّ(١٧) المرأة إذا افتدت بمهرها وخالعت(١٨) زوجها لم يكن عليهـا إثـم. وهذه حدود نهي عن تعدّيها.

والحدود ضربان، حدّ هو منعٌ من(١٩) ارتكاب المحظور، وحدّ هو فاصلة(٢٠) بين الحلال والحرام، فالأول يُـنْهى عن مقاربته(٢١) والثاني يُـنْهى عـن مجاوزتـه، وهمـا(٢٢) المذكـوران في هذه السورة(٢٣).

وإن حمى الله محارمه ». وقد أورد هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير(ص٨ برقم١٨٨) وعزاه إلى ابن حبـان والطبراني وحكـم عليه بالصحة.

(١٤) في(أ): الأولى.

(١٥) في أكثر النسخ: لم يقتضيه، وهو خطأ، والمثبت من(خ).

(١٦) في(أ):لا تجاوزوها، وفي(ب): فلا تتجاوزوها، والمثبت من(ر،ك).

(١٧) « أن » ليست في(ب،ك).

(١٨) يقال: خالعت المرأة زوجها مخالَعَة، إذا افتدت منه وطلّقها على الفدية... والاسم:الخلع ـ بالضم ـ : وهو استعارة من خلع اللباس، لأن كل واحد منهما لِباس للآخر، فإذا فعلا ذلك فكأن كل واحد نزع لِباسَه عنه(المصباح المنير:١٧٨).

(١٩) في(ر): عن.

(٢٠) في(ر): واصلة.

(٢١) في(أ): مقارنته.

(٢٢) أي الحدان، وهما اقتراب المرأة في الاعتكاف، وتجاوز حق المرأة في الخلع.

(٢٣) ورد في(أ،ب) بعد هذه العبارة: وحد النهي، ولا معنى لهذا الكلام.

[١٩] الآية التاسعة عشرة[1]

قوله تعالى:﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾[البقرة:١٩٣].

وقال في سورة الأنفال[الآية:٣٩]:﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[2]: لأي فائدة قال في هذه السورة[3]:﴿ويكون الدين لله﴾ ولم يؤكّده[4]، وعقبه بقوله:﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ / وقال في سورة الأنفال[5]:﴿ويكون الدين كله لله﴾ فأكّده[6] وأتبعه بقوله[7]:﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾؟ [١٤/ب]

الجواب[8] عن ذلك أن يقال: إن[9] الآية الأولى من سورة البقرة[10] جاءت في قتال أهل مكة، ألا ترى ما قبلها:﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم..﴾[البقرة:١٩١] ثم قال:﴿..ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه..﴾[البقرة:١٩١]، وهذا مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك، وهم نازلو[11] الحرم، فاقتصر[12] على الدين من غير توكيد على معنى: حتى يكون الدين[13] حيث هؤلاء، لا في كل مكان[14]، لأنه لا يحصل بقتل مشركي مكة الدينُ في كل البلاد.

وقوله:﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أي: إن انتهوا عن[15] كفرهم فلا عدوان عليهم، إنما العدوان على من أقام على الضلالة وظلم نفسَه بلزوم الجهالة.

وأما في سورة الأنفال فالأمر ورد عامًّا في قتال كلّ الكافرين، ألا ترى أن[16] قبل الآية:﴿قل للّذين كفروا إنْ ينتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سَلَفَ..﴾[الأنفال:٣٨]، وليس هذا في طائفة من

---

(١) في(ك): الآية التاسعة عشرة من هذه السورة.

(٢) في(أ): للسائل أن يقول.

(٣) في (أ): الآية، بدل « السورة ».

(٤) في(ب): و لم يؤكد.

(٥) في(أ،ب): وفي سورة الأنفال. والمثبت من(ك).

(٦) « فأكده » أثبتت من(ك).

(٧) في(ك): قوله، بدون الواو.

(٨) في(ب): فالجواب، وفي (ر): والجواب.

(٩) « إن » أثبتت من(ك).

(١٠) في(أ،ب): في هذه السورة، والمثبت من(ح،خ،ر).

(١١) في(ب،ك): نازلة.

(١٢) في(ر): فاختصر.

(١٣) « الدين » سقطت من(ب).

(١٤) في(ب): لا في مكان. وفي(ك): لا في مكان آخر.

(١٥) هنا في (أ) خلل، وفي(ك): من، بدل « عن »، والمثبت من (ب).

الكفار دون طائفة، فإذا كان ذلك كذلك[١٧]، وقال بعده:﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة..﴾ أي: لا يكون شرك وكفر[١٨]، اقتضى هذا أن يكون بعده:﴿ويكون الدين كله لله﴾ فأُمروا بإبطال كل كفر قدَروا عليه[١٩]، وأتبعه قوله:﴿فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾ أي: إن انتهوا وانتقلوا إلى الإيمان وكفوكم عن قتالهم بما يظهرون من الإسلام[٢٠] فإن الله[٢١] يعلم عملكم وعملهم على القرائتين[٢٢] جميعا[٢٣]، فيكون[٢٤] الخطاب للمقاتِلين، ولفظ المغايبة[٢٥] للمقاتَلين.

ويمكن أن يقال إن الخطاب[٢٦] في:﴿تعلمون﴾ يشمل الكل، لأنه قال:﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾، فكلهم قد صاروا مؤمنين، فلا جرم ضمَّهم خطاب واحد[٢٧]، وأعلمهم أنه مجازيهم[٢٨] على عملهم، مطلع على سرائرهم[٢٩]، يعلم[٣٠] مَن كان انتهاؤه عن الكفر لرغبةٍ[٣١] من رغائب الدنيا، ومَن[٣٢] كان انتهاؤه[٣٣] عنه للتبصّر، فسوّى بين السر والجهر، فاللفظة في ضمنها ـ إذا وردت من القادر الحكيم ـ غايةُ التخويف والوعيد في العقاب الأليم، وغايةُ الترغيب في الثواب العظيم لِفرقتي الطاعة والعصيان، فهذا وجهه. والسلام.

---

(١٦) « أن » ليست في(ك).

(١٧) في(ر): كذلك فالأمر شديد. والمثبت هو الصواب.

(١٨) ذهب إلى أن المراد بالفتنة هنا الشرك من المفسرين: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحسن وقتادة والسدي.(ينظر: تفسير الطبرى٩/٢٤٨)، وذهب إلى أن المراد بها هنا الكفر ابنُ زيد كما في تفسير الطبرى(٩/٢٤٩)، وقال الزجاج في معاني القرآن(٢/٤١٣):«حتى لا يفتن الناس فتنة كفر ». قلت: فلا مانع أن يكون الشرك والكفر معا مرادا كما قال المؤلف، لأن الكفر والشرك كليهما فتنة، فلا بد من إزالتهما حتى تتحقق العبادة كلها لله خالصة دون غيره.

(١٩) في(ك): عليه قدروا، بالتقديم والتأخير.

(٢٠) في(أ،ب): وكفوكم بما يظهرون عن قتالهم. والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٢١) في(أ،ب): فالله. والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٢٢) في(أ): على القولين. وهي سقطت من(ك). والمثبت من(ب). **والقراءتان هما**: بياء الغيبة في:« يعلمون »، وتاء الخطاب في:«تعلمون»، فالأول قراءة الجمهور والثاني قراءة يعقوب.(ينظر: المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الاصبهاني:١٩٠، زاد المسير لابن الجوزي٣/٣٥٧).

(٢٣) قوله:« على القراءتين جميعا » لايوجد في(ك).

(٢٤) من هنا إلى « للمقاتَلين » سقط من(ك).

(٢٥) في(ب): ولفظ المقاتلة، وهو خطأ.

(٢٦) « إن الخطاب » سقط من (أ).

(٢٧) من قوله « يمكن أن يقال..» إلى هنا تختلف العبارة في(ك)، وهي:« فيكون ﴿تعلمون﴾ خطابا للمقاتِلين والمقاتَلين جميعا لأنهم جميعا قد صاروا مؤمنين فضمّهم خطاب واحد..» .

(٢٨) في(ب،ك): مجاز لهم.

(٢٩) في(ب): على أسرارهم.

(٣٠) في(ب،ك): يعرف.

(٣١) في(أ): رغبة، والمثبت من(ب،ك).

(٣٢) في(أ): وبين من، فلا وجه له.

(٣٣) في(ك): ومن انتهاؤه، بدون « كان ».

[٢٠] الآية العشرون[١]

قوله تعالى:﴿أمْ حسبْتم أنْ تَدخلوا الجَنّةَ ولمـّا يأتِكم مَثَلُ الّذين خلَوْا مِن قبلِكم مسَّتْهم البأْساءُ والضرّاءُ وزُلزِلوا حتّى يقولَ الرسولُ والّذين آمَنوا معه متى نصرُ ا للهِ ألاَ إنّ نصْرَ ا للهِ قريب﴾[البقرة:٢١٤].

وقال في سورة آل عمران [١٤٢]:﴿أمْ حسبْتم أنْ تدخلوا الجَنّـة ولَمـّا يعلمِ ا للهُ الّذين جاهَدوا منكم ويعلمَ الصابرين﴾.

وقال في سورة التوبة [١٦]:﴿أمْ حسبْتم أنْ تُتْرَكوا ولمّا يعلمِ ا للهُ الّذيـن جـاهَدوا منكم ولم يتّخِذوا من دون ا للهِ ولا رسولِه ولا المؤمنين وَلِيجَةً وا للهُ خبيرٌ بما تعملون﴾[٢].

وللسائل أن يسأل فيقـول[٣]: كيـف اختلـف اللفـظ[٤] في المواضـع الثلاثـة[٥]، وهـو[٦] فيها[٧] كلها بعثٌ[٨] على الجهاد؟ وهل صلُح مـا هـو في[٩] الأول للآخر، أم اقتضاه مكانه بعينه دون غيره؟

الجواب[١٠] أن يقال: بل لكلّ موضع[١١] معنىً يقتضي اللفـظ الـذي خـصّ بـه، فالآيـة الأولى من سورة البقرة[١٢] وردت عقيب قوله:﴿كان النـاس أمـةً واحـدةً فبعـث ا للهُ النبيـين مبشرين ومنذرين..﴾[البقرة:٢١٣] ثم قال:﴿..وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه﴾ يعـني الكتـابَ ﴿مِن بعد ما جائتهم البيِّناتُ بغياً بينهم﴾ فكانت هذه الحالة التي أخبر ا للهُ عنها مُشبِهة حـالَ النبي / ﷺ والمؤمنين[١٣] معه فيما دُفعوا إليه مـن بغي المشـركين، ومقـاتلتهم لهـم مجـاهدين، [١٥/أ]

(١) في(ك): الآية العشرون من هذه السورة.

(٢) أثبتت ألآية من (ب ، ك).

(٣) في(أ): وللسائل أن يقول.

(٤) " اللفظ " ليست في(ب).

(٥) هكذا في(أ). وفي(أ): في الثلاثة المواضع. ولعل الصواب ما أثبته.

(٦) في(ب): وهي.

(٧) في(ك): كيف اختلف في المواضع فيها.

(٨) في(ر): حثّ.

(٩) " في " سقطت من(أ).

(١٠) في (ب): والجواب.

(١١) أثبتت " موضع " من(ب).

(١٢) في(أ،ب): من هذه السورة، والمثبت من(ك).

(١٣) في(ر): والمؤمنون.

فقال:أم حسبتم أن تشتروا الجنة لِتسكنوها(١٤) خالدين فيها و لم تفعلوا أفعال الأمم الماضية فيما دُفعت إليه هي وأنبياؤها(١٥) وما نالهم من(١٦) قتال الكفار من الشدّة والمضرَّة والانزعاج عن المواطن حتى استعجلوا النصر لما استنفدوا الصبر أعلمهم ا لله عز وجل أنّ نصره قريبٌ من أوليائه، غير بعيد عن(١٧) حزبه، وكذلك(١٨) حالكم إذا عرفتم حالهم وعاقبة أمرهم ومآلهم.

ومعنى قوله:﴿تدخلوا الجنة﴾ هو ما بيّنه(١٩) في قوله:﴿إن ا لله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتِلون في سبيل ا لله فيَقْتلون ويُقتَلون..﴾[التوبة:١١١] فكان في ذكر ذلك شَحْذٌ(٢٠) لبصائرهم في الجهاد(٢١)، وحملهم على الا قتداء بفِرق الصلاح وأمم الأنبياء صلوات ا لله عليهم قبلهم وتأنيس(٢٢) لهم بالصبر على ما حل بهم حتى حمِدوا عاقبة أمرهم.

وأما الآية الثانية في سورة آل عمران وهي(٢٣):﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلمِ ا لله الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين﴾[آل عمران:١٤٢] فهي خطاب للمسلمين الذين نالهم من قتال المشركين جراحات، لأنه(٢٤) قال فيها:﴿إنْ يمسسْكم قرحٌ فقد مسّ القومَ قرحٌ مثلُه..﴾[آل عمران:١٤٠] فقال: أم حسبتم أن تنالوا(٢٥) الجنة ولمّا تجاهِدوا الأعداءَ من الكفار فيعلم(٢٦) ا لله ذلك منكم(٢٧)، ولمّا تصبروا صبرا زائدا على صبرهم فيرى(٢٨) ذلك من

---

(١٤) " لتسكنوها " ليست في(أ).

(١٥) في(ب): أنبياؤها، بدون الواو. وفي(ك): ولأنبياء صلوات ا لله عليهم.

(١٦) في(ك): في ، بدل « من » ، قوله « وما نالهم » ليس في (أ).

(١٧) في(أ): من.

(١٨) في (ب): فكذلك.

(١٩) في(أ،ب): وما يليه. والمثبت من(ح،ر،ك).

(٢٠) أي تقوية لهم في الجهاد. قال في اللسان(٣/٤٩٣،شحذ):« شَحَذَ الجوعُ مَعِدَتَه: ضرّمها وقوّاها على الطعام وأحدّها » .

(٢١) في (ب): في القتال.

(٢٢) في(ب): تأثير.

(٢٣) " وهي " ليست في(ك).

(٢٤) " لأنه " أثبتت من(ح،خ،ر).

(٢٥) في(ر): أن تدخلوا.

(٢٦) في(ب): فيعلمهم.

(٢٧) في(ر):منهم.

(٢٨) في(ب): فترك، وهو خطأ ظاهر. وفي(ك): ويرى.

فضلكم عليهم، أي الجنةُ لمن فعل ما أمره[٢٩] الله تعالى بـه في الوقـت مـن قتـال أهـل الكفـر وتوطينهم[٣٠] النفس فيه على الصبر فيـخـفّ[٣١] عليه ما يجد من الألم بما يتحقق من الفوز في الآجلة.

والآية[٣٢] التي ردِفتْها هذه الآية[٣٣] اقتضت البعث على التشمّر[٣٤] للقتال والصبر بعد صبر الأعداء، وقيل[٣٥]لبعض العرب: ما كان سبب كثرة ظفركم بأعدائكم، فقـال: كنـا نصبر بعد صبرهم ساعة فيكون ذلك سبب الظفر.

وأما الآية الثالثة في سورة براءة وهي قوله تعالى[٣٦]:﴿أم حسـبتم أن تـتركوا ولمـاّ يعلـم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجـة والله خبير بما تعملون﴾[٣٧][التوبة:١٦]، فإنها[٣٨] خطاب للمجاهدين من المؤمنين، وتوعّد لمن كـان منهـم يُبْقـي[٣٩] على أقارب له[٤٠] عند الظفـر بهـم لقولـه بعـده:﴿ياأيهـا الذيـن آمنـوا لا تتخـذوا آباءكم وإخوانكم أولياءَ إن استحبوا الكفـر على الإيمـان ومـن يتولّهـم منكـم فـأولئك هـم الظـالمون ﴿قـل إن كـان آبـاؤكم..﴾[التوبة:٢٣ـ٢٤] الآيتـين[٤١]، فحـذر[٤٢] المنـافقين الذيـن ضامّوا[٤٣] المؤمنين في قتال المشركين أن[٤٤] يعلم الله مجاهدتهم أعداءهم وقد اتخذوا[٤٥] معها

(٢٩) في(أ،ب): ما أمر. والمثبت من(ح،ر).

(٣٠) في (ر): وتوطين.

(٣١) في(ر): فخف.

(٣٢) في جميع النسخ الخطية والمطبوعة: فالحالة، ولعل الصواب ما أثبته، والآية هنا هي:﴿إن يمسسكم قـرح فقـد مـسّ القوم قرح مثلُه..﴾[آل عمران:١٤٠].

(٣٣) هي قولـه تعـالى:﴿أم حسـبتم أن تدخلوا الجنـة ولمـاّ يعلـم الله الذيـن جـاهدوا منكـم ويعلـمَ الصـابرين﴾[آل عمران:١٤٢].

(٣٤) قال في القاموس(٥٣٨،شمر): تشمَّر للأمر: تهيّـأ. جاء في(أ،ب،ك): التشمير، والمثبت من(ح،خ،ر).

(٣٥) في(ك): قيل، بدون الواو.

(٣٦) في(أ):وهي، وكلمة " وهي " سقطت من(ب)." والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٣٧) أثبتت الآية من (ب ، ك).

(٣٨) في(ر): فهي.

(٣٩) قال في الصحاح(٢٢٨٣/٦،بقي):«وأبقيتُ على فلانٍ، إذا أرعَيْتَ عليه ورحِمتَه».

(٤٠) « له » ليست في(ك).

(٤١) في(ب): الآية. ونسخة (ك) خالية عنها.

(٤٢) في(ر): يحذر، وفي (أ): فحذروا.

(٤٣) قال في الصحاح(١٩٧٣/٥،ضمم):ضممْت الشيءَ إلى الشيءِ فانضمّ إليه، وضـامّـه.

(٤٤) في(ر): أي، بدل « أن ».

(٤٥) « اتخذوا » غير واضحة في (أ).

وليجة بينهم وبين المشركين. فالوليجة(٤٦): هي المدخل الذي ذكره الله تعالى في الآية(٤٧) بعدها عند وصف المنافقين فقال:﴿ويحلفون بالله إنهم لَمِنْكم وما هم منكم ولكنهم قوم يَفرَقون ﴿ لو يَجدون ملجأً أو مغاراتٍ أو مُدخلاً لَولَّوا إليه وهم يجمحون﴾(٤٨)[التوبة:٥٦-٥٧] الآيتين. فقولك: وَلَجَ، بمعنى « دخل »، والوليجة: المدخل وهو الوسيلة التي يدخل بها(٤٩) الإنسان حريم الإنسان، كالباب المفتوح له يفعل فِعله، فكأن التوعد كان(٥٠) يقتضي أن يقال لهم: أظننتم أن تتركوا وما تظهرون من مجاهدتكم أعداءكم ولم يكن(٥١) منكم جهاد خالص(٥٢) لله تعالى لا تمالئون(٥٣) فيه أبا ولا ابناً(٥٤)، ولا تراعون(٥٥) فيه حميماً ولا قريبا، فلا تُبقون(٥٦) على ذي معرفة إبقاء تتقربون به رجاء أن يجازوكم(٥٧) عليه، فإن قدّرتم أنكم تتركون(٥٨) ومضامّة المسلمين في القتال(٥٩) من غير أن يعلم منكم باطنا عاريا من هذه الحال فقد أخطأ ظنّكم وأخلف / تقديركم فإنكم مطالبون بالتوفقة بين سرّكم وجهركم(٦٠). [١٥/ب]

(٤٦) في(ك): والوليجة.

(٤٧) في(ك): في هذه الآية.

(٤٨) الآيتان أثبتنا من (ب ، ك).

(٤٩) في(ك): لها.

(٥٠) في(أ، ب):فكأنه كان التوعد. والمثبت من (ك).

(٥١) « يكن » سقطت من(ك).

(٥٢) في(ر): جهادا خالصا.

(٥٣) جاء في اللغة: مالأه على كذا ممالأةً: ساعده. (المختار الصحاح،ص٣٦١).

(٥٤) في(ب):آباء وأبناء.

(٥٥) في(ب،ك): ولا ترعون.

(٥٦) انظر لمعناه: الهامش (٣٩) من هذا المبحث.

(٥٧) في(أ،ك): أن يجازيكم، والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٥٨) في(ر): أن تتركوا.

(٥٩) في(أ): ومضامة المنافقين المسلم. وفي(ب): ومضامة الناس. والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٦٠) في(ب): بين سركم وعسركم.

[٢١] الآية الحادية والعشرون[١]

قوله عز وجل:﴿..ذلك يوعَظُ به مَن كان منكم يؤمنُ با للهِ واليومِ الآخرِ ذلكم أَزْكَى لكم وأَطْهَرُ..﴾[البقرة:٢٣٢].

وقال في سورة الطلاق[٢]:﴿..ذلكم يوعَظُ به مَن كان يؤمنُ با للهِ واليومِ الآخرِ..﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: إذا كان الكاف في ﴿ذلك﴾ للمخاطب، فيجمع إذا كثروا ويقال[٣]: ذلكم، كما قال في الآية الأخيرة[٤] من الآيتين، وكما قال:﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾، وقال في مخاطبة[٥] الاثنين[٦]:﴿..ذلكما مّما علّمني ربِّي﴾[يوسف:٣٧]، وكما قال في مخاطبة[٧] النساء:﴿قالت فذلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه..﴾[يوسف:٣٢]، فيثنّى ويجمَع على حسب المخاطب كما يؤنّث ويذكر فيكسر كقوله:﴿قال كذلكِ قال ربّكِ هو علـيَّ هيِّن..﴾[مريم:٢١]، فما بال قوله تعالى:﴿ذلك يوعظ به مَن كان منكم يؤمن با لله واليوم الآخر..﴾ في سورة البقرة موحِّدا « الكاف » من « ذلك » مع جمعها في نظيرها في سورة الطلاق[٨]؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن الكاف تجيء في الكلام اسما للمخاطب كقولك: رأيتك، وغلامك، والكاف هاهنا اسم للمخاطب، وموضعها نصبٌ في « رأيتك » وجرٌ في «غلامك»[٩].

وتجيء متصلة بالأسماء المبهمة[١٠] التي للإشارة وليست باسم ولكنها للخطاب، ويراد بها[١١] معنى آخر وهو تبعيد المشار إليه، نحو « ذاك » و « ذلك » و « أولئك »، والدليل[١٢]

---

(١) في(ك): الآية الحادية والعشرون من هذه السورة.

(٢) في(أ): للسائل أن يقول.

(٣) في(ر): فيقال.

(٤) يعني الآية التي في سورة الطلاق.

(٥) في(ر): خطاب.

(٦) في(ب): الآيتين.

(٧) في(ر): خطاب.

(٨) صيغة السؤال في(ح،خ،ر): والسؤال أن يقال: إن الكاف في " ذلك" إذا كانت للمخاطب إذا كثروا فيقال «ذلكم» كما قال بعد الآية الأولى من الآيتين ﴿ذلكم أزكى لكم﴾ وكما قال في خطاب الاثنين ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ وكما قال في خطاب النساء :﴿قالت فذلكن الذي لمتني فيه﴾، يجمع على حسب المخاطب كما يؤنث ويكسر، وقوله:﴿قال كذلك قال ربك..﴾، فما بال قوله في سورة البقرة:﴿ذلك يوعظ به﴾ مع جمعها في نظيرها من سورة الطلاق؟

(٩) في(أ): إن الكاف تجيء في الكلام اسما للمخاطب، وموضعها نصب كقولك: رأيتك، وجر في «غلامك». سقطت بعض الكلمات في(ب) هنا. والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(١٠) في(أ): المهملة.

(١١) في(أ): ويقارنها، وفي(ب،ك): ويفاد بها. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

والدليل[١٢] على أنها ليست اسما[١٣] قولُه تعالى:﴿..فذانِكَ برهانانِ مِن ربّكَ..﴾[القصص:٣٢]، لو كانت[١٤] اسما مجرورا لَما اجتمعت مع نون[١٥] التثنية في « ذانّك »[١٦] كما لا تجتمع معها في قولك:« غلاماك »، لا تقول:غلامانك، ولا يجوز أن تكون الكاف بعد المبهمة اسما منصوبا، لأنه لا[١٧] ناصب له[١٨].

وشيء آخر، وهو أن هذه المبهمة[١٩] معارف ولا تصح إضافتها، والكاف[٢٠] بعدها ليست اسما[٢١] مضافا إليه، فإذا عرِيت من الاسمية لم تَعْرَ من معنى الخطاب، والمعنى الذي يقارنها[٢٢] مع[٢٣] الخطاب في المبهم أنك تقول:« ذا » فيكون إشارة إلى قريب، فإذا قلت: « ذاك» صار بالكاف[٢٤] إشارة إلى بعيد.

فلما عريت الكاف من الاسمية قصد[٢٥] بها إلى[٢٦] أحد المعنيين اللذين وضعت[٢٧] لهما كـ« ذلك ». والأسماءُ[٢٨] المبهمة كما[٢٩] قُصد بها[٣٠] معنيان الخطابُ والتبعيدُ جاز أن تعري[٣١] من أحدهما[٣٢]، وهو الخطاب ويقتصر بها على معنى التبعيد حسب، على حسبِ قصد القاصد[٣٣].

---

(١٢) « والدليل » سقطت من(ك).

(١٣) في(ك): باسم.

(١٤) في(ب): كان.

(١٥) في(ب): ونون.

(١٦) في(ب): في « ذلك » وهو خطأ.

(١٧) « لا » ليست في النسخ المعتمدة، وأثبتت من (ر).

(١٨) « له » أثبتت من(خ).

(١٩) من هنا إلى قوله:« كما قصد » سقط من(أ).

(٢٠) في(ر،ك): فالكاف.

(٢١) في(ب،ك): باسم مضاف.

(٢٢) في(ك): يقاربها. وفي(ر): يفاد بها.

(٢٣) في(ر):معنى، بدل « مع ».

(٢٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): الكاف، بدون الباء.

(٢٥) في(ر): وقصد.

(٢٦) في(ك): وقصر بها على.

(٢٧) في(أ): ومنعت، وهو خطأ.

(٢٨) في(أ،ك): في الأسماء. والمثبت من(ب)، ولعله الصواب.

(٢٩) في(ر): لما.

(٣٠) هكذا في أكثر النسخ. وفي(أ،ك): بهما.

(٣١) في(ك): أن لا تعرى.

وإذا جاءت اللفظة[٣٤] مثناةَ اللفظِ أو مجموعة على حسب حال المخاطبين فهي على المعنيين.

وتبيينُ[٣٥] الموضع الذي يقصد فيه التبعيد وحده لِغرضٍ[٣٦] من الأغراض دون الخطاب والتبعيد معاً يمكن باستقراء[٣٧] كلّ لفظ[٣٨] في القرآن جاءت فيه « ذلك » والمخاطبون عِدّة.

وتأمّل[٣٩] موضعها مع تأمُّل المواضع الأُخَر التي[٤٠] ثُنِّيت فيها وجُمعت، واستنبطْ[٤١] حكمة تقتضي في ذلك الموضع استعمالها للتبعيد / وحده[٤٢] دون الخطاب[٤٣]، وسنتأمل هذا على استكمال[٤٤] في كل مكان إن شاء الله تعالى. [١٦/أ]

وجواب آخر عن المسألة وهو أن كل موضع أفردت فيه « الكاف » والخطابُ لجماعة، فإنما قصد بالكاف المفردة[٤٥] مخاطبةُ النبي ﷺ ، ثم العدول عنها[٤٦] إلى مخاطبة أمته كقوله عز من قائل:﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلّقوهن..﴾[الطلاق:١] فلم يمنعه

---

(٣٢) في(أ،ب): أحديهما.

في (أ): على حسب المقاصد.)٣٣ (

(٣٤) « اللفظة » أثبتت من(ر).

(٣٥) في(ر): ويتبين.

(٣٦) في(ك): بغرض.

(٣٧) في(ك): استقراء، بدون الباء.

(٣٨) في(ك): لفظة.

(٣٩) في(ب): فتأمل.

(٤٠) في(أ): وتأمل موضعها من تأمل المواضع الأخر الذي. والمثبت من(ب،ك).

(٤١) في(أ،ب): واستنباط. والمثبت من(ح،خ،ر).

(٤٢) ف(ب): واحدة.

(٤٣) يتضح مما سبق أن المصنف رحمه الله ذكر معنيين للكاف في "ذلك" وهما: الخطاب والتبعيد، وذكر الإمام الطبري توجيها غير هذا التوجيه الذي ذكره المصنف، حيث إنه رحمه الله يرى أن "ذلك" بمنزلة " هذا " في جريها كلمةً واحدة، وهي مركبة من الهاء و "ذا " الذي هو اسم الإشارة فيقول في تفسيره(٤٨٩/٢):« صارت الكاف - التي هي كناية اسم المخاطب - كهيئة حرفٍ من حروف الكلمة التي هي متصلة بها، وصارت الكلمة بها كقول القائل: " هذا "، كأنها ليس معها اسم مخاطب.

(٤٤) في(ك): استكمان.

(٤٥) في(ر): المفرد.

(٤٦) في(أ): عنه.

قوله:﴿ إذا طلقتم﴾ ـ وهو خطاب الجماعة[٤٧] ـ أن يفرَد للنبي ﷺ خطابا له[٤٨] مخصوصا موحّدا، وهو قوله:﴿يا أيها النبي﴾[٤٩].

وكذلك[٥٠] قوله تعالى:﴿ذلك يوعَظُ به من كان منكم يؤمن با لله..﴾[البقرة:٢٣٢] تكون[٥١] الكاف في «ذلك» لخطاب[٥٢] النبي ﷺ، والكاف في ﴿منكم﴾ خطاب لأمته، وكذا[٥٣] كل موضع جاءت الكاف فيه هذا المجيء[٥٤].

(٤٧) في(ر): لجماعة.

(٤٨) «له» ليست في(ك).

(٤٩) في(أ):﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن﴾ وفي(ب):﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾. والمثبت من(ك).

(٥٠) في(ب): فكذلك.

(٥١) «تكون» سقطت من(ك). وفي(ب): يكون.

(٥٢) في(ر): خطابا.

(٥٣) في(ك): وكذلك.

(٥٤) يعني أن كل موضع جاءت فيه الكاف موحدة يكون الخطاب فيه للنبي ﷺ. وقد جاءت الكاف موحدة في سورة البقرة، لأنه جاء الكلام فيه مؤكدا بزيادة ﴿منكم﴾ في قوله تعالى:﴿من كان منكم﴾ وجمع في سورة الطلاق فقال تعالى:﴿ذلكم يوعظ به﴾ لمّا لم يكن بعده ﴿منكم﴾.

[٢٢] الآية الثانية والعشرون[١]

قوله تعالى:﴿..فلا جُناحَ عليكم فيما فَعَلْنَ في أنفسهنّ بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾[البقرة:٢٣٤].

وقال في آخر هذه العشر:﴿..فإنْ خرَجْنَ فلا جُناحَ عليكم فيما فَعَلْنَ في أنفسهنَ مِن معروفٍ والله عزيزٌ حكيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٠].

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: ما الفائدة التي أوجبت اختصاص المكان الأول بالتعريف والباء فقال:﴿بالمعروف﴾ والمكان الثاني بالتنكير ولفظة ﴿من﴾[٣]؟

فالجواب[٤] عن ذلك أن يقال: إن الأول تعلّق بقوله:﴿والذين يُتوفّون منكم ويذَرون أزواجا يتربّصْن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلْن في أنفسهن بالمعروف..﴾[٥][البقرة:٢٣٤] أي: لا جناح عليكم[٦] في أن يفعلْن في أنفسهن بأمر الله المشهور[٧]، وهو ما أباحه لهن من التزوّج بعد انقضاء العدة، فالمعروف هاهنا أمرُ الله المشهور[٨]، وهو فعلُه و[٩]شرعه الذي شرعه وبعث عليه عباده.

والموضع[١٠] الثاني: أن المراد به: فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن من تزوّجٍ أو قعود، فالمعروف هاهنا فعلٌ من أفعالهن، يعرَف في الدين جوازُه، وهو بعض[١١] ما لهن أن يفعلْنه، ولهذا المعنى خُص بلفظة « من » وجاء نكرة.

فجاء « المعروف » في الأول[١٢] معرَّف[١٣] اللفظ لِما[١٤] أشرتُ إليه وهو أن يفعلن في أنفسهن بالوجه المعروف المشهور الذي أباح الشرع لهن ذلك[١٥]، وهو الوجه الذي دلّ الله عليه وأبانه، فعرف إذ كان معرفة مقصوداً نحوه[١٦]، وكذلك خصّ بالباء وهو للإلصاق. والثاني كان وجها من الوجوه التي لهن أن يأتينه، فأخرج مخرج النكرة لذلك.

---

(١) في(ك): الآية الثانية والعشرون من هذه السورة.

(٢) في(أ): للسائل أن يقول.

(٣) ذلك في قوله تعالى:﴿من معروف﴾.

(٤) في (ب): والجواب.

(٥) أثبتت الآية من (ب ، ك)

(٦) « عليكم » ليست في(ك).

(٧) « المشهور » ليست في (ب).

(٨) في(أ،ك): المشهود، والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٩) في(ب): أو.

(١٠) « والموضع » سقطت من(أ).

(١١) « بعض » سقطت من(أ).

(١٢) في (ب): في الأولى.

(١٣) كذا في أكثر النسخ، وفي(أ): معروف.

(١٤) في (ب): بما.

(١٥) في(ر): بدل « لِما أشرت إليه....لهن ذلك » :« لأن المعنى فيما فعلن في أنفسهن بالوجه المعروف من الشرع لهن، وهو الوجه الذي..»، وفي (أ): من ، بدل « لهن ».

(١٦) في (ر): وأبانه يُعرف إذ كان معرفة ويقصد نحوه.

[٢٣] الآية الثالثة والعشرون[١]

قوله عز وجل:﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كفارٍ أَثِيمٍ﴾[البقرة:٢٧٦].

وقال في سورة النساء[٣٦-٣٧] في الموضع الأول:﴿إنّ الله لا يُحِبُّ مَن كان مختالا فخورا ❁ الّذين يبخلون..﴾[٢].

وفي الموضع الثاني:﴿إنّ الله لا يُحِبُّ من كان خوّانا أثيما﴾[٣][النساء:١٠٧].

وقال / في سورة الحديد[٢٣-٢٤]:﴿والله لا يحب كلَّ مختال فخور ❁ الذين يبخلون..﴾. [١٦/ب]

للسائل أن يسأل عن المواضع الأربعة، عن اختلاف اللفظين في الموضعين[٤]، واتفاقهما في الموضعين[٥]، واختصاص الموضعين بالواو[٦]، واختصاص الموضعين الآخرين بـ« إنّ »؟[٧].

والجواب[٨] أن يقال:إن الآية الأولى في الكفار الذين استحلّوا ما[٩] حرّم[١٠] الله، وعارضوا ما أنزل الله فقالوا:﴿إنما البيع مثل الربا﴾[البقرة:٢٧٥] حتى قال:﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[البقرة:٢٧٥]، فعظّم الله تعالى[١١] كفرهم، وسمّى كل واحد منهم «كفارا »[١٢] على لفظ المبالغة، لأن « كفارا» بعد كافر، لمن هو مقيم[١٣] على الكفر، والكفرُ

---

(١) في(ك): الآية الثالثة والعشرون من هذه السورة.

(٢) قوله تعالى:﴿الذين يبخلون﴾ ليس في(ك).

(٣) في(ك):﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما﴾.

(٤) هما « كفار أثيم » في قوله تعالى:﴿والله لايحب كل كفار أثيم﴾ من سورة البقزة، و«خوان أثيم» في قوله تعالى:﴿إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما﴾ من سورة النساء.

(٥) هما « المختال الفخور » في قوله تعالى:﴿إن الله لايحب من كان مختالا فخورا﴾ من سورة النساء، وفي قوله تعالى:﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾ من سورة الحديد.

(٦) ذلك في قوله تعالى:﴿ والله لايحب كل كفار أثيم﴾ وفي قوله تعالى:﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾.

(٧) ذلك في قوله تعالى:﴿إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ وفي قوله:﴿إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما﴾ وصيغة السؤال في(ر): للسائل أن يسأل فيقول: ذكر في الآية الأولى: الكفار الأثيم، وفي الثانية: الخوان الأثيم، وفي الثالثة:المختال الفخور، فهل في مكان ما يوجب اختصاص اللفظ به؟ وما ذلك المعنى؟

(٨) في(ك): فالجواب.

(٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): لما.

(١٠) في(ب): ما حرمه.

(١١) « الله تعالى » أثبتت من(ب).

(١٢) في(ك): كفار.

(١٣) في(ك): عظيم، وهو خطأ.

عادته، كضارب وضرّاب، وخائط وخيّاط، ثم أتبعه بقوله:﴿أثيم﴾ أي: مبالغ(١٤) في اكتساب الإثم، و« أثيم » أبلَغ من « آثِم »، فإذا أثم إثما بعد إثم فالإثم عادته(١٥)، وهو وصف من أُخبر عنه بالاستحلال للربا(١٦)، سماه كفارا، وصار أثيما بذلك وسائر سيئات(١٧) الأفعال التي يلحقها بالكفر.

والموضع الثاني(١٨) وهو الأول من سورة النساء، أمرهم بالعبادة(١٩) وتركِ الشرك فقال:﴿واعْبُدوا ا للهَ ولا تُشْرِكوا به شيئا..﴾[النساء:٣٦] أخبرهم أنهم(٢٠) عبيد، والعبد(٢١) لايحسُن منه(٢٢) الاختيال(٢٣) والفخر، لأن الرق والذل يخالفانه، فلذلك عقّبه بقوله:﴿إنّ ا للهَ لا يُحِبُّ مَن كان مختالاً فخورا﴾(٢٤) وعقّبها(٢٥) بـ﴿الّذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾[النساء:٣٧]، لأنه بعد العبادة أمرهم بالإحسان للوالدين(٢٦) وإعطاء ذي القربى واليتامى(٢٧) والمساكين فقال:إن ا لله تعالى لا يحب العبد المختال الفخور البخيل.

وأما الموضع الثالث(٢٨) وهو الثاني من سورة النساء:﴿إن ا لله لايحب من كان خوانا أثيما﴾[النساء:١٠٧]، فلأنه(٢٩) ذكر قبله:﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن ا لله لا يحب من كان خوانا أثيما﴾ فأخبر عن حالهم(٣٠)، فاقتضى بتقدّم(٣١) الذكر هذاَ الوصفَ.

---

(١٤) في(ك): متابع، ولا وجه له.

(١٥) في(أ،ب،ك): فإذا كفر كفرا بعد كفر وأقام عليه. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(١٦) في(ح،خ،ر،س): وذلك كله باستحلالهم الربا، بدل « وهو وصف مَن أخبر عنه بالاستحلال للربا». وفي(ك):«ولربما »، بدل « للربا »، وهو خطأ.

(١٧) في(أ،ك): بنيات. وفي(ب): هيات. والمثبت من(د)، ولعل الصواب وا لله أعلم.

(١٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وهو الموضع الثاني. ومن هنا إلى قوله «وأما الموضع الثالث» صار خلل في(ر).

(١٩) في(ك): بالقتال.

(٢٠) في(ب): بأنهم.

(٢١) في(ب): والعبيد.

(٢٢) في(ب): منهم.

(٢٣) الاختيال: التكبر، والمختال: المتكبر.(لسان العرب١١/٢٢٨،خيل).

(٢٤) في النسخ التي عندي:﴿إن ا لله لا يحب كل مختال فخور﴾وذلك خطأ هنا في ترتيب الآية، ويدل على ذلك تعقيب الآية المثبتة في الأعلى بقوله تعالى:﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾. والمثبت من المصحف.

(٢٥) في(أ): وعقبهما.

(٢٦) في(ب): بالوالدين.

(٢٧) « واليتامى » سقطت من(أ).

(٢٨) في(ك): والموضع الثالث.

(٢٩) « فلأنه » ليست في(ب). وفي(ك): لأنه.

(٣٠) في(ر): فذكر فيه﴿الذين يختانون أنفسهم﴾ بدل « فأخبر عن حالهم ».

والموضع الرابع:﴿وا لله لا يُحِبُّ كلّ مختالٍ فخور﴾ في سورة الحديد[الآية:٢٣]، جاء بعد نهيه(٣٢) عن تمكين الحزن والأَسَا(٣٣) من النفس على ما يفوت من أحوال الدنيا، ويفجَع(٣٤) به الإنسان من مستفاد النُّعْمَى(٣٥) للعلم السابق بأنها عوارٍ(٣٦) مرتَجَعة(٣٧)، وكذلك إذا خوّل(٣٨) منها(٣٩) الكثير لا يمرح(٤٠) لحبّه(٤١) ولا يبطر(٤٢) فيه، كما قال:﴿ولا تمش في الأرض مَرَحاً﴾[الإسراء:٣٧] أي: فِعلَ المختال، فذمّ الإفراط في الجزع(٤٣) عند المصيبة(٤٤) والفجيعة(٤٥)، والغلوّ في الفرح، والمرَحَ عند العطيّة وكثرةِ السعة حتى يخرج عن(٤٦) التواضع بما يحوّل إلى الكبرياء فيبطَر ويمرح ويفخر(٤٧)، وقال عقيب ذلك(٤٨):﴿وا لله لا يحب كل مختال فخور﴾، وإنما عقّبها بـ﴿الذين يبخلون﴾[الحديد:٢٤] لأن المتقدم عليه ﴿إن المصّدّقين والمصّدِّقات وأقرضوا ا لله قرضا حسنا يضاعَف لهم..﴾[الحديد:١٨] فكأنه حثهم على الصدقة وإقراض(٤٩) ا لله تعالى، فإن من(٥٠) لم يفعل ذلك يكون بخيلا، وا لله تعالى لا يحب البخيل(٥١).

---

(٣١) في(أ،ب): مقدم، والمثبت من(ر،ك).

(٣٢) ذلك في قوله تعالى:﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم..﴾، سورة الحديد:٢٣.

(٣٣) قال في القاموس(ص١٦٢٦،أسى):« الأَسَا : الحزن ».

(٣٤) أي: يوجع به، وفي القاموس(٩٦٣،فجع): فجعه كمنعه: أوجعه.

(٣٥) النُّعْمى ـ بضم النون ـ: المال كما في القاموس المحيط(ص١٥٠٠،نعم). وفي(ك): البغي

(٣٦) عوارٍ جمع عاريةٍ، والعارية ـ مشددة وقد تخفف ـ، والعارة: ما تداولوه بينهم.(القاموس،ص٥٧٣عور).

(٣٧) أي معادة، يقال: رجع في هبته، إذا أعادها إلى ملكه وارتجعها.(المصباح،ص٢٢٠). والعارية مرتجعة لارتجاع صاحبها إياها. وفي(ر): ومرتجعة.

(٣٨) أي: إذا أعطي مالا كثيرا، وفي القاموس المحيط (١٢٨٧،خول):«خوّله ا لله تعالى المال: أعطاه إياه متفضلا».

(٣٩) " منها " أثبتت من(ح،خ،ر). وفي(ب): منه. وفي(ك): منه الكبير. ولفظ "منها " سقط من(أ).

(٤٠) أي: لايتوسع في الفرح ولا ينشط فيه، قال صاحب المفردات (ص٤٦٥):«المرح: شدّة الفرح والتوسع فيه».

(٤١) في(ب،ك): بحبه.

(٤٢) في(أ،ب): ولا ينظر. والمثبت من(ر،ح،خ،ك). ومعنى "ولايبطر فيه ":أي ولايجاوز الحد، قال في المفردات (ص٥٠):« البَطَر: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلّة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها».

(٤٣) الجَزع : أبلغ من الحزن، وهو حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه (كما في المفردات للراغب ص٩٢).

(٤٤) « المصيبة » ليست في(ر).

(٤٥) الفجيعة: المصيبة المؤلمة التي تفجع الإنسان. (اللسان٨/٢٤٥،فجع).

(٤٦) « عن » سقطت من(ب).

(٤٧) في(ر): ويفجر.

(٤٨) في(خ ،ر): وقال عقيب ذلك.

(٤٩) إقراض ا لله تعالى: هو إنفاق المال في وجوه البر التي يرضاها ا لله تعالى.

وأما[٥٢] الفرق بين الواو و« إن » فإن الواو في أكثر الأحوال لا تكون أجنبيـة مما قبلها بخلاف « إن » فإنها كلمة أجنبية من الكلمتـين وضعـت لابتـداء الكـلام، ففـي سورة البقـرة وسورة الحديد الكلامُ متصل بعضه ببعض، فذَكره بواوٍ حيث قال:﴿يمحـق ا لله الربـا ويربـي الصدقات / وا لله لا يحب كلَّ كَفّـار أثيـم﴾[٥٣] فوصلها بـالواو، وكذلـك في الحديـد:﴿ولا تفرحوا بما آتاكم وا لله لا يحب كل مختال فخور﴾. [١٧/أ]

والاختيال والفخر إنما يكونان من الفرح[٥٤]، فجمع بينهما بواوٍ.

وأما الموضعان الآخران في سورة النساء فقد تمّ الكـلام فيهمـا[٥٥]، لأن في الأول أمرهـم بالعبـادة وترك الشرك، والإحسان للوالدين[٥٦] وذي القربى واليتامى والمساكين[٥٧] وابن السبيل والجـار ومِلـك اليمين، وقد تمّت[٥٨] هذه الأوامر، ثم ابتدأ بقوله:﴿إن ا لله لا يحب من كان﴾ كذا وكذا.

وكذلك الموضـع الثاني، لأنـه[٥٩] نهـى النبي ﷺ عـن المجادلـة عـن الذيـن يختـانون أنفسـهم، [و][٦٠]تمّ الكلام ثم قال:﴿إن ا لله لا يحب من كان خوانا أثيما﴾ فـاختص كـل مكـان بـالوصف[٦١] الذي لاق به. والسلام[٦٢].

مضى الكلام فيما شابه[٦٣] من سورة البقرة مكانا آخر منها[٦٤] أو من غيرها على[٦٥] اثنين[٦٦] وثلاثين موضعا وقع فيها السؤال.

---

(٥٠) أثبتت من(د).

(٥١) في(أ،ك): البخل. والمثبت من(ب).

(٥٢) « وأما » سقطت من(أ).

(٥٣) قوله تعالى:﴿كل كفّار أثيم﴾ ليس في(ب،ك).

(٥٤) في(ك): المرح.

(٥٥) في(ب): فيها.

(٥٦) في(ب)ك بالوالدين.

(٥٧) قوله « والمساكين » ليس في(ك).

(٥٨) في(ك): ثبتت.

(٥٩) في(أ): لأن.

(٦٠) زيادة يقتضيها المقام.

(٦١) في(ب): الوصف، بدون الباء.

(٦٢) لفظ « والسلام » ليس في(ك).

(٦٣) في(أ): تشابه.

(٦٤) قوله « مكانا آخر منها » ليس في(ك).

(٦٥) في (أ): عن ، بدل «على ».

(٦٦) في(ر): أحد.

سورة آل عمران

[٢٤] الآية الأولى منها

قوله عز وجل:﴿كدأْبِ آل فرعونَ والّذين مِن قبلِهم كَذّبوا بآياتِنا فأخَذَهم اللهُ بذنوبهم واللهُ شديدُ العقاب﴾[آل عمران:١١].

وقال في سورة الأنفال[٥٢]:﴿كدأْبِ آلِ فرعونَ والّذين مِن قبلِهم كَفروا بآياتِ الله فأخَذَهم اللهُ بذنوبهم إنّ اللهَ قويّ شديدُ العقاب﴾[الأنفال:٥٢].

وبعدها بآية:﴿كدأْبِ آلِ فرعونَ والّذين مِن قبلِهم كَذّبوا بآياتِ ربِّهم فأهلكْناهم بذنوبهم وأغرقْنا آلَ فرعونَ وكلٌّ كانوا ظالمين﴾[الأنفال:٥٤].

للسائل أن يسأل[١] في هذه الآي عن مسائل:

منها في الآية الأولى عن قوله تعالى:﴿كذّبوا بآياتنا﴾ والعدول بعده عن الإخبار[٢] عن النفس[٣] بالاسم المضمَر إلى الاسم المظهَر، وهو قوله:﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ ولم يقل:فأخذناهم، وهل هاهنا[٤] فائدة توجب العدول عن إجراء الكلام الثاني مُجرى الكلام[٥] الأول في إسناد الفعل إلى ما أسند إليه فيما قبل؟

والمسألة الثانية أن يسأل عن الكاف في ﴿كدأب﴾ ووجه اتصالها بما قبلها وموضعها من الإعراب، لأنها بمعنى « مثل »، والكاف التي يصح مكانَها « مثلُ »[٦] محتوم[٧] على موضعها برفع أو نصب أو جر[٨]؟.

والمسألة الثالثة في الآية الثانية[٩] مخالفتها للآية الأولى في إجراء الخبر كله على لفظة واحدة، وهي لفظة « الله »، لأنه قال تعالى:﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم﴾[١٠] ولم يقل: كفروا بآياتنا، كما قال في الآية الأولى[١١]؟

---

(١) في(أ): سئل، بدل « للسائل أن يسأل ».

(٢) في(ر): الخبر.

(٣) في(ك): عن اليقين. وفي(ر): عن نفسه.

(٤) في(ك): فهل هنا.

(٥) « الكلام » ليس في (أ).

(٦) « مثل » سقطت من(أ).

(٧) في(ب،ك): محكوم.

(٨) في(ب): أو جر أو نصب.

(٩) هي الآية (٥٢) من سورة الأنفال.

(١٠) في(ب،ك):﴿..فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب﴾.

والمسألة الرابعة في الآية الثالثة(١٢)، وهي أنه قال:﴿كذّبوا بآيات ربّهم﴾ ولم يقل: بآياتنا، كما قال في الأولى، ولا « بآيات الله »(١٣) كما قال في الثانية، بل أتى بصفة من صفات الله عز وجل وهي(١٤) « الرب ».

والمسألة الخامسة عن فائدة التكرار في سورة الأنفال في موضعين(١٥) لا يحجر بينهما إلا آية واحدة؟

أما المسألة الأولى(١٦) [في](١٧)قوله ﴿كذبوا بآياتنا﴾، فوقع(١٨) الإخبار عن النفس(١٩) كما يجب في مثله إذا أخبر المتكلم عن نفسه بفعل فعله فأتى بلفظ المضمر دون المظهر ثم خالف ذلك(٢٠) اللفظ إلى غيره فقال:﴿فأخذهم الله﴾، فالجواب عن هذا(٢١) أن يقال: العدول عن النهج(٢٢) الأول المستمر في الإخبار عن / النفس إلى لفظ ظاهر(٢٣) هو لفائدة [١٧/ب] تتضمنها(٢٤) هذه اللفظة(٢٥) من الاحتجاج، وليست هذه الفائدة في لفظة(٢٦) الإضمار، وكانت الآية التي قبلها قد وقع فيها مثل هذا العدول إلى هذه اللفظة(٢٧) للاحتجاج الذي من أجله وقع العدول في هذا المكان إليه، وهو قوله تعالى:﴿ربنا إنك جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾[آل عمران:٩]، فقوله:﴿ربنا﴾ يقتضي أن يكون(٢٨) بعده: إنك لا

---

(١١) في(ب،ك): في الأولى.

(١٢) هي الآية (٥٤) من سورة الأنفال.

(١٣) في(ك):ليس في(ك): وكذا في الأولى. وليس في(ك): ولا بآيات الله.

(١٤) في(ب): وهو.

(١٥) في(ك): في موضع صغير.

(١٦) عرض هذه المسألة والتي بعدها لم يأت في (ح،خ،ر،س) اكتفاء بذكرها فيما سبق. والله أعلم.

(١٧) زيادة يقتضيها المقام.

(١٨) في(أ): وقع.

هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): عن اليقين.)١٩ (

(٢٠) في(ك): من، بدل " ذلك ".

(٢١) في(ب،ك): والجواب عن هذا.).

(٢٢) في(ك): المنهج.

(٢٣) « ظاهر » ليست في(ر).

(٢٤) في(ك): تضمنتها.

(٢٥) لفظ « اللفظة » ليست في (أ).

(٢٦) في(أ): لفظ.

(٢٧) « اللفظة » سقطت من(أ).

(٢٨) « أن يكون » سقطت من(ب).

تخلف الميعاد، كما قال:﴿ ربّنا وآتِنا ما وعدْتَنا على رُسُلِك ولا تُخْزِنا يومَ القيامة إنّك لا تُخلف الميعاد﴾[آل عمران:١٩٤].

فلما قال تعالى في هذا الموضع:﴿ربنا إنك جامع الناس لِيوم لا ريب فيه﴾ فكان[٢٩] المعنى: إنك خلقت الدار الأولى للتكليف، ومكّنت العباد فيها من الطاعة والعصيان، ورغّبت المطيع في الثواب وخوّفت العاصي من العقاب، فوقع منك وعدٌ ووعيدٌ[٣٠]، فأنت[٣١] تجمع الخلائق لِيوم الجزاء، لأن من خلق وأنعم نعمة حقّت بها العبادة، ولَزِمت[٣٢] من أجلها الطاعة، وهذا[٣٣] معنى قولنا[٣٤]: إن الله إذا وعد صدق، فلا خُلف في قوله، ولا تبديل لكلامه.

فلمّا كان معنى قولنا « الله » بمعنى « الإله »[٣٥]، والإله مشتق من أله يأله إلاهة، أي: عبد يعبد عبادة، فالإله[٣٦] هو الذي حقت عبادته لِما عظمت نعمته كان[٣٧] للعدول[٣٨] إلى هذه اللفظة للاحتجاج بمعناها فائدةٌ لم تكن[٣٩] لِتحصل، لو[٤٠] قال:إنك لا تخلف الميعاد[٤١].

فلمّا تقدمت هذه الآية[٤٢] التي وقع العدول فيها عن لفظة[٤٣] إلى لفظة لِما قصد من الاحتجاج بمعناه، كذلك[٤٤] بنيت هذه الآية[٤٥] التي تلتها[٤٦] عليها في مثل هذا[٤٧] الحكم

(٢٩) في(أ،ب،ك): وكان، والمثبت من(ح،خ،ر،س). وهو الأنسب، لأنه جواب « فلما ».

(٣٠) في(ح،خ،ر،ط):«فوقع منك وعد ووعيد، فرعبت من الوفاء بهما ». لعلها: فرغبت ورهبت من الوفاء بهما » فحصل تصحيف وسقط في العبارة .

(٣١) في(ك):وإنك. وفي(ط): بأنك.

(٣٢) في(أ): لزم.

(٣٣) في (أ): وهي.

(٣٤) في (أ): قوله.

(٣٥) في(أ): فلما كان معنى قولنا:الإله، والإله مشتق. وفيه سقط ظاهر.

(٣٦) في(ك): والإله. وحرف الجر « الباء » في قوله:بمعنى، أثبتت من(ح،خ،ر،س).

(٣٧) « كان » جواب لقوله « فلمّا كان ».

(٣٨) في(أ،ب،ك): العدول. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٣٩) في(ر): لم تحصل.

(٤٠) في(أ): له، بدل « لو » .

(٤١) توضيح ذلك: لمّا كان قوله تعالى:﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ يقتضي الحشر أظهر الاسم الجليل «الله» إشارة إلى تعظيم الموعود فقال:﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾. قال أبو حيان في النهر الماد(٣٨٧/٢):«عدل عن ضمير الخطاب إلى الاسم الظاهر وهو « الله » ولم يأت التركيب: إنك لا تخلف الميعاد، دلالة على الاستئناف، وأنه من كلام الله تعالى لا من كلام الراسخين، وقد يكون قوله:﴿إن الله﴾ من باب الالتفات، عدلوا من الخطاب إلى الغيبة لِما في ذكره باسمه الأعظم من التفخيم والتعظيم والهيبة».

(٤٢) هي قوله تعالى:﴿ربنا إنكا جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد﴾.

(٤٣) في(أ،ب): لفظ.

لِما ثبت من مثل هذا المعنى، فقال تعالى:﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا﴾ فأتى بضمير(٤٨) الفاعل، وكان يعقل من قوله:﴿كذبوا بآياتنا﴾ أنا عرضناهم للإيمان، ومكّنّاهم من الإسلام(٤٩)، وأزحنا(٥٠) العلة، ونصبنا الأدلة، فكذبوا بها. فالذي حقّت له العبادة، وعظمت منه(٥١) النعمة أخذهم بذنوبهم، والله تعالى يعاقب الكفار عقوبة تشتدّ عليهم(٥٢)، ولا تخفف(٥٣) عنهم، لِما قدّموا من العصيان ما استمر مثله(٥٤)، ولم ينقل(٥٥) عنه قدم(٥٦) ولا عقبه بعد الإصرار عليه ندمٌ، فهذه فائدة العدول إلى لفظة « الله » في قوله:﴿فأخذهم الله﴾(٥٧) دون قوله:فأخذناهم(٥٨).

المسألة الثانية أن يسأل عن الكاف في ﴿كدأب﴾ ووجه اتصالها بما قبلها وموضعها من الإعراب، لأنها بمعنى « مثل »، فالكاف التي يصح مكانَها « مثل » محكوم على موضعها برفعٍ أو نصبٍ أو جرٍّ؛

والجواب فيها(٥٩) **أن يقال:** يجوز أن تكون الكاف متعلقة بقوله:﴿..لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم..﴾(٦٠) فيكون(٦١) موضع الكاف نصبًا على معنى المصدر، كأنه قال:

---

(٤٤) في(أ): فكذلك. وفي(ب،ك): وكذلك. والمثبت من(ح،خ،ر،س). وهو الأنسب هنا،لأنه جواب «فلما تقدمت».

(٤٥) « الآية » سقطت من(ك).

(٤٦) في(أ،ب): تليها. والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

(٤٧) في(ب): هذه.

(٤٨) في(ب): بالضمير.

(٤٩) قوله:« مكناهم من الإسلام » ليس في(ر).

(٥٠) أي: نحّينا وأزلْنا، وفي المصباح المنير(ص٢٥٩): زاح الشيْءُ عن موضعه: تنحّى.

(٥١) في (ب): منها.

(٥٢) ذلك معنى قوله تعالى:﴿ والله شديد العقاب﴾.

(٥٣) في(ب): ولا تخف.

(٥٤) في(ر): عليه، بدل « مثله».

(٥٥) في(ر): ولم ينتقل.

(٥٦) « قدم » ليست في(ر).

(٥٧) في(ب):﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾.

(٥٨) قال الكرماني في البرهان في متشابه القرآن(ص١٤٣):« كان القياس: **فأخذناهم**، لكن لمّا عدل في الآية الأولى إلى قوله:﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ عدل في هذه الآية أيضا لتكون الآيات على منهاج واحد».اهـ

وقال الآلوسي في تفسيره(٣/٩٤):« والالتفات للتكلم أوّلا في ﴿آياتنا﴾ للجري على سنن الكبرياء، وإلى الغيبة ثانيا بإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة ».اهـ

(٥٩) في(ح،خ،ر):والجواب عن المسألة الثانية أنه يجوز أن تكون.. وفي(ك): فالجواب فيها. وفي(ب):فالجواب عنها.

(٦٠) الآية بتمامها:﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار﴾.

(٦١) من هنا إلى قوله « مثل ما لم تغن» سقط من(أ).

لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم(٦٢) مثلَ ما لم تغنِ عن آل فرعون، أي: إذا جاء عقاب الله لم يدفعه المال والولد، كما لم يدفع ذلك عن آل فرعون.

والدأب(٦٣) أصله الهمز، وهو العادة(٦٤)، وما أجري(٦٥) عليه قوم في معاملة.

ويجوز أن تكون الكاف متعلقة بمعنى قوله:﴿وَقود النار﴾(٦٦) كأنه قال: وأولئك(٦٧) يَصْلون(٦٨) النار كما أجرى الله حكمه(٦٩) عادة لآل فرعون.

وفيه وجه ثالث، وهو أن(٧٠) يكون موضع الكاف رفعاً على أنه خبر ابتداء، كأنه(٧١) قال: حال هؤلا مثل حال آل فرعون، ودأبهم كدأبهم(٧٢).

والمسألة(٧٣) الثالثة في الآية الثانية وهي(٧٤) مخالفة للآية الأولى في إجراء الخبر كله على لفظة واحدة وهي لفظة « الله »، لأنه قال:﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم﴾(٧٥)، ولم يقل : ﴿كذّبوا بآياتنا﴾ كما قال في الأولى(٧٦)، **والجواب / عن ذلك أن يقال**(٧٧):إنّ الآية التي [١٨/أ]

---

(٦٢) في(أ،ب،ك): وأولادهم. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٦٣) قال في الصحاح(١/١٣٣ دأب): «والدأب: العادة والشأن، وقد تحرك». وقال الطبري في تفسيره(٣/١٩١): «وأصل الدأب مِن دأبت في الأمر دأباً: إذا أدمنت العمل والتعب فيه، ثم إن العرب نقلت معناه إلى الشأن والأمر والعادة». وانظر معاني القرآن للزجاج(٢/٤٢٠).

(٦٤) في(ك): للعادة.

(٦٥) في(ك): جرى.

(٦٦) جزء من آخر الآية(١٠) من سورة آل عمران، وهو قوله:﴿..وأولئك هم وَقود النار﴾.

(٦٧) في(ب): أولئك.

(٦٨) في(ط): يحلون.

(٦٩) في(ح،خ،ر): كما أجرى الله بذلك حكمه..

(٧٠) من قوله « وأولئك يصلون » إلى هنا سقط من (أ).

(٧١) في(ب): وكأنه.

(٧٢) ذكر الزمخشري في تفسيره(١/٤١٤) هذه الوجوه الثلاثة في إعراب الكاف في قوله﴿كدأب﴾. ورجّح ابن عطية في تفسيره(٣/٣٣) الوجه الثالث، وهو أن تكون الكاف في موضع رفعٍ. وجرى على ذلك ابن الزبير في ملاك التأويل(١/٢٩٤) فقال:« إن الكاف متعلقة بمحذوف وهو الخبر للمبتدإ، إذ التقدير: دأبهم، أو دأب هؤلاء، أو هذا كدأب آل فرعون...» ثم قال:«وفي استقلال الجملة من قوله:﴿كدأب آل فرعون﴾ وعدمِ التعلق الإعرابي بما قبله في جملة أخرى جزالةُ اللفظ وقوة المعنى، فتأمّله».

(٧٣) في(ك): المسألة، بدون الواو.

(٧٤) في(أ): هي.

(٧٥) في (ب):﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قويّ شديد العقاب﴾.

(٧٦) أي في الآية (١١) من سورة آل عمران. قلت: في جميع النسخ: كفروا بآياتنا، والمثبت من المصحف.

(٧٧) في(ح،خ،ر،س): والجواب عن المسألة الثالثة أن يقال:

تقدّمت هذه[٧٨] هي قوله:﴿إذْ يقول المنافقون والّذين في قلوبهم مرضٌ غرَّ هؤلاءِ دينُهم ومَنْ يتوكّل على الله فإنّ الله عزيزٌ حكيمٌ﴾[٧٩][الأنفال:٤٩] فجرى الخبر في هذه الآية على اللفظ[٨٠] الظاهر، وهو:﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾، ثم جاء بعدها:﴿ولو ترى إذْ يتوفّى الذين كفروا الملائكة..﴾[الأنفال:٥٠]، ولم[٨١] يكن فيها[٨٢] خبر عن الله تعالى، وجاءت الآية التي هي:﴿كدأب آل فرعون..﴾ وفيها إخبار عن الله تعالى[٨٣]، فكان[٨٤] بناؤها على الآية التي[٨٥] قبلها[٨٦] أولى، كما كان في الآية التي[٨٧] في سورة آل عمران، فاقتضى[٨٨] بناؤها على الآية التي[٨٩] قبلها العدولَ عن لفظ الإضمار إلى لفظ[٩٠] الإظهار، ثم كان اللفظ الصريح في معناه احتجاجا[٩١] عليهم كما كان في اللفظ الذي عدل إليه في الآيتين المتقدمتين من قوله:﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾[آل عمران:٩] وقوله[٩٢]:﴿فأخذهم الله بذنوبهم)[الأنفال:٥٢].

والمسألة الرابعة في الآية الثالثة[٩٣] وهي[٩٤] أنه قال:﴿كذّبوا بآيات ربّهم﴾، ولم يقل: «بآياتنا»، كما قال في الأولى، ولا:« بآيات الله »، كما قال في الثانية، والجواب أن

(٧٨) اسم الإشارة يشير إلى قوله تعالى:﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله..﴾ سورةالأنفال:٥٢.

من قوله « فجرى الخبر » إلى هنا سقط من (أ).)٧٩ (

(٨٠) في(أ،ب،ك): لفظ. والمثبت من(ح،خ،ر).

(٨١) في(ب): فلم. وفي(ك): ولم يقل.

في (ب): فيه.)٨٢ (

(٨٣) ذلك في باقي الآية:﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب﴾ سورة الأنفال:٥٢.

(٨٤) في(ب): وكان.

(٨٥) هي قوله تعالى:﴿..ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ من الآية(٤٤) في سورة الأنفال.

في (ب): قبله.)٨٦ (

(٨٧) هي قوله تعالى:﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب﴾ الآية(١١) من سورة آل عمران

(٨٨) في(أ،ب): يقتضي. والمثبت من(ر،ك).

(٨٩) هي قوله تعالى:﴿ربنا إنك جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ الآية(٩) من سورة آل عمران، حيث عُدل فيها من الخطاب وهو في قوله:﴿ربنا إنك﴾ إلى الغيبة وهي في قوله:﴿ إن الله لا يخلف الميعاد﴾.

(٩٠) في(أ،ب،ك): لفظ. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٩١) في(ر): احتجاج.

في (أ): قوله، بدون الواو.)٩٢ (

(٩٣) هي الآية(٥٤) من سورة الأنفال.

(٩٤) في(أ): هي.

يقال[٩٥]: لمّا[٩٦] أخبر تعالى[٩٧] عن نعمته على عباده، وأنّ منهم مَن[٩٨] يغيِّرها بعصيانه فيستحق[٩٩] بذلك تغييرَ[١٠٠] النعمة عنه[١٠١]، وهو معنى قوله:﴿ذلك بأن الله لم يك مغيِّراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسِهم﴾[الأنفال:٥٣]، والمنعِم على عباده ربُّهم، لأنهم مربوبون[١٠٢] بنعمته، كان[١٠٣] القصد في هذه الآية إلى[١٠٤] ذِكر تنعيمِهم[١٠٥] في الدنيا، وتغيير النعمة عليهم فيها - إذ لم يقوموا بحقها - بعقاب[١٠٦] من عقاب الدنيا. مثلُه ما[١٠٧] يفعله بعض الناس ببعض، فلذلك قال:﴿فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون﴾[١٠٨][الأنفال:٥٤]، فكأنه[١٠٩] قال[١١٠]: كذبوا بآيات[١١١] مَن أقام في[١١٢] أنفسهم شواهد لربوبيته بتربيته إياهم بصنوف نعمته، ونقل الوليد عن أولى حالتَيْه[١١٣] إلى غيرها مما يبلغ به[١١٤] غاية قوته.

وسأشرح[١١٥] ذلك في جواب[١١٦] المسألة الخامسة، وهي السؤال عن فائدة التكرار في سورة الأنفال[١١٧] في موضعين[١١٨] لا يحجز بينهما إلا آية واحدة.

---

(٩٥) في(ح،خ،ر): والجواب عن الرابعة.

(٩٦) في(ك): أنه لمّا.

(٩٧) «تعالى» ليست في(ب،ك).

(٩٨) « من » سقطت من(ر).

(٩٩) في(ك): يستحق.

(١٠٠) في(ك): تغيّر.

(١٠١) في(أ): عليه. والمثبت من(ب،ك).

(١٠٢) في(ط): مربون.

(١٠٣) « كان » جواب « لمّا اخبر ». وفي(ب): كل، بدل « كان ».

(١٠٤) في(ك): التي.

(١٠٥) في(ر): نعيمهم.

(١٠٦) في(ك): لعقاب.

(١٠٧) في(ر): مما.

(١٠٨) قوله تعالى:﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ ليس في(أ).

(١٠٩) في(ب): كأنه.

(١١٠) « قال » ليس في(ب).

(١١١) في(ك): بآياتنا.

(١١٢) « في » أثبتت من(ح،خ،ر،س،و).

(١١٣) في(ك): ونقل الولد عن أول حالاته.

(١١٤) « به » سقطت من(أ).

(١١٥) في(ر): وسنشرح.

(١١٦) « جواب » أثبتت من(ب).

(١١٧) في(ح،خ،ر): كما مر. وليس فيها:« في موضعين لا يحجز بينهما إلا آية واحدة ».

وهذه المسألة قد(١١٩) أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال: أخبر الله تعالى عن إجراء العادة فيهم(١٢٠) بنوعين من العذاب مختلفين، وإذا كان كذلك لم يكن تكرارا(١٢١)، لأنه(١٢٢) ذكر في الآية الأولى(١٢٣) عقوبته إياهم عند الموت، والبشارةَ التي أتتهم بعذاب الحريق، وأنه(١٢٤) فعل(١٢٥) بهم ذلك كما فعله بآل فرعون، ومن كان قبلهم(١٢٦) من الكفار، ثم ذكر في الثانية ما يفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار، وما أجرى عليه(١٢٧) العادة في تعذيبه إياهم بعد الموت في القبور(١٢٨) وغيرها(١٢٩).

والجواب(١٣٠) عندي: أنه أخبر في الأولى(١٣١) عمّا عاقبهم به من العذاب الذي لم يملّك الناس إيقاعه، ولم يمكّن بعضَهم مِن(١٣٢) أن يفعل ببعضٍ مثلَه، وهو ضرب الملائكة وجوههم(١٣٣) وأدبارهم عند نزع أرواحهم، وإخبارُهم إياهم بمصيرهم إلى عذاب يحرقهم، وفي الثانية أخبر عمّا أنزله بهم من العذاب الذي مكّن الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك والإغراق، لأن ذلك مما أقدر الله تعالى العباد عليه(١٣٤).

---

(١١٨) ذلك في الآيتين(٥٢ ـ ٥٤) من سورة الأنفال.

(١١٩) في(ر): وقد.

(١٢٠) في(ر): منهم.

(١٢١) في(ر): وإذاً لم يكن تكرار.

(١٢٢) في(ب): الآية، بدل « لأنه ».

(١٢٣) هي قوله تعالى:﴿ولو ترى إذ يتوفّى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ سورة الأنفال: ٥٠.

(١٢٤) في(أ): وأنهم.

(١٢٥) في(ك): يفعل.

(١٢٦) « قبلهم » ليست في(ر).

(١٢٧) « عليه » ليست في(أ).

(١٢٨) كذا في أكثر النسخ، وفي(أ): القيامة، بدل « القبور ».

(١٢٩) لم أعثر على قائل هذا القول. وقد أورد الفخر الرازي هذا القول مختصرا من غير عزو إلى أحد.(التفسير الكبير ١٥/١٨٧)

(١٣٠) في (ب): والجواب.

(١٣١) في(أ،ب): الأول. والمثبت من(ح،خ،ر).

(١٣٢) « مِن » أثبتت من(ح،خ،ر،ك).

(١٣٣) في(أ): في وجوههم.

(١٣٤) ذكر الكرماني في البرهان في متشابه القرآن(ص٢٠٤) كلام الخطيب هذا من أول « قال الخطيب: قد أجاب عنها بعض أهل النظر...» إلى هنا بتصرّف يسير، ثم قال ـ أي الكرماني ـ:« قلت: وله وجهان آخران محتملان: **أحدهما**: كدأب آل فرعون فيما فعلوا. **والثاني**: كدأب آل فرعون فيما فُعِل بهم. فهم فاعلون في الأول، ومفعولون في الثاني. **والوجه الآخر**: ⟸

فالنوعان هما: العذاب(١٣٥) الأول من(١٣٦) أحكام الآخرة./ بعد ظهور أشراط [١٨/ ب] الساعة، والعذابُ الثاني من أحكام عذاب الدنيا، والذي(١٣٧) يبيِّن ذلك أنه قال في الآية الأولى(١٣٨): ﴿كفروا بآيات الله﴾(١٣٩) فأخبر عن أعظم(١٤٠) ما ارتكبوه، وهو الكفر، وذكر « آيات الله » وهو(١٤١) الاسم الذي يفيد استحقاق العبادة التي هي مضادة الكفر، كما قال في سورة آل عمران[١١]: ﴿كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أي: أخذهم مَن أنعم عليهم ـ لِيشكروا ـ لمّا عصوا وكفروا بذنوبهم التي ارتكبوها.

ثم قال: ﴿والله شديد العقاب﴾ والمراد به عقاب الآخرة كما قال: ﴿..ولَعذابُ الآخرةِ أشدّ..﴾[طه:١٢٧]، ويشهد لذلك قوله في الثانية ﴿كذّبوا بآيات ربهم﴾(١٤٢) فذكر هذا الاسم(١٤٣) دون غيره، لأن فيه معنى: أنه نعّمهم وربّاهم(١٤٤) وقام بمصالحهم حتى بلغوا حدّ التكليف، والمبلغ الذي قدروا فيه على أداء حقّ الإنعام.

فلمّا غيّروا ما أنعم الله به عليهم عن جهته، وصرفوه إلى معصيته وتقوّوا بنعمته على مخالفته سلبهم ذلك في الدنيا بأن(١٤٥) عجّل هلاكهم فأغرقهم.

فالعقاب الموجود(١٤٦) ذِكره في الآية(١٤٧) الأخيرة مما يفعله أهل الدنيا بعضهم ببعض، فذكره عقيب إنعامه عليهم وتغييرهم له بوضع الكفر موضع الشكر، فغيّر الله سابقَ الإنعام بيد الانتقام(١٤٨) وكما(١٤٩) غيّروا غُيِّر عليهم.

---

(١٣٥) في(ب): فالعذاب.

(١٣٦) في(ب): ومن.

(١٣٧) في(أ): الذي.

(١٣٨) يعني الآية الأولى (٥٢) من سورة الأنفال. وفي(ب،ك): قال في الأول.

(١٣٩) في جميع النسخ الخطية والمطبوعة: كذبوا بآيات الله، وهو خطأ. والمثبت من المصحف.

(١٤٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): بعض، بدل " أعظم ".

(١٤١) أي لفظ الجلالة.

(١٤٢) قال ابن الزبير في ملاك التأويل(٢٩٢/١):« فإيراد قوله: ﴿كذبوا بآيات ربهم﴾ مع ما تقدم، أوقع في نفوسهم، وأشد في تحسّرهم وندامتهم، إذ شاهدوا الأمر فعَلموا أنه مالكهم، وأنه ابتدأهم بالنعم، فغيروا فحصل من ذلك أنهم قابلوا نِعم ربهم بالكفر مع بيان الأمر ووضوحه».

(١٤٣) أي اسمه تعالى « الرب ».

(١٤٤) في(أ،ب،ك): وربهم، والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(١٤٥) « بأن » ليسيت في(ب).

(١٤٦) في(أ): فالعذاب الموجود، وفي(ب): فالعقاب المؤخر، وفي(ك): فأغرقهم بالعقاب المؤخر.

(١٤٧) « الآية » ليست في(أ).

(١٤٨) في(ك): في الانتقام، بدل « بيد الانتقام».

(١٤٩) في(أ): كما. وفي(د،ط): وكلما.

فالعقاب الأول أولى أن يكون المراد بـه عـذاب الآخرة، لأن فيـه الإخبـار بـالإحراق. والثاني هو العذاب بالإغراق مثل قوله تعالى:﴿..وذوقوا عذاب الحريـق﴾[الأنفـال:٥٠] ويعقبـه قوله(١٥٠):﴿..كفروا بآيـات الله فـأخذهم الله بذنوبهـم﴾[الأنفـال:٥٢]. وقولـه في سـورة آل عمران[١٠]:﴿وأولئك هم وقود النار﴾(١٥١) فذكر أنهم وقود النار(١٥٢)، وذلك في الآخرة، ثم قال:﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ فذكر الاسم الذي يفيد ما هو حجة عليهم كما ذكرتُ قبلُ(١٥٣).

وجواب آخر، وهو أنه يجوز أن يكون الأول خبرا عن عـادتهم في الأَشَـر(١٥٤) والبطر والطغيان عند الاستغناء، والمعنى: جرت عادتهم بمقابلة الإحسـان بقبيـح العصيـان، ويكـون الأخير(١٥٥) بعد ذكر الله معاقبتهم على فعلهم خبراً عمّا أجرى الله تعالى به العادة في عقاب مثلهم، فكان(١٥٦) معنى(١٥٧) الأول عُوِّدوا من أنفسهم عادة، ومعنى الثاني: عوّدوا إذا فعلـوا ذلك عـادة، وهـي سلبِ نعمـة الدنيـا، والنقـل إلى عـذاب الآخـرة(١٥٨). والله تعـالى أعلـم بالمراد(١٥٩).

---

(١٥٠) في(ب): بقوله.

(١٥١) في(ب،ك):﴿..وأولئـك هـم وقـود النـار كـدأب آل فرعـون والذيـن مـن قبلهـم كذبـوا بآياتنـا فـأخذهم الله بذنوبهم..﴾ الآيتان(١٠،١١) من سورة آل عمران.

(١٥٢) قوله:« فذكر أنهم وقود النار » ليس في(أ).

(١٥٣) هكذا في(ب،ك)، وفي(أ): كما ذكر.

(١٥٤) قال في اللسان(٤/٢٠ أشر): الأَشَرُ: البطَر.

(١٥٥) في(ك): كالأخير.

(١٥٦) في(ك): وكان.

(١٥٧) في(ب): المعنى الأول.

(١٥٨) في(ب): الأخرى.

(١٥٩) قوله:« والله تعالى أعلم بالمراد» ليس في(ك).

[٢٥] الآية الثانية منها

قوله تعالى:﴿ويعلّمه الكتابَ والحكمةَ والتّوراةَ والإنجيلَ ﴾ ورسولاً إلى بني إسرائيلَ أنّي قدْ جئتُكم بآيةٍ مِن ربّكم أنّي أخْلُقُ لكم من الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فأَنْفُخُ فيه فيكونُ طَيراً بإذنِ الله وأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأبرصَ وأُحْيِي الموتَى بإذنِ الله وأنبِّئكم بما تأكلون وما تدّخِرون في بيوتكم..﴾[آل عمران:٤٨-٤٩].

وقال في سورة المائدة[١١٠]:﴿..وإذْ تخلُقُ مِن الطّين كهيئةِ الطّير بإذني فتنفخُ فيها فتكونُ طيراً بإذني..﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[(١)]: إذا كان المذكور في الموضعين﴿كهيئة الطير﴾ وصلح أن يعود الضمير إلى[(٢)] مذكّر و إلى مؤنث، فيراد مثل هيئة الطير، وهو مذكّر، أو يراد هيئة كهيئة الطير، وهي مؤنثة، فما بال ما في آل عمران خصّ بالتذكير، وما في سورة المائدة[(٣)] خص بالتأنيث؟

فالجواب[(٤)] أن / يقال: إن الأول الذي[(٥)] ذكّر الضمير فيه إنما هو فيما أخبر[(٦)] الله عز وجل به[(٧)] عن عيسى ـ على نبينا وعليه السلام ـ ، وقوله ـ عليه السلام ـ لبني إسرائيل[(٨)]:﴿..أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ وعدّ الآيات كلّها عليهم، منها[(٩)]: أني آخذ من الطين ما أصوّر منه صورة على هيئة[(١٠)] الطير في تركيبه، فأنفخ فيه، فينقلب حيوانا لحما، قد ركّب[(١١)] عظما وخالط دماً[(١٢)] واكتسى ريشا وجناحا كالطائر الحيّ، والقصد في هذا المكان إلى ذكر[(١٣)] ما تقوم[(١٤)] به حجته[(١٥)] عليهم[(١٦)]، وذلك[(١٧)] أول ما يصوّر الطين على هيئة الطير، ويكون واحدا تلزم به الحجة، فالتذكير[(١٨)] أولى به. [١٩/أ]

---

(١) في(أ): للسائل أن يقول.

(٢) « إلى » سقطت من(أ).

(٣) في(أ،ك): وما في المائدة. والمثبت من(ب).

(٤) في(أ): فالجواب. وفي(ب): الجواب. والمثبت من(ك،ر).

(٥) « الذي » سقطت من(ك).

(٦) في(أ،ك): في إخبار الله عز وجل.

(٧) « به » سقطت من(أ).

(٨) « لبني إسرائيل » سقطت من(ب).

(٩) « منها » سقطت من(ب).

(١٠) « هيئة » تكررت في(ك).

(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ): قد تركب فيه.

(١٢) في (ر): خالطه دم.

(١٣) « ذكر » سقطت من(أ).

(١٤) في(ك): يقوم.

والآية[١٩] في سورة المائدة المخصوصة بتأنيث الضمير[٢٠] العائد إلى ما يخلقه[٢١]، هي في ذكر ما عدّد[٢٢] الله من النعم[٢٣] على عيسى ـ عليه السلام ـ وما أصحبه إياه من المعجزات وأظهر[٢٤] على يده من الآيات، وابتداؤها:﴿إذْ قال الله يا عيسى ابنَ مريمَ اذكُرْ نعمتي عليك وعلى والدتِك إذْ أيّدتُك بروح القدسِ تُكلِّم النـاسَ في المَهد وكهلاً وإذْ علَّمتُك الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ وإذ تخْلُقُ من الطّين كهيئةِ الطّير بإذني فتنْفُخ فيها فتكون طيراً بإذني..﴾[المائدة: ١١٠]، والإشارة في هذه[٢٥] الآية ليست إلى أول ما يُبديه لبني إسرائيل من ذلك محتجاً به عليهم، وإنما هي إلى جميع ما أذن الله تعالى في كونه دلالة على صدقه مِن قبيل الصور[٢٦] التي يصوّرها من الطين[٢٧] على هيئة الطير[٢٨]، وذلك جمع والتأنيث أولى به[٢٩].

---

(١٥) في(ب): حجة.

(١٦) قال ابن عطية في تفسيره(١٢٩/٣):«كونُ عيسى عليه السلام خالقاً بيدِه ونافخاً بفيه إنما هو ليبين تلبُّسه بالمعجزة، وأنها جاءت من قِبله، وأما الإيجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له».

(١٧) في(ب،ك): وذا.

(١٨) في(ب): والتذكير.

(١٩) في(أ،ب،ك): والتي. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٢٠) في(ب): بتاء تأنيث الضمير، وهو خطأ، لأن المراد هن الهاء في قوله:« فيها ».

(٢١) في(أ،ب،ك): يلحقه. والمثبت من(ح،خ،ر).

(٢٢) في(ب،ك): عدّ.

(٢٣) في(ك): من النعمة.

(٢٤) في (ر ، ك): وأظهره.

(٢٥) في(أ،ب،ك): إلى هذه. والمثبت من(ح،خ،و).

(٢٦) في(ك): من قلب الصورة.

(٢٧) « من الطين» سقطت من(أ).

(٢٨) ذكر العلماء أقوالا أخرى في تذكير الضمير في قوله:﴿فأنفخ فيه﴾، وتأنيثه في قوله:﴿فتنفخ فيها﴾، فمنها قيل: الضمير في « فيه » يعود إلى الطين، وقيل: إلى الطير، وقيل: إلى الشيء المهيّأ، وقيل:إلى الكاف في قوله:﴿كهيئة الطير﴾ فإنه في معنى « مثل ». وأما الضمير المؤنث في « فيها » فيحتمل أن يعود إلى الهيئة أو على تأنيث الجماعة في قوله:﴿الطير﴾.ينظر تلك الأقوال: البرهان للكرماني،ص١٤٥. الفريد في إعراب القرآن المجيد،٥٧٥/١. البحر المحيط١٦٣/٣. وقال ابن عطية(١٠٠/٥):« فالوجه أن يقال في عود الضمير المؤنث، إنه عائد على ما تقتضيه الآية ضرورة، وذلك أن قوله:﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ يقتضي صوراً أو أجساماً أو أشكالاً، وكذلك الضمير المذكر يعود على المخلوق الذي يقتضيه ﴿تخلق﴾» ثم قال: ولك أن تعيده على ما تدل عليه الكاف من معنى المثل، لأن المعنى: وإذ تخلق من الطين مثل هيئته. ولك أن تعيد الضمير على الكاف نفسه فيمن يجوّز أن يكون اسماً في غير الشعر، وتكون الكاف في موضع نصب صفةً للمصدر المراد، تقديره: وإذ تخلق خلقاً من الطين كهيئة الطير» . اهـ.

(٢٩) « به » سقطت من(ك). وفي(ح،خ): وذلك جماعة، والتأنيث بها أولى.

مسألة في ذلك: قد قال بعض أهل النظر(٣٠) في معنى(٣١) هذه الآية إنما قال(٣٢):﴿..فيكون طيراً بإذنِ اللهِ وأُبرىء الأكمهَ والأبرصَ وأُحيي الموتى بإذن الله..﴾(٣٣)، فذكر إذن الله(٣٤) في هذين الموضعين(٣٥)، ولم يقل(٣٦) " بإذن الله " في قوله:﴿..أني أخلُقُ لكم من الطين كهيئة الطير﴾ ولا في قوله:﴿فأنفخ فيه﴾ ولا(٣٧) في قوله:﴿وأنبِّئكم بما تأكلون وما تدّخِرون في بيوتكم..﴾، لأن ما وصفه من هذه الأفعال إنما هي أفعاله، ولم تكن أفعالاً لله تعالى، فلهذا لم يذكر أن ذلك كان بإذن الله، كما ذكر الإذن فيما وصفه من قبلُ مما فعله(٣٨) الله عز وجل دونه، وذلك أنه لم يعنِ بالإذن أمره له بأن يطيعه في ذلك، وإنما عنى به أن الله تعالى هو الذي فعله، فلهذا جعل ذِكر الإذن فصلاً بين(٣٩) فعله وفعل الله تعالى. انتهى كلامه.

قلت:ذلك سهوٌ منه، لأن الذي ذكر أنه لم يذكر معه إذن الله، لأنه مِن فعل عيسى ـ على نبينا وعليه السلام ـ(٤٠)، فقد نطقت سورة المائدة بخلافه، وهو قوله تعالى:﴿..وإذ تخلُق من الطّين كهيئةِ الطّير بإذني فتنفُخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾[المائدة:١١٠] فسوىّ بين الفعلين(٤١) اللذين ذكرهما(٤٢) مَن حكيتُ(٤٣) كلامَه أنهما مختلفان(٤٤)، وأن أحدهما فِعل عيسى عليه السلام، فلهذا لم يذكر معه الإذن،

(٣٠) لم أعثر على هذا القائل فيما رجعت إليه.

(٣١) « معنى » أثبتت من(ك،ر).

(٣٢) « إنما قال » ليست في(أ).

(٣٣) في(ك): فيصير طيراً..،وهو خطأ.

(٣٤) « فذكر إذن الله » سقطت من(أ،ك)، وأثبتت من(ب).

(٣٥) هما:﴿فيكون طيرا بإذن الله﴾ و﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾.

(٣٦) « ولم يذكر إذن الله » سقطت من(أ،ك)، وأثبتت من(ب). قلت:قال الفخر الرازي في معنى﴿إذن الله﴾:((معناه: بتكوين الله تعالى وتخليقه لقوله تعالى:﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله﴾ أي: بأن يوجِد الله الموت. (التفسير الكبير٦٣/٨).

(٣٧) في(أ): إلا.

(٣٨) في(ك): يعلمه.

(٣٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): من.

(٤٠) « على نبينا وعليه السلام » ليست في(أ،ك).

(٤١) أي فِعل الله عز وجل وفِعل عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٤٢) في(ب،ك): ذكر، من غير « هما ».

(٤٣) في(ب): كتبت.

(٤٤) في(ب): مختلفين.

والآخرَ فِعلُ غيره[٤٥]. ثم قال تعالى:﴿..وتُبرئ الأكمهَ والأبرص بإذني وإذْ تُخرجُ الموتى بإذني..﴾[المائدة: ١١٠].

فذكر الإذن في أربعة مواضع[٤٦] لأفعال عيسى عليه السلام، وهذا[٤٧] دلّ على أنّ[٤٨] ما ذهب إليه مَن ذكرتُ[٤٩] كلامه بذكر الإذن في فعلين من سورة آل عمران على أنهما فِعل الله تعالى، وما لم يذكر[٥٠] معه الإذن فِعل عيسى ـ عليه السلام ـ باطلٌ[٥١].

وقد رأيت أنّ[٥٢] ما اعتدّ[٥٣] به الله[٥٤] ـ سبحانه ـ عليه[٥٥] في سورة المائدة ينطق أن ما ذكر أنه بغير إذنه هو بإذنه[٥٦]. وإذا كان كذلك وجب أن يكون المعنى في الآية من آل عمران:﴿أنّي أخلُقُ لكم من الطّين كهيئة الطّير﴾ أقلّبه ـ بعد التركيب على مثال الطائر ـ لحما ودماً وعَظماً، ثم بالنفخ فيه أجعله حيوانا، وكلّ ذلك بإذن الله تعالى، ويكون معنى قوله﴿فيكون طيراً بإذن الله﴾ راجعاً إلى كلِّ ما ذكر أنه يفعله من مبتدإ / قوله:﴿أني أخلقُ لكم من الطين كهيئة الطير﴾ فجميع تلك الأفعال واقعة[٥٧] بإذن الله تعالى، وإذنُ الله عبارة عن إرادته وخلقه على يده، فسهّل ذلك على[٥٨] عيسى ـ على نبينا وعليه السلام ـ عند الاحتجاج به. وإبراء الأكمه[٥٩] والأبرص[٦٠] وإحياء الموتى ثلاثة أفعال لا تكون إلا بإذن الله تعالى. [١٩/ب]

---

(٤٥) في(أ): وأن أحدهما فعل عيسى والآخر فعلهن فلهذا لم يذكر معه الإذن. وفي(ب): وأن أحدهما فعل عيسى والآخر فعل غيره. وفي(ك):«لم يكن» بدل «لم يذكر». والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٤٦) المواضع الأربعة هي: في سورة آل عمران في موضعين:﴿فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾ ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾، وفي المائدة في موضعين أيضا وهما:﴿وإذ تخلُق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ ﴿فتنفخ فيه فتكون طيراً بإذني﴾

(٤٧) قوله: « عيسى عليه السلام، وهذا » ليس في(أ،ب،ك). وأثبت من(ح،خ،ر،س).

(٤٨) « على أن » ليست في(أ،ب،ك). وأثبتت من(ح،خ،ر،س).

(٤٩) في(أ): ذكرنا.

(٥٠) في(ب): ولم يذكر.

(٥١) « باطل » أثبتت من(خ).

(٥٢) « أن » زيادة من (خ).

(٥٣) هكذا في(أ،ح،خ). وفي(ب): ما عند. وفي(ك): أعدّ.

(٥٤) « به الله » سقطت من(أ،ك). وأثبتت من(ب،د).

(٥٥) أي: عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاى وأزكى التسليم.

(٥٦) في(ب): إذنه.

(٥٧) في(خ): واقع.

(٥٨) « على » سقطت من(أ).

(٥٩) الأكْمه: هو الذي يولد من أمه أعمى.(مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٣/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ١٠٥).

وقوله:﴿وأنبِّئُكم بما تأكلون وما تدّخِرون في بيوتكم﴾ هذا وإن كان إخباراً من عيسى ـ عليه السلام ـ وفعلاً من أفعاله فإنه لا يصح أن يكون إلا بإذن الله، وإلا فما يعلم ما يفعلونه من بيوتهم مما هو غيب عنه إلا بإذن الله عز وجل للملائكة وإطْلاعه عليه[٦١]. وبالله التوفيق.

---

(٦٠) البَرَص : هو بياض يقع في الجسد، ورجل أبرصُ، وحيّة برصاء: في جلدها لُمع بياض.(لسان العرب٧/٥،برص).

(٦١) بحث السمين الحلبي في الدر المصون(٣/١٩٩) عن السبب في ذكر لفظ ﴿ بإذن الله ﴾ فقال:« قيّد قولَه:﴿أني أخلق﴾ إلى أخره ﴿بإذن الله﴾ لأنه خارق عظيم، فاتى به دفعاً لتوهُّم الإلهية، ولم يأتِ به فيما عُطِف عليه في قوله:﴿وأبرئ﴾ ثم قيّد الخارقَ الثالث أيضاً ﴿بإذن الله﴾ لأنه خارقٌ عظيمٌ أيضاً، وعَطف عليه قولَه:﴿وأنبِّئكم﴾ من غير تقييد له منبِّهَةً على عِظم ما قبلَه ودفعاً لوهْم مَن يتوهَّم فيه الإلهيةَ، أو يكون قد حَذَفَ القيدَ من المعطوفين اكتفاءً به في الأول، **وما قدّمته أحسنُ** ».(ينظر:التفسير الكبير٨/٦٣، البحر المحيط٣/١٦٦).

[٢٦] الآية الثالثة منها

قوله تعالى:﴿إنّ ا للهَ ربّي وربُّكم فاعبُدوه هذا صراطٌ مستقيمٌ﴾[آل عمران:٥١].

وقال في سورة مريم مثله[١].

وقال في سورة الزخرف[٦٤] حكايةً عمّن حكى عنه[٢] في السورتين[٣]:﴿إنّ ا للهَ هو ربّي وربُّكم فاعبُدوه هذا صراطٌ مستقيمٌ﴾، فزاد « هو » في هذه الآية من هذه السورة[٤].

للسائل[٥] أن يسأل عمّا أوجب اختصاصها[٦] بهذا التوكيد دون الموضعين الأوّلين، وهي كلها فيما أخبر ا لله تعالى به عن عيسى ـ عليه السلام ـ؟

والجواب أن يقال: إنما لم يجب في الأوّلين من التوكيد ما أوجبه[٧] اختيار الكلام في الموضع الثالث[٨]، لأن قوله[٩] عز وجل:﴿إن ا لله ربي وربكم فاعبدوه﴾ حكاية عن عيسى ـ عليه السلام ـ بعد ما مضت آيات كثيرة في ذكره. وابتداءُ[١٠] أمره من مبتدإ الآية التي نزلت في شأن مريم، وهي:﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن ا لله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين﴾[آل عمران:٤٢] إلى آخر هذه[١١] العشر[١٢].

فلمّا تناصرت هذه الآيات المتقدمة في ذكره، ودلّت على إحداثه[١٣] وخلقه، كانت فيها دلالة[١٤] على أنه مربوب مصنوع بكثرة[١٥] الأفعال التي أسندت إليه، وجُعلت آياتٍ له، وأنه عبد من عبيده، وا للهُ ربه ومالِكه والقائم بمصالحه، وأنه أصحبه معجزاتٍ تدل على

---

(١) هو قوله تعالى:﴿وإن ا لله ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ الآية (٣٦) من سورة مريم.

(٢) أي عن عيسى علي نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٣) قوله " حكاية عمن حكى عنه في السورتين " زيد من(خ،و).

(٤) أي من سورة الزخرف.

(٥) في(ب): وللسائل. وفي(ك): فللسائل.

(٦) أي: اختصاص آية سورة الزخرف.

(٧) في(أ): أوجب.

(٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): في المواضع الثلاث.

(٩) في(ب): في قوله.

(١٠) في(ب): فابتداء.

(١١) في(ح،خ،ر،ك): هذا.

(١٢) آخر هذا العشر قوله تعالى:﴿إن ا لله ربي وربكم فاعبدوه..﴾ الخ..، من الآية(٥١) في سورة آل عمران.

(١٣) أي على إيجاده.

(١٤) في(أ،ب،ك): دلالة فيها. والمثبت من(ح،خ،د).

(١٥) أي: مع كثرة.

صدقه في نبوته، وكذبِ[١٦] من قال ببنوّته[١٧]، فصرفتهم تلك الأفعالُ التي تقدّم ذِكرها إلى العلم بأنه[١٨] تعالى ربُّه.

وكذلك في سورة مريم جاء قوله:﴿وإنّ الله ربي وربكم﴾ بعد ما مضت آيات كثيرة ابتداؤها[١٩]:﴿واذكر في الكتاب مريم..﴾[مريم:١٦]. وبعد[٢٠] عشرين آية مرّت في قصتها قال:﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾[مريم:٣٦] وكانت[٢١] تلك العشرون آية[٢٢] ناطقة بأن الله تعالى ربه، فاكتفى بما طال[٢٣] من الكلام المؤكّد لحاله[٢٤] على حقيقتها عن التوكيد الذي جاء في سورة الزخرف، لأنه لم يذكر هذه الآية إلا بعد قوله:﴿ولمّا جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأُبيِّنَ لكم بعضَ الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ◆ إن الله ربي وربكم فاعبدوه..﴾[٢٥] [الزخرف:٦٣- ٦٤].

فالموضع الذي خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى ربه، وهو عبده، لا ابنُه[٢٦] حسُن تأكيدُ الكلام[٢٧] فيه[٢٨] صرفاً للناس عمّا ادّعوه من أنه ابن الله إلى أنه عبده.

---

(١٦) في(ك): وكذا.

(١٧) الذين قالو ببنوّة عيسى عليه السلام هم النصارى، قالوا في المسيح عيسى ابن مريم: المسيح ابن الله، كما قالت اليهود في عزير: عزير ابن الله، وفي ذلك يقول تعالى:﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله..﴾ التوبة: ٣٠. **وشبهتهم** في هذا: هي أن عيسى قد وُلد من مريم ـ عليهما السلام ـ دون أن تتصل أمه مريمُ برجلٍ، وجهلوا أن هذا الميلاد وإن كان خارجاً عن مألوف الحياة فإنه ليس خارجا عن قدرة الله التي لايقيّدها قيدٌ من عادةٍ أو مألوفٍ.

(١٨) في(ك): أنه.

(١٩) سقط من (أ).

(٢٠) هكذا في أكثر النسخ. وفي(أ): بعد، بدون الواو.

(٢١) في(ب،ك): فكانت.

(٢٢) في(ب): الآية.

(٢٣) في(ك): قال.

(٢٤) في(ب،ك): بحاله.

(٢٥) أثبتت الآيتان من (ب ، ك).

(٢٦) في (ر): لا أنه.

(٢٧) في(ب): تأكيدا للكلام.

(٢٨) أي: في الموضع الذي خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى رب عيسى عليه السلام، وذلك في سورة الزخرف بخلاف سورتي آل عمران ومريم حيث جاء فيهما آيات دالة على إبطال بُنوّة عيسى عليه السلام.

ألا ترى قوله(٢٩) في سورة مريم:﴿ما كان لِلّه أن يتّخِذ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه..﴾(٣٠)[مريم:٣٥ - ٣٦].

واعلم أن التأكيد بقولك « هو » في مثل هذا الموضع يكون (٣١) لأحد وجهين، إما أن تريد(٣٢) أنه على الصفة التي جعلتها خبراً عنه(٣٣)، لا على غيرها، وإما أن تريد(٣٤) أن صاحب هذه الصفة التي جُعلتْ خبراً عنه(٣٥) إنما هو فلان، لا غيره.

إذا قال القائل: إنّ زيداً هو أخوك، أي هو صديقك لا عدوّك، أو يريد أن يقول: هو أخوك لا عمرو، فكذلك قوله تعالى:﴿إن الله هو ربي وربكم﴾ يحتمل أن يريد التأكيدين أن يريد أنه هو خالقي والقائم بمصالحي، لا غيره من الآلهة التي ترون عبادتها، وأن يريد أنه هو ربي، لا أبي كما زعمت النصارى، تعالى الله عن أن يكون له ولد(٣٦) / . [٢٠/ب]

---

(٢٩) في(ب،ك): إلى قوله.

(٣٠) يريد المصنف ـ رحمه الله ـ أن يشير إلى أنه قد تقدم في سورة مريم ما يبطل زعم النصارى في قولهم:أن المسيح ابن الله، وذلك في قوله تعالى:﴿ما كان لِلّه أن يتخذ من ولدٍ سبحانه..﴾، ولذلك لم يحتج قوله تعالى:﴿وإن الله ربي وربكم﴾ في سورة مريم ـ كما في آية آل عمران ـ إلى التأكيد بقوله " هو "، بخلاف سورة الزخرف.

(٣١) قوله « يكون » أثبت من(و).

(٣٢) في(أ،ب،ك): يريد. والمثبت من(خ).

(٣٣) في(ب): عنها.

(٣٤) في(أ،ب،ك): يريد. والمثبت من(خ).

(٣٥) " عنه " سقطت من(ب).

(٣٦) إلى هذا التوجيه ذهب من علماء هذا الشأن **الكرماني** في كتابه "البرهان في متشابه القرآن"(ص١٤٨)، وفي كتابه " غرائب التفسير(٢٥٧/١)، **وابن جماعة** في كتابه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"(ص١٢٩)، **والفيروزآبادي** في"بصائر ذوي التمييز"(١٦٣/١). **وتوضيح كلامهم:** أن ضمير الفصل " **هو** " يفيد القصر، ومجيئه في آية الزخرف:﴿وإن الله هو ربي وربكم﴾ يدل على قصر المبتدإ في هذا الخبر دون غيره بمعنى أن الله ربي، لا غيره. ولمّا تقدم قبل آيتي آل عمران ومريم ما يغني عن التأكيد لم يذكَر ضمير " **هو** " فيهما بخلاف آية الزخرف لم يتقدمها ما يغنى عن التأكيد، فحسُن ذكر " **هو** " هناك، حيث إن آية آل عمران وقعت بعد عشر آياتٍ نزلت في قصة مريم وعيسى عليهما السلام فاستغنى عن التأكيد بما تقدم من الآيات الدالة على أن الله سبحانه ربه وخالقه، لا أبوه ووالده كما زعمت النصارى، وكذلك في سورة مريم وقعت بعد عشرين آية من قصة مريم عليها السلام، فأغنى ذلك فيهما عن ذكر " **هو** "، وليس كذلك آية الزخرف حيث لم يتقدمها مثل ذلك، فناسب تأكيد إثبات الربوبية ونفي الأبوّة عن الله تعالى.

[٢٧] الآية الرابعة منها

قوله عز وجل:﴿فلمّا أحسَّ عيسى منهم الكُفْرَ قال مَن أنصاري إلى ا لله قال الحواريُّون نحن أنصارُ ا لله آمَنّا با لله واشهَدْ بأنّا مُسلمون﴾ [آل عمران:٥٢]، فحذف النون من « أنّا ».

وقال في سورة المائدة[١١١]:﴿وإذْ أَوْحَيْتُ إلى الحواريِّين أنْ آمِنوا بِي وبِرَسولي قالوا آمَنّا واشهَدْ بأنَّنَا مُسلمون﴾، بإثبات النون.

للسائل أن يسأل فيقول[١]:لِم خصّ ما في سورة آل عمران بـ﴿أنّا﴾، وما في سورة المائدة بـ﴿أنّنا﴾، والحرفان سواء، والتخفيف جائز في الموضعين كما يجوز الإتيان به على الأصل فيهما؟

والجواب[٢] أن يقال:إن الذي في سورة المائدة جاء على الأصل غير مخفّف بالحذف، لأنه أول كلام الحواريين[٣] في هذا المعنى، ألا تراه خبراً[٤] عن ا لله تعالى أنه قال:﴿وإذْ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأنّنا مسلمون﴾[المائدة:١١١]، والذي في سورة آل عمران حكاية[٥] عن عيسى - عليه السلام ـ أنه سألهم عما أقروا به لِله[٦] تعالى، فقال:﴿مَن أنصاري إلى ا لله قال الحواريّون نحن أنصار ا لله آمنا با لله واشهدْ بأنّا مسلمون﴾، فكان[٧] ذلك منهم إقراراً ثانيا لرسوله - عليه السلام ــ بمثل[٨] ما أقرّوا به لله

(١) هكذا في(ب،ك)، وفي(أ): للسائل أن يقول.

(٢) في(ك): فالجواب.

(٣) أصحاب عيسى - عليه السلام - وخواصّه وأنصاره، والحواريون: جمع الحواريّ، والحواريّ: الناصر.(الصحاح للجوهري،٦٣٩/٢حور). وجاء في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال رسول ا لله ﷺ:« إنّ لِكلّ نبيّ حواريّاً، وحواريِّ الزبيرُ بن العوام ». وهو في صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري(٥٢/٦،برقم٢٨٤٦):كتاب الجهاد، باب فضل الطليعة، وفي كتاب فضائل الصحابة أيضا (٨٠/٧ برقم٣٧١٩)، وفي صحيح مسلم (١٨٧٩/٤،برقم٢٤١٥):كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير. **وقال صاحب النهاية** في غريب الحديث (٤٥٧/١) في معنى الحديث:« أي خاصّتي من أصحابي وناصري». وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن(٩٥/١)، والزجاج في معاني القرآن(٤١٧/١)، واليزيدي في غريب القرآن(ص١٠٥): الحواريّون: صفوة الأنبياء عليهم السلام.

(٤) في(ك): أنه خيّر.

(٥) في(ب،ك): هو حكاية.

(٦) « لله » ليست في(أ).

(٧) في « فكان » غير واضحة في (أ).

(٨) في(ب): مثل.

تعالى[٩]، والثاني[١٠] يختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول، لأن الأول قد وفّى العبارة حقها[١١]، والثانية[١٢] معتمدة على ما قبلها، وهي مكرّرة، والعرب تستثقل المـُعاد[١٣] ما لا[١٤] تستثقل غيره، فاختير في سورة آل عمران ما لم يختر في سورة المائدة لذلك[١٥].

ثم أذكر فصلاً في هذه النون[١٦]:

مسألة: اعلم أن النون التي حذفت من « أنّا » غير النون التي حذفت من «أنني» [١٧] وقد جاء القرآن بهما جميعا: قوله تعالى:﴿..إني آنسْتُ نارا..﴾[طه:١٠] و﴿..إني أنا ربُّك..﴾[١٨][طه:١٢]. و « إني » أتى على الأصل[١٩] بعده:﴿..فاستمِعْ لِما يُوحَى ﴾ إنني أنا الله..﴾ [طه:١٣ـ ١٤]. وقال:﴿..إنّا رادُّوه إليك..﴾ [القصص:٧]، ﴿..وإنا لَفاعلون﴾[٢٠][يوسف:٦١].

وقال:﴿..وإنّنا لَفي شكٍ ممّا تدعونا إليه مريب﴾[هود:٦٢] في قصة[٢١] صالح ـ عليه السلام ـ.

ومَن لم يرتضِ بهذا[٢٢] العلم يتوهّم[٢٣] أن النون التي[٢٤] خفّفت[٢٥] بحذفها « انّي » هي التي خفّفت[٢٦] بحذفها « أنّا »، وليس الأمر كذلك، لأن التي حذفت مِن « انّي» [٢٧] هي

(٩) ذلك في قوله تعالى:﴿وإذ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ الآية(١١١) من سورة المائدة.

(١٠) هو آية سورة آل عمران(٥٢) المتقدمة آنفاً.

(١١) في(ك): عنها ، بدل « حقها ».

(١٢) في(أ): والثاني.

(١٣) أي المكرر.

(١٤) « لا » سقطت من(أ،ك). وأثبتت من(ب).

(١٥) لخّص **الكرماني** كلام المؤلف في **البرهان** (ص١٤٩) فقال:« لأن ما في المائدة أول كلام الحواريين، فجاء على الأصل. وما في هذه السورة ـ أي سورة آل عمران ـ تكرار لِكلامهم، فجاز فيه التخفيف، لأن التخفيف فرعٌ، والتكرار فرع، والفرْع بالفرع أليقُ». وذكره أيضا في كتابه **غرائب التفسير** (٢٥٨/١)، ونقله عنه صاحب **بصائر ذوي التمييز**(١٦٤/١).

(١٦) أي في نون « أننا ».

(١٧) في(ب): أني.

(١٨) قوله تعالى:﴿إني أنا ربك﴾ ليس في(أ).

(١٩) في(ب،ك): وجاء على الأصل. بدل: و« إني » أتى على الأصل.

(٢٠) أول الآية:﴿قالوا سنراود عنه أباه وإنا لَفاعلون﴾، وذلك حكايةٌ لِما ردّ به إخوة يوسف على يوسف عليه السلام، بعد أن أكّد ـ عليه السلام ـ لهم وجوبَ إحضار أخيهم معهم، وذلك في قوله تعالى:﴿ولمّا جهّزهم بجَهازهم قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم..﴾ الآية (٥٩) من سورة يوسف.

(٢١) في(ب): وفي قصة.

نون العماد(٢٨) واللاحقة(٢٩) مـع اليـاء بدلالـة حذفهـا مـن نظائرهـا، إذا قلـت:« لعلـي » في «لعلّني»(٣٠)».

وأما النون التي في « أنّا » من قولك:« أنّنا » فإنها مع الألف اسم المخبِرين عـن أنفسـهم، ولا تسقط(٣١) سقوطَ التي تجيئ مع الياء(٣٢)، فإذا قلت:« إنّا » فـالنون السـاقطة هـي الأخـيرة من« أنّ » دون اللاحقة مع الضمير بها(٣٣). فاعرفْه إن شاء الله تعالى(٣٤).

---

(٢٢) في(ك): هذا.

(٢٣) في(ب): موهم. وفي(ك): لتوهُّم.

(٢٤) « التي » سقطت من(ك).

(٢٥) في(ب): خفّف.

(٢٦) في(ب):هي التي هي خفف، وهو تكرار ظاهر.

(٢٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): أنا. وهو خطأ.

(٢٨) هي نون الوقاية، يؤتَى به بين الفعل وياء المتكلم، وفائدتها أنها تتحمّل الكسرة الواجبة قبل ياء المتكلم فتقي الفعل من الكسر.

(٢٩) في(ب):اللاحقة، من غير الواو.

(٣٠) في(ك): لعلني في« لعلّي ».

(٣١) في(أ،ب): يسقط. والمثبت من(ك،ر).

(٣٢) وذلك في « أني » و « أنني » كما تقدم آنفا.

(٣٣) قال **الكرماني** في كتابه **غرائب التفسير**(٢٥٨/١):« والنون المحذوف مِن « أنّا » غير النون المحذوف مِن «انّي » ، فإن المحذوف مِن « انّا » أحد نوني « انّ » والمحذوف من « انّني » هو الذي يقع قبل ياء الضمير في «ضربني ". اهـ

(٣٤) عبارة « إن شاء الله تعالى » ليست في (ك).

[٢٨] الآية الخامسة منها

قوله تعالى:﴿وماَ جعله ا للهُ إلاّ بُشْرَى لكم ولِتطْمَئِنَّ قلوبُكم به وما النَّصْرُ إلاّ مِن عند ا للهِ العزيزِ الحكيم﴾[آل عمران:١٢٦].

وقال في سورة الأنفال[١٠]:﴿وما جعله ا للهُ إلاّ بُشْرى ولِتطمئِنَّ به قلوبُكم وما النَّصرُ إلاّ مِن عند ا للهِ إنّ ا للهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[١]: ما في الآية[٢] الأولى مّما يوجب أن يأتي فيها بقوله:﴿لكم﴾ وليس في الآية الثانية؟ وما بال قوله:﴿به﴾ قد أُخِّر[٣] في الآية الأولى عن قوله:﴿قلوبكم﴾ وقدِّم[٤] في الآية الثانية[٥] عليه؟ .

والجواب[٦] أن يقال: أما قوله:﴿لكم﴾ في هذه الآية[٧] وحذفه من الثانية مع العلم بأن ا لله تعالى جعل إخباره بإنزال الملائكة لنصرتهم[٨] بشارةً لهم، وأنّ[٩] ﴿لكم﴾ مضمرة في سورة الأنفال كما هي مظهرة في هذه السورة، فلأنّ الأولى[١٠] جاءت على الأصل، والثانية[١١] قد تقدّمها ﴿لكم﴾ فأغنت عن[١٢] إعادتها بلفظها ومعناها، وهي في قوله:﴿إذ / تَسْتَغِيثُون ربَّكم فاسْتجابَ لكم أَنِّي مُمِدُّكم بألفٍ مِن الملائكة مُرْدِفِين﴾[الأنفال:٩]. [٢٠/ب]

فلمّا قال:﴿فاستجاب لكم﴾ عُلم أنه جعل بُشرى لهم، فأغنت ﴿لكم﴾ الأولى[١٣] بلفظها ومعناها عن الثانية، وفي الآية الأولى لم يتقدّم ما يقوم مثل هذا المقام، فأتى بقوله:﴿لكم﴾ على الأصل[١٤].

---

(١) في(أ): للسائل أن يقول.

(٢) في(ك): في هذه الآية.

(٣) في(ك): قد اختير.

(٤) في(ك): وتقدم.

(٥) في(أ،ب،ك): الأخرى، والمثبت من(و).

(٦) في(ك): فالجواب.

(٧) أي: آية سورة آل عمران.

(٨) في(ك): لينصر بهم.

(٩) في(ك): فإن.

(١٠) أي آية سورة آل عمران.

(١١) أي:آية سورة الأنفال.

(١٢) في(أ): من.

(١٣) ذلك في قوله تعالى:﴿فاستجاب لكم﴾.

(١٤) يعني عدمَ ذكرِ﴿لكم﴾ في قوله تعالى:﴿ إلاّ بُشرى﴾ من سورة الأنفال بخلاف آية سورة آل عمران حيث ذُكر فيها:﴿إلا بشرى لكم﴾، وذلك لدفع تكرير نفس اللفظ الذي سبق ذكره قريبا في قوله تعالى:﴿فاستجاب لكم﴾ ⟸

وأما تأخير ﴿به﴾[١٥] بعد قوله ﴿قلوبكم﴾ فلأنّه لمّا أخّر[١٦] الجار والمجرور في الكلام الأول، وهو قوله تعالى:﴿وما جعله الله إلاّ بشرى لكم..﴾، وعطف الكلام الثاني عليه، وقد وقع فيه جارٌ ومجرورٌ وجب[١٧] تأخيرهما[١٨] في اختيار الكلام لِيكون الثاني كالأول[١٩] في تقديم ما الكلام أحوج إليه، وتأخير ما قد يستغني عنه.

وأما تقديم ﴿به﴾ في الآية الثانية، فلأن الأصل في كل خبر يصدَّر بفعلٍ أن يكون الفاعل بعده ثم المفعولُ والجار والمجرور، وقد يقدّم[٢٠] المفعول على الفاعل إذا كان اللبس[٢١] واقعاً فيه، وأريد إزالته عنه، كما[٢٢] تقول: ضرب عمراً زيد، لا محمداً، لأن المخاطَب عنده أن المضروب محمد، ولا خلاف بين المتخاطبين[٢٣] في[٢٤] أن الضارب زيد، فهو يبدأ بما هو أهمّ[٢٥]، وعنايته ببيانه أتمّ. وكذلك الجار والمجرور بمنزلة المفعول به في التقديم والتأخير وشبههما.

وفي هذا الموضع[٢٦] إذا لم يعرض[٢٧] في اللفظ[٢٨] من[٢٩] التوفقة ما يوجب إجراء الكلام على الأصل كما كان في سورة آل عمران، فإن المعتَمد بتحقيقه[٣٠] عند المخاطبين

فعلم السامعُ أن البشرى للمخاطَبين المعلومين. **قال الكرماني في غرائب التفسير**(١/٢٦٩):« راعى في آل عمران الازدواجَ بين كناية المخاطَبين، وذلك أَوْلى، فقال:﴿لكم ولتطمئِن قلوبكم﴾ وراعى في الأنفال الازدواج بين كناية الغيبة لما عَدِمَ الخطابُ، فقال:﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئنّ به﴾». قلت: في توجيه الكرماني ما يدل على كلام المصنف رحمه الله تعالى، ويفهَم من كلامهما أنه أخّر « **به** » للموازنة بين قوله تعالى:﴿إلاّ بشرى لكم﴾ وقوله﴿ولتطمئنّ قلوبكم﴾ فلذا ناسب تأخير قوله تعالى:﴿به﴾. والله أعلم.

(١٥) في(ب): وأما تأخيرها.

(١٦) في(ك): أجيز.

(١٧) جواب « لمّا أخّر ».

(١٨) في(أ،ب،ك): تأخيرها. والمثبت من(ح،و).

(١٩) في(ك): بالأول.

(٢٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وقد تقدم.

(٢١) أي التباس واختلاط. وفي اللسان(٦/٢٠٢،لبس):« واللبس ـ بالفتح ـ:مصدر قولك: لَبستُ عليه الأمر ألبِس: خلطت». وفي القاموس المحيط( ): في رأيه لَبسٌ: أي اختلاط.

(٢٢) في(ب): كان، بدل « كما ».

(٢٣) في(أ،ب،ك): المخاطبين. والمثبت من(و،ط).

(٢٤) « في » سقطت من(أ).

(٢٥) في(أ): الأهم.

(٢٦) أي في الآية (١٠) من سورة الأنفال.

(٢٧) في(ك): يفرض.

(٢٨) في(ك): في اللفظين.

إنما هو الإمداد بالملائكة، وهو الذي أخبر الله تعالى عنه أنه لم يجعله إلاّ بشرى، فوجب[٣١] أن يقدم في[٣٢] الكلام الثاني، وهو المضمر بعد الباء في قوله تعالى ﴿ به ﴾ على الفاعل[٣٣]، فقال تعالى:﴿..ولِتطمئنّ به قلوبكم﴾[الأنفال:١٠].

وفي هذه الآية مسألة أخرى وهي أن يقال: كيف اختلف الإخبار عن الله تعالى بالعزّ والحكمة في الآيتين، فجاء في سورة آل عمران مجيء الصفة فقال تعالى:﴿..وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم﴾، وجاء في سورة الأنفال بلفظ[٣٤] خبر ثانٍ مستأنف فقال:﴿إن الله عزيز حيكم﴾[٣٥]؟

والجواب أن يقال: القصدُ إعلام المخاطبين أن النصر ليس من قبل الملائكة، ولا من جهة العَدد والعدُدّة[٣٦] وفضل القوة، ولكنه من عند القادر الذي لا يغلَب ولا يمنَع عما يريد فِعله، والحكيم الذي يضع النصر موضعه[٣٧].

والآية[٣٨] التي في الأنفال إنما[٣٩] هي في قصة يوم بدرٍ[٤٠]، وبيّن الله تعالى[٤١] ذلك بلفظ ﴿جعله﴾ كالعلة لِكون[٤٢] النصر بيده، فكأنه[٤٣] قال في المعنى: النصر ليس إلاّ من

---

(٢٩) في(أ): في، بدل « من ».

(٣٠) في(ب،ك): بحقيقته.

(٣١) في(ب،ك): يوجب.

(٣٢) في(أ): على، بدل « في ».

(٣٣) الفاعل: قلوبكم، في قوله:﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾. وقد يقال في تقديم الجار والمجرور ﴿به﴾ على الفاعل﴿قلوبكم﴾ أنه يفيد الاهتمام بذلك الوعد، وهو الإمداد بالملائكة، ويفيد أيضاً الاختصاص فيكون المعنى:ولتطئن به قلوبكم لا بغيره، وفي ذلك ما لا يخفى من تسكين قلوبهم. والله أعلم.

(٣٤) في(أ،ب،ك): لفظ. والمثبت من(خ،د).

(٣٥) في(ب،ك):﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾.

(٣٦) في(ك): العدد. **والعدّة** ـ بضم العين ـ: ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك، والجمع: عدد، مثل غُرفة وغُرَف.(المصباح المنير،ص٣٩٦).

(٣٧) في(ب): من موضعه.

(٣٨) في(أ): فالآية.

(٣٩) في(أ،ب،ك): أيضا، بدل « إنما » . والمثبت من(و،ط).

(٤٠) يوم بدرٍ كان في ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة، وهي غزوةٌ نصر الله المسلمين فيها على المشركين، وحقق تعالى ما وعدهم به، **وسببها**:أنه لمّا كانت عيرُ قريش تُقبل من الشام في طريقها إلى مكة وعلمت قريشٌ بتعرُّض المسلمين لها، خرج نفير قريش وهم الذين نفروا مع أبي جهلٍ تحت إمرة عتبة بن ربيعة لِيمنعوا عير أبي سفيان أن تقع في قبضة محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وبسبب العير والنفير كانت موقعة بدرٍ.

(٤١) « الله تعالى » ليست في(ب).

(٤٢) في(ب،ك): ليكون.

عند الله(٤٤)، لأنه العزيز الذي لا يمنَع عمّا يريد فِعله، الحكيم الذي يضع النصر في موضعه(٤٥)، ففصّل(٤٦) ذلك في خبرين(٤٧) على الأصل الواجب في توفية كلٍّ معنىً حقّه من البيان.

والآية التي في سورة آل عمران هي(٤٨) في قصة يوم أحد(٤٩)، وهي بعد يوم بدر، وكان هذا البيان قد جعل خبراً(٥٠) عن النصر في اليوم الأول(٥١) فاقتصر - مِن ذكر مثله ــ في اليوم الثاني على خبرٍ واحدٍ، يجري عليه معنى الخبرِ الثاني مَجرى الوصف لاختصار(٥٢) المعنى عن البسط اعتماداً على ما فصِّل في الخبر الأول(٥٣)، فكان الاختِصار بالثاني أليق، وكان الثاني له أجمل، فخصّ كل موضع بما رأيتَ لِما ذكرتُ(٥٤). والله أعلم.

---

(٤٣) في(ب): كأنه.

(٤٤) في(ب): من عنده.

(٤٥) في(أ،ك): موضعه، بدون حرف جر. والمثبت من(ب).

(٤٦) في(ك): ففعل.

(٤٧) خبران هما: قوله تعالى:﴿وما النصر إلا من عند الله﴾، وقوله تعالى:﴿إن الله عزيز حكيم﴾.

(٤٨) « هي » أثبتت من(ب).

(٤٩) وقعت غزوة أحدٍ في شوالٍ من السنة الثالثة للهجرة، وهي غزوة كان فيها امتحان للمسلمين وابتلاء لهم، **وسببها**: أنه لما عاد المشركون من بدرٍ إلى مكة بعد أن هزمهم المسلمون رأى أصحاب التجارة أن يتبرّعوا بعير أبي سفيان التي كانت موقوفة في دار الندوة لِتجهيز جيش لقتال محمد وأحابه، وخرجوا في ثلاثة آلاف رجل لِقتال المسلمين.

(٥٠) في(أ،ب): قد حصل فيما جعل خبرا. والمثبت من(ك).

(٥١) يعني يومَ بدر.

(٥٢) في(ب): لاختصاص.

(٥٣) في(أ،ب،ك): عن الأول. والمثبت من(ح،خ،و).

(٥٤) قال الكرماني في **غرائب التفسير**(٢٦٩/١):« الجواب: ما في الأنفال قصةُ بدر، وما في آل عمران قصةُ أحدٍ، وبدرٌ سابقٌ على أحدٍ، فذكر في الأنفال على وجه الإخبار، أي النصر من عند الله الغالب القادر الحكيم الذي يضع النصر موضعه، لا من الملائكة والعدة والعدد، وذكر في آل عمران بلفظ الصفة، إذ قد سبق الخبر به».

[٢٩] الآية السادسة منها / [٢١/أ]

قوله تعالى:﴿أولئك جزاؤُهم مغفرةٌ من ربِّهم وجناتٌ تَجْري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها ونِعْمَ أَجْرُ العاملين﴾[آل عمران:١٣٦].

وقال في سورة العنكبوت[الآية:٥٨]:﴿..خالدين فيها نِعْمَ أَجْرُ العاملين﴾(١).

للسائل أن يسأل عن اختصاص ما في هذه السورة بالواو من قوله:﴿ونعم﴾ وإخلائها(٢) في(٣) سورة العنكبوت منها؟

والجواب: أن الآية من هذه السورة مبنيّة على تداخل الأخبار، لأن أولها:﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾.

فـ ﴿أولئك﴾(٤) مبتدأ، و﴿جزاؤهم﴾ مبتدأ ثان، و﴿مغفرة﴾ خبر المبتدإ الثاني، وهو(٥) مع(٦) خبره خبر عن المبتدإ الأول، والجزاء هو الأجر(٧)، فكأنه(٨) قال:أولئك أجرُهم(٩) على أعمالهم محْوُ ذنوبهم، وإدامة نعمهم(١٠)، وهذا الأجر مفضّل على كلّ أجرٍ يعطاه عامل على عمله، فنسقت الأخبار بعضها على بعضٍ للتنبيه على النعم التي هيِّئت(١١) لِرجاء الراجين، وأُكملت بها مُنية المتمنِّين(١٢).

والخبر إذا جاء بعد خبر في هذا المكان الذي تفصّل فيه المواهب(١٣) المرغَب فيها، فحقُّه أن يعطَف(١٤) على ما قبله بالواو، وكقولك: هذا جزاءُ(١٥) كذا وكذا، أي: هو(١٦) تركُ

---

(١) الآية بتمامها قوله تعالى:﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لَنبوِّئنّهم مِن الجنّة غُرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾.

(٢) أي خلوّها.

(٣) في(ك):من.

(٤) في(ك): وأولئك.

(٥) أي المبتدأ الثاني وهو ﴿جزاؤهم﴾

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): موضع، بدل « مع ».

(٧) قال الخليل في كتاب العين(١٧٣/٦):« الأجر: جزاء العمل ». وقال ابن عاشور في تفسيره(٩٥/٤): «وسمي الجزاء أجراً لأنه كان عن وعدٍ للعامل بما عمل». اهـ . وفي(ب،ك): والخبر هو للأخير، بدل « والجزاء هو الأجر».

(٨) في(ب): وكأنه.

(٩) في(ب): أجزيهم.

(١٠) في(ب): نعيمهم.

(١١) في(ب): هدفت. وفي(ك): هذبت. وفي(ط): هديت.

(١٢) في(ك): وأحملت بها منة المتمنين.

(١٣) في(ك): الواهب. **قلت**:والمواهب جمع الموهبة، وهي: الهبة، والهبة: العطية الخالية من الأعواض والأعراض. (لسان العرب٨٠٣/١).

(١٤) في(ب): أن تعطَف.

(١٥) في(ك): خبر.

(١٦) في(ك،ر):هذا.

المؤاخذة بالذنب والتنعّم[١٧] في جنة[١٨] الخُلد، وتفضيله[١٩] على كل جزاء جوزي[٢٠] به عامِلٌ، وذلك تشريف وكرامة.

وأمّا الآية التي في سورة العنكبوت[٢١] فإن ما قبلها مبنيّ على[٢٢] أن يدرَج الكلام فيه على جملة واحدةٍ، وهي:﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لَنُبَوِّئنّهم من الجنة غُرفاً..﴾[٢٣][العنكبوت:٥٨].

فقوله[٢٤]:﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ، وقوله:﴿لَنبوّئنهم﴾ في موضع خبره، وهذا الخبر يتصل به[٢٥] مفعولانِ؛ الأول:﴿هم﴾ والثاني ﴿غرفاً﴾. و﴿غرفاً﴾ نكرةٌ موصوفة بقوله:﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ وقوله:﴿خالدين فيها﴾ حال من التبوِئة[٢٦].

فلماّ جُعلت[٢٧] هذه الأشياء كلها في درج كلام واحد، وهي جملةُ ابتداء وخبر، واحتمل ﴿نعم أجر العاملين﴾ أن يجيء بالواو وأن يجيء من دونها، اختير[٢٨] مجيئُها بغير واوٍ[٢٩] لِيشبه[٣٠] ما تقدم من صفة الخبر[٣١]، لا على سبيلِ عطف ونسق بها[٣٢].

---

(١٧) في(د): والتنعيم.

(١٨) « جنة » سقطت من(ك).

(١٩) في(ك): وتفضله.

(٢٠) في(ب): أو جزي.

(٢١) في(ك): في العنكبوت.

(٢٢) « على » سقطت من(ب،ك).

(٢٣) تتمة الآية:﴿..لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾

(٢٤) في(ك): وقوله.

(٢٥) في(أ): متصل به. وفي(ك): متصل فيه. والمثبت من(ب،د).

(٢٦) التبوئة مصدر من بوّأه إياه: هيّأه له، وأنزله ومكّن له فيه. (لسان العرب١/٣٨ بوأ).

(٢٧) في(أ): جعل.

(٢٨) « اختير » جواب « فلما جعلت ».

(٢٩) في(أ): بالواو واو، وهو خطأ.

(٣٠) في(ب،ك): لِشبه.

(٣١) في(أ): من صفته بخبر، وفي(ب): من صفة بخبر. والمثبت من (ك).

(٣٢) توضيح كلام المصنف: لماّ وقع في آية آل عمران ذِكر الجزاء مفصّلا ومعطوفاً، وهو:﴿جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ ناسبه عطف الجملة الممدوح بها الجزاء بالواو، فقيل:﴿ونعم أجر العاملين﴾. ولماّ لم يفصّل الجزاء في سورة العنكبوت ولم يقع فيه عطفٌ جاءت جملةُ المدح وهي:﴿نعم أجر العاملين﴾ غير معطوفة ليناسب النظم.(ينظر: ملاك التأويل لابن الزبير١/٣٢١، متشابه القرآن لابن جماعة،ص١٣٤).

ويحتمل أن يكون في موضع خبر ومبتدأ، كأنه[٣٣] قال: ذلك نعم[٣٤] أجر العاملين، ويكون قوله: ﴿ذلك﴾ إشارةً إلى ما ذكر الله[٣٥] من إسكانهم الجنة، فيجري[٣٦] بلا واوٍ[٣٧] مجرى ما هو من تمام الكلام الأول كقوله تعالى[٣٨]: ﴿..والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجناب لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾[٣٩][الشورى: ٢٢].

فقوله: ﴿ذلك﴾ وإن انقطع عن الأول في اللفظ فإنه متصل به من طريق المعنى، فكأنه قال: ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ مشار إليه بأنه[٤٠] الفضل الكبير.

وقوله: ﴿نعم أجر العاملين﴾ أي: ذلك[٤١] نعم أجر العاملين، والمعنى مشار إليه بتفضيل[٤٢] على أجور العاملين[٤٣]. وإذا كان[٤٤] الأمر على ما ذكرت في الآيتين لم يلقْ بكل[٤٥] واحدة منهما إلاّ ما جاءت به. والله أعلم[٤٦].

---

(٣٣) في(ك): فإنه.

(٣٤) « نعم » سقطت من(أ).

(٣٥) في(ب): إلى ما تقدم في ذكر الله تعالى.

(٣٦) في(ك): فتجري.

(٣٧) في(أ): بلا فاء، وهو خطأ.

(٣٨) في(ب): كأنه قال، بدل « كقوله تعالى ».

(٣٩) في(ب،ك): ﴿..ذلك هو الفضل الكبير ﴿﴾ ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات..﴾[الشورى: ٢٢-٢٣].

(٤٠) في(أ): أنه.

(٤١) قدّر المصنف رحمه الله اسم الإشارة « ذلك » مبتدأ وهو محذوف مخصوص بالمدح، وجملة ﴿نعم أجر العاملين﴾ خبر لهذا المبتدأ المحذوف، والتقدير: نعم أجر العاملين ذلك الجزاء الذي وعدهم الله به من مغفرة وجنات خالدين فيها. قال ابن الأنباري في البيان(١/٢٢٢): «﴿ونعم أجر العاملين﴾ خبر مبتدأ محذوف، وتقديره: ونعم أجر العاملين الجنةُ، وحذف لِدلالة الكلام المتقدم عليه» اهـ .

(٤٢) في(ب): متصل، وفي(ك): يتفضل.

(٤٣) يعني المؤلف رحمه الله أن « ذلك » يشار به إلى تفضيل أجر العاملين، وهو المغفرة والجنة والخلود فيها، أي إذا كان للعاملين أجور فهذا نعم الأجر لعاملٍ.

(٤٤) في(ك): بان.

(٤٥) في(ك): لم يكن لكل.

(٤٦) في(أ): واعلم. وفي(ب): فاعرفه. والمثبت من(ك).

[٣٠] الآية السابعة منها

قوله تعالى: ﴿فإنْ كذّبوك فقدْ كُذّبَ رسُلٌ مِن قبلِك جاءوا بالبيّناتِ والزُّبُرِ والكتابِ المُنير﴾[آل عمران: ١٨٤].

وقال في سورة الملائكة[1][٢٥]: ﴿وإن يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبيّنات وبالزبر وبالكتاب المنير﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف الآيتين في إدخال الباء في قوله: ﴿وبالزبر وبالكتاب المنير﴾[2] في موضع[3]، وحذفها منه[4] في موضع[5] / في قراءة الأكثرين[6]؟ [٢١/ب]

والجواب أن يقال: إن الزبر[7] والكتاب المنير[8] في سورة آل عمران وقعا في كلامٍ بُني على الاختصار والاكتفاء بالقليل عن الكثير مع وضوح المعنى.

وكان أول ذلك[9] قوله: ﴿فإن كذّبوك﴾ والتقدير: فإن يكذّبوك، فوضع الماضي الذي هو أخفُّ موضعَ المستقبل الذي هو أثقلُ بدلالة[10] « إن » التي للشرط وحصول الخفة في اللفظ، ثم إنّ الفعل[11] الذي جاء في جواب الشرط بُني للمفعول، ولم يُسمَّ فاعله، فكان الاختيار أن يجعل آخر الكلام كأوّله بالاكتفاء بما قلّ عمّا كثُر منه مع وضوح المعنى[12].

والآية التي في سورة الملائكة صُدِّرت بما يخالِف ذلك في الموضعين، لأن الشرط جاء فيها على الأصل بلفظ المستقبل، وهو: ﴿وإن يكذبوك﴾ وجاء الجزاء[13] أيضاً مبنيّاً للفاعل،

---

(١) هي من أسماء سورة فاطر، قال الفيروزآبادي في البصائر(١/٣٨٦): « لها - أي لهذه السورة - اسمان: سورة فاطر، لما في أولها: ﴿فاطر السموات﴾، وسورة الملائكة، لقوله: ﴿جاعل الملائكة﴾ ».

(٢) قوله تعالى: ﴿وبالكتاب المنير﴾ ليس في(أ،ب،ك). وأثبت من (ح،خ،ر).

(٣) أي في آية سورة فاطر.

(٤) في(ك): منها. والمثبت من(ب). وهي غير موجودة في(أ).

(٥) ذلك في آية سورة آل عمران. وجاء في(و): وحذفها منها في سورة آل عمران.

(٦) قرأ ابن عامر وحده: ﴿بالبينات وبالزبر﴾ بالباء، وكذلك في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون: ﴿بالبينات والزبر﴾ بغير باء. (ينظر: السبعة لابن مجاهد: ٢٢١، الحجة للقراء السبعة٣/١١٣، كتاب الإقناع في القراءات السبع٢/٦٢٤، تفسير القرطبي٤/٢٩٦).

(٧) الزُّبُر جمع زبور، قال الزجاج(١/٤٩٥): « والزبور كل كتاب ذو حكمةٍ. ويقال: زبرتُ إذا كتبت، وزبرت إذا قرأت ».

(٨) المراد بالكتاب المنير التوراة والإنجيل كما في تفسير الطبري(٤/١٩٨). ولفظ « المنير » ليس في(ك).

(٩) يشير إلى آية سورة آل عمران التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿فإن كذبوك﴾.

(١٠) هكذا في أكثر النسخ. وفي(أ): بدليل.

(١١) الفعل هو « كُذّب ».

(١٢) هذا التوجيه نقله **الكرماني في غرائب التفسير**(١/٢٧٦) ولم يذكر ما يتعلّق بآية سورة فاطر.

(١٣) الجزاء هو « فقد كذب ». وفي(ك): الخبر ، بدل « الجزاء ».

و لم يحذَف منه ما حُذف[١٤] من الأول. فلماّ قُصد توفيةُ اللفظ حقَّه أُتبع آخر الكلام أوّله في توفية كل معمولٍ فيه عامله، وهي حروف الجر[١٥] التي استوفتها المجرورات، فلذلك اختلفت الآيتان[١٦]. وا لله أعلم.

مضت سورة آل عمران عن سبع آياتٍ[١٧] وثلاث عشرة مسألة[١٨].

(١٤) في(ب): ما لم يحذف.

(١٥) في(ك): الجزاء، وهو خطأ.

(١٦) توضيح ما قاله المؤلف رحمه ا لله: إن آية آل عمران سياقها الاختصار والتخفيف بدليل حذف الفاعل في فعل "كذب" في قوله تعالى:﴿فقد كُذب رسُلٌ﴾ وبناءِ الفعل للمجهول حيث لا يحتاج إلى ذكر الفاعل، وإيرادِ فعل الشرط ماضياً وأصلُه المستقبل، ولفظ الماضي أخفُّ من المضارع. كذلك حُذف الجار في قوله تعالى:﴿والزبر والكتاب المنير﴾ تخفيفاً لمناسبة ما تقدم في الاختصار. **وأما آية سورة فاطر** فسياقها البسط بدليل وقوع فعل الشرط فيه بلفظ المستقبل، وإظهار فاعل التكذيب في قوله تعالى:﴿فقد كذب الذين﴾ وإظهار فاعل ومفعول في قوله تعالى:﴿جاءتهم رسلهم﴾ فناسب هذا البسط ذِكر الجار " الباء " في الثلاثة ﴿ بالبينات وبالزبور وبالكتاب المنير﴾ ليكون كله على نسق واحد.(ينظر: البرهان للكرماني:١٥٢، كشف المعاني لابن جماعة:١٣٤، حيث أفدتُ منهما في هذا التوضيح).

(١٧) في(ك): عن ست آيات وإحدى عشرة مسألة، وذلك خطأ حيث ذكرت فيها آيات سبعة كما في(أ،ب). وأما النسخ الأخري (ح،خ،ر،س) لم يأتِ فيها ذكر الآية السادسة من هذه السورة.

(١٨) بعد التتبع نجد أن المؤلف رحمه ا لله تناول في هذه السورة خمس عشرة مسألة؛ منها خمس مسائل في الآية الأولى، ومسألتان في الثانية، ومسألة في الثالثة، ومسألتان في الرابعة، وثلاث مسائل في الخامسة، ومسألة في السادسة ومسألة في السابعة، وبذلك يكون عدد المسائل خمس عشرة مسألة. ولعل ذلك يرجع إلى ظهور مسائل حديدة للمؤلف وهو يملي، كما قال في صفحة٢١١ (كراسة):«وفي هذه الآية مسألة أخرى، وهي أن يقال...». وقد تتكر مثل هذه الحالات أثناء الإملاء، ولعل هذا يفسر لنا الاختلاف الموجود في ذكر عدد المسائل في آخر بعض السور كما سنرى ذلك إن شاء ا لله.

سورة النساء

[٣١] الآية الأولى منها

قوله تعالى:﴿إنّ الله لا يَغفرُ أنْ يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دونَ ذلك لِمن يشاءُ ومَنْ يُشْرِكْ بالله فقدِ افْترى إثماً عظيماً﴾[النساء:٤٨].

وقال في هذه السورة[١] أيضاً[٢]:﴿إنّ الله لا يَغفِرُ أنْ يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دونَ ذلك لِمنْ يشاءُ ومَنْ يُشْرِكْ بالله فقدْ ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾[٣][النساء:١١٦].

للسائل أن يسأل عن فائدة تكرار هذه الآية، وله أن يسأل فيقول: لِم كان[٤] جواب ﴿من يشرك بالله﴾ في الآية الأولى:﴿فقد افترى إثماً عظيماً﴾ وجوابه[٥] في الآية الثانية:﴿فقد ضل ضلالا بعيداً﴾؟

فأمّا[٦] الجواب عن التكرار فلأنّ هذه السورة لمّا اشتمل صدرُها على ذكر الأحكام[٧]، وانتهى إلى ذكر التيمم[٨]، ثم انقطع ذلك بقوله:﴿ألَمْ تَرَ إلى الّذين أُوتُوا نَصيباً مِن الكتاب..﴾[٩][النساء :٤٤] وهم اليهود[١٠] الذي أوتوا التوراة فحرّفوا[١١] ما فيه دلالةٌ على صحة[١٢] نبوة محمد - ﷺ - إلى ما يدعو إلى ترك الإيمان به، ثم توعّدهم إن أقاموا على ذلك[١٣] الكفر بقوله:﴿يا أيّها الّذين أُوتُوا الكتابَ آمِنوا بما نزّلنا مصدِّقاً لِما معكم مِن قبلِ أنْ نَطْمِسَ وجوهاً..﴾[١٤][النساء:٤٧] أتبع ذلك بما دلّ به[١٥] على عظم الكفر الذي هو

---

(١) في(ك):في الثلث الأخير منها.

(٢) « أيضا » أثبتت من(ح،خ،ر،س).

(٣) أثبتت من الآية من (ب ، ك).

(٤) في(أ): لم قال.

(٥) في(أ): وفي جوابه. وفي(ك): وجواب ﴿من يشرك بالله﴾ في الثانية. والمثبت من(ب).

(٦) في (أ): وأمّا .

(٧) من تلك الأحكام الشرعية التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة: الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى(الآيات:٥-١٠)، وأحكام المواريث (الآيات:١١-١٤)، وأحكام الزواج والأنكحة (الآيات:٢٢-٢٥)، والأحكام المتعلة بتنظيم الحياة الزوجية (الآيتان:٣٤-٣٥).

(٨) أي إلى ذكر حكم التيمم، وذلك في قوله تعالى:﴿..فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً..﴾النساء:٤٣.

(٩) تتمة الآية:﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل﴾.

(١٠) هو قول قتادة كما في تفسير الطبري (١١٦/٥) وتفسير ابن عطية (٨٥/٤) وتفسير ابن الجوزي (٩٧/٢) وتفسير القرطبي (٢٤٢/٥).

(١١) أي: فغيّروا، وفي القاموس المحيط(ص١٠٣٣،حرف):« التحريف: التغيير».

(١٢) لفظ « صحة » ليس في (أ).

(١٣) « ذلك » سقطت من(ك).

(١٤) الآية أثبتت بتمامها من (ب ، ك).

الشرك(١٦)، وذلك في أمر اليهود، ويحتمل أن يقال: إنما سمّاهم مشركين(١٧) لمّا قالوا عزير ابن الله(١٨)، ومن ادعى لله ابناً فهو مشرك(١٩).

والموضع الثاني تقدّمت فيه آية هي قوله تعالى:﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبعْ غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصلِه جهنّم وساءت مصيراً﴾(٢٠)[النساء:١١٥]، ومعناه: من عادى(٢١) الرسول بعد ما ظهرت آياته وتظاهرت دلالاته، وتبع(٢٢) سبيل الكفار فإن الله تعالى يولّيه ما تولّى(٢٣) من الأصنام التي عبدها بأن يكله(٢٤) إليها لِيستنصر بها(٢٥)، ولا نصر عندها، وهؤلاء مشركو العرب، فدل على أن من تقدم ذكرهم ـ وإن كانوا أوتوا الكتاب ـ كهؤلاء المشركين(٢٦) الذين لا كتاب لهم، كفرهم ككفرهم، وسبيلهم كسبيلهم(٢٧)، فأعاد ذكر عِظم(٢٨) الشرك توعُّداً لِصنف آخرَ من الكفار الذين(٢٩) لم يدخلوا في جملة مَن تقدم ذِكرهم(٣٠) لِيعلم أنهم ـ وإن خالفوهم(٣١) ـ دينا فقد وافقوهم كفراً، فهذه فائدة التكرار(٣٢).

---

(١٥) « به » ليست في(أ). وفي(ح،خ): ما دل به. والمثبت من(ب،ك).

(١٦) وهو الذي لا يغفره الله تعالى وذلك في قوله تعالى:﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾. **قال الراغب في المفردات**(ص٤٥٢):« شِرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم، وهو إثبات شريكٍ لله تعالى، وذلك أعظم كفرٍ، قال تعالى:﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾. والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله:﴿..جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾[الأعراف:١٩٠]». بتصرف يسير.

(١٧) ذكر **الفخر الرازي في التفسير الكبير**(١٢٧/١٠): في تسميتهم **مشركين** فقال:« هذه الآية دالّة على أن اليهودي يسمّى مشركاً في عرف الشرع، ويدل عليه وجهان: الأول: أن الآية دالة على أن ما سوى الشرك مغفورٌ، فلو كانت اليهودية مغايرة للشرك لَوجب أن تكون مغفورة بحكم هذه الآية وبالإجماع هي غير مغفورة، فدل على أنها داخلة تحت اسم الشرك الثاني:أن اتصال هذه الآية بما قبلها إنما كان لأنها تتضمّن تهديد اليهود، فلولا أن اليهودية داخلة تحت اسم الشرك، وإلاّ لم يكن الأمر كذلك».

(١٨) كما أخبر تعالى عنهم:﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولُهم بأفواههم﴾ التوبة:٣٠

(١٩) قوله « ويحتمل أن يقال » إلى هنا سقط من(ك).

(٢٠) الآية أثبتت بتمامها من (ب ، ك).

(٢١) أي خاصم.

(٢٢) في (ب): ويتبع.

(٢٣) قال في القاموس المحيط(١٧٣٢،ولي):« تولاّه: اتخذه وليّاً».

(٢٤) في(ب): بأن وكله.

(٢٥) في(ب،ك): ليستنصرها.

(٢٦) « المشركين » سقطت من(ك).

(٢٧) في(ك): وهؤلاء المشركون سبيلهم كسبيلهم.

(٢٨) لفظ « عظم » تكرر في(أ).

(٢٩) « الذين » أثبتت من(ح،خ،ر،س).

(٣٠) ذلك في قوله تعالى:﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ سورة المائدة:٤٤. وهم اليهود.

(٣١) في(ب): لو خالفوهم.

(٣٢) ذكر الفخر الرازي في تفسيره(٤٦/١١) فائدة أخرى فقال:« اعلم أن هذه الآية مكرّرة في هذه السورة، وفي تكرارها فائدتان : الأولى: أن عمومات الوعيد وعمومات الوعد متعارضة ـ أي متقابلة ـ، وأنه تعالى ما

⟸

وأمّا(٣٣) إتباع الأول(٣٤) ﴿فقد افترى / إثما عظيماً﴾ فلأنّ مَن أريد بالآية الأولى قوم [٢٢/أ]
عرفوا صحة نبوّة النبي ﷺ من الكتاب الذي معهم، فكذّبوا وافتروا(٣٥) ما لم يكن عندهم، فكان كفرهم من هذا الوجه الذي أضلوا به أتباعهم.

وأمّا إتباع الثاني(٣٦)﴿فقد ضل ضلالا بعيداً﴾ فلأنّ(٣٧) مَن أريد(٣٨) به مشركو العرب، وهم لم يتعلقوا بما يهديهم، ولا كتاب في أيديهم فيرجعوا إليه فيما يتشكّكون فيه فقد بعُدوا عن الرشد وضلّوا أتمَّ الضلالات(٣٩)، فاقتضى المعنيّون بالأول ما ذكره(٤٠) الله تعالى والمعنيون بالثاني ما أتبعه إياه، وإن كان الفريقان مفترين(٤١) إثماً عظيما، وضالّين ضلالاً بعيداً(٤٢). والله أعلم.

أعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرتين، وقد أعاد هذه الآية دالةً على العفو والمغفرة بلفظ واحدٍ في سورة واحدةٍ، وقد اتفقوا على أنه لا فائدة في التكرير إلاّ التأكيد، فهذا يدل على أنه تعالى خصّ جانب الوعد والرحمة بمزيد التأكيد، وذلك يقتضي ترجيح الوعد على الوعيد».اهـ

(٣٣) في(ك): فأما.

(٣٤) هو الآية (٤٨) من سورة النساء.

(٣٥) أي اختلقوا، جاء في المصباح المنير(ص٤٧١):« افترى عليه كذبا: اختلقه، والاسم: الفِرية».

(٣٦) هو الآية (١١٦) من سورة النساء.

(٣٧) في (أ): لأن .

(٣٨) في(ب): أراد.

(٣٩) في(ب،ك): الضلال.

(٤٠) في(أ): ما ذكر.

(٤١) في(أ): وإن الفريقين مفتريان إثما عظيما وضالين.. والمثبت من(ب،ك).

(٤٢) اقتصر الكرماني في كتابَيه **البرهان في متشابه القرآن** (ص١٥٥) وفي **غرائب التفسير** (٢٩٩/١) على ما ذهب إليه مؤلفنا في توجيه ختم الآية الأولى بقوله﴿فقد افترى إثما عظيما﴾ وختم الثانية بقوله﴿فقد ضل ضلالا بعيداً﴾. قال العلامة **الآلوسي**(١٤٨/٥):« إن تلك ـ أي الآية الأولى ـ كانت في أهل الكتاب وهم مطّلعون من كتبهم على ما لا يشكون في صحته من أمر الرسول ﷺ ووجوب اتباع شريعته وما يدعو إليه من الإيمان با لله تعالى، ومع ذلك أشركوا وكفروا فصار ذلك افتراءً واختلاقًا وجراءةً عظيمةً على ا لله تعالى. وهذه ـ أي الآية الثانية ـ كانت في أناس لم يعلموا كتابا ولا عرفوا من قبلُ وحياً و لم يأتهم سوى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فأشركوا با لله عز وجل وكفروا وضلّوا مع وضوح الحجة وسطوع البرهان فكان ضلالهم بعيدا».اهـ

[٣٢] الآية الثانية منها[١]

قوله تعالى:﴿وإنِ امرأةٌ خافتْ مِن بَعْلِها نُشُوزاً أو إعراضاً فلا جناحَ عليهما أنْ يُصلِحا بينهما صُلحاً والصلحُ خيرٌ وأُحضرتِ الأنفسُ الشحَّ وإن تُحسِنوا وتتّقوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾[النساء:١٢٨].

وقال بعده:﴿ولنْ تستطيعوا أنْ تَعدِلوا بين النّساء ولوْ حَرَصْتُم فلا تَميلُوا كلَّ الميلِ فَتَذَرُوها كالْمُعَلَّقةِ وإنْ تُصْلِحوا وتتقوا فإنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾[النساء:١٢٩].

للسائل أن يسأل عن مسألتين في ذلك:

إحداهما[٢] قوله تعالى[٣] في الآية الأولى:﴿وإن تحسنوا وتتقوا﴾ وفي الثانية:﴿وإن تصلحوا وتتقوا﴾؟

والمسألة الثانية ختم[٤] الآية الأولى بقوله:﴿فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ والثانية بقوله:﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾[٥].

والجواب عن الأولى أن معناها[٦]: إن خافت[٧] امرأة من زوجها ترفُّعاً ونبوًّا[٨] لِملَلٍ أو[٩] إعراضاً لِموجدةٍ[١٠] أو[١١] بدلٍ[١٢] فلا إثم في أن يتصالحا[١٣] على[١٤] أن تترك[١٥] له

(١) في(ك): من هذه السورة.

(٢) في(ب): أحدهما.

(٣) « قوله تعالى » أثبتت من(و).

(٤) في (ب): أن ختمت ، بدل « ختم » .

(٥) في(أ،ب): والثانية ختم الآية الأولى بقوله:﴿بما تعملون خبيراً﴾ والثانية بقوله:﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾. والمثبت من(ك).

(٦) في(أ): والجواب عن ذلك أن معنى، وفي(ك): والجواب عن الأول معناها. والمثبت من(ب).

(٧) من الخوف، والخوف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة.(المفردات:٣٠٣).

(٨) أي: تجافياً عنها وعدم النظرة إليها، قال ابن الأثير في النهاية(١١/٥):« نبا عنه بَصره يَنْبو: تجافى ولم ينظر إليه». والمصدر: نبوًّا ونبيًّا، كما في لسان العرب(٣٠١/١٥،نبو).

(٩) في(ب):و، بدل « أو ».

(١٠) أي: لِغضبٍ، وفي القاموس المحيط(ص٤١٣، وجد):« وجِد عليه يجِد وجْدًا ومَوْجِدةً: غضب».

(١١) في(أ): و، بدل « أو ».

(١٢) قول المؤلف رحمه الله:« ترفّعا ونبوا لملل أو إعراضاً لِموجدة أو بدل » يدور حول معنى « النشوز» و«الاعراض»، وللنشوز والاعراض أحوالٌ كثيرة تختلف باختلاف أحوال الأنفس.

(١٣) في(ب): أن يصّالحا.

(١٤) « على » أثبتت من(ب،ك).

(١٥) في(ب): أن تنزل. وله وجه إن كان بمعنى: أن تتنازل.

من مهرها، أو بعض أيامها[١٦] ما يتراضيان به، والصلح خير من أن يقيما على التباعُد[١٧]، أو يصيرا إلى القطيعة[١٨]. ونفسُ كل واحد منهما تَشُحُّ[١٩] بمالها قِبل صاحبها[٢٠]. وقيل: المراد: شُحُّهن على النقصان من أموالهن وأنصبائهن[٢١] من أزواجهن[٢٢]. وهذا يقتضي مخاطبة الأزواج بمجانبة[٢٣] القبيح وإيثار الحسنى في معاملتهن، فبعث الله تعالى في هذا المكان على فعل[٢٤] الإحسان[٢٥].

وأما الثانية[٢٦] فجاءت[٢٧] بعد قوله:﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ في محبّتهن والشهوة لهن، لأنّ[٢٨] ذلك ليس إليكم، وإن حرصتم على التسوية بينهن ﴿ فلا تميلوا كلَّ الميل﴾ بأن تجعلوا كل مبيتكم وخلوتكم وجميل عِشرتكم وسعة[٢٩] نفقتكم عند التي تشتهونها دون الأخرى، فتبقى تلك معلقة لا ذات زوج ولا مطلّقة، فاقتضى هذا الموضع أن يحثّ الأزواج على إصلاح ما كان منهم[٣٠] من الانصباب إلى الواحدة دون ضرّاتها[٣١]

---

(١٦) أي: أن ترضى بترك بعض لياليها لِضرائرها، وذلك للرغبة في استبقاء رابطة الزوجية بينهما.

(١٧) ذلك بسبب الخصومة وسوء العِشرة.

(١٨) أي إلى الفرقة والهجران، والقطيعة ـ في اللغة ـ : الهجران.(القاموس المحيط، ٩٧٢ قطع).

(١٩) أي تبخل، وفي اللسان(٢/٤٩٥ شحح):«وقد شَحَحْتَ تشُحُّ، والشُّح ـ بضم الشين وفتحها ـ: البخل».

(٢٠) هذا معنى قوله تعالى:﴿وأُحضرت الأنفس الشحّ..﴾ وهو قول ابن زيد كما في تفسير الطبرى(٥/٣١٢)، واختاره المصنف رحمه الله تعالى.

(٢١) أي حظهن، والأنصباء جمع النصيب، والنصيب: الحظ.(القاموس المحيط،١٧٧نصب).

(٢٢) هذا القول هو اختيار الطبرى في تفسيره (٥/٣١٢) حيث قال رحمه الله:«وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عنى بذلك: أحضرت أنفسُ النساء الشحّ بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة. والشحُّ: الإفراط في الحرص على الشيء، وهو في هذا الموضع: إفراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها».

(٢٣) في(ب): بمجانسة، وهو خطأ.

(٢٤) في(ب): ترك.

(٢٥) ذلك بأن يحسن الأزواج معاملة أزواجهن، ويتركوا التعالي عليهن والإعراض عنهن ويصبروا على ما لا يرضونه منهن. (ينظر: تفسير الطبرى٥/٣١٢، وتفسير الآلوسي٥/١٦٢).

(٢٦) يعني جملةَ ﴿وإنْ تُصلِحوا وتتّقوا فإنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾

(٢٧) في (أ ، ب ، ك): فإنه جاء ، والمثبت من (ر) .

(٢٨) في(أ): فإن. والمثبت من(ب،ك).

(٢٩) في(أ): متعة. والمثبت من(ب،ك).

(٣٠) في (أ): بينهم .

(٣١) الضرّات جمع الضرّة، قال في اللسان(٤/٤٨٦،ضرر):«ضرّة المرأة: امرأة زوجها، والضرّتان: امرأتا الرجل، كل واحدةٍ منهما ضرّة لصاحبتها، وهن الضرائر».

مما سلف، واستئناف ما يقدرون عليه من التسوية، ويملكونه من الخلوة، وسعة النفقة، وحسن العشرة، فقال:﴿وإن تصلحوا وتتقوا﴾(٣١).

وأمّا جواب المسألة الثانية فقد بان ووضح بما ذكرت(٣٢) وبيّنت(٣٣) أنه لما قال: وإن(٣٤) جانبتم القبيح وآثرتم الإحسان(٣٥) فإن الله به عالم(٣٦)، وعليه مجازٍ، وهو(٣٧) قوله:﴿فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

ولمّا عَذَرَ(٣٨) الأزواجَ في بعض الميل، وهو الذي لا يملكون خلافه، حثّهم على ما يطيقون / فِعله بما ذكرت، وعلى إصلاح ما سلف منهم بما بيّنت، فإن الله تعالى يغفر لمن يُقلع(٣٩) عن قبائحه ويؤثر بعدها الحسنى من أفعاله، وهذا معنى(٤٠) قوله:﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾. [٢٢/ب

(٣١) قال أبو حيان في تفسيره(٤/٨٩) في ختم الآية الأولى بقوله تعالى:﴿ وإن تحسنوا﴾ وفي ختم الثانية بقوله تعالى:﴿وإن تصلحوا﴾:«ختمت تلك بالإحسان، وهذه بالإصلاح، لأن الأولى في مندوب إليه، إذ له ألاّ يحسن وأن يشحّ ويصالح بما يرضيه. وهذه لازم إذ ليس له إلاّ أن يصلح، بل يلزمه العدل فيما يملك». وأصل هذا الكلام موجود في تفسير ابن عطية(٤/٢٥٢).

(٣٢) في(ك): ذكرنا.

(٣٣) " وبيّنت " ليست في(ك).

(٣٤) في(ب،ك): إن، بدون الواو.

(٣٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وأمرتم بالإحسان.

(٣٦) في (ب): عليم.

(٣٧) في(ب،ك): وهذا.

(٣٨) أي رفع اللوم عنهم، وفي اللغة: عذرتُه فيما صنع عَذراً ، من باب ضرب: رفعت عنه اللومَ فهو معذورٌ: أي غير ملوم. (المصباح المنير:٥١٢).

(٣٩) أي يترك، وفي المصباح المنير(ص:٥١٢):«أقلع عن الأمر إقلاعاً».

(٤٠) « معنى » ليست في(ب،ك).

[٣٣] الآية الثالثة منها[١]

قوله تعالى:﴿ وإنْ يتفرّقا يُغْنِ الله كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وكان الله واسعاً حكيماً ﴾ ولِلّهِ ما في السّموات وما في الأرض ولقد وصّينا الّذين أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبلِكم وإيّاكم أنِ اتّقُوا اللهَ وإنْ تكفروا فإن لِلّه ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً ﴾ ولِلّه ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾[٢][النساء:١٣٠-١٣٢].

للسائل أن يسأل في هذه[٣] الآيات عن مسألتين:

إحداهما: عن تكرار قوله:﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ثلاث مرات؟

والثانية: عمّا تَبع المكرّر في قوله في آية[٤]:﴿وكان الله غنياً حميداً﴾ وفي أخرى:﴿وكفى بالله وكيلاً﴾[٥] والأولى لم يتبعها مثل ما تبع الوسطى والآخرة[٦]؟

والجواب عن المسألة الأولى - وهي[٧] التكرار - أنه: إذا أعيد[٨] الكلام لأسباب مختلفةٍ لم يسمّ تكراراً، فالأول[٩] بعد الإذن للرجل وامرأته[١٠] في أن يتفرّقا[١١] بطلاق، وتسليتُهما[١٢] عن الوُصلة[١٣] بأنه هو الذي يغني المحتاج منهما، وإن كان قبل ذلك أغنى كل واحدٍ منهما بصاحبه، فإنهما بعد الفرقة يرجوان الغِنى من عنده، لأنه واسع الرزق وواسع[١٤] المقدرة[١٥]، فإنّ لله ما في السموات وما في الأرض[١٦]، وأرزاقُ العباد من جملتها.

---

(١) في(ك): من هذه السورة.

(٢) أثبتت الآيات من (ب ، ك).

(٣) « هذه » سقطت من (أ).

(٤) في(ك): في آيتين قوله. وفي(و):في آية من قوله.

(٥) في(أ):﴿وكان الله واسعاً حكيما﴾ وفي أخرى:﴿وكان الله غنيا حميداً﴾ وفي أخرى:﴿وكفى بالله وكيلا﴾، فلا وجه له، لأن الجملة الكريمة الأولى لم تَتْبع المكرّر الذي هو:﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾، كما أن المؤلف رحمه الله لم يتطرّق إليها أثناء الجواب عن المسألة الثانية.

(٦) صيغة السؤال في(ح،خ،ر): فلِم كرّر ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ثلاث مرات، ولِم اختلف آخرُ كلّ آية؟

(٧) في(أ): وهو.

(٨) في(ب): أعد.

(٩) هكذا في(ب،ك). وفي(أ): فالأولى.

(١٠) في(أ،ب): والمرأة. والمثبت من(ك).

(١١) كذا في(ب،ك). وفي(أ): في أن يتفرقا يغن الله كلاّ من سعته بطلاق.

(١٢) في(أ،ك): وتسليتها. والمثبت من(ب)، وهو أنسب لما تقدم وهو:« أن يتفرّقا » .

(١٣) أي عن الاتصال. وفي المصباح المنير(ص٦٦٢): وُصلة:«وِزان غرفة: اتصال».

(١٤) « وواسع » سقطت من(ب). وفي(أ): واسع، بدون الواو. والمثبت من(ك،ر).

(١٥) هكذا في(ب،ك). وفي(أ): القدرة.

(١٦) « وما في الأرض » سقطت من(ب). وفي(ك): والأرض، بدل « وما في الأرض ».

وأمّا الثاني فإنه بعد قوله:﴿ولقدْ وصّينا الّذين أُوتُوا الكتابَ مِن قبلِكم وإيّاكم أنِ اتّقُوا اللهَ﴾[النساء:١٣١] أي اتقوا الله[١٧]، فإنه[١٨] واسع النعمة والفضل والرحمة، وقد أوسعكم منها، ووصّاكم ومَن قبلكم بتقواه والاستجارة[١٩] بطاعته مِن عقوبته، فإنكم[٢٠] إن عصيتم وكفرتم لم يكن لِلّه[٢١] حاجة إلى طاعتكم، وإنما أنتم تحتاجون[٢٢] إليها، والله غنيّ حميد، فوجب عليكم[٢٣] طاعته، لأن له ما في السموات وما في الأرض، وهو[٢٤] غنيّ بنفسه، حميد، لأنه جاد بما استحمد[٢٥] به إلى خلقه من الإحسان إليهم، والإنعام عليهم، فالمقتضي لذكر[٢٦] ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ في الثاني غير المقتضي له في الأول.

وأمّا الثالث فلأنه لمّا ذكر أنه أوجب طاعته على مَن قبلهم وعليهم، لأنه مَلَكَ[٢٧] ما في السموات وما في الأرض، وأنعم[٢٨] عليهم من ذلك[٢٩] ما حقّت به العبادة، اقتضى ذلك أن يخبرهم[٣٠] عن دوام هذه القدرة له، فكأنه قال: وله ذلك دائماً، وكفى به له حافظاً، أي لا زيادة على كفايته في حفظ ما هو موكول إلى تدبيره. والوكيل[٣١]: القيّم بمصالح الشيء، وقيل: هو الحافظ[٣٢]، وما قام الله تعالى بمصالحه فهو[٣٣] حافظه. فقد بان أنّ ذلك ليس بتكرار[٣٤].

---

(١٧) في(أ،ب): اتقوه. والمثبت من(ك).

(١٨) « فإنه » سقطت من(ك).

(١٩) أي وطلب الحفظ والحماية، وفي المصباح المنير(ص١١٤):«استجاره: طلب منه أن يحفظه».

(٢٠) في(ب): فإياكم.

(٢١) في(ك): بالله.

(٢٢) في(ك): محتاجون.

(٢٣) في(أ،ك):عليهم. والمثبت من(ب).

(٢٤) في(ك):وهي.

(٢٥) في اللغة العربية: استحمد إلى الناس بإحسانه إليهم: استوجب عليهم حَمْدهم له.(المعجم الوسيط،ص١٩٦).

(٢٦) في(أ،ب): لذكره. والمثبت من(ك،ر،خ).

(٢٧) في(ب): له، بدل " ملك ".

(٢٨) في(ك): فأنعم.

(٢٩) في(أ): ذاك.

(٣٠) " أن يخبرهم " سقطت من(ك).

(٣١) قال في النهاية(٥/٢٢١):«في أسماء الله تعالى: **الوكيل:** هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته: أنه يستقل بأمر الموكول إليه».

(٣٢) ينظر لسان العرب(١١/٧٣٤، وكل).

(٣٣) في(ك): وهو.

(٣٤) وضّح القرطبي رحمه الله في تفسيره (٥/٤٠٩) هذا التكرار فقال:«إن قال قائل:ما فائدة هذا التكرار؟ فعنه جوابان: أحدهما كرّر تأكيداً لِيتنبه العباد وينظروا في ملكوته وملكه، وأنه غنيّ عن العالمين. والجواب الثاني أنه كرر لفوائد: فأخبر في الأول: أن الله تعالى يغني كلاًّ من سعته، لأنّ له ما في السموات وما في الأرض، فلا تنفد

⟸

وأمّا الجواب عن المسألة الثانية من اتباعه قوله:﴿وإن تكفروا فإن لِلّه ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميداً﴾ فقد تضمنه(٣٥) الجواب عمّا ذكرت(٣٦) من التكرار، وهو كقوله:﴿إنْ تكفروا فإن الله غنيّ عنكم﴾[الزمر:٧] أي أنتم محتاجون إلى طاعته(٣٧)، ولم يقتض(٣٨) ما تقدم غير(٣٩) هذا الوصف. ولمّا اتصف تعالى بالغِنى، وكان الغني إذا لم يُجْدِ من غناه مذموما، والله تعالى قد غمر(٤٠) بعطائه المستحقّ وغيره من الكفار كان الغنيّ الحميدَ(٤١).

وأمّا قوله بعد الثالث:﴿وكفى بالله وكيلا﴾ فلأنه(٤٢) لما كان المعنى أنه دائم القدرة أخبر أن ما يحفظه ممّا في السموات وما في الأرض(٤٣) يكتَفَى(٤٤) به حافظاً، إذ ملكُه عليه دائم وتدبيره / فيه قائم. [٢٣/أ]

خزائنه. ثم قال: أوصيناكم وأهل الكتاب بالتوقى، وإن تكفروا فإنه غنيّ عنكم، لأن له ما في السموات وما في الأرض. ثم أعلم في الثالث بحفظ خلقه وتدبيره إياهم بقوله:﴿وكفى بالله وكيلا﴾ لأنّ له ما في السموات وما في الأرض..».

(٣٥) في(ب): تضمنته.

(٣٦) في(ك): ذكرنا.

(٣٧) في(أ): طاعتي.

(٣٨) في(ب): ولم يتقض.

(٣٩) « غير » سقطت من(ب).

(٤٠) في (ر): عمّ .

(٤١) الحميد هنا فعيل بمعنى مفعول أي المحمود.

(٤٢) في(أ): فإنه.

(٤٣) في(ب): والأرض.

(٤٤) في(ب): فكفى.

[٣٤] الآية الرابعة منها[١]

قوله عز وجل:﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامِين بالقسطِ شهداءَ للهِ ولوْ على أنفسِكم أوِ الوالدينِ والأقربينَ إنْ يكُنْ غنياًّ أوْ فقيراً فالله أوْلَى بهما فلا تتّبعوا الْهَوَى أنْ تَعْدِلوا وإنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾[النساء:١٣٥].

وقال[٢] في سورة المائدة[٨]:﴿يا أيّها الّذين آمَنوا كُونُوا قوّامِين لله شُهَداءَ بالقسطِ ولا يَجْرِمَنَّكم شنآنُ قومٍ على ألاَّ تَعْدِلوا اعْدِلوا هُوَ أقْرَبُ للتّقوى واتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: ما[٤] الفائدة في تقديم قوله ﴿بالقسط﴾ على قوله[٥] ﴿شهداء﴾ في الآية الأولى، وتأخيره عنه[٦] في الآية الثانية؟

والجواب أن يقال: إن الآية الأولى في الشهادة أمر الله[٧] عز وجل مَن عنده شهادةٌ أن يقوم بالحق فيها، ويشهد لله تعالى على[٨] كل مَن عنده حقّ لغيره يمنعه[٩] إياه حتى يصل إليه، فقال: قوموا ﴿بالقسط﴾ أي بالعدل في حال شهادتكم لله على كلّ ظالم حتى يؤخذ الحقّ منه، فقدّم ﴿بالقسط﴾[١٠] لأنه من تمام ﴿قوامين﴾ إذ فِعلُه يتعدّى إلى مفعوله بالباء.

وأمّا ﴿شهداء﴾ فإنها إذا كانت حالاً من الضمير في ﴿قوامين﴾ فإن حقّها أن تجيء بعد تمام ﴿قوامين﴾، وكذلك إن كانت خبراً ثانياً، وإن[١١] كانت صفةً لـ﴿قوامين﴾ فإنّ حقّها[١٢] أن تجيء بعدها[١٣].

---

(١) في(ك): من سورة النساء.

(٢) « قال » أثبتت من(ك).

(٣) في(أ): للسائل أن يقول.

(٤) « ما » سقطت من(ك).

(٥) « قوله » ليست في(ب،ك).

(٦) في (أ): عليه.

(٧) لفظ الجلالة أثبت من(ك).

(٨) في(أ): وعلى، بزيادة الواو، وهي خطأ.

(٩) هكذا في(ب،ك)، وفي(أ): ومنعه.

(١٠) في(أ،ك): القسط، والمثبت من(ب).

(١١) في(ك): في أن.

(١٢) أي فإنّ حقّ كلمة « شهداء ».

(١٣) يُفهَم من كلام المؤلف رحمه الله أنه يجوز أن تكون كلمة ﴿ شهداء ﴾ حالاً من الضمير في ﴿قوامين﴾، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لـ﴿كونوا﴾، ويجوز أن تكون صفةً لـ﴿قوامين﴾

وأمّا قوله ﴿ لله﴾ بعد ﴿شهداء﴾ فلتعلّقه بالشهادة، كأنه قال: كونوا شهداء لله، لا للّهو والميل إلى ذوي القربى، والدليل على ذلك أنه قال:﴿ولوْ على أنفسكم﴾ وشهادة الإنسان على نفسه أن يقرّ بالحق لخصمه، أي افعلوا ذلك لله[١٤] وإن كان عليكم أو على الوالدين وذوي القربى منكم.

وقوله عز وجل[١٥]:﴿إن يكنْ غنياً أو فقيراً﴾ أي إن يكن مَن عليه الحق على أحد هذين الوصفين فانتهوا[١٦] في أمره إلى ما أمر الله تعالى به[١٧]، ولا يحملنّكم الإشفاق مِن فقره على محاباته ولا يدعونّكم غِنى الغَنيّ إلى مداراته، فإن الله تعالى أولى بالنظر لهما، ولجميع عباده منهم لأنفسهم ولغيرهم.

وقوله:﴿فلا تتّبعوا الهوى أن تعدلوا﴾[١٨] أي كراهة أن تعدلوا[١٩] ﴿وإن تلْوُوا﴾ ألسنتكم بالشهادة ولم تُفصحوا بها ولم تقوموا بما يجب عليكم فيها، أو تتركوا[٢٠] ما يلزمكم منها، فإن الله عليم بعملكم، وهو مجازيكم على فعلكم.

وقيل: تلْوُوا بمعنى تَمْطُلوا[٢١]، مِن لويت الغريم إذا دفعته، كأنه قال: إن تدفعوا[٢٢] الشهادة[٢٣] ولم تؤدّوها وقت الحاجة إليها.

---

(١٤) لفظ « لله » ليس في (أ).

(١٥) « عز وجل » أثبتت من(ب).

(١٦) في(ب): فإنه يوا ، وهو خطأ.

(١٧) « به » أثبتت من(ب).

(١٨) الهوى هو ما تميل إليه النفس ممّا لم يبحه الله تعالى. وقوله:﴿ أن تعدلوا ﴾ من العدول عن الحق، أو من العدل، وهو القسط، فعلى الأول يكون التقدير: إرادة أن تجوروا أو محبة أن تجوروا، وعلى الثاني يكون التقدير: كراهة أن تعدلوا بين الناس وتُقسطوا. (ينظر: البحر المحيط٤/٩٦).

(١٩) « أي كراهة أن تعدلوا » أثبتت من(ب).

(٢٠) قوله: « أو تتركوا » هو معنى ﴿ أو تعرضوا ﴾. وذهب الطبري في معنى قوله تعالى:﴿وإن تلووا ﴾ إلى أنه ليُّ الشاهد شهادته لمن يشهد له وعليه، وذلك تحريفه إياها لسانه، وتركه إقامتها ليبطل بذلك شهادته لم شهد له وعمّن شهد عليه. وأما إعراضه عنها فإنه تركه إداءها والقيام بها فلا يشهد بها.(حامع البيان للطبري٥/٣٢٤):

(٢١) من باب « قتل »، ومَطَله بدَيْنه مطْلاً: إذا سوّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى. (المصباح المنير:٥٧٥). وقال **الزجاج**(٤٣٥/١) عند تفسير قوله تعالى:﴿وإن منهم لَفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب..﴾[آل عمران:٧٨]:«ويقال: لويت الشيء إذا عدلتَه عن القصد ليًّا، ولويت الغريم لِياناً، إذا مطلته بِدَيْنه». وقال عند تفسير الآية(١٣٥) من سورة النساء (١١٨/٢):«يقال: لويت فلاناً حقه إذا دفعته».

(٢٢) أي إن تمنعوا.

(٢٣) في (ر): بالشهادة .

ومن قرأ[٢٤] « تَلُوا »[٢٥] ـ بضم اللام وواو واحدة ـ فالمعنى[٢٦]: إن تلوا[٢٧] أمر الناس، من الولاية، أو تتركوه[٢٨].

ويجوز أيضاً أن يكون الأصل « تلووا » فأُبْدلت من الواو المضمومة همزة[٢٩]، ثم خففت بإلقاء حركتها على اللام، وحذفها وإن كان هذا مستضعفاً في الهمزة العارضة[٣٠].

وأمّا الآية التي في سورة المائدة فإن فحواها[٣١] يدل على أنها للولاة[٣٢]، فقال:﴿كونوا قوامين لله﴾ لا لِنفع، ويكون ﴿بالقسط﴾ متعلّقا بـ﴿قوامين﴾ أي: كونوا قوامين[٣٣] لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به[٣٤] في حال كونكم ﴿شهداء﴾ أي: وسائط بين الخالق والخلْق، أو[٣٥] بين النبي ﷺ وأمته كما قال تعالى:﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لِتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[البقرة:١٤٣]، فالقائم بتنفيذ أحكام الله تعالى بين خلقه إذا وفّى ما[٣٦] عليه من حقّه، فهو شهيد / على مَن وَليه، والرسول ﷺ شهيد عليه بما [٢٣/ب] نقله[٣٧] إليه، والدليل على أن الخطاب لِولاة الأحكام[٣٨] قولُه بعده:﴿ولايجرمنكم شنآن قومٍ

(٢٤) في(ك ، ر): وقرئ « تلوا »، بمعنى إن ولّيتم أمر الناس أو تركتموه .

(٢٥) « تلوا » بلام مضمومة وواو ساكنة: قراءةُ حمزة وابن عامر. والباقون: " تلوُوا " بلامٍ ساكنةٍ وواين بعدها، أولاها مضموضة.(كتاب السبعة لابن مجاهد:٢٣٩، الكشف للقيسي١/٣٩٩، كتاب الإقناع لابن باذش٢/٦٣٢).

(٢٦) في(أ): والمعنى، وفي(ك): بمعنى، والمثبت من(ب).

(٢٧) في(ب،ك): أن تلووا، وهو خطأ.

(٢٨) ينظر: تفسير الماوردي١/٤٢٨، تفسير ابن الجوزي٢/٢٢٣. وقال الزجاج(٢/١١٨):«ويجوز أن يكون ﴿وإن تلوا﴾ من الولاية،﴿أو تعرضوا﴾ أي: إن أقمتم بالأمر أو أعرضتم عنه». وعلى قراءة " تلوا " يكون الخطاب للولاة والحكام كما قال الماوردي وابن الجوزي في تفسيريهما.

(٢٩) فصارت: « تلؤوا ». (ينظر:معاني القرآن للزجاج٢/١١٨).

(٣٠) « العارضة » ليست في(ب).

(٣١) أي معناها، وفحوى الكلام: معناه.(القاموس المحيط،١٧٠٢فحو).

(٣٢) في(ب): الولاة، بدون اللام.

(٣٣) « قوامين » سقطت من(ب).

(٣٤) في(أ،ب): فيه. والمثبت من(ك،ر).

(٣٥) في(ب): الواو

(٣٦) في(ك): بما.

(٣٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): ينقله.

(٣٨) وافق المؤلفَ رحمه الله في جعْل الخطاب في آية المائدة للولاة: **الكرمانيُّ** في كتابَيْه: **البرهان**(ص١٥٨) و**غرائب التفسير**(١/٣٠٩)، والشيخُ **يحيى زكريا الأنصاري** في كتابه فتح الرحمن(ص١٢٦). **والذي** يبدو ـ والله أعلم ـ أن الخطاب عامّ، ولا يخصصه الدليل الذي ذكروه لِلولاة، فيكون المعنى: لا يحملنّكم بغض قومٍ على أن تجوروا عليهم ⟸

على ﴿أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلوا هو أقرب للتقوى﴾[المائدة:٨]، وذلك عام في المخالفين من أهل الأديان والموافقين ممّن حصلت لهم(٣٩) بِغْضَة(٤٠) وعداوة، أي: اعدلوا على الوليّ والعدوّ عدلا(٤١) واحداً.

وقيل في هذه الآية: إنها أيضا(٤٢) في الشهادة في الحقوق(٤٣). وقيل: في الشهادة لأمر الله تعالى بأنه(٤٤) حقّ(٤٥). وقيل معناه(٤٦): قوموا في كل ما يلزمكم القيام فيه(٤٧) من الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر وتجنّبه(٤٨).

وتجاوزوا الحدّ فيهم. وقال **الرازي** في تفسيره(١١/١٨٥):«أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعامِلوا أحداً إلاّ على سبيل العدل والإنصاف وترك الميل والظلم والاعتساف».

(٣٩) هكذا في(ب،ك،ر،ح)، وفي(أ): له.

(٤٠) البِغْضَة ـ بكسر الباء ـ شدة البغض.(القاموس المحيط،٨٢٢ بغض).

(٤١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): عدولا.

(٤٢) ف(ك): أيضا انها، بتقديم « أيضا » وتأخير « انها ».

(٤٣) في (ب): بالحقوق. **قلت**: نسب الماوردي هذا القول في تفسيره(٤٥١/١) إلى الحسن. والمراد بالحقوق هنا حقوق الناس كما في تفسير الماوردي.

(٤٤) في(أ): أنه.

(٤٥) لم أجد هذا القول إلاّ أن الماوردي ذكره من غير نسبة إلى أحد.

(٤٦) هذا المعنى الثالث لم يذكره الماوردي، وإنما ذكر(٤٥١/١) معنى آخر بدله، وهو: الشهادة بما يكون من معاصي العباد. وفي تفسير الخازن(٢٣/٢):«ومعنى ذلك: هو أن يقوموا لله بالحق في كل ما يلزمهم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه».

(٤٧) في(ب): منه.

(٤٨) في آخر المطاف نرى أن المؤلف رحمه الله تطرّق إلى قضايا تفسيرية وتوسّع فيها وخرج عن دائرة الجواب للسؤال المطروح، وهو لماذا قدّم ﴿ القسط ﴾ في سورة النساء، وأخر في سورة المائدة؟ **وقد أجاب عن هذا السؤال أبو حيان** وأجاد في التوضيح فقال(١٩٦/٤):«وهذا من التوسع في الكلام والتفنّن في الفصاحة، ويلزم مَن كان قائما لله أن يكون شاهداً بالقسط، ومَن كان قائما بالقسط أن يكون شاهدا لله إلاّ أن التي في النساء جاءت في معرض الاعتراف على نفسه ووالديه وأقاربه، فبدئ فيها بالقسط الذي هو العدل في القضاء من غير محاباة نفسٍ ولا والد ولا قرابةٍ، والآيةُ التي في المائدة جاءت في معرض ترك العداوة فبدئ فيها بالأمر بالقيام لله لأنه أردع للمؤمنين ثم أردف بالشهادة بالعدل، فالتي في معرض المحبة والمحاباة بدئ فيه بما هو آكد وهو القسط وفي معرض العداوة والشنآن بدئ فيها بالقيام لله، فجيء في كل معرض بما يناسبه».

[٣٥] الآية الخامسة منها[١]

قوله عز وجل:﴿إنْ تُبْدُوا خيراً أوْ تُخفُوه أوْ تَعْفُوا عنْ سوءٍ فإنّ ا لله كان عفواً قديراً﴾[النساء:١٤٩].

وقال في سورة الأحزاب[٥٤]:﴿إنْ تُبْدُوا شيئاً أو تُخفُوه فإنّ ا لله كان بكل شيءٍ عليماً﴾.

للسائل أن يسأل عن الآية الأولى لِم خصّ فيها **خير**، ولِم عمّ في الثانية بلفظ[٢] **شيء**[٣]؟

والجواب أن يقال: إنما خصّ في هذا الموضع **الخير** بالإبداء لأنه بإزاء **السوء** الذي قال فيه:﴿لا يحب ا لله الجهر بالسوء من القول إلاّ مَن ظُلم..﴾[النساء:١٤٨]، والمعنى:لا يحب ا لله أن يَجهر بالقول السيء غيرُ المظلوم، وهو أن يدعو على مَن ظلمه[٤]، أو[٥] أن[٦] يخبر بظلمه له[٧]، أو أن[٨] ينتصر منه[٩] بسوء مقاله فيه فقال: إن أبديتم ثناء وذكرا جميلا لمن[١٠] يستحقهما أو أخفيتموهما[١١] أو سكتّم عمّن أساء إليكم بالعفو عنه فإن ا لله مع قدرته كثير العفو عن خليقته[١٢]، فاقتضت في هذه الآية[١٣] المقابلة أن يُجعل بإزاء السوء الخيرُ.

---

(١) في(ك): من سورة النساء.

(٢) « بلفظ » ليست في(أ).

(٣) في(ك): وعن الثانية لِم عمّ بلفظ شيء.

(٤) هذا قول ابن عباس رضي ا لله عنه، رواه عنه ابن جرير في تفسيره(١/٦) بلفظ:«لا يحب ا لله أن يدعو أحد على أحد إلاّ أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرخص له أن يدعو على مَن ظلمه، وذلك قوله:﴿إلاّ مَن ظلم﴾، وإن صبر فهو خير له».

(٥) في(ك): الواو، بدل « أو ».

(٦) « أن » ليست في(أ).

(٧) هذا قول مجاهد كما في تفسير الماوردي(١/٤٣١) وتفسير ابن الجوزي(٢/٢٣٨). وفي تفسير الطبري(٦/٢) عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال:«هو الرجل يَنزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته فيخرج مِن عنده فيقول: أساء ضيافتي ولم يحسن».

(٨) « أن » ليست في(ب،ك).

(٩) هذا قول الحسن والسدي كما في تفسير الماوردي(١/٤٣١) وتفسير ابن الجوزي(٢/٢٣٨).وفي تفسير الطبري(٦/٣) عن السدي:«﴿لا يحب ا لله الجهر بالسوء من القول إلاّ مَن ظُلم﴾ يقول: إن ا لله لا يحب الجهر بالسوء مِن أحد من الخلق ولكن مَن ظُلم فانتصر بمثل ما ظُلم فليس عليه جُناحٌ».

(١٠) في(أ): لم.

(١١) في (أ): أخفيتموها ، وفي(ب): أخفيتموه، والمثبت من (ك ، ر).

(١٢) أي عن خلقه، والخَلق والخليقة بمعنىً واحدٍ، يراد بهما جميع الخلائق. (لسان العرب١٠/٨٦ خلق).

(١٣) في(ب،ك): في هذا المكان.

وأمّا في الآية التي في الأحزاب[١٤] فلأنّ[١٥] قبلها تحذيراً من إضمار ما لا يحسن إضماره في[١٦] قوله عز وجل:﴿والله يعلم ما في قلوبكم..﴾[الأحزاب:٥١]، وقوله:﴿..وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسْألوهن مِن وراءِ حجابٍ ذلكم أطهرُ لقلوبكم وقلوبهنَّ..﴾[الأحزاب:٥٣]، فاقتضى هذا المكان العموم[١٧]، فقال تعالى: إن تبدوا مما حذّركم الله[١٨] شيئا أو تخفوه ﴿فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ لم يزل عليما بما[١٩] يكون كعلمه بما كان.

انقضت سورة النساء عن خمس آيات، وسبع[٢٠] مسائل[٢١].

---

(١٤) في(أ،ب): في الآية الثانية. والمثبت من(ك).

(١٥) في(ب): فإن. وفي(ح،خ،ر): فكان.

(١٦) " في " سقطت من(أ).

(١٧) يشير إلى أن لفظ " الشيء " من ألفاظ العموم . وقال ابن جماعة(ص١٤٣):«وآية الأحزاب في سياق علم الله تعالى بما في القلوب لتقدّم قوله تعالى:﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾، ولذلك قال:﴿ شيئاً ﴾، لأنه أعمّ من الخاص».

(١٨) في (ب): حذّرتكم .

(١٩) في(ب): لا، بدل " بما " وهو خطأ.

(٢٠) في ك،ر،ح،خ): فيها ، بدل " وسبع ».

(٢١) بعد عدِّ المسائل التي مرّت في هذه السورة وجدت أن المؤلف رحمه الله تناول مسائلَ ثمانيةً، منها مسألتان في الآية الأولى، ومسألتان في الثانية، ومسألتان في الثالثة، ومسألة واحدة في الرابعة، ومسألة واحدة في الآية الخامسة، وبذلك يكون عدد المسائل المتناولة ثمانية، وليس سبعاً.

سورة المائدة

[٣٦] الآية الأولى منها

قوله عز وجل:﴿وعد الله الّذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ﴾[المائدة:٩].

وقال في آخر سورة الفتح[٢٩]:﴿..وعد الله الّذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[١]: لِم رُفع قوله[٢]:﴿مغفرة وأجر عظيم﴾ في الأية الأولى، ونُصب[٣] في الثانية؟

والجواب أن يقال: لقوله تعالى:﴿ لهم ﴾ في الأولى[٤]، وقوله[٥]:﴿ منهم ﴾ في الثانية [فائدة][٦]، وذلك أنه لمّا قال في الأولى[٧]:﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصّالحات﴾ عُلم[٨] أنهم وُعدوا بما[٩] هو حق لهم فعدل عن ذكر المفعول إلى جملة تضمّنت معناه، والجملة[١٠] ابتداء وخبر، وهي في موضع مفرد منصوب، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا مغفرةً[١١].

---

(١) هكذا في(ب،ك). وفي(أ): للسائل أن يقول.

(٢) « قوله » زيادة من (ح،خ،ر،س).

(٣) هكذا في النسخ السابقة، وفي(أ): ونصبها في الثانية. وفي(ب،ك): ونصبا في الثانية.

(٤) في(أ): في الآية.

(٥) « قوله » زيادة من(ح،خ،د).

(٦) هذه الزيادة غير موجودة في النسخ المخطوطة، ولا بد منها، ولذا أثبتها من المطبوعة.

(٧) « في الأولى » سقطت من(ب).

(٨) في(ك): علموا.

(٩) في(ب،ك): ما.

(١٠) هكذا في أكثر النسخ. وفي(أ): فالجملة. وفي(ك): عن الجملة.

(١١) وجّه هذا المعنى القرطبي في تفسيره(٦/١١٠) فقال:«ولمّا كان الوعد من قبيل القول حسُن إدخال اللام في قوله:﴿لهم مغفرة﴾، وهو موضع نصبٍ، لأنه وقع موقع الموعود به، على معنى: وعدهم أن لهم مغفرة، أو وعدهم مغفرة إلا أن الجملة وقعت موقع المفرد ». وذكر **الطبري** (٦/١٤٣) تقدير « أن » في معنى الآية فقال: معنى الكلام: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يغفر لهم ويأجرهم أجراً عظيماً، لأن من شأن العرب أن يصحبوا الوعد « أن » ويُعملوه فيها، فتركت « أن » إذ كان الوعد قولاً. ومن شأن القول أن يكون ما بعده من جمل الأخبار..». وكلمة " مغفرة " سقطت من(ب).

ومثله قول الشاعر:

وجَدْنا الصّالِحين لهم جزاءٌ وجنـاتٍ وعيناً سلسبيلا(١٢)

كأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً وجناتٍ و(١٣)عيناً، فاللام في « لهم » داخلة على(١٤) ضمير « الصالحين » فكأنها داخلة عليهم، وكأنه قال: وجدنا للصالحين جزاءً، وعطف على موضع الجملة التي هي « لهم جزاء » منصوباً(١٥)، إذ كان موضع(١٦) الجملة موضع نصب.

وأمّا الآية الأخرى فإنّ ﴿منهم﴾ فيها متعلقة بـ﴿الذين آمنوا وعملوا / الصالحات﴾ [٢٤/أ] ومن(١٧) تمامها، ولم يكن هناك ما ترتفع ﴿مغفرة﴾ به(١٨)، فتعدّى(١٩) إليها الفعل الذي هو ﴿وعد﴾ فجرى على الأصل في نصب المفعول به(٢٠).

فإن قيل(٢١): كيف(٢٢) يحتمل أن يبعّض، والقوم الذين(٢٣) أخبر الله(٢٤) عنهم بقوله:﴿محمدٌ رسول الله والّذين معه أشدّاءُ على الكفّار﴾[الفتح:٢٩] مع سائر ما وصفهم الله تعالى به(٢٥)، وأثنى عليهم بذكره، كلهم وُعدوا مغفرةً وأجراً عظيماً؟

والجواب عن ذلك من وجهين:

---

(١٢) استشهد به سيبويه في« الكتاب »(١/٢٨٨) في حذف الفعل الناصب لـ « جنات » وما بعده. والتقدير:وجدنا لهم جناتٍ وعيناً..، وقال:« لأن الوجدان مشتمل في المعنى على الجزاء، فحمل الآخِر على المعنى، ولو نصب الجزاء..لَجاز». ونسبه إلى عبد العزيز الكلابي، وهو **عبد العزيز بن زرارة الكلابي**: أحد شعراء العرب وأشرافهم، توفي في عهد معاوية. والبيت موجود في «المقتضب» **للمبرد**(٣/٢٨٤)، وغرائب التفسير **للكرماني**(١/٣٤٣)، والبرهان له(ص١٦٠)، وتفسير القرطبي(٦/١١٠). وكان الظاهر رفع «جنات»، وبعده عطفاً على « جزاء »، ولكن « جنات » هاهنا في رأي المؤلف عطفت على محلّ ﴿لهم جزاء﴾. قال الراغب في المفردات(ص٤١٨) في معنى « سلسبيلا »:«أي سهلاً لذيذاً سَلِساً حديدَ الجِرية، وقيل: هو اسم عينٍ في الجنة».

(١٣) الواو ساقطة من(ب).

(١٤) في(أ): في.

(١٥) المنصوب هنا « جنات ».

(١٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ،ب): وموضع.

(١٧) في(ب): وعن.

(١٨) في(أ): ما ترفع به مغفرة. وفي(ب): ما يرفع مغفرة به. والمثبت من(ك،ح،خ،د،ر).

(١٩) في(ك): فيتعدى.

(٢٠) « به » سقطت من(أ).

(٢١) في(أ،ك): قال. والمثبت من(ب،ح،خ).

(٢٢) في(ب): فكيف.

(٢٣) في(ب): الذي.

(٢٤) لفظ الجلالة زِيد من(د).

(٢٥) في(أ): ما وصفهم به الله. والمثبت من(ب،ك).

أحدهما أن يقال: إنّ « مِن» في هذا المكان ليست للتبعيض، وإنما[٢٦] هي لتبيين الجنس، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم هم[٢٧]، كما قال:﴿..فاجتنبوا الرِّجس من الأوثان..﴾[الحج:٣٠]، أي اجتنبوا[٢٨] الرجس الذي هو الأوثان.

والجواب الثاني أن يكون التقييد للتحذير، لأنهم وإن علم الله تعالى منهم الثبات[٢٩] على ما هم عليه من العمل الصالح فإنه لا يخلّيهم من الأمر والنهي والوعد والوعيد، على معنى: دوموا[٣٠] على ما أنتم عليه، فإنّ مَن دام منكم عليه فقد وعده الله تعالى مغفرة وأجراً عظيما[٣١].

فإن قال قائل[٣٢]: فلماذا[٣٣] خصّت الآية الأولى بأن جُعل مفعولُها الثاني جملة، والآية الثانية مفعولها مفرداً[٣٤].

قلت: لأنّ الأولى[٣٥] خطاب لقوم[٣٦] حثّهم على توخّي[٣٧] العدل فيما يحكمون به، وهو[٣٨] أعمّ من حثّ الصحابة الذين ذكرهم في آخر سورة الفتح، وأثنى عليهم بالشدة على الكفار، والرحمة للمؤمنين وملازمة الركوع والسجود وابتغاء رضوان الله، وأنّ مثلهم

---

(٢٦) في(ب،ك): إنما، بدون الواو.

(٢٧) « هم » سقطت من(أ،ك)، وأثبتت من(ب).

(٢٨) « اجتنبوا » ليست في(ب،ك).

(٢٩) في(ب): الثبات منهم.

(٣٠) في(ب،ك): قوموا.

(٣١) هذان الجوابان اللذان أوردهما المؤلف فقد ذكرهما **الزجاج** في معاني القرآن فقال(٥/٢٩):«﴿منهم﴾ فيه قولان: أن تكون ﴿منهم﴾ هاهنا ـ أي في سورة الفتح ـ تخليصاً للجنس من غيره كما تقول: أنفق نفقتك من الدراهم لا من الدنانير، **المعنى** : اجعل نفقتك من هذا الجنس، وكما قال تعالى:﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ لا يريد أن بعضها رجس، وبعضها غير رجس، ولكن المعنى: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، فمعنى الآية: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحاب النبي ﷺ المؤمنين أجراً عظيماً، وفضّلهم الله على غيرهم لسابقتهم وعظّم أجرهم. **والوجه الثاني** أن يكون المعنى: وعد الله الذين أقاموا منهم على الإيمان والعمل الصالح مغفرة وأجرا عظيما».اهـ . والقول الأول هو الأظهر والأشهر.(ينظر: معاني القرآن للنحاس٦/٥١٨، تفسير القرطبي٦/٢٩٥).

(٣٢) « قائل » ليست في(ب،ك).

(٣٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): فلِم.

(٣٤) في(أ،ك): مفرد، بالرفع. والمثبت من(ب).

(٣٥) في(أ): لأن الأول. وفي(ك): إن الأولى.

(٣٦) في(أ): لأهل.

(٣٧) أي تحرّي، وفي القاموس المحيط(ص١٧٢٩وخى):«توخّى رضاه: تحرّاه».

(٣٨) في(ك): هم، وهو خطأ.

﴿..كزرعٍ أخرج شَطْأَه..﴾[٣٩] إلى آخر الآية[٤٠]، فخصّ هؤلاء بصريح المغفـرة وذكـر أنـه وعدهم ذلك.

وقال في الآية الأولى[٤١]: ﴿وعد ا لله الذين آمَنوا وعملوا الصالحات﴾ فكان إخباراً عن وعده إياهم، ثم أتـى بخبر ثـان فقـال:﴿لهـم مغفـرة﴾ علـى معنـى: إن وافـوا[٤٢] بذلـك و لم يحبطوه[٤٣] بالسيّئات، فجوّز منهم هذا[٤٤]، و لم يعلّق المغفرة بوعد فيعدّيه إليها[٤٥].

وفي الآية الثانية حقّق المغفرة[٤٦] لهم، وعـدّى الفعـل إليهـا، وكـان كـالحكم[٤٧] بـأنهم يوافون الآخرة بأعمالهم الصالحة، وقد وعدهم ا لله تعالى عنها المغفرة والأجـر العظيـم. فـلاق بكل آية ما خصّت به. فاعرفْه إن شاء ا لله تعالى.

(٣٩) قال الراغب في المفردات(ص٤٥٥):« شطْء الزرع: فروخ الزرع، وهو ما خرج منه، وتفرّع في شاطِئَيه، أي: في جانبيه».

(٤٠) هي الآية (٢٩) من سورة الفتح.

(٤١) في(ب،ك): في الأولى.

(٤٢) في(ب): وفوا. وفي(ط): قاموا.

(٤٣) في(ب): وإن لم يحبطونه. وفي(ك): وإن لم يحبطوه.

(٤٤) في(ب): هذا منهم.

(٤٥) أي: لم يجعل المغفرة متعلقة بالوعد، ولذا لم يجعل فِعل « وعد » متعدّيا إلى المغفرة.

(٤٦) من قوله « بِوعدٍ فيعديه » إلى هنا سقط من(أ).

(٤٧) هكذا في(ب،ح،خ،ر،س). وفي(أ): وكان الفعل. وفي(ك): وكان الحكم.

[٣٧] الآية الثانة منها[١]

قوله تعالى:﴿فبما نقضهم ميثاقهم لَعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسيةً يحرّفون الكلِم عن مواضعه ونسُوا حظاً ممّا ذُكّروا به..﴾[المائدة:١٣].

وقال تعالى بعده[٢] في هذه السورة:﴿..سمّاعون لِلكذب سمّاعون لِقومٍ آخَرين لمْ يأْتوك يحرِّفون الكلِم مِن بعد مواضعه..﴾[المائدة:٤١].

للسائل أن يسأل فيقول: لِم قال في الآية[٣] الأولى:﴿يحرِّفون الكلِم عن مواضعهِ..﴾ وقال في الثانية[٤]:﴿..من بعد مواضعه..﴾[٥] ؟ وما الفرق بين الموضعين وبين اللفظين[٦] حتى اختص كل واحدٍ منهما باللفظ الذي خصّ به[٧]؟

والجواب أن يقال[٨]: إنّ الآية الأولى في اليهود الذين حرّفوا ما أنزل الله تعالى من كلامه عمّا علموه[٩] تأويلاً له، فيكون[١٠] هذا تحريفاً من جهة التأويل، وحرّفوا أيضاً من جهة التنزيل[١١] كما قال:﴿وإن منهم لَفريقاً يَلْوُون ألسنتَهم بالكتاب لِتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[آل عمران:٧٨].

---

(١) في(ك): من سورة المائدة.

(٢) « بعده » أثبتت من(ك).

(٣) « الآية » أثبتت من(خ،س).

(٤) في(ب): وفي الثانية. والمثبت من(ك،ر).

(٥) من قوله « للسائل أن يسأل فيقول: » إلى هنا سقط من(ب).

(٦) في(ب،ك): بين اللفظتين وبين الموضعين.

(٧) في(أ،ب): خصه. والمثبت من(ك،ر).

(٨) « أن يقال » ليست في(أ).

(٩) في(ك): عملوه.

(١٠) هكذا في(ب،ك،ر)، وفي(أ): فكان.

(١١) يدل كلام المؤلف رحمه الله على أن التحريف الذي وقع منهم نوعان: (أ): تحريف الألفاظ بالتبديل والتقديم والتأخير والزيادة والنقص، كما حصل منهم تحريفٌ في قولهم موضع " حطّة " حنطة. (ب): تحريف المعاني بالتأويل الباطل وحملِ الألفاظ على غير ما وضعت له. **قال ابن عطية** (٣٧٨/٤):« واختلفوا في معنى قوله ﴿يحرّفون الكلم﴾ فقال قومٌ منهم ابن عباس رضي الله عنهما: تحريفهم هو بالتأويل، ولا قدرة لهم على تبديل الألفاظ في التوراة، ولا يتمكّن لهم ذلك، ويدل على ذلك بقاء آية الرجم، واحتياجهم إلى أن يضع القارئ يدَه عليها. وقالت فرقةٌ: بل حرّفوا الكلام وبدّلوه أيضاً، وفعلوا الأمرين جميعاً بحسب ما أمكنهم». ثم قال رحمه الله:«ألفاظ القرآن تحتمل المعنيين». يعني ابن عيطية رحمه الله تعالى أن ألفاظ القرآن النازلة فيهم تتسع لكلا المعنيين المذكورين، لا أنها في ذاتها تقبل التبديل، لأنها محفوظة بحفظ الله تعالى.

فقولُك: « عن » في كلام العرب موضوع لِما عدا الشيءَ(١٢)، تقول: أطعمه عن(١٣) جوع وكساه عن(١٤) عُرْي(١٥)، فكانوا يعْدون(١٦) / بالكلم(١٧) تأويلَه الذي له، وتنزيله الذي جاء عليه إلى غيره ممّا هو باطل. [٢٤/ب]

و« عن »(١٨) في هذا الموضع تقرُب من معنى(١٩) « بعد »، لأنك تقول: أطعمه بعد جوعٍ وكساه بعد عُريٍ(٢٠)، إلاّ أن الأصل في هذا المكان أن تستعمل « عن »(٢١)، لأنّ « بعد» قد تكون لِما تأخّر زمانه عن زمان [غيره](٢٢) بأزمنة كثيرة وبزمنٍ واحد، و « عن » لِما جاوز الشيءَ إلى غيره وملاصقاً زمنُه لِزمنه(٢٣)، والمراد: إذا قال: أطعمه عن جوع، وسقاه عن عطشٍ، ليس يراد به إلاّ أنه لمّا عطش سقاه، ولمّا جاع أطعمه(٢٤).

وأمّا الآية الثانية فهي في قوم من اليهود أخبر الله تعالى عنهم أنهم(٢٥) سمّاعون لِما تقوله لِيكذبوا عليك، ويخبروا بخلاف ما تقوله عنك، وينقلوا كلامك إلى قومٍ آخرين لم يأتوك(٢٦).

ومعنى ﴿يحرِّفون الكلِمَ مِن بعد مواضعه﴾ يحتمل أن يكون المراد من(٢٧) بعد موت النبي ﷺ لِيجعلوه على خلاف ما سمعوه منه، وهذا موضع « بعد » لا موضع « عن »، لأنه ليس يعدوه إلى المحرَّف إليه فينفصل عمّا جاء عليه إلى الكذب مقارناً له، وإنما ذلك بعده بأزمنة

(١٢) ينظر: الكتاب لسيبويه ٢٢٦/٤، الصحاح للجوهري ٢١٦٧/٦ مادة «عنن».

(١٣) في(ب): من.

(١٤) في(ب): من.

(١٥) العُرْي - بالضم -: خلاف اللبس.(القاموس المحيط، ١٦٩٠ مادة عري).

(١٦) أي يجاوزون، وفي القاوس المحيط(١٦٨٨ مادة عدا): عدا الأمرَ: جاوزه وتركه.

(١٧) الكلِم جمع كلمة.(معاني القرآن للزجاج ١٦٠/٢).

(١٨) « عن » سقطت من(ب).

(١٩) في(ب): يقرُب معنى.

(٢٠) من قوله « عن عُري » إلى هنا سقط من (ك).

(٢١) « عن » سقطت من(أ).

(٢٢) في النسخ كلها: عن زمانه. ولعلَّ الصواب بزيادة « غيره ».

(٢٣) من قوله « بأزمنة كثيرة » إلى هنا سقط من(ك).

(٢٤) في(ك): وأطعمه وقتَ حاجته. وفي(ب): إذا قال: أطعمه عن جوع وكساه عن عري ليس يراد به إلا أنه لما جاع أطعمه ولمّا عري كساه.

(٢٥) في(ك): بأنه.

(٢٦) يعني اليهود الذين لم يحضروا مجالسَ رسول الله ﷺ بغضاً وكفراً وعناداً، يشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿..ومِن الذين هادوا سمّاعون لِلكذب سمّاعون لِقومٍ آخرين لم يأتوك..﴾.(المائدة:٤١).

(٢٧) « من » سقطت من(أ).

كثيرة يتوقّعون مضيّها لِيسهُل كذبهم بعدها، ويكون التقدير:﴿..سمّاعون لِقومٍ آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلِم من بعد مواضعه..﴾ أي: ناوين تحريفه(٢٨) من بعد وقوعه مواقعه، وحصوله مواضعه، فمحرّفين(٢٩) بمعنى ناوين التحريف كقوله تعالى:﴿..وخرّوا له سجّداً..﴾[يوسف:١٠٠] أي: ناوين السجود(٣٠)، وكذلك:﴿..فادخلوها خالدين﴾[الزمر:٧٣] أي: ناوين الخلودَ(٣١)، ومقدِّرين له، وهذا ظاهر في هذا(٣٢) المكان، لايصلح(٣٣) فيه إلا ما نطق القرآن به.

ويحتمل أن يكون المراد ما ذهب إليه أكثر أهل التفسير(٣٤)، وهو أن قوماً أرسلوا هؤلاء إلى النبي ﷺ في قصة زانٍ محصنٍ فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد بالجلد فخذوه(٣٥)، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه(٣٦). وقال قتادة(٣٧):« كان هذا في(٣٨) قتيلٍ منهم فقالوا: إن أفتاكم محمد بالدية فاقبلوه، وإن أفتاكم بالقَوَدِ(٣٩) فاحذروه(٤٠)».

---

(٢٨) هذا المعنى يدل على أن المؤلف رحمه الله جعل ﴿يحرّفون الكلم..﴾ حالاً من الضمير في ﴿سماعون﴾، قال السمين الحلبي في الدر المصون(٢٦٨/٤):« قوله:﴿يحرّفون﴾ يجوز أن يكون صفةً لـ﴿سماعون﴾ أي: سمّاعون محرفون، يجوز أن يكون حالاً من الضمير في ﴿سماعون﴾ ويجوز أن يكون مستأنفاً لا محلّ له..».

(٢٩) في(أ،ب): محرفين. والمثبت من(ك).

(٣٠) أجمع المفسرون على أنّ سجود أسرة يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ له كان سجود تحيةٍ وتشريفٍ على عادة أهل ذلك الزمان، لا سجود عبادةٍ. (ينظر: أحكام القرآن لابن العربي٤٥٠/٢، معالم التنزيل للبغوي١١٠٦/٣، تفسير القرطبي٢٦٥/٩).

(٣١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): الدخول، والمثبت أليق بالمكان. والله أعلم.

(٣٢) « هذا » سقطت من(أ).

(٣٣) في(ب): لا يصح.

(٣٤) في(ب): أكثر المفسرين.

(٣٥) في(أ،ب): فحدّوه. والمثبت من(ر)، وهو الذي جاء في قوله تعالى:﴿..يقولون إنْ أُتيتم هذا فخذوه وإن لم تُؤتوه فاحْذَروا..﴾ سورة المائدة:٤١.

(٣٦) قال ابن الجوزي في تفسيره (٣٥٨/٢):« هذا قول الجمهور». ومن هؤلاء المفسرين: ابن عباس وجابر رضي الله عنهم، والسدّي. وإلى ذلك ذهب الطبري في تفسيره (٢٣٦/٦).

(٣٧) هو قتادة بن دِعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ: أبو الخطاب السَّدوسي البصري التابعي: حافظ العصر، قدزة المفسرين والمحدثين. (ينظر: تذكرة الحفاظ ١٢٢/١، تهذيب التهذيب٣٥١/٨، تهذيب الأسماء واللغات للنووي٥٧/١القسم الأول).

(٣٨) « في » ليست في(أ).

(٣٩) القَوَد ـ بفتحتين ـ: القصاص (المصباح المنير،ص٥١٩. وفي اللسان:قتل النفس بالنفس.(لسان العرب٣٧٢/٣ قود).

(٤٠) يدل على هذا المعنى ما جاء في صحيح مسلم (١٣٢٧/٣،رقم١٧٠٠)،كتاب الحدود، باب رجم اليهود، عن البراء بن عازب رضي الله عنه في حديثٍ طويل..، وجاء فيه:« ..ائتوا محمداً ﷺ ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا». اهـ.

وكانوا حرّفوا في القولين[٤١] حكْمَ الله تعالى الذي في التوراة مِن بعد أن عُمل به في مواضعه ولم يحرّفوه ساعة نزوله ووجوب[٤٢] العمل به، وهذا معنى قوله تعالى:﴿..يقولون إنْ أوتيتم هذا فخذوه وإنْ لم تُؤْتَوْهُ فاحْذَروا..﴾[المائدة:٤١].

وقيل: إن " هذا " إشارةٌ إلى دين[٤٣] اليهود[٤٤]، أي: إن جاءكم محمد[٤٥] بدينكم فاقبلوه[٤٦]، وإن لم يأتِكم به فاحذروه. فقد بان الفرق بين الموضعين[٤٧] بما بيّناه. والله أعلم.

---

(٤١) أي: في قول الجمهور وقولِ قتادة، حيث إن الجمهور قالوا: إن الذي حصل كان في شأن قضية زانٍ محصنٍ، التي تحاكم فيها اليهود إلى النبي ﷺ . وقول قتادة يدل على أن الذي حصل كان في قضية دماء، **فلا تعارض** بينهما، لأنه قد تكون هاتان القضيتان قد حصلتا في وقتٍ واحدٍ أو متقارب، وقد قرّر العلماء رحمهم الله أنه لا مانع مِن تعدُّدِ أسباب النزول للآية الواحدة، أو للطائفة من الآيات.

(٤٢) في(ك): ووجب.

(٤٣) في (ب): عين.

(٤٤) لم أعثر على نسبة هذا القول إلى أحدٍ فيما لديّ من المصادر في التفسير. وقد ذكر أبو حيان (٢٦٢/٤) في اسم الإشارة ثلاثة أقوال فقال:« الإشارة بـ"هذا" إلى التحميم والجلد في الزنا. وقيل: إلى قبول الدية في أمر القتل، وقيل: على إبقاء عزّة النضير على قريظة، هذا بحسب الاختلاف المتقدم في سبب النزول».

(٤٥) « محمد » ليست في(أ).

(٤٦) في(ب): فاقتلوه.

(٤٧) الموضع الأول هو قوله تعالى:﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبَهم قاسيةً يحرّفون الكلم عن مواضعه..﴾[المائدة:١٣]. **والموضع الثاني قوله تعالى**:﴿..ومِن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لِقومٍ آخرين لم يأتوك يحرِّفون الكلِم مِن بعد مواضعه..﴾[المائدة:٤١]. وهناك **موضع آخر** لم يذكره المؤلف رحمه الله، يبيِّن الله تعالى فيه كما في الموضعين السابقين حالَ بعض أهل الكتاب الذين حرّفوا كتابهم، وذلك في قوله تعالى:﴿من الذين هادوا يحرِّفون الكلم عن مواضعه..﴾[النساء:٤٦]. **وفي التعبير بقوله تعالى ﴿عن مواضعه﴾** في الموضعين إشارةٌ إلى إبعادهم للكلام عن مواضعه، إمّا تأويلاً لكلام التوراة بحمله على غير معناه الحقيقي، وإمّا إزالةً له بالكلّية، أو بإبدال كلمة بكلمةٍ أخرى. **وفي التعبير بقوله تعالى ﴿من بعد مواضعه﴾** إشارة إلى أن التحريف وقع منهم من بعد أن وضعه الله مواضعه، أي فرض فروضه وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، قال **الزمخشري** في تفسيره(٥٣٠/١):« فإن قلتَ: كيف قيل هاهنا ـ أي في آية النساء ـ ﴿عن مواضعه﴾ وفي المائدة ﴿من بعد مواضعه﴾؟ قلتُ: أمّا ﴿عن مواضعه﴾ فعلى ما فسّرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمةُ الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانَه. وأمّا ﴿من بعد مواضعه﴾ فالمعنى: أنه كانت له مواضع هو قَمِنٌ ـ أي حديرٌ ـ بأن يكون فيها، فحين حرّفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارّه، والمعنيان متقاربان». وذهب **أبو حيان** في تفسيره(٦٦١/٣) إلى أن الظاهر أنهم حيث وُصفوا بشدة التمرد والطغيان وإظهار العداوة واشتراء الضلالة ونقض الميثاق جاء ﴿يحرّفون الكلِم عن مواضعه﴾ كأنهم حرّفوها من أول وَهلةٍ قبل استقرارها في مواضعها، وبادروا إلى ذلك، ولذلك جاء أول المائدة كهذه الآية حيث وصفهم بنقض الميثاق وقسوة القلوب، وحيث وُصفوا باللين وترديد الحكم إلى الرسول جاء ﴿من بعد مواضعه﴾ كأنهم لم يبادروا إلى التحريف، بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكلِم في مواضعها، فهما سياقان مختلفان.(انظر: الدر المصون للسمين الحلبي أيضا:٦٩٧/٣).

[٣٨] الآية الثالثة منها[١]

قوله تعالى: ﴿يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولُنا يبيِّن لكم كثيراً مماّ كنتم تُخفُون من الكتاب ويَعْفُو عن كثيرٍ..﴾[المائدة:١٥].

وقال بعده: ﴿يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولُنا يبيِّن لكم على فترةٍ من الرُّسُلِ أنْ تقولوا ما جاءنا مِن بشيرٍ ولا نذيرٍ..﴾[المائدة:١٩].

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: نُبِّه أهل الكتاب بمجيء الرسول ﷺ في الآية الأولى، وأخبر أنه يبيِّن لهم كثيراً مماّ يُخفْون من الكتاب ويعفو عن كثيرٍ، وقال في الآية الثانية: إنه قد[٣] جاء يبيِّن لهم[٤] على فترةٍ[٥] من الرسل أن يقولوا[٦]: ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير[٧]، فهل ما ذُكر من التبيين في الآية[٨] الثانية كان[٩] يجوز أن[١٠] يقترن بالتبين في الأولى[١١]؟ أم وجب لكلٍ ما تبعه من الكلام؟

فالجواب أن يقال[١٢]: إن قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿..يبيِّن لكم كثيراً مماّ كنتم تُخفْون..﴾ / معناه: يبين لكم كثيراً مما في التوراة والإنجيل من وصف الرسول ﷺ وسائر ما [٢٥/أ] يدعو إلى الدخول في الإسلام، ويترك كثيراً مماّ حرّفتموه، فلا يبيِّنه، لأنه ليس في ذكره ما يُلزمكم حجةً ويجدّد[١٣] لكم ملّة[١٤]، فهذا التبيين[١٥] حقُّه التقديم

---

(١) في(ك): من سورة المائدة.

(٢) في(أ): للسائل أن يقول.

(٣) « قد » ليست في(ب،ك).

(٤) في(ب،ك): لكم.

(٥) أي على زمن انقطاع من بعث الرسل، قال ابن الأثير في النهاية(٣/٤٠٨):« الفترة ما بين الرسولين من رسل الله تعالى من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة ».

(٦) في(ب): تقولوا.

(٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ،ب): ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير.

(٨) « الآية » أثبتت من(ب).

(٩) في(ك): كما.

(١٠) في(أ): كان، وهو خطأ.

(١١) في(أ،ب،ك): بالتنبيه الأول. والمثبت في النسخ الأخرى، وهو الذي يناسب السياق.

(١٢) « أن يقال» أثبتت من(خ،ر).

(١٣) في(ب): ويدع، وهو خطأ.

(١٤) أي: ديناً، قال الراغب في المفردات(ص٧٧٣):« الملّة كالدين.. والفرق بينها وبين الدين: أن الملة لا تضاف إلاّ إلى النبي ﷺ الذي تسنَد إليه ».

للاحـتجـاج[١٦] به، ولذلك[١٧] ردفه[١٨] قوله:﴿قد جاءكم من الله نور..﴾[المائدة:١٥] يعـني النبي ﷺ ، أي: يهديكم إلى منافع دينكم كما تهتدون بالنور إلى منافع دنياكم[١٩].

وأما الآية الثانية التي بعدها فمعناها: جاءكم رسولنا يبيِّن لكم على حين دروسٍ[٢٠] ممـّا كانت[٢١] الرسل أتوا به ممّا[٢٢] يلزمكم في دينكـم احتجاجاً عليكم، وقطعاً لِعذركم لئلاّ تحتجّوا بأنه لم يجئْكم مَن يبشِّركم[٢٣] بالثواب ويخوّفكم من العقاب، فـالأول احتجـاج لِنبـوة النبي ﷺ ، وبعد تـثبيته[٢٤] تبيينُ الداعي إلى بعثته[٢٥]، وهو ما ذُكر في الآية الثانية.

---

(١٥) يعني بالتبيين هنا بيان وصف الرسول ﷺ لأهل الكتاب الذين كُلِّفوا بالإيمان به. وفي هذا الكلام إشارة إلى قاعدةٍ أصولية وهي:لايجوز تأخير بيان الخطاب عن وقت الحاجة، لأن في ذلك إيقاع المكلَّف في الحـيرة.(ينظر:التمهيـد في أصـول الفقـه لأبي الخطاب الحنبلي٢/٢٩٠، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام،ص١٢٩).

(١٦) في(ك): والاحتجاج.

(١٧) في(ب): وكذلك.

(١٨) أي تبعه. وفي(ك): أتبعه.

(١٩) في(ب): دينكم... من قوله « يعني النبي ﷺ » إلى هنا سقط من(ك).

(٢٠) أي على ذهـاب الأثـر، تقـول اللغـة: درس يـدرُس درسـاً ودروسـاً: عفـا وذهـب أثـره، وتقـادم عهـده.(المعجم الوسيط،ص٢٧٩).

(٢١) في(ب): ما كان.

(٢٢) في(ر): ما.

(٢٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي(ب): بشركم.. وخوّفكم، بصيغة الماضي.

(٢٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): تبيينه.

(٢٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): بعثه.

[٣٩] الآية الرابعة منها[١]

قوله تعالى:﴿..قلْ فمنْ يَمْلِك من الله شيئاً إنْ أراد أنْ يُهلكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَن في الأرض جميعاً ولله مُلكُ السّمواتِ والأرض وما بينهما يَخْلُقُ ما يشاء والله على كلّ شيءٍ قدير﴾[المائدة:١٧].

وقال بعدها:﴿وقالتِ اليهودُ والنصارى نَحْنُ أبناءُ الله وأحبّاؤُه قلْ فلِمَ يعذّبُكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممّن خلقَ يَغفرُ لمن يشاء ويعذّبُ مَن يشاء ولله ملكُ السّموات والأرضِ وما بينهما وإليه المصير﴾[المائدة:١٨].

للسائل[٢] أن يسأل عن شيئين في هاتين الآيتين المتصلة إحداهما[٣] بالأخرى؛ أحدهما: عن تكرار قوله:﴿ولله ملكُ السموات والأرض وما بينهما﴾؟ والثاني: صلة الأول[٤] بقوله:﴿يخلق ما يشاء والله على كل شيءٍ قدير﴾، وصلة الثاني[٥] بقوله:﴿وإليه المصير﴾؟ **وله أن يسأل** عن قوله:﴿قل فمن يملك لكم﴾ في سورة الفتح[١١] بزيادة ﴿لكم﴾ هناك، وحذفها هنا.

والجواب أن يقال: إن الآية في سورة الفتح نزلت في قومٍ تخلّفوا عن رسول الله ﷺ من غير عذرٍ، وتأخّروا عن الجهاد، وقالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا، ثم سألوه عليه السلام أن يستغفر لهم، يكتمون بذلك نفاقهم، ويظهرون وِفاقهم، وقصدُهم استمالتُه كيلا تضرّهم عداوتُه، فقال عز وجل:﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرّاً﴾[الفتح:١١] ومن يملك لكم ضرا إن أراد بكم نفعاً، فلمّا كان في قومٍ مخصوصين احتيج إلى ﴿لكم﴾ للتبيين، فأما في هذه السورة[٦] فإنها لم تنزل لفريقٍ مخصوص دون فريق بل عمّ بها، دليلُه:﴿..إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومَن في الأرض جميعاً﴾[المائدة:١٧] فلمّا كانت الآية للعموم لم تحتجْ إلى ﴿لكم﴾ التي للخصوص[٧].

---

(١) في(ك): من سورة المائدة.

(٢) في(ك): وللسائل.

(٣) في(ب): أحدهما.

(٤) في(ك): الأولى.

(٥) في(ك): الثانية.

(٦) أي في سورة المائدة.

(٧) لم تذكر بعض النسخ (ح،خ،ر،ز،س) السؤال الذي يتعلق بوجود لفظة ﴿لكم﴾ في سورة الفتح دون سورة المائدة والجواب عليه. وسنعلّق ـ إن شاء الله تعالى ـ على هذا الموضوع عند تحقيقنا لِما يتعلق بهذه المسألة في سورة الفتح. وانظر من هذا الكتاب:٢/٧٣١ .

والجواب عن التكرار أن يقال: إن الآية الأولى في النصارى خاصة، وهم الذين لمّا[٨] قالوا في عيسى عليه السلام إنه إله، والإلهُ واحد، صاروا كأنهم قالوا: الله هو المسيح[٩] ابن مريم[١٠]، فردّ الله تعالى ذلك[١١] عليهم بما دلّ به على أن عيسى[١٢] عبد مخلوق مملوك لله، ليس بابنٍ[١٣] له، ولا بإلهٍ، لأن أحداً لا يملك أن يدفع عن المسيح وأمّه وسائر[١٤] مَن في الأرض من الخلق ما يريد / الله تعالى إيقاعه بهم من موت أو هلاك، ولا المسيح يملك ذلك، [٢٥/ب] فدل هذا على أنه مخلوق وأن الله تعالى له ملك السموات والأرض وما بينهما، والمسيح مِن[١٥] جملته مملوك مدبَّر، ولو كان إلهاً لَكان شريكاً لله تعالى، ولم[١٦] يكن لله تعالى ملك السموات والأرض[١٧].

فالقصد بذكر ملك السموات والأرض وما بينهما في الآية الأولى: أن يبين أن المسيح مخلوق ومملوك ليس بإلهٍ ولا بابنِ الله[١٨]، إذ لو كان إلهاً ـ كما زعموا ـ لَمَا كان[١٩] الله مالِكاً لجميع السموات والأرض وما بينهما، ولَمَا تهيّأ إهلاك المسيح، وكان[٢٠] هذا احتجاجاً عليهم خاصةً بأنه مخلوق وأن الله يخلق ما يشاء من أمثاله بدلالة أنه قادر على إهلاكه، وفي ذلك جواب عن المسألة الثانية، وهي صلة الأولى[٢١] بقوله:﴿يخلق ما يشاء﴾.

---

(٨) « لمّا » أثبتت من(ب).

(٩) سُمّي عيسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ بالمسيح، واختلف في سبب تسميته به، قيل: فعيل بمعنى فاعل: للمبالغة في مسحه الأرضَ بالسياحة، فلا يستوطن مكاناً، أو مسحه ذا العاهة لِيبرأ، أو بمعنى مفعول، أي: ممسوح: لأن الله تعالى مسحه بالبركة، أو طهّره من الذنوب. (المفردات للراغب:٧٦٧، زاد المسير لابن الجوزي١/٣٨٩.

(١٠) قال الكرماني في « **غرائب التفسير** »(١/٣٢٤):« هو قولهم ـ لعنهم الله ـ بالأقانيم ـ وهي استعمال عند المسيحيين للدلالة على الثالوث الأقدس ـ فأقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الحياة، ويسمونها روح القدس، وقالوا: إن الابن لم يزل مولوداً من الأب، ولم يزل الأب والداً للابن، ولم تزل الروح منبثقة بين الأب والابن والمسيح لاهوت وناسوت، أي: إله وإنسان ».

(١١) « ذلك » سقطت من(أ).

(١٢) في(ك): المسيح.

(١٣) في(ر): مملوك، بدل « بابن ». وفي(ك): ليس هو بابن.

(١٤) في(ك): وعن سائر.

(١٥) في(ك): في، بدل « من ».

(١٦) في(ر): فلم.

(١٧) من قوله « ولم يكن لله تعالى » إلى هنا سقط من(أ).

(١٨) في(ك): ليس بابن ولا بإله.

(١٩) في(أ،ك): لم يكن. والمثبت من(ب).

(٢٠) في(ك): فكان.

(٢١) أي الآية الأولى.

وأمّا الآية الثانية وهي قوله(٢٢):﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء ا لله وأحبّاؤه..﴾ فرُوي(٢٣) عن ابن عباس(٢٤) رضي الله عنهما أن جماعةً(٢٥) من اليهود حين حذّرهم النبي ﷺ نَقِمَات(٢٦) ا لله وعقوباته قالوا: لا تخوّفنا، فإنا أبناء ا لله وأحبّاؤه(٢٧).

وقيل: إن اليهود تزعم(٢٨) أن ا لله تعالى أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بكري(٢٩) من الولد(٣٠). وقال الحسن(٣١): إنما قالوا ذلك على معنى قُرب الولد من الوالد(٣٢). والنصارى تأوّلوا(٣٣) ما في الإنجيل من قوله(٣٤): أذهب إلى أبي وأبيكم(٣٥).

---

(٢٢) « قوله » ليست في(ك).

(٢٣) في(ك): ويروى.

(٢٤) هو عبد ا لله بن عباس رضي ا لله عنهما، أبو العباس، ابن عم رسول ا لله ﷺ :حبر الأمة، ترجمان القرآن، وُلد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة ٦٨هـ. (أسد الغابة لابن الأثير٣/٢٩٠، سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١).

(٢٥) في(ب):سماعه. وهو خطأ.

(٢٦) أي: عقوبات ا لله تعالى، تقول اللغة: النِّقمة ـ بكسر النون وسكون القاف ـ وتُجمع على " نِقم ".مثل سِدرة وسِدَر. والنَّقِمة ـ بفتح النون وكسر القاف ـ وتُجمع على ((نَقِمَات)) مثل كلمة وكَلِمات، ومعناهما: العقوبة. (المصباح المنير:٦٢٣، لسان العرب١٢/٥٩٠نقم).

(٢٧) هذا الأثر أخرجه الطبري (٦/١٦٤) من طريق محمد بن إسحاق، وأورده الماوردي في تفسيره(١/٤٥٣) وهو في تفسير ابن كثير(٢/٥٦) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم. وذكره السيوطي في الدر المنثور(٣/٤٤) ونسبه إلى ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي ا لله عنهما.

(٢٨) في الهامش الأيسر من نسخة(ر): تزعم اليهود أن ا لله تعالى قال في التوراة : إسرائيل بكري .

(٢٩) قال ابن الأثير في النهاية(١/١٤٩):« بكر الرجل ـ بالكسر ـ: أول ولده». وفي اللسان (٤/٧٨بكر):« وبِكر كل شيء : أوله..، والبِكْرُ: أول ولد الرجل، غلاما كان أو جارية، وهذا بِكر أبويه، أي أول ولد يولد لهما)). وقال ابن قتيبة في مختلف الحديث :« بكري، أي: هؤلاء لي بمنزلة أول أولاد الرجل للرجل، وهو بكر، أي: أول من اخترته ».

(٣٠) هذا قول السدي، وهو في تفسير الماوردي(١/٤٥٣)، وأورده ابن كثير في تفسيره(٢/٥٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير، وهو في تفسير الطبري (٦/١٤٦)، وجاء في تفسير البغوي(٢/٢٣):« قال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة: يا أبناء أحبارى، فبدّلوا: يا ابناء أبكارى، فمن ذلك قالوا: نحن أبناء ا لله ». **وقال ابن عطية** (٤/٣٩٤):« وذكروا أن ا لله تعالى أوحى إلى بني إسرائيل أن أول أولادي بكري، فُضّلوا بذلك، وقالوا:« نحن أبناء ا لله وأحباؤه". ولو صح ما رووا لَكان بِكراً في التشريف أو النبوة ونحوه)). **وقال** صاحب المنار(٦/٣١٤) بعد أن نقل عبارات من كتب اليهود والنصارى مماّ يدل على استعمال « الابن» فقال:«فعُلم من هذه النصوص وأشباهها أن لفظ ((ابن ا لله)) يستعمل في كتب القوم بمعنى حبيب ا لله الذي يعامله ا لله معاملة الأب لابنه من الرحمة والإحسان والتكريم... وإنما تحكم النصارى بهذا اللقب فجعلوه بمعنى الابن الحقيقي بالنسبة إلى المسيح ».

(٣١) هو الحسن بن أبي الحسن، أبو سعيد، التابعي البصري، ولد لِسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوفي سنة ١١٠هـ ، وهو الإمام المشهور المجمع على جلالته.(تهذيب الأسماء واللغات للنووي، القسم الأول١/١٦١. وسير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣).

(٣٢) أورده الماوردي في تفسيره (١/٤٥٤).

(٣٣) في(ب): قالوا.

(٣٤) أي من قول عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وقيل: بل[٣٦] لمّا[٣٧] قالوا: المسيح ابن الله أُجري على القائلين بذلك[٣٨] مثل ما تُجري العرب على الواحد من هذيل[٣٩]، إذ قالوا: نحن الشعراء، والمراد: منّا[٤٠]، وكما يُجري رهْط مسَيْلمة[٤١] هذا الإطلاق على[٤٢] قبيلتهم فيقولون: نحن الأنبياء، لمّا[٤٣] قال واحد منهم ذلك وتابعه الباقون عليه[٤٤].

فلمّا كان هذا مقال الفريقين[٤٥] ردّ الله تعالى عليهم قولهم مع اعترافهم بأنهم يعذّبون بذنوبهم[٤٦]، إذ لو لم يقولوا ذلك لأباحوا ارتكاب الفواحش[٤٧]، فقال:﴿..فلِم يعذّبكم

---

(٣٥) أورد هذا القول الماوردي في تفسيره(١/٤٥٤) ولم ينسبه إلى أحد.وهو منسوب إلى الحسن كما ذكر في مجمع البيان للطبرسي(٣/٢٧٢)، وروح المعاني للآلوسي(٦/١٠١). وقال القرطبي(٦/١٢٠):((قال غيره ـ أي غير السدي ـ: والنصارى قالت: نحن أبناء الله، لأن في الإنجيل حكاية عن عيسى:« أذهب إلى أبي وأبيكم».

(٣٦) « بل » ليست في(ك).

(٣٧) « لما » ليست في(أ).

(٣٨) في(ب): على ذلك.

(٣٩) هذيل: أصله هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، والمراد هنا: بنوه، وهم قبيلة كبيرة، كانوا أكثر سكان "وادي نخلة" المجاور لمكة، ولهم منازل بين مكة والمدينة. قال ابن حزم:« وفي هذيل نيف وسبعون شاعراً مشاهير».(جمهرة الأنساب لابن حزم:١٨٥ـ١٨٧. وانظر:لسان العرب،مادة هذل، والأعلام٨/٨٠).

(٤٠) أي: منّا شعراء، كما لو قالوا: هذيل شعراء، أي فيهم شعراء، وعلى هذا لمّا قال النصارى: المسيح ابن الله، كان معنى قولهم: « نحن أبناء الله » أي منّا ابن الله. (ينظر: زاد المسير لابن الجوزي٢/٣١٨).

(٤١) أي: عشيرة مسيلمة الكذّاب الذي ادّعى النبوة، وفي اللغة: رهط الرجل: عشيرته وقبيلته، لا واحد له من لفظه. (ينظر: القاموس المحيط،ص٨٦٢ ، لسان العرب٧/٣٠٥ـ٣٠٦،مادة رهط).

(٤٢) في(أ،ب): عن. وفي(ك): في. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٤٣) في(ك): كما.

(٤٤) إجراء قول الواحد من الجماعة على جميعهم من أسلوب العرب، قال الطبري في تفسيره(٦/١٦٤):« والعرب قد تخرج الخبر إذا افتخرت مخرج الخبر عن الجماعة، وإن كان ما افتخرت به من فعل واحد منهم، فتقول: نحن الأجواد الكرام، وإنما الجواد فيهم واحد منهم... فكذا أخبر الله ـ عز ذكرُه ـ عن النصارى أنها قالت ذلك على هذا الوجه..» .

(٤٥) في(ك): فرقتين.

(٤٦) حيث إن اليهود اعترفت وقالت: إن الله يعذبنا أربعين يوماً عددَ الأيام التي عبدنا فيها العجل، قال تعالى حكاية عنهم:﴿وقالوا لن تمسنا النارُ إلاّ أياما معدودة..﴾[البقرة:٨٠].

(٤٧) بمعنى أنهم أقرّوا بعذاب الله تعالى بقولهم:" لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة " وهذا يتنافى مع العلاقة التي يزعمونها وهي البنوّة، لأن الأب لا يعذب ولدَه، والحبيبُ لا يعذّب حبيبه. وإن أنكروا اعترافهم بهذا العذاب ولم يقولوا ذلك لأصبحوا كاذبين بما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم، فيكونوا بذلك قد أباحوا المعصية وهم معترفون بعذاب العصاة منهم، فلا يخلون من أحد هذين الوجهين، فردّ الله تعالى عليهم فقال:﴿فلِم يعذّبكم بذنوبكم﴾. (ينظر:تفسير القرطبي ٦/١٢٠ـ١٢١).

بذنوبكم..﴾ والأب المشفق على ولده لا يعذّبه، وكذلك الحبيب لا يعذّب حبيبَه[٤٨]، فكان هذا احتجاجاً عليهم بما يعتقدوّن صحته من عذاب الآخرة، فإنكم[٤٩] لستم لله تعالى بأبناء ولا أحبّاء.

ثم قال: وهو المتفرد[٥٠] بملك السموات والأرض وما بينهما[٥١]، وأنه[٥٢] لا ولد له ولا نظير ولا شريك له[٥٣]، إذ لو ثبت له[٥٤] ذلك ـ تعالى الله عنه ـ لَمَا كان مالكاً لجميعه.

فلماّ احتج على إبطال قولهم بما يعتقدون صِحتَه من عذاب المُذنب منهم ـ وذلك من أحوال الآخرة ـ ثم احتج بملكه السموات والأرض على ذلك قرن[٥٥] إليه قوله:﴿وإليه المصير﴾ أي: مآل الخلق إلى[٥٦] أن[٥٧] لا يملك أحد لهم[٥٨] نفعاً ولا ضراً غيره تعالى[٥٩]. وفي هذا جواب المسألة الثانية[٦٠] من اقتران ما اقترن بذكره ملك السموات والأرض وما بينهما في[٦١] الآيتين.

(٤٨) في(ب): من يحبه.

(٤٩) في(ب،ك): وإنكم.

(٥٠) في(أ،ب،ك): المنفرد. والمثبت من (ح،خ،ر،س).

(٥١) يشير إلى معنى قوله تعالى:﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾[المائدة:١٨].

(٥٢) في(أ): فأنه.

(٥٣) « له » ليست في(ك).

(٥٤) « له » أثبتت من(ح،خ،ر،س).

(٥٥) جواب « فلماّ ».

(٥٦) في(ب): إلا، فلا وجه له.

(٥٧) يصح أن تكون العبارة بـ « مَن » بدل « أن ». والله أعلم.

(٥٨) « لهم » ليست في(ك).

(٥٩) أي يؤول أمر العباد إلى الله تعالى في الآخرة، فلا يملك ضرَّهم ونفعَهم غيرُه.

(٦٠) المسألة الثانية مكوَّنة من شقين، فتقدم جواب الشق الأول، وهو ما جاء في صلة الآية الأولى. وهنا ذكر المصنف رحمه الله جواب الشق الثاني، وهو ما يتعلق بصلة الآية الثانية، وهي قوله تعالى:﴿وإليه المصير﴾.

(٦١) « في » سقطت من(أ).

[٤٠] الآية الخامسة منها[١]

قوله عز وجل:﴿وإذْ قال موسى لِقومه يا قومِ اذْكُروا نِعمةَ الله عليكم إذْ جَعل فيكم أنبياءَ وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤْتِ أحداً من العالمين﴾[المائدة:٢٠].

وقال في سورة إبراهيم [٦]:﴿وإذْ قال موسى لِقومه اذْكُروا نِعمةَ الله عليكم إذْ أنْجاكم مِن آلِ فرعون..﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: هل للتنبيه في الآية الأولى من سورة المائدة بقوله:﴿يا قومِ﴾ فائدة لم يكن مثلها في الخطاب الواقع في سورة إبراهيم لما لم يقل فيه ﴿يا قومِ﴾[٢]؟

والجواب أن يقال: إن تسمية المخاطب بندائه[٣] مع الإقبال عليه يفيد مبالغة في التنبيه له[٤].

فإذا قال القائل: افعلْ كذا يا فلانُ، فكأنه قال: أعنيك[٥] بخطابي لا غيرَك، ممّن يصحّ أن ينصرف[٦] الخطاب إليه، ألا ترى أنه إذا عَرِيَ من النداء[٧] صلُح لِكلّ مخاطَب، فإذا قارن النداء[٨] الأمر كان مقصوراً على صاحب الاسم الذي دخله حرف النداء، والمبالغةُ في التنبيه حقُّها أن تكون في الأهمّ الأعمّ نفعاً.

وقوله تعالى:﴿وإذ قال موسى لِقومه يا قومِ اذكروا﴾ يصح أن يجاب عنه بجوابين[٩]:

---

(١) في(ك): من سورة المائدة.

(٢) صيغة السؤال في(أ): للسائل أن يسأل عن هذا التنبيه.... فائدة لم يكن مثلها في الخطاب الواقع من سورة إبراهيم:﴿وإذ قال موسى لِقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون﴾ مع تركه. والمثبت من(ب،ك). وفي(ح،خ،ر): لِم نبّه بقوله﴿يا قومِ﴾ في الآية الأولى دون الأخرى؟

(٣) في(ب): ببداية، وهي خطأ.

(٤) يعني المؤلف رحمه الله أن التصريح باسم المخاطَب مع حرف النداء يدل على طلب الإقبال مع التنبيه على أن الذي يتلو حرفَ النداء معتنىً به جداً، كما في قوله تعالى:﴿يا قومِ اذكروا﴾ بخلاف عدم تصريح اسم المخاطَب كما في قوله تعالى:﴿وإذ قال موسى لِقومه اذكروا﴾، والنداء في الأصل لِطلب الإقبال، وقد يراد به الإغراء والتحذير والاختصاص والتنبيه والتعجّب والتحسّر كما في الإتقان للسوطي (٣/٢٤٦).

(٥) في(ب): أعينك.

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): يصرف.

(٧) أي إذا تجرّد الأمر من النداء.

(٨) النداء يقارنه ويتلوه في أكثر الأحيان الأمرُ والنهي كما في قوله تعالى:﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾[البقرة:٢١]. (ينظر: الإتقان للسيوطي٣/٢٤٦).

(٩) كما سنرى أن المؤلف رحمه الله لم يقتصر هنا على جوابين، وإنما ذكر أجوبةً ثلاثةً، لعله بعد أن ذكر جوابين استدرك جوابا آخر فقال:« وجواب ثالث وهو أن يقال» :...

أحدهما: أن يقال: لمّا نبّههم على ما خصهم به من الإكرام لِيشكروه على هذه النِعم العِظام بأن جعل فيهم أنبياء مقيمين بين ظهرانَيْهم(١٠)، يدعونهم إلى طاعة ربهم(١١) ويَثْنون أعِنَّتهم(١٢) عن المحظور من شهواتهم، وأنْ جعلهم(١٣) ملوكاً حيث(١٤) أغناهم بما أنزل عليهم من المنّ والسّلوى(١٥) عن الحاجة إلى الناس في التماس الرزق من أمثالهم، وتكلّف خدمتهم(١٦) وأعمالهم، وبما(١٧) ملّكهم من المال والعبيد والإماء الذين كانوا يخدمونهم ويكفّونهم ما يحتاجون(١٨) إلى مباشرته بأنفسهم. والمنبَّه عليه(١٩) في هذا المكان أشرف ما يخوَّله(٢٠) الإنسان من النبوة التي لها أشرف(٢١) منازل الثواب، والملكِ(٢٢) الذي هو غاية ما تسمو إليه الهِمَم(٢٣) في دار التكليف، فنُبِّهوا بأبلغ الألفاظ(٢٤) لِيقوموا بِشكر ما عليهم من الانعام. والآية التي في سورة إبراهيم تنبيهٌ على ما صرف عنهم من البلاء، وليس هو كالتنبيه على تخويل أشرف العطاء مع(٢٥) صرف البلاء.

---

(١٠) أي: بينهم، قال صاحب المصباح المنير (ص٣٧٨): بين ظَهْرانَيهم - بفتح النون ـ وبين ظَهرَيْهم وبين أظهرهم: كلها بمعنى بينهم ». وفي(ك): أظهرهم.

(١١) في(خ): طاعة الله.

(١٢) أي: يمنعونهم ويصرفونهم عن الحرام، وفي المصباح المنير (ص٨٥):« ثَنَيتُه عن مراده: إذا صرفته عنه». وأمّا الأعِنّة فهي جمع العِنان ـ ككِتاب ـ : سير اللجام الذي تمسك به الدابة. (القاموس المحيط، ص١٥٧٠ عنن).

(١٣) في(ب): وجعلهم.

(١٤) " حيث " سقطت من(أ).

(١٥) قال الراغب في المفردات (ص٧٧٨):« فقد قيل: المن شيء كالطلّ ـ وهو المطر الخفيف ـ فيه حلاوة يسقط على شجر، والسلوى: طائر، وقيل: المن والسلوى كلاهما إشارة إلى ما أنعم الله به على بني إسرائيل، وهما بالذات شيء واحد لكن سمّاه مَنّاً بحيث إنه امتن به عليهم، وسمّاه سلْوى من حيث إنه كان لهم به التسلّي».

(١٦) في(ب): وتكليف حرمتهم.

(١٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ،ب): وما ملكهم.

(١٨) في(ب): ما كانوا.

(١٩) في(أ): والمنة عليهم. ولا وجه له.

(٢٠) أي: ما يعطاه الإنسان متفضلاً عليه، وجاء في القاموس المحيط (ص١٢٨٧،حول): خوّله الله تعالى المالَ: أعطاه إياه متفضلاً. وفي(ب): تخوّله.

(٢١) في(ب): شرف.

(٢٢) " الملك " معطوف على قوله " من النبوة ".

(٢٣) الهمم جمع الهمة وهي العزم القوي. (المصباح المنير،ص٦٤١).

(٢٤) هذا اللفظ هو قوله تعالى:﴿يا قومِ﴾.

(٢٥) في(ط): من.

وجواب ثان[٢٦] وهو أن المنّ والسلوى مماّ لم ينعَمْ به على أحدٍ قَبْلهم ولا بعدهم، فلذلك قال:﴿..وآتاكم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين﴾، فإذا[٢٧] نُبِّهوا على شكر نعمةٍ خُصّوا بها دون الناس كلِّهم كانت المبالغة[٢٨] في ذلك أولى.

وجواب ثالث وهو أن يقال: لماّ جعل[٢٩] الخطاب بعد قوله:﴿يا أهل الكتاب﴾ في آيتين[٣٠]، وصدّر المخاطبات نبّه[٣١] فيها المخاطَبين بنداداتهم فيما حكى من أقوالهم[٣٢]، كقوله تعالى بعده:﴿يا قومِ ادخلوا الأرضَ المقدسة التي كتب الله لكم..﴾[المائدة:٢١]، وقوله:﴿قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين..﴾[المائدة:٢٢]، وبعده:﴿قالوا يا موسى إناّ لن ندخلَها أبداً ما داموا فيها..﴾[المائدة:٢٤]، وبعده قوله[٣٣]:﴿قال ربِّ إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأخي..﴾ [المائدة:٢٥]، كان[٣٤] الاختيار أن يجري[٣٥] مجرى نظائره المتقدمة والمتأخرة ولم يكن شيء من ذلك في الآية التي في سورة إبراهيم[٣٦]، فلم يذكر هناك ﴿يا قوم﴾ لهذا[٣٧].

---

(٢٦) في(ب): ثاني.

(٢٧) في(ط): فلماّ.

(٢٨) المبالغة هنا أن يقبل موسى عليه السلام عل قومه الذين يدعوهم إلى الإيمان بقوله: يا قومِ..

(٢٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): حصل.

(٣٠) هما الآية (١٥) والآية (١٩) من سورة المائدة، ومطلع كلٍ منهما:﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم..﴾

(٣١) في(أ ، ك): ينبّه، والمثبت من (ب).

(٣٢) في(أ،ك): أحوالهم. وفي(ب): أموالهم. والمثبت من(د،ط،و).

(٣٣) " قوله " ليس في(ب).

(٣٤) جواب الشرط لقوله " لماّ جعل ".

(٣٥) الفاعلُ هو قوله تعالى:﴿وإذ قال موسى لِقومه يا قوم اذكروا..﴾

(٣٦) في(ب): في إبراهيم عليه السلام.

(٣٧) تتلخّص هذه الأجوبة الثلاثة التي ذكرها المؤلف رحمه الله ـ في معرفة الحكمة من قوله:﴿يا قوم﴾ في الآية الأولى دون الثانية ـ في أمرين، وهما:

١ ـ لماّ اشتملت آية المائدة على تذكير بني إسرائيل بضروبٍ من أشرف العطايا، والنعم الجِسام، مِن جعْل الأنبياء فيهم وجعْلهم ملوكاً، وإعطائهم ما لم يعطَ غيرُهم من العالمين، وهو المنّ والسّلوى كان ذلك تعريفاً بمزيد اعتنائه ـ سبحانه وتعالى ـ بهم فناسب ذلك أن يصرِّح موسى ـ عليه السلام ـ نداءَه بقوله:﴿يا قوم﴾ اعتناءً بالمنادى، وحثاًّ على القيام به وهو الشكر على تلك النعم العظيمة بخلاف آية سورة إبراهيم حيث إنها اقتصرت على تذكيرهم بمجرّد الإنجاء من آل فرعون ولم تشتمل على ما اشتملت عليه آية سورة المائدة مماّ شرّفهم الله تعالى بما منحهم من أعظم النعم.

٢ـ تقع آية سورة المائدة بين الآيات التي تشتمل على النداء، فوافقت ما سبقتها مِن آيتين مبدوءتين بقوله تعالى:﴿يا أهل الكتاب﴾ ووافقت أيضا للآيات التي ذُكرت بعدها بالنداء، وذلك في قوله تعالى:﴿يا قوم ادخلوا﴾ وقوله:﴿قالوا يا موسى إنّ فيها..﴾ وقوله:﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً..﴾ بخلاف آية سورة إبراهيم

<==

وقد اختلف الناس فيمن يسمّى[٣٨] ملكاً، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص[٣٩] وزيد ابن أسلم[٤٠]، والحسن: " أقلّ الحال التي إذا كانت كان الإنسان بها مِلكاً: الدار[٤١] والمرأة والخادم[٤٢].

وقال غيرهم: المَلِك: الذي له ما[٤٣] يستغني به عن تكلُّف الأعمال وتحمّل المشاق للمعاش[٤٤] /. ٢٦/ب

وبنو إسرائيل سمّوا ملوكاً لِما منّ الله تعالى عليهم به من المنّ والسّلوى والحَجَر[٤٥] والغمام[٤٦]، عن ابن عباس وغيره[٤٧].

حيث إنها لم تكن في مثل هذا الموقع، فلذلك اقتصرت على الخطاب بقوله:﴿اذكروا﴾ دون ذكر حرف النداء والمنادى.

(٣٨) في(ب): سمي.

(٣٩) هو الإمام الحبر العابد، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل غير ذلك: صاحب رسول الله ﷺ وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ عِلمًا جمًا. توفي سنة٦٣هـ. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي،القسم الأول١/٢٨١، سير أعلام النبلاء للذهبي٣/٧٩).

(٤٠) هو الإمام الحجة، أبو عبد الله العدوي المدني الفقيه، روي عن بعض الصحابة كوالده أسلم مولى عمر، وعبد الله ابن عمر، وجابر، وأنس ـ رضي الله عنهم ـ، وحدّث عنه مالك بن أنس وسفيان الثوري وغيرهما. توفي سنة١٣٦هـ. (تهذيب التهذيب٣/٣٩٥، سير أعلام النبلاء٥/٣١٦).

(٤١) في(ب): السكنى.

(٤٢) ذكر الماوردي في تفسيره(١/٤٥٤) في معنى المِلك خمسة أقوال... وقال في القول الخامس:« انّ كلّ مَن ملك داراً وزوجةً وخادماً فهو ملك من سائر الناس، وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وزيد بن أسلم» اهـ. وقد روى الطبري (٦/١٦٩) عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ :« مَن كان له بيتٌ وخادمٌ فهو مَلِك ». وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/٥٩) وقال:« وهذا مرسل غريب »، ولكن قول عمرو بن العاص رضي الله عنه يغنينا عنه كما في صحيح مسلم (٤/٢٢٨٥،رقم٢٩٧٩) في كتاب الزهد عن أبي عبد الرحمن الحُبلّي يقول:سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال: ألسْنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.اهـ.

(٤٣) " له ما " سقطت من(أ).

(٤٤) ينظر: مجمع البيان للطبرسي ٣/٢٧٦، تفسير القرطبي٦/١٢٤، تفسير الآلوسي٦/١٠٥. ونسب هذا القول في تفسير الطبرسي والآلوسي إلى أبي علي الجبائي. وهذا كما قال ﷺ :«من أصبح منكم آمناً في سِربه معافىً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا». أخرجه الترمذي (رقم٢٣٤٦) وابن ماجه (رقم٤١٤١) كلاهما في كتاب الزهد. والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٣٠٠)، وحكم عليه السيوطي في الجامع الصغير (رقم٨٤٥٥) بالحسن.

و(٤٨)قال الحسن: لأنهم ملوك(٤٩) أنفسهم بالتخلُّص من القِبْط(٥٠) الذين كانوا يستعبدونهم(٥١).

وقال السّدّي(٥٢): ملك كلُّ واحدٍ منهم(٥٣) نفسَه وأهله وماله(٥٤). وقال قتادة: كانوا أوّل مَن مَلك الخَدَم(٥٥).

---

(٤٥) المراد به إخراج المياه العذبة من الحجر بالتفجير كما فعل موسى عليه السلام، وهو الحجر الذي تشير إليه الآية الكريمة:﴿وإذ استسقى موسى لِقومه فقلْنا اضربْ بعصاك الحجرَ فانفجرتْ منه اثنا عشرةَ عيْناً..﴾ سورة البقرة:٦٠.

(٤٦) المراد به: تظليل الغمام، قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن(ص٤٩):« الغمام: السحاب، سمّي بذلك لأنه يغمَ السماء، أي يسترها». وفي تفسير الطبري (٢٩٣/١):« والغمام جمع " غمامة " كما السحاب جمع "السحابة ". وهو مما أنعم الله به على بني إسرائيل، وهو الذي تشير إليه الآية الكريمة:﴿وظلّلْنا عليكم الغمام..﴾. سورة البقرة:٥٧.

(٤٧) قال القرطبي (١٢٤/٦):« قال ابن عباس ومجاهد:" جعلهم ملوكاً بالمن والسلوى والحجر والغمام ". أي هم مخدومون كالملوك».اهـ وقال ابن الجوزي في تفسيره (٣٢٢/٢):« رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به». وهذا الخبر رواه الطبري في تفسيره (١٦٥/١٠ برقم١١٦٤١ بتحقيق أحمد شاكر) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. ورواه أيضا (١٦٥/١٠ برقم١١٦٤٣) من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس:﴿وآتاكم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين﴾ المنّ والسلوى والحجر والغمام».

(٤٨) الواو أثبتت من(ح،خ،ر،س).

(٤٩) في(أ،ك): ملكوا.

(٥٠) القِبْط كلمة يونانية الأصل بمعنى سكّان مصر، ويقصد بهم اليوم: المسيحيون من المصريين. (المعجم الوسيط،ص٧١١).

(٥١) أورده الماوردي في تفسيره (٤٥٤/١)، ولم أجدْ هذا القول فيما عندي من التفاسير المهتمة بالروايات. نسب هذا القولَ ابنُ عطية في تفسيره (٣٩٧/٤) إلى السدي وغيره. وقال أبو حيان (٢١٥/٤):« وقال السدي وغيره: وجعلكم أحراراً تَملكون ولا تُملكون، إذ كنتم خدماً للقبط فأنقذكم منهم، فسمّي إنقاذكم ملكاً».

(٥٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن، أبو محمد: الإمام المفسر، حدّث عن أنس بن مالك وابن عباس رضي الله عنهم، وحدّث عنه شعبة وسفيان الثوري وآخرون. توفي سنة ١٢٧هـ. (تهذيب التهذيب ٣١٣/١، سير أعلام النبلاء٢٦٤/٥).

(٥٣) " منهم " أثبتت من(ح،خ،د).

(٥٤) تفسير الماوردي (٤٥٤/١) وتفسير ابن الجوزي (٣٢٢/٢) وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٩/٢) وعزاه إلى ابن أبي حاتم. ورواه الطبري (١٦٣/١٠ برقم ١١٦٣٦) بسنده عن أسباط عن السدي:﴿وجعلكم ملوكاً﴾ يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله.

(٥٥) تفسير الماوردي (٤٥٤/١) وتفسير ابن الجوزي (٣٢١/٢) وتفسير ابن كثير (٥٩/٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤٦/٣) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وهو في تفسير الطبري (١٦٣/١٠ برقم ١١٦٣٤تحقيق أحمد شاكر). وقال ابن عطية (٣٩٨/٤) بعد أن ذكر قول قتادة:« وهذا ضعيف، لأن القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل، وظاهرُ أمر بني آدم أن بعضهم كان يسخّر بعضاً مذ تناسلوا وكثروا».اهـ.

فأما قوله:﴿وآتاكم ما لَمْ يؤتِ أحداً من العالمين﴾ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد مِن[٥٦] عالمي زمانكم، كما قال تعالى:﴿..وأني فضّلتُكم على العالمين﴾ [البقرة:٤٧،١٢٢]، أي على[٥٧] عالمي زمانكم.

ويحتمل[٥٨] أن يراد هاهنا: آتاكم المن والسلوى، وهما مماّ[٥٩] لم يؤتِ أحداً[٦٠] من العالمين. وقد ذكرته قبلُ[٦١].

(٥٦) " من " سقطت من(ب).

(٥٧) " على " أثبتت من(ب).

(٥٨) في(ب): ويجوز.

(٥٩) في(ك): ما.

(٦٠) في(ب): لم يؤتَ أحد.

(٦١) ينظر الجواب الثاني الذي ذكره المؤلف في هذا المبحث.

[٤١] الآية السادسة منها

قوله عز وجل: ﴿..ومَنْ لم يحكمْ بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[المائدة:٤٤].

وبعده: ﴿..فأولئك هم الظالمون﴾[المائدة:٤٥].

وبعده[١]: ﴿..فأولئك هم الفاسقون﴾[المائدة:٤٧].

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: الموضع الذي وُصف فيه مَن لم يحكم[٣] بكتاب الله بالكفر هل[٤] باين الموضعَ الذي وُصف فيه تارك حكم الله بالظلم والفسق[٥]؟

والجواب أن يقال: إن الآية الأولى قوله تعالى: ﴿إنّا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونورٌ يحكمُ بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربّانيّون والأحبار استُحْفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشونِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وَمَنْ لم يحكمْ بما أنزلَ الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤].

قال فيها بعض أهل النظر: إن ﴿ مَن ﴾ فيها ليست كـ « مَن » في المجازاة[٦]، وإنما هي بمعنى « الذي»[٧] ويصحّ دخولُ الفاء في جوابها[٨] كما تدخل في جواب الشرط لِتضمّنها ذلك المعنى وإن كان لا يجازى بها، وهو كقولك[٩]: الذي يزورني فله درهم، إذا[١٠] أوجبت له بالزيارة الدرهمَ، وإن لم تردْ: مَن يزرني فله درهم[١١].

---

(١) « وبعده » سقطت من(أ).

(٢) في(أ): للسائل أن يقول.

(٣) في(ب): فأولئك من لم يحكم فيه، وهو خطأ.

(٤) « هل » سقطت من(أ).

(٥) صيغة السؤال في(ح،خ،ر،س) مختصرة وهي: فلِم هذا الاختلاف؟

(٦) يقصد المؤلف رحمه الله بالمجازاة أن يكون " مَن " شرطية تقتضي - مع فعل الشرط - وجود جواب أو جزاء.

(٧) ممّن ذهب إلى هذا القول النحاسُ (ت٣٣٨هـ)، فقال في كتابه « إعراب القرآن »(٤٩٨/١):« فإن قال قائل: «مَن» إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلاّ أن يقع دليل على تخصيصها **قيل له**:« مَن » هاهنا بمعنى « الذي » ».اهـ

(٨) أي في جواب « الذي ».

(٩) في(ب،ك): كقوله.

(١٠) من هنا إلى قوله « فقوله » سقط من (ك).

(١١) أي: وإن لم تُردْ إيجاب الدرهم له من أجل الزيارة تقل: مَن يزرني فله درهم. وفي المثال الأول دخلت الفاء في الخبر لِشبهه بالشرط.

فقوله:﴿ومن لم يحكمْ بما أنزل الله..﴾ في هذه الآية[١٢]: المراد به اليهود الذين كانوا يبيعون حكم الله بما يشترونه من ثمنٍ قليلٍ يرْتشونه[١٣] فيبدّلون حكم الله باليسير الذي يأخذونه، فهم يكفرون بذلك.

وأمّا[١٤] أن يكون الحكم بخلاف ما أنزل الله كفراً فهو مذهب الخوارج[١٥]، يذهبون بـ« مَن » هنا إلى الشياع الذي في المجازاة، وهذا مخصوص به اليهودُ[١٦] الذين تقدم ذكرُهم وتبديلهُم حكم الله تعالى لِيكذبوا رسول الله[١٧] ﷺ وذلك كفرٌ.

وأمّا الآية الثانية فهي فيهم[١٨] أيضا لِقوله تعالى:﴿وكتبْنا عليهم فيها أنّ النفسَ بالنفسِ..﴾[١٩][المائدة:٤٥] ومعناه[٢٠]: كتبنا على هؤلاء في التوراة، فردّ[٢١] الذكر إلى الذين هادوا[٢٢]، وهم الذين كفّرهم لِتركهم دينَ الله، والحكمَ بما أنزله، ثم وصفهم بعد خروجهم عن حكم الله في القصاص بين عباده في قتل النفس وقطع أعضائها بأنهم - مع كفرهم الذي تقدم ذكره[٢٣] - ظالمون[٢٤]، وكلّ كافرٍ ظالمٌ لِنفسه إلاّ أنه قد يكون كافرٌ غير ظالم لغيره،

(١٢) أي في الآية الأولى.

(١٣) أي يأخذون الرشوة، وفي اللغة: الرشوة ـ مثلّثة الراء ـ: الجُعْل، وارتشى: أخذها. (القاموس المحيط، ص١٦٦٢،رشى)

(١٤) في(أ،ب): فأما. والمثبت من(ك).

(١٥) كلّ مَن خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمّى خارجيا. وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار. (الملل والنحل للشهرستاني،ص١١٤).

قال الآلوسي في تفسيره (١٤٥/٦) عند تفسير قوله تعالى:﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾: «واحتجت الخوارج بهذه الآية على أن الفاسق كافرٌ غير مؤمن. ووجه الاستدلال بها: أن كلمة « مَن » فيها عامة شاملة لكلّ مَن لم يحكم بما أنزل الله تعالى فيدخل الفاسق المصدِّق أيضاً، لأنه غير حاكم وعامل بما أنزل الله تعالى. وأجيب بأن الآية متروكة الظاهر، فإن الحكم وإن كان شاملا لفعل القلب والجوارح ولكن المراد به هنا عمل القلب وهو التصديق، ولا نزاع في كفر مَن لم يصدِّق بما أنزل الله تعالى» .

(١٦) اليهود هم الذين وصفهم الله تعالى بتحريف كلام التوراة وتبديله في قوله تعالى:﴿..ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لِقومٍ آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه..﴾ سورة المائدة:٤١.

(١٧) في(أ): رسوله.

(١٨) أي في اليهود.

(١٩) تتمة الآية:﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكمْ بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾

(٢٠) في(أ،ب): معناه. والمثبت من(ك).

(٢١) في(ب): فردّد.

(٢٢) يقصد المؤلف رحمه الله تعالى أن الضمير في ﴿عليهم﴾ يرجع إلى الذين هادوا في قوله تعالى:﴿للذين هادوا﴾.

(٢٣) ذلك في قوله تعالى:﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ سورة المائدة:٤٤.

فكأنه وُصف في هذه الآية بصفة زائدة على صفة الكفر با لله، وهي[٢٥] ظلمُه لعباد ا لله تعالى بخروجه[٢٦] في القصاص عن حكم ا لله ﴿ومن لم يحكم﴾ في هذه الآية، المراد بهم[٢٧]: الذين لا يحكمون من اليهود[٢٨].

وأما الآية الثالثة[٢٩] فإنها[٣٠] بعد قوله:﴿ولْيحكمْ أهـل الإنجيـل بمـا أنـزل ا لله فيـه..﴾ ومعناه: قيل لهم[٣١] في ذلك الزمان ـ وأُمروا أن يحكموا به ـ :﴿ومن لم يحكم بما أنزل ا لله﴾، قال[٣٢] فيه مَن حكيت[٣٣] عنه[٣٤] قوله[٣٥] من[٣٦] المتقدمين[٣٧] أنه بمعنى « الذي»[٣٨] .

والذي أذهب إليه أنا: أن « مَن » [٣٩] هاهنا بمعنى المجازاة[٤٠]، لا بمعنى « الذي » كمـا تقـول فيمـن لم يحكـم / بمـا أنـزل ا لله منـّا[٤١]: إنـه لا يبلـغ منزلـة الكفـر، وإنمـا يوصـف بالفسق[٤٢]، فلذلك قال:﴿..فأولئك هم الفاسقون﴾. [٢٧/أ]

---

(٢٤) ذلك في قوله تعالى:﴿ومن لم يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الظالمون﴾ سورة المائدة:٤٥.

(٢٥) في(ب،ك): وهو.

(٢٦) في(أ،ك): بخروجهم. والمثبت من(ك،خ،ر).

(٢٧) في(ب،ك): بها.

(٢٨) أي اليهود الذين أعرضوا عماّ أنزل ا لله من القصاص وحكموا بأهوائهم أو حكموا بحكمٍ غيرِ حكم ا لله تعالى، وهم بذلك يكونون ظالمين، لأنهم تركوا القصاص القائم على العدل والمساواة بين الأشخاص، وذلك اعتداء وظلم ووضع الشيء في غير موضعه.

(٢٩) هي:﴿..فأولئك هم الفاسقون﴾.

(٣٠) في(ك): وأما في الثالثة فإنه.

(٣١) أي للنصارى، حيث إن ا لله تعالى بعد أن بين خصائص الإنجيل أمرهم بالعمل به فقال:﴿وليحكمْ أهلُ الإنجيل بما أنزل ا لله فيه ومن لم يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الفاسقون﴾.

(٣٢) « قال » سقطت من(أ).

(٣٣) في(ك): حكينا.

(٣٤) " عنه " سقطت من(ك).

(٣٥) « قوله » أثبتت من(ك).

(٣٦) في(ب): في.

(٣٧) كالنحاس في كتابه « إعراب القرآن » ٤٩٨/١.

(٣٨) في(ب،ك): الذين، وهو خطأ.

(٣٩) « من » سقطت من(ب).

(٤٠) أي أن تكون « مَن » شرطية، واختار هذا الرأي السمين الحلبي في كتابه « الدر المصون »(٢٨١/٤) فقال:«يجوز في « مَن » أن تكون شرطية، وهو الظاهر، وأن تكون موصولة ».

(٤١) في(ك): فينا.

(٤٢) هذا واضح، لأن من يحكم بما أنزل ا لله فهو مسلم، ومن لم يحكم به فهو كافر، وأماّ من ترك الحكم بما أنزل ا لله من المسلمين من غير إنكار فهو العاصي الذي يتحامى ـ أي يتحاشى ـ أهل السنة القولَ بتكفيره. (ينظر: تفسير المنار للشيخ رشيد رضا٤٠٤/٦).

فقد بان لك أن كل موضع من الآيات الثلاث أُخبر فيه عن المذكورين قبلُ: بالكفر والظلم والفسق(٤٣)، إنما وجب فيه ذاك(٤٤)، ولم يحسن فيه غيره هناك، فاعلمه(٤٥).

(٤٣) يتضح لنا ممّا سبق أن المؤلف رحمه الله يرى أن الآية الأولى والثانية في اليهود والثالثة في النصارى، وعلى ضوء ذلك ذكر مناسبة ختم الأولى **بالكافرين**، وختم الثانية **بالظالمين** ولم يذكر مناسبة ختم الآية الثالثة **بالفاسقين** لوضوحها ـ والله أعلم ـ لأنه تقدم قوله تعالى:﴿وليحكم﴾ وهو أمرٌ، فناسب ذكر الفسق لأنّ مَن يخرج عن أمر الله تعالى يكون فاسقا كما قال تعالى:﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه..﴾[الكهف:٥٠] أي خرج عن طاعة أمره تعالى. (ينظر البحر المحيط لأبي حيان ٤/٢٨١).

وما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من أنّ هذه الآيات الثلاث في أهل الكتاب هو رأي جمعٍ من المفسرين كأبي صالح والضحاك وعكرمة، وهو اختيار الطبري في تفسيره(٦/٢٥٧) والنحاس في كتابه " إعراب القرآن "(١/٤٩٨)، وهناك أقوالٌ أخرى ذكرها المفسرون، **والراجح** ـ وإن كان السياق في أهل الكتاب ـ أن ظاهر هذه الآيات: العموم، وإلى ذلك ذهب ابن مسعود وإبراهيم النخعي والحسن، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل مَن استحلّ الحكم بغير ما أنزل الله جاحداً به فهو كافر. وأمّا مَن لم يحكم بما أنزل الله وهو مقرّ تاركٌ فهو الظالم الفاسق.

قال الطبري في تفسيره(٦/٢٥٧):« فإن قال قائل: فإن الله ـ تعالى ذكرُه ـ قد عمّ بالخبر بذلك عن جميع مَن لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلتَه خاصاّ؟. قيل: إن الله تعالى عمّ بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم ـ بتركهم الحكمَ على سبيل ما تركوه ـ كافرون. وكذلك القول في كل مَن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس، لأنه بجحده حكمَ الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوّة نبيِّه بعد علمه أنه نبيّ ».

قال الآلوسي رحمه الله في تفسيره(٦/١٤٦):« ولعلّ الله تعالى وصفهم بالأوصاف الثلاث باعتبارات مختلفة، فلإنكارهم ذلك وُصفوا **بالكافرين**، ولوضعهم الحكمَ في غير موضعه وُصفوا **بالظالمين**، ولخروجهم عن الحق وُصفوا **بالفاسقين**...»، وهو ـ أي الآلوسي ـ يرى أيضاً أن الخطاب يشمل اليهود وغيرَهم فيقول:« والوجه أن هذا ـ كالخطاب ـ عام لليهود وغيرهم، وهو مخرَّج مخرجَ التغليظ ».

وقال صاحب المنار في تفسيره(٦/٤٠٤ـ٤٠٥) ما ملخصه: وإذا تأمّلت هذه الآيات الثلاثة ظهر لك نكتة التعبير بوصف الكفر في الأولى، وبوصف الظلم في الثانية، وبوصف الفسوق في الثالثة... ففي الآية الأولى كان الكلام في التشريع، وإنزال الكتاب مشتملاً على الهدى والنور، والتزام الأنبياء وحكماء العلماء بالعمل والحكم به والوصية بحفظه، وختم الكلام ببيان أن كل معرض عن الحكم به لِعدم الإذعان له رغبة عن هدايته، مؤثراً لغيره عليه فهو الكافر به... وأمّا الآية الثانية فلم يكن الكلام فيه في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان، بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء... فمن لم يحكم بحكم الله في ذلك فهو الظالم في حكمه. وأمّا الآية الثالثة فهي في بيان هداية الإنجيل، وأكثرُها مواعظ وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته... فمن لم يحكم بهذه الهداية ممّن خوطبوا بها فهم الفاسقون بالمعصية والخروج من محيط تأديب الشريعة..)) ثم قال: «وقد استحدث كثير من المسلمين من الشرائع والأحكام نحو ما استحدث الذين من قبلهم، وتركوا بالحكم بها ما أنزل الله عليهم. فالذين يتركون ما أنزل الله في كتابه من الأحكام من غير تأويل يعتقدون صحتّه فإنه يصدق عليهم ما قاله الله تعالى في الآيات الثلاث أو في بعضها، كلٌّ بحسب حاله. فمن أعرض عن الحكم بحدّ السرقة أو القذف أو الزنا غير مذعنٍ له لاستقباحه إياه وتفضيل غيره من أوضاع البشر عليه فهو كافر قطعاً. ومن لم يحكم به لعلة أخرى فهو ظالم إن كان في ذلك إضاعة الحق أو ترك العدل والمساواة فيه، وإلاّ فهو فاسق فقط، إذ لفظ **الفسق** أعم هذه الألفاظ، فكل كافرٍ وكل ظالمٍ فاسقٌ، ولا عكس » . اهـ

(٤٤) في(ب): ذلك.

(٤٥) في(ب): فاعلموه، وفي(ك): فاعرفه.

[٤٢] الآية السابعة منها[١]

قوله تعالى:﴿ قال الله هذا يومُ ينفعُ الصادقين صِدقُهم لهم جناتٌ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً رضِي الله عنهم ورضُوا عنه ذلك الفوزُ العظيم﴾ [المائدة:١١٩].

وقال في سورة براءة[٢] [٨٨ - ٨٩]:﴿ لكنِ الرّسولُ والذين آمَنوا معه جاهَدوا بأموالهم وأنفسِهم وأولئك لهمُ الخيراتُ وأولئك هم المفلحون ﴿ أعدّ الله لهم جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك الفوزُ العظيم﴾.

وقال بعده:﴿والسّابِقون الأوَّلون مِن المهاجرين والأنصار والذين اتّبَعُوهم بإحسانٍ رضِي الله عنهم ورضُوا عنه وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري تحتَها الأنهارُ خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيم﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال في سورة النساء [١٣]:﴿..ومَن يُطعِ اللهَ ورسولَه يُدْخِلْه جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذلك الفوزُ العظيم﴾، وكان حقُّها أن تذكر في[٣] موضعها، لكني لم تحضرْني هناك فذكرتها مع أخواتها، وإن كان ذكرُها مقدَّما في القرآن.

وقال في سورة الحديد [١٢]:﴿..بُشْراكم اليومَ جنّاتٌ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك هو الفوزُ العظيم﴾.

وفي المجادلة [٢٢]:﴿..أولئك كَتَب في قلوبهم الإيمانَ وأيّدَهم بِروحٍ منه ويُدْخِلُهُمْ جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها رضِيَ الله عنهم ورضُوا عنه أولئك حِزبُ الله ألاَ إنّ حِزْبَ اللهِ هم المفلحون﴾.

وقال في سورة الطلاق[١١]:﴿..ومنْ يؤمنْ با لله ويَعْمَلْ صالحاً يُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً..﴾[٤].

للسائل أن يسأل عن مسائل فيقول[٥]:

---

(١) في(ك): من سورة المائدة.

(٢) أي سورة التوبة .

(٣) « في » سقطت من(أ).

(٤) ذكر المؤلف عدة أيات من السور المختلفة كما أثبتتْ من(أ،ب)، ونسخ (ك،ح،خ،ر،ز،و) خالية عن الأية الأولى من سورة التوبة وهي:﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه..﴾ وآية سورة النساء وهي:﴿..ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات﴾ وآية سورة الحديد وهي:﴿..بشراكم اليوم جنات..﴾.

(٥) صيغة السؤال في(ك): للسائل أن يسأل فيقول: لِم قال في سورة المائدة:﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾، وقال في سورة براءة:﴿تجري تحتَها الأنهار﴾ ولم يدخل عليه « مِن » وقال في سورة المجادلة:﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم﴾ ولم يذكر ﴿أبداً﴾ كما ذكره في الآيتين المتقدمتين؟ والصيغة في ⟸

لِم لم يذكر في سورة براءة في الآية الثانية في قولـه:﴿تحتهـا الأنهـار﴾ لفظـة « مِـن » في قراءة الأكثرين[٦]، وقد ذكر في الآي الأخرى؟

والثاني: لِم حذف ﴿أبداً﴾ في بعض المواضع ولم يُحذف في بعضها[٧]؟

والثـالث[٨]: لِـم ذكـر في سـورة النسـاء[١٣]:﴿..وذلـك الفـوز العظيـم﴾ وفي سـورة الحديد[١٢]:﴿..ذلك هو الفوز العظيم﴾ وفي غيرهما:﴿..ذلك الفوز العظيم﴾[٩]؟.

والجواب[١٠] عنه أن يقال: إنّ الآية الأولى وهي قوله تعالى:﴿..هذا يومُ ينفعُ الصّـادقين صِدقهم﴾ وإنْ كانت عامة في كل صادق مؤمن فإنها خرجت على ما[١١] يبكّت[١٢] ا لله بـه النصارى من دعاويهم الباطلـة، ومقـالاتهم[١٣] الكاذبـة منسـوبة إلى عيسـى عليـه السـلام في قوله:﴿وإذ قال ا للهُ يا عيسى ابـن مريـم أأنـتَ قلـتَ للنـاس اتخِذونـي وأمّـيَ إلهـين مـن دون ا لله..﴾[المائدة:١١٦] فانكشف هذا عن صدقه عليه السلام، وكذب القوم لمّا أجاب وقال:﴿ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتـني بـه..﴾[المائدة:١١٧]، فلفظـة ﴿الصـادقين﴾ في قولـه:﴿هـذا يـوم ينفـع الصادقين صدقهم﴾ أي: الذين[١٤] صدقوا في الدنيا، ينفعهم اليومَ صدقُهم. **والصادقون** يجـوز أن يكون منصرفا إلى عيسى وأمثاله من الأنبياء صلوات ا لله عليهم لقوله عز وجل:﴿بل جـاء بالحق وصدّق المرسلين﴾[الصافات:٣٧] أي: قـال: هـم الصـادقون[١٥]، فتكـون الإشـارة بـالألف

تحتها الأنهار خالدين فيها رضي ا لله عنهم﴾ ولم يذكـر ﴿أبداً﴾ كمـا ذكـره في الآيتـين المتقدمتـين؟ والصيغـة في (ح،خ): فلِم أدخل « مِن » في قوله:﴿من تحتها الأنهار﴾ في سورة المائدة والمجادلة دون سورة براءة؟ ولـم حـذف ﴿أبداً﴾ من سورة المجادلة دون السورتين الأخريين؟

(٦) ابن كثير قرأها بزيادة « مِن » وخفض التـاء الثانيـة ﴿مِـن تحتِهـا﴾. قـال ابـن مجـاهد في كتـاب السـبعة(ص٣١٧): «وكذلك هي في مصاحف أهل مكة خاصة ». وانظر أيضا: كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي طالب القيسي(١/٥٠٥)، كتاب الإقناع في القراءات السبع لابن خلف(٢/٦٥٨)، زاد المسير لابن الجوزي٣(/٤٩١).

(٧) في(ب): في بعضها عنها.

(٨) هذا القسم من السؤال ليس في(ك،ح،خ،ر،س)، وإنما اقتصر فيها على مسألتين سابقتين. وأثبتناه من(أ،ب).

(٩) ذلك في الآية (١١٩) من سورة المائدة، والآيتان (٨٩ ، ١٠٠) من سورة التوبة.

(١٠) من هنا إلى أوّل « ومِن لابتداء الغاية » سقط من(أ،ب)، وأثبت من(ك،ح،خ،د).

(١١) في(ح،خ): على أن، بدل « ما ».

(١٢) أي على ما يقرّع ا لله به النصارى ويوبّخهم. قال في النهاية (١/١٥٠):« التبكيت: التقريع والتوبيخ ».

(١٣) في(ر): ومقالتهم.

(١٤) العبارة في(ط،د): والصادقون يجوز أن يكون منصرفا إلى عيسى وأمثاله من الأنبياء الذين صدقوا في الدنيا فنفعهـم صدقهم.

(١٥) في(أ،ب):صادقون. والمثبت من(ح،خ،د).

واللام[١٦] إليهم ـ صلوات الله عليهم ـ، وإنْ كان كلّ صادقٍ داخلاً في حكمهم من الانتفاع بصدقه[١٧].

وكذلك الآية التي في آخر المجادلة خرجت على ذكر الرسل لقوله تعالى:﴿كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز﴾[المجادلة:٢١] ثم قال:﴿..أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروحٍ منه ويُدخلهم جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهار..﴾ ثم قال:﴿..أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[المجادلة:٢٢] فكان[١٨] الذين أخبر الله[١٩] عنهم بأنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار: الأنبياء وغيرهم صلوات الله عليهم.

و« مِن » لابتداء الغاية، والأنهار مباديها أشرفُ، والجناتُ التي مبادئ الأنهار من تحت أشجارها[٢٠] أشرفُ من غيرها.

فكلّ[٢١] موضع ذكر فيه ﴿مِن تحتها﴾ إنما هو عامّ لِقوم[٢٢] فيهم الأنبياء، والموضعُ الذي لم يذكر فيه[٢٣] « مِن » إنما هو لِقوم مخصوصين[٢٤]، ليس فيهم الأنبياء عليهم السلام ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة براءة[١٠٠]:﴿والسابقون الأوّلون مِن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً..﴾.

فجعل مبادئ الأنهار تحت جناتٍ أخبر الله أنها للصادقين والمؤمنين والذين عملوا الصالحات، وفيهم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بل[٢٥] هم أوّلهم. والمعتاد[٢٦] أنها أشرف الأنهار.

والآية التي في سورة المجادلة فيها الأنبياء عليهم السلام [٢٧] والآية[٢٨] التي في سورة براءة قد خرج الأنبياء عنها، لأنّ اللفظ لم[٢٩] يشتمل عليهم، فلم يخبر عن جناتهم بأن أشرف الأنهار ـ

(١٦) يعني بذلك قوله تعالى:﴿الصادقين﴾.

(١٧) في(د،ط): بصدقهم.

(١٨) في(د): وغيرهم فكان.

(١٩) لفظ الجلالة أثبت من(ر).

(٢٠) في(ك): من تحتها، بدل « من تحت أشجارها ». وفي(ط): والأنهار أشرف مباديها، والجنات التي مباديها الأنهار من تحت أشجارها.

(٢١) من هنا إلى قوله: والموضع الذي " سقط من(ك،ح،خ).

(٢٢) في(د،ط): إنما هو لقوم عام.

(٢٣) في(ك): لم يدخل عليه.

(٢٤) « مخصوصين » سقطت من(ك).

(٢٥) في(ح،خ،ط): لا بل.

(٢٦) في(ح): والمختار.

(٢٧) « والآية التي في سورة المجادلة فيها الأنبياء عليهم السلام » أثبت من(ح،خ،ر،س).

(٢٨) هي الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

على مجرى العادة في الدنيا ـ تحت أشجارها(٣٠)، كما أخبر به عن الجنات التي جعلها ا لله لِجماعة خيارُهم الأنبياء عليهم السلام. إذ لا موضع في القرآن ذكرت فيه «الجنات» و«جري الأنهار تحتها» إلاّ ودخلتها «مِن» سوى الموضع(٣١) الذي لم ينطوِ(٣٢) ذكر الموعودين فيه على الأنبياء عليهم السلام، فهذا الكلام في ﴿مِن تحتها﴾. اعتبِروا بما ذكرتُ ما في جميع القرآن.

وأماّ الجواب(٣٣) عن حذف ﴿أبداً﴾ في بعضها، والإتيان في بعضها: فهو(٣٤) أنها / [٢٧/ب] إنما(٣٥) حذفت(٣٦) عن أولى(٣٧) الآيتين(٣٨) اللتين في براءة، وآخر آية في سورة المجادلة، لأنه ذُكر قبل الآية التي(٣٩) في سورة براءة [٨٨]:﴿وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾ وبعد الآية التي في آخر سورة(٤٠) المجادلة [٢٢]:﴿..رضي ا لله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب ا لله ألا إن حزب ا لله هم المفلحون﴾ فاستغنى بذكر ﴿خالدين﴾ عن ذكر قوله ﴿أبداً﴾(٤١) في هاتين الآيتين من فلاحهم وثناء ا لله عليهم لمّا طال الكلام.

وأما في سورة النساء فإنها(٤٢) لم تذكر ﴿أبداً﴾ لأنه ذُكر بعده في مقابلة ﴿خالدين فيها﴾ [قولُه](٤٣) ﴿خالداً فيها﴾(٤٤) ولم يقل ﴿أبداً﴾. فلو ذُكر فيهما ﴿أبداً﴾ لَطال الكلام، فاستغنى بقوله ﴿خالدين﴾ و﴿خالداً﴾ فيهما(٤٥) عن ﴿أبداً﴾.

---

(٢٩) حرف «لم» ليست في(ط).

(٣٠) في(ك): تحتها.

(٣١) ذلك الموضِع هو آية سورة التوبة (١٠٠).

(٣٢) أي لم يشتمل. وفي(ح،خ): لم يطلق.

(٣٣) من هنا إلى آخر الكلام اعتمدنا على (أ،ب) حيث إن فيهما زيادة ليست في النسخ الأخرى. وفي(ك): وأما حذف قوله:﴿أبداً﴾ من آخر سورة المجادلة فلأن في ﴿خالدين﴾ ما يدل على التأبيد، ثم قد نزل منزلة أخبار هي في مدحهم وهي قوله:﴿رضي ا لله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب ا لله ألا إن حزب ا لله هم المفلحون﴾ فلما تظاهرت هذه الأخبار التي هي ثناء من ا لله عليهم ومدح لهم وطال الكلام بها واستغنى بذكر ﴿خالدين﴾ عن ذكر قوله ﴿أبدا﴾ حسن حذفه ما لم يحسن في المواضع الأخرى التي لم يتظاهر فيها مثل عدة هذه الأخبار الموجبة لهم دار الخلد ودوام النعيم». هنا ينتهي الكلام في(ك).

(٣٤) «فهو» ليست في(ب).

(٣٥) «إنما» أثبتت من(ب).

(٣٦) في(ب): حذف.

(٣٧) في(ب): أول.

(٣٨) «الآيتين» اثبتت من(ب).

(٣٩) من قوله «في سورة المجادلة، لأنه..» إلى هنا سقط من(أ).

(٤٠) «سورة» ليست في(ب).

(٤١) في(أ،ب): فاستغنى بـ﴿خالدين﴾ عن ﴿أبدا﴾. والمثبت من(ك،د).

(٤٢) في(ب): فإنما.

وأمّا في سورة الحديد فلأنه[٤٦] ذكر قبله:﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾[الحديد:١٢]. فلما طال الكلام في مدحهم وذكر بعد ﴿ذلك﴾ تأكيداً بقول الله[٤٧] تعالى ﴿هو﴾ استغنى بقوله:﴿خالدين﴾ عن ﴿أبداً﴾[٤٨].

وهذا الجواب عن إدخال ﴿هو﴾ بعد ﴿ذلك﴾ لأنه ذكر ذلك بدلاً وتأكيداً عن ﴿أبداً﴾ وليس كذلك في المواضع الأخر[٤٩].

وأما إدخال الواو في قوله:﴿وذلك الفوز العظيم﴾ في سورة النساء [١٣] المحذوف ﴿أبداً﴾ عنه فلإدخال الواو في قرينه[٥٠] الكافر:﴿..وله عذاب مُهين﴾[النساء:١٤] فأدخل الواو فيه، أي:وذلك لهم الفوز العظيم وليس كذلك في المواضع الأخر. إذا قرأتَ ما قبلها وما بعدها تبيّن لك ما قلتُ، فاعرفه.

انقضت سورة المائدة عن سبع آيات فيها ثماني مسائل[٥١].

---

(٤٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤٤) قوله تعالى:﴿خالدا فيها﴾ جزء من الآية (١٤) من سورة النساء، وهي:﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يُدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مُهين﴾. وقوله ﴿خالدا فيها﴾ سقط من(أ).

(٤٥) أي في الآيتين (١٣- ١٤) من سورة النساء.

(٤٦) في(ب): لأنه.

(٤٧) في(أ،ب،ك): بقوله. والمثبت من(ر).

(٤٨) ذكر لنا المؤلف رحمه الله وجه حذف قوله تعالى:﴿أبداً﴾ و لم يذكر وجه ذكر ﴿أبداً﴾ مع ﴿خالدين﴾، وإليك ما قاله ابن الزبير في هذا الصدد في كتابه ملاك التأويل (٣٣٨/١):« والجواب عن ذلك: استدعاء هذه المواضع الأربعة ذكر ذلك. أمّا آية المائدة وآية التوبة، فلِما بُنيتا عليه من الإطناب بذكر الرضا والتأبيد. وأمّا آية الطلاق فوجه ذكر التأبيد فيها ما تكرر في هذه السورة من ذكر غايات أبينها قوله تعالى:﴿قد جعل لكل شيء قدراً﴾[الطلاق:٣]. فلمّا أشارت ــ أي السورة ــ إلى غايات ونهايات ناسب ذلك التعريف بأن خلود الجنة متأبّد لا انقضاء له، و لم يجمع بينه وبين ذكر الرضا. أي: لم يجتمع لمن ذكر هنا ما احتمع لأولئك الموصوفين في آية المائدة وآية براءة، و لم يبلغوا مبلغهم. وأمّا آية البينة فإنها ــ كما تقدم ختام حال الفريقين ـ فاقتضت الاستيفاء ». اهـ بتصرف يسير.

(٤٩) يشير المؤلف رحمه الله إلى أن ضمير " هو " لم يدخل في قوله تعالى:﴿الفوز العظيم﴾ بعد قوله ﴿ذلك﴾ إلاّ عند ورود ﴿خالدين﴾ من غير ذكر ﴿أبداً﴾ وذلك في الموضعين من القرآن الكريم، هما الآية(٧٢) من سورة التوبة، والآية(١٢) من سورة الحديد.

(٥٠) في(د): قرينة.

(٥١) هذه الجملة أثبتت من (ح،خ،ر،س). وقد قمتُ بعدّ المسائل المذكورة التي تناولها المؤلف في سورة المائدة ووجدتها عشر مسائل، فمنها مسألة واحدة في الآية الأولى، ومسألة في الثانية ومسألة في الثالثة ومسألتان في الرابعة ومسألة في الخامسة ومسألة في السادسة وثلاث مسائل في السابعة، وبذلك يصبح عدد المسائل عشرة، لا ثمانية كما ذكر.

سورة الأنعام

[٤٣] الآية الأولى منها[١]

قوله عز وجل: ﴿ فقدْ كَذّبوا بالحقّ لَمّا جاءهم فسوْفَ يَأتيهم أنباءُ ما كانوا به يَسْتَهْزِءُون﴾ [الأنعام: ٥].

وقال في سورة الشعراء [٦]: ﴿ فقدْ كَذّبوا فسيأتيهم أنباءُ ما كانوا به يَسْتَهْزِءُون﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: قد ذُكر في الآية التي في الأنعام ما كذّبوا به وهو الحق لمّا جاءهم، وقال: ﴿فسوف يأتيهم﴾، وفي سورة الشعراء لم يذكر ما كذبوا به، وجعل بدل «سوف» السين[٢]، فهل كان يجوز أحدهما مكان الآخر؟

فالجواب[٣] أن يقال: إن الآية الأولى قد وفّي المعنى فيها حقَّه من اللفظ، لأنها سابقة للثانية ـ وإن كانتا مكيتين[٤] ـ فأشبعت ألفاظ[٥] الأولى مستوفية لمعناها[٦].

وفي الآية الثانية اعتمد على[٧] الاختصار لِما سبق في الأولى من البيان فاقتُصر[٨] على قوله[٩]: ﴿كذبوا﴾. وهذا اللفظ إذا أطلق كان لِمن كذّب بالحقّ. ألا ترى قوله عز وجل: ﴿ويل يومئذٍ للمكذّبين﴾ [المرسلات: ١٥]. وإذا قيّد[١٠] جاز أن يقول: كذّب الكذبَ[١١]، وكذّب الصدقَ، وكذّب مسيلمةَ، وكذّب النبيَ ﷺ ، إلاّ أنه إذا[١٢] عَري من التقييد[١٣] لم

---

(١) في(ك): من سورة الأنعام. ولفظ « منها » سقط من(أ).

(٢) في(أ،ب): قد ذُكر في إحدى الآيتين «فسوف» و « بالحق » وفي الآية الأخرى لم يذكر ما كذبوا به، وجعل بدل « سوف» السين. والمثبت من(ك).

(٣) في(ب): والجواب.

(٤) أي آية سورة الأنعام وآية سورة الشعراء. وفي(ك): إذ سورة الأنعام مكية وإن كانت الشعراء مثلها في أنها أنزلت حيث أنزلت.

(٥) في(ط): الأولى.

(٦) في(ب): لمعنى هي.

(٧) في(ك): والثانية أعتمد فيها.

(٨) في(ب): واقتصر.

(٩) « قوله » أثبتت من(ك).

(١٠) أي الكذبُ.

(١١) ما جاء في هذه الأمثلة بعد فعل « كذّب » مفعولٌ، وقيدٌ تقيّد به فعلُ « كذّب »، ففي الأمثلة إشارة إلى أن الكذب إذا قيّد يحتمل أن يقيّد بالحق وغير الحق بخلاف وروده مطلقاً.

(١٢) في(ب): وإذا ، بدل « إلا أنه ».

(١٣) في(أ): التثقيل. وفي(ب): القبيل. كلاهما خطأ. والمثبت من(ح،خ،ر،ك).

يصحّ إلاّ لِمن[١٤] كذّب بالحق، فصار قوله تعالى في الشعراء من هذا القبيل بعد البيـان الـذي سبق في سورة الأنعام[١٥].

ولمّا بنيت[١٦] هذه الثانية على الاختصار والاكتفاء بالقليل من الكثـير جُعـل فيهـا بـدل «**سـوف**» **السينُ** وحدها، وهي مؤدية معناها.

ومن النحويين[١٧] مَن ذهب إلى أنها مأخوذة من « **سـوف** » وإن كان ذلك عندنا ليـس بصحيح.

---

(١٤) في(ك): مَن. بدل « لمن ».

(١٥) ومثله في سورة القمر[٣]:﴿وكذّبوا واتبعوا أهواءهم..﴾.

(١٦) في(ب): بينت، وهو خطأ.

(١٧) النحاة المقصودون هم الكوفيون، حيث إنهم ذهبوا إلى أن " السين " التي تدخل على الفعل المستقبل نحو «سأفعل» أصلها «سـوف» وهي مأخوذة منها.

والمؤلف رحمه الله يرى مذهب البصريّـين، حيـث إنهـم يـردّون علـى الكوفيّـين في قولهـم:« إن السـين تـدل علـى الاستقبال كما أن « سوف » تدل على الاستقبال، فيجيبون عن ذلك بقولهم: هذا باطل، لأنـه لـو كـان الأمـر ـ كما زعموا ـ لَكان ينبغي أن يستويا في الدلالة على الاستقبال على حدّ واحد. فلماّ اختلفا في الدلالة دل على أن كلّ واحد منهما حرف مستقل بنفسه، غير مأخوذ مـن صاحبـه ». (نقـلا عـن « الإنصـاف في مسـائل الخـلاف» ٦٤٧/٢ لابن الأنباري).

وأماّ مدة الاستقبال في «السين» و «سوف» فقد أشار ابن هشام إلى أن السين المفردة حرف توسيع، وذلـك أنهـا تقلّب المضارع من الزمن الضيّق ـ وهو الحال ـ إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال، و "سوف" مرادفـة للسـين عنـد الكوفيين، أو أوسع منها وهو مذهب البصريين.(ينظر: مغني اللبيب،ص١٨٤ ـ ١٨٥).

[٤٤] الآيــة الـثـانـيـة[١]

قوله عز وجل متصلا بالآية التي تقدّم ذكرُها:﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قبلهم مِن قرنٍ مكّنّاهم في الأرض ما لم نُمَكّنْ لكم..﴾[٢][الأنعام:٦].

وقال في سورة الشعراء متصلا بتلك الآية التي ذكرنا[٣]:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾.[الشعراء:٧].

للسائل أن يسأل فيقول: ما بال الألف في الآية الأولى[٤] دخلت / على « لم » وفي الآية [٢٨/أ]
الثانية[٥] دخلت على « ولم» [٦] فكان بين الألف و«لم» واو عطف ولم يكن في سورة الأنعام[٧] ؟ وما الفصل بين « ألم » و« أولم »، فهل صلح ما في الشعراء مكان ما في سورة الأنعام[٨] أم لا[٩]؟

والجواب أن يقال: إنّ[١٠] الألف تدخل على « واو العطف» في الاستخبار والإنكار والتقريع على تقدير أن تكون الجملة التي فيها[١١] « الواو » معطوفة على كلام مثلها يقتضيها، وذلك كقولك

(١) في(ك): من سورة الأنعام.

(٢) في(أ،ب،د): قوله تعالى:﴿ألم يروا كما أهلكنا..﴾، والمثبت من المصحف الشريف ومن(ك،ح،خ،ر،و).

(٣) قوله « متصلا بتلك الآية التي ذكرنا » أثبت من (ح،خ،ر،س). وفي(ك،و): وقال في سورة الشعراء ما اتصل بمثل الآية التي أشبهت.

(٤) في(ب): في الأولى.

(٥) في(ب،ك): وفي الثانية.

(٦) في(ب): أولم.

(٧) في(ب): في الأنعام.

(٨) في(ب): في الأنعام.

(٩) « أم لا » ليست في(ك).

(١٠) « إنّ » ليست في(أ).

(١١) في(ك): قبلها. قلت: لِكليهما وجه.

لقائلٍ[١٢]:هل رأيت زيداً ثَمَّةَ[١٣] ؟ أَوَ زيدٌ[١٤] ؟ ممّن يكون ثَمَّةَ، فصوّرتَه[١٥] بصورة مَن ثبت ذلك عنده أو قاله، فاستفهمتَه وعطفتَ على ما توهّمْتَ[١٦] أنه في علمه أو وهْمِه[١٧].

فكل موضع فيه بعد ألف الإنكار واوٌ ففيه تبكيت على ما يسهّل الطريق إلى ما بعد[١٨] الواو، فالاعتبار[١٩] به لكثرة أمثاله، كقوله تعالى:﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ كريم﴾ كأنّ قائلا قال[٢٠]: كذّبوا الرسول وغفلوا عن الفكر والتدبّر، فقد[٢١] فعلوا ذلك ولم ينظروا إلى المشاهدات التي تنبّه الفكر فيها من[٢٢] الغفلة.

وكذلك قوله تعالى:﴿ولقد كذّب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴿ أو لم يروْا إلى الطير فوقهم صافاتٍ..﴾[الملك:١٨ - ١٩]. كأنه قال: كذّبوا ولم ينظروا إلى ما يردع[٢٣] عن الغفلة من الفكر في المشاهدات.

وكذلك قوله:﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّأ ظِلاله عن اليمين والشمائل سُجَّداً لله وهم داخرون﴾[النحل:٤٨] لأن ذلك مشاهَد.

وكلّ ما فيه «واو» مثل ﴿أولم يروا﴾[٢٤] فهو تنبيه على ما تقدّمتْه في التقدير أمثالٌ[٢٥] منبّهة لِكثرتها، فالتبكيت فيه أعظم، فهذا كلّه في المشاهَد وما في حكمه.

---

(١٢) في(ب): لقائل يقول.

(١٣) أي هناك. قال المبرد في " جمهر اللغة "(٨٥/١):« ثَمّ - بالفتح ـ : كلمة يشار بها إلى المكان ». وفي المفردات للراغب (ص١٧٧):« إشارة إلى المتبعَّد من المكان ». وفي تفسير القرطبي (١٤٤/١٩):« ثَمَّ ظرف مكان، أي: هناك ». وفي المصباح المنير (ص٨٤):« ثَمَّ - بالفتح - اسم إشارة إلى مكان غير مكانك ». وكلام صاحب المصباح المنير يدل على أن " ثَمَّ " اسم يشار به إلى القريب بمعنى هنا والبعيد بمعنى هناك. والله أعلم. وفي المعجم الوسيط (ص١٠١):« وقد تلحقه التاء فيقال: ثـمَّة، ويوقف عليها بالهاء ».

(١٤) جملة " أَوَ زيد " مقول القول لـ" كقولك ".

(١٥) في(أ،ك): تصوره. والمثبت من(ب،ح،خ).

(١٦) أي تخيّلتَ، وفي اللسان (٦٤٣/١٢، وهم):« وتوهّم الشيء :تخيّله وتمثّله كان في الوجود أو لم يكن ».

(١٧) في(ب): ووهمه. والوهْم- بسكون الهاء- : ما يقع في القلب من الخاطر. (ينظر:القاموس المحيط،ص١٥٠٧خطر، والمعجم الوسيط،ص١٠٦٠).

(١٨) " إلى ما بعد " تكرر في(أ).

(١٩) في(ب): فلا اعتبار .

(٢٠) في(أ): كأنه قال.

(٢١) في(ب،ك): فقال.

(٢٢) في(أ): عن.

(٢٣) في(ك): يدع.

(٢٤) في(ب،ك): ﴿أولم﴾.

(٢٥) في (أ): أمثال له .

وما ليس فيه « واو » مثل ﴿ألم يروا﴾ فهو مماّ[٢٦] لم يقدّر قبله ما يعطَف عليه ما بعده، لأنه من باب ما لا[٢٧] يكثر مثله، وذلك فيما يؤدّي إلى علمه[٢٨] الاستدلالات[٢٩] كقوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ألم يروا كم أهلكنا مِن قبلهم مِن قرنٍ مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماءَ عليهم مِدراراً وجعلْنا الأنهارَ تجري مِن تحتهم فأهلكْناهم بذنوبهم..﴾[الأنعام:٦]. وهذا مماّ[٣٠] لم يشاهدوه ولكن[٣١] علموه.

وكذلك قوله:﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾[يس:٣١] هو ما[٣٢] الطريق إلى العلم به الاستدلال لا المشاهدة.

فهذا ونحوه مماّ لم يكثر في معلومهم أشباهُه، فهم ينبَّهون عليه ابتداء من غير تقدير تنبيه على شيءٍ مثله مماّ قبله.

فإن عارض معارض بقوله تعالى:﴿ألم يروا إلى الطير مسخّراتٍ في جوِّ السماء..﴾[٣٣][النحل:٧٩] وقال[٣٤]: هذا من القسم الذي يشاهَد[٣٥]، وحقّه أن يكون ملحقاً بقوله[٣٦]:﴿أو لم﴾ كما كان [قوله][٣٧]:﴿أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافاتٍ..﴾[الملك:١٩]، وهما[٣٨] في شيء واحد، فما بالهما اختلفا من حيث وجب أن يتفقا ؟

والانفصال[٣٩] أن يقال: إنا علّلنا موضع « ألم » بما يوجب[٤٠] أن يكون هذا الموضعُ من اماكنها، ألا ترى أناّ قلنا: هو كل موضع ينبَّهون عليه ابتداءً من غير تنبيه على شيء مثله

---

(٢٦) في(أ،ب): ما، والمثبت من(ك،ر،ح).

(٢٧) في(ب): ما لم.

(٢٨) في(أ،ب): إلى علم. والمثبت من(ك، ح،و).

(٢٩) الاستدلال هو تقرير الدليل لإثبات المدلول. (التعريفات للجرجاني،ص١٧). وقال الشيخ حبنّكة في كتابه "ضوابط المعرفة "(ص١٤٩):« الاستدلال هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة ».

(٣٠) في(أ،ك): ما. والمثبت من(ب).

(٣١) في(ك): وإنما، بدل " ولكن.

(٣٢) في (ب): مماّ.

(٣٣) تتمة الآية هي:﴿ألم يروا إلى الطير مسخَّراتٍ في جوّ السماء ما يمسكهن إلاّ الله إن في ذلك لآيات لقومٍ يؤمنون﴾.

(٣٤) " وقال " أثبتت من(ك،خ،د).

(٣٥) في(ح،خ): الذه هو مشاهَد.

(٣٦) في(أ): أن يكون كقوله. والمثبت من(ك). وفي(ب): أن يكون فقوله. وهو خطأ.

(٣٧) زيادة يقتضيها السياق.

(٣٨) أي آية سورة النحل، وآية سورة الملك.

(٣٩) أي الجواب أو الرد على الاعتراض.

(٤٠) في(ك): يجب.

ممّا قبله، فعلّنا المشاهَدات بما يخرج هذا عنهـا، لأن قبل هـذه الآيـة(٤٠):﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلّكم تشكرون ﴾ ألم يـروا إلى الطير مسخّرات..﴾[النحل:٧٨ ـ ٧٩]. فبُنيت هـذه الآية على التي أخبر الله فيها عن أول أحوال(٤١) الإنسان، وأنه أخرجهم أطفالاً صغاراً / من بطون أمهاتهم، لا يعلمون شيئا [٢٨/ب
من(٤٢) منافعهم فيقصدوها(٤٣) ولا من مضارّهم(٤٤) فيجتنبوها، ثم بصّرهم حتى عرفوا(٤٥) ونبّههم على ما يشاهده(٤٦) كلّ حيّ من(٤٧) تصرُّف الطير في الهواء وعجزه عن مثل ذلك. وكان هـذا مقروناً بأُولَى الأحوال، ولم يتقدّمه أمثال له يقع التنبيه عليها قبله فيكون في حكم ما يعطَف على ما تقدّمه.

فإن عارض بقوله عز وجل:﴿وإذا أذقْنا الناسَ رحمة فرحوا بها وإنْ تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ أو لم يروا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر..﴾[الروم:٣٦ ـ ٣٧]، وقال: إنّ ذلك ممّا يعلَم ولا يشاهَد، وحكمه أن يكون بـ«ألم»(٤٨).

قيل له: التوسعة في الرزق والتقتير(٤٩) فيه لمّا كانت لهما أمارات تُرى وتشاهَد من أحوال الغِنى والفقر(٥٠) صار أمرهما كالمشاهَدات، فكانا(٥١) ممّا شوهدت أمثال لهما فعطف عليها.

فإن سأل عمّا جاء بالفاء في قوله تعالى:﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض..﴾[سبأ:٩] وقال: ما الفرق بين هذا المكان الذي جاءت فيه الفاء وبين(٥٢) الأماكن التي جاءت فيها الواو ؟ وهل كان يصح في اختيار الكلام(٥٣) الواو مكان الفاء ها هنا؟

فالجواب أن يقال: الفاء هاهنا أولى، لأنّ قبلها:﴿وقال الذين كفروا هل ندلّكم على رجل ينبّئكم إذا مُزِّقْتم كلَّ ممزَّق إنكم لفي خلْقٍ جديد ﴾ أفْتَرى على الله كَذِباً أمْ به جِنّة بل الذين لا يؤمنون

(٤٠) هي قوله تعالى:﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء..﴾.

(٤١) في(ب): حال.

(٤٢) " شيئا من " ليست في(ب،ك).

(٤٣) في(ك): فيقصدونها. وفي(ر): فيقصدوا لها. والمثبت هو الأرجح، لأنّ " أنْ " تُضمر بعد فاء السببية إذا كانت مسبوقةً بنفيٍ محضٍ كقوله تعالى:﴿..لايقضَى عليهم فيموتوا﴾[فاطر:٣٦]. (ينظر:قطر الندى،ص٧١).

(٤٤) في(ب،ك): ولا مضارهم.

(٤٥) في(ب): عرفوه.

(٤٦) في(ب): يشاهدوه.

(٤٧) في(ب): حتى، بدل " مِن ".

(٤٨) في(ب): ما لم.

(٤٩) أي التضييق في الرزق. (المصباح المنير،ص٤٩٠).

(٥٠) في(ب): الغني والفقير.

(٥١) في(ب): وكانا.

(٥٢) في(ب): من، بدل " وبين ".

(٥٣) في(ب): المكان.

بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض..﴾[سبأ:٧ - ٩]. فكأنه(٥٥) قيل فيهم: أنهم كذّبوا الله ورسولَه بما أنكروه من البعث، فلم يتفكّروا و لم يخشوا عقيب هذا المقال(٥٦) نِقمةً(٥٧) تنزل بهم، فقيل: لم يتفكروا و لم يخشوا أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، أي: هم لا ينفكّون(٥٨) من أرض تُقلّهم وسماءٌ تُظلُّهم. والذي جعلها تحتهم وفوقهم قادرٌ على أن يخسف الأرض بهم، أو يُسقط السماء عليهم(٥٩)، فهذا موضع الفاء(٦٠)، لا موضع غيرها لِما بيّنّا(٦١).

---

(٥٥) من هنا إلى قوله " أي هم لا ينفكون " سقط من (أ)، وأثبت من(ب،د).

(٥٦) هو ما قاله أولئك الكفار الذين أنكروا البعث والحياة الآخرة على سبيل السخرية والاستهزاء:﴿..هل ندلّكم على رجل ينبّئكم إذا مُزّقتم كلَّ ممزّق إنكم لفي خلقٍ جديدٍ ﴿﴾ أفترى على الله كذبا أم به جنة..﴾[سبأ:٧ - ٨].

(٥٧) أي عقوبةً.

(٥٨) في(ب): لا يتفكّرون. وفي(د): هم لا ينقلون.

(٥٩) يشير إلى قوله تعالى:﴿..إنْ نشأْ نخسِف بهم الأرض أو نُسقطْ عليهم كسفاً من السماء إنّ في ذلك لآية لكلّ عبد منيب﴾[سبأ:٩].

(٦٠) يعني أن هذا الموضع موضع الفاء بعد الهمزة للاستفهام.

لقد كثُر الاستفهام في القرآن الكريم، وهو أغنى بأساليبه وبتنوُّع معانيها. ومن الأدوات التي استخدمها القرآن الكريم: الاستفهام **بالهمزة، وهل، ومتى وأيّان، وأين، وكيف، وكم وأنّى**.. ولكلّ منها أغراض مختلفة، منها: الإنكار والتقرير والتنبيه والتعجيب والتشويق والتهويل والتحقير...

ومن أهمّ ما يمتاز به الاستعمال القرآني للاستفهام بالهمزة تجرُّدُه من حرف العطف، ومصاحبته له. والاستفهام بالهمزة يتجرّد من العاطف إذا كانت الجملة الاستفهامية لم يسبقْها شيء يصحّ أن يربط به، كما في قوله تعالى:﴿ألم نشرح لك صدرك﴾[الشرح:١]. ويتجرّد أيضا من العاطف إذا كانت الجملة الاستفهامية وقعت مماّ قبلها موقعَ الاستئناف البياني الذي يكون جواباً لسؤالٍ مقدّر، ومن ذلك قوله تعالى الذي نحن بصدد بيانه:﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون ﴿﴾ ألم يروا كمْ أهلكنا مِن قبلهم من قرنٍ..﴾ [الأنعام:٥ - ٦] فكأنه قيل: وما الذي سيلحق هؤلاء المكذّبين ؟ فقال: ألم يروا كمْ أهلكْنا.؟

ومن أساليب الاستفهام بالهمزة في القرآن أيضاً أنْ يصاحب الهمزةَ أو يتلوها العاطفُ (الواو أو الفاء) والثاني مثل « أو لم » و « أفلا ».

والآيات التي تناولها المؤلف رحمه الله هي الآيات التي لم تُربَطْ فيها همزة الاستفهام بما قبلها، وكذلك الآيات التي رُبطت فيها الهمزة بما قبلها بالواو أو الفاء.

ونحن نعلم أن الواو لِمطلق الربط من غير إفادة ترتيب أو تسبُّب بخلاف الفاء، لأنها تفيد ترتيب الجملة الاستفهامية على ما سبقها، وتربطها به ربطاً قوياً.

ونجد أن المصنف رحمه الله قرّر أن كل موضع فيه بعد ألف الإنكار «واو» أو « فاء» فالاعتبار به: المشاهدة، وكلّ موضع ليس فيه «واو» أو «فاء» بعد ألف الإنكار فالاعتبار به الاستدلال.

وذهب إلى ذلك الكرماني ولخّص كلامه فقال:« الجواب: ما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة ذكره بالألف وواو العطف أو فائه. وما كان الاعتبار فيه بالاستدلال ذكره بالألف وحده، ولا ينقُضُ هذا الأصلَ قولُه:﴿ألم يروا إلى الطير مسخّرات..﴾ في النحل لجريانها مجرى الاستئناف ولاتصالها بقوله:﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ وسبيلها الاعتبار بالاستدلال، فبنى قوله تعالى:﴿ألم يروا﴾ عليه ». (غرائب التفسير للكرماني١/٣٥٢، والبرهان له،ص١٦٥ . بتصرف يسير فيهما.).

وقال **ابن جماعة** (كشف المعاني، ص١٦٥):« إن كان السياق يقتضي النظر والاستدلال جاء بغير "واو" وإن كان يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة جاء بالواو أو الفاء ».

(٦١) في(أ): لا موضع غير ما بينا. والمثبت من(ب،ك)، وفي(ب): بعد « لما بينا »:والسلام.

[٤٥] الآية الثالثة منها[١]

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيروا في الأرض ثمّ انْظروا كيف كان عاقبةُ المكذّبين﴾[الأنعام:١١].

وقال في سورة النمل[٦٩]: ﴿قُلْ سِيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المجرمين﴾.

وقال في سورة العنكبوت[٢٠]: ﴿قُلْ سِيروا فِي الأرض فانْظُروا كيف بدأ الخلقَ ثمّ ا لله يُنْشِئُ النشأةَ الآخرةَ إنّ ا لله على كل شيء قدير﴾.

وقال في سورة الروم[٤٢]: ﴿قُلْ سيروا في الأرض فانْظُروا كيف كان عاقبةُ الذين مِن قبلُ كان أكثرُهم مشركين﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: التي في سورة الأنعام جعل ما بين السير والنظر فيها مهلة متراخية، عبّر عنها بـ « ثم»، وسائرُ الآي جُعلت المهلة بينهما[٢] فيها[٣] أقلّ فعبّر عنها بالفاء، فما الذي خصص الأولى بـ « ثم » والباقيةَ بالفاء ؟

والجواب[٤] عن ذلك أن يقال: إنّ قوله: ﴿..سيروا في الأرض فانظروا﴾ يدل على أنّ السير يؤدي إلى النظر فيقع بوقوعه، وليس كذلك « ثم ». ألا ترى أنّ « الفاء » وقعت في الجزاء، ولم تقع فيه « ثم ».

فقوله في سورة الأنعام: ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا﴾ لم يجعل النظر فيه واقعاً عقيب السير، متعلّقا وجودُه بوجوده، لأنّه بعثٌ على سير بعد سير لما تقدم من الآية التي تدل على أنه تعالى حداهم[٥] على استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد، وأن يستكثروا من / ذلك [٢٩/أ]
ليروا أثراً بعد أثرٍ، في ديار بعد ديارٍ قد عُمِّم[٦] أهلُها بدمارٍ، لقوله تعالى: ﴿ألم يروا كم أهلكنا مِن قبلهم مِن قرنٍ مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكّنْ لكم..﴾ ثم قال: ﴿..فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ [الأنعام:٦].

فذكر في قوله: ﴿..كم أهلكنا مِن قبلهم مِن قرنٍ..﴾ أي[٧]: قروناً كثيرة أهلكناهم[٨]، ثم قال: ﴿..وأنشأْنا مِن بعدهم قرناً آخرين﴾ فدعا إلى العلم بذلك بالسير في البلاد ومشاهدة

(١) في(ك): من سورة الأنعام.

(٢) أي بين السير والنظر.

(٣) « فيها » ليست في(ب،ك).

(٤) في(ب): فالجواب.

(٥) أي: حثّهم وبعثهم، وفي المصباح المنير(ص٢٥):« حَدَوْتُ بالإبل: حَثَثْتها على السير. وحدوتُه على كذا: بعثتُه عليه».

(٦) في(أ): عمّ.

(٧) في(أ،ب): يعني، والمثبت من(ك).

هذه الآثار، وفي ذلك ذهاب أزمنة كثيرة ومُدَدٍ طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير، كما قال في المواضع الأخر التي دخلتها الفاءُ لِما قصد فيها(٩) من معنى التعقيب واتصال النظر بالسير، إذ ليس في شيء من الأماكن التي استُعملت فيها الفاءُ ما في هذا المكان من البعث على استقراء الديار وتأمّل الآثار، فجُعل السير في الأرض في هذا المكان(١٠) مأموراً به على حِدة، والنظر بعده مأموراً به على حِدة(١١)، وسائر الأماكن(١٢) التي دخلتها الفاء عُلّق فيها وقوعُ النظر بوقوع السير، لأنّه لم يتقدم الآية(١٣) ما يحْدو(١٤) على السير الذي حدا عليه فيما قبل هذه(١٥) الآية، فلذلك خصّت بـ « ثم »(١٦) التي تفيد تراخي المُهلة بين الفعلين(١٧). والله أعلم(١٨).

---

(٨) في(ك): أهلكهم.

(٩) « فيها » ليست من(ب،ك).

(١٠) في(ب،ك): الموضع.

(١١) من قوله « والنظر بعده ..» إلى هنا سقط من(أ).

(١٢) في(ك): وفي سائر الأماكن.

(١٣) في(ب): لأنه لم يقع في الآية.

(١٤) في(ب): ما يحد فيه، والمثبت هو الصواب، ومعناه: ما يحثُّ.

(١٥) « هذه » ليست في(ك).

(١٦) قال الرماني:« ثُمّ: من الحروف الهوامل ـ أي غير العوامل ـ، ومعناها: العطف، وهي تدلّ على التراخي والمهلة، وذلك نحو قولك: قام زيد ثم عمرو ، والمعنى: أنّ عمراً قام بعد زيد، وبينهما مهلة ». (معاني الحروف للرماني،ص١٠٥]

(١٧) أي السير والنظر.

(١٨) « والله أعلم » ليست في (ك).

[٤٦] الآية الرابعة منها[١]

قوله تعالى:﴿وإن يَمْسَسْكَ ا لله بضرٌ فلا كاشفَ له إلاّ هو وإنْ يمسسْك بخيرٍ فهو على كل شيءٍ قدير﴾[الأنعام:١٧].

وقال في سورة يونس[١٠٧]:﴿وإنْ يَمْسَسْكَ ا للهُ بضرٌ فلا كاشف له إلاّ هو وإن يُرِدْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لِفَضْلِهِ..﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: ما الذي أوجب أن يقرن إلى جملتي الشرط والجزاء في الآية الأولى:﴿وإن يمسسْك﴾[٣] ويجعل جواب الشرط الثاني:﴿فهو على كل شيء قدير﴾ ثم قرن في الآية الثانية[٤] إلى جملتي الشرط والجزاء ﴿وإن يرِدْك بخير﴾ ويجعل جوابه:﴿فلا رادّ لفضله﴾ فخالف الأول ؟

والجواب[٥] أن يقال: إن السورتين اللتين وقعت فيهما الآيتان[٦] مكيتان، والأُولى منهما قبل الثانية.

فأما التي في سورة الأنعام[٧] وهي:﴿وإن يمسسك ا لله بضرٌ فلا كاشف له إلاّ هو﴾ فمعناها: إنْ يمسسْك[٨] ا لله ضُراً[٩] وهو سوء الحال، فلا مزيل له غير ا لله[١٠]، ولا يملك ما يعبَد من دونه كشفَه.

ومعنى ﴿يمسسك﴾:يُنِلْك[١١]، لأن المماسّة في الأعراض مجاز وتوسُّع في اللغة، فمعنى مسَّه ا لله بضرّ: أناله ا لله[١٢] ضُراً وأوصله إليه[١٣].

---

(١) في(ك): من سورة الأنعام.

(٢) في ذكر السؤال خللٌ في (ك)، والمثبت من(أ،ب). وفي(ح،خ،ر): لِم اختلف اللفظ في العطف ؟

(٣) في(ب): وإن يمسسك بخير.

(٤) في(ب): في الثانية.

(٥) في(ب): الجواب.

(٦) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): الآيتان فيهما.

(٧) في(ب،ك): في الأنعام.

(٨) في(ك): إن يمسّك.

(٩) قال الراغب (ص٥٠٣):« الضُرّ ـ بضمّ الضاد ـ: سوء الحال، إماّ في نفسه لقلّة العلم والفضل والعِفة، وإماّ في بدنه لِعدم جارحة ونقص، وإماّ في حالة ظاهرة من قلة مال وجاهٍ ».

(١٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): غيره.

(١١) قال الطبري (١٦٠/٧):« يصبْك ».قال ابن عطية في معنى ﴿يمسسك﴾: يصبْك وينلك.

(١٢) لفظ الجلالة لايوجد في (ب،ك).

وقوله:﴿وإنْ يمسسْك بخير فهو على كـل شيء قدير﴾ أي: إنْ يُنلْك[١٤] خيراً يُرْجَ الأكثر[١٥] منه، لأنه[١٦] قادر عليه وعلى أمثاله، والدليل على أنّ المعنى هـذا[١٧]: أنّ الجزاء[١٨] إذا كان جملة ابتداء وخبر فإنّ معنى الخبر يكون[١٩] جزاءً ومقدّراً[٢٠] في مكان الفاء، كقولك: إن زرتني فأنا مكرم لك، وإنْ أحسنتَ إليّ فأنا قادر على مقابلتك، والتقدير[٢١]: إنْ زرتني أكرمْك، وإنْ أحسنت إليّ قدرت على مقابلتك، وفي قولك[٢٢]: قدرتُ على مقابلتك ضمان[٢٣] المقابلة.

وأنتَ إذا قدّرتَ قوله تعالى:﴿وإنْ يمسسْك بخيرٍ فهو على كل شيء قدير﴾: وإنْ[٢٤] يُنلْك خيراً يقدر عليه، لم يستقم الكلام، لأنّ الجزاء حقه أن يكون بعد الشرط، والقدرة على الفعل لا تكون بعده، والمعنى: إنْ يُنلك خيراً يـرجَ لأمثاله، لأنه قادرٌ عليه[٢٥] وعلى كل شيء. وكونه تعالى « قادراً » من صفات النفس، وإنالةُ[٢٦] الخير فعلٌ من أفعاله، فلا يصحّ أن يكون كونه[٢٧] قادراً متأخراً عنها[٢٨].

فالمعنى: إنْ نقلك إلى سوء حال لم يملك كشفه عنك غيره، وذلك كشدائد[٢٩] الدنيا من الأمراض والآلام والنقصان في الأموال. وإنْ نقلك إلى حسن حال، كان بعده قادراً على

---

(١٣) قال القرطبي في معنى الآية: المسّ والكشف من صفات الأحسام، وهو هنا مجاز وتوسّع، والمعنى: إنْ تنزلْ بك يا محمد شدة من فقرٍ أو مرض فلا رافع له إلاّ هو، وإنْ يصبْك بعافية ورخاء ونعمةٍ فهو على كل شيء قدير من الخير والضر ». (تفسير القرطبي،٦/٣٩٨).

(١٤) في(ب): ينيلك.

(١٥) في(ب): لأكثر.

(١٦) في(أ،ب): فإنه. والمثبت من(ك).

(١٧) في(ك): هو.

(١٨) في(ب): الخبر.

(١٩) لفظ " يكون " تكرر في(أ).

(٢٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): يكورن حزاؤه مقدراً.

(٢١) في (أ): التقدير ، بدون الواو.

(٢٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وفي قوله.

(٢٣) من قوله " التقدير " إلى هنا سقط من(ك).

(٢٤) في(ب،ك): إن، بدون الواو.

(٢٥) " عليه " سطقت من(أ). وفي(ك): عليها. والمثبت من(ب).

(٢٦) في(أ): فإنالة. وفي(ب): إنالة. والمثبت من(ك،ح،خ).

(٢٧) : " كونه " سقطت من(أ).

(٢٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): عليها.

(٢٩) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وكذلك شدائد الدنيا.

أمثاله، ومالكاً لأضعافه، لأنه قادر على كل ما يصحّ أن يكون مقدوراً عليه(٣٠) له، فهذا وصفه بالقدرة على النفع والضرّ.

وأمّا(٣١) الآية الثانية(٣٢) ففيها نفيُ أن يغالبه مغالِب، ويمنعه عمّا يريد فعلَه مانع، لأنّ معناها(٣٣): إذا أنزل بك مكروها لم يقدر أحد على دفع ما يريد إيقاعه بك، وإنْ أراد إحلال خيرٍ بك لم يردّه أحدٌ عنك، وهو معنى: « لا مانع لِما أعطيتَ ولا معطي لِما منعت »(٣٤).

ورتبة(٣٥) هذا الوصف بعد رتبة الوصف الأول، لأنه يوصف الفاعل أوّلا بقدرته(٣٦) على الضدّين، وليس كلّ مَن كان كذلك كان ممتنعاً عن أن يقهره قاهر فيحول بينه وبين ما يريد فعله، فإذا وصفه بأنه قادرٌ كان وصفه بأنه قادر غالب للقادرين لا يدفعه عن مراد له دافع وصفا(٣٧) ثانيا، فلاق بكل موضعٍ ما ورد فيه ونطق القرآن به(٣٨).

فالذي اقتضى هذا الوصف في الآيتين(٣٩) قوله تعالى قبل الأولى(٤٠): ﴿..قل إنّي أُمِرت أنْ أكونَ أوّلَ مَن أسلم ولا تكوننَّ من المشركين﴾ [الأنعام:١٤] أي: إني(٤١) لا أعبد إلهاً معه فأشرك به.

وقوله قبل الآية الثانية(٤٢): ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك فإنْ فعلت فإنّك إذا من الظالمين﴾[يوسف:١٠٦]، ومثلهما قوله تعالى: ﴿..قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إنْ أرادنِيَ الله بضُرٍّ هل هنّ كاشِفاتُ ضُرِّه أو أرادَني برحمةٍ هل هنّ ممسكاتُ رحمتِه..﴾ [الزمر:٣٨].

(٣٠) « عليه » سقطت من(أ). وفي(ك): مقدوراً عليه. والمثبت من(ب).

(٣١) في(أ): فأما.

(٣٢) هي الآية (١٠٧) من سورة يونس.

(٣٣) في(ك): لا معناها.

(٣٤) هذا من الأذكار الواردة في السنة، فقد رواه البخاري في كتاب الدعوات: باب الدعاء بعد الأذان، ١٣٣/١١ برقم٦٣٣٠، وفي القدر: باب ما يكره من كثرة السؤال ومَن تكلّف ما لا يعنيه. **ومسلم** في كتاب المساجد: باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم٥٩٣. والحديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . ولفظه ـ كما في صحيح مسلم ـ أنّ رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلّم قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ».

(٣٥) في(ب): رتبته.

(٣٦) قوله « بقدرته » غير واضح في(أ).

(٣٧) في(ك): ووصفا.

(٣٨) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): بذلك.

(٣٩) لفظ « الآيتين » سقط من(ك).

(٤٠) أي الآية (١٧) من سورة الأنعام.

(٤١) لفظ « إني» سقط من(ك).

(٤٢) أي الآية (١٠٧) من سورة الأنعام.

[٤٧] الآية الخامسة منها[١]

قوله تعالى:﴿ومَن أظلمُ ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته إنه لا يفلِحُ الظالمون﴾[الأنعام:٢١].

وقال تعالى في سورة يونس[١٧]:﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾.

للسائل[٢] أن يسأل عن موضعين في الآيتين[٣]:

أحدهما: عن[٤] الواو في أول الآية الأولى وهو ﴿ومن أظلم﴾[٥]، والفاء في أول الآية الثانية وهو ﴿فمن أظلم﴾[٦] ؟

والثاني: عن[٧] اختصاص آخر الآية الأولى بقوله:﴿الظالمون﴾[٨] واختصاص آخر الآية الثانية[٩] بقوله:﴿المجرمون﴾[١٠] ؟

والجواب عن الأول أن يقال[١١]: إنّ ما تقدم الآية الأولى[١٢] من قوله:﴿قل أيّ شيء أكبر شهادة..﴾ إلى قوله:﴿ومَن أظلم..﴾[١٣] جملٌ عُطف صدور بعضها على بعض بالواو، ولم تتعلّق[١٤] الثانية بالأولى تعلُّقَ[١٥] ما هو[١٦] من سببها، فأجري قوله:﴿ومن أظلم﴾

(١) في(ك): من سورة الأنعام.

(٢) صيغة السؤال في (ح،خ،س): لِم قال: ﴿ومن﴾ في الأولى، وقال في الأخرى:﴿فمن﴾ ؟ ولم ختم الآية الأولى بقوله:﴿الظالمون﴾، والأخرى بقوله:﴿المجرمون﴾ ؟

(٣) في(ب): في الموضعين.

(٤) « عن » سقطت من(ك).

(٥) « وهو ﴿ومن أظلم﴾ » أثبتت من(ك).

(٦) « وهو ﴿فمن أظلم﴾ » أثبتت من(ك).

(٧) « عن » سقطت من(ك).

(٨) في(ك): إنه لا يفلح الظالمون.

(٩) في(أ،ب):الأخرى.

(١٠) في(ك): إنه لا يفلح المجرمون.

(١١) في(أ،ب،ك): والجواب عن الأول وعطفه. والمثبت من (ح،خ،س).

(١٢) « الآية الأولى » أثبتت من(ح،خ،س).

(١٣) ذلك في الآيتين:(١٩ - ٢٠) من سورة الأنعام.

(١٤) في النسخ المعتمدة: تعلّق، والمثبت من(و).

(١٥) في(أ،ب): تعليق. والمثبت من(ك،و).

(١٦) في(ك): ما يكون، بدل « ما هو ».

مُجراها، وعطف(١٧) بالواو عليها، ألا ترى قوله:﴿..وأُوحِيَ إليّ هذا القرآنُ لأُنْذِرَكُمْ به ومَنْ بَلَغَ..﴾ وبعده:﴿..وإنّني بريءٌ ممّا تشركون﴾[الأنعام:١٩].

وأمّا الثانية(١٨) فإنّ ما قبلها عطف بعضها على بعض بالفاء كقوله تعالى:﴿قل لو شاء الله ما تلوتُه عليكم ولا أدراكم به فقد لبثتُ فيكم عُمُراً مِن قَبْله أفلا تعقلون﴾[يونس:١٦] فتعلّق(١٩) كلّ ما بعد الفاء بما قبله تعلُّق المسبَّب(٢٠) بسببه، لأنّ المعنى: لو أراد الله أن لا يوحى إليّ هذا القرآن لَماَ تلوتُه عليكم ولا عرّفكم(٢١) إياه في هذا الوقت الذي أخبرتُكم(٢٢) أنّ الله بعثني به إليكم، وهذا يؤديكم إلى أن تعلموا أني طويتُ(٢٣) فيكم(٢٤) قبل هذا / [٣٠/أ] كثيراً(٢٥) من أيام عمري ولم يتهيّأ لي ذلك، ولا تلوتُ عليكم شيئا(٢٦) ممّا تلوته الآن، فيؤديكم هذا إلى(٢٧) أن تعرفوا صحّة ما أقول إنه من عند الله، لا من فعلي وقولي، فعطف بعض هذا الكلام على بعض بالفاء. وقوله بعده:﴿فمن أظلم﴾ أي: إذا عرفتم أنه(٢٨) ليس من قولي لظهوره مني بعد ما لم يكن فيما مضى من عمري، فليس أحد أشدّ إضراراً(٢٩) بنفسه منكم في قولكم على الله ما لم يقله، فهذا موضع الفاء. وكلّ موضعٍ في القرآن يكون بعد هاتين الآيتين بالواو أو بالفاء(٣٠) فاعتبره بما بيّنته لك. وفي الأعراف أيضا:﴿فمن أظلم﴾(٣١) بالفاء فالجواب عنه مثل ما مضى.

(١٧) « وعطف » سقطت من(أ،ب)، وأثبت من(ك).

(١٨) أي الآية الثانية وهي من سورة يونس.

(١٩) في(أ): فعلّق.

(٢٠) في(أ): السبب.

(٢١) في(ك): ولمَاَ عرّفتكم إياه، والمثبت هو قول جمع من المفسرين كابن عباس وقتادة. والضمير يعود على لفظ الجلالة، ومعناه ـ كما في تفسير ابن الجوزي (٤/١٥):« ولا أعلمكم الله به. (وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة،ص١٩٤. وتفسير ابن جرير،١١/٩٧).

(٢٢) في(أ): أخبركم.

(٢٣) أي: قطعتُ، وفي القاموس المحيط (ص١٦٨٦،طوى):« طوى البلاد: قطعها ».

(٢٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): فيكون، وهو خطأ.

(٢٥) في(ك): أكثر.

(٢٦) « شيئا » ليست في(ب).

(٢٧) في(ب): إلى هذا.

(٢٨) أي القرآن.

(٢٩) في(ب): ضراراً.

(٣٠) في(أ،ك): والفاء ، والمثبت من(ب، خ).

(٣١) بقية النص:﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته..﴾ الآية (٣٧) من سورة الأعراف.

والجواب عن السؤال الثاني[٣٢] أنه لمّا قال في الآية الأولى:﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً..﴾ وكان المعنى أنه[٣٣] لا أحد أظلم لنفسه ممّن وصف اللّهَ تعالى بخلاف وصفه[٣٤] فأوردها[٣٥] العذابَ الدائم، كان[٣٦] قوله:﴿إنه لا يفلح﴾ عائداً[٣٧] إلى مَن فعل هذا الفعل، أي: لايظفر برحمة الله ولا يفوز بنجاة نفسه مَن كان ما ذُكر من فعله، فبناء[٣٨] الآخر على الأول اقتضى أن يكون:﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾.

وأمّا الآية الثانية في سورة يونس[٣٩] وتعقيبها بقوله:﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾[٤٠] دون قوله:﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ وإن كان الوصفان[٤١] لِفريق واحد، فلأنها تقدمتها الآيةُ التي تضمنّت وصْف هؤلاء القوم بما عاقبهم به فقال:﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجاءتهم رسلُهم بالبينات وما كانوا لِيؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين﴾[٤٢] [يونس:١٣] فوصفهم بأنهم[٤٣] مجرمون عند تعليق الجزاء بهم. وقال بعده:﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لِننظر كيف تعملون ﴾ وإذا تُتْلى عليهم آياتُنا بيّناتٍ..﴾[٤٤] [يونس:١٤-١٥] إلى الموضع الذي أبطل فيه حجتَهم ودفع[٤٥] سؤالهم وهو:﴿..ائتِ بقرآنٍ غير هذا أو بدّلْه..﴾[٤٦] [يونس:١٥] فقال تعالى:﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ لِيعلم أنّ هؤلاء سبيلهم في الضلال سبيل القوم الذين أخبر عن هلاكهم[٤٧] وقال:﴿..كذلك نجزي القوم المجرمين﴾[يونس:١٣] ليوقع التسوية بينهم في الوصف كما أوقع[٤٨] التسوية بينهم[٤٩] في الوعيد.

---

(٣٢) وهو اختصاص آخر الآية الأولى بقوله:﴿الظالمون﴾ واختصاص آخر الثانية بقوله:﴿المجرمون﴾.

(٣٣) « أنه » سقطت من(أ).

(٣٤) « وصفه » سقطت من(ك).

(٣٥) الفاعل هو الشخص الظالم، وفي (ح، خ): فأورده.

(٣٦) « كان » جواب « لمّا قال في الآية الأولى ».

(٣٧) في(ب): عائد.

(٣٨) في(أ،ك): فبنى. والمثبت من(ب،د).

(٣٩) في(ك): يونس عليه السلام.

(٤٠) في(ب): لا يفلح الظالمون.

(٤١) أي الظلم والإجرام. وفي(ك): الموضعان بدل " الوصفان.

(٤٢) أثبتت الآية من(ب،ك).

(٤٣) في(ك): أنهم.

(٤٤) أثبتت الآية الثانية من (ح،خ،ر،س).

(٤٥) في(ب): رفع.

(٤٦) في(ب):﴿..أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّله﴾.

(٤٧) في(ب): إهلاكهم.

(٤٨) « كما أوقع » سقطت من(ب).

(٤٩) « بينهم » سقطت من(ب).

[٤٨] الآية السادسة منها

قوله تعالى:﴿ومنهم مَن يستمعُ إليك وجعلنا على قلوبِهم أكنّةً أنْ يَفقهوه وفي آذانهم وَقْراً وإنْ يروا كلَّ آيةٍ لا يُؤمنوا بها حتّى إذا جاءُوك يُجادِلونك يقولُ الّذين كفروا إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوّلين﴾[1][الأنعام:٢٥].

وقال في سورة يونس[٤٢ - ٤٣]:﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تُسمِعُ الصمَّ ولو كانوا لايعقلون ﴿ ومنهم مَن ينظر إليك أفأنتَ تهدي العُمى ولو كانوا لا يبصرون﴾.

للسائل[2] أن يسأل عن قوله تعالى:﴿من يستمع إليك﴾ في الآية الأولى، وتوحيد الضمير العائد إلى « من » حملاً على لفظها ؟ وعن قوله:﴿من يستمعون إليك﴾ في الآية الثانية[3]، وجمع الضمير العائد إلى « من » حملاً على معناها ؟ ولماذا اختصّ[4] الأولُ بالتوحيد والثاني بالجمع ؟ وهل كان يجوز في الاختيار عكسُ ذلك[5] في المكانين ؟

والجواب[6] أن يقال: إنّ[7] لكلّ من الموضعين ما يوجب اختصاصه باللفظ الذي جاء فيه. فأمّا قوله[8] تعالى:﴿ومنهم مَن يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكِنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾، فقد قيل فيه: إنه في قوم من الكفار[9] كانوا[10] يستمعون إلى[11] النبي ﷺ وإلى قراءته بالليل، فإذا عرفوا بها[12] مكانَه رجموه وآذوْه ومنعوه من الصلاة خوفاً مِن[13] أنْ

(١) الآية في(ب،ك): إلى قوله تعالى:﴿يقول الذين كفروا..﴾

(٢) صيغة السؤال في(ح،خ،ر،س): لِم وحّد ﴿يستمع﴾ في الآية الأولى وجمع في الثانية ؟

(٣) « في الآية الثانية » أثبتت من(ب).

(٤) في(ب،ك): خصّ.

(٥) « ذلك » سقطت من(ك).

(٦) في(ك): فالجواب.

(٧) « إن » ليست في(ك).

(٨) في(ك): قولهم.

(٩) جاءت تسميتهم في رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّ أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبيّا ابني خلف؛ استمعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: يا أبا قُتيْلة، ما يقول محمد ؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلاّ أني أرى تحريك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول إلاّ أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية.. فأنزل الله تعالى هذه الآية. (ينظر:أسباب النزول للواحدي:٢٠٩، زاد المسير لابن الجوزي ١٨/٣، تفسير البغوي٩٠/٢، تفسير القرطبي٤٠٥/٦).

(١٠) في(ب): وكانوا.

(١١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): مِن.

(١٢) أي بالقراءة. و « بها » سقطت من(أ).

(١٣) « مِن » أثبتت من(ب).

يسمعه منهم مَن تَدعوه دواعي الحقّ فيسلم[١٤]. وهذا في قومٍ قليلي[١٥] العدد يرصدونه عليه السلام / بالليل، وكان الله عز وجل يمنعهم عنه بنومٍ يلقيه عليهم، وحجابٍ يحجبه به عنهم[١٦] لِقوله تعالى:﴿وإذا قرأتَ القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾[الإسراء:٤٥] فصار[١٧] ذلك كالكِنان[١٨] على قلوبهم، وكالصمم[١٩] في آذانهم. [٣٠/ب]

وأمّا قوله تعالى:﴿ومنهم مَن يستمعون إليك أفأنتَ تُسمع الصمّ ولو كانوا لا يعقلون﴾ ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العُمى ولو كانو لا يبصرون﴾ الآيتين[٢٠]، فهو في كل الكفار الذين يستمعون مسموعاً هو حجة عليهم، وهو القرآن ولا ينتفعون بسماعه، فكأنهم صمّ عنه[٢١].

فلماّ كانت « من » تصلح للواحد فما فوقه، ويجوز أن يعود الضمير إلى لفظه وهو لفظ الواحد، وإلى[٢٢] معناه، وهو ما يراد به من واحد أو اثنين أو ثلاث[٢٣]، واختلف هذان المكانان في القلة والكثرة حُملت[٢٤] في موضع القلّة على حكم اللفظ، وعاد الضمير إليها بلفظ الواحد فقال:﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ وفي موضع الكثرة على حكم المعنى، وعاد

(١٤) قال الماوردي في تفسيره (٥١٦/١): قيل: إنهم كانوا يستمعون في الليل قراءة النبي ﷺ في صلاته ، وفيه وجهان:

أحدهما: يستمعون قراءته لِيردوا عليه.

والثاني: لِيعلموا مكانه فيؤذوه، فصرفهم الله عن سماعه بإلقاء النوم عليهم وبأن جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه.

(١٥) في(أ): قليل. وفي(ك): في قوم قليلين العدد. والمثبت من(ب).

(١٦) في(أ): منهم. والمثبت من(ب،ك،ح).

(١٧) في(ب): فكان.

(١٨) أي كالغطاء, قال الزجاج في معاني القرآن (٢٦٣/٢):« أكِنّة: جمع كِنان وهو الغطاء، مثل عِنان وأعنّة ».

(١٩) قال الراغب في المفردات: (ص٤٩٢):« الصمم: فُقدان حاسة السمع، وبه يوصف مَن لا يصغي إلى الحق ولا يقبله ».

(٢٠) هما (٤٢ - ٤٣) من سورة يونس.

(٢١) قال الزجاج في معاني القرآن (٢٢/٣):« ظاهرهم ظاهرُ مَن يستمع، وهم لشدة عداوتهم وبغضهم النبي ﷺ وسوء استماعهم بمنزلة الصمّ ».

(٢٢) في(ب): إلى، بدون الواو.

(٢٣) في(ب): أو ثلاث أو واحدة. وفي(ك): أو ثلاثة أو واحدة.

(٢٤) « حُملت » جواب « فلماّ كانت مَن تصلح ».

الضمير إليها بلفظ الجمع، فقال:﴿ومنهم مَـن يستمعون إليـك﴾ ليفـاد بـالاختلاف(٢٥) هـذا المعنى، فلم يصلح(٢٦) في كل مكان إلاّ اللفظ الذ خصّه مع(٢٧) القصد الذي ذكرت(٢٨).

فـإن قـال قـائل(٢٩): فعلى هـذا وجـب في الاختيـار: ومنهـم مَـن ينظـرون(٣٠) إليـك، لأنهم(٣١) الأكثرون كالمستمعين ؟

قلت: إنّ المستمعين لمّا كانوا محجوجين بما يستمعونه من القرآن كانوا الأكثرين في الحِجاج(٣٢)، وليس كذلك المنظور إليه، لأنّ الآيات التي رُئيت بالعين لم تكثر كثرة آيات القرآن التي سُمعت بالآذان، فباين السامعون الناظرين في الكثرة عند الحِجاج، فلذلك عاد الضمير(٣٣) إليهم بلفظ الواحد(٣٤).

---

(٢٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): باختلاف.

(٢٦) في(ب): يصح.

(٢٧) في(أ): مِن.

(٢٨) خلاصة ما قاله المصنف رحمه الله: قال في سورة الأنعام:« ﴿يستمع﴾ بالإفراد، وفي يونس:﴿يستمعون﴾ بـالجمع، لأن ما في الأنعام نزل في قومٍ قليلين، وهم: أبو سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشـيبة وأمية وأميّ بـن خلـف، فنزِّلوا منزلة الواحد، فأعيد الضمير في قوله تعـالى:﴿يستمع﴾ على لفـظ " مـن ". ومـا في يونـس نـزل في جميـع الكفار، فناسب الجمع. (ينظر: فتح الرحمن للأنصاري،ص١٦٢، تفسير الآلوسي٧/١٢٥).

وأمّا ما يتعلق باختلاف الضمير في سورة الأنعام من قوله تعالى:﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ فقال الآلوسي في تفسيره (٧/١٢٥):« أفرد ضمير " مَن " في ﴿يستمع﴾ وجمعه في قوله سبحانه:﴿وجعلنا على قلوبهم أكنّة﴾ نظراً إلى لفظه ومعناه ». (ينظر: تفسير الآلوسي٧/١٢٥).

(٢٩) في(ر): فإن قيل.

(٣٠) في(أ،ب): ينظر، والمثبت من(ح،خ،ر).

(٣١) في(ك): هم.

(٣٢) أي البراهين والأدلة، والحِجاج ــ بكسر الحاء ــ والحجج : جمع الحجة وهي البرهان. (لسان العرب٢/٢٢٨،حجج).

(٣٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): اللفظ.

(٣٤) قال القرطبي في تفسيره(٨/٣٤٦):« قال:﴿يستمعون﴾ على معنى " من " و﴿ينظر﴾ على اللفظ ». وقال الأنصاري في فتح الرحمن (ص١٦٣):« إنما لم يجمع في قوله تعالى:﴿ومنهم مَن ينظر إليك﴾ لأن الناظرين إلى المعجزات أقل من المستمعين للقرآن.

[٤٩] الآية السابعة منها[١]

قوله تعالى:﴿ قُلْ أرأيتكم إنْ أتاكم عذابُ الله أو أتتكمُ السّاعةُ أغيرَ اللهِ تَدعون إنْ كنتم صادقين﴾[الأنعام:٤٠].

وقال بعدها:﴿ قُلْ أرأيتكم إنْ أتاكم عذابُ الله بغتةً أو جهرةً هل يهلَك إلاّ القوم الظالمون﴾[الأنعام:٤٧].

فقال في هذين الموضعين:﴿ أرأيتكم﴾[٢] .

وقال في هذه السورة:﴿قل أرأيتم إنْ أخذ اللهُ سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَن إله غير الله يأتيكم به﴾[الأنعام:٤٦].

وقال في سورة يونس[٣][٥٠]:﴿قل أرأيتم إنْ أتاكم عذابُه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: لأيّ معنىً قال في الموضعين الأولين اللذَين [٥] قدّمنا[٦] ذكرهما:﴿أرأيتكم﴾ وفي الموضعين الأخيرين[٧]:﴿أرأيتم﴾، وهل كان في الاختيار أن يكون أحدهما مكانَ الآخر أم لا[٨] ؟

فالجواب أن يقال: إنّ النحويين في قوله تعالى:﴿أرأيتكم﴾ على مذهبين[٩]:

---

(١) في(ك): من سورة الأنعام.

(٢) « فقال: في هذين الموضعين: أرأيتكم » سقطت من(أ). والمثبت من(ب،ك). وفي(ح،خ): فذكر في هاتين الآيتين:﴿أرأيتكم﴾

(٣) في(ب): في سورة يونس.

(٤) في(أ):للسائل أن يقول.

(٥) « اللذين » ليست في (ب ، ك)..

(٦) « قدّمنا » ليست في(ك).

(٧) في(ب،ك): الآخرين.

(٨) « أم لا » ليست في(ك).

(٩) اختلف العلماء في « التاء » و« الكاف» في قوله تعالى:﴿أرأيتكم﴾ على ثلاثة مذاهب:

أ ـ التاء فاعل والكاف حرف خطاب تُبيّن أحوال التاء، وهذا قول البصريين كما أشار إليه المؤلف فيما بعد.

ب ـ التاء حرف خطاب والكاف هي الفاعل، وهي بمنزلة الكاف في " دونك زيداً " فتجد الكاف في اللفظ خفضا وفي المعنى رفعاً، لأنها مأمورة، وكذلك هذه الكاف موضعها نصب وتأويلها رفع، وهذا قول الفراء في معاني القرآن (٣٣٣/١). وهذا الرأي لم يذكره المؤلف، لأن الجمهور ذهبوا إلى بطلانه. (ينظر لِعلة بطلانه وفساده: معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/٢، مشكل إعراب القرآن للقيسي ٢٦٦/١، البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٣٢١/١).

<==

أحدهما: مذهب أهل البصرة(١٠)، وهو أنّ الكاف في " أرأيتَك زيداً عاقلاً " للخطاب كالكاف في « ذلك » وليست باسم، ويقولون للاثنين: أرأيتَكما زيداً عاقلاً، وللجماعة(١١) أرأيتَكم زيداً عاقلاً(١٢)، وأرأيتَك زيداً عاقلاً(١٣) ؟ بمعنى: أعلمتَه(١٤) عاقلاً ؟ والتاء لا تتغيَّر عن الفتح، وهي(١٥) علامة الضمير دون الكاف، واكتفى بتثنية الكاف وجمعها عن تثنية التاء [وجمعها](١٦).

ومن مذهب أهل الكوفة في الآيتين(١٧) أن التاء اسم، والكاف اسم مضمر(١٨)، والتقدير: أرأيتم أنفسكم إنْ أتاكم عذاب الله. والتاء موحَّدة اللفظ(١٩) مع الكاف التي تختلف باختلاف المخاطبين اكتفاء باختلافها عن اختلاء التاء(٢٠).

ولا اختلاف(٢١) في ترادف(٢٢) الخطابين « التاء » و« الكاف » على المذهبين، ولا يترادفان إلاّ عند / المبالغة في التنبيه، والمبالغةُ فيه هو أن يعلم المخاطَب أنه(٢٣) لا تنبيه بعده. [٣١/أ]

جـ - التاء فاعل - كما في الرأي الأول - والكاف ضمير في موضع المفعول الأول، وقد استساغ هذا الرأي المؤلف رحمه الله وقال عنه:« صحيح محتمل »، وذكره بقوله فيما بعد:« ومن مذهب أهل الكوفة في الآيتين: أن التاء اسم، والكاف اسم مضمر ». وهذا قول الكسائي من نحاة الكوفة كما ذكر ذلك السمين الحلبي في الدر المصون ٦١٩/٤.

قال ابن الأثير في النهاية (١٧٨/٢):« وفي الحديث « أرأيتَك » و « أرأيتَكما »، و « أرأيتَكم » وهي كلمة تقولها العرب عند الاستخبار بمعنى أخبرني، وأخبراني، وأخبروني. وتاؤها مفتوحة أبداً ».

(١٠) هذا المذهب هو اختيار الزجاج في معاني القرآن (٢٤٦/٢).

(١١) « وللجماعة » ليست في النسخ المخطوطة، وأثبتت من(ط).

(١٢) « أرأيتكم زيداً عاقلا » سقطت من(ك). و« زيداً عاقلاً » سقطت من(أ). والمثبت من(ب).

(١٣) « وأرأيتك زيداً عاقلا » أثبتت من(ك).

(١٤) ذلك المعنى باعتبار الرؤية علميّة.

(١٥) في(أ،ب): وهو. والمثبت من(ر).

(١٦) زيادة يقتضيها السياق.

(١٧) « الآيتين » سقطت من(ك).

(١٨) هذا رأي الكسائي من أهل الكوفة كما أشرتُ إليه في الهامش (٩) السابق.

(١٩) أي تثبُت التاءُ على الفتح في جميع الحالات ولا تتغيّر.

(٢٠) ذكر هذا المذهب الطبري في تفسيره (١٩١/٧) فقال:« وقال بعض نحويّ الكوفة: الكاف من « أرأيتَك » في موضع نصب.. فهذا يثنى ويجمع ويؤنّث فيقال: أرأيتماكما، أرأيتموكم، وأرأيتُنّكنّ.. ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحَّدةً للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع، فقالوا: أرأيتَكم زيداً ما صنع ؟ و " أرأيتَكن ما صنع ؟ فوحّدوا التاء وثنّوا الكاف وجمعوها فجعلوها بدلاً من التاء .. ».

(٢١) في(ك): ولا خلاف.

وما يتصل بقوله: ﴿أرأيتكم﴾ في الموضعين [٢٤] كلامٌ يدل على ما إذا وقع[٢٥] لم ينفع[٢٦] عنده الزجر والتنبيه.

ألا تراه يقول: ﴿..أرأيتَكم إنْ أتاكم عذابُ الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون..﴾. وعند إتيان العذاب وقيام الساعة لا ينفع الانتباه ولا يقع[٢٧] التنبيه و « أرأيتكم » فعل متعدٍّ[٢٨] إلى مفعولين، والجملة التي هي: ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ مضمّنة[٢٩] مفعوليه.

وكذلك[٣٠] قوله: ﴿..أرأيتكم إن أتاكم عذابُ الله بغتةً أو جهرةً هل يُهلَك إلاّ القوم الظالمون﴾ معناه: أعلمْتم إن أتاكم[٣١] العذاب مفاجأة من حيث لا يعلَم[٣٢]، أو عياناً من حيث يشاهَد، هل يهلَك عنده إلاّ القوم الظالمون[٣٣]، وهم المخاطَبون، أي هل[٣٤] يهلَك غيركم[٣٥]؟

فلماّ علّق بـ « أرأيتَكم » جملةٌ تتضمن مفعوليها، ومعنى الجملة تَناهي الأمر في تخويفهم بالخشونة إلى حيث[٣٦] ينقطع التنبيه عندها[٣٧]، كان[٣٨] هذا الموضع أحقّ المواضع بالمبالغة فيه لمرادفة[٣٩] التنبيه[٤٠]، فلذلك أتى بالتاء والكاف اللتين لا تخلوان[٤١] من الخطاب على المذهبين.

---

(٢٢) أي في تتابع الخطابين واجتماعهما، تقول اللغة: ترادَفا: تعاوَنا وتناكحا وتتابعا. (القاموس المحيط، ١٠٥٠ ردف).

(٢٣) في(ك): أن.

(٢٤) في آيتي الأنعام: ٤٠، ٤٧. وفي(أ): في الموضعين: أرأيتكم.

(٢٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): على إذا ما وقع.

(٢٦) في (أ): لم يقع.

(٢٧) في(أ،ب،ك): ولا ينفع. والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٢٨) في(ك): يتعدى.

(٢٩) في(ب): متضمنة.

(٣٠) في(ب): فكذلك.

(٣١) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): جاءكم.

(٣٢) « من حيث لا يعلم » سقط من(ب).

(٣٣) في(ب،ك): غير الظالمين.

(٣٤) « هل » سقطت من(ك).

(٣٥) الاستفهام في الآية للتقرير، أي قل تقريراً لهم باختصاص الهلاك بهم، أخبروني إن أتاكم عذابه حل شأنه حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلاّ أنتم، أي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه. (تفسير الآلوسي٧/١٥٤).

(٣٦) « إلى حيث » سقطت من(أ).

(٣٧) « عندها » سقطت من(ب،ك).

(٣٨) « كان » جواب " فلما علّق ".

(٣٩) في(أ،ب): بمرادفة. والمثبت من(ح،خ،ر).

على أنّ مذهب الكوفيين في الآيتين صحيح محتمل، فالآية الأولى تقديرها: أرأيتم[٤١] أنفسكم داعيةً غير الله إن أتاكم عذابُ الله[٤٢] ؟

والآية الثانية[٤٣] تقديرها: أرأيتم أنفسكم غير هالكة[٤٤] إن أتاكم عذاب الله بغتة[٤٥] أو جهرة؟ وأرأيتم أنفسكم[٤٦] هل يهلك غيرها ؟ لأنهم هم الظالمون.

أمّا الآيتان الأخريان[٤٧] اللتان اقتصر فيهما على " أرأيتم " ولم يترادف[٤٨] في كل واحدة[٤٩] منهما الخطابان[٥٠] الدالان على التناهي[٥١] في التنبيه إلى حيث لا تنبيه بعده بذكر ما يفزعون به وينذَرون قربَ حلوله، فلأن الجملتين[٥٢] بعدهما لم تتضمّنا[٥٣] من المبالغة فيما يَحذرون ما ينقطع التنبيه عنده.

أمّا الأولى فقوله:﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَن إله غير الله يأتيكم به..﴾ أي: أ علمتم إنْ سلبكم الله صحةَ ما تحسّون[٥٤] به المشاهَدات، وتعلمون به المغيّباتِ إلهاً[٥٥] غير الله يردّها عليكم ؟ وليس هذا استئصالا كما في الآيتين المتقدمتين.

---

(٣٩) أي بأن يجمَع بين علامتي خطاب وهما: التاء والكاف، وذلك للدلالة على أن المتوعّد به وهو الاستئصال بالهلاك واقع وشديد لا يحتاج مزيداً من هذا التنبيه بخلاف الموضعين اللذين ذُكر فيهما ﴿أرأيتكم﴾ حيث لم يذكَر في غيرهما الاستئصال بالهلاك، ومن هنا جُمع بين علامتي الخطاب في " أرأيتكم ".

(٤٠) في(أ): لا يخلوان.

(٤١) في(أ،ب): أرأيتكم. والمثبت من(ك،ر،س).

(٤٢) في(ك): عذابه.

(٤٣) في(أ): والآية، بدون " الثانية.

(٤٤) « غير هالكة » بسقطت من(أ). وفي(ب): غير الله، وهو خطأ. والمثبت من (ك،ر).

(٤٥) أي فجأة، وفي لسان العرب (٢/ ١٠ بغت):« البغت والبغتة: الفجأة ».

(٤٦) « وأرأيتم أنفسكم » أثبتت من (ب،ك).

(٤٧) في(ك): الأخرتان.

(٤٨) في(أ،ك): ولم يرادف.

(٤٩) في(أ): واحد.

(٥٠) هما التاء والكاف.

(٥١) في(أ): التاهي. وهو خطأ نسخي.

(٥٢) هما الآية (٤٦) من سورة الأنعام، والآية (٥٠) من سورة يونس.

(٥٣) في(ك): لم يتضمنا

(٥٤) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): ما تخشون، وهو خطأ.

(٥٥) في(ط): إله.

وأمّا[٥٦] قوله:﴿أرأيتم إن أتاكم عذابُه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ فلأنّ قبله:﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾[يونس:٤٨]. مخبراً أنهم استعجلوا العذاب وقيامَ الساعة فنزّلوا منزلة مَن لا يخافون ما أوعدوا به[٥٧]، ولذلك[٥٨] قال:﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ فلم يكن فيه صريح الاستئصال والإفصاح بالهلاك، فكأنه لم يبلغ حداً لا مزيد للتنبيه فيه[٥٩]، بل هم في تلك[٦٠] الحال أحوج ما كانوا إلى الزجر، إذ لم يبلغ منتهاه، كما بلغ في الآيتين[٦١] الأخريين، وصار[٦٢] التقدير: أ علمتم أيّ شيء يستعجل المجرمون من عذاب الله ؟ أي هم يستعجلون هلاكهم ولا يعلمون[٦٣]. ومعناه[٦٤]: أ علموا هم ـ طالبين[٦٥] هلاك أنفسهم ـ ما[٦٦] يستعجلونه من نزول[٦٧] عذاب الله بهم ؟

فقد بان هذا[٦٨] الفرق بين الآيات وما ترادفت فيه علامتا[٦٩] الخطاب وغيره[٧٠] ممّا جرى على أصل الكلام. / والعلم عند الله تعالى. [٣١/ب]

(٥٦) في(أ): فأما.

(٥٧) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): من لا يخاف ما أوعد به.

(٥٨) في(أ): وكذلك.

(٥٩) في(أ): لا مزيد عليه تنبيه فيه. وفي(ك): لا مزيد التنبيه فيه. والمثبت من(ح،خ،ر،س،ط)

(٦٠) في(أ،ب): ذلك. والمثبت من(ك،خ،ر).

(٦١) هما الآية (٤٠) والآية (٤٧) من سورة الأنعام.

(٦٢) « وصار » غير واضحة في(أ).

(٦٣) أي ولا يعلمون كُنْهه.

(٦٤) « ومعناه » ليست في(ب،ك).

(٦٥) « طالبين » سقطت من(ب).

(٦٦) في جميع النسخ: بما. قلت: « ما » مفعول « علم »، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦٧) « نزول » غير واضحة في(ب).

(٦٨) في(ر): لك، بدل « هذا ».

(٦٩) في(ر): علامة.

(٧٠) في(أ،ب): دون غيره. والمثبت من (ك).

[٥٠] الآية الثامنة منها[١]

قوله عز وجل: ﴿وذرِ الّذين اتّخذوا دينَهم لعِباً لَهْواً وغرّتْهمُ الحياةُ الدُّنيا..﴾[الأنعام: ٧٠].

وقال في سورة الأعراف[٥٠ ـ ٥١]: ﴿.. قالوا إنّ الله حرّمهما على الكافرين ۞ الّذين اتّخذوا دينَهم لَهْواً ولعِباً وغرّتهم الحياةُ الدنيا..﴾

وقال في سورة العنكبوت[٦٤]: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهوٌ ولعبٌ..﴾ فقدّم اللهو على اللعب في هاتين الآيتين[٢].

وجاء في سورة الحديد[٢٠]: ﴿اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ..﴾ فقدم اللعب هنا[٣] على اللهو كما قدّمه[٤] في سورة الأنعام.

للسائل أن يسأل فيقول[٥]: إذا كانت « الواو» للجمع بين الشيئين والأشياء بلا ترتيب، فهل لتقديم أحد الاسمين على الآخر في موضع دون موضع، وتقديم الآخر عليه في غير ذلك الموضع فائدة تخصّه[٦] أم كان جائزاً في كل مكان تقديم أيّهما شاء[٧] المتكلم لا لغرض يخصّه[٨]؟

فالجواب[٩] أن يقال: إنّ[١٠] الآية الأولى التي في سورة الأنعام[١١] في قوم[١٢] من الكفار[١٣]، كانوا إذا سمعوا آيات الله هزلوا[١٤] عندها واستهزأوا بها، فهذا اتخاذهم دين الله

(١) في(ك): من سورة الأنعام.

(٢) من قوله " فقدم اللهو " إلى هنا سقط من(ك).

(٣) « هنا » أثبتت من(ح،خ،ر).

(٤) « قدّمه » ليست في(ك).

(٥) في(أ): للسائل أن يقول.

(٦) في(أ): تخصصه. وفي(ك): تختصه. والمثبت من (ب).

(٧) « شاء » سقطت من(أ).

(٨) في(ك): يختصه.

(٩) في(ب): والجواب.

(١٠) في(ب،ك): أمّا.

(١١) هناك آية أخرى في سورة الأنعام (٣٢) لم يذكرها المؤلف وهي: ﴿وما الحياة الدنيا إلاّ لعب ولهو..﴾ قدّم اللعب فيها على اللهو.

(١٢) في(ب،ك): فإنها. والمثبت من(أ).

(١٣) قال الماوردي في تفسيره (٥٣٥/١): « فيهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار الذين يستهزءون بآيات الله إذا سمعوها، قاله علي بن عيسى. والثاني: أنه ليس قوم إلاّ ولهم عيد يلهون فيه إلاّ أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم صلاة وتكبير وخير، قاله الفراء في معاني القرآن (٣٣٩/١) ». في(أ،ب): في هذه السورة، والمثبت من(ك).

(١٤) أي مزحوا ولم يجدّوا. والهزل ـ كما في القاموس المحيط(ص١٣٧٣هزل) ـ : نقيض الجدّ.

لعباً، وهو كما قال في آية أخرى[١٥]:﴿وقد نزّل عليكم في الكتابِ أنْ إذا سمعتم آياتِ الله يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها فلا تَقْعُدوا معهم حتّى يخوضوا في حديثٍ غيرِه إنّكم إذاً مثلُهم..﴾[النساء:١٤٠].

وقوله عز وجل:﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً..﴾ كقوله:﴿..فلا تقعدوا معهم..﴾ [النساء:١٤٠] فهؤلاء[١٦] قوم حضروا النبي ﷺ وسمعوا القرآن، وعبثوا عند سماعه ولعبوا[١٧] بآياته، وأجروها مُجرى أفعالٍ يستروح إليها، ولا نفع في عُقباها[١٨]، ثم شغلوا بدنياهم عن تدبّرها وألْهتهم حلاوتُها عن الفكر في صحتها، فأول أفعالهم لعب، وثانيها لهو، واللعب فعل في غاية[١٩] الجهل تتعجّل منه مسرّة.

واللهو قال فيه صاحب العين[٢٠]:« ما شغل الإنسان من هوىً وطرَب »[٢١].

فهؤلاء لمّا فعلوا عند سماع القرآن من الاستهزاء والعبث أُطلق على فعلهم اسم «اللعب»[٢٢]، ثم لمّا شغلوا عنه باستحلاء[٢٣] الدنيا كان هذا لهواً منهم بعد اللعب وكان[٢٤] أول دينهم لعباً وما بعده لهواً، فلذلك قدّم « لعب » على « لهو » في هذه الآية.

وأمّا قوله في سورة الأعراف:﴿ونادَى أصحابُ النّار أصحابَ الْجَنّة أنْ أَفِيضوا علينا مِن الماء أو ممّا رزقكم الله قالوا إنّ الله حرّمهما على الكافرين ﴿ الّذين اتخذوا دينَهم لهواً ولعِباً..﴾[الأعراف:٥٠-٥١]، وتقديم اللهو على اللعب في هذه الآية فلأنّ الكافرين هنا لعامة الكفار، غير مختص[٢٥] بمن[٢٦] سمع الآيات، فقدّم فعل أكثرهم على فعل أقلّهم، وهم الذين شغلتهم الحياة الدنيا[٢٧] وحلاوتها، والولاية وغباوتها[٢٨]، واستحلاء ما مرنت[٢٩] عليه طباعها، وهذا هو اللهو.

---

(١٥) « أخرى » سقطت من(أ).

(١٦) في(أ): حتى فهؤلاء، وهو خطأ.

(١٧) في(ك): وتلعّبوا. وفي(ط): تلاعبوا.

(١٨) أي في آخرها. وفي(أ): في عقابها، والمثبت من(ب،ك).

(١٩) في(أ،ب،ك،ط): في طاعة، والمثبت من (ح،خ،ر،س).

(٢٠) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن البصرى: من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي. توفي سنة ١٧٠ هـ. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/١/١٧٧، الأعلام ٢/٣١٤).

(٢١) كتاب العين للخليل ٤/٨٧، وجاء فيه:« اللهو: ما شغلك من هوىً أو طرب ».

(٢٢) اللعب هو الفعل الذي ليس فيه قصد صحيح، قال الراغب (ص٧٤١):« لعب فلان: إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً ».

(٢٣) في(ب): بحلاوة.

(٢٤) في(ب): فكان.

(٢٥) « مختص » تكررت في(أ).

(٢٦) في(أ): ثم، وهو خطأ من الناسخ.

(٢٧) في(أ): الدنيا.

(٢٨) في النسخ المعتمدة وفي المطبوعة: والولادة وعادتها. والمثبت من (ح،خ،ر،س). والغباوة: عدم المعرفة والجهل.

(٢٩) أي تعوّدت، وفي القاموس (ص١٥٩٢ مرن):« مرَن على الشيء مرونا ومرانة: تعوّده ».

ثم كانت أفعالهم التي اقتدوا فيها بآبائهم لمّا طابت لهم[٣٠] ولم يجدوا[٣١] في العاقبة نفعاً عليهم كاللعب الذي ينطوي على أفعال تبطل في الآجل وإن سرّت في العاجل، وهذا بعد الأول[٣٢].

وأكثر الكفار دأبهم[٣٣] اللهو وإن شغلتهم الحال التي استصحبوها عن الفكر فيما[٣٤] يطرأ عليها[٣٥] فوجب لهذا[٣٦] تقديم ذكر « اللهو » لوجهين[٣٧]: لِتقدّمه على ما هو كاللعب / ولأنه فعل أكثرهم. واللعب الذي أريد به[٣٨] في الآية الأولى[٣٩] فعل أقلّهم. وهو هناك[٤٠] أول ما رُدّ به ما جاء به الرسول ﷺ . [٣٢/أ]

وأمّا قوله تعالى في سورة الحديد:﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد..﴾، وتقديم اللعب فيه على اللهو فلأنّ معناه: الحياة الدنيا لمن اشتغل بها [و][٤١] لم يتعب لغيرها من أعمال الآخرة[٤٢] مقسومة[٤٣] من الصبا[٤٤]، وهو وقت اللعب، وبعده اللهو، وهو الترويح عن النفس بملاعبة النساء[٤٥] ويتبع ذلك أخذ الزينة لهن ولغيرهن، ومِن أخذ الزينة تنشأ مباهاةُ الأكفْاء[٤٦] ومفاخرةُ الأشكال[٤٧] والنظراء[٤٨]، ثم بعده المكاثرةُ[٤٩] بالأموال والأولاد، فترتيب الحياة على هذه الأحوال يوجب تقديم حال[٥٠] اللعب على حال اللهو.

---

(٣٠) « لهم » سقطت من(أ).

(٣١) في(أ): ولم يجد. والمثبت من(ب،ك). والعبارة في (ح،س): ثم كان اتباعهم للذين اقتدوا فيها بآبائهم لما طاب لهم ولم يُجد..

(٣٢) أي اللعب بعد اللهو.

(٣٣) في (أ،ب،ك،ط): داؤهم. والمثبت من(ح،خ،د،س).

(٣٤) في(أ): عن النظر عمّا. والمثبت من(ب،ك).

(٣٥) في(ح،ر،س): عن الفكر فيما نظروا فيها.

(٣٦) في النسخ المعتمدة: هنا، بدل " لهذا ".

(٣٧) في(ك): للوجهين.

(٣٨) « به » سقط من(ب،ك).

(٣٩) يعني آية سورة الأنعام. ولفظ " الأولى " ليس في(أ).

(٤٠) « هناك » سقطت من(ك).

(٤١) زيادة الواو يقتضيها السياق.

(٤٢) « من أعمال الآخرة » سقطت من(ب،ك).

(٤٣) « مقسومة » غير واضحة في(أ).

(٤٤) في (ب): بين الصبا.

(٤٥) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وهو الترويح والاشتغال بالنساء.

(٤٦) أي مفاخرة الأمثال. والأكفاء جمع الكفء: المثل.

(٤٧) الأشكال جمع الشكل، وهو الشبه والمثل أيضا. (القاموس المحيط، ص٦٤ كفأ).

(٤٨) النظراء جمع النظير، وهو المثل. (القاموس المحيط، ص٦٢٣ نظر).

(٤٩) أي المغالبة، وفي القاموس المحيط (ص٦٠٢ كثر):« كاثروهم: غالبوهم ».

(٥٠) « حال » سقطت من(ب).

واللهو إذا أطلق في كلامهم فهو(٥١) احتلاب المسرة بمخالطة النساء، ولذلك قال امرؤ القيس(٥٢):

أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليومَ أنّني   كَبِرْتُ وألاّ يُحْسِنَ اللهوَ أمثالي(٥٣)

وقال آخر:

لَهَوْنا بِمَنْجول البراقع حِقْبَةً   فما بال دهرٍ لَزّنا بالوصاوص(٥٤)

وقيل في قوله تعالى:﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ۞ لو أردنا أن نتّخذ لهواً لاتّخذناه من لدنّا إنْ كنّا فاعلين﴾[الأنبياء:١٦ - ١٧].

قيل في تفسير اللهو: المرأة، وقال قتادة: اللهو بلغة أهل اليمن: المرأة(٥٥). أي: لفعلْناه من حيث يختص بعلمنا(٥٦)، فلا(٥٧) يطلع عليه غيرنا(٥٨)، تعالى الله عن الصاحبة والولد، فعلى هذا سميت المرأة لهواً باسم الفعل لِكثرة ما يقع ذلك(٥٩) بها.

---

(٥١) في(أ،ك): هو، والمثبت من(ب).

(٥٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، وهو من أهل نجد: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، توفي سنة ٨٠ هـ قبل الهجرة. (الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/١٠٥، الأعلام للزركلي٢/١١).

(٥٣) ديوان امرئ القيس:ص٢٨، معاني القرآن للفراء ١/١٥٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٧٦، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٦٣، وجاء في معاني القرآن للفراء ومجاز القرآن لأبي عبيدة: السرّ ، بدل « اللهو »، كلاهما بمعنى الجماع. وبسْباسة: امرأة من بني أسد عيَّرت إمرأ القيس بالكبر، وأنه لا يحسن اللهو.. فنفى ذلك عن نفسه بقوله:

كذبتِ، لقد أُصبي على المرء عِرسَه   وأمنعُ عِرسي أن يزنَّ بها الخالي

(٥٤) هكذا ورد في النسخ التي بأيدينا وفي النسخة المطبوعة. ولم أقف عليه بهذا اللفظ إلاّ عند ابن دريد في كتابه «جمهرة اللغة »(١/٢١٠):« وصوص، الوصوصة، وهو أن يصغّر الرجل عينه ليستثبت النظر وينظر من خَلَل أجفانه، ومنه سمّي البرقع الصغير العينِ وصواصاً، قال الشاعر:

غَنِينا بمَنجول البراقع حِقْبةً   فما بالُ دهرٍ غالَنا بالوصاوص

يقول: إنه كان يتحدث في شبابه إلى جَوارٍ شوابٍّ ينْجُلْن أعين براقعهن لِتبدو محاسنهن. فلماّ أسنّ صار يتحدث إلى عجائز يُوصوِصْن براقعهن ليخفى تغَضُّنُ وجوههن ».

(٥٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/١٧) فقال:« حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله:﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾.. واللهو بلغة أهل اليمن: المرأة ». إسناد هذا الأثر حسن، لأنّ بشر بن معاذ صدوق (تقريب التهذيب:برقم٧٠٢)، ويزيد بن زريع ثقة ثبت (التقريب:٧٧١٣)، وسعيد هو سعيد بن أبي عروبة ثقة حافظ، وكان من أثبت الناس في قتادة (التقريب:٢٣٦٥). وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٦٢٠) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. **قلت**: لا دخل لذكر المرأة في هذه الآية لا سباقا ولا لحاقاً، وأن لفظ « لهو » عام يشمل كلّ ما يدخل في معناه من المرأة والغناء والمعازف والخمور وسائر هذا الباب.

(٥٦) في(ط): بعملنا.

(٥٧) في(أ): ولا.

(٥٨) هذا معنى قوله تعالى:﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا إنْ كنا فاعلين﴾. وقال الطبري في معناه (١٠/١٧):« لو أردنا أن نتخذ زوجة وولداً لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فِعله ولا ينبغي، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة ».

(٥٩) « ذلك » سقطت من(ب).

وأمّا قوله تعالى في سورة العنكبوت[٦٤]:﴿وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعبٌ وإنّ الدار الآخرة لَهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾، فليس المراد به أن الحياة الدنيا كلّها لَهو ولعب، وليست شيئاً غيرها، لقوله: ما هي إلاّ هُما(٦٠)، لأنه لو كان المراد هذا لَكان لقائل(٦١) أن يقول: ما هذه الحياة الدنيا إلاّ خوف وحزن، فالخوف(٦٢) اضطراب(٦٣) القلب لِتوقّع مكروه، والحزنُ ألمُه لفقد محبوبٍ. ثم إن هذه الحياة تنطوي على أنواع من(٦٤) عبادة الله تعالى وعلى تلاوة كتابه، وعلى ما(٦٥) يُكسب رضى الله عز وجل، ويوجب ثوابه الدائم، فكيف(٦٦) يقال فيما يتضمن كل هذه الخيرات: ليس هو إلاّ لهواً ولعباً، بل المراد: المبالغة في وصف قِصر مدة الدنيا بالإضافة إلى مدة الأخرى، فكأنه(٦٧) قال: ما أمد الحياة الدنيا(٦٨) إلاّ كأمد أزمنة اللهو واللعب، فهي(٦٩) أزمنة تستقصر لِشغل النفس بحلاوة ما يتعجّل كما قال القائل:

شُهورٌ يَنْقَضين وما شَعَرْنا بأَنْصافٍ لهنّ ولا سِرارِ(٧٠)

وقال آخر(٧١):

وليلةٍ إحدى اللّيالي الزُّهر لم تكُ غيرَ شفقٍ وفجرِ(٧٢)

والدليل على أن المراد هذا(٧٣) ما ذكرتُ(٧٤) قبلُ، وما ذكره(٧٥) الله تعالى بعدُ من قوله عز وجل:﴿..وإنّ الدار الآخرة لَهي الحيوان﴾[العنكبوت:٦٤] أي: أن حياتها تبقى أبداً، ولا تعزُب(٧٦)

(٦٠) قوله « لقوله: ما هي إلاّ هما » ليس في(ح،ر،س).

(٦١) هكذا في (ب،ك) .وفي(أ): للقائل.

(٦٢) في(أ): والخوف.

(٦٣) في (أ،ب،ك): ألم القلب. والمثبت من(خ).

(٦٤) في(ك): على.

(٦٥) « على ما » تكررت في(أ).

(٦٦) في(أ): كيف. بدون الفاء.

(٦٧) في(أ): وكأنه.

(٦٨) أي زمن الحياة الدنيا وغايتها. قال الراغب (ص٨٨):« الأمد والأبد يتقاربان لكن الأبد عبارة عن مدة الزمان التي ليس لها حدّ محدود.. والأمد: مدة لها حدّ مجهول إذا أطلق ». وفي اللسان (٧٤/٣ أمد): الأمد: الغاية كالمدى.

(٦٩) في(ك): وهي.

(٧٠) ديوان الصمة القشيرى:٧٨ ، رقم ٢٣... والسّرار جمع السّرَر، والسّرَر: آخر ليلة من الشهر يسْتسِرُّ فيها القمر. (الفائق للزمخشري ١٧١/٢ ، ولسان العرب ٣٥٧/٤ سرر).

(٧١) في(ك): وكما قال المتأخر. وفي(ح):وقال الراجز.

(٧٢) لم أقف على قائله، والمعنى: يتحدث عن سرعة انقضاء الليل بحيث رأى أن الليل كله لم يزد عن قدر ما بين طلوع الفجر إلى بزوغ الشفق. والزُّهْر: ثلاث ليال من أول الشهر. (اللسان ٣٣٢/٤ ، زهر). والبيت أورده الآلوسي في تفسيره ١٣٤/٧.

(٧٣) « هذا » سقطت من(أ).

(٧٤) في(ك): ذكرنا.

(٧٥) في(أ،ب): ما ذكر. والمثبت من(ك،ر،ح).

(٧٦) أي لا تخفى ولا تغيب أبداً. وفي(أ،ب،ك): لا تعرف. والمثبت من(ح،ر،س).

أمداً. وإنما قدّم اللهو على اللعب هنا(٧٨)، لأن الأزمنة التي يقصرها اللهو أكثر من الأزمنة التي يقصرها اللعب، لأنّ التشاغل به أكثر.

فلمّا كان(٧٩) معظمَ ما يستقصر وجب تقديم ما يكثر على ما هو دونه(٨٠) في الكثرة، لأن ذلك آخذ(٨١) بالشبه، وأبلغ(٨٢) في وصف المشبّه(٨٣)، ولا خلاف أن الناس(٨٤) أزمنتهم المشغولة باللهو أكثر / من أزمنتهم المشغولة باللعب، وإن طيبها(٨٥) لهم يخيّل قصرها إليهم(٨٦)، [٣٢/ب] ويتفاوت طيبها على حسب تفاوت(٨٧) ميل النفس(٨٨) إلى محبوبها.

فمعظم ما يُري الزمانَ الطويل(٨٩) قصيراً زمانُ اللهو بالنساء، وهو الذي نشأت منه(٩٠) فتنة الرجال وهلاكُ أهل الحبّ. فهذا الكلام في(٩١) هذه الآي. والسلام(٩٢).

---

(٧٨) في(ب،ك):هنا على اللعب، بتقديم وتأخير.

(٧٩) اسم « كان »: اللهو. وفي(ب،ك): كانت.

(٨٠) في(أ،ب): على ما دونه. والمثبت من(ك،ح).

(٨١) « آخذ » سقطت من(أ).

(٨٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ): وأكبر وأبلغ.

(٨٣) حيث تُشبَّه سرعةُ انقضاء الحياة الدنيا بسرعة انقضاء أيام اللهو.

(٨٤) « أن الناس » سقطت من(ك).

(٨٥) « وإن طيبها » غير واضحة في(أ).

(٨٦) « إليهم » سقطت من(ك).

(٨٧) « تفاوت » سقطت من(ك).

(٨٨) في(ك): النفوس.

(٨٩) « الطويل » سقطت من(أ).

(٩٠) « منه » سقطت من(أ).

(٩١) في(أ): مِن.

(٩٢) « والسلام » ليست في(ك).

[٥١] الآية التاسعة منها[١]

قوله تعالى:﴿إنّ الله فالقُ الحبِّ والنّوى يُخرِجُ الحيَّ من الميِّتِ ومُخرِجُ الميّتِ من الحيّ..﴾[الأنعام:٩٥].

وقال في سور أخر[٢] قبلها[٣] وبعدها[٤]:﴿ يُخرِجُ الحيَّ من الميِّتِ ويُخرِجُ الميِّت من الحيّ..﴾[الروم:١٩].

للسائل أن يسأل فيقول[٥]: لِم عُطف الاسم على لفظ الفعل و لم يُعطَف عليه لفظُ الفعل، كما قال في السور الأخر ؟ وإذا عطف عليه بلفظ[٦] الاسم وهو ﴿..مخرج الميّت من الحيّ..﴾[٧]، هلاّ ذُكر اللفظ الأول بالاسم فيقول:« مخرج الحي من الميّت »، فما الفائدة في ذلك؟ وما الفرق بينها وبين الآي الأخر؟

والجواب أن يقال: إن أول هذه الآية ذُكر بلفظ الاسم وهو ﴿فالق الحبّ والنوى﴾ فكان اللائق به أن يقال[٨]: « ومخرج الحيّ من الميت » ولكنه لمّا اجتمع ثلاثة[٩] حروف من حروف العلة دفعة واحدة، وهي: الواو[١٠] من « النوى » والياء[١١] من « النوى » والواو من « ومخرج » [وهي][١٢] واو العطف، نُقل عن لفظ الاسم إلى لفظ الفعل لمّا كان «يخرج» و« مخرج » بمعنى واحد، فقال:﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ فجعل الجملة وهي:﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ خبر الابتداء[١٣]، كما تقول: إنّ زيدا ضارب عمرو يكرم[١٤] بكراً، ومُكرمٌ جعفراً، فهذا أفصح[١٥] من أن تقول: إنّ زيداً ضارب عمروٍ[١٦]، ومُكرم بكرٍ، ومُكرم جعفرٍ، فلهذا المعنى قال:﴿يخرج الحيّ من الميّت ومخرج الميت من الحيّ﴾.

---

(١) هذه الآية لم تثبت في النسخ التي بأيدينا إلاّ في(أ،ب،د).

(٢) في(أ): أخرى.

(٣) أي قبل آية سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالى من سورة آل عمران (٢٧):﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحيّ..﴾.

(٤) أي بعد آية سورة الأنعام، وذلك في موضعين: أحدهما: قوله تعالى:﴿قل مَن يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومَن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبّر الأمر..﴾[يونس:٣١]. والثاني: الآية(١٩) من سورة الروم المذكورة في النص.

(٥) في(أ): للسائل أن يقول.

(٦) في(أ): لفظ.

(٧) في(أ،ب): مخرج الميت ، والمثبت من(ر).

(٨) « أن يقال » سقطت من(ب).

(٩) في(أ): ثلاث.

(١٠) في(ب): واوان.

(١١) يعني الأصل. قال السمين الحلبي في كتابه عمدة الحفاظ (٢٧٤/٤):« النّوى للثمرة عجمُها، وهو الذي ينبُتُ منه الشجرُ، والواحدة: نواة.... ولام النّواة ياء ، لأنّ عينها واو ».

(١٢) زيادة يقتضيها السياق.

(١٣) قال السمين في الدر المصون (٥٧/٥):« قوله:﴿يخرج﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنها جملة مستأنفة فلا محلّ لها. والثاني: أنها في موضع رفع خبر ثانٍ لـ " إنّ " ».

(١٤) في النسخ المخطوطة: مكرم، وما أثبته هو الذي يتناسب مع صيغة المضارع في الآية الكريمة.

فلمّا انتهى إلى العاطف من قرينه[١٧] لم تكن فيه تلك العلّة التي كانت في المعطوف عليه فأجري على ما أجري عليه أول الآية، وهو: ﴿فالق الحب﴾[١٨] وما بعده: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً..﴾[١٩][الأنعام:٩٦]، وعاد إلى لفظ الاسم وهو: ﴿ومُخرج الميّت من الحيّ﴾، وعطفه على ﴿فالق الحبّ﴾، وليس في الآي الأخر[٢٠] ما في هذه الآية قبلها وبعدها من الاسمية، فذُكر فيها[٢١] على لفظ الفعل عاطفُها ومعطوفها. فبان الفرق بينهما[٢٢] على ما بيّنت. وا لله أعلم[٢٣].

---

(١٥) كلام المؤلف رحمه ا لله فيه شيء من الغموض، لأنه لم يذكر لنا في الكلام الذي أورده لماذا كان المثال الأول أفصح من المثال الثاني.

(١٦) في (ب): وعمرو، وهو خطأ.

(١٧) في(ب): قرينته.

(١٨) في(د): فالق الحب والنوى.

(١٩) في جميع النسخ: وجاعل الليل ، باسم الفاعل، وهو قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، والمثبت هو ما في المصحف، وهو قراءة عاصم وحمزة وأبي عمرو. (كتاب السبعة لابن مجاهد، ص٢٦٣).

(٢٠) وهي الآية (٢٧) من سورة آل عمران، والآية (٣١) من سورة يونس، والآية (١٩) من سورة الروم، حيث ذكر في هذه الآيات العاطف والمعطوف على لفظ الفعْل بخلاف ما في آية الأنعام، وهو قوله تعالى:﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ حيث قبله وبعده أسماء الفاعل.

(٢١) أي في تلك الآيات غير آية سورة الأنعام.

(٢٢) أي بين ما جاء في سورة الأنعام وبين ما جاء في السور الأخرى، وبيانُ ذلك: أنّ ما في سورة الأنعام وقع بين اسمي فاعل وهما:﴿فالق الحبّ﴾[الأنعام:٩٥]، و﴿فالق الإصباح﴾[الأنعام:٩٦]، واسم الفاعل يُشبه الاسمَ من وجهٍ، فيدخله الألف واللام والتنوين والجار، ويشبه الفعل من وجهٍ، فيدخله الألف واللام والتنوين والجار، ويشبه الفعلَ من وجه، فيعمل عمل الفعل، ولهذا جاز العطف عليه بالاسم نحو قوله:﴿الصابرين والصادقين والقانتين﴾[آل عمران:١٧]، وجاز عليه العطف بالفعل ، نحو قوله:﴿إن المصدّقين والمصدّقات وأقرضوا ا لله قرضاً حسنا..﴾[الحديد:١٨]، وعلى ضوء قاعدة عمل اسم الفاعل بالشّبهَين: وقع بين ﴿فالق الحبّ والنّوى﴾ وبين ﴿فالق الإصباح﴾ قولُه تعالى:﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ بلفظ الفعل، و﴿مخرج الميّت من الحيّ﴾ بلفظ الاسم بخلاف ما في آل عمران ويونس، والروم، لأن ما قبله وبعده أفعالٌ.(ينظر: البرهان للكراني، ص١٧٣).

قال ابن المنير في الإنصاف (٣٧/٢):« فالوجه ـ وا لله أعلم ـ أن يقال كان الأصل ورود قوله تعالى:﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ بصيغة اسم الفاعل أسوة بأمثاله من الصفات المذكورة ف هذه الآية.. إلاّ أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف ، وهو قوله تعالى:﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ إرادةً لتصوير إخراج الحيّ من الميت ، واستحضاره في ذهن السامع، وذلك إنما يتأتّى بالمضارع دون اسم الفاعل والماضي.. ». بتصرف يسير.

قال الفخر الرازي في تفسيره (٩٨/١٣):« قوله:﴿ومخرج الميّت من الحيّ﴾ معطوف على قوله:﴿فالق الحبّ والنوى﴾ وقوله:﴿يخرج الحيّ من الميّت﴾ كالبيان والتفسير لقوله:﴿فالق الحبّ والنّوى﴾ لأنّ فلْق الحبّ والنوى بالنّبات والشجر النامي من جنس إخراج الحيّ من الميّت، لأنّ النامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله:﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾[الروم:١٩]. وفيه وجه آخر: وهو أن لفظ الفعل يدل على أن ذلك الفاعل يعتنى بذلك الفعل في كلّ حين وأوانٍ. وأما لفظ الاسم فإنه لا يفيد التجدّد والاعتناء به ساعة فساعة ». اهـ

(٢٣) في (ب، د): والسلام، بدل « وا لله أعلم».

[٥٢] الآية العاشرة منها[١].

قوله تعالى : ﴿.. قدْ فصّلنا الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾ [الأنعام : ٩٧] .

والآية الثانية بعدها : ﴿.. قدْ فصّلنا الآياتِ لقومٍ يفقهون﴾ [الأنعام : ٩٨] .

والآية الثالثة : ﴿.. إنّ في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾[٢] [الأنعام : ٩٩] .

للسائل أن يسأل فيقول[٣] :ما الذى أوجب في اختيار الكلام أن يقال في الأولى «يعلمون» وفي الثانية « يفقهون » وفي الثالثة « يؤمنون » ؟ . وهل صلح بعض ذلك مكان بعض أم في كلٍ معنىً يخص اللفظ الذى جاء عليه[٤] ؟ .

فالجواب[٥] أن يقال : إن قوله تعالى: ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ جاء بعد آيات نبّهت على معرفة الله تعالى ، وهى من قوله تعالى : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى...﴾ إلى قوله : ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ... ﴾[٦] [الأنعام : ٩٥-٩٧] فكان جميع ذلك دالاً على العلم بالله تعالى وبوحدانيته ، وهو أشرف[٧] معلوم .

ولا لفظ من ألفاظ « يعلمون » و « يعقلون » و « يفقهون » و« يشعرون » / إلا ولفظة « يعلمون» أعلى منه ، ولذلك صحت في الخبر[٨] عن الله تعالى ولم يصح فيه غيرها[٩] من الألفاظ التى ذكرت[١٠] فلما كان المعلوم أشرف المعلومات عبّر عن الآيات التى نصبت للدلالة عليه باللفظ الأشرف . [٣٣/أ]

---

(١) في (ك) : الآية التاسعة من سورة الأنعام ، حصل هذا الاختلاف في عدّ الآيات عندما سقطت الآية السابقة من هذه النسخة وبعض النسخ الأخرى كما أشرنا .

(٢) في (ك) : قوله تعالى : ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقَرّ ومستودَع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ وهو الذى أنزل من السماء ماء ... ﴾ إلى قوله : ﴿ إن في ذلكم لآياتٍ لقوم يؤمنون ﴾ .

(٣) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٤) في (ب،ك) : تكرر ذكر الآيات في صيغة السؤال . وفي (ح،خ،ر) : فلم خص آخر الآية الأولى بقوله : «يعلمون» والثانية بقوله : « يفقهون » والثالثة بقوله : « يؤمنون » ؟ .

(٥) في (ك) : والجواب .

(٦) في (ك) : اختلاف يسير في ذكر الآيات .

(٧) « أشرف » سقطت من (أ) : وأثبت من (ب) و(ك) .

(٨) هكذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : فجاء خبر .

(٩) هكذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : ولم تصح فيه غيرها .

(١٠) في كلام المصنف إشارة إلى أنه لا يخبر عن الله تعالى إلاّ بألفاظ وردت في الشرع.

وأما ما استعمل فيه « يفقهون » فهو بعد قوله(١١) : ﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقَرّ ومتسودَع ... ﴾ [الأنعام : ٩٨] فأخبر عن ابتدائه(١٢) الإنسان وإنشائه إياه(١٣) ، ثم نبهه(١٤) بما أراه(١٥) من تنقّله(١٦) من حال إلى حال ؛ من عدم إلى وجود ، ومن مكانٍ إلى مكان ، ومن(١٧) صلب إلى رحِم ، ومن بطن أمٍ إلى وجه الأرض(١٨) ، ومن وجه الأرض إلى بطنها ، على أنه كما نقل(١٩) من موت إلى حياة ، ومن حياة إلى موت ، كذلك ينقل من الموت إلى الحياة(٢٠) ، ومن القبر إلى المحشر ، ومنه إلى إحدى الدارين ، لأن(٢١) الاستيداع(٢٢) في الدنيا ، والمستقر في العقبى(٢٣) كما نقل في التفاسير(٢٤).

فنطقت(٢٥) تلك الأحوال الحادثة لمن يفهمها ويفطن لها ، ويستدل بمشاهدها(٢٦) على مغّيبها أن بعد الموت بعثاً وحشراً وثواباً وعقاباً ، وهذا ممّا يفطن له، فـ « يفقهون » أولى به(٢٧).

---

(١١) « قوله » سقط من (أ) وأثبتت من (ب، ك) .

(١٢) في (ك) : ابتداء .

(١٣) ممسوح في (ب) .

(١٤) في (ب) و(ك) : نبه .

(١٥) في (ك) : أرى .

(١٦) هكذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : من نقله .

(١٧) في (ك) : من ، بدون الواو .

(١٨) من قوله « ومن بطن » إلى هنا سقط من (ك) .

(١٩) هكذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : ينقل .

(٢٠) في النسخ المعتمدة والمطبوعة : هكذا . وفي (خ،ر،س) : من الحياة إلى الموت .

(٢١) من هنا إلى قوله « في التفاسير» سقط من (ك) .

(٢٢) الاستيداع : طلب الترك ، وأصله شتق من الودع ، وهو الترك على أن يسترجع المستودع . يقال : استودعه مالاً إذا جعله عنده وديعة ، فالاستيداع مؤذن بوضع مؤقت ، والاستقرار مؤذن بوضع دائم أو طويل .(ينظر: تفسير ابن عاشور ٣٩٦/٧) .

(٢٣) هذا قول الحسن ، وهو أحد الأقوال التسعة التي ذكرها **ابن الجوزي** (٩٢/٣) في معنى المستقر والمستودع . ومنها: المستقر في الأرحام والمستودع في القبر . ومنها : المستقر في الأرض والمستودع في الأصلاب . قال **الطبري** (٢٩١/٧) : « وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عمّ بقوله : ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ كلّ خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة ، مستقراً ومستودعاً ، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى. ولاشك أنّ من بني آدم مستقراً في الرحم ، ومستودعاً في الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها ، ومستودع في أصلاب الرحال ، ومنهم مستقر في القبر ، مستودع على ظهر الأرض . فكل «مستقر » أو « مستودع » بمعنى من هذه المعاني ، فداخل في عموم قوله : ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ ومراد به، إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معنيّ به معنى دون معنى ، وخاصّ دون عام » اهـ .

(٢٤) ينظر : تفسير الماوردي (٥٤٨/١)، وتفسير ابن عطية (٢٩٨/٥)، وتفسير ابن الجوزي (٩٢/٣) وتفسير أبي حيان (١٨٨/٤) .

(٢٥) غير واضح في (أ) وأثبت من (ب) و(ك) .

(٢٦) في النسخ المعتمدة والمطبوعة : بشاهدها . والمثبت من (ح) و (ر) و(س) .

وأما قوله تعالى : ﴿ إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [الأنعام : ٩٩] بعد ما عدّ نعمه على خلقه ، وما وسّعه من رزقه من الحبّ المعدّ[٢٨] للأقوات ، ومن ضروب الأشجار وصنوف الثمار[٢٩] ، وكان هذا مستدعياً[٣٠] للايمان به ، المشتمل على شكر نعمته ، والقيام بما فرض من طاعته ، وأوجب من عبادته ، كانت الآيات في ذلك معرضة لمن آمن بالله[٣١]، فلذلك قال في الأخير[٣٢]: ﴿ إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ . والله أعلم .

---

(٢٧) قال البيضاوي رحمه الله : « ذكر مع ذكر النجوم ﴿ يعلمون ﴾ لأنّ أمرها ظاهر ، ومع ذكر تخليق بني آدم ﴿يفقهون﴾ لأن إنشاءهم من نفس واحدة ، وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر » . (تفسير البيضاوي في هامش حاشية الشيخ زاده ٢٩٢/٢) .

(٢٨) في (ك) : المؤدى .

(٢٩) يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نباتَ كلّ شيء فأخرجنا منه خَضِراً نُخْرِجُ منه حَبّاً متراكبا ومن النّخل مِن طلْعِها قنوانٌ دانيةٌ وجناتٍ من أعناب والزيتون والرّمان مشْتَبِهاً وغيرَ متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر ويَنْعِهِ..﴾ الأنعام : ٩٩ .

(٣٠) ممسوح في (ب) .

(٣١) قال أبو حيان (٦٠١/٤) : « الآيات : العلامات الدالة على كمال قدرته وإحكام صنعه وتفرده بالخلق دون غيره. وظهور الآيات لاينفع إلا لمن قدّر الله له الإيمان ، فأما من سبق قدّر الله له بالكفر ، فإنه لاينتفع بهذه الآيات . فنبه بتخصيص الإيمان على هذا المعنى » اهـ . وانظر أيضاً : الدر المصون للسمين الحلبي ٨٢/٥ .

(٣٢) في (ب) : الآخر .

[٥٣] الآية الحادية عشرة منها[١]

قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

وقال في سورة المؤمن[٢] [٦٢]: ﴿ذلكم الله ربّكم خالقُ كلِّ شيءٍ لا إله إلا هو فأنّى تؤْفكون﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٣]: لماذا قدّم في سورة الأنعام ﴿لا إله إلا هو﴾ على قوله[٤]: ﴿خالق كل شيء﴾، وقدّم في سورة المؤمن: ﴿خالق كل شيء﴾ على قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾[٥]؟

والجواب أن يقال : لأن[٦] ما في هذه السورة جاء بعد قوله تعالى: ﴿ وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ وخلَقَهم وخرقوا له بنين وبناتٍ بغير علم ...﴾ [الأنعام : ١٠٠] . فلما قال : ﴿ذلكم الله ربكم ﴾ أتى بعده بما يدفع قول من جعل لله شريكاً[٧] فقال : ﴿ لا إله إلا هو﴾ ثم قال: ﴿ خالق كل شيء ﴾ .

وفي سورة المؤمن جاء هذا[٨] بعد قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنَّ أكثر الناس لايعلمون ﴾[٩] [غافر : ٥٧] فكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان[١٠] ، لا على نفي الشريك عنه هنا[١١] ، كما كان في الآية الأولى ، فكان تقديم ﴿خالق كل شيء ﴾ ها هنا[١٢] أولى[١٣] . والله أعلم .

---

(١) في (ك) : الآية العاشرة من سورة الأنعام .

(٢) يعني سورة غافر .

(٣) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٤) « قوله » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٥) « على قوله . لا إله إلا هو » سقط من (أ) ، وأثبت من (ب، ك) .

(٦) في (ك) : لأن هذا جاء بعد قوله .

(٧) في (ك) : له شركاء .

(٨) « هذا » سقط من (أ) وأثبت من (ب، ك) .

(٩) قوله تعالى ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ ليس في (أ) .

(١٠) في (ك) : الناس .

(١١) لفظ « هنا » أثبت من (ح، ر، س) .

(١٢) في (ب) : بعده بما هنا .

(١٣) قال ابن جماعة في كتابه كشف المعاني (ص١٦٤) :« لما تقدم هنا - أي في الأنعام - : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم ﴾ فناسب تقديم كلمة التوحيد النافية للشرك رداً عليهم ، ثم ذكر الخلق . ولما تقدم في المؤمن كونه خالقاً بقوله تعالى : ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ ناسب تقديم كلمة « الخلق » ثم « كلمة التوحيد ». أهـ.

[٥٤] الآية الثانية عشرة منها [(١)]

قوله تعالى : ﴿.. ولو شاء ربّك ما فعلوه فذرْهم وما يَفْترون ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وقال بعده : ﴿ ... ولو شاء الله ما فعلوه فذرْهم وما يَفْترون ﴾ [الأنعام : ١٣٧] .

للسائل أن يسأل فيقول[(٢)] : كيف قال : ﴿ ولوشاء ربك ﴾ في الأولى ، وفي الثانية[(٣)] ﴿ ولو شاء الله ﴾ ؟ وهل في المكانين مايوجب اختلاف الاسمين ؟ .

والجواب أن يقال : إن الأولى قبلها : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً شياطينَ الإنس والجنِّ يوحِي بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُروراً ..﴾ [الأنعام : ١١٢] أي : كان للأنبياء قبلك أذى[(٤)] من قِبل العدوّ[(٥)] من الإنس والجن ، ولو شاء من ربّاك[(٦)]، وربّك[(٧)]، وقام بمصالحك لألجأهم / إلى موافقتك وتركِ مخالفتك ، وإن كان مَن يقوم بتربيتك[(٨)] [٣٣/ب] يحجزهم عن مضرتك[(٩)]، وأن يظفروا بمرادهم من[(١٠)] عداوتك فقد تضمّن قوله ﴿ربّك﴾ هذا المعنى .

وقوله في الآية الأخرى : ﴿ ولو شاء الله ما فعلوه ﴾[(١١)] جاء بعد قوله تعالى : ﴿وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً...﴾ [الأنعام : ١٣٦] فأخبر أنهم أقاموا لله الذي يحقّ إفراده بالعبادة شركاء[(١٢)] ﴿ ولو شاء الله ﴾ أي : ولو شاء مَن نعمتُه عليهم نعمةٌ

(١) في (ك) : الآية الحادية عشرة منها .

(٢) في (أ) : للسائل أن يقول .وفي(ك) : خلل في ذكر السؤال .

(٣) في (ب) : الثاني .

(٤) هكذا في أكثر النسخ . وفي(أ) : غير واضح . وفي(ب) : آذاء .

(٥) في (م): العدوين.

(٦) « ربّ » و« ربّي » فعلان بمعنى واحد ، قال الجوهري في الصحاح (١/١٣٠ربب) : « ربّ الضيعةَ : أي أصلحها وأتمها . وربّ فلانٌ ولدَه يربُّه ربّاً ، وربَّبه وتربَّبه بمعنًى، أى : ربّاه » **وقال** في مادة «ربو» : وربّيته تربية وترَبّيْتُه: أي غذوته ، (٦/٢٣٥٠) . وقال **الزجاجي** : « الرب : المصلح للشيء ، يقال : ربَبْتُ الشيء أربُّه ربّا وربابةً : إذا صلحته وقمت عليه ، وربُّ الشيء : مالِكه ، فالله عز وجل مالك العباد ومصلحهم ومصلح شؤونهم » . (اشتقاق اسماء الله للزجاجي ص ٣٢) .

(٧) لفظ « ربك » سقط من (أ) .

(٨) في (أ): بربابتك.

(٩) في (ح،خ، ر،س) :كما قام بتربيتك في حجزهم ودفع مضرتهم عنك، وفي (أ): بدل « بتربيتك » : بربابتك، والمثبت من (م).

(١٠) في (م): عن .

(١١) في (ب) : ولو شاء الله .

(١٢) في (ب) : شريكاً .

توجب التألّه[١٣] ألاّ يعبدوا سواه ما تمكنوا من فعله ، فهذا موضع لم يَلِقْ به إلاّ الاسم الـذي يفيد معنى فيه حجةٌ عليهم دون غيره من الأسماء ، فأفاد كل اسم من الاسمين في مكانه مـا لم يكن ليستفاد[١٤] بغيره[١٥]. وا لله أعلم[١٦].

---

(١٣) « التأله » ليست في (ك).

(١٤) في (م): يستفاد، بدون اللام.

(١٥) قال العلامة الآلوسي (٦/٨) : « إنما قال سبحانه هنا ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ وفيما يأتي : ﴿ ولو شـاء الله ما فعلوه ﴾ فغاير بين الاسمين في المحلّين ، لأنّ ما قبل هذه الآية – أي الأولى – من عداوتهـم لـه – عليـه الصلاة والسلام – كسائر الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – التي لو شـاء منعهـم عنهـا فـلا يَصِلون إلى المضرة أصلاً يقتضي ذِكره بهذا العنوان – أي عنوان الربوبية – إشارة إلى أنه مربّيه في كنف حمايته ، وإنما لم يفعل ذلك لأمـر اقتضته حكمته ، وأما الآية الأخرى فذكر قبلهـا إشـراكهم فناسـب ذكـره – عـز اسمـه – بعنـوان الألوهيـة الـتي تقتضي عدم الإشراك » اهـ .

(١٦) في (ب) : والسلام .

[٥٥] الآية الثالثة عشرة منها(١)

قوله تعالى : ﴿ إنّ ربّك هو أعلم من يَضلّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين ﴾ [الأنعام:١١٧] .

وفي سورة القلم(٢)[٧]:﴿ إنّ ربّك هو أعلمُ بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين﴾. للسائل أن يسأل عن الفرق بين اللفظين ، وحذف الباء وإثباتها(٣)، وهل كان يصح ما في سورة القلم أن يكون في سورة الأنعام ، ومافي سورة الأنعام أن يكون مكانها(٤)؟

والجواب أن يقال : إنّ مكان(٥) كل واحد يقتضي ما وقع فيه، وبين اللفظين فرقٌ في المعنى يوجب اختصاص اللفظ الذي جاء له بمكانه(٦).

فقوله : ﴿ إنّ ربّك هو أعلمُ من يَضِلّ عن سبيله ﴾ معناه: الله أعلم(٧) أيّ المأمورين يضل عن سبيله ، أ زيدٌ أم عمرو(٨) ؟ وهذا المعنى يقتضيه(٩) ما تقدم هذه(١٠) الآيه وما جاء بعدها ممّا تعلّق بها ، فالذي قبلها: ﴿ وإنْ تُطِعْ أكثرَ مَن في الأرض يضلّوك عن سبيل الله...﴾ [الأنعام :١١٦] أي: إن تطع الكفار يضلوك عن طاعة الله وعبادته، ثم أخبر أنه يعلم مَن الذين(١١) يغوونه(١٢) ويضلونه ومَن الذين لايتمكّنون(١٣) من إضلاله ؟ وبعد هذه الآية :

---

(١) في (ك) : الآية الثانية عشرة منها .

(٢) في (أ) : في سورة (ن) .

(٣) أي : حذف الباء الداخلة على « من » في آية الأنعام ، وإثباتها في آية سورة القلم .

(٤) في (أ،ب) : وهل كان يصح اللفظ الذي ها هنا هناك ، والذي هناك هنا . والمثبت من (ك) .

(٥) « إن مكان » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٦) « بمكانه » سقط من (ب) و (ك) .

(٧) في (ب) : يعلم .

(٨) في هذا المعنى جعل المصنف « مَن » للاستفهام بمعنى « أيّ » وهو اختيار الفراء في كتابه معاني القرآن (٣٥٢/١) ، والطبرى في تفسيره (١٠/٨) ، والنحاس في كتابه إعراب القرآن (٥٧٧/١) والقيسي في كتابه مشكل إعراب القرآن (٢٨٥/١) . وإليه ذهب الزجاج في كتابه معاني القرآن (٢٨٦/٢) فقال: «موضع مَن رفع بالابتداء ، ولفظها لفظ الاستفهام ، المعنى : إن ربك هو أعلم أىّ الناس يَضلّ عن سبيله، وهذا مثل قوله : ﴿ ... لنعلم أىّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ الكهف : ١٢ » اهـ .

ذهب السمين في الدر المصون (١٢٧/٥) والألوس (١٢/٨) إلى أن مَن موصولة في محل النصب على المفعولية بفعل دلّ عليه قوله : « أعلم » فكأنه قال : إن ربك يعلم من يضل عن سبيله . والذى ألجأ هؤلاء إلى هذا هو أن صيغة « أفعل » التفضيل لاتتعدى .

(٩) في (أ) : يقتضى . وفي(ب) : يقتضى به . والمثبت من (ك،ح،ر) .

(١٠) في(ب) في هذه ، ولاوجه له .

(١١) في (ك) : الذى يضلونه ويغوونه .

﴿..وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله..﴾ [الأنعام: ١١٩].

وأما قوله(١٤) : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله ... ﴾ فمعناه(١٥) غير معنى ما في الآية الأولى(١٦) ، أى : الله أعلم بأحوال من ضلّ ، كيف كان ابتداء ضلاله، وما يكون من مآله ؟ أ يصرّ على باطله أم يرجع عنه إلى حقّه(١٧) ، وقبلها: ﴿فَسَتُبْصِرُ ويبصرون ﴿ بأيّكم المفتون ﴾ [القلم : ٥-٦].

من جعل « المفتون » بمعنى الفتون كالمعقول بمعنى العقل(١٨) ، كان معناه : فستعلم ويعلمون(١٩) ، بك أو بهم الفتون(٢٠) ، وخبال(٢١) العقل وفساد الرأي(٢٢) ؟

ومن جعل(٢٣) « المفتون » : المبتلَى بفساد التمييز ، وهو حكاية معنى قولهم : إنه ﷺ مجنون(٢٤) ، كان كما يقال : في أيّ الفرقتين المجنون ؟ أَفِى فرقة الإسلام أم في فرقة الكفر(٢٥) ؟ و« الباء » تقارب معنى « في»(٢٦) كما يقال : فيه عيب ، وبه عيب ، فينوب كلّ واحد من الحرفين منابَ الآخر فى أداء المعنى(٢٧) .

---

(١٢) أى يضلّونه ويغوونه في الغيّ والضلال . وعوى : ضلّ ، وأغواه : أضلّه (اللسان ١٥/٤٠) .

(١٣) في (ك) : الذى يتمكن .

(١٤) في (ك) : قوله في الآية الأخرى .

(١٥) في (أ) : معناه ، والمثبت من (ب) و(ك) .

(١٦) في (ك) : غير ما في معنى الأولى .

(١٧) ماذكره المؤلف إلى هنا يتعلق بورود الفعل بلفظ المضارع « يضلّ » في الأنعام ، ووروده بلفظ الماضى «ضل» في سورة القلم .

(١٨) في (أ) : كالمفعول بمعنى الفعول . وفي (ب) : كالمعقود بمعنى العقد . وفي (ك) :كالمفعول بمعنى الفعل . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(١٩) في (أ) : ستعلم وسيعلمون . والمثبت من (ب،ك) . وجاء في تفسير ابن كثير (٤/٦٣١) مايؤيد المثبَت «فستعلم ويعلمون » .

(٢٠) في (أ) : المفتون ، وهو خطأ . والمثبت من (ب،ك) .

(٢١) قال الراغب (ص٢٧٤) : الخبال : الفساد الذي يورث اضطرابا كالجنون والمرض المؤثر في العقل والفكر .

(٢٢) في (ب،ك) : وخبال الرأى وفساد العقل .

(٢٣) يعنى أن من أجرى « المفتون » على أنه اسم مفعول .

(٢٤) ذلك في قوله تعالى : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا لَيُزْلِقُونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ﴾ سورة القلم : ٥١ .

(٢٥) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٥/٢٠٥) : « في **المفتون** قولان للنحويين . قالوا : المفتون هاهنا بمعنى الفتون . المصادر تجيء على المفعول . تقول العرب : ليس لهذا معقول ، أى عقل . وليس له معقود رأي ، بمعنى عقد رأى ... فالمعنى : فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون . وفيه قول آخر : بأيكم المفتون ، بالفِرقة التى أنت فيها ، أو

<==

ويجوز أن تكون « الباء » بمعناها[٢٨] على مايقال : فلان با لله وبك . أي : ثباتُه به وبك[٢٩]، معناه[٣٠]: ستعلم[٣١] بأيّ الطائفتين ثباتُ الجنون ودوام الفتون[٣٢].

وإذا[٣٣] كان مدار الكلام على أنه سيبصر بأيّكم الخبال والجنون كان قوله تعالى بـ «أيّ»[٣٤]: ﴿ إنّ ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ أي: ا لله أعلم بي وبكم ، وبالمخبّل[٣٥] والمجنون[٣٦] مني ومنكم .

وإذا قال : ﴿ إنّ ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ أي : هو أعلم بابتداء ضلاله وانتهاء أمره ، وهل يقيم على كفره أم يقلع عن غيّه لرشده . فقد بان لك أنّ كلّ موضع أتى فيه بما اقتضاه المعنى من اللفظ[٣٧].

فرقة الكفار التي فيها أبو جهل والوليد بن المغيرة ومن أشبههما ، فالمعنى على هذا : فستبصر ويبصرون في أيّ الفريقين المجنون ؟ أفي فرقة الإسلام أم في فرقة الكفر ؟ » وانظر أيضا : معاني القرآن للفراء ١٧٣/٣.

(٢٦) في (أ) : فيه ، والمثبت من (ب،ك) .

(٢٧) في (ح،خ،ر،س) : فيتناوبان في أداء المعنى .

(٢٨) في (أ،ب) : معناها . والمثبت من (ك) . قلت : يعني المعنى الذى لايفارقها وهو الإلصاق .

(٢٩) « وبك » ساقط من (ك) .

(٣٠) في (ك) : أى .

(٣١) في (ب) : سيعلم .

(٣٢) في (ب) : المفتون . وفي (ك) : وقوام الفتون .

(٣٣) كذا في أكثر النسخ ، وفي(أ) : ولو .

(٣٤) سقط من (ب) : ومن هنا إلى قوله « وإذا قال » سقط من (ك) .

(٣٥) في (أ،ب) : المخبّل ، والمثبت من (ح،ر،س) . والمخبل : المجنون (اللسان ١٩٨/١١) .

(٣٦) في (أ) : المجنون ، بدون الواو . والمثبت من (ب) .

(٣٧) تبيّن لنا ممّا سبق أن المصنف ذكر مايتعلق بسقوط الباء في آية الأنعام ، وثبوتها في سورة القلم . وأما ورود المضارع في قوله « يضل » من سورة الأنعام ، وورود الماضي في قوله « ضل » من سورة القلم فذكره في ضمن كلامه . **وللتوضيح أنقل كلام ابن جماعة** حيث قال في «كشف المعاني» (ص ١٦٦) : « لمّا تقدم هنا –أى في الأنعام –:﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام : ١١٦] وتأخير : ﴿ وإنّ كثيراً ليُضلّون بأهوائهم بغير علم ﴾ [الأنعام : ١١٩] ناسب « من يضل عن سبيله » . وبقية الآيات إخبار عمّن سبق منه الضلال فناسب الفعل الماضي » هـ .

[٣٤/أ]

[٥٦] الآية الرابعة عشرة / منها[١]

قوله تعالى : ﴿..كذلكَ زُيِّنَ للكافرين ماكانوا يعملون﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

وقال في سورة يونس [١٢] : ﴿..كذلك زُيِّنَ للمُسرِفِين ما كانوا يعملون﴾ .

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: ما فائدة اختصاص الأول[٣] بـ ﴿ الكافرين ﴾ والثاني[٤] بـ﴿المسرفين﴾ ؟ .

والجواب أن يقال : إن الأول قبله : ﴿ أَوَمَنْ كان مَيْتاً فأحيَيْناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُمات ليس بخارجٍ منها ... ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

والمراد بالميْت هاهنا[٥] : الكافر ، والنور : الإيمان وحياته به ، ومَن في الظلمات : مَن استمرّ به الكفر ولم ينتقل عنه[٦] ، فكان ذكر ﴿ الكافرين ﴾ بعده[٧] أولى .

وأما المكان الثاني فإنّ قبله[٨]: ﴿ إنّ الّذين لايرجون لقاءَنا ورضُوا بالحياة الدنيا واطمأَنُّوا بها..﴾[يونس : ٧] فهذا[٩] صفة كفّار نعّموا أبدانهم ودنّسوا[١٠] أديانهم ، واقتصروا على عمارة الحياة الدنيا[١١] واطمأنّوا بها ، ولم يتعبوا[١٢] لطلب الأخرى ، وهم المسرفون الذين قال الله تعالى فيهم:﴿..وأنَّ المسرفين هم أصحاب النار﴾ [غافر : ٤٣] لأنهم

---

(١) في (ك) : الآية الثالثة عشرة .

(٢) في (أ): للسائل أن يقول.

(٣) في (ك) : المكان الأول .

(٤) في (ك) : والمكان الثانى .

(٥) في (أ) : الكافر هنا ، وفي(ح) : هنا الكافر . والمثبت من (ب،ك) .

(٦) قال الزجاج في معاني القرآن (٢/٢٨٨) : « جاء في التفسير أنه يعني بقوله تعالى : ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه..﴾ النبيُّ ﷺ وأبوجهل بن هشام ، فالنبي ﷺ هُدى وأُعطي نورَ الإسلام والنبوة والحكمة ، وأبوجهل في ظلمات الكفر . ويجوز أن تكون هذه الآية عامةً لكل من هداه الله ولكل من أضله الله . فأعلم الله جل وعزّ أنّ مثل المهتدى مثل الميت الذى أُحيي وجُعل مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان ، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات لايتخلص منها » اهـ . ومـاذكره المصنف يدل على اختياره العموم . وقال القرطبي في تفسيره (٧٨/٧) : « والصحيح أنها عامة في كل مؤمن وكافر » اهـ .

(٧) في (ب) : بعدها .

(٨) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : فكان قبله ، وفي(ك) : فقبله .

(٩) في النسخ المعتمدة: وهذا . والمثبت من (ح،ر،س) .

(١٠) في (ب،ك) : ونسوا .

(١١) في (أ) : على عمارة الدنيا . والمثبت من (ب،ك) .

(١٢) هكذا في أكثر النسخ . وفي(أ) : ولم يعثوا .

غلوا في إيثار الدنيا وتعجّل نعيمها ، وتجاوزوا الحدّ في عمارتها ، والإعراض عما هو[١٣] أهمّ لهم[١٤] منها .

ويجوز أن يكون الكفار سمّوا مسرفين لمجاوزتهم الحدّ[١٥] في العصيان ، إذ يقال[١٦] لمن أفرط في ظلم: أسرف[١٧]، والذين رضوا بالحياة الدنيا ، واطمأنوا بها وغفلوا عن تدبّر آيات الله تعالى يقال لهم : مسرفون[١٨] على وجهين :

أحدهما[١٩] : المبالغة في تنعيم النفوس وجعلهم الدنيا حظّهم ممّا[٢٠] عرضوا له[٢١] من النعيم.

والثاني : مجاوزتهم الحدّ في معصية الله تعالى.

فلمّا قال : ﴿ ... فَنَذَرُ الّذين لايرجون لقاءَنا في طغيانهم يَعْمَهون ﴾ [يونس : ١١] وأشار إلى من تقدم ذكرهم في قوله : ﴿ إنّ الّذين لايرجون لقاءَنا ورضُوا بالحياة الدنيا واطمأنُّوا بها ... ﴾ [يونس : ٧] ثم وصف حال[٢٢] الإنسان في الشدة والرخاء ، وانقطاعه في الشدة إلى الدعاء ، ونسيانه له في الرخاء ، فسمّى الذين هذه[٢٣] صفتهم مسرفين[٢٤] على أحد الوجهين اللذين ذكرنا لإسرافهم في الحالين . والله أعلم[٢٥] .

---

(١٣) في (ب) : هم ، وهو خطأ .

(١٤) « لهم » أثبتت من (ح، خ، ر، س) .

(١٥) «الحد» سقط من (ك) .

(١٦) في (ب) : إذ كان يقال . ومن هنا إلى « يقال لهم مسرفون » سقط من (ك) .

(١٧) قال ابن دريد في جمهرة اللغة (٧١٦/٢) : « السَّرَف : التبذير ، أسرف الرجل في ماله إسرافا ، إذا عَجِل فيه وأكل ماله سَرَفاً ، ثم كثر ذلك في كلامهم حتى قالوا : قتل فلان بنى فلان فأسرف ، إذا جاوز في ذلك المقدار»

(١٨) هكذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : مسرفين .

(١٩) « أحدهما » سقطت من (أ) وأثبت من (ب) و(ك) .

(٢٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي(أ):فيما.

(٢١) « له » سقط من (أ) وأثبت من (ب) و(ك) .

(٢٢) في (أ) : حالي ، والمثبت من (ب ، د).

(٢٣) في (ب) : هم .

(٢٤) « مسرفين » سقط من (ك) .

(٢٥) « والله أعلم » لايوجد في (ب) و(ك) .

[٥٧] الآية الخامسة عشرة منها[١]

قوله تعالى : ﴿ ذلك أنْ لَمْ يَكُنْ ربُّك مُهلِكَ القُرَى بظلمٍ وأهلُها غافِلون ﴾ [الأنعام: ١٣١].

وقال في سورة هود [١١٧] : ﴿ وما كان ربُّك لِيُهْلِك القُرَى بظلمٍ وأهلُها مُصْلِحُون ﴾ .

للسائل أن يسأل فيقول[٢]: لِمَ كان[٣] في الأول[٤] ﴿ غافلون ﴾ وفي الثاني[٥] ﴿مصلحون﴾[٦] ؟ .

والجواب : إنّ[٧] ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ماتقدم ذكره من العقاب في قوله: ﴿ .. قال النار مثواكم خالدين فيها ... ﴾ [الأنعام : ١٢٨] وبعده: ﴿ يامعشرَ الجنِّ والإنس ألم يأتِكم رسلٌ منكم يقُصُّون عليكم آياتي ويُنْذِرُونَكم لقاءَ يومِكم هذا ... ﴾[الأنعام : ١٣٠] والمعنى[٨]: ذلك العقاب[٩] ، لأنه لم يكن ربك ليفعله[١٠] من قبل أن يحتج عليهم برسل يهدونهم[١١]

---

(١) في (ك) : الآية الرابعة عشرة منها .

(٢) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٣) في (ب،ك) : قال .

(٤) في (ب،ك) : في الأولى .

(٥) في (ب) : والثاني . وفي (ك) : وفي الآخرة .

(٦) لم يذكر المصنف -رحمه الله- الفرق بين « مُهلِك » حيث عبّر باسم الفاعل ، وبين « لِيُهْلِك » بلام الجحود الداخلة على الفعل المستقبل . وإنما ذكر ذلك في الآية العاشرة حسب اصطلاحه من سورة هود ، وانظر من هذا الكتاب: ٤٧٧/١ .

(٧) في (أ) : عن ، وهو خطأ ، والمثبت من (ب،ك) .

(٨) في (أ،ب) : يعني العقاب في يوم القيامة . والمثبت من (ك،ح،خ،ر،س) وهو أليق هنا .

(٩) هذا المعنى ينبني على أن « ذلك » مبتدأ محذوف الخبر ، وهو رأي سيبوية كما في معاني القرآن للزجاج (٢٩٢/٢) ومعاني القرآن للنحاس (٥٨٠/١) .

قال الألوسى في تفسيره (٢٨/٨) : « **ذلك** إشارة إلى إتيان الرسل أو السؤال المفهوم من ﴿ ألم يأتكم ﴾ أو ما قُصّ من أمرهم ، أعني شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، واستيجاب العذاب » اهـ .

وأجاز الفراء في معاني القرآن (٣٥٥/١) أن يكون «ذلك» في موضع نصب بمعنى « فعل ذلك » . وأجازه الطبرى أيضا في نفسيره (٣٨/٨) .

(١٠) قوله : « إن لم يكن » يجوز فيه وجهان :

أحدهما : أنه على حذف لام التعليل الداخلة على «أنْ» المخففة من التقيلة ، وتقديره كما ذكر المصنف: ذلك العقاب لأنه لم يكن ربك ليفعله . وفي معانى القرآن للزجاج (٢٩٢/٢) : « الأمر ذاك لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » اهـ .

والثاني : أن يكون بدلا من «ذلك» . وانظر للاقوال المذكورة في إعراب هذه الآية: الدر المصون (١٥٥/٥) .

(١١) « يهدونهم » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

وينذرونهم ماوراءهم من محذورهم ولايتركونهم في غفلة من أمورهم فاقتضى هذا المكان(١٢) أن يقال : لم يؤخذوا(١٣) وهم غافلون بل كانوا منبَّهين بالإعذار والإنذار(١٤) على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وأما الموضع الثاني الذى ذكر فيه : ﴿ وأهلُها مصلحون ﴾ / فللبناء(١٥) على ماتقدم ، [٣٤/ب] وهو قوله تعالى:﴿فلولا كان مِن القرون مِن قبلكم أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهون عن الفساد في الأرض إلاّ قليلا ممّن أنجينا منهم واتّبع الذين ظَلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾(١٦) [هود : ١١٦] فدلّ على أن القوم كانوا مفسدين حتى نهاهم أُولُو بقيّةٍ(١٧) عن الفساد في الأرض فإنّ(١٨) نقيض الفساد الصلاحُ ، فقال : لم يكن الله لِيهلكهم وهم مصلحون . فاقتضى ماتقدم في كل آية ما أُتبعت(١٩) من « الغافلين » و « المصلحين ».

---

(١٢) في (أ) : هذا الكلام ، والمثبت من (ب،ك) .

(١٣) في (ب) : لم يؤاخذ ، وهو خطأ . وفي(ك) : لم يؤاخذوا . والمثبت ذكر أيضا في ملاك التأويل (٣٤٩/١) .

(١٤) الإعذار هو : إرسال الرسل إلى الإنس والجن ودعوتهم إلى الله ، وذلك بأن الله تعالى لايؤاخذ عباده إلا بعد أن يعذر إليهم بإرسال رسله مبشرين ومنذرين حتى ينتهوا من غفلتهم ، والإنذار هو : تهديد للكافرين الذين أنكروا رسل الله سبحانه وتعالى .

(١٥) في(ك): لبناء.

(١٦) في(أ): إلى قوله تعالى:﴿إلاّ قليلا..﴾ والمثبت من (ب،ك).

(١٧) أي: أصحاب تمييز، وأصحاب طاعة. (ينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، ٢٥٠/١، واللسان ٨١/١٤ بقي).

(١٨) في (ب) و(ك) : فكان .

(١٩) أى : ما أعقبت به .

[٥٨] الآية السادسة عشرة منها[١].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلوا على مكانتِكم إنِّى عامِلٌ فسوف تعلمون... ﴾[٢] [الأنعام : ١٣٥].

وقال في سورة هود [٩٣] في قصة شعيب : ﴿ويا قَوْمِ اعْمَلوا على مكانتِكم إنِّي عامل سوف تعلمون... ﴾ [٣].

وقال في سورة الزمر [٣٩] : ﴿ قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلوا على مكانتِكم إنِّى عامِلٌ فسوف تعلمون ﴾ .

للسائل أن يسأل عن الآية التى في سورة هود : لِم جاءت بحذف « الفاء » من «سوف» وجاءت الآيتان الأخريان[٤] بإثباتها فقال : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ ، وهل يصلح مافيه **الفاء** مكان ما لا فاء فيه[٥] ؟ .

والجواب[٦] أن يقال:أمر الله نبيه ﷺ في سورة الأنعام بأن[٧] يخاطب الكفار على سبيل الوعيد : اعملوا على طريقتكم[٨] وجهتكم ، أو على تمكّنكم[٩] فسوف تعلمون، أي : اعملوا[١٠] فستجزون وتعلمون إساءتكم إلى أنفسكم[١١].

فالعمل[١٢] سبب للجزاء الذى عبّر عنه بقوله: ﴿ فسوف تعلمون ﴾ فالفاء[١٣] متعلقة بقوله : ﴿ اعملوا ﴾ ، والتقدير : اعملوا فسوف تعلمون، إنى عامل[١٤] فسوف أعلم ،

---

(١) في (ك) : الآية الخامسة عشرة .

(٢) تتمة الآية : ﴿ ... إنى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبةُ الدار إنه لايفلح الظالمون ﴾ .

(٣) بقية النص : ﴿ ... إنى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخْزيه ومن هو كاذب ... ﴾ .

(٤) في (ب) : الأخرتان .

(٥) صيغة السؤال في (ح،ر،س) : لم حذف « الفاء » من « سوف» في سورة هود خاصة دون الآخرين ؟ .

(٦) في (ك) : فالجواب .

(٧) في (أ) : أن ، والمثبت من (ب،ك) .

(٨) في (ك) : اعملوا على مكانتكم على طريقتكم .

(٩) قال الزجاج في معاني القرآن (٢/٢٩٣) : « المعنى : اعملوا على تمكنكم . ويجوز أن يكون المعنى : اعملوا على ما أنتم عليه ، ويقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال : على مكانتك يافلان ، أى أثبت على ما أنت عليه » اهـ .

(١٠) هكذا في أكثر النسخ، وفي (أ) : أنى عامل .

(١١) في (ب) : وتعلمون أنكم أسأتم إلى أنفسكم . وفي (ك) : أنكم أنتم أسأتم .

(١٢) في (ب) : والعمل . وهو سقط من (ك) .

(١٣) غير واضح في (أ) ، وأثبت من (ب،ك) .

(١٤) لفظ «عامل » سقط من (ب) .

فحذف للعلم به. وكذلك ما في سورة الزمر خطاب من الله تعالى لنبيّه[١٥] ﷺ على هذا الوجه.

وأما[١٦] في سورة هود فإنه حكاية عن شعيب عليه السلام لمّا تجاهل قومه عليه فقالوا له[١٧]: ﴿... يا شعيبُ مانفْقَهُ كثيراً ممّا تقول وإنا لَنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لَرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾ [هود: ٩١] فقال لهم: ﴿... اعملوا على مكانتكم إنّي عاملٌ سوف تعلمون﴾ وتعرفون عملي[١٨]، وإن قلتم إنا[١٩] لانفقه أكثر ما تقوله[٢٠]، فجعل ﴿سوف تعلمون﴾ مكان الوصف[٢١] لقوله: ﴿عامل﴾ فلم يصح على هذا المعنى دخول الفاء، وقصد هذا المعنى لِما أظهروا مِن جهلهم به[٢٢] وأنهم لايعرفون كثيراً مما[٢٣] يقوله لهم فقال لهم[٢٤]:﴿ إنى عامل سوف تعلمون﴾ عملي[٢٥] وتعرفونه بعدما أنكرتموه.

(١٥) في النسخ المعتمدة: للنبى، والمثبت من (ح،خ،ر،س).

(١٦) في (ك): وما.

(١٧) «له» ليس في (أ).

(١٨) في (ب): عمله.

(١٩) «إنا» سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك).

(٢٠) في (أ): ماقلته، وفي(ب): تقول، والمثبت من (ك،د).

(٢١) يعني أن قوله تعالى:﴿سوف تعلمون﴾ صفة لقوله:﴿عامل﴾، أي: إني عامل سوف تعلمون، فحذف الفاء.
قال **ابن الجوزي** في تفسيره (١٥٣/٤): فإن قال قائل: كيف قال هاهنا: «سوف»، وفي سورة أخرى «فسوف»، **فالجواب**: أن كلا الأمرين حسن عند العرب، إن أدخلوا الفاء، دلّوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله. وإن أسقطوها بنوا الكلام الأول على أنه قد تم، وما بعده مستأنف». اهـ
وقال **ابن عاشور** في تفسيره (١٥٣/١٢):« فجملة ﴿سوف تعلمون﴾ هنا ـ أي في سورة هود ـ جعلت مستأنفة استئنافاً بيانيا إذ لمّا فاتحهم بالتهديد كان ذلك ينشئ سؤالاً في نفوسهم عمّا ينشأ على هذا التهديد، فيجاب بالتهديد بـ «سوف تعلمون»...، ففي خطاب شعيب عليه السلام قومَه من الشدة ما ليس في الخطاب المأمور به النبيّ ﷺ في سورة الأنعام حرياً على ما أرسل الله به رسوله محمدا ﷺ من اللين لهم ﴿فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم﴾، وكذلك التفاوت بين معمولي « تعلمون »، فهو هنا ـ أي في سورة هود ـ غليظ شديد ﴿مَن يأتيه عذابٌ يُخريه ومن هو كاذب﴾ وهو هنالك ليّن ﴿مَن تكون له عاقبة الدار﴾» اهـ

(٢٢) لفظ «به» سقط من (أ).

(٢٣) في (أ): لايعرفون ما، والمثبت من (ب).

(٢٤) لفظ «لهم» سقط من (ك).

(٢٥) في (ب): عمله.

[٥٩] الآية السابعة عشرة منها[1].

قوله تعالى : ﴿ سيقول الّذين أشركوا لوْ شاء الله ما أشركْنا ولا آباؤُنا ولاحرّمْنا مِن شيءٍ كذلك كَذّب الذين مِن قبلِهم ... ﴾ [الأنعام : ١٤٨].

وقال في سورة النحل [٣٥] :﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عَبدْنا مِن دونه مِن شيءٍ نحنُ ولا آباؤنا ولا حرَّمْنا مِن دونه من شيءٍ كذلك فَعَلَ الذين مِن قبلِهم..﴾ [النحل:٣٥].

للسائل أن يسأل هنا عن مسألتين :

إحداهما[2] : أنه ذكر في الثانية: ﴿ من دونه من شيء ﴾ ولم يذكره في الأولى. وهل كان يجوز لو وُصلت إحداهما بما وصلت به الأخرى ؟ .

والثانية : تأكيد الضمير في سورة النحل ، ثم العطف عليه ، وفي سورة الأنعام لم يؤكّد، وعطف عليه : ﴿ ولا آباؤنا ﴾ . والفصل الذى يقوم مقام التأكيد في المكانين حاصل[3].

والجواب أن يقال : إنّ[4] قوله : ﴿ ما أشركْنا ﴾ مستغنٍ / عن ذكر المفعول به[5] ، [٣٥/أ]
وإن كان في الأصل متعدّيا إليه ، كقوله ﴿.. ألاّ تشركوا به شيئا ..﴾[6] [الأنعام:١٥١] وإنما لم يحتج إلى ذكر المفعول به كما احتاج إليه ﴿ عَبَدْنَا﴾[7]، لأن الإشراك يدل على إثبات شريك لايجوز إثباته ، والعبادةُ لا تدل على إثبات معبودٍ لا يجوز إثباته[8]، لأنها تدل على معبود، هو مثبَت لايصح نفيُه ، فقوله : ﴿ ماعبدْنا﴾ غير مستنكر[9] أن يعبدوا ، وإنما المستنكر أن يعبدوا غير الله شيئا ، فكان[10] تمام المعنى بذكر قوله: ﴿من دونه من شيء ﴾ .

---

(١) لفظ « منها » سقط من (ك) .

(٢)في (ب) أحدهما .

(٣) صيغة السؤال في (ح،خ،ر،س) : لم ذكر في الثانية ﴿ من دونه من شيء ﴾ ولم يذكر في الأولى ؟ ولِم أكّد الضمير بـ «نحن» في سورة النحل ، ولم يؤكد في سورة الأنعام ؟ .

(٤) لفظ « إنّ » أثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٥) لفظ «به» سقط من (أ).

(٦) أول الآية : ﴿ قل تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم ألاّتشركوا به شيئا ... ﴾ .

(٧) في (أ،ب) : عندنا ، وهو خطأ . والمثبت من (ك) .

(٨) في (ك) : لاتجوز عبادته .

(٩) في (ب) : المستنكر .

(١٠) كذا في أكثر النسخ . وفي(أ) : وكان .

وكذلك[١١] : ﴿ ولا حَرَّمْنا من دونه من شيء ﴾ : لا بدّ مع قوله : ﴿حَرَّمنا﴾ من قوله: ﴿ من دونه من شيء ﴾ ولم يحتج إليه بعد قوله : ﴿ ما أشرَكْنا ﴾ ، لأن الإشراك دال على أن صاحبه يعبد[١٢] شيئا من دون الله ، ولا يدل ﴿عبدنا﴾[١٣] على ذلك ، فوفّي اللفظان[١٤] في سورة النحل حقّهما من التمام[١٥] .

والجواب عن السؤال الثاني ، وهو تأكيد علامة الإضمار[١٦] في سورة النحل بـ« نحن » وترك ذلك في سورة الأنعام مع أنّ بَعد واو العطفِ « لا» في الموضعين : هو أن كلّ ما أكـّد معنى الفعل[١٧] الذى ضمير الفاعل كالجزء منه إذا وليَه ، ولم تكثُر الحواجز بينهما ، قام مقام التأكيد بعلامة الإضمار مثل « أنا » و« نحن ».

وقوله[١٨]:﴿ ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾: « أشركنا » منه منفيّ بـ « ما»[١٩] و« لا » بعد الواو مؤكّد معنى « ما » الداخلة على الفعل، وكأنها[٢٠] مؤكدة للفعل. وإذا أكّدت الفعل وعلامة الإضمار جزء منه فكأنما[٢١] أكّدتها، ومثله قوله[٢٢]:﴿ فاستقمْ كما أُمرت ومن تاب معك..﴾[هود : ١١٢]، و﴿من تاب﴾[٢٣] عطف على المضمر[٢٤] في قوله[٢٥]:﴿فاستقم﴾ وصحّ، لأن قوله:﴿كما أمرت﴾ بمعنى استقامةً مثل ما أمرت[٢٦] به، فـ﴿كما أمرت﴾ في موضع المصدر ، والمصدر هو[٢٧] تأكيد للفعل نفسه ، فصار مثل تأكيد ما هو كجزءٍ منه ،

(١١) من هنا إلى قوله «ولم يحتج إليه» حصل خلل في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٢) في النسخ المعتمدة : يحرم ، والمثبت من (خ) .

(١٣) في (أ) : عندنا ، وهو خطأ .

(١٤) في (ك) : اللفظين .

(١٥) يعني المصنف رحمه الله أن لفظ الإشراك مؤذن بالشريك فلم يقل : ﴿ من دونه ﴾ بخلاف : ﴿ عبدنا ﴾ ، لأن لفظ « عبدنا » ليس مؤذنا بإشراك غيره، فلذلك جاء:﴿ من دونه ﴾.(ينظر:كشف المعانى لابن جماعة ص ١٦٨)

(١٦) هكذا في أكثر النسخ . وفي(أ،ب) : الضمير .

(١٧) لفظ « الفعل » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٨) كذا في أكثر النسخ . وفي(أ): فقوله .

(١٩) في (ب):بـ لا ، وهو خطأ.

(٢٠) في (ب) : فكأنها .

(٢١) في (ب): فكأنها .

(٢٢) لفظ « قوله » ليس في (ب،ك) .

(٢٣) في (ك) : ومن تاب معك .

(٢٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : الإضمار .

(٢٥) في (أ) : لقوله . والمثبت من (ب،ك) .

(٢٦) لفظ « أمرت» سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٧) « هو » أثبتت من (ح،خ) .

فكان هذا التأكيد[٢٨] للفعل[٢٩] يليه في هذا[٣٠] المكان[٣١] ، وفي قوله:﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ .

فأمّا قوله : ﴿ ماعبدْنا مِن دونه من شيء ﴾ لم يكن الفصل[٣٢] مؤكداً لنفس[٣٣] الفعل، كما كان المصدر في قوله : ﴿ فاستقم ﴾ وكما كان[٣٤] « لا » بعد واو العطف في قوله : ﴿ ولا آباؤنا ﴾ مؤكدةً[٣٥] معنى « ما »[٣٦] التى تنفي الفعل . فتصير كأنها مؤكدة ماهو كبعض الفعل ، لأن الفصل[٣٧] هاهنا بالمفعول به ، وهو « من شيء » وبقوله « من دونه» ، ومعناه : ماعبدنا غيره شيئا ، فيكون بمعنى الاستثناء ، وليس شيء من هذين مؤكداً[٣٨] لنفس[٣٩] الفعل ، فلمّا لم يؤكّداها ، وجاءت : ﴿ ولا آباؤنا ﴾ وكانت « لا » مؤكدةً إلا أنها لم تَلِ[٤٠] علامة الضمير المعطوف عليها[٤١] لحجزه بينهما بقوله: ﴿ من دونه من شيء ﴾ .

والحواجز إذا كثرت وبعدت مابين الكلمتين اختير إعادة العامل مع أنّ في المتقدم كفاية كقوله[٤٢] عز وجل : ﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات إنّا لانضيع أجرَ مَن أحسن عملا﴾ [الكهف : ٣٠] ، وكقوله: ﴿.. أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنّا لَمُخْرَجُون ﴾ [النمل:٦٧] وكقوله : ﴿ أيَعِدُكم أنّكم إذا متتم وكنتم تراباً وعظاماً أنّكم مُخْرَجون﴾ [المؤمنون :٣٥] فلمّا بعد الخبر وهو « مخرجون » من « أنكم » الأولى أعيدت .

---

(٢٨) في (أ) : المؤكد ، والمثبت من (ب) .

(٢٩) في (ب) : لفعل .

(٣٠) في (ب) : كل ، بدل « هذا » .

(٣١) الواو سقطت من (أ) .

(٣٢) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ،ط) : الفعل ، والمثبت هو الصواب .

(٣٣) في (ك) : نفس .

(٣٤) في (ب) : كانت .

(٣٥) في (أ) : مؤكدا ، وفي(ك) : مؤكد، والمثبت من (ب،ج) .

(٣٦) «ما» سقطت من (ب) .

(٣٧) في (ب) : الفعل .

(٣٨) في (ب) : مؤكد .

(٣٩) في (ك) : نفس .

(٤٠) في (أ) : لم تك ، والمثبت من (ب،ك) .

(٤١) يعنى أن قوله تعالى : ﴿ ولا آباؤنا ﴾ عطف على النون في « أشركنا » .

(٤٢) في (أ،ك) : لقوله . والمثبت من (ب،ح،خ) .

وإذا(٤٣) كان الاختيار ماذكرنا فيما طال الفصل(٤٤) فيه ، وكان الفصل في قوله تعالى: [٣٥/ب]
﴿ما عبدنا من دونه من شيء﴾ قد طال بجارّين ومجرورين بين علامة الضمير في/ ﴿عبدنا﴾ وبين « لا » المؤكدة لـ « ما » التى تنفي الفعل الذي علامة الضمير في تضاعيفه(٤٥) ، كجزء من أجزائه(٤٦) وكحرف من حروفه ، احتاج الضمير في العطف عليه إلى مايؤكده(٤٧)، فلذلك أدخل « نحن » هاهنا(٤٨)، ولم تدخل في قوله : ﴿ ما اشركنا ولا آباؤنا ﴾ فافهمه ، فإنه من دقيق النحو ، وفّقنا الله وإياكم(٤٩) لمعرفته(٥٠) .

---

(٤٣) في (ب) : فإذا .

(٤٤) في(ب) : الفعل .

(٤٥) قوله « في تضاعيفه » غير واضح في (ك) .

(٤٦) قوله « كجزء من أجزائه » ليس في (أ)، وأثبت من (ب،ك) .

(٤٧) خلاصة كلام المصنف : زيدت « نحن » في آية النحل ، لأنه حال بين الضمير في « عبدنا » وبين ماعُطف عليه حائل وهو قوله : ﴿ من دونه ﴾ فأكّد بقوله « نحن » . وأما في آية الأنعام . فلم يَحُل بين الضمير والمعطوف عليه حائل . (ينظر : كشف المعانى لابن جماعة ص ١٦٨) .

(٤٨) في (ب) : هنا .

(٤٩) لفظ « وإياكم » ليس في (ك) ، وفي (أ) : وإياك .

(٥٠) في (ب) : ..لمعرفته . والسلام .

[٦٠] الآية الثامنة عشرة منها[١].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ تعالَوْا أَتْلُ ماحَرّم ربُّكم عليكم ألاّ تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولاتقتلوا أولادَكم مِن إملاقٍ نحن نرزقُكم وإيّاهم.. ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

وقال في سورة بنى إسرائيل[٢] [٣١] : ﴿ولا تقتلوا أولادَكم خشيةَ إملاقٍ نحن نرزقهم وإيّاكم.. ﴾ .

للسائل أن يسأل فيقول[٣] : قوله عز وجل : ﴿ نحن نرزقكم وإيّاهم ﴾ هو ما عليه الاختيار في كلام العرب من تقديم ضمير المخاطَب على ضمير الغائب بناء على قولك : أعطيتُكه . والآية في سورة بنى إسرائيل قدّم فيها الضمير الغائب على المخاطب ، فكأنها[٤] بنيت على قولك: « أعطيتهك »[٥] ، وهذا ليس بمختار ، فما الذى أوجب اختصاص الأول بتقديم ضمير المخاطب، وأوجب اختصاص الثانى بتقديم ضمير الغائب ؟ .

والجواب أن يقال أوّلا : ليس الضميران إذا اتصلا بالفعل كالضميرين إذا انفصل أحدهما وعُطف على الآخر ، لأن قوله[٦] : أكرمتُه[٧] وإيّاك ، مثل قوله[٨] : أكرمتك وإيّاه في أنّ كل واحد منهما مختار[٩] في مكانه الذي يوجب تقديم ماقدّم وتأخير ما أخر بخلاف مايختار اذا اتصلا بالفعل في مثل : أعطيتكه[١٠] .

فأما قوله في سورة الأنعام : ﴿ نحن نرزقكم وإيّاهم ﴾ فلأنّ قبله : ﴿ ولاتقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ أى : من أجل إملاق[١١] وانقطاع مال وزاد ، وهذا نهي[١٢] عن

---

(١) في (ك) : الآية السابعة عشرة .

(٢) أى سورة الإسراء .

(٣) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٤) في (أ) : وكأنها .

(٥) في النسخ الخطية والمطبوعة : أعطيتهوك . والصواب ما أثبتناه .

(٦) في (ب) : قولهم .

(٧) في (ك) : أكرمتهم .

(٨) في (ب) : قولهم .

(٩) في (أ) : مختاراً ، وهو خطأ .

(١٠) في (أ،ب) : ما أعطيتكه . والمثبت من (ك،ح) .

(١١) أى من أجل فقر . قال ابن قتيبة : « الإملاق : الفقر . يقال : أملق الرحل فهو مملق : إذا افتقر ». (تفسير غريب القرآن ص ١٦٣) .

(١٢) في (ب) : غنى ، وهو خطأ .

قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة(١٣) غيرِهم ، فكأنه قال: الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم ثم في غيركم لايجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم وإياهم.

وأما الآية الثانية فإنه قال فيها : ﴿ خشية إملاق ﴾ والإملاق غير واقع ، فكأنه قال : خوفَ الفقرِ على الأولاد ، وكان عقب(١٤) هذا إزالة الخوف عنهم ، ثم عن القاتلين ، أي: لاتقتلوهم لِما تخشون عليهم من الفقر ، فا لله يرزقهم وإيّاكم(١٥) ، فقدم في كلّ موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه ، وأخّر ما اقتضى الموضع(١٦) تأخيره . وا لله أعلم(١٧).

---

(١٣) أى نفقة غيرهم . تقول اللغة : مان الرجل أهلَه يمونهم موْناً ومؤونـةً : كفاهم وأنفق عليهم وعالهم . (اللسان ٤٢٥/١٣ مون) .

(١٤) في (ب) : عقيب .

(١٥) وجّه هذه الآية ابن كثير (٣٠٢/٢) فقال : « قوله تعالى : ﴿ من إملاق ﴾ قال ابن عباس وغيره : هو الفقر، أى : ولاتقتلوهم من فقركم الحاصل ، وقال في سورة الإسراء : ﴿ ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾، أي : لاتقتلوهم خوفا من الفقر في الآجل ، ولهذا قال هناك - أي في سورة الإسراء- : ﴿ نحن نرزقهم وإيّاكم ﴾ فبدأ برزقهم للإهتمام بهم ، أى : لاتخافوا من فقركم بسبب رزقهم، فهو على ا لله . وأما هنا فلما كان الفقر حاصلا قال : ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ لأنه الأهم هنا » اهـ .

وقال **أبوحيان** (٢٥١/٤) : « فبدأ أوّلا بقوله : ﴿ نحن نرزقكم ﴾ خطابا للآباء ، وتبشيراً لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخلاّق الرزّاق، ثم عطف عليهم الأولاد ... وأما في سورة الإسراء فبدئ فيها بقوله تعالى : ﴿ نحن نرزقهم ﴾ اخباراً يتكفله تعالى برزقهم فلستم أنتم رازقيهم، وعطف عليهم الآباء ... » بتصرف يسير، وفي هذا بيان وتجلية لكلام المصنف رحمه ا لله تعالى.

(١٦) لفظ « الموضع » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٧) « وا لله أعلم » لايوجد في (ب) .

[٦١] الآية التاسعة عشرة منها[١].

قوله تعالى في الوصية الأولى من هذه السورة[٢]:﴿.. ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون﴾[الأنعام:١٥١].

وفي الثانية : ﴿ ... ذلكم وصاكم به لعلكم تذكّرون ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

وفي الثالثة[٣] : ﴿ ... ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

للسائل أن يسأل فيقول[٤] : ما الذي اقتضى[٥] في الأولى ﴿تعقلون﴾ وفي الثانية ﴿تذكّرون﴾ وفي الثالثة ﴿تتقون ﴾ ؟ وهل صلحت الثانية مكان الأولى في اختيار الكلام ؟ .

والجواب[٦] أن يقال : قدّم الله تعالى الوصية بالأشرف الأعظم[٧] وهوالإيمان بدل الشرك ، وفيه أداء حقّ أكبر المنعِمِين[٨] ثم الإحسان[٩] إلى الوالدين ونعمتهما على الولد أكبر النعم بعد نعمة الله تعالى ، فحقّهما يتلو حقّه ، ثم الإحسان إلى الأولاد[١٠] بتربيتهم[١١] ، وتركُ ما كانت عليه العرب في جاهليتها من وأد البنات[١٢] للفقرِ والإملاق ، ثم أن[١٣] لا يقربوا ما لعلّه يكون سبب ولدٍ لا يصح / [٣٦/أ] نسبه وهذا في النهي[١٤] عن سبب الإحداث كالأول في النهي عن[١٥] سبب الإهلاك ، ثم أن يحقنوا الدماء ولايسفكوها إلاّ بحقها[١٦]، وهو[١٧] أن يقتلوها للقصاص ، والزنى بعد الإحصان ، والكفر بعد الإيمان.

---

(١) في (ك) : الآية الثامنة عشرة .

(٢) في (ب،ك) : من هذه الآية .

(٣) هذه الوصايا الثلاثة جاءت في آيات ثلاث وهي في قوله تعالى:﴿قل تعالوا أتلُ ما حرّمَ ربُّكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴿﴾ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسنُ حتّى يبلُغ أشُدَّه وأَوفوا الكيلَ والميزان بالقسط لا نكلِّفُ نفساً إلا وسعَها وإذا قلتم فاعْدِلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلّكم تذكّرون﴿﴾ وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتَفرَّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتّقون﴾ الأنعام:١٥١-١٥٣.

(٤) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٥) « اقتضى» سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٦) في (ب) : الجواب .

(٧) كذا في أكثر النسخ . وفي(أ) : والأعظم .

(٨) في (أ) : النعمين ، وفي(ب) : النعمتين ، والمثبت من (ك،ح) .

(٩) من هنا إلى « ثم الإحسان » سقط من (ك) .

(١٠) لفظ « إلى الأولاد » سقط من (ب) .

(١١) في (ك) : بتربيتها .

(١٢) أى دفنُها حيّة ، قال الجوهري في الصحاح (٥٤٦/٢ وأد):« وأد ابنته يَئِدُها وأْداً فهى موءودة ، أى : دفنها في القبر وهى حيّة».

(١٣) « أن » سقطت من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٤) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : نهى .

(١٥) « عن» سقطت من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٦) إلى هنا تقدم وصايا خمسة، بعضها ورد بصيغة النهي عن الشيء، وبعضها بصيغة الأمر بضده ، وهى : الشرك بالله ، والإحسانُ إلى الوالدين، وتحريم وأد البنات ، وتحريم الاقتراب من الفواحش ، ومنع قتل النفس بغير حق. وتلك المعانى يشير إليها قوله تعالى:﴿قل
<===

فهذه خمسة تتعلق بأكبر الحقوق وأوكد الأصول ، فالشرك[١٨] اعتقاد مذهب باطل بهوىً ، وتركُ الإحسان إلى الوالدين يكون إمّا لمحبة مالٍ لايسمح به لهما ، أو اتّباع هوىً يدعو إلى مخالفتهما ، ووأد البنات لخوف الفقر والعار ، والزنى وما يقبح جداً من المعاصى[١٩] التى[٢٠] تحمل عليها[٢١] الشهوة ، وقتل النفس بغير حقّ يدعو إليه شفاء غيظ النفس[٢٢] الأمّارة بالسوء . وكل ذلك قبيح في العقول يحتاج[٢٣] في ذبّ[٢٤] النفس[٢٥] عنها إلى زاجر من عقل يدفع الهوى، فلذلك[٢٦] قال:﴿لعلكم تعقلون﴾ أى تستعملون العقل الذى يحبس نفوسكم عن قبيح الإرادات وفواحش[٢٧] الشهوات.

وبعد هذه الخمسة خمسة أخرى[٢٨] هى متعلقة بالحقوق في الأموال دون النفوس ، فأوّلها حفظ مال اليتيم عليه ، لأنه لايقوى على حفظه ، والأطماعُ تمتدّ إلى ماله ، وذو الولد يفكّر[٢٩] في حاله وما يكرهه لولده فلايستجيزه[٣٠] لولد غيره ، وبعده العدل[٣١] في الكيل[٣٢] ، وإيفاء الكيل والوزن

تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها ومابطن ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاّكم به لعلكم تعقلون﴾ الأنعام : ١٥١ .

(١٧) أى الحق الذى تقتل به النفسُ . ذلك مابيّنه رسول الله ﷺ ـ فيما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ـ: «لايحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا أله إلا الله وأنّى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمفارق لدينه التاركُ للجماعة » أخرجه البخاري في كتاب الديات (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري برقم ٦٨٧٨ . ٢٠١/١٢).

وجاء في سنن النسائي (برقم ٤٠١٩) في حديث عثمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفسا بغير نفس..» كتاب تحريم الدم، باب ذكر مايحل به دم مسلم . قال ابن حجر في الفتح (٢٠٢/١٢):«حديث عثمان رضي الله عنه أخرجه النسائي بسند صحيح».

(١٨) في (أ،ب) : والشرك ، والمثبت من (ك،ح،خ) .

(١٩) كاللواط ونكاح أزواج الآباء .

(٢٠) « التي » أثبتت من (خ) .

(٢١) في (ب) : عليهما .

(٢٢) أى:غضبها الشديد. قال الراغب في المفردات (ص ٦١٩):« الغيظ : أشد غضب » . في (ك): شفاء غيظ والنفس الأمار بالسوء .

(٢٣) في (ك) : ويحتاج .

(٢٤) في (أ): ذم، وفي (ب): غير واضح، والمثبت من (ك).

(٢٥) أى : في طرد النفس عنها ومنعها . قال في اللسان (٣٨٠/١ ذنب) .« الذب : الدفع والمنع والطرد ».

(٢٦) في (ب) : فلهذا .

(٢٧) في (ب) : وقوله بدل « وفواحش » وهو خطأ .

(٢٨) يشير إليها قوله تعالى : ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلّف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاّكم به لعلكم تذكرون﴾ الأنعام : ١٥٢.

(٢٩) كذا في أكثر اللنسخ . وفي (أ) : يتفكر .

(٣٠) في (ك) : لايستجيزه .

(٣١) في (ب،ك) : التعديل .

(٣٢) في (ب) : المكيل .

بالقسط[٣٣] ، وهو الذى توعّد الله تعالى عليه[٣٤] في قوله : ﴿ ويل للمطففين ﴾ الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ﴾[٣٥][المطففين:١-٣] ومعنى قوله[٣٦] ﴿لانكلّف نفسا إلاّ وُسعَها ﴾ [الأنعام:١٥٢] أي : إذا اجتهدت في التحريّ وتوخّي القسط ، فقد أسقط عنها ما يتعذر[٣٧] تجنبه مِن أقلّ القليل فيما[٣٨] يكال ويوزن[٣٩] ، والرابع القولُ بالعدل ، وهو في الحكم والشهادة ، والخامس الوفاءُ بعهد الله، وهو أن يحلف بالله في غير معصية .

وكل هذه[٤٠] قد دُعي فيها[٤١] الإنسان إلى تذكّر حاله ورضاه في نفسه لوكان هو المعامَل[٤٢] بما يعامِل هو به غيرَه ، أي : لوكان ولده اليتيم ، أوكان الذي يكال له[٤٣] ويوزن، أو كان الذي يحكم به عليه[٤٤] ، أو تقام الشهادة بما لا يلزمه[٤٥] ، أو يحلَف بالله على إذهاب[٤٦] حق له ، أو يحلَف له[٤٧] بما يلزمه[٤٨] الوفاء به ، فلايرضينّ[٤٩] من ذلك لغيره إلا ما[٥٠] يرضاه لنفسه ، فذكّرهم حالاً مرّت[٥١] لهم، أو يخافون[٥٢] مرورها عليهم[٥٣]؟ فلذلك قال : ﴿لعلكم تذكّرون ﴾ .

---

(٣٣) من قوله : « وإيفاء » إلى هنا سقط من (ك) .

(٣٤) لفظ « عليه» من (ك) .

(٣٥) هكذا في (ب،ك) . وفي (أ) : ﴿ ويل للمطففين ﴾ الآيات .

(٣٦) لفظ « قوله» سقط من (ب) .

(٣٧) في (ب) : يتعدد ، وهو خطأ .

(٣٨) كذا في أكثر النسخ . وفي(أ) : مما .

(٣٩) يعنى أن تحديد أقل القليل في الكيل والميزان متعذّر فيُعفَى عنه لأنه لايدخل في الوسع فلم يكلفه الله تعالى به

(٤٠) في (ب) : هذا . و« هذه» يشاربها إلى الوصايا المذكورة في الآية الثانية .

(٤١) في (ب) : فيه .

(٤٢) في (ب) : العامل ، وهو خطأ .

(٤٣) «له» سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٤٤) في (ب) : يحكم عليه .

(٤٥) في (ك) : يلزمه .

(٤٦) في (ب) : ذهاب .

(٤٧) «له» سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٤٨) في النسخ المعتمدة : يلزم . والمثبت من (ح،خ) .

(٤٩) في (ب) : فلايرضى .

(٥٠) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : بما .

(٥١) في (ب) : أمرت ، وهو خطأ .

(٥٢) في (ب) : أيخافون .

(٥٣) ذكّرهم الله تعالى بإيفاء الكيل والميزان ، والعدل في القول ، والوفاء بالعهد فكانوا يفعلونها ويفتخرون بالاتصاف بها فأمرهم الله تعالى بذلك لعلهم يذكرون إن نسوها .

وأما الآية الأخيرة وهى:﴿ وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولاتتبعوا السّبُلَ فتَفَرَّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصاّكم به لعلّكم تتقون ﴾[الأنعام : ١٥٢] فمعناه(٥٤): الشرع الذي شرعته(٥٥) لكم هو طريق أشرعتُه(٥٦) إلى نعيمكم الدائم فاسلكوه، ولاتتبعوا الديانات المخالفة له فتُبعِدكم(٥٧) عن سبيله المؤدي إلى نعيمه(٥٨) ، لعلكم تتجنّبون بلزومه معصيتَه ، وتتقون بطاعته عقوبتَه(٥٩) ، فأتبع كل صنف من الوصيّة ما اقتضاه معناها . وبالله التوفيق(٦٠) .

---

(٥٤) في النسخ المعتمدة : أى : والمثبت من (ح،خ،ر) .

(٥٥) في (ك) : شرعه .

(٥٦) في (أ) : شرعته ، والمثبت من (ب،ك). ومعنى « أشرعته» : أى جعلته مفضيا ومؤديا إلى نعيمكم ، وفي اللسان (١٧٧/٨ شرع) : «شرعت البابَ إلى الطريق : أي أنفذتُه إليه وشرع البابُ ، والدار شروعاً : أفضى إلى الطريق ، وأشرعه إليه » .

(٥٧) غير واضح في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٥٨) في (أ) : إليه . وفي (ك) : نعمه . والمثبت من (ب،ح،خ) .

(٥٩) الآية الأخيرة وهى : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ... ﴾ تُجمل ماجاء في الآيتين المتقدمتين المشتملتين على تكاليف عشرة ، لأن الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف ، وقد أمر الله تعالى باتباعه ونهى عن اتباع غيره من الطرق ، ولهذا ختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد . وفي الختام بالتقوى إشارة إلى أن من اتبع هذا الصراط فقد وقاه الله عذاب النار .

وأما ختم الآية الأولى بقوله : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ وختم الثانية بقوله : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فهو كما قال **الكرماني** في البرهان (ص ١٧٩) : « أن الآية الأولى مشتملة على ذكر خمسة أشياء كلها عظام جسام، وكانت الوصية فيها من أبلغ الوصايا فختمها بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان . والآية الثانية مشتملة على خمسة أشياء يقبح تعاطيها وارتكابها ، وكانت الوصية فيها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله «تذكرون » أى تتّعظون بمواعظ الله تعالى».

قال **ابن عطية** في تفسيره (٢٠٠/٥) : « ومن حيث كانت المحرّمات الأُول لايقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة ﴿لعلكم تعقلون ﴾، والمحرّمات الأخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء مَن لم يتذكر جاءت العبارة ﴿لعلكم تذكرون ﴾ . ثم لما كان ركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى جاءت ركوب العبارة ﴿ لعلكم تتقون ﴾ اهـ .

(٦٠) في (ك) : تمت المسائل في سورة الأنعام وانقضت عن ثمانى عشرة آية وعشرين مسألة. كذا في(ر). وفي(ح،خ) : تمت سورة الأنعام عن ثمانى عشرة آية وعشرين مسألة .

قلت : انقضت سورة الأنعام عن تسع عشرة آية وإحدى وعشرين مسألة ، وقد بينا سبب ذلك من احتمال إضافة الشيخ رحمه الله بعض المسائل في الدرس . والله أعلم.

سورة الأعراف

[٦٢] الآية الأولى منها[١] .

قوله تعالى:﴿ قال ما منعك ألاّ تسجد إذْ أمرتُك قال أنا خيرٌ منه خلقتنى من نارٍ وخلقتَه من طين ﴾ قال فاهبطْ منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرُجْ إنّك من الصّاغرين﴾[٢] [الأعراف: ١٢-١٣].

وقال في سورة الحجر [٣٢-٣٤]:﴿قال يا إبليسُ ما لك ألا تكون مع الساجدين ﴿﴾ قال لم أكن لأسجدَ لبشرٍ خلقتَه من صلصالٍ من حمإٍ مسنون ﴿﴾ قال فاخْرُجْ منها فإنّك رجيم﴾.

وقال في سورة « ص » [٧٥]:﴿..يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ..﴾الآية، قال:﴿أنا خير منه..﴾ الآية [سورة ص:٧٦][٣] .

للسائل أن يسأل فيقول[٤]: إذا كان هذا في قصة / واحدة ، ووقع في كلام الله[٥] تعالى حكاية عما [٣٦/ب] قال إبليس، وعمّا قيل[٦] له عندما كان يظهر من عصيانه[٧]، فلماذا اختلفت الحكايتان والمحكي شيء واحد ؟

والجواب ما قلته[٨] فيما قبله[٩]، وأقوله[١٠] فيما بعده من أنّ[١١] اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداءُ الألفاظ بأعيانها ، وإنما المقصود ذكر المعاني ، فإن الألفاظ إذا اختلفت وأدّت[١٢] المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء[١٣].

فقوله[١٤] عزوجل ها هنا[١٥]: ﴿ما منعك ألاَّ تسجُد إذ أمرتك﴾ وقوله في سورة[١٦] الحجر [٣٢]:﴿ يا أبليس ما لك ألاّ تكون مع السّاجدين ﴾ وقوله في سورة ص[٧٥] :﴿..يا

---

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) لفظ « قال » في أول الآية أثبت من (ك) .

(٣) من قوله :« وقال في سورة ص :﴿ ... يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ...﴾ الآية قال : ﴿ أنا خير منه .. ﴾ الآية » أثبت من في (ح،خ،ر،س) .

(٤) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٥) لفظ الجلالة سقط من (ك) .

(٦) لفظ « قيل » سقط من (ك) .

(٧) « عصيانه » غير واضح في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٨) في (ك) : ما قلناه .

(٩) ذلك في الآية الرابعة من سورة البقرة حسب ترتيب المؤلف، وانظر من هذا الكتاب:١٤٨/١ .

(١٠) قوله : « وأقوله » غير واضح في (أ) وأثبت من (ب)، وفي (ك) : ونقوله .

(١١) « أن » سقطت من (أ) ، وأثبت من (ب،ك) .

(١٢) في (د،ط) : أفادت .

(١٣) في (ح،خ،ر) : فاختلاف الألفاظ لايضر إذا اتفق المعاني .

(١٤) في (ك) : وقول الله تعالى .

(١٥) أي في الآية (١٢) من سورة الأعراف . وفي (ب) : هنا ، وهو سقط من (ك) .

إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديَّ أَستكبرتَ أم كنتَ من العالين ﴾ أقوال ثلاثة؛ في بعض ألفاظها اختلاف وفي المغنى اتفاق، وهي : ﴿..ما منعك أن تسجد ﴾ و﴿.. ما منعك ألاّ تسجد﴾ و﴿..ما لك ألاّ تكون مع الساجدين ﴾ .

فأما[17] قوله : ﴿.. لِما خلقتُ بيديّ أَستكبرتَ أم كنتَ من العالين ﴾ [سورة ص: ٧٥] ففيه زيادة إخبار عن حالٍ[18] لم تكن في الآيتين المتقدمتين ، ولم يقل عندهما إنه لم يكن هناك خطاب إلا ما حكيناه فيهما ، فتكون الزيادة معدودة في الإختلاف .

وأما قوله ، وهو حكاية ما كان من جواب إبليس في سورة الأعراف [١٢] وفي سورة ص [٧٦] : ﴿.. أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ﴾ وفي سورة الحجر [٣٦]: ﴿.. لم أكن لأسجدَ لبشرٍ خلقتَه من صلصالٍ من حمإٍ مسنون ﴾[19] وفي سورة بني إسرائيل [٦١]: ﴿ .. قال أأسجدُ لمن خلقتَ طيناً ﴾ .

فإنه يحصل للسامع في[20] الآيات الأربع معنى واحد[21]، وهو ذكر ما حمله على ترك السجود لآدم عليه السلام، لما كان مخلوقاً من النار ، وآدم[22] مخلوقاً من الطين ، ورأى[23] أصله أشرف من أصله ، وإن كان في إحداهما[24] ذكر بعض ما دعاه إلى ما فعل، وفي الأخريين[25] ذكر كلّه من مقابلة أصله بأصله ، وتوهّمه[26] أنه أشرف ، وأن سجود الأشرف لما دونه لايجوز .

وكذلك ما حكاه الله[27] تعالى من قوله له[28] في سورة الأعراف [١٣] : ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرُجْ إنّك من الصاغرين ﴾[29] لايخالف قولَه في

---

(١٦) لفظ « سورة » ليس في (أ،ب)، وأثبت من (ك) .

(١٧) في (ب) : وأمّا .

(١٨) في (ك) : الحال .

(١٩) قوله تعالى : ﴿ من حمإٍ مسنون ﴾ سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٠) في(ر):من.

(٢١) في (أ،ب) : واحداً ، والمثبت من (ك) .

(٢٢) لفظ « آدم » غير واضح في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٣) في(ر): رآى، بدون الواو.

(٢٤) أي في آية سورة الحجر وهي : ﴿ .. لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ الآية : ٣٣ . والضمير في قوله : « إحداهما » يرجع إلى آيتي سورة الحجر وسورة الإسراء .

(٢٥) أي في آية الأعراف (١٢) وآية سورة ص (٧٦) . وفي (أ،ب،ك): الآخرتين، والمثبت من(ح،ر).

(٢٦) في (ب) : ويوهمه ، وهو خطأ .

(٢٧) لفظ الجلالة ليس في (ب،ك) .

سورة الحجر [٣٤-٣٥] : ﴿ قال فاخرج منها فإنّك رجيم وإنّ عليك اللعنةَ إلى يوم الدين ﴾ ولايخالف أيضاً قوله في سورة ص(٣٠) [٧٧-٧٨] : ﴿ قال فاخرج منها فإنّك رجيم ﴾ وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ لأنه إذا أمره(٣١) بالخروج من الجنة أو من السماء(٣٢) فقد أمره(٣٣) بالهبوط إلى الأرض .

وقوله : ﴿ وإنّ عليك اللعنة ﴾ [الحجر : ٣٥] و ﴿ ...لعنتي ...﴾(٣٤) واحد ، لأن اللعنة(٣٥) في الحقيقة إبعاد الله مَن يعصيه عن الخير ، ثم لعن الملائكة والناس من التّبع للعنة ، نعوذ با لله منها(٣٦).

---

(٢٨) لفظ « له » لايوجد في (أ،ب) وأثبت من (ك) .

(٢٩) في (أ) : ﴿ قال فاهبط منها ﴾ الآية . والمثبت من (ب،ك) .

(٣٠) في (ك) : في ص.

(٣١) في (أ) : أمر . والمثبت من (ب،ك) .

(٣٢) ذكر المصنف القولين المحتملين في عودة الضمير في قوله تعالى : ﴿ فاهبط منها ﴾ . قال ابن الجوزي في تفسيره (١٧٥/٣) :« في هاء الكناية قولان : أحدهما : أنها ترجع إلى السماء ، لأنه كان فيها ، قاله الحسن، والثاني : إلى الجنة ، قال السدي » أهـ .

قال ابن عطية في تفسيره (٤٤٢/٥) : « وقوله تعالى : ﴿ فاهبط منها ﴾ أمرٌ من ا لله عزوجل لإبليس بالهبوط في وقت عصيانه في السجود ، فيظهر من هذا أنه أهبط أوّلا وأخرج من الجنة ، وصار في السماء لأن الأخبار تظاهرت أنه أغوى آدم وحواء من خارج الجنة ، ثم أُمر آخراً بالهبوط من السماء مع آدم وحواء.. » اهـ .

وقال ابن كثير (٣٢٧/٢) : « ويحتمل أن يكون عائداً إلى المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى » أهـ .

(٣٣) في (أ) : أمر ، والمثبت من (ب،ك) .

(٣٤) أول الآية : ﴿ وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ سو رة ص: ٧٨ .

(٣٥) قال الراغب في المفردات (ص٧٤١) : « اللعن : الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، وذلك من ا لله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه » اهـ .

(٣٦) في (ب) : منه .

[٦٣] الآية الثانية منها[١]

قوله تعالى: ﴿قال أنظِرني إلى يوم يبعثون ۝ قال إنّك من المنظرين﴾ [الأعراف:١٤-١٥].

وقال في سورة الحجر [٣٦-٣٨] وسورة ص [٧٩-٨١]: ﴿قال ربّ فأنظِرني إلى يوم يُبعَثون ۝ قال فإنك من المنظرين ۝ إلى يوم الوقت المعلوم﴾.

للسائل أن يسأل عن إدخال الفاء في قوله: ﴿ربّ فأنظرني﴾[٢] في سورتي[٣] الحجر وص[٤]، وحذفها منه في سورة الأعراف؟

والجواب / أن يقال: إن قوله: ﴿أنظِرني﴾ في سورة الأعراف وقع مستأنفاً، غير مقصود به عطفٌ على ما يقع به هذا السؤال عقيبه فلم يحتج إلى الفاء. [٣٧/أ]

والجواب[٥] أيضاً: لمّا لم يكن إجابة له إلى ما طلب لم يكن أيضاً معطوفاً عليه بالفاء[٦]، وإنما سأل تأخير أجله، فقال: ﴿إنك﴾[٧] في حكمي ممّن أُخّر أجله[٨]، لا لأجل مسألتك.

وأما في[٩] الآيتين في سورتي[١٠] الحجر و«ص» فإنه قال عز من قائل: ﴿قال ربّ فأنظِرني﴾[١١] وجاء بعد[١٢] إخبار الله بلعنه له، فكأنه[١٣] قال: يا ربّ إنْ لعنتني وآيستني[١٤] من الجنة[١٥] فأخّر[١٦] أجلي إلى يوم يبعثون، ويوم يُبعثون هو يوم القيامة، لا

---

(١) في (ب): من سورة الأعراف.

(٢) في (ب): ﴿رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾.

(٣) في (أ،ب): في سورة، والمثبت من (ك،ح).

(٤) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): والصاد.

(٥) في (ب،ك): وجواب آخر. والمثبت من (أ،ر).

(٦) من قوله «وجواب آخر» إلى هنا سقط من (ب).

(٧) «إنك في» سقط من (ب).

(٨) في (ب): اخترت أجله.

(٩) «في» سقطت من (ب).

(١٠) في (أ): سورة. والمثبت من (ك،ح).

(١١) في (أ): بدون «قال».

(١٢) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): بعده.

(١٣) كذا في أكثر النسخ، وفي (أ): وكأنه.

(١٤) أي قنّطتني وقطعت أملي من الجنة. قال الجوهري في الصحاح (٩٠٦/٣ أيس): «آيسني منه فلان مثل أيأسَني»، وقال صاحب القاموس (٧٥١، يئس): «وأيأَسْتُه، وآيسْتُه، قنّطته».

(١٥) في (ب،ك): من الخير.

(١٦) في (أ،ك): أخّر، والمثبت من(ب، ر).

يوم الإماتة[١٧] ، فلم تقع الإجابة إلى ما طلب ، لأنه قال : ﴿ فإنّك من المنظرين ﴾ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ أي : إلى[١٨] الوقت الذي هو آخر أوقات الأحياء . فاقتضى إضمار « إن لعنتي يارب »[١٩] أن يأتي بالفاء فيقول[٢٠]: « فأنظِرني » ويأتي في جوابه[٢١] بها ، وهو قوله[٢٢]: ﴿ فإنّك من المنظرين ﴾ ، لأن التقدير : إن طلبت تأخير الأجل وتنفيس[٢٣] المهل من أجل أنْ لُعِنْتَ فإنك[٢٤] مؤخّر الموت لِما[٢٥] حكمتُ به لك ، لا لإجابتك[٢٦] إلى مسألتك ، فهو معطوف على السؤال عطْفَ الكلام على الكلام الذي يقتضيه ، لاعطف الإيجاب على السؤال ، لأن الله تعالى لم[٢٧] يُجب عاصيا مثلَه إلى ما يسأل[٢٨] .

فدخول الفاء في الموضعين[٢٩] لتقدّم ذكر اللعن . وأنّ المعنى : إنْ آيستني من رحمتك فأخّر أجلي لأنال من عدوّي الذي كان سبب ذلك[٣٠] ما أقدر عليه من الإغواء[٣١] له[٣٢]، ولمن يكون من[٣٣] نسله، واستشفى بذلك لجهله[٣٤]، نعوذ بالله من طاعة الهوى المؤدي إلى سبيل الرّدَى[٣٥].

---

(١٧) في (أ،ب) :« إلى يوم يبعثون، وهو يوم القيامة، وليس يوم الإماتة، إنما هو يوم البعث والإحياء ». وفي العبارة خلل، والمثبت من (ح، خ ، ر).

(١٨) لفظ « إلى » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٩) كذا في أكثر النسخ . ولفظ « يارب » غير واضح في (أ) .

(٢٠) في (ك) : فيكون فيقول .

(٢١) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : جوابه ، بدون « في » .

(٢٢) « قوله » أثبت من (ح،خ) .

(٢٣) في (ب) : وتنفس .

(٢٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : فأنت .

(٢٥) في (ب،ك) : بما .

(٢٦) في (ك) :لابإجابتك . و« لا » سقطت من (ب) .

(٢٧) في (ب،ك) : لن .

(٢٨) في (ب) : يسأله .

(٢٩) أى في سورة « الحجر »، وسورة « ص » .

(٣٠) لفظ « ذلك » غير واضح في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣١) أى من الإضلال ، يقال : أغواه : أضلّه وأوقعه في الغيّ والضلال .

(٣٢) في (ب) : لي ، وهو خطأ .

(٣٣) لفظ « من» سقط من (ك) .

(٣٤) في (ك) : ذلك بجهله .

(٣٥) أى إلى سبيل الهلاك . وفي اللسان (٣١٤/١٤ ردى) : الرّدى : الهلاك .

[٦٤] الآية الثالثة منها .

قوله تعالى : ﴿ قال فبما أغويتنى لأقعُدَنّ لهم صراطَك المستقيم ﴾ ثم لآتينَّهم مِن بين أيديهم ومِن خلفِهم وعن أيمانهم وعن شمائلِهم ولاتجدُ أكثرَهم شاكرين ﴾[1] [الأعراف:١٦-١٧].

وقال في سورة الحجر [٣٩-٤٠] : ﴿ قال ربّ بما أغويتني لأزيِّنَنَّ لهم في الأرض ولأُغوينّهم أجمعين ﴾ إلاّ عبادَك منهم المخلَصين ﴾[2] .

وقال في سورة ص [٨٢-٨٣] : ﴿ قال فبعزّتِك لأُغْوِيَنّهم أجمعين ﴾ إلاّ عبادَك منهم المخلَصين ﴾[3] .

للسائل أن يسأل في هذه الآي[4] عن شيئين :

أحدهما : اختلاف المحكيّات ، ففى موضع ﴿ فبما أغويتنى ﴾ وفي موضع ﴿ ربّ بما أغويتنى ﴾[5] وفي آخر[6] ﴿ فبعزتك ﴾ ؟ .

والثاني : حذف الفاء في سورة الحجر من قوله[7] : ﴿ رب بما أغويتنى ﴾ وإثباتها في الآيتين الأخريين ؟ .

والجواب عن اختلاف الألفاظ[8] المحكية أن يقال : متى حملت الباء على القسم في قوله: ﴿ فبما أغويتنى ﴾ و ﴿ رب بما أغويتنى ﴾[9] في الآيتين[10] بشهادة الآية الثالثة[11] ، وهى : ﴿فبعزّتك ﴾ لم يكن هناك اختلاف في المعنى[12] ، لأن المراد في قوله : ﴿ بما أغويتنى﴾[13]: بإغوائك إيّاي ، وهو يحتمل وجوها من المعاني[14] :

(١) قوله تعالى : «قال » من أول الآية ليس في (أ) .

(٢) قوله تعالى : « قال » من أول الآية ليس في (ك) .

(٣) من قوله : « وقال في سورة ص » إلى هنا سقط من المطبوعة .

(٤) في (ط) : الآية ، وهى خطأ .

(٥) قوله « وفى موضع ﴿ رب بما اغويتنى ﴾ » لايوجد في (أ، ب) . وأثبت من (ك، ق) .

(٦) في (أ) : وفى الأخرى ، والمثبت من (ب،ك) .

(٧) في (ب) : عن قوله . وفي(ك) : بدل « من قوله » : قال .

(٨) في (ب) : ألفاظ .

(٩) قوله : « و﴿رب بما أغويتنى ﴾ » لايوجد في النسخ المعتمدة، وأثبت من (خ) .

(١٠) أي في الآية (١٦) من الأعراف ، والآية (٣٩) من الحجر .

(١١) هى الآية (٨٢) من سورة ص .

(١٢) يرى المصنف رحمه الله تعالى أن الباء قسميّة ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة ص : ﴿ فبعزتك لأغوينهم ﴾ . وذكر العلامة **الألوسى** (١٤/٥٠) جواز جعل الباء للقسم و«ما » مصدرية وقال :« وإقسامه بعزة

<===

أحدهما : أن يكون المـراد[١٥] : بتخييبـك إيّـاي لأجتهـدنّ في تخييبهـم ، وهـذا ظـاهر الكلام ، لأن القسم متلقّى باللام[١٦] ، ولأن[١٧] قوله : ﴿ فبعزتك ﴾ في مقابلتهما[١٨] من / [٣٧/ب] الآية الأخرى . وتخييب الله إياه[١٩] هو بعزته ، ومنه قول الشاعر[٢٠] :

« ومَن يَغْوَِ لايَعْدَمْ على الْغَيِّ لائِما »[٢١]

أى : من يخب لم ينل خيراً . يشهد لذلك صدر البيت ، وهو :

« فمَنْ يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ الناّسُ أَمْرَهُ »[٢٢] .

والثانى أن يكون المراد بإهلاكك إيّاي[٢٣] بأنْ لعنتنى، وهذا الفعل أيضا عزّة من الله تعالى.

وكذلك إن حُمل على معنى الحكم بغوايته فهو عزة من الله تعالى.

وإذا كان[٢٤] كذلك تساوت[٢٥] في المعنى ، وكلٌّ قَسَمٌ ، والإغواء الذي هو التخييب أو الإهلاك أو الحكم بالغواية، كلُّ ذلك عزّة من الله تعالى ، فالقسم به كالقسم بعزته .

الله تعالى المفسَّرة بسلطانه وقهره لاينافي إقسامه بهذا – أى بإغواء الله تعالى إيّاه – ، لأنـه فـرع مـن فروعهـا – أى من فروع العزّة– ، وأثر من آثارها ، فلعلّه أقسم بهما جميعا ، فحكى تارة قسمه بهذا ، وأخرى بذاك» اهـ .

(١٣) « بما أغويتنى » ليس في (أ،ب) . والمثبت من (ك، ق) .

(١٤) في (ب،ك) : من المعنى .

(١٥) أى المراد بقوله : « بما أغويتنى » .

(١٦) أى لام حواب القسم في قوله تعالى : ﴿ لأقعدنّ لهم ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿لأزيننّ لهم ﴾ بمعنى : أقسم بـإغوائك إيّاي لأقعدن لهم ، ولأزيّننّ لهم .

(١٧) في (أ ، ك): لأنك، بدون الواو، وفي (ر): أو لأن، والمثبت من (م).

(١٨) كذا في أكثر النسخ ، أى في مقابلة آيتي الأعراف والحجر . وفي (أ) : في مقابلتها .

(١٩) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : له .

(٢٠) الشاعر هو المرقّش الأصغر ، واختلف في اسمه ، فقيل : هو عمرو بن حرملة ، وقيل : ربيعة بن سـفيان ، والاسـم الثانى رجّحه الشيخ أحمد شاكر ، والمرقّش الأكبر عمّ المرقش الأصغر ، وكان الأصغر أشـعر المرقّشـين وأطولهمـا عمراً . (الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢١٤/١) .

(٢١) البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢١٥/١ ، والصحاح للجوهرى (٢٤٠٥/٦ غوى) ، ومعجم مقاييس اللغـة لابن فارس (١٩٢/٤ ، ٣٩٩) واللسان (١٤٠/١٥ غوى) . وغوى يغوى مـن بـاب فـرح ، ويـأتى مـن بـاب ضرب . والغيّ: الضلال والخيبة .

(٢٢) في (ك) : فمن يلق خيراً يحمد الناسُ أمْرَه

ومَن يغو لايعدمْ على الغيّ لائما .

حيث تكرّر الشق الثانى في البيت .

(٢٣) حكى ذلك الطبري في تفسيره (١٣٣/٨) وقال :« هو من قولهم:غَوِيَ الفصيل . يغوَى غوىً ، وذلك إذا فقد اللبن فمات» .

(٢٤) في (ك) : كانت .

(٢٥) أي الآيات الثلاث.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو حذف الفاء[٢٦] من قوله: ﴿رب بما أغويتني﴾ ولأن الدعاء في الصّدر[٢٧] يستأنف بعده الكلام، والقصة غير مقتضاة[٢٨] لما قبلها كما اقتضاه[٢٩] قوله: ﴿.. ربّ فأنظرني..﴾[٣٠] والفاء توجب اتصال مابعدها بما قبلها.

والنداء أوّلا يوجب القطعَ واستئنافَ الكلام لاسيّما[٣١] في قصة لا يقتضيها[٣٢] ما قبلها، فلم تحسن الفاء مع قوله: ﴿ربّ بما أغويتنى﴾، والموضعان الآخران لم يدخل الكلامَ فيهما نداءٌ يوجب استئنافَ ما بعده، فلذلك وُصل القَسَم فيهما بالأول بدخول الفاء[٣٣].

(٢٦) في (ب،ك) : «مع» بدل «من».

(٢٧) في (أ،ط) : في المصدر. والمثبت من (ب،ك،ح). والمراد صدر الكلام.

(٢٨) في (خ،ر) : غير مقتضية.

(٢٩) في النسخ المعتمدة : كما اقتضاها. والمثبت من (خ). وهو الصواب حيث إن الضمير يرجع إلى «ما» في قوله «لما قبلها».

(٣٠) جزء من آيتى الحجر (٣٦) وآية سورة ص (٧٩) وهى : ﴿قال ربّ فأنظرنى إلى يوم يبعثون﴾.

(٣١) في النسخ المعتمدة : سيّما. والمثبت من (خ،ق). وهو الصواب، لأن «سيّما» تدخل عليه «لا» كما في مغنى اللبيب (ص ١٨٦).

(٣٢) أى لايحتاج ربط القصة بما قبلها. وفي (خ) : لا تقتضي.

(٣٣) تعليل المؤلف في هذه العبارة ـ فيما يبدو لي ـ غير واضحة، لأن القصة واحدة من بدايتها إلى نهايتها، فكونه يفرق بين قوله:﴿فأنظرني﴾ وقوله ﴿رب بما أويتني﴾ تفرقة في غير محله.

[٦٥] الآية الرابعة منها .

قوله تعالى : ﴿ ... فأذّن مؤذّنٌ بينهم أنْ لعنةُ ا لله على الظالمين ﴿ الذين يصدّون عن سبيل ا لله ويبغونها عِوجاً وهم بالآخرة كافرون ﴾ [الأعراف : ٤٤-٤٥] .

وقال في سورة هود : [١٨-١٩] : ﴿ ومن أظلم ممّن افترى على ا لله كذبا أولئك يُعرَضون على ربّهم ويقول الأشهادُ هؤلاء الذين كذَبوا على ربّهم ألاَ لعنةُ الله على الظّالمين ﴿ الذين يصدون عن سبيل ا لله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ .

للسائل أن يسأل عن إعادة « هم »[١] في قوله : ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾[٢] في سورة هود ، وترك ذلك في سورة الأعراف[٣] ؟ .

والجواب أن يقال : إن الذي في سورة الأعراف جاء[٤] على أصله غير مزيد فيه ما يجرى مجرى التوكيد ، والذي في سورة هود جاء بعد قوله : ﴿.. ويقول الأشهادُ هؤلاء الذين كذَبوا على ربّهم ... ﴾ فأشير إليهم ، ثم قال : ﴿.. ألا لعنةُ ا لله على الظالمين ﴾ فأظهر ذكر « الظالمين » في موضع الإضمار ، ولو أجرى على الحكم في إضمار الاسم عقيب الذكر لَكان : « ألا لعنة ا لله عليهم » لأن المراد بـ« الظالمين » هم المشار إليهم بقوله : ﴿.. هؤلاء الذين كذَبوا على ربهم ﴾ .

فلمّا أظهر[٥] مكان الإضمار تضمّن معنى « هم »[٦] ، أى : الظالمون هم الذين كذبوا على ربهم[٧] ، وأشير[٨] بالكلام المتقدم إليهم ، فلما استمر الكلام على الإضمار بعد ذكر «الظالمين » صار[٩] الظاهر كأنهم غير المشار إليهم بقوله : ﴿هؤلاء الذين كذَبوا على ربهم﴾

---

(١) في (ب) : إعادتهم .

(٢) قوله : « في قوله : ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ » لايوجد في (أ) و(ب) وأثبت من (ك) .

(٣) في (أ،ب) : في هذه السورة . والمثبت من (ك) .

(٤) من قوله « والجواب » إلى هنا سقط من (ك) .

(٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : ظهر .

(٦) في النسخ الأخرى: معنى قوله « وهم» هم .

(٧) من قوله « فلما أظهر » إلى هنا سقط من (ك) .

(٨) في (ر): أشير، بدون الواو.

(٩) في (ب) : حاز ، وهو خطأ .

فأعيد « هم » في قوله : ﴿ هم كافرون ﴾[١٠] لتحقّق الكفر[١١] عليهم بنسبة الأوصاف المتقدمة إليهم ؛ وأوّلها كذبهم على ربهم ، ثم ظلمهم لأنفسهم ، وَصدّهم عن سبيل الله ، ووصفُهم لها بدل الاستقامة بالاعوجاج[١٢] ، وكفرهم[١٣] - في هذه الأفعال - بالله واستحقاقهم به ، عقوبة الله[١٤] في الآية.

فلمّا لم يصرَف الخبر الثاني في سورة[١٥] الأعراف مصرف ماليس هو بالأول لم يحتج إلى / توكيده[١٦] . [٣٨/أ]

ولّما عدل في سورة هود عن إعادة الضمير إلى الأول ، ووضع مكانه ظاهر[١٧] يحتمل أن يكون غير الأول ، وعنى بـ « هم »[١٨] أنهم هم ، كان الموضع موضع توكيد لتحقيق[١٩] الخبر عنهم بالكفر ، وتثبيته عليهم بأوكد لفظ ، لأنا[٢٠] لمّا قلنا : هم هم ، فهو[٢١] المعاد في قوله : ﴿وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ ، إلاّ أنّا[٢٢] نبيّن بذلك أن المكان مكان توكيد[٢٣] لنفرق[٢٤] بينه وبين الأول .

---

(١٠) في (ك) : وهم بالآخرة هم كافرون .

(١١) هكذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : الكلام .

(١٢) حيث يطلبون الاعوجاج لسبيل الله ويذمونها ، أو يطلبون لها تأويلا أو إمالة إلى الباطل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ويبغونها عوجاً ﴾ . قال **الآلوسي** في تفسيره (١٢٣/٨) : « فالعِوج - بالكسر - : إمّا على أصله وهو الميل ، وإما بمعنى التعويج والإمالة » اهـ .

(١٣) في (أ،ب) : فكفرهم .والمثبت من (ك،ح،خ،د) .

(١٤) نسخه (خ) خالية عن قوله: « في الآية » .

(١٥) لفظ « سورة » سقط من (أ) .

(١٦) في (ب) : توكيد .

(١٧) في (ك) : ظاهرا.

(١٨) في النسخ المعتمدة : به ، والمثبت من (ح،خ،د،ر) .

(١٩) في (أ) : ليتحقق .

(٢٠) في (ب،ك): لا أنّا .

(٢١) في (خ، ر، س): فُهم .

(٢٢) في (أ، ب): أن، والمثبت من (ك،خ،ر،و) .

(٢٣) يعنى بالتوكيد الإعلام بأنهم هم المذكورون لاغيرهم ، و لم يقع «هم» هاهنا ضمير فصل ، لأن ضمير الفصل إنما يكون بين معرفتين كما في قوله تعالى : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ البقرة :٥ (ينظر تفسير ابن عطية ٢٦٤/٧)

(٢٤) في(أ ، ب): ليفرق.

[٦٦] الآية الخامسة منها

قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يُرسل الرّياح بُشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّتْ سَحاباً ثِقالاً سقناه لبلدٍ ميّتٍ فأنزلنا به الماءَ ... ﴾[١] [الأعراف : ٥٧] .

وقال في سورة[٢] الفرقان : [٤٨] : ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾[٣] .

وقال في سورة الروم [٤٨] : ﴿ الله الذي يرسل الرّياح فتثير سحابا فيَبْسُطه في السّماء كيف يشاء ويجعله كِسَفاً فترى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِن خلاله ...﴾[٤] .

وقال في سورة الملائكة[٥] [٩] : ﴿ والله أرسل الرّياحَ فتثير سَحاباً فسُقناه إلى بلدٍ ميّتٍ فأحيينا به الأرضَ بعد موتها كذلك النشور ﴾[٦] .

للسائل أن يسأل فيقول[٧] : هذه[٨] الآي الأربع قد خصّت آيتان[٩] منها بقوله ﴿يرسل﴾ على لفظ المستقبل ، وآيتان[١٠] بقوله ﴿ أرسل ﴾ على لفظ الماضي ، فهل في كل مكان مايقتضى اللفظ الذي خصه ، أم كلٌّ جائز لو جُاء عليه[١١] ؟ .

والجواب أن يقال : بل لكلٍ مايوجب في الاختيار اللفظ الذي جاء عليه ، وإن كان وصفُ الله[١٢] عز وجل بأنه أرسل الرياح فبسط بها السحاب فساقه[١٣] فأنزل منه الأمطار فأحيا بها البلاد ، كوصفه بأنه يفعل ذلك في المستقبل ، لأنه قادر كما كان ، وقد عوّدنا[١٤] فِعل ذلك وأعلمَناه[١٥] مشاهدة .

---

(١) نسخة (أ) إلى قوله : « حتى إذا .. » ونسخة (ك) إلى آخر الآية . والمثبت من (ب) .

(٢) لفظ « سورة » سقط من (ك) .

(٣) في (ب،ك) : ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾ ﴿ لِنُحييَ به بلدة ميْتا ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً ﴾ الفرقان : ٤٨-٤٩ .

(٤) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : « فيبسطه .. » والمثبت من (ب) ونسخة (ك) إلى آخر الآية (٥٠) من سورة الروم .

(٥) أى سورة فاطر .

(٦) نسخة (أ) إلى قوله تعالى :﴿فسقنا ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

(٧) في (أ) : للسائل أن يقول ..

(٨) « هذه » سقطت من (أ) وأثبتت من (ب،ك) .

(٩) في (ب،ك) : اثنتان .

(١٠) في (ب،ك) : اثنتان .

(١١) صيغة السؤال في (ح،خ،ر): لم خصت آيتان من هذه الآيات الأربع بقوله:« يرسل » وآيتان بقوله « أرسل » ؟

(١٢) في (أ،ب) : وإن كان الله عز وحل وصفه . والمثبت من (ك) .

(١٣) في (ب) : فسقى منه الأمصار ، وفي (ك) : « الأمطار » بدل « الأمصار » .

(١٤) في النسخ المعتمدة : عوّد ، والمثبت من (خ) .

(١٥) في (ب ، ك): وأعلمنا. والمثبت من (ر).

إلاّ أن الآية التى في سورة الأعراف[١٦] جاء فيها ﴿يرسل﴾ بلفظ المستقبل ، لأن قبلها[١٧]: ﴿ ادعوا ربَّكم تضرُّعاً وخُفيةٍ إنّه لايحبّ المعتدين ﴾ ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾[١٨] [الأعراف : ٥٥-٥٦] فكان[١٩] في ذلك بعث على الدعاء والتضرّع ، وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزق الله[٢٠] الخلق من النعم[٢١] فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين[٢٢] ، وأدعى لهم إلى الدعاء[٢٣] .

وأما في سورة الفرقان ، ومجيء هذا اللفظ فيها بلفظ الماضي فلأن قبل الآية[٢٤] : ﴿ ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظل ولو شاء لَجعله ساكنا ثم جعلنا الشّمسَ عليه دليلا ﴾ ثم قبضناه إلينا قبضا يسيراً ﴾ وهو الذي جعل لكم الليل لِباساً والنوم سُباتاً وجعل النهار نشورا ﴾ وهو الذي أرسل الرياح ..﴾[٢٥] [الفرقان : ٤٥-٤٨] فلمّا عدّد أنواع ما أنعم به ، وكان إرسال الرياح من[٢٦] جملته عدّه مع ماتقدّمه[٢٧] ، وأخبر[٢٨] منه عمّا فعله وأوجده[٢٩] .

وأما في سورة الروم فإن قبل الآية[٣٠] : ﴿ ومن آياته أن يُرسل الرياحَ مبشِّراتٍ ولِيُذِيقَكم من رحمته ولِتجريَ الفلكُ بأمره ... ﴾[٣١] [الروم : ٤٦] ، فبنى قوله : ﴿ الله

---

(١٦) في (أ،ب) : في هذه السورة . والمثبت من (ح،خ،ر) . وفي (ك) : الآية الأولى في سورة الأعراف .

(١٧) أى قبل الآية (٥٧) من سورة الأعراف .

(١٨) نسخة (أ) إلى قوله : ﴿ وخفية ﴾، والمثبت من (ب،ك) .

(١٩) « في » سقطت من (أ) وأثبتت من (ب،ك) .

(٢٠) لفظ الجلالة لايوجد في (ب) .

(٢١) في (ب،ك) : من النعمة .

(٢٢) في (ب) : للراغبين . وفي (ك) : والداعين .

(٢٣) يعنى أنّ « يرسل » بلفظ المستقبل أنسب للخوف والطمع لأنهما يقعان في المستقبل .

(٢٤) أى قبل الآية (٤٨) من سورة الفرقان .

(٢٥) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : ﴿ ثم جعلنا ... ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

(٢٦) في (ب) و(ك) : في ، بدل « من» .

(٢٧) في (أ) : بعدما تقدمه . وفي(ب) : عدّه معدما تقدمه . والمثبت من (ك) .

(٢٨) في (أ) : فأخبر ، والمثبت من (ب،ك) .

(٢٩) ذلك في قوله تعالى : ﴿ مدّ الظلّ ﴾ و﴿ لَجعله ﴾ و﴿ ثم قبضناه ﴾ و﴿ جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتا﴾ و﴿ جعل النهار نشوراً ﴾ . ولما تقدّم التعبير بالماضى مرّات ناسب ذلك ذكر إرسال الرياح بلفظ الماضي فقال : ﴿ وهو الذى أرسل الرياح ﴾ .

(٣٠) أى قبل الآية (٤٨) من سورة الروم . ولفظ « فإن قبل الآية » سقط من (ك) .

(٣١) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : ﴿ وليذيقنكم .. ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

الذى يرسل الرياح... ﴾ على البناء الذي جعل عليه ماهو من آياته[٣٢] ، فحث على الاعتبار بما يعتاد من فعله[٣٣] تبارك ا لله سبحانه وتعالى[٣٤] .

وأما في سورة الملائكة ، واختيار لفظ[٣٥] الماضي فيها على المستقبل فلأن أولها[٣٦] : ﴿الحمد للهِ فاطرِ السموات والأرضِ جاعلِ الملائكة رُسُلا ... ﴾ [فاطر : ١] بمعنى فطر وجعل ، وخاتمة هذه العشر من مبتدإ السورة : ﴿ وا لله الذى أرسل الرياح ... ﴾ [فاطر:٩] فلمّا افتتح العشر من أول السورة[٣٧] بالتمدح بما صنع أتبعه ما كان من جنسه ممّا فعل ، فكان اختيار[٣٨] لفظ الماضي هاهنا لذلك[٣٩] ، فافهمه فإنه يفتح عليك مايشبهه[٤٠] إن شاء ا لله تعالى .

---

(٣٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح ... ﴾ الروم : ٤٦ .

(٣٣) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : من فضله .

(٣٤) جملة الثناء ليست في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣٥) في (ب) : اللفظ .

(٣٦) أي: أول سورة فاطر .

(٣٧) لفظ « أول » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣٨) في (أ) و(ب) : الاختيار . والمثبت من (ك) . وفي (ح) : فاختيار لفظ الماضى لذلك .

(٣٩) في (ب) : كذلك .

(٤٠) في (أ، ب) : يشتبه، والمثبت من (ك ، ر).

[٦٧] الآية السادسة منها .

قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ [الأعراف : ٥٩] .

[٣٨/ب] وقال في سورة هود [٢٥] : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ . /

وقال في سورة المؤمنين [1] [٢٣] : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ .

للسائل[2] أن يسأل عن حذف الواو من ﴿ لقد أرسلنا ﴾[3] في سورة الأعراف[4] ، والإتيان بها[5] في سورتي[6] هود والمؤمنين ؟ .

والجواب أن يقال : إن الآيات التي تقدمت قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه.. ﴾[7] في سورة الأعراف[8] إلى أن اتصلت به في وصف ما اختص الله عز وجل به من أحداث خلقه وبدائع فعله[9] من حيث قال : ﴿ إنّ ربّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيّام... ﴾ [الأعراف : ٥٤] إلى أن ذكر[10] الشمس والقمر ، والرياح والأمطار والنبات[11]، والسهل من الأرض والطيب[12] ، والحزن منها والصَّلْد[13]، ولم يكن فيها ذكر[14] بعثة نبيّ ومخالفة مَن كان له من عدوّ ، فصار كالأجنبيّ من الأول فلم يعطَف عليه ، واستؤنف ابتداء كلام[15] ليدلّ على أنه في حكم المنقطع من الأول .

---

(١) هكذا في جميع النسخ الخطية والمطبوعة ، على الإضافة، وفي المصحف سورة « المؤمنون » على حكاية اسم السورة الكريمة.

(٢) في (ك) : وللسائل .

(٣) في (ك) : من ﴿ لقد ﴾ .

(٤) في (أ،ك) : في هذه السورة ، والمثبت من (ك) .

(٥) في (ك) : وإثباتها .

(٦) في (أ) و(ب) : سورة ، والمثبت من (ك،د) .

(٧) في (ب) و(ك) : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً ﴾ .

(٨) في (أ،ب) : في هذه السورة . والمثبت من (ك) .

(٩) في (أ) : والبدائع من فضله ، وهو خطأ ، وفي (ب،ك): والبدائع من فعله. والمثبت من (ح،خ،ر).

(١٠) «ذكر » غير واضح في (أ) ، وأثبت من (ب،ك) .

(١١) في (أ،ب) : والنبات والأمطار ، والمثبت من (ك، ح،ر).

(١٢) في (أ) : الطيبة . وفي (ب،ك) : الطيب ، بدون الواو . واثبتنا الواو من (ح،خ) .

(١٣) السّهل من الأرض نقيض الحزن (اللسان ٣٤٩/١٣ سهل) .

والحزن : ما غلظ من الأرض وهو الخشن (اللسان ١١٣/١٣ حزن) .

والطيب من الأرض : الأرض الزكية ، الجيّدة التربة التى تصلح للنبات (ينظر : المفردات للراغب ص ٥٢٧ واللسان ٥٦٣/١ طيب)

والصَّلْد : المكان الذي لاينبت (المفردات ، ص ٤٩٠ ، اللسان ٢٥٧/٣ صلد) . ويشير المصنف رحمه الله هنا إلى الآيات (٥٤-٥٨) من سورة الأعراف .

(١٤) لفظ « ذكر » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٥) في (ب) : الكلام .

وليس[١٦] كذلك الآية التى[١٧] في سورة هـود ، لأنّ أولهـا افتتح إلى أن انتهـى[١٨] إلى قصة نوح بما هو احتجاج على الكفار بآبات ا لله التي أظهرها على أيدي أنبيائه ، وألسـنتهم صلوات ا لله عليهم[١٩] ، وتوعّدٌ لهم على كفرهم ، وذكر قصة من قصـص مـن تقدّمهـم[٢٠] من الأنبياء الذين جحد بآياتهم أممهـم[٢١] ، فعطفـت[٢٢] هـذه الآيـة على ماقبلهـا إذ كـانت مثلها. ألاترى أن[٢٣] أول السورة : ﴿ الر كتابٌ أُحكمت آياته ثم فصّلت من لـدُن حكيـم خبير﴾ ألاّ تعبدوا إلا ا للهَ إنّني لكم منـه نذير وبشـير ﴾ [هـود : ١-٢] وبعـد العشر منهـا : ﴿فلعلّك تاركٌ بعضَ مايوحَى إليك وضائقٌ به صدرُك أن يقولوا لولا أُنزل عليه كنز...﴾[٢٤] إلى قوله: ﴿.. قل فأتوا بعشر سـوَرٍ مِثْلِهِ مفتَرَيـاتٍ ..﴾[٢٥] [هـود : ١٢-١٣] ، ثـم وصـف حال من آمن با لله ورسله ، وأخبت[٢٦] إلى ربه ، وحال من افترى على ربه ، وحصـل على خسران نفسه[٢٧] . وشبّههما بحال من انطوى[٢٨] على ذكره في قوله[٢٩] : ﴿ مَثَلُ الفريقـين كالأعمى والأصـمّ والبصير والسـميع هـل يسـتويان مثـلا ... ﴾[٣٠] [هـود : ٢٤] فـاقتضى تشابه[٣١] القصتين عطف الثانية على الأولى[٣٢] .

---

(١٦) كذا في (ب،ك) . وفي (أ) : ليس ، بدون الواو . وفي (ح،خ) : ولا .

(١٧) « التي » أثبتت من (خ،و) .

(١٨) قوله « إلى أن انتهى » سقط من (أ،ط) وأثبت من (ب،ك) .

(١٩) قوله « والسنتهم صلوات ا لله عليهم » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) . وفي (ب) : على جماعتهم ، بدل «عليهم» .

(٢٠) في(ر): وذكر قصص من تقدمهم.

(٢١) في (أ) : أممهم آياتهم . وفي (ب) : آياتهم أممهم . والمثبت من (ك،ح،خ) .

(٢٢) في(أ ، ب ، ك): فعطف، والمثبت من(ح،خ،ر،س).

(٢٣) لفظ « أن » ليس في (ك) .

(٢٤) نسخة (أ) إلى قوله تعالى ﴿ وضائق بك صدرك ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

(٢٥) في (أ) : إلى قوله (مفتريات) . والمثبت من (ب،ك) .

(٢٦) أي اطمأن إلى ربّه وتواضع وخشع له . قال في اللسان (٢٧/٢ مادة خبت) :« أخبت إلى ربه أي اطمأن إليه » وذكر مـن معانيه: التواضع والخشوع . وفي تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٢٠٢) .« الإخبات : التواضع والوقار » .

(٢٧) في (ك) : ربه ، وهو خطأ .

(٢٨) في (ب) : ينطوي .

(٢٩) في النسخ المعتمدة: وشبههما في قوله بحال من انطوى على ذكره:﴿مثل..﴾ والمثبت من (خ،ر).

(٣٠) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : ﴿ ... والأصم﴾ والمثبت من (ب،ك) .

(٣١) لفظ « تشابه » غير واضح في (ك) .

(٣٢) إن الذى تقدم قصة نوح عليه السلام في هذه السورة هو ذكر رسالة محمد ﷺ . ومن أوجه التشابه بين قصة نوح وبين القصة الـتي تتضمن الحديث عن رسول الله ﷺ كثيرة بينهما ، وأبرزها:

أولا: دعوة كلٍّ منهما قومه إلى عقيدة التوحيد وإلى عبـادة ا لله الواحد الأحد، قـال تعالى في أول السـورة عـن رسـول ا لله ﷺ :﴿..ألاّ تعبدوا إلا ا لله..﴾[هود:١]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام:﴿..ألاّ تعبدوا إلا ا لله..﴾[هود:٢٦].

<=====

وأما في سورة « المؤمنين »[٣٣] فإن قبل هذه الآية منها : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [المؤمنون : ١٢] ثم قوله : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائقَ وما كنّا عن الخلق غافلين ﴾ [المؤمنون : ١٧] ثم انقطعت[٣٤] الآي إلى قوله : ﴿ وعليها وعلى الفُلك تُحْمَلون ﴾ [المؤمنون : ٢٢]، فكان ما[٣٥]تقدم في هذا المكان مثل ماتقدم الآية[٣٦] في سورة الأعراف إلا أنه باينة بأن كان فيه : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾ وقوله[٣٧] : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾[٣٨] ثم انقطعت[٣٩] إلى قوله : ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ والفلك التى يحمل عليها مما[٤٠] اتخذه نوح عليه السلام ، فدخلت[٤١] واو العطف في قصة نوح عليه السلام للفظين المتقدمين ، وهما : ﴿ ولقد ﴾[٤٢] في رؤوس الآيتين ، وللمعنى المقتضى من ذكر « الفُلك » الذى نجّى[٤٣] الله عليه مَن جعله أصل الخلق وبَذْر[٤٤] هذا النسل .

ثانيا : أن كلاً منهما نذير لقومه، قال تعالى في بداية السورة عن رسول الله ﷺ:﴿..إنّني لكم منه نذير وبشير ﴾ [هود : ٢]، ثم قال عن نوح عليه السلام:﴿.. إنّي لكم نذير مبين﴾[هود:٢٥].

ثالثا: أن كلاً منهما أنذر قومه عذاب يوم عظيم، قال تعالى حكاية عن محمد ﷺ :﴿..وإنْ تولّوا فإنّي أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾[هود:٣]، وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام:﴿..إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾[هود:٢٦].

(٣٣) في (ك) : المؤمنون.

(٣٤) في (ب) : انعطفت .

(٣٥) في (ب) : مّما .

(٣٦) لفظ « الآية » سقط من (ك) .

(٣٧) لفظ « وقوله » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣٨) في (ب) : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم ﴾ .

(٣٩) في (ب) : انعطفت .

(٤٠) في (ب) : إنما .

(٤١) في (أ،ب) : فدخل ، والمثبت من (ك،ح،خ) .

(٤٢) في (أ) : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾ . والمثبت من (ب،ك) .

(٤٣) لفظ « نجّى » غير واضح في (ب) .

(٤٤) في (أ) : بدء . وفي(ب) : بذر ، والمثبت من (ك،د،و) . والبذر - بفتح الباء -: ما عُزل للزراعة من الحبوب، والنسلُ . (القاموس المحيط ٤٤٤ بذر) .

[٦٨] الآية السابعة منها.

قوله تعالى متصلا بقوله : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومِ اعْبدوا ا لله ما لكم من إلهٍ غيرُه إنّي أخاف عليكم عذابَ يومٍ عظيم ﴾[1] [الأعراف : ٥٩] .

وقال في سورة هود [٢٥-٢٦] : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنّي لكم نذير مبين ﴾ ألاّ تعبدوا إلاّ ا لله إنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ أليم ﴾ .

وقال في سورة « المؤمنين »[2] [٢٣]/ : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومِ اعبدوا ا لله ما لكم من إلهٍ غيرُه أفلا تتقون ﴾ . [٣٩/أ]

للسائل أن يسأل عن اختلاف المحكيات كقوله بعد : ﴿ مالكم من إله غيره ﴾ : ﴿إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ وقال في سورة هود[3] : ﴿ إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ وفي « المؤمنين » : ﴿ مالكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ والقصة قصة واحدة؟ .

والجواب أن يقال : إنّ[4] للأنبياء -صلوات ا لله عليهم- مقاماتٍ[5] مع أممهم يكـرِّر[6] فيها الإعذار والإنذار ، ويرجَع فيها عوداً على بدءٍ ؛ الوعدَ والوعيد ، ولايكون دعاؤهم إلى الإيمان با لله ، ورفض عبادة ماسوى ا لله تعالى في موقف واحد بلفظ واحدٍ[7] لايتغيّر عن حاله ، مثل[8] الواعظ يفتنّ[9] في مقاله ، والجاحدُ المنكِرُ تختلف أجوبته في مواقفه ، فإذا جاءت المحكيّات على اختلافها لم يطالب ، وقد اختلفت[10] في الأصل باتفاقها ، لأنه قال لهم مرّة باللفظ الذى حكي[11] ، ومرة أخرى[12] بلفظ آخر في معناه كما ذكر[13] .

---

(١) في (ك) : ولقد ، وهو خطأ . وقوله « نوحا » سقط من (ب) .

(٢) في (ر) : المؤمنون.

(٣) قوله « وقال في سورة هود » سقط من (ب،ك) .

(٤) لفظ « إنّ » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٥) في (ك) : مقالات .

(٦) في (أ،ب) : يكون ، والمثبت من (ك،ح،خ،ر) .

(٧) في (ب) : واحداً .

(٨) في النسخ المعتمدة : بل ، والمثبت من (ق) .

(٩) قال الجوهرى في الصحاح (٦/٢١٧٧ فنن) : « افتنّ الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالأفانين . والأفانين: الأساليب ، وهى أجناس الكلام وطرقه)) اهـ . وفي (ب) : يفنن . وفي(خ) : يتفنن .

(١٠) في (ح،خ) : وقد اختلف .

(١١) في (ك) : لأنه قال باللفظ الذى حكى مرة .

(١٢) لفظ « أخرى » أثبت من (ك) .

وكذلك الجواب[١٤] يرد من أقوام يكثر[١٥] عددهم ويختلف[١٦] كلامهم ومقصدهم ، وصدق الخبر يتناول الشيء على ماكان عليه ، فلاوجه إذاً للاعتراض على هذا[١٧] ونحوه .

---

(١٣) لقد أوضح ابن الزبير كلام المصنف وأجاد فقال : « أنّ دعاء الرسل أممهم مما يتكرّر ويتوالى في أوقات مختلفة ، ومحال متباينة، فمرة يرغّبون ، ومرة يخوّفون وينذرون ، وذلك بحسب حال ، ولكل مقام مقال . فاختلاف المحكي من مقالهم إنما هو بحسب اختلاف الأوقات..، وكلّ المحكي من معنى مقالاتهم لا إشكال فيه . ألاترى نبينا ﷺ كان يدعو قبائل العرب إلى الله بما يناسب أحوالهم ومقالهم . ألا ترى قوله ﷺ لقبيلة كانت تعرف بني عبدالله:« يابني عبد الله إن الله قد حسّن اسم أبيكم . فكان يفتتح دعاء كل طائفة بمثل هذا ، فلكل مقام مقال ، فلا سؤال في المحكي من قول نوح عليه السلام لقومه ، واختلاف ذلك » (ملاك التأويل ١/٣٨٧٠-٣٨٨٢ بتصرف يسير) .

(١٤) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : والجواب .

(١٥) في (ك) : كثر .

(١٦) « ويختلف » غير واضح في (ك) .

(١٧) في (أ،ب) : بهذا . وفي(ك) : لهذا والمثبت من (ح،خ) .

[٦٩] الآية الثامنة منها

متصلة بهذه الآية[١] قولُه تعالى[٢] : ﴿ قال الملأُ من قومه إنّا لَنَراكَ في ضلالٍ مبينٍ ﴾ قال يا قومِ ليس بي ضلالةٌ ولكنّي رسولٌ من ربِّ العالمين ﴾ [الأعراف : ٦٠-٦١] .

وقال في سورة هود [٢٧]:﴿ فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا..﴾[٣].

وقال في سورة المؤمنين [٢٤] : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلاّ بشرٌ مثلُكم ...﴾[٤] الآية .

للسائل أن يسأل فيقول[٥]:لأيِّ معنىً خلت « قال»[٦] في سورة الأعراف من الفاء وقد جاء مثلها في السورتين بالفاء وهو « فقال »[٧]؟

والجواب أن يقال : إن الموضعين اللذين دخلتهما الفاء ما بعدهما ممّا اقتضاه كلام[٨] النبي ﷺ ممّا رآه الكفار جواباً له، فكان[٩] بناء الجواب على الابتداء يوجب دخول الفاء .

وليس كذلك الآية في سورة الأعراف[١٠] ، لأنهم في جوابهم صاروا كالمبتدئين له بالخطاب ، غير سالكين طريق الجواب ، لأنهم قالوا : ﴿ ... إنّا لَنراك في ضلال مبين ﴾ قال يا قومِ ليس بي ضلالة ...﴾ [الأعراف : ٦٠-٦١] فكان كلامهم له كالكلام الذي يبتدئ به الإنسان صاحبَه ، فلذلك جاء بغير فاءٍ مخالفاً[١١] طريقة ما الكلام بعده مبنيٌّ بناء الجواب .

وممّا أخرج من الأجوبة مخرج الابتداء بالكلام وإنْ كان في ضمنه[١٢] الجواب قولُه[١٣] تعالى : ﴿ ولمّا جاءت رسلُنا إبراهيمَ بالبشرى قالوا إنّا مهلِكو أهلِ هذه القريةِ إنّ أهلَها

---

(١) يشير بها إلى الآية السابقة التي تناولها في المبحث السابق، وهي قوله تعالى: ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيرُه إنّي أخاف عليكم عذابَ يومٍ عظيم ﴾ الأعراف: ٥٩. وانظر من هذا الكتاب:٣٦٥/١ .

(٢) في (ب): الآية متصلة بهذه الآية من سورة الأعراف.، و((الآية)) من ((بهذه الآية)) سقطت من (أ)، وفي (ك): الآية الثامنة متصلة بهذه الآية من سورة الأعراف. والمثبت من (م) .

(٣) في (ب،ك) : ﴿ ... مثلنا ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ... ﴾ .

(٤) في (ب،ك) : ﴿ ... إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ...﴾ .

(٥) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٦) لفظ « قال » سقط من (أ،ب،ط) وأثبت من (ك) .

(٧) صيغة السؤال في (ح،خ) : فلم خلا « قال » من الفاء في سورة الأعراف خاصة ؟.

(٨) لفظ « كلام » سقط من (ك) .

(٩) في (ك) : وكان .

(١٠) يعني قوله تعالى : ﴿ قال الملأ من قومه ...﴾ فإنه جاء بغيراء الفاء ،

(١١) في (أ): بغير فاء مخالفة لفاء طريقة.. ، والمثبت من (ب ، ك).

(١٢) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : في ضميره .

(١٣) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) و (ط) : مثل قوله .

كانوا ظالمين ﴾ قال إنّ فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وأهلَه إلا امرأتَه كانت من الغابرين ﴾[١٥] [العنكبوت : ٣١-٣٢] فلم يأت بالفاء في اللفظين اللذين[١٦] كان ما بعد كل واحدٍ منهما كالجواب لما قبله .

وممّا يؤكّد صحة هذا القول[١٧] قولُه تعالى فيما كان من[١٨] جواب عاد لهودٍ : ﴿ وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنّا لنراك في سفاهة وإنّا لنظنك من الكاذبين ﴾[١٩] [الأعراف : ٦٥-٦٦] ولم يقل / : « فقال الملأ » لأنّ ما بعد « قال » هنا مسلوكٌ به طريقُ الابتداء بالخطاب[٢٠]، إذ رُمي بالسفاهة كما رمي نوح – عليه السلام – بالضلالة[٢١] ، فلم تدخل[٢٢] على واحد منهما الفاء التي تجعل الثاني متعلّقاً بالأول تعلُّق الجواب بالابتداء . [٣٩/ب]

---

(١٤) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) و (ط) : مثل قوله .

(١٥) في (أ) : ﴿ ... قال إن فيها لوطاً ﴾ الآية . والمثبت من (ب) و (ك) .

(١٦) في (ك) : اللفظتين اللتين . وهما « قال » في قوله تعالى : ﴿ قال إن فيها ﴾ و ((قالوا)) في قوله تعالى : ﴿قالوا نحن أعلم ..﴾ .

(١٧) في (ب) : صحة ذلك . وفي (ك) : صحة هذا .

(١٨) لفظ ((من)) سقط من (ك) .

(١٩) في (أ) : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ الآيتين . ونسخة (ك) إلى قوله تعالى : ﴿ إنا لنراك في سفاهة ﴾ والمثبت من (ب) .

(٢٠) في (ب) : فالخطاب .

(٢١) في (ك) : بالضلال .

(٢٢) في (ك) : يدخل .

[٧٠] الآية التاسعة منها[١]

قوله تعالى : ﴿أبلّغكم رسالاتِ ربّي وأنصحُ لكم وأعلمُ من الله مالا تعلمون﴾[٢] [الأعراف : ٦٢] .

وقال في قصة[٣] هود : ﴿ أبلّغكم رسالاتِ ربِّي وأنا لكم ناصحٌ أمين ﴾[الأعراف:٦٨] .

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: ﴿ وأنصح لكم ﴾ وبين قوله[٤]: ﴿ وأنا لكم ناصح أمين ﴾ وما الذي اقتضى الاسم في الآخِر والفعل في الأول ، وهل كان يصحّ أحدهما مكان صاحبه ؟

والجواب عن ذلك من وجهين :

أحدهما أن يقال : إن معنى كلام نوح عليه السلام ما نطق[٥] به القرآن ، ومعنى كلام هود عليه السلام ما ذكره[٦] الله تعالى حاكياً عنه ، وليس لقائل أن يقول : إذ كان القولان صحيحين في موضعهما فهلاّ قال أحدُهما قولَ الآخر ؟

والوجه الثاني أن يقال : إن قول نوح عليه السلام جوابُ مَن ضلّل ، لأنه قيل له:﴿..إنّا لَنراك في ضلالٍ مبين ﴾ [الأعراف : ٦٠] وهود عليه السلام قيل له : ﴿.. إنا لنراك في سفاهة ...﴾ [الأعراف : ٦٦] .

والضلال من صفات الفعل ، تقول : ضلّ فهو ضال ، والسفاهة من صفات النفس وهي[٧] ضد الحلم[٨] ، وهو معنى ثابت يولِد الخفّة، والعجلة المذمومتين ، والحلم[٩] معنى ثابت يولِد الأناة المحمودة ، فكان[١٠] جواب مَن عِيب بفعل مذموم نفيه[١١] بفعل محمود ، لا

---

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) هذه الآية الكريمة وردت أثناء قصة نوح عليه السلام ، إذ أنه عليه السلام قال هذا القول لأشراف قومه ورؤسائهم تبريئاً لذمته بتبليغهم رسالة ربّه ونصحه لهم .

(٣) في (ب) : سورة ، وذلك خطأ .

(٤) في (ك) : وقوله ، بدل « وبين قوله » .

(٥) في (ب) : ينطق .

(٦) في النسخ المعتمدة : ذكر . والمثبت من (خ،د) .

(٧) في النسخ(أ،ب،ك): وهو، ولعل الصواب ما أثبته، لأنه راجع إلى « السفاهة ». والله أعلم.

(٨) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : الحكم ، وهو تصحيف .

(٩) في (أ) : الحكم ، وهو خطأ . والمثبت من النسخ الأخرى .

(١٠) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : فكلّ .

(١١) خبر « كان » . وفي (ب) : يقيه .

بل بأفعال تنفي[١٢] ما ادّعوه عليه ، وهي أن قال : لستُ ضالاً ولكني رسول من ربّ العالمين أؤدي إليكم ما تحمّلتُ من أوامره ، وأدعوكم بإخلاص إلى صلاح أمركم ، وأعلم – من سوء عاقبة ما أنتم عليه – ما لا تعلمون[١٣] . فنَفَى[١٤] الضلالَ بهذه الأفعال .

وهود عليه السلام لمّا رُمي بالسفاهة وهي من الخصال المذمومة الثابتة[١٥] ، وليست من الأفعال[١٦] التي ينتقل الإنسان عنها إلى أضدادها في الزمن القصير مراراً كثيرة ، فكان نفيُها بصفات ثابتة تُبطلها أولى ، كما كان نفي الفعل المذموم بالفعل المحمود أولى[١٧] .

فقوله : ﴿ وأنا لكم ناصح أمين ﴾[١٨] أي أنا ثابت لكم على النصح ثقة في النفس[١٩]، لا أنتقل[٢٠] من[٢١] النصح إلى الغش، ولا أتبدّل[٢٢] خيانة بالأمانة . وكان جواب كلٍ من الكلامين ما لاق به واقتضاه[٢٣] .

(١٢) في (ب) : تتقى ، وهو خطأ .

(١٣) يشير – رحمه الله – إلى معنى الآيتين (٦١–٦٢) من سورة الأعراف . وهما : ﴿ قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ﴿ أبلّغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ .

(١٤) الفاعل : نوح عليه السلام .

(١٥) في (أ) : : البطيئة . وفي (ب) : الباقية . والمثبت من (ر) وهو الصواب .

(١٦) من قوله « وهود لمّا رمي » إلى هنا سقط من (ك) .

(١٧) في (ب) : أول ، وهو خطأ .

(١٨) في (أ،ب،ك) : ﴿ ناصح ﴾، وفي (خ) :﴿وأنا لكم ناصح﴾، والمثبت من (م).

(١٩) في (ر ، م): من النفس .

(٢٠) في (أ ، ك): لا تنتقل، وفي (ب): ينتقل، والمثبت من (م).

(٢١) في (أ): عن .

(٢٢) في (أ ، ك): ولا تتبدل ، وفي (ب) : ولايتبدّل ، والمثبت من (م).

(٢٣) قال ابن جماعة (ص ١٧٩) : « أنّ **الضلال** فعل يتجدد بترك الصواب إلى ضده ، ويمكن تركه في الحال ، فقابله بفعل يناسبه في المعنى فقال : ﴿ وأنصح ﴾ . والسفاهة صفة لازمة لصاحبها فقابلها بصفة في المعنى فقال : ﴿وأنا لكم ناصح ﴾ » .

وقال ابن عاشور (٢٠٣/٨) : « قال في قصة نوح : ﴿ وأنصح لكم ﴾ وقال في قصة هود عليهما السلام: ﴿ وأنا لكم ناصح أمين ﴾ فنوح قال ما يدل على أنه غير مقلع عن النصح للوجه الذي تقدم ، وهود قال ما يدل على أن نصحه لهم وصف ثابت فيه ، متمكن منه ، وأن ما زعموه سفاهةً هو نصحٌ» اهـ .

[٧١] الآية العاشرة منها [١]

قوله تعالى : ﴿ فكذّبوه فأنجيناه والّذين معه في الفُلك وأغرقْنا الّذين كَذّبوا بآياتنا إنّهم كانوا قوماً عَمِين ﴾[٢] [الأعراف : ٦٤] .

وقال في سورة يونس [٧٣] : ﴿ فكذّبوه فنجّيناه ومَن معه في الفُلك وجعلناهم خلائفَ وأغرقْنا الّذين كذّبوا بآياتنا فانظرْ كيف كان عاقبةُ المنذَرين ﴾[٣].

للسائل أن يسأل فيقول[٤] : لم اختصت الآية الأولى بقوله ﴿ فأنجيناه والذين معه ﴾[٥] والثانية بقوله : ﴿ فنجّناه ومَن معه ﴾ وزاد فيها ﴿ وجعلناهم خلائف ﴾[٦] ؟ .

والجواب أن يقال : السورتان مكيتان جميعاً ، إلاّ آية[٧] في سورة الأعراف[٨] ، وقوله[٩] : « أنجينا » أصل في هذا الباب ، لأن « أفعلتُ »[١٠] في باب النقل أصل لـ«فعلتُ» وهو أكثر ، تقول : نجا ، وأنجيته[١١] كما تقول : ذهب وأذهبتُه ، ودخل وأدخلتُه .

فأمّا « فعّلته » فمن القلّة[١٢] ، بحيث يمكن عدّه ، نحو / « فزع وفزّعته » و «خاف وخوّفته » وقد يجاء معه الهمزة[١٣] فيقال : أفزعتُه وأخفتُه ، ولايجاء مع تشديد العين الهمزةُ[١٤] ، ولا تقول : ذهّبته ، ودخّلته في « أذهبتُه، وأدخلتُه »[١٥]. [٤٠/أ]

---

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : ﴿ وأغرقنا ....﴾ وتتمة الآية من (ك) وفي (ب) خلل .

(٣) نسخة (أ) إلى قوله تعالى :﴿وجعلناهم...﴾ وتتمة الآية من (ب) ونسخة (ك) إلى قوله تعالى : ﴿فانظر..﴾

(٤)في (أ) : للسائل أن يقول .

(٥) في النسخ المعتمدة : أنجيناه ، والمثبت من (ح،خ،ر) .

(٦) السؤال سقط من (ك) .

(٧) في (أ) : والآية ، بدل « إلا آية » . وفي (ب) : الآية . وفي (ك) : إلاّ أنه، والمثبت من (ح،خ،ر،س).

(٨) ما ذكره المصنف رحمه الله من أنّ آيةً من سورة الأعراف ليست مكية هو قول قتادة . قال السيوطي في الدر المنثور (٤١٢/٣) : « أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة قال : آية من الأعراف مدنية ، وهي : ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ...﴾ [الأعراف : ١٦٣] إلى آخر الآية ، وسائرها مكية ».

وفي رواية عن ابن عباس أنّها مكية بدون استثناء ، آية منها .

وأما سورة يونس فإنها مكية ، قال السيوطي (٣٣٩/٤) : « أخرج النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة يونس بمكة » اهـ .

(٩) في (أ) : قوله تعالى ، والمثبت من (ب،ك) .

(١٠) في (ك) : أفعل .

(١١) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : ونجيته ، وهو خطأ هنا .

(١٢) لاخلاف لدى النحاة أن تشديد العين في « فعل » يفيد تكثير الفعل ، قال سيبويه في الكتاب(٦٤/٤): «تقول كسرتُها وقطعتُها ، فإذا أردت كثرة العمل قلت : كسّرتُه وقطّعتُه ومزّقتُه » اهـ .

<==

فالآية الأولى جاءت على الأصل الأكثر(١٦) ، ولهذا أكثر ما جاء في القرآن جاء على «أنجيناه»(١٧) كقوله تعالى:﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا ..﴾[الأعراف:٧٢] وكقوله(١٨):﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾[الشعراء:٦٥]، وكقوله(١٩):﴿.. فأنجاه الله من النار..﴾[العنكبوت:٢٤]

وليست الجيم المزيدة المشدّدة(٢٠) في﴿ نجّيناه ﴾ للكثرة، وإنّما هي المعاقِبة(٢١) للهمزة بدلالة قوله تعالى في ذي النون(٢٢):﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ ..﴾[الأنبياء:٨٨] ولا كثرة هناك.

وأما قوله : ﴿ والذين معه في الفلك ﴾(٢٣) فهو(٢٤) الأصل ، و « من » تجيء بمعناها(٢٥) ، وتكونان مشتركتين(٢٦) في معان ، و « الذين » خالصة للخبر ، مخصوصة(٢٧) بالصلة(٢٨) ، فاستعمل الأصل(٢٩) في اللفظين ، وهما (٣٠) : « أنجينا » و « الذين».

= ولكن المصنف رحمه الله يشير بقوله « فمن القلّة » إلى قلة استعمال « فعّل » بتشديد العين في باب نقل الفعل إلى التعدية بمعنى « أَفْعَلَ » . وهو ما قرّره سيبويه في «الكتاب» (٤/٥٥) فقال :« فأكثر ما يكون على « فعل » إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبنَى الفعل منه على « أفعلت » ...، وقد يجئ الشيء على «فعّلت» فيشرَك «أفعلت» كما أنهما قد يشتركان في غير هذا ، وذلك قولك : فرِح وفرّحته ، وإن شئت قلت : أفرحتُه ، وغرِم وغرّمتُه ، وأغرمتُه إن شئت ، كما تقول : فزّعتُه وأفزعتُه » اهـ .

(١٣) في (أ،ب) : بالهمزة . والمثبت من (ك،ح،خ) .

(١٤) في (أ،ب) : بالهمزة . والمثبت من (ك،ح،خ) .

(١٥) يشير إلى أن المعنى يختلف في هذين المثالين ، حيث إن « فعّل » هنا ليس بمعنى « أفعل » وإنما يفيد معنى التكثير، وهذا كما قال سيبويه (٤/٦٣):« وقالوا : أغلقتُ البابَ، وغلّقتُ الأبواب حين كثّروا العمل »اهـ

قوله « في أذهبته وأدخلته » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٦) وهو « أَفْعَلَ » حيث إنه أصل في باب الفعل إلى التعدية .

(١٧) في (ك،خ) : « أنجيناه » .

(١٨) في (أ) : قوله ، والمثبت من (ب،ك) .

(١٩) في (ب) : وقوله .

(٢٠) لفظ « المشددة » سقط من (ب،ك) .

(٢١) أي هي الجيم التي تزاد أحياناً بمعنى « أنجاه » مثل « فزّعتُه وأفزعتُه» كما تقدم . ويعني بالمعاقِبة :أي التي تخلف الهمزة وتأتي مكانها مرة دون أخرى ، ويقال : إبل معاقبة : ترعى مرة في حَمْض – أي نبت حامض أو مالح – ومرة في خُلّة – أي نبت حلو – » . (اللسان ٦١٥/١ عقب) .

(٢٢) ذو النون وصف ، أي صاحب الحوت ، لُقب به يونس بن متّى عليه السلام لابتلاع النون إياه . والنون: الحوت. بعثه الله تعالى إلى أهل قرية «نينوى » وهي قرية من أرض الموصل . (ينظر : تفسير القرطبي ٣٢٩/١١ ، تفسير ابن كثير ٣٠٦/٣) .

(٢٣) ذلك في الآية (٦٤) من سورة الأعراف .

(٢٤) في (أ) : وهو . والمثبت من (ب،ك) .

(٢٥) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : لمعناها .

ولمّا كرّر هذا الذكر كان العدول إلى اللفظين الآخرين اللذين هما بمعناهما ، وهما : « نجينا » و « من » أشبه بطريقة الفصحاء وعادة البلغاء .

وأمّا[٣١] قوله : ﴿ وجعلناهم خلائف ﴾ في الآية الثانية فإنه زيادة في الخبر عن أحوال الذين نجوا من الغرق فصاروا خلفاء للهالكين . وقيل : كانوا ثمانين نفساً[٣٢] ، وهلك سائر أهل الأرض .

فإن قال قائل[٣٣] : كان الإغراق[٣٤] قبل أن جعلوا خلائف ، فكيف قدّم عليه ؟

قلنا[٣٥] : يجوز أن يكون معنى ﴿ وجعلناهم خلائف ﴾ إنما قُدّم لأنه من صفة الذين أنجاهم[٣٦] ، فلمّا أخبر عنهم بذلك ضم إليه الخبر الثاني ، ويجوز أن يكون معنى ﴿وجعلناهم خلائف ﴾ أي حكمنا لهم بذلك ، ثم كان الإغراق بعده على أن « الواو » لاترتيب فيها، ولايمتنع أن يكون المذكور بعدها مقدَّماً على ما قبلها .

---

(٢٦) في (ب،ك) : وتكون مشتركة .

(٢٧) في (ب،ك) : محشوّة .

(٢٨) أي « الذين » لفظ لايخرج عن الموصولية ، بخلاف « من » فإنها تخرج إلى الاستفهام والشرط .

(٢٩) لفظ « الأصل » سقط من (أ) وأثبت من (ك،ر) . وفي (ب) : ما يستعمل في الأصل .

(٣٠) لفظ « وهما » أثبت من (ر،و) .

(٣١) في (ب،ك) : فأما .

(٣٢) هذا القول منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما كما في تفسير ابن ابي حاتم (الأثر : ٥٥٨ ، في الجزء الذي حققه الأخ حمد أبو بكر في جامعة أم القرى)، وتفسير الطبري (رقم ١٨١٨١) وتفسير الماوردي (١٩٤/٢) وتفسير ابن كثير (٣٥٨/٢) . وقال ابن جرير (٤٣/١٢): « والصواب من القول بذلك أن يقال كما قال الله: ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ [هود : ٤٠] يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحدّد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح ...» اهـ .

(٣٣) لفظ « قائل » ليس في (أ،ك) وأثبت من (ب) .

(٣٤) في النسخ المعتمدة : فالإغراق . والمثبت من (ح،ر) .

(٣٥) في النسخ المعتمدة : قيل . والمثبت من (ح،خ) .

(٣٦) في (أ) : من صلة أنجاهم . وفي (ب) : من صفة أنجاهم . والمثبت من (ك،ح،خ) .

[٧٢] الآية الحادية عشرة منها[١] .

قوله تعالى في قصة صالح : ﴿... قد جاءتكم بيِّنةٌ من ربكم هذه ناقةُ الله لكم آيةً فذروها تأكلْ في أرض الله ولاتمسّوها بسوءٍ فيأخذَكم عذابٌ أليم ﴾[٢] [الأعراف : ٧٣] .

وقال في سورة هود [٦٤] : ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكلْ في أرض الله ولاتمسّوها بسوءٍ فيأخذَكم عذابٌ قريب ﴾[٣] .

وقال في سورة الشعراء [١٥٥-١٥٦]: ﴿ قال هذه ناقةٌ لها شِربٌ ولكم شِربُ يومٍ معلوم ۞ ولاتمسّوها بسوءٍ فيأخذَكم عذابُ يومٍ عظيم ﴾[٤] .

للسائل أن يسأل عن اختلاف الخبر الواحد في الأماكن الثلاثة ، وهو[٥] حكاية ما قاله صالح عليه السلام لقومه لمّا حذّرهم التعرّض للناقة[٦] ؟

والجواب أن يقال : إن[٧] هؤلاء سألوا أن يُخرج لهم من هضْبة ملساء[٨] ناقةً ، فسأل الله تعالى صالحٌ عليه السلام ، وفي[٩] خبر آخر: أنه بدأهم بهذه الآية ، لا عن مسألة كانت منهم[١٠] ، فانفرجت عن ناقة[١١] بعدما تمخّضتْ تمخُّضَ المرأة[١٢]، والناقة

---

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) أول الآية : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنةٌ من ربكم..﴾ وفي (أ) : ﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ الآية، والتتمة من (ب،ك) .

(٣) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : ﴿ فذروها ﴾ والتتمة من (ب،ك) .

(٤) لفظ « قال » من أول الآية سقط في (ك) .

(٥) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : وهي .

(٦) في (ب) : لتعرّض الناقة .

(٧) « إن » ليس في (أ) .

(٨) أي من صخرة صُلبة ليس بها شيء . والهضبة - كما قال ابن منظور - :« كل جبل خُلق من صخرة واحدة، وقيل : كل صخرة راسية صلبة ضخمة » (اللسان ٧٨٤/١ هضب)، والملساء مؤنث « الأملس » قال ابن دريد في جمهرة اللغة (٨٦٠/٢) :« والشيء الأملس مثل الصخرة الملساء ونحوها ، وأرض إمْلِيس والجمع أماليس ، وهي الملساء التي لاشخوص ولا شجر فيها » .

(٩) من هنا إلى قوله « فانفرجت » سقط من (ك) .

(١٠) لم أجد هذا الخبر . والذي ذهب إليه جمهور المفسرين : هم الذين كانوا سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية . قال ابن عطية (٥٥٩/٥) :« قال بعض الناس : إن صالحاً جاء بالناقة من تلقاء نفسه، وقالت فرقة وهي الجمهور: بل كانت مقترحة » اهـ . وقال الطبري (٢٤٤/٨) : « إنما استشهد صالح - فيما بلغني - على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله » اهـ .

(١١) أي تحرّكت تلك الهضبة أو الصخرة - كما في بعض الروايات - ثم انشقت فخرجت من وسطها الناقة .

عُشَرَاءُ(١٣)، فنتجت(١٤) بعد ذلك فصيلا(١٥) ، فكانت ترد ماءً لهم(١٦) بين جبلين يوماً(١٧) فتشربه كلّه وتسقيهم اللبن بدله ، وللقوم شِرْب(١٨) يوم يخصّهم ، فثقل عليهم أمر شربها وانقطاع الماء يوماً عن مواشيهم بسببها(١٩) ، وحذّرهم صالح - عليه السلام - التعرّض لها إلى أن عقرها(٢٠) أحمر ثمود ، فصار سبب هلاكهم(٢١).

فالآية الأولى من(٢٢) سورة الأعراف عامّة في جُمَل(٢٣) ما كان من وعظه لهم ، لأنه قال : ﴿قد جاءتكم بيّنة من ربكم﴾ أي آية تشهد بصحتها نفوسُكم أنها من قدرة الله تعالى المختصة بفعله ، لايفعَل غيره(٢٤) ، ثم قال : ﴿ هذه ناقة الله لكم آيةً ﴾ [هود : ٦٤] أي: هذه(٢٥) ناقة ليست ملك أحدٍ منكم ، وإنما هي لله استخرجها من الصخرة أو الهضبة أمارةً لصدق / نبيه ﷺ لتؤمنوا عندها(٢٦) ، فاتركوها تَرْعَ(٢٧) في الصحارى(٢٨) التي هي أرض الله من الكلأ الذي هو من(٢٩) نعمة الله تعالى ، ولا تتعرّضوا لها بسوء فيأخذكم عذاب أليم(٣٠) ينال منكم ويؤلمكم . [٤٠/ب]

---

(١٢) أي مثل ما يدنو ولاد المرأة ويأخذها الطلق (المصباح المنير ٢/٥٦٥) . قلت: وهذا كلام لم يثبت بخبر صحيح فيما نعلم، وهو تكلُّف ظاهر ، لأن المعجزة لا يلزمها هذا التكلف. والله أعلم.

(١٣) يعني أن الناقة التي خرجت : عُشَرَاء ، كما جاء في بعض الروايات : ثم انصدعت عن ناقة عشراء جَوْفَاء وَبْراء . قال ابن دريد في جمهرة اللغة (٢/٧٢٨) : « ناقة عشراء : إذا بلغت في حملها عشرة أشهر ، وقرُب ولادها » اهـ .

(١٤) قال الإسكافي ـ مؤلِّفنا ـ في كتابه **مبادئ اللغة** (ص١٤٣):« وقد نُتجت الناقة ، والقائم عليها ناتج »، وفي المصباح (٢/٥٩٢):« يقال نُتجت الناقة ولداً إذا وضعته ، وقد يقال : نتجت الناقة ولداً بالبناء للفاعل ».

(١٥) الفصيل ولد الناقة إذا فُصل عن أمه (مبادئ اللغة ص١٤٣ والمصباح ٢/٤٧٤) .

(١٦) في (ك) : ماءهم .

(١٧) كذا في أكثر النسخ . ولفظ « يوماً » ذكر في (أ) بعد « كلّه » .

(١٨) أي نصيب من الشراب . قال الراغب في المفردات (ص٤٤٨):((والشِّرْب : النصيب منه)).

(١٩) قوله « بسببها » سقط من (ب) .

(٢٠) أي نحرها، وفي المصباح (٢/٤٢٠):« عقر البعير ـ من باب ضرب ـ : ضرب قوائمه بالسيف، وقيل: عقره أيضا: إذا نحره

(٢١) ينظر لقصة صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم مع قومه ثمود : تفسير الطبري (٨/٢٢٤ـ٢٣١)، وتفسير ابن عطية (٥/٥٥٩ـ٥٦٤) وتفسير البغوي (٢/١٧٥ـ١٧٨)، وتفسير ابن كثير (٢/٣٦٤)، .

(٢٢) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ،ك) : في .

(٢٣) في (ر) : في جملة .

(٢٤) في (ق) : بفعله الذي لايفعله غيره .

(٢٥) في (ب،ك) : هي .

(٢٦) في (ح،ر) : بها .

(٢٧) أي تسرح بنفسها . وفي المصباح (١/٢٣١) : ((رعت الماشية ترعى رعياً فهي راعية : إذا سرحت بنفسها))اهـ.

(٢٨) لفظ « في الصحاري » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٩) لفظ ((من)) ليس في (ك) .

(٣٠) لفظ ((أليم)) أثبت من (خ،ر) .

وهذه المعاني المجملة في الآية الأولى[٣١] زيدت بيانا في الآيتين[٣٢] ، فالآية[٣٣] الأولى تحذير للقوم[٣٤] على طريق العموم . وأمّا[٣٥] قوله تعالى في الثانية : ﴿ فيأخذكم عذاب قريب ﴾ [هود : ٦٤] بعد ما قال في الآية[٣٦] الأولى : ﴿ أليم ﴾ فإنه اختص هذا المكان بـ﴿قريب﴾ لِما بعده[٣٧] من قوله : ﴿ فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام.. ﴾[هود:٦٥] قدّر[٣٨] المدة التى بينهم وبين هلاكهم ، وقرّب[٣٩] ماتوعدّهم به من عذاب الله لهم[٤٠]، والقريب لاينافى الأليم بل هو أشد ألماً ، إذ لم يكن بعدُ مهلٌ . فاختصاص الآية الثانية بـ﴿قريب﴾ دون ﴿ أليم ﴾ لما ذكرنا من قرب الميعاد المقرون ذكره إلى ذكره[٤١] .

وأما الآية الثالثة واختصاصها بقوله : ﴿ فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾[الشعراء:١٥٦] فلأنّ قبلها ذكر اليومين المقسومين[٤٢] بين الناقة وبينهم ، كأنه قال لهم : إن منعتموها يومها بعقر ولاتتركونه لها[٤٣] أخذكم عذابُ يوم عظيم .

فيوم تؤلمونها فيه فيكون به يومٌ يؤلمكم الله فيه بعذاب الاستئصال، وهو يوم عظيم[٤٤] عليكم، وكل ذلك بمعنىً واحد ، وهو أنهم إن عقروها[٤٥] عوقبوا ، فالألفاظ المختلفة دائرة على هذا المعنى ، واختلافُها لاختلاف مواضعها المقتضية تغيير[٤٦] الألفاظ فيها .

(٣١) أى الآية (٧٣) من سورة الأعراف ، وهى التي ذُكرت اوّلا .
(٣٢) اى في الآية (٦٤) من سورة هود ، وآيتي سورة الشعراء (١٥٥-١٥٦) .
(٣٣) في (ب،ك) : فالأولى .
(٣٤) في (ك) : الأول ، وهو خطأ .
(٣٥) في النسخ المعتمدة : فأما . والمثبت من (خ) .
(٣٦) في (ب،ك) : في الأولى .
(٣٧) في (أ) : لما تقدم ، وهو خطأ ، والمثبت من (ب،ك،ح،خ،د) .
(٣٨) في (ب،د،و) : فقال . وفي (ك،ح،خ) : فعلّل . وفي (ط) : فذكر .
(٣٩) في (ح،ر) : وقرن .
(٤٠) « لهم » سقط من (أ) وأثبت من (ب) و(ك) .
(٤١) في (ك) : إلى ما ذكره .
(٤٢) يشير إلى معنى الآية (١٥٥) من سورة الشعراء .
(٤٣) في أكثر النسخ الخطية والنسخة المطبوعة : تنزلونه بها والمثبت من (ق) وهو الأنسب والله أعلم .
(٤٤) من قوله « فيوم » إلى هنا سقط من (ك) .
(٤٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : إن عقروا .
(٤٦) في (ب) : لغير وفي (ك) : بتغيير .

[٧٣] الآية الثانية عشرة منها[١]

قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف : ٧٨] .

وقال فيهم في سورة هود [٦٥] : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ..﴾.

وقال[٢] فيهم في هذه السورة بعد هذه الآية : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [هود : ٦٧] .

وقال في قصة شعيب عليه السلام وقومه[٣] في سورة الأعراف[٤] [٩١] : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[٥] .

وقال في هذه القصة في سورة هود [٩٤] : ﴿ ... وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[٦].

للسائل أن يسأل عن قوله تعالى:﴿ فأصبحوا في دارهم ﴾[٧] وتوحيد الدار في موضع ، وجمعها[٨] في موضع ، وهل هناك فُرقان بين موضع الواحد وموضع الجمع[٩]؟

والجواب أن يقال : إذا كان الجمع والتوحيد جائزين كان وجه التوحيد[١٠] على طريقين:

أحدهما: أن يراد بدارهم بلدهم، فيوحّد ذهاباً إلى معنى « البلد » ، وهو موحّد.

أو يذهب به[١١] مذهب الجنس[١٢] كما تقول : دينارهم شرّ من درهمهم ،كما قال:

---

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) من هنا إلى آخر الآية سقط من النسخ المعتمدة، وأثبت من (ك،ق)، وفي (خ،ر) : وقال فيها بعد هذا .

(٣) « وقومه » سقط من (أ،ب) وأثبت من (ك،و) .

(٤) قوله : « في سورة الأعراف » ذكر في (ك) بعد « وقال » .

(٥) في (ب) : ﴿ ... جاثمين ﴾ كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بَعِدت ثمود ﴾ .

(٦) في (ب) : ﴿ ... جاثمين ﴾ كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾ .

(٧) في (ك) : في ديارهم .

(٨) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) وجمعه .

(٩) صيغة السؤال في (خ،ر) : فلِم وحّد الدار في موضع وجمع في آخر ؟

(١٠) قوله « جائزين كان وجه التوحيد » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١١) في (أ) : وينهب منهب . وفي (ب) : وينهب به منهب . والمثبت من (ك،ح،خ) .

(١٢) ينظر : تفسير الطبري (٢٣٣/٨) وتفسير القرطبي (٢٤٢/٧). وفي تفسير الماوردي(٣٦/٢):« قال محمد بن مروان السدّي : كل ما في القرآن من﴿ دارهم ﴾ فالمراد به مدينتهم، وكل ما فيه من ﴿ ديارهم ﴾ فالمراد به مساكنهم»اهـ

دينـــارُ آلِ سُلَيْمـــانَ ودرهمُهـــم　　كالبابلِيِّيْـــنِ حُفاًّ بالعَفـارِيتِ[١٣]

بقى الكلام في اختصاص موضع بالتوحيد ، وموضع بالجمع ، وأن يقال : هل ذلك لفائدة تخصصه به[١٤] ؟

فنقول: إنه تعالى وحّد ذلك[١٥] في كل مكان ذُكر في ابتدائه[١٦]: ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾[الأعراف:٧٣، هود:٦١] ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ [الأعراف:٨٥ ، هود: ٨٤ ، العنكبوت: ٣٧] ولم يذكر إخراج النبي ومن آمن معه[١٧] من بينهم ، فجعلهم بني[١٨] أبٍ واحدٍ، وجعلهم لذلك[١٩] أهل دار واحدة، ورجاءً[٢٠] أيضاً أن يصيروا بالإيمان فرقة واحدة.

وكل موضع أخبر عن تفرقة[٢١] بينهم ، وإخراج النبي ومن آمن منهم معه ، أخبر عنهم الإخبار الدال على تفرّق شملهم ، وتشتُّت أمرهم ، وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد ودار واحدة ، وأن يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة[٢٢] فقال : ﴿ فلماّ جاء أمرُنا نجيّنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا... ﴾ وأخذ الّذين ظَلَموا الصّيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾[٢٣] [هود : ٦٦-٦٧] .

---

(١٣) البيت في « كتاب التنبيه على أوهام أبي عليّ في أماليه » ص١٠٧ لأبي عبدالله البكري (ت٤٨٧هـ) . وقائل البيت:بَشّـار بن بُرْد العقيلي (ت١٦٧)، وهو أشهر المولّدين على الإطلاق. (ينظر لترجمته : تاريخ بغداد للخطيب ١١٢/٧-١١٨ ، والشعر والشعراء ٧٥٧/١ ، والأعلام ٥٢/٢) .

في هذا البيت يهجو بشّار آل سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هشام .. وقال بشّار:((فما قلت فيهم إلا بيتين وهما :

دينار آل سليمان ودرهمُهم　　كالبابلِيِّيْـنِ حُفاًّ بالعفاريت

لايوجَدان ولا تلقاهما أبداً　　كما سمعتَ بهاروتٍ وماروت

أخطأت النسخ الخطية والمطبوعة في ذكر البيت . في (أ،ب،ط) : كنائلين . وفي (أ،ط):حفافاً . وفي (ب): حقاباً . وفي (أ،ط) : بالعراقيب . والشاهد فيه: لفظ دينارهم مفرد، والمراد به الجنس.

(١٤) في (ب) : تخصصه به .

(١٥) سقط من (أ،ك) وأثبت من (ب،خ) .

(١٦) « في » سقطت من (ك) .

(١٧) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : ومن اتبعه .

(١٨) في (ب) : بين ، وهو خطأ .

(١٩) في (ك) : كذلك .

(٢٠) في (ب) : ورجاى ، وفي (ك) : ورجى .

(٢١) في (ح،خ) : عن تفرقتهم .

(٢٢) قوله « فرقة واحدة » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٣) جميع النسخ الخطية والمطبوعة بدون هذا الفراغ الذي لابد منه لئلا يظن أن قوله تعالى :﴿ وأخذ الذين ظلموا﴾ هو تمام قوله تعالى: ﴿ برحمة منا ﴾ . والآيتان : ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومِن خِزْيِ يومِئِذٍ إنّ ربّكَ هو القوي العزيز ﴾﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ...﴾ .

فإن قال قائل(٢٤) : فقد قال(٢٥) في قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف[٩١]/: [٤١/أ]
﴿فأخذتهم الرّجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾(٢٦) فوحّد « الدار » ، وقد خرج شعيب عليه السلام من بين أظهرهم(٢٧) ، ووقع الحكم بتفرّق شملهم ، فكان ما ذهبت(٢٨) إليه يقتضي أن يجمع « الدار » فيقال « ديارهم »(٢٩) في هذا المكان ؟ .

والجواب أن يقال: إنه لم يتقدم(٣٠) في هذا الموضع ذكر إخراجه(٣١) من بينهم مع الذين آمنوا معه ، كما ذكر في الموضعين الآخرين(٣٢) في قصة صالح(٣٣) – عليه السلام – في سورة هود ، وفي قصة شعيب فيها .

ألا ترى أنه قال في قصة صالح – عليه السلام – في سورة الأعراف وسورة هود قبل أن أخبر(٣٤) أنه نجّاه ومن آمن معه منهم لمّا جاء أمره مرتين ، فوحّد « الدار » فيهما(٣٥) ، وفي الموضع(٣٦) الذي ذكرت قصته(٣٧) مع المؤمنين منهم جمع « الدار » فيها(٣٨).

وكذلك جاء(٣٩) في قصة شعيب في موضعين : أحدهما : جُمع(٤٠) فيه ، وفي الآخر وُحّد(٤١) ، والجمع حيث ذكر إخراجه منهم مع المؤمنين معه ، فتدبّره إن شاء الله تعالى.

---

(٢٤) لفظ « قائل » ليس في (ب،ك) وأثبت من (ك) .

(٢٥) قوله « فقد قال » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٦) في (ب) : ﴿... جاثمين ﴿﴾ الذين كذبوا شعيباً كان لم يغنوا فيها ﴾ .

(٢٧) في (ك) : من بينهم .

(٢٨) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ،ط) : ذهب .

(٢٩) في (ب) : دارهم ، وهو خطأ .

(٣٠) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : لم يقدمه .

(٣١) أي ذكر إخراج شعيب عليه السلام .

(٣٢) الموضع الأول الآية (٦٦) من سورة هود ، حيث جاء فيه ذكر تنجية الله تعالى صالحاً والذين آمنوا معه برحمته من العذاب الذي وقع على الكافرين من قوم صالح عليه السلام . والآية هي قوله تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ...﴾ .
والموضع الثاني الآية (٩٤) من سورة هود ، حيث جاء فيه ذكر تنجية الله تعالى شعيباً والذين آمنوا معه . والآية هي قوله تعالى : ﴿ ولمّا جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ..﴾ .

(٣٣) في أكثر النسخ : في قصته . وفي (أ) : هود . والصواب ما أثبت .

(٣٤) المكان الذي أُخبر فيه عن تنجية صالح عليه والسلام مع قومه هو الآية (٦٦) من سورة هود .

(٣٥) هما قوله تعالى في سورة الأعراف [٧٨] : ﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ . وقوله تعالى في سورة هود [٦٥] : ﴿فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ...﴾ كلاهما في قصة صالح عليه والسلام

(٣٦) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : فالموضع ، وفي (ب) : والموضع .

(٣٧) في (أ) : ذكره بقصته . وفي (ب،ك) : ذكر قصته . والمثبت من (خ،ر) .

(٣٨) لفظ « فيها » ليس في (ب،ك) .

(٣٩) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : كذلك في قصة .

(٤٠) ذلك في الآية (٩٤) من سورة هود .

(٤١) ذلك في الآية (٩١) من سورة الأعراف .

[٧٤] الآية الثالثة عشرة منها[١] .

قوله تعالى في قصة صالح[٢] : ﴿ فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتُكم رسالةَ ربِّى ونصحتُ لكم ولكنْ لاتحبون النّاصحين ﴾ [الأعراف : ٧٩] .

وقال في قصة شعيب[٣] : ﴿ فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتِ ربِّى ونصحتُ لكم فكيف آسَى على قومٍ كافرين ﴾ [الأعراف : ٩٣] .

للسائل أن يسأل عن إفراد « الرسالة » في قصة صالح، وجمعها في قصة شعيب ، وما الفائدة المخصّصة[٤] لكل واحد من اللفظين بمكانه[٥] ؟ .

والجواب عن ذلك أن يقال : إن الذي نطق به القرآن من تحذير صالح عليه السلام قومه بعد أن أمرهم باتقاء الله تعالى وطاعته ، هو أمر الناقة ، والمنعُ من التعرض لها ، فجعل الرسالة جملة لما لم يفصَّل تفصيلَ ما أتى[٦] به شعيب عليه السلام حين نهاهم عن عبادة الأوثان بدلالة قوله تعالى: ﴿ قالوا يا شعيبُ أصلاتُك تأمرُك أنْ نترك ما يعبد آباؤنا أو أنْ نفعل في أموالنا ما نشاء إنّك لأنتَ الحليم الرشيد ﴾[٧] [هود : ٨٧] ثم قال : ﴿ إنى لكم رسول أمين ﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [الشعراء : ١٧٨-١٧٩] ثم قال : ﴿ أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين ﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم ولاتَعْثَوْا في الأرض مُفسِدين ﴾[٨] [الشعراء : ١٨١-١٨٣] وقال : ﴿ ولا تقعدوا بكل صراطٍ توعِدون وتَصدّون عن سبيل الله.. ﴾[٩] [الأعراف : ٨٦] .

قيل في التفسير[١٠] : هم العشّارون[١١] ، عن قتادة والسدي ، وقيل : كانوا يقعدون مَن قصد شعيبا فيُوعِدونه[١٢] ويصدونه عن دين الله[١٣] ، فهذه التي أمر شعيب بها قومه

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) في (ك) : في آخر قصة صالح .

(٣) في (أ) :وقال في قصة الذين كذبوا شعيبا :﴿..كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ﴾ فتولى عنهم ... ﴾ [الأعراف : ٩٢-٩٣] . ونسخة (ب) مبدوءه من قوله تعالى : ﴿ الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ﴾ . والمثبت من (ك) .

(٤) في (ك) : المختصة .

(٥) في (ب،ك) :لكل واحدةٍ من اللفظتين بمكانها .

(٦) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : لم يفصّل كما أتى به .

(٧) نسخة (أ) إلى قوله : ﴿ أن نترك ﴾ ، و(ب ، ك) إلى قوله ﴿ أو أن نفعل في أموالنا﴾ والمثبت من (د) .

(٨) أثبتت الآية من (ب،ك) .

(٩) تتمة الآية : ﴿ وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً ... ﴾ .

(١٠) أى في معنى قعودهم على الطرق .

أشياء كثيرة ، ليس[١٤] ما أمر به[١٥] صالح قومه مثلها كثرةً[١٦] ، فلهذا جمع الرسالة فقال : ﴿ رسالات ربي﴾ وقال في قصة صالح[١٧] عليه السلام : ﴿ رسالة ربي ﴾[١٨] .

وجواب ثان[١٩] : وهو على ما يُروى أن « الأيكة »[٢٠] غير «مديَن » ، وأن شعيبا بعث إلى أمتين ، وهذا عن قتادة[٢١] . وقيل : الأيكة : الغيضة[٢٢] الملتفّة ، وأصحاب

---

(١١) أى الذين كانوا يأخذن عشر أموال الناس بالباطل . و« العشار » مأخوذة من قولهم : عشرت ماله ، أعشُره عُشراً فأنا عاشر ، وعشّرته أيضا فأنا معشّر وعشّار إذا أخذت عشره ، فالعاشر والمعشّر والعشّار : من يأخذ العُشر من الأموال .

« العشّارون » هو قول السدي فقط ، وقد أخرجه ابن جرير (٥٥٧/١٢ ، رقم ١٤٨٥٢) عن السدي من طريق حميد بن عبدالرحمن عن قيس عن السدي قال : ﴿ ولاتقعدوا بكل صراط توعِدون ﴾ قال : العشّارون .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف (رقم ٦٤٩) عن السدي أيضاً بإسناد حسن حيث قال :« العاشر ». وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٣) ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن الشيخ عن السدي .

(١٢) أى فيتوعّدن ويهدّدونه . قال الزجاج في معاني القرآن (٣٥٤/٢) : « معنى ﴿توعدون﴾ : أي توعدون مَن آمن شعيبا بالعذاب والتهدّد ، يقال : وعدته خيراً ، ووعدته شراً . فإذا تذكر واحداً منهما قلت في الخير : وعدته ، وفى الشر : أوعدته » اهـ .

(١٣) في تفسير الماوردى (٣٨/٢) : ((أنهم كانوا يقعدون على الطريق إلى شعيب يؤذون من قصده للإيمان به ويخوفونه بالقتل قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة)) اهـ

أخرجه ابن جرير (٥٥٧/١٢ ، برقم ١٤٨٤٨) من طريق المثنى عن عبدالله بن صالح عن معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، وهو إسناد صحيح ((قوله : ﴿ ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله﴾ قال : كانوا يجلسون في الطريق فيخبرون من أتى عليهم : أن شعيبا عليه السلام كذاب ، فلا يفتنكم عن دينه)) اهـ .

وأخرجه أيضا ابن أبى حاتم في تفسير سورة الأعراف (رقم الأثر ٦٤٨) بإسناد صحيح بمثله أيضا .

أورده السيوطى في الدر (٥٠٢/٣) عن ابن عباس ونسبه لابن جرير وابن المنذر وأبن أبى حاتم .

قال ابن كثير (٣٧٠/٢) : ((والأول أظهر ، لأنه قال : ﴿ بكل صراط ﴾ وهو الطريق ، وهذا الثانى هو قوله : ﴿ وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً ... ﴾ اهـ .

(١٤) في (ك) : وليس .

(١٥) ((به)) سقط من (أ) .

(١٦) في (ب) : كثيرة .

(١٧) في (ك) : وقال صالح .

(١٨) قال الأنصارى في كتابه فتح الرحمن (ص ١٩٨) : « لأن ما أمر به شعيب قومه من التوحيد ، وإيفاء الكيل ، والنهي عن الصد ، وإقامة الوزن بالقسط ، أكثر مما أمر به صالح قومه » اهـ .

(١٩) في (خ) : وجواب آخر .

(٢٠) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ،ط) : أصحاب الأيكة .

(٢١) ذكره القرطبى في تفسيره (١٣٥/١٣) فقال : « رواه عبدالله بن وهب عن حيرير بن حازم عن قتادة » .

وخبر قتادة أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٠/١٩) مطولا عن قتادة .

الأيكة(٢٣) هم أهل مدين(٢٤)، فإذا(٢٥) حمل على الأول كان إلى كل واحدة(٢٦) من أمّتَيْه(٢٧) رسالة، فجمع لاختلاف قومه، وتخصيص كلٍ منهم(٢٨) برسالة من الله.

فإن قال قائل: فبأي عذاب الله(٢٩) أُهلكوا(٣٠)، وقد نطق القرآن بالرجفة في أمرهم(٣١)، ونطق بالصيحة التى خرّوا لها وماتوا(٣٢)، ونطق بعذاب يوم الظّلة(٣٣)، وهى سحابة أظلتهم فأحرقهم الحرّ تحتها، وهذه أنواع من العذاب مختلفة، وفى كل واحد منها(٣٤) مايغنى عن الآخر في الإهلاك، فإذا أُهلكوا بأحدها اكتفى به عن(٣٥) غيرها؟.

---

(٢٢) قال صاحب القاموس (٨٣٨ غيض): «والغيضة -بالفتح-: الأَجَمَة» وقال (١٣٨٨ أجم):«والأجمة - محركة -: الشجر الكثير الملتفّ» اهـ.

قال الطبرى(١٩/١٠٧):«والأيكة: الشجر الملتف، وهى واحدة الأيْك، وكل شجر ملتف فهو عند العرب أيكة» اهـ

(٢٣) كلمة «الأيكة» سقطت من (ك).

(٢٤) اختار القول الثانى الحافظ ابن كثير فقال: «هؤلاء -يعنى أصحاب الأيكة- هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبيّ الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا «أخوهم شعُيب» لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهى شجرة، وقيل شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها، فلهذا لّما قال: ﴿ كذّب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ [الشعراء: ١٧٦] لم يقل: «إذ قال لهم أخوهم شعيب» وإنما قال: ﴿ إذ قال لهم شعيب ﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذى نُسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً. ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبا عليه السلام بعثه إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم» اهـ. فأصحاب الأيكة وأهل مدين هما واحد، وما رواه الحافظ بن عساكر في ترجمة شعيب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن قوم مدين واصحاب الأيكة أمّتان، بعث الله إليهما شعيباً النبيَّ عليه السلام»، قال ابن كثير (٣/٣٣٢):«هذا غريب، وفى رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشىء، ولهذا وعظ هؤلاء -أى أصحاب الأيكة- وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهما أمة واحدة» اهـ.

(٢٥) كذا في أكثر النسخ. وفي (أ): فإنما.

(٢٦) في (أ،ك): واحد. والمثبت من (ب).

(٢٧) في النسخ المعتمدة: أمته. والمثبت من (د).

(٢٨) من قوله «فجمع» إلى هنا سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك).

(٢٩) لفظ الجلالة ليس في (ك).

(٣٠) أى قوم شعيب.

(٣١) ذلك في قوله تعالى: ﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ الأعراف: ٩١.

(٣٢) ذلك في قوله تعالى: ﴿ ولّما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ هود: ٩٤.

(٣٣) ذلك في قوله تعالى:﴿ فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ الشعراء: ١٨٩.

(٣٤) لفظ «منها» ليس في (ب،ك). وأثبت من (ك).

(٣٥) «عن» سقطت من (أ) وأثبتت من (ب،ك).

والجواب أن يقال : في التفسير عن محمد بن كعب(٣٦) ، قال : عُذّب / قوم شعيب [٤١/ب]
بثلاثة أصناف من العذاب ، أصابتهم الرجفة فخرجوا من ديارهم ، ثم أصابهم حرّ شديد ، ففَرِقُوا(٣٧) من(٣٨) أن يدخلوا البيوت خوف الزلزلة ، فبعث الله عليهم الظلّة ، وهي سحابة أنشئت لهم فصاح رجل منهم : هل لكم في الظلّة ؟ هل لكم في الظلّة ؟ وفي رواية : عليكم بالظلّة(٣٩) ، فما رأيت كاليوم من ظلّ أطيب ولا أبرد ، فلجأوا إليها هربا من الحرّ الذي أصابهم ، فلما اجتمعوا تحتها أمطرتهم ناراً فأحرقتهم . وقيل : صيح بهم صيحةً واحدة فماتوا منها(٤٠) . فعلى هذا سُلّطت عليهم الأنواع الثلاثة من العذاب عذاب الاستئصال(٤١) .

(٣٦) هو محمد بن كعب بن سليم ، أبو حمزة القرظي المدني ، وهو تابعي جليل من كبار التابعين وأئمتهم : ثقة عالم كثير الحديث . توفي سنة ١٠٨ هـ وقيل : ١١٧ . وقيل : ١٢٠ هـ . (ينظر:تهذيب الأسماء واللغات ٩٠/١/١ وسير أعلام النبلاء ٦٥/٥ ، والتقريب لابن حجر ص ٥٠٤) .

(٣٧) أي فخافوا ، قال صاحب المصباح (٤٧١/٢) : « فَرِق –من باب تعب–: خاف » .

(٣٨) « من » سقطت من (ب) .

(٣٩) في (ب) : الظلة .

(٤٠) هناك روايات أخرى ذكرها المفسرون في كيفية العذاب الذي أرسله الله تعالى إلى أصحاب الأيكة . وأما رواية محمد بن كعب القرظي فأوردها السيوطي في الدر (٣١٩/٦) ونسبها لابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي . وقال البغوي في تفسيره (٤٠٠/٢) عند تفسير الآية (٩٤) من سورة هود:« قيل : إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم . وقيل : أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم ». ينظر لتلك الروايات : تفسير الطبري (١١٠/١٩) ، وتفسير ابن الجوزي (١٥٤/٤) عند تفسير الآية (٩٤) من سورة هود، و(١٤٣/٦) عند تفسير الآية (١٨٩) من سورة الشعراء ، وتفسير ابن كثير ٥٥٤/٢ ، والبحر المحيط ٣٧/٧ .
واختلاف الروايات في كيفية عذاب الظُلّة يدل على أن القرآن الكريم والسنة الصحيحة لم يذكرا شيئا من ذلك.
قال ابن عطية في تفسيره (١٤٧/١١):« للناس في حديث يوم الظلة تطويلات لاتثبت ، والحق أنه عذاب جعله الله تبارك وتعالى ظلّة ، وذكر الطبري (انظر:١١٠/١٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال : من حدّثك من العلماء ماعذاب يوم الظلة فكذّبْه » اهـ .

(٤١) لقد أجاد الحافظ ابن كثير في ذكر الحكمة عن سبب اختلاف تسمية عذابهم مع أنهم قوم واحد فقال في تفسيره (٧٠٩/٢): « ذكر هاهنا –أي في الآية (٩٤) من سورة هود– أنه أتتهم صيحة ، وفى الأعراف [٩١] رجفة ، وفى الشعراء [١٨٩] عذاب يوم الظلّة، وهم أمة واحدة ، اجتمع عليهم يومَ عذابهم هذه النقم كلها ، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه ، ففى الأعراف لّما قال : ﴿ ... لَنُخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا..﴾ [٨٨] ناسب أن يذكر هناك الرجفة ، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وهاهنا – أي في سورة هود– لّما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التى استلبثتهم – أى استبطأتهم – وأخمدتهم ، وفي الشعراء لّما قالوا : ﴿ فأسقِط علينا كِسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ﴾ [١٨٧] قال:﴿..فأخذهم عذاب يوم الظلّة إنه كان عذابَ يومٍ عظيم﴾[الشعراء:١٨٩] وهذا من الأسرار الدقيقة » اهـ .

[٧٥] الآية الرابعة عشرة منها[١]

قوله تعالى : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴿ إنّكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴿ وما كان جوابَ قومه إلاّ أنْ قالوا أخرِجوهم من قريتكم إنهم أُناسٌ يتطهرون ﴿ فأنجيناه وأهلَه إلاّ امرأتَه كانت من الغابرين ﴾[٢] [الأعراف :٨٠-٨٣] .

وقال في سورة النمل [٥٤-٥٨] : ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴿ أئنكم لَتأتون الرجال شهوةً من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ﴿ فما كان جوابَ قومه إلاّ أنْ قالوا أخرِجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناسٌ يتطهرون ﴿ فأنجيناه وأهلَه إلاّ امرأتَه قدّرْناها من الغابرين ﴿ وأمطرْنا عليهم مطراً فساء مطرُ المنذَرين ﴾[٣] .

وقال في سورة العنكبوت [٢٨-٣٠] : ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه إنّكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها مِن أحدٍ من العالمين ﴿ أئنكم لَتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكرَ فما كان جوابَ قومه إلاّ أنْ قالوا ائتنا بعذاب الله إنْ كنت من الصادقين ﴿ قال ربِّ انْصُرني على القوم المُفسدين ﴾[٤] .

للسائل أن يسأل في هذه الآي[٥] عن مواضع :

فالأول : قوله في سورة الأعراف [٨١] : ﴿.. شهوةً من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴾ وقال فيما وقع موقعه من سورة النمل [٥٥]: ﴿.. شهوةً من دون النساء بل أنتم قومٌ تجهلون ﴾ .

والثاني : قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وما كان جوابَ قومه ﴾ في سورة الأعراف [٨٢] بالواو ، وقال فيما أشبهه من سورة النمل [٥٦] : ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ بالفاء ، وهل صلح أحدهما مكان الآخر في الاختيار ؟

والثالث : قوله في سورة الأعراف [٨٢] : ﴿ إلاّ أنْ قالوا أخرِجوهم ﴾ وقال في سورة النمل [٥٦] : ﴿ إلاّ أنْ قالوا أخرجوا آلَ لوط ﴾ فأضمر في الأول وأظهر في الثاني؟

---

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) نسخة (أ) إلى قوله تعالى﴿ ما سبقكم بها ﴾ ونسخة (ب) إلى قوله تعالى ﴿ فأنجيناه وأهله ﴾والتتمة من (ك).

(٣) نسخة (أ) فيها خلل في ذكر الآيات ، والمثبت من (ب،ك) .

(٤) نسخة (أ) فيها نقص في ذكر الآيات ، والمثبت من (ب،ك) .

(٥) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : الآية .

والرابع : قوله في سورة الأعراف [٨٣] : ﴿ إلاّ امرأته كانت من الغابرين ﴾ وفي سورة النمل[٦] [٥٧] : ﴿ إلاَّ امرأته قدّرناها من الغابرين ﴾ .

والخامس : قوله في سورة[٧] الأعراف [٨٠] : ﴿ أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها مِن أحدٍ من العالمين ﴾ وقال في سورة النمل [٥٤] : ﴿ أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴾ .

والسادس[٨] : اختلاف المحكيّات ، قال في سورة الأعراف [٨٢] : ﴿ وما كان جوابَ قومه إلاّ أن قالوا أخرجوهم ﴾ وفي النمل [٥٦] : ﴿ فما كان جوابَ قومه إلاّ أن قالوا أخرِجوا آل لوط﴾ وفي العنكبوت [٢٩] ﴿فما كان جوابَ قومه إلاّ أن قالوا ائتنا بعذاب الله إنْ كنتَ من الصادقين﴾.

فأما[٩] المسألة الأولى ، وهي مجئ ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ في الأعراف، و﴿ بل أنتم قوم تجهلون ﴾ في سورة النمل[١٠] ، فالمسرف مجهّل[١١] بإسرافه ، والجاهل مسرف بأفعاله[١٢] ، إذ الإسراف مجاوزة الحدّ الواجب[١٣] إلى الفساد ، فيجوز أن يكون لوط عليه السلام لمّا كانت له مع قومه مقامات[١٤] قال في بعضها هذا اللفظ ، وفي بعضها اللفظ الآخر[١٥] ، ولم ينافِ أحدهما الآخر[١٦] .

ثم اختصاص[١٧] « مسرفين » بسورة الأعراف ، فلأن الآيات التي قبلها فواصلُها أسماء جُمعت هذا الجمعَ، من حيث قال:﴿واذكروا إذْ جعلكم خلفاءَ من بعد عادٍ وبوّأكم في الأرض..﴾

(٦) في (ك) : وقال في النمل .

(٧) كلمة « سورة » ليست في (ب) و (ك) .

(٨) في ذكره اعتمدنا على (ح،خ،ر،س) .

(٩) في (ك) : وأما .

(١٠) في (أ،ب) : في النمل ، والمثبت من (ك) .

(١١) في (ب) اللفظ غير واضح . وفي (ك) : يجهل .

(١٢) في (ك) :« يسرف في أفعاله» . قلت: قال الكرماني في غرائب التفسير (٤١٣/١) : « الجواب : كل إسراف جهلٌ و كل جهلٍ إسرافٌ » اهـ .

(١٣) « الواجب » سقط من (ك) .

(١٤) قال صاحب ملاك التأويل (٥٤٤/١) : « إن اختلاف مقالات الأنبياء لأممهم انما هو لاختلاف مقاماتهم ، إذ ليس دعاؤهم إياهم في موقف واحد ولا لقوم مخصوصين ، بل يدعو النبي طوائف من قومه في أوقات مختلفة ومواطن شتى ، وقد يكون للطائفة منهم خصوص مرتكب فيراعي نبيهم ذلك في دعائهم ، وقد يخاطب ملأهم الأعظم في مواطن ، والفئة القليلة منهم في موطن آخر ، وربما أطال في موطن ، وأوجز في موطن ، وذلك بحسب ما يرونه عليهم السلام أحدى وأرجى ، فلا يشكل على هذا اختلاف أقوالهم ولا اختلافُ مجاوبة أممهم لهم...» اهـ .

(١٥) في (أ،ب) : وقال في المقام الآخر ، والمثبت من (ك) .

(١٦) في (أ،ب) : صاحبه ، والمثبت من (ك) .

(١٧) في (ب) : اختلاف ، وهو خطأ .

[الأعراف : ٧٤] فكانت فاصلة هذه الآية: ﴿ مفسدين ﴾[١٨] وفاصلة ما بعدها: ﴿مؤمنون﴾[١٩] وما بعدها : ﴿ كافرون ﴾[٢٠] وبعدها : ﴿ المرسلين ﴾[٢١] وبعدها: ﴿جاثمين﴾[٢٢] وبعدها: ﴿الناصحين ﴾[٢٣]، وبعد ذلك إذ انتهى إلى هذه الآية ﴿العالمين﴾[٢٤] فكان الاسم أحقّ بالوضع في هذا المكان لتتساوى[٢٥] الفواصل[٢٦]، وفي [٤٢/أ] سورة النمل تقدّم الآية التي فاصلتها :﴿ بل أنتم قوم تجهلون ﴾ [النمل : ٥٥] [قوله تعالى][٢٧]: ﴿ فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا إنْ في ذلك لآيةً لقوم يعلمون ﴾ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿﴾ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾[٢٨] [النمل: ٥٢-٥٤] فلمّا تناسقت هذه الأفعال[٢٩] في هذه الفواصل التي قبل هذه الفاصلة[٣٠] كان بناؤها على ماقبلها بلفظ[٣١] الفعل أولى[٣٢] بها ، فجاء : ﴿ تجهلون ﴾ في هذا الموضع[٣٣] و﴿مسرفون﴾ في الأول[٣٤] لهذا[٣٥] من القصد. وا لله تعالى أعلم .

وأما[٣٦] المسألة الثانية في اختصاص[٣٧] الواو بسورة الأعراف في قوله: ﴿ وما كان جوابَ قومه ﴾، والفاء في سورة النمل: ﴿ فما كان جوابَ قومه ﴾[٣٨] فلأنّ قبلها :

---

(١٨) ذلك في الآية (٧٤) من الأعراف .

(١٩) ذلك في الآية (٧٥) من الأعراف . وفي جميع النسخ الخطية والمطبوعة : « مؤمنين » والمثبت من المصحف .

(٢٠) في (أ،ب) : كافرين ، والمثبت من (ك) ، وذلك في الآية (٧٦) من الأعراف .

(٢١) ذلك في الآية (٧٧) من الأعراف .

(٢٢) ذلك في الآية (٧٨) من الأعراف .

(٢٣) ذلك في الآية (٧٩) من الأعراف .

(٢٤) في (ح،خ،ر) : وبعدها ﴿ العالمين ﴾ إلى هذه الآية . وذلك في الآية (٨٠) من الأعراف .

(٢٥) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : لِتساوي .

(٢٦) الفواصل هي النهايات التي تختم بها الآيات القرآنية ، وهي آية من آيات الإعجاز في اتصالها بالآية ، وفي انفرادها عنها ، وفي توازنها أو استقلالها بذاتها .

(٢٧) زيادة يحسُن ذكرها .

(٢٨) اعتمدنا في ذكر الآيتين على (ب،ك) .

(٢٩) هي : ﴿ يعلمون ﴾ و ﴿ يتقون ﴾ و ﴿ تبصرون ﴾ .

(٣٠) وهي ﴿ تجهلون ﴾ .

(٣١) في (أ،ب،ك) : على لفظ الفعل ، والمثبت من (ح،خ،ر) .

(٣٢) « أولى » سقط من (أ) ، وأثبت من (ب،ك) .

(٣٣) ذلك في الآيات (٥٢-٥٥) من سورة النمل ، حيث جاء في خواتيهما أفعال على لفظ المضارع .

(٣٤) ذلك في الآيات (٧٤-٨٠) من سورة الأعراف ، حيث جاء في خواتيمها صيغة اسم الفاعل .

(٣٥) في (ب) : أخذاً ، بدل « لهذا » .

(٣٦) في (ب) : فأما .

﴿مسرفون﴾ وهو اسم وإنْ أدىّ معنى الفعل، و﴿ تجهلون ﴾ صريح لفظ الفعل . والأجوبة التي تتعلق(٣٩) بالأول المبتدأ به ، إنما أصلها في الأفعال التي تقع وتوجد لوجود غيرها ، والواو والفاء جائزتان(٤٠) في الموضعين إلا أنه يختار حيث جاء الأصل الذي وُضعت الفاء فيه لتوجب ما بعدها لوجود ما قبلها ، وهو الفعل ، واختيرت الواو حيث كان الملفوظ به الاسمَ ليفرق بين الموضعين ، فيختار لكلٍ ماهو أليق به(٤١) ، إذ ليس الاسم أصلاً فيما جعلت(٤٢) الفاء للجواب فيه(٤٣) .

وأما المسألة الثالثة ، وهي إضمار « آل لوط » في الأعراف حيث قال : ﴿ إلاّ أن قالوا أخرِجوهم ﴾ وإظهاره(٤٤) في سورة النمل لمـّا قال : ﴿ أخرجوا آل لوط من قريتكم ﴾ **فالجواب**(٤٥) عنه أن يقال(٤٦) : إن السورتين(٤٧) مكيتان وموجب هذا الإضمار والإظهار أن يكون ما جاء فيه الإظهار نازلاً قبل ما جاء فيه الإضمار ، فلما أظهر في الآية المنزلة قبلُ اعتُمد في القصة التي هي هي(٤٨) عند ذكرهم على الإضمار الذي أصله أن يكون بعد تقدّم الذكر(٤٩) .

وأما المسألة الرابعة وهي : ﴿ إلاَّ أمرأتَه كانت من الغَابرين ﴾ في سورة الأعراف ، وفي سورة النمل: ﴿ إلا امرأته قدّرناها من الغابرين ﴾ **فالجواب**(٥٠) عنها ما يدل عليه(٥١) الجواب

---

(٣٧) في (ب) : في اختلاف ، وهو خطأ .

(٣٨) من قوله « والفاء » إلى هنا سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣٩) في (أ) : تعلق ، والمثبت من (ب،ك) .

(٤٠) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : حاريتين .

(٤١) في (ب) : به أليق . ولفظ « به » سقط من (ك) .

(٤٢) في (ب) : جاءت .

(٤٣) يعني ذكرت الواو في قوله تعالى : ﴿ وما كان جواب قومه ﴾ لأن لايكون التعقيب بالفاء بعد الاسم ، وهو «مسرفون » . وذكرت الفاء في سورة النمل:﴿ تجهلون فما كان ﴾ وفي سورة العنكبوت :﴿وتـأتون في ناديكم المنكرَ فما كان ﴾ حيث إن الفاء هي الأصل في التعقيب. قال الآلوسي(١٧١/٨):« والتعقيب بالفعل بعد الفعل حسن دون التعقيب به بعد الاسم » اهـ.

(٤٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : وإظهارها .

(٤٥) في (أ) : والجواب .

(٤٦) « أن يقال » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٤٧) هما : سورتا الأعراف والنمل . وفي (ك) : السورتان .

(٤٨) « هي » الثانية سقطت من (ك) .

(٤٩) ذكر الألوسي في تفسيره (١٧١/٨) توجيهاً آخر في هذا الموضع فقال:« ولعلّ ذكر ﴿ أخرجوهم ﴾ في سورة الأعراف و﴿ أخرجوا آل لوط ﴾ في النمل إشارة إلى أنهم قالوا مرة هذا ، وأخرى ذاك ، أو أنّ بعضاً قال كذا وآخر قال كذا ».

(٥٠) في (ب) : والجواب .

عن[٥٢] المسألة الثالثة ، وهـو[٥٣] أن هـذه القصـة في سـورة النمـل[٥٤] نازلـة قبـل القصـة[٥٥] التي[٥٦] في سورة الأعراف بدليل الإضمار والإظهار ، وإذا بنينا علـى هـذا فـإنّ قولـه: ﴿ إلاَّ امرأتَه قدّرناها من الغابرين﴾ أي:كتبنا عليها أن تكون من الباقين[٥٧] في القرية الـهالكين[٥٨] مع أهلها، فلما ذكر في الآية المنزلة أولا أحال في الثانية على الأولى في البيـان فقـال:﴿كـانت من الغابرين ﴾ أي[٥٩]:في تقدير الله الذي قدّره لـها، وأخبر فيما قبلُ[٦٠] عن حكمه عليها.

وأما المسألة الخامسه فهي[٦١] قوله تعالى في سـورة الأعـراف:﴿.. أتـأتون الفاحشـة مـا سبقكم بهـا مـن أحدٍ مـن العـالمين ﴾ وقـال في سـورة النمـل : ﴿ أتـأتون الفاحشـة وأنتـم تُبصرون﴾ **فالجواب** عنها على ما بيّنا[٦٢] ، وهو أن ذِكر قصة لوط وقومه نزل القرآن به قبـل ذكره في سورة الأعراف ، وتبكيتهم على الفاحشـة ، وتعظيـم أمرهـا ، وفحشـهم فيهـا قبـل الإخبار عن سبقهم إليها ، فكان قوله : ﴿ وأنتـم تبصـرون ﴾ أي: لاتتكـاتمون بهـا ، لأنهـم كانوا[٦٣] في مجالسهم لايتحاشون[٦٤] عنها ، وقيـل: ﴿ وأنتـم تُبصـرون ﴾ فحشـها وشـناعة قبحها ، وهذه صفة ترجع إلى الفعلة / نفسها ، ثم إنهم لم يسبقوا إليها ، كما قيل في الخبر : [٤٢/ب]

(٥٢) في (أ) : من .

(٥٣) في (ب) : وهي .

(٥٤) « النمل » سقط من (ك) .

(٥٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : الآية .

(٥٦) « التي » سقطت من (ب،ك) .

(٥٧) قوله « من الباقين » معنى قوله تعالى : ﴿ من الغابرين ﴾، قال الزجاج في معاني القرآن (٣٥٣/٢) : « قيل في ﴿ الغابرين ﴾ ها هنا قولان . قال أهل اللغة : ﴿ من الغابرين ﴾ من الباقين ، أي من الباقينَ في الموضع الذي عذبوا فيه ...، وقال بعضهم : ﴿ من الغابرين ﴾ أي من الغائبين عن النجاة » اهـ والمعنى الأول هو الذي تقتضيه اللغـة قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (١٧٠) : « يقال : من مضى ؟ ومن غبر ؟ أي : ومن بقى ؟ » اهـ

(٥٨) في (خ،ر) : الـهالكة . كلاهما صحيح .

(٥٩) « أي » ليس في (ب) .

(٦٠) « قبل » سقط من (أ،ك) وأثبت من (ب) .

(٦١) في (أ،ب) : فعن ، والمثبت من (ك) .

(٦٢) في (أ) : ما بينا ، وفي (خ،ر) : على ما مرّ . والمثبت من (ب،ك) .

(٦٣) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : كانوا .

(٦٤) أي لايتنزهون عنها . وفي (أ) : لايتحاشم ، وفي (ب) : لايتناسون . والمثبت من (ك،خ،ر) .

« ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط »[٦٥] وهذا وصف حقه أي يجيء بعد توفية الفاحشة حق وصفها في نفسها ، فأخّر ذكره إلى الحكاية الثانية لهذه القصة ، وقد خاطبهم لوط عليه السلام بذلك وبأكثر منه في مقامات إنكاره عليهم ودعائه لهم .

وأما المسألة السادسة فعن اختلاف المحكيّات ، إذ كان في سورتي[٦٦] الأعراف والنمل: ﴿ وما كان جوابَ قومه إلاّ أن قالوا أخرجوهم من قريتكم ﴾ و ﴿ أخرجوا آل لوط ﴾ وقال في سورة العنكبوت : ﴿ فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا ائْتنا بعذاب الله إن كنتَ من الصادقين ﴾ **والجواب** عن ذلك أن هؤلاء لمّا كرّر عليهم لوط عليه السلام الإنكار وأعاد عليهم الإعذار والإنذار[٦٧] ، قال في موقفٍ ما حكاه الله تعالى عنه[٦٨] ، فكان جوابهم له[٦٩] في ذلك الموقف[٧٠] ما ذكره الله تعالى . **والجواب الثاني**[٧١] وإن خالف الجوابَ الأول فهو من جهتهم ، وإذا خالفوا بين الأجوبة تناولت الحكاية مختلفها، على أنه لو كان كل ذلك في موقف واحد لَكان جائزاً أن يكون جواب طائفة منهم ما[٧٢] ذُكر أوّلاً ، وجواب طائفة أخرى ما ذُكر ثانياً ، وكل من الطائفتين قومه .

---

(٦٥) هذا الخبر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف (رقم ٦٣٠) فقال : حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني، ثنا مسدّد ، ثنا ثنا اسماعيل بن علية قال سمعت ابن ابي نجيح يقول : ﴿ أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ قال : قال عمرو بن دينار:« ما نَزاَ ذَكَرٌ على ذَكَرٍ حتى كان قوم لوط».

- علي بن الحسن الهسنجاني أخو عبدالله بن الحسن . قال ابن ابي حاتم :((كتبنا عنه ، وهو صدوق ثقة)). (الجرح والتعديل ١٨١/٣) .
- مسدّد وهو مسدّد بن مسرهد بن مسربل أبو الحسن . ثقة حافظ (التقريب ٦٥٩٨) .
- إسماعيل بن عليه هو اسماعيل بن إبراهيم بن مِقسم الأسدي أبو بشر ، المعروف بابن عُليه : ثقة حافظ (التقريب:٤١٦) .
- ابن أبي نجيح هو عبدالله بن أبي نجيح ، أبو يسار : ثقة رمي بالقدر وربما دلّس (التقريب ٣٦٦٢) .
- عمرو بن دينار المكي أبو محمد : ثقة ثبت (التقريب ٥٠٢٤) .

درجته : إسناده صحيح . والمعنى : ما وطئ رجل رجلاً حتى كان قوم لوط .

يقال : نزا عليه : أي وقع عليه ووطئه (النهاية لابن الأثير ٤٤/٥) .

أورده السيوطي في الدر المنثور (٥٤٤/٣) وعزاه إلى ابن أبي شيبه وابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي وابن عساكر عن عمرو بن دينار » .

(٦٦) في (أ) و(ب) : سورة ، والمثبت من (ك) .

(٦٧) « الإنذار » سقط من (أ) . و « الإعذار » سقط من (ب) . والمثبت من (ك) .

(٦٨) « عنه » سقط من (ك) .

(٦٩) « له » سقط من (أ) وأثبت من (ب) و (ك) .

(٧٠) « الموقف » ليس في (ك) .

(٧١) أي الجواب الذي صدر من قوم لوط ، وهو : ﴿ ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ في سورة العنكبوت.

(٧٢) في (ك) : لمّا .

فإذا قيل :﴿ وما كان جواب قومه ﴾ أي بعض قومه ، فإذا كان[٧٣] قاله بعضٌ ورضي به الآخرون[٧٤] ، فكلهم قائلون أو في حكم القائلين ، فلا يقدح ما جاء من اختلاف أجوبتهم في الآيات[٧٥] التي نزلت في هذه القصة على ما يظنه المعترِض ، وإنما يتعلّق بمثله مَن جهل للأنبياء عليهم السلام موافقها ، ولم يعرف اللغات ومصارفها ، وهذا كثير في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وحكايتها في هذه السورة وغيرها[٧٦] ممّا نقف عليه[٧٧] إن شاء الله .

---

(٧٣) « كان » ليس في (ب) و (ك) .

(٧٤) في (ب) : آخرين .

(٧٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : في الآية .

(٧٦) « وغيرها » ليس في (ب) .

(٧٧) في (ب،ك) : فقف عليه ، بدل « مما نقف عليه » .

[٧٦] الآية الخامسة عشرة منها[١]

تشتمل على ثلاث مسائل :

قوله تعالى : ﴿ تلك القرى نقصُّ عليك مِن أنبائها ولقد جاءتهم رُسُلُهم بالبيِّنات فما كانوا ليؤمنوا بما كذَّبوا من قبلُ كذلك يَطبعُ الله على قلوب الكافرين ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

وقال في سورة يونس[٧٤]:﴿ثم بعثنا مِن بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبلُ كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف ما اختلف في الآيتين المتشابهتين فلم سقط[٢] ﴿ به ﴾ في سورة الأعراف دون سورة يونس[٣] ؟ ولِم قال:﴿يطبع الله﴾ في الأولى، و﴿نطبع﴾ في الثانية؟ ولم جعل الطبع على قلوب الكافرين في الأعراف، وعلى قلوب المعتدين في يونس؟

والجواب عن ذلك : أن سقوط ﴿ به ﴾ من قوله : ﴿ كذّبوا ﴾ هو للبناء على ماجُعل صدراً لهذه الآيات التى نزلت في الترغيب والترهيب ، وهو:﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقَوْا لَفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[٤] [الأعراف : ٩٦] فقوله[٥] : ﴿ ولكن كذّبوا ﴾ لم يذكَر له مفعول ، وانساقت الآيات بعد التحذير المتوالى بقوله[٦] : ﴿ أفأمن أهلُ القرى أنْ يأتيهم بأسُنا ﴾ [الأعراف : ٩٧] ثم ختمت بقوله : ﴿ تلك القرى نقصُّ عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلُهم بالبينات فما كانوا لِيؤمنوا بما كذّبوا من قبلُ..﴾ [الأعراف : ١٠١] فالمكذّبون هنا[٧]هم المكذبون في قوله : ﴿ولكن كذّبوا ﴾[٨] فدلّ / على ذلك بأن أجرى مُجراه في حذف مايتعدّى إليه «كذّب»[٩]، وما يتعدّى إليه « كذّب » إذا كان غير مميّز يتعدى إليه بالباء ، كقوله[١٠] : ﴿كذّبوا بآياتنا﴾ [٤٣/أ]

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) في النسخ المعتمدة : واختصاص ما في سورة الأعراف بسقوط « به » من قوله تعالى : ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل ﴾ ثم قوله:﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ وأثبت « به » في سورة يونس وهو:﴿ بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ وفي ذكر الأسئلة اعتمدنا على (ح،خ،ر،س) .

(٣) ذلك في قوله تعالى : ﴿ بما كذبوا من قبل ﴾ من سورة الأعراف ، حيث سقط الضمير المجرور « به » وأثبت في قوله تعالى : ﴿ بما كذبوا به ﴾ من سورة يونس .

(٤) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : ﴿ فأخذناهم ﴾ ، والتتمة من (ب،ك) .

(٥) سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٦) من هنا إلى قوله « ختمت » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٧) أى في الآية (١٠١) من سورة الأعراف .

(٨) ذلك في الآية (٩٦) من سورة الأعراف .

(٩) لفظ « كذب » أثبت من (خ،ر) .

(١٠) في (ك) : نحو .

[يونس : ٧٣] . وإذا كان من المميّزين[١١] فإنه يتعدّى إليه[١٢] بغير حرف إضافة ، نحو «كذّبه» كقوله تعالى: ﴿ فكذّبوا رسلي ﴾ [سبأ : ٤٥] فالمحذوف في هذا المكان[١٣] هو المفعول به ، وهو الذى يتعدى[١٤] إليه الفعل بالباء .

وأما قوله تعالى في سورة يونس[٧٤]: ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل ﴾ وإثبات المفعول به هنا فلأن قبله قصة نوح عليه السلام ، وهى : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبُر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ﴾[١٥] [يونس : ٧١] ثم بعده : ﴿ فكذبوه فنجّيناه ومن معه في الفلك.. ﴾ ثم بعده : ﴿..وأغرقْنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ [يونس : ٧٣] فجاءت « كذب » أمام القصة المبنية على القصة التي قبلها متعدية[١٦] إلى ما وجب لها في موضعها ، فروعي[١٧] تعدّيها ، فلماّ وقعت الإشارة في قوله:﴿ثم بعثنا من بعده رُسُلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل ﴾[١٨] إلى تكذيب من كذّب من قوم نوح ، اختير تعدية الفعل المكرّر[١٩] على الفعل الأول ، ليعلم[٢٠] أن هذا الفعل معنيٌّ به ماتقدم ، فلما جاء ذاك متعديا جاء هذا مثله . ولمّا[٢١] لم يجىء في الآية التى في سورة الأعراف متعديا لم يجىء فيما بني عليه إلا محذوف المفعول به[٢٢] .

وأما الجواب عن قوله : ﴿ كذلك يطبع الله ﴾ [الأعراف : ١٠١] و﴿ كذلك نطبع ﴾ [يونس : ٧٤] فلأن[٢٣] الآية في سورة الأعراف مبنية على ماتقدمها من الآيات ، وهى تنتقل

---

(١١) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : من المميز .

(١٢) كذا في أكثر النسخ ، وفى (أ) : من المعدّى إليه .

(١٣) أى في قوله تعالى : ﴿بما كذبوا من قبل ﴾ الأعراف : ١٠١ .

(١٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : يعدى .

(١٥) نسخة (ب،ك) إلى قوله تعالى : ﴿ مقامي ﴾ .

(١٦) في (ك) : متعدية به .

(١٧) في (ب،ط) : ونوعى .

(١٨) في (ب،ك) : أى ، بدل « إلى » .

(١٩) في (ب) : المكرور .

(٢٠) في (ب) : العلم .

(٢١) كذا في (أ،ب) . وفي (ك) : وكما .

(٢٢) خلاصة ما قاله المؤلف : قال الله تعالى في سورة الأعراف [١٠١] : ﴿بما كذّبوا ﴾ فلم يذكر متعلّق التكذيب وفي سورة يونس [٧٤] ذكره فقال : ﴿بما كذبوا به ﴾ والفرق أنه لمّا حذفه في قوله تعالى : ﴿ ولكن كذبوا﴾ [الأعراف : ٩٦] استمر حذفه بعد ذلك ، واما في سورة يونس فقد أبرزه في قوله : ﴿ فكذبوه فنجيناه﴾ [يونس : ٧٣] وفي قوله :﴿ كذبوا بآياتنا ﴾ [يونس : ٧٣] فناسب ذكره في قوله تعالى : ﴿بما كذبوا به ﴾ [يونس : ٧٤] موافقة . (ينظر :البرهان للكرمانى ص : ١٩٥ والدر المصون ٣٩٨/٥) .

(٢٣) في (أ) : فإن ، والمثبت من (ب،ك) .

من[٢٤] الإضمار إلى الإظهار ، ومن الإظهار إلى الإضمار ، أعني في أخبار الله عز وجل عن نفسه لقوله[٢٥] : ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا ﴾[٢٦] [الأعراف : ٩٧] و﴿أن يأتيهم بأسنا ضُحى ﴾ [الأعراف : ٩٧] وقوله بعده[٢٧] : ﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾ [الأعراف : ٩٩] فأظهر ، ولم يقل: أفأمنوا مكرنا .

فلمّا وقع هذا الإخبار[٢٨] في هذا المكان ، ثم جاء بعده : ﴿ أولم يهد للذين يرثون الأرض مِن بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم..﴾ [الأعراف: ١٠٠] فأجري الفعل على إضمار فاعله ، ثم عاد إلى ذكر الطبع ، كان إجراؤه على إظهار الفاعلِ[٢٩] أشبه بما بُنيت عليه الآيات المتقدمة من الانتقال من الإضمار إلى الإظهار المختار استعماله في المكان .

وأما[٣٠] الآية التي في سورة يونس وهي:﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ [يونس : ٧٤] فلأن ما قبلها جارٍ على حد واحدٍ وسَنَنٍ لاحبٍ[٣١] وهو إضمار الفاعل من حيث أخبر في قصة نوح قبله ، وهي من مبتدأ العشر : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ [يونس : ٧١] إلى أن قال:﴿ فكذّبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم ﴾[٣٢] فقال بعده : كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ [يونس : ٧٣-٧٤] ولم يتقدمه ما يخالف هذا المنهج[٣٣] ، ولم يُبْنَ على الطريقين فأتبع الأول وحمل[٣٤] عليه في إضمار الفاعل فيه .

والمسألة الثالثة في هذه الآية قوله في سورة[٣٥] الأعراف [١٠١]: ﴿ على قلوب الكافرين﴾ وفي سورة يونس [٧٤] : ﴿ على قلوب المعتدين﴾ **فالجواب**[٣٦] عنها : أن

---

(٢٤) وفي (ب) : إلى ، وهو خطأ .

(٢٥) في (ب) : بقوله .

(٢٦) في (أ،ب) : ﴿ ... أن يأتيهم بأسنا ﴾ والمثبت من (ك) .

(٢٧) « بعده » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٨) لفظ « الإخبار » غير واضح في (ك) .

(٢٩) في (ك) : على إظهاره للفاعل .

(٣٠) في (أ) : فأما ، والمثبت من (ب،ك) .

(٣١) أي على نهج واضح . تقول اللغة كما في المعجم الوسيط (٤٥٦) : « السَّنن من الطريق : نهجه وجهته» . واللاحب- كما في القاموس المحيط (ص ١٧١ لحب) : « الطريق الواضح» اهـ .

(٣٢) أثبتنا الآية من (ب،ك) .

(٣٣) في (ك) : النهج .

(٣٤) في (ك) : وعمل .

(٣٥) في (ب،ك) : في الأعراف .

(٣٦) في (ب،ك) : والجواب .

الآيات التى تقدمت في سورة الأعراف تضمنت وصف الكفار ، لأنه لايحذّر عقـابَ الله[٣٨] ومجيئه بياتا[٣٩] أوضحىً[٤٠] إلا الكفار[٤١] ، ثم إطلاق الخاسرين لايكون إلا في الكافرين/ [٤٣/ب] فلما وقع التصريح بصفات الكفر صُرّح به عند ذكر الطبع ، ولمّا كانت الآية في سورة يونس قد تقدّمها في وصف الكفار ما كان كالكناية عنهم فقال[٤٢]: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين﴾ [يونس : ٧٣] وما كلّ منذَر كافر ، كنّى عن الكفار بعده عند ذكر الطبع بـ«المعتدين » ، وما كل معتدٍ كافر ، فمخالفة كل واحدة من الآيتين للأخرى إنما هى لموافقة ما قبل كلّ واحدة منهما من طرح الكلام وقصد الالتئام .

(٣٨) في (ب،ك) : عذاب الله .

(٣٩) أى ليلا ، قال الراغب في المفردات (ص ١٥٢) : « البيات والتبييت : قصد العدوّ ليلا » اهـ .

(٤٠) أى نهاراً ، قال الراغب (ص ٥٠٢) : « الضحى : انبساط الشمس وامتداد النهار ، وسمّى الوقت به » اهـ .

(٤١) في (ب) : إلا الكافر .

(٤٢) في (ب) : وقال .

[٧٧] الآية السادسة عشرة منها[١].

قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿قال إنْ كنتَ جئتَ بآيةٍ فأْتِ بها إنْ كنتَ من الصّادقين ﴿ فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين ﴿ ونَزع يدَه فإذا هي بيضاءُ للنـاّظرين ﴿ قال الملأُ من قوم فرعونَ إنّ هذا لَساحرٌ عليم ﴿ يريد أنْ يُخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴿ قالوا أَرْجِهْ وأخاه وأَرسِلْ في المدائن حاشرين ﴿ يأتوك بكلّ ساحرٍ عليم ﴿ وجاء السّحرةُ فرعونَ قالوا إنّ لَنا لأجراً إنْ كناّ نحن الغالبين ﴿ قال نَعَمْ وإنكم لَمِن المقرَّبين ﴿ قالوا ياموسى إمّا أنْ تُلْقِيَ وإمّا أنْ نكونَ نحنُ الْمُلْقِين﴾[٢][الأعراف١٠٦-١١٥].

وقال في سورة الشعراء مكان قوله:﴿قال الملأُ من قومِ فرعونَ إنّ هذا لَساحرٌ عليم﴾ [الأعراف:١٠٩]:﴿قال للملإِ حوْلَه إنّ هذا لَساحرٌ عليم ﴿ يريد أنْ يُخرجَكم من أرضكم بسِحْرِه فماذا تأمرون ﴿ قالوا أَرْجِهْ وأخاه وابعثْ في المدائنِ حاشرين ﴿ يأتوك بكل سحّار عليم ﴿ فجُمِعَ السَّحَرَةُ..﴾[٣][الشعراء:٣٤-٣٨].

للسائل أن يسأل في هذه القصة عن مسائل : أولها : قوله[٤] في سورة الأعراف [١٠٩-١١٠]: ﴿قال الملأ من قوم فرعونَ إنّ هذا لَساحر عليم ﴿ يريد أنْ يُخرجكم من أرضكم..﴾ ثم قال في سورة الشعراء [٣٤] : ﴿ قال للملأ حوله إنّ هذا لَساحر عليم﴾ فأخبر في الأولى أنّ قائل ذلك الملأُ من قومه وفي الثانية أن فرعون هو القائل ذلك لملئه، وهذا اختلاف ظاهر[٥] في الخبرين ؟ .

والجواب أن يقال : إن قول الملأ[٦] فيما حكاه الله تعالى في سورة الأعراف قولُ فرعون ، أدّاه عنه رؤساءُ قومه[٧] إلى عامة أصحابه ، والدليل على أن ذلك قولُه ، وأنهم فيه مؤدُّو[٨] رسالةٍ عنه قولُ العامة في جوابه : ﴿ أرجهْ وأخاه ﴾ [الأعراف:١١١]، فكان هذا خطابا لفرعون ولم يكن للملأ ، إذ لو كان لهم لكان[٩]:أرجوه[١٠] وأخاه، وإذا كان كذلك لم يخالف ما قاله في الشعراء من أنه:﴿ قال للملأ حوله ﴾[الشعراء : ٣٤] بل يكون هو البادئ بذلك لمن حوله ليؤدّوا إلى مَن بعُد عنه قولَه[١١].

---

(١) في (ب) : من سورة الأعراف .

(٢) أثبتت الآيات من (ب،ك) .

(٣) أثبتت الآيات من (ب،ك) .

(٤) « قوله » ليس في (ب) .

(٥) تكرّر لفظ « ظاهر» في (أ) .

(٦) هم سادة قوم فرعون ورؤساؤهم . وفي اللسان (١٥٩/١ ملأ):((الملأ : الرؤساء ، وقيل : أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدّموهم))

(٧) في النسخ المعتمدة : وؤرساء قومه أدوا عنه ما كان من قوله ، والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٨) في (أ) : مؤدون ، والمثبت من (ب،ك) .

(٩) في (ب،ك) : لقيل ، والمثبت من (أ) .

(١٠) أى : أخّروه ، وذلك إذ كان الخطاب للملأ . وهو من الإرجاء وقال الطبرى في تفسيره (١٦/٩) : «والإرجاء في كلام العرب : التأخير ، يقال منه : أرجيت هذا الأمر وأرجأته ، إذا أخّرته » اهـ .

(١١) قد استشكل الزمخشرى في تفسيره (١٠٢/٢) إسناد القول إلى الملأ في سورة الأعراف وإسناده إلى فرعون في سورة الشعراء فأجاب عن ذلك بثلاثة أوجه :

أحدهما : أن يكون هذا الكلام صادراً من فرعون ومن ملئه ، فحكى هنا عنهم وفي الشعراء عنه .

<===

فإن قال قائل(١٢):فكيف اختصت سورة الأعراف بحكاية ما قال الملأ، وسورة الشعراء بما قاله فرعون؟

قيل : إنّ أوّل مَن ردّ قول موسى عليه السلام فرعونُ ، ثم مالأه(١٣) عليه ملؤه ، وهو ما حكاه الله تعالى في سورة الشعراء واقتص(١٤) حاله حيث أخبر عنه بما قاله:﴿..ألم نربِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ [الشعراء : ١٨] إلى أن انتهت الآيات إلى القصة(١٥) المودعة ذكر السحرة ، فقال فرعون للملأ حوله ما أدّوه عنه إلى غيرهم ، وسورةُ الشعراء مكية كسورة الأعراف ، وترتيب الاقتصاص يقتضى أن تكون(١٦) قبلها ، وفى السورة الثانية(١٧) أخبر عما أدّاه عنه(١٨) ملؤه إلى الناس الذين(١٩) أجابوه بأنْ ﴿ أرجه وأخاه﴾ فكان قول فرعون للملأ حوله سابقا قولَ الملأ الذين أدّوا إلى غيرهم(٢٠) قولَه ، فذكر حيث قصد اقتصاص(٢١) أوّل من(٢٢) دعاه موسى عليه السلام إلى طاعة الله تعالى(٢٣).

والثاني : أنه قاله ابتداءً فتلقته منه الملأ وهم خاصّته فقالواه لأعقابهم .

والثالث : أنهم قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك ، يرى الواحد منهم الرأي فيكلّم به من يليه من الخاصة ثم تبلّغه الخاصةُ العامةَ)). بتصرف يسير ، وانظر أيضا: الدر المصون (٥/٤٠٧) .

(١٢) « قائل » لايوجد في (ك) و(ط) .

(١٣) عاونه عليه ملؤه . قال الراغب في المفردات(٧٧٦) :« مالأته : عاونته »، وفي اللسان (١/١٥٩ ملأ):« وقد مالأته على الأمر ممالأةً : ساعدته عليه وشايعته » اهـ .

(١٤) في (ب) فاقتصر - وفي (ط) : فاقتضى ، كلاهما خطأ .

(١٥) هى التى تبدأ بقوله تعالى : ﴿ فجُمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ الشعراء : ٣٨ .

(١٦) في (ب) أن يكون .

(١٧) أى في سورة الأعراف .

(١٨) في (ب) : أدّوه عنه .

(١٩) في (أ) : الذى .

(٢٠) في (أ) : (ب،ك) : عير.

(٢١) في النسخ المعتمدة : اختصاص . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٢٢) في النسخ المعتمدة : ما ، والمثبت من النسخ السابقة .

(٢٣) قال ابن الزبير في ملاك التأويل (١/٥٦١) :« لمّا تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى : ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ﴾ [الأعراف : ١٠٣] فوقع ذكر الملأ مبعوثا إليهم مع فرعون ، ناسب ذلك أن يذكَروا في الجواب..، ولمّا تقدم في سورة الشعراء [١٦] : ﴿ فأتيا فرعون ﴾ ثم جرى ما بعد من المحاورة ومراجعة الكلام بين موسى عليه السلام وفرعون ، ولم يقع الملأ هنا ، ناسب ذلك قوله:﴿قال للملأ حوله ﴾ [الشعراء : ٣٤] لأن فرعون هو الذي راجع وخوطب ، فجاء كل على ما يناسب»اهـ بتصرف يسير .

ويقول الأستاذ المشرف على هذه الرسالة الدكتور عبد الستار حفظه الله: وأقرب من هذا أن يقال: حين جاء موسى وأظهر المعجزة حدث هرج ومرج فقال فرعون ذلك القول، وقال الملأ ذلك القول تقليداً له، أو ابتداءً من عند أنفسهم، فقصّ القرآن كلام كلٍّ منهم، والله أعلم.

[٧٨] الآية السابعة عشرة منها[١]

قوله تعالى فيها[٢]: ﴿ يريد أنْ يُخرِجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ [الأعراف : ١١٠].

وقوله[٣] في سورة الشعراء [٣٥]:﴿ يريد أنْ يُخرِجكم من أرضكم بِسِحْرِه فماذا تأمرون﴾.

للسائل أن يسأل فيقول[٤]:ذكر في الآية[٥] الأولى: أنه قال[٦]:﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ فحسب، وذكر في الثانية أنه قال[٧]:﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ والقول واحد، فلماذا اختلف ؟

[٤٤/أ] والجواب أن يقال : لمّا أسند الفعل في سورة الشعراء[٨] إلى / فرعون ، وحكى ما قاله وأنه قال للملأ حوله[٩] من قومه ﴿ إنّ هذا لَساحر عليم ﴾ [الشعراء:٣٤] وكان أشدهم تمرُّداً وأوّلهم تجبُّراً ، وأبلغهم فيما يردّ به الحق ، كان في قوله:﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ ذكرُ السبب الذي يصل به[١٠] إلى الإخراج ، وهو ﴿ بسحره ﴾ فأشبع المقال[١١] بعد قوله : ﴿ إن هذا لَساحر عليم ﴾ بأن ذكر أنه ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ﴾[١٢].

وأما الموضع الذي لم يذكر فيه ﴿ بسحره ﴾ فهو ما حكى من قول الملإ في سورة الأعراف[١٣]، حيث قال : ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾ [الأعراف :١٠٩-١١٠] والملأ لم يبلغوا مبلغ فرعون في إبطال ما أورده موسى عليه السلام، ولم يَجْفُوا[١٤] في الخطاب جفاءَه ، فتناولت الحكاية ما

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) أي في قصة موسى التي تقدم ذكرها آنفاً في الآية السابقة . ولفظ « فيها » ليس في (ب،ك) .

(٣) في (ب،ك) : وقال .

(٤) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٥) « الآية » ليس في (ب) .

(٦) « أنه قال » ليس في (ك) .

(٧) في (ك) : بدل ذلك : وفي الثانية .

(٨) في النسخ المعتمدة : في الأولى . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٩) « حوله » أثبت من (ك،و) .

(١٠) في (ب) : به يصل .

(١١) في (ك) : المقالة .

(١٢) في (أ) : يريد إخراجهم بسحره . وفي (ب،ك) : يريد أن يخرجكم بسحره . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(١٣) في (ح،خ،ر،س) : وأما في سورة الأعراف فأسند الفعل الى الملأ .

(١٤) أي لم يغلظوا . قال صاحب المصباح المنير (١٠٤/١) :« حفا الثوب يجفو إذا غلُظ فهو جاف ، ومنه حفاء البدو: وهو غِلظهم وفظاظتهم » اهـ .

قاله فرعون على جهته بتكرير لفظ « السحر » من فعله[١٥] بعدما أخرجه بصفته[١٦] حيث قال: ﴿ إنّ هذا لَساحر عليم ﴾[١٧].

فإن قال قائل : فقد ذكر الله عز وجل في سورة طه [٦٣] عن الملأ أنهم: ﴿قالوا إنْ هذان لَساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى..﴾[١٨].

قيل له: قوله تعالى:﴿فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرّوا النجوى ﴾ قالوا إنْ هذان لَساحران..﴾ [طه : ٦٢-٦٣] خبر عن فرعون وملئه . فلما كان[١٩] من[٢٠] جملتهم غلب أمره على أمرهم ، ألا ترى أن ابتداء ذلك:﴿ولقد أريناه آياتنا كلَّها فكذَّب وأَبَى﴾ [طه:٥٦] وهذا خبر عن فرعون ، ثم بعده:﴿قال أجئتَنا لِتُخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴾ فلَنأْتِيَنَّك بسِحرٍ مثلِه فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخلِفه نحن ولا أنتَ مكاناً سُوًى ﴾ قال موعِدُكم يوم الزِّينة ...﴾[٢١] [طه : ٥٧-٥٩] وهو خطاب لفرعون ومن تبعه ، ويجوز أن يكون له وحده على ما يخاطَب به الملوك من لفظ الجمع كما يخبرون بمثله عن أنفسهم ، فذكر قوله:﴿ بسحره ﴾ فيما حكاه من كلام فرعون[٢٢] ، فلذلك خلا منه الموضع الذي كان الخبر فيه[٢٣] عن الملأ من قومه[٢٤] . فاعلمه إن شاء الله تعالى[٢٥] .

---

(١٥) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : من لفظه .

(١٦) في (ك،ر) : في صفته .

(١٧) من قوله « من فعله » إلى هنا سقط من (ب) .

(١٨) نسخة (ك) إلى قوله تعالى : « ويذهبا » .

(١٩) أى فرعون .

(٢٠) في (ب،ك) : في .

(٢١) أثبتت الآيات من (ب،ك) .

(٢٢) في (ك) : عن فرعون ، بدل « من كلام فرعون » .

(٢٣) « فيه » ليس في (أ،ب).

(٢٤) في (ب) : من قوله ، وهو خطأ .

(٢٥) « إن شاء الله تعالى » ليس في (ك) .

[٧٩] الآية الثامنة عشرة منها[١] .

قوله تعالى : ﴿ قالوا أَرْجِهْ وأخاه وأَرسِلْ في المدائنِ حاشرين ﴾ [الأعراف : ١١١] .

وقال في سورة الشعراء [٣٦]: ﴿ قالوا أَرْجِهْ وأخاه وابعثْ في المدائنِ حاشرين ﴾ .

للسائل أن يسأل فيقول[٢] : لأيّ معنى اختلف اللفظان في الآيتين ، فكان في الأولى «أرسل» وفي الثانية «ابعث» وهل يجوز أحدهما مكان الآخر ؟ .

والجواب أن يقال[٣] : اللفظتان نظيرتان ، تستعمل إحدهما مكان الأخرى، وقد جاء[٤]: بعث الرسول[٥] ، وأرسله[٦] معاً ، إلاّ أن « أرسل » يختص بما لايختص به «بعث» لأن البعث لايتضمّن ترتيبا ، والإرسالُ أصله : تنفيذ من فوق إلى أسفل[٧] .

و« أرسل » في سورة الأعراف حكاية قول العامة للملأ المؤدِّين كلام فرعون إليهم ، فلما تعالَى[٨] عليهم و لم يخاطبهم بنفسه كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب ، فكانت الحكاية باللفظ[٩] الذى يفخّم به المخاطَب ، كما فخّم[١٠] في تحميله ملأَه أن يؤدّوا كلامه إلى من دونهم .

ولمّا تناولت الحكاية في سورة الشعراء ما تولاّه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه بإسقاط الحجاب بينهم وبينه ، وتسوية قدرهم بقدره، لقوله:﴿ قال للملأ حوله ﴾ [الشعراء : ٣٤] كان هذا الموضع / مخالفا للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم ، فخصّ باللفظ الذي ليس فيه ما فى الأول من التعظيم ، وهو قوله : « ابعث ». [٤٤/ب]

---

(١) في (ك) : من سورة الأعراف .

(٢) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٣) « أن يقال » ليس في (أ) .

(٤) في (أ) : يقال ، والمثبت من (ب،ك) .

(٥) كما في قوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ... ﴾ الجمعة : ٢ . ٠

(٦) كما في قوله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...﴾ التوبة : ٣٣ .

(٧) قال ابن الزبير في ملاك التأويل (٥٦٥/١) :« إن **أرسل** أخص في باب الإرسال من البعث ، إذ لايقال **أرسل** إلا فيما كان توجيها ، فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازاً ، أمّا **بعث** فإنه يقع بمعنى الإرسال وبمعنى الإحياء .. فلما كان الإرسال أخصّ وقع الإخبار به أولا ثم وقع ثانيا بالبعث تنويعا للعبارة ، وعلى الترتيب في موضع اللفظ المطرد في القرآن » اهـ .

قال الكرماني في البرهان (ص ١٩٧) :« لأن الارسال يفيد معنى البعث ويتضمن نوعاً من العلو ، لأنه يكون من فوق ، فخص هذه السورة لما التبس ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره » اهـ .

(٨) أي ترفّع .

(٩) في (أ): اللفظ، والمثبت من (ب ، ك).

(١٠) في (ب): فخر .

[٨٠] الآية التاسعة عشرة منها[١] .

قوله تعالى بعد ما قال:﴿يأتوك بكلّ ساحر عليم﴾ [الأعراف : ١١٢] ﴿ وجاء السّحرة فرعونَ قالوا إنّ لنا لأجراً ﴾ [الأعراف : ١١٣] .

وقال في سورة الشعراء بعد: ﴿.. بكل سحّار عليم ﴾[٢] [الشعراء : ٣٧] ﴿ فجُمع السّحرة لميقات يوم معلوم ﴾ وقيل للناس هل أنتم مجتمِعون ﴾ لعلّنا نتّبع السّحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ فلمّا جاء السّحرة قالوا لفرعون أئنّ لنا لأجراً ... ﴾[٣] [الشعراء : ٣٨-٤١] .

للسائل أن يسأل فيقول[٤] : المحكيّ في «الشعراء » أكثر من المحكيّ في سورة الأعراف بعد قوله : ﴿يأتوك بكل سحّار عليم ﴾ إلى أن انتهى قوله[٥] تعالى إلى ما هو خبر عن السحرة من قولهم لفرعون: ﴿ أئن لنا لأجراً ﴾ [الشعراء : ٤١] ؟ .

والجواب ما دلّلنا عليه من[٦] أن ما في سورة الشعراء أشد اقتصاصا للأحوال التى كانت بين[٧] موسى وبين[٨] عدوه فرعون لاشتماله على ذكر ابتداء مبعثه إليه حيث قال : ﴿وإذ نادى ربُّك موسى أن ائْتِ القومَ الظالمين ﴾ قومَ فرعونَ ألا يتقون﴾ [الشعراء :١٠-١١].

فجاء في هذه الآيات التى في ذكر السحرة من بيان ماجرى مالم يجيء في التى[٩] في سورة الأعراف، فمنه قول الله تعالى:﴿ فجُمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ [الشعراء : ٣٨] كما قال في سورة طه [٥٧-٥٩]: ﴿ قال أجئتنا لِتُخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى ﴾ فلنأتينّك بسِحرٍ مثلِه فاجعل بيننا وبينك موعِداً لا نُخلفه نحن ولا أنت مكانا سُوىً ﴾ قال موعدكم يوم الزِّينة وأن يحشَر الناسُ ضُحىً﴾[١٠] فهذا هو قوله:﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ [الشعراء:٣٨].

وفي سورة الأعراف لمّا لم تبدأ[١١] القصة فيها بذكر مبعثه عليه السلام، وابتداء أمره لم تكن مبنيّة على مابُنِيَتا[١٢] عليه من[١٣] اقتصاص معظم حاله ، وأول ما كان من مبعثه[١٤]

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) أول الآية : ﴿ يأتوك بكل سحّار عليم ﴾ . وفي (أ،ب) : ﴿ سحّار عليم ﴾ . والمثبت من (ك) .

(٣) تتمة الآية : ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئنّ لنا أجراً إنْ كنّا نحن الغالبين ﴾ .

(٤) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٥) في (أ) : إلى قوله .

(٦) في (ك) : في .

(٧) في (أ) : من ، بدل « بين» ، والمثبت من (ب،ك) .

(٨) في (أ) : من ، بدل « بين» ، والمثبت من (ب،ك) .

(٩) أى في الآيات التى . لفظ « التى » ليس في (أ،ب) وأثبت من (ك) .

(١٠) في (أ) : ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى ﴾ الآيات . والمثبت من (ب،ك) .

(١١) في (أ) : لم تبدو ، وهو خطأ . والمثبت من (ب) و(ك) و(ر) .

حيث يقول : ﴿ إذهب إلى فرعـون إنـه طغـى ﴾ قـال رب اشـرح لى صـدرى ﴾ ويسّـر لي أمرى﴾[١٥] [طه : ٢٤-٢٦] .

فلمّا كـان القصـد في سـورة الأعـراف ذكـر الجمـل مـن بعـض ماكـان ، لا[١٦] ذكـر تفصيله، كان الاقتصار بعد ذكر إرسال الحاشرين إلى السحرة ، ومجيئهم يغنى عن ذكر[١٧] تواعدهم ليـوم يُظهـرون فيـه حِيلَهـم وتمويهـاتهم[١٨] ، إذ معلـوم أنّ مثـل ذلـك الخطْـب[١٩] الجسيم[٢٠] ، وحشـر العـدد الكثـير ينتهـي إلى يـومٍ يتواعـَد إليـه مشـهودٍ[٢١] ، وعلـى هـذا ينَى[٢٢] الكلام في أكثر متشابه هذه القصة[٢٣].

---

(١٢) في النسخ المعتمدة : بنينا . والمطبوعة : بيتا . والمثبت من (خ) وهو الصحيح .

(١٣) في (ك) : في .

(١٤) في (ك) : بعثته .

(١٥) نسخة (أ) إلى آخر الآية الأولى . ونسخة (ك) إلى آخر الثانية . والمثبت من (ب) .

(١٦) « لا » أثبتت من (و) .

(١٧) « ذكر » ليس في (أ،ب) . وهو أثبت من (ك،خ،ر) .

(١٨) في (ك) : وتمويههم .

(١٩) أى الأمر الشديد . وفي اللسان (١/٣٦٠ خطب) : « الخطب : الشأن والأمر » .

(٢٠) في (ب) و(ك) : العظيم .

(٢١) يوم مشهود : يجتمع فيه الناس لأمر ذى شأن (المعجم الوسيط ، ص ٤٩٧) .

(٢٢) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : ينبنى .

(٢٣) ذكرت قصة موسى عليه السلام في بعض السور بإطناب كما في في سورة الشعراء ، حيث جاء مابعد قوله تعالى ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ [الشعراء:٣٨] على وجه الإطناب ليناسب ماتقدمه من محـاورة موسى عليه السلام ومكالمته فرعون من أول قوله تعالى : ﴿ وإذ نادى ربك موسى ... ﴾ [الشـعراء : ١٠] ، بخـلاف سورة الأعراف حيث بنى الكلام فيها على الإيجاز في البيان، والأكثار ـ في مقابل ذلك ـ من ذكـر العديـد مـن المواقف التي لم تذكر في سورة الشعراء، مثل السنين ، والآيات الـتي أرسـلت علـى فرعـون وقومـه، وطلـب آلهـة يعبدونها، وعبادة العجل، واختيار سبعين رجلا..

[٨١] الآية العشرون منها[١] .

قوله تعالى في الآية التى قبل : ﴿ وجاء السحرةُ فرعونَ قالوا إنّ لنا لأجراً إنْ كنـاّ نحـن الغالبين ﴾[٢] [الأعراف : ١١٣] .

وقال في سورة الشعراء [٤١] : ﴿ فلمّا جاء السّحرة قالوا لِفرعـون أئـنّ لنـا لأجـراً إنْ كناّ نحن الغالبين﴾[٣] .

للسـائل أن يسـأل فيقـول[٤] : كيـف اختلفـت[٥] الآيتـان ، وكيـف جـاز : ﴿ وجـاء السحرة فرعـون قـالوا ﴾[٦] وحـقّ الكـلام أن يكـون في ﴿ قـالوا ﴾ واوٌ أو فـاء ، نحـو جـاء السحرة فرعون فقالوا أئنّ لنا لأجراً ، أو وقالوا ؟ .

والجواب أن يقال : لمّا تقدم في سورة الشعراء ماشرحُه أكثر ومـا في سـورة الأعـراف أوجز وأخصر ، كان قوله في الأعراف : ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ بمعنى ما كان بإزائه في سورة الشعراء : ﴿ فلما جاء السحرة ﴾ فلـم يحتَـج في جـواب « لمّـا » إلى « فـاء » ولا إلى[٧] «واو» ، وكذلك هنا[٨] في سورة الأعراف ، لمّا قُصد هذا المعنى دلّ بحذف العاطف على هـذا القصد ، فكأنه قال : فلمّا جاء السحرةُ فرعونَ قالوا أئنّ لنا لأجراً[٩] .

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) في (أ،ك) إلى قوله تعالى : ﴿ لأجراً ﴾ والمثبت من (ب) .

(٣) في (أ،ب) إلى قوله تعالى : ﴿ لأجراً ﴾ والمثبت من (ك) .

(٤) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٥) في (ب،ك) : اختلف .

(٦) في (أ) : « وجاء السحرة فرعون » والمثبت من (ب،ك) .

(٧) في (أ،ب،ك) : وإلى واو ، والمثبت من (ح،خ،ر،م) .

(٨) في (أ) : ما ، وفي (ك) : هاهنا ، والمثبت من (ب،ح) .

(٩) قال الزمخشري في تفسيره (١٠٢/٢) : « فإن قلت : هلاّ قيل : وجاء السحرة فرعـون فقـالوا ؟. قلـت : هـو على تقدير سائل سأل : ما قالوا إذ جاؤوه ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قالوا أئن لنا لأجراً ﴾ ». قال السمين في الدر المصون (٤١٣/٥) بعد أن ذكر كلام الزمخشري : « وهذا قد سبقه إليه الواحدي إلا أنـه قـال : ولم يقـل: فقـالوا ، لأن المعنى لمّا جاؤوا قالوا ، فلم يصح دخول الفاء على هذا الوجه . والوجه الثاني : أنها في محل نصـب على الحـال من فاعل جاؤوا قاله الحوفي » اهـ .

[٨٢] الآية الحادية والعشرون منها (١)

قوله تعالى(٢) : ﴿ قالوا إنّ لنا لأجراً إنْ كنّا نحن الغالبين ﴾ قال نعمْ وإنكم لَمن المقرَّبين﴾ [الأعراف : ١١٣-١١٤] .

وقال في سورة الشعراء [٤٢] : ﴿ قال نعم وإنكم إذاً لمن المقرَّبين ﴾(٣).

للسائل أن يسأل عن زيادة « إذاً » في سورة الشعراء ، وخلوّ سورة الأعراف منها ؟

والجواب أن معنى(٤) قوله « إذاً » جواب وجزاء(٥) ، وكان من قول فرعون لهم : إن غلبتم فجزائي أن أجازيكم بإعلاء رتبتكم ، وتقريب منزلتكم ، فلأجل ذلك أفعل هذا بكم، فاختصت(٦) سورة الشعراء / بها(٧) دون غيرها ، لأنها موضع بُني على فصل(٨) اقتصاص لما جرى ، لم يُبْنَ(٩) غيرُها عليه من نحو ما تقدم وما يجيئ بعدُ(١٠). [٤٥/أ]

---

(١) في (ك) : في سورة الأعراف .

(٢) في (ب) : قوله تعالى في سورة الأعراف .

(٣) من قوله « وقال » إلى هنا سقط من (أ) .

(٤) لفظ « معنى » سقط من (أ) .

(٥) هو قول سيبويه (ينظر : الكتاب لسيبويه ٢٣٤/٤ ، مغنى اللبيب لابن هشام ص ٣٠) .

(٦) في (أ) : فاقتضت، والمثبت من (ب ، ك).

(٧) أي بـ « إذاً » في النسخ المعتمدة : بهذا . والمثبت من (ح،خ،م) .

(٨) أي تفصيل ، وفي (أ،ب) : فضل ، والمثبت من (ك) .

(٩) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : لم يبين .

(١٠) لقد أوضح ابن الزبير في ملاك التأويل (٥٦٧/١) كلام المصنف فقال:« أن " إذاً " تقع جواباً وجزاء ، والمعنى في السورتين – أي الأعراف والشعراء – مقصود به الجزاء ، فوقع الاكتفاء في الأعراف بقوله تعالى : ﴿ نعم ﴾ . والمعنى : نعم لكم ما أردتم من الأجر وزيادة التقريب و الحظوة ، ولاشك أن المعنى : إن غلبتم فلكم ذلك .. ثم ورد في سورة الشعراء مفصحاً بالأداة المحرزة له ، وهي ﴿ إذاً ﴾ ليناسب بزيادتها ما مضت عليه – أي هذه السورة – من الاستيفاء والإطناب كما تقدم ، وناسب سقوطها في الأعراف مقصود الإيجاز في هذه القصة » اهـ .

[٨٣] الآية الثانية والعشرون منها (١)

قوله تعالى: ﴿ قالوا يا موسى إما أنْ تُلْقِي وإمّا أنْ نكون نحن الملقين ﴾ [الأعراف: ١١٥] .

وقال في سورة طه [٦٥] : ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقى وإمّا أن نكون أوّل من ألقى ﴾ .

للسائل أن يسأل عن اختلاف المحكي في الموضعين مع أن ذلك في شيء واحد ؟

والجواب أن يقال(٢) : أن المقصود معنى واحد ، فاختير(٣) في سورة الأعراف : ﴿..وإمّا أن نكون نحن الملقين ﴾ لأن الفواصل قبله على هذا الوزان(٤) ، واختير في سورة طه: ﴿وإمّا أن نكون أول من ألقى﴾ لذلك(٥).

ومثله قوله تعالى : ﴿ وأُلقي السّحرة ساجدين ﴾ في سورة الأعراف [١٢٠] وسورة الشعراء [٤٦] لتكون الفاصلة فيهما مساوية(٦) للفواصل قبلها ، وبإزاء ﴿ ساجدين ﴾ قوله: ﴿ فألقى السحر سجّداً ... ﴾ في سورة طه [٧٠] لذلك(٧) .

ومثله قوله تعالى : ﴿ قالوا آمنّا برب العالمين ﴿ ربِّ موسى وهارون ﴾ في السورتين(٨) للفواصل التى حُملت(٩) هذه عليها . وقال في سورة طه [٧٠] : ﴿ ... قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴾ فقدّم « هارون » ليكون « موسى » فاصلة مثل الفواصل المتقدمة .

فهذا ونحوه ممّا يراعى في الفواصل ، ألاترى إلى قوله تعالى : ﴿ ... وأطعنا الرسولا﴾(١٠) و﴿ ... فأضلّونا السبيلا ﴾(١١) فزيدت الألف ، لا للبدل من التنوين ، إذ

---

(١) في (ك) : من سورة الأعراف .

(٢) « أن يقال » أثبت من (ر) .

(٣) في (ب،ك) : واختير .

(٤) في (ك) : الوزن .

(٥) « لذلك » أثبت من (خ،ر) .

(٦) في (و) : متساوية . وفي (خ) : لتساوى الفواصل .

(٧) في (أ،ب،ك) : كذلك . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٨) هما سورة الأعراف (١٢١-١٢٢) وسورة الشعراء (٤٧-٤٨) .

(٩) في (أ،ب) : جعلت . والمثبت من (ك،و) .

(١٠) من الآية (٦٦) في سورة الأحزاب .

(١١) من الآية (٦٧) في سورة الأحزاب . في جميع النسخ : وأضلونا ، وهو خطأ .

لاتنوين مع الألف والام ، وإنما ذلك للتوفقه بينهما وبين الفواصل التى قبلها وبعدهمـا ، نحـو ﴿ تقتيـلا ﴾[١٢] و﴿ تبديـلا ﴾[١٣] و﴿ قريبـا ﴾[١٤] و﴿ سـعيراً ﴾[١٥] و﴿ نصـيراً ﴾[١٦] وبعدهما[١٧] : ﴿ كبيراً ﴾[١٨] و﴿ وجيها ﴾[١٩] و﴿ سديداً ﴾[٢٠] و﴿ عظيما ﴾[٢١] .

---

(١٢) من الآية (٦١) في سورة الأحزاب .

(١٣) من الآية (٦٢) في سورة الأحزاب .

(١٤) من الآية (٦٣) في سورة الأحزاب .

(١٥) من الآية (٦٤) في سورة الأحزاب .

(١٦) من الآية (٦٥) في سورة الأحزاب .

(١٧) أى بعد الآيتين (٦٦-٦٧) اللتين تقدم ذكرهما آنفت .

(١٨) من الآية (٦٨) في سورة الأحزاب .

(١٩) من الآية (٦٩) في سورة الأحزاب .

(٢٠) من الآية (٧٠) في سورة الأحزاب .

(٢١) من الآية (٧١) في سورة الأحزاب .

[٨٤] الآية الثالثة والعشرون منها[١] .

قوله تعالى : ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ ﴿ ربّ موسى وهارون ﴾ [الأعراف : ١٢١-١٢٢].

وقال في سورة الشعراء [٤٧-٤٨] مثله .

وقال في سورة طه [٧٠] : ﴿ ... قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴾[٢] .

للسائل أن يسأل فيقول[٣] : لِم كرّر[٤] ذكر « رب » في السورتين[٥] ولم يكرّره في سورة طه ، إنما قال : ﴿ قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴾ ؟ .

والجواب أن يقال : إذا قيل : ﴿ رب العالمين ﴾ فقد دخل فيهم موسى وهارون وهما دَعَواً إلى رب العالمين لمّا قالا:﴿..إنّا رسول ربّ العالمين ﴾[٦][الشعراء: ١٦] إلاّ إنه كرّر في السورتين[٧] : ﴿ رب موسى وهارون ﴾ ليدل[٨] بتخصيصهما[٩] بعد العموم على تصديقهم[١٠] بما جاءا به عليهما السلام عن الله تبارك وتعالى، فكأنهم قالوا[١١] : آمنا بربّ العالمين ، وهو الذى يدعو إليه موسى وهارون .

وأما في سورة طه فلم يذكر « رب العالمين » لأنه كان[١٢] الكلام يتم به[١٣] آيةً[١٤] كما تمّ[١٥] في السورتين[١٦] ، فيكون مقطع الآية فاصلة مخالِفة للفواصل التى بُنيت عليها سورة طه[١٧]، فقال تعالى:﴿..آمنا برب هارون وموسى ﴾ وربهما هو رب العالمين ، وكان القصد حكاية المعنى لا أداء اللفظ على جهته[١٨] كما دللنا عليه قبل[١٩] .

---

(١) في (ب) : من الأعراف . وفي (ك) : من سورة الأعراف .

(٢) من قوله « وقال في سورة الشعراء » إلى هنا سقط من (ب،ك) . وأثبت من (أ) .

(٣) قوله : « للسائل أن يسأل فيقول » ليس في (أ،ب) وأثبت من (ك) .

(٤) في (أ) : ولم تكرّر . وفي (ب) : لم يكرر . والمثبت من (ك،و) .

(٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : الآيتين .

(٦) في (ب،ط) : رسولا ، وهو خطأ .

(٧) في (ب) : لأنه كرر في سورتين . وسقط من (أ) . والمثبت من (ك،ر) .

(٨) في (ب) : لتدل .

(٩) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : على تخصيصهم ، فلا وجه له .

(١٠) في (ط) : على تصديقهما ، فلا وجه له .

(١١) في (ب،ك) : فكأنه قيل .

(١٢) في (ك) : ما كان .

(١٣) أي بذكر « رب العالمين ».

(١٤) في (ح،ر): يتم بذاته ، بدل « به آية » . وفي (خ) : بدل ذلك : « بل أنه » .

(١٥) « تمّ » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٦) أي: سورة الأعراف والشعراء.

(١٧) حيث إن سورة طه اكتفى فيها بقوله تعالى:﴿برب هارون وموسى﴾ من غير إعادة لفظ « رب » مراعاة للفواصل. لأن فواصلها على نمط ﴿موسى﴾ مثل:﴿أتى﴾ [٦٩] و﴿أبقى﴾ [٧١] و﴿ الدنيا﴾ [٧٢] و﴿ أبقى﴾ [٧٣] و﴿ يحيى﴾ [٧٤] وهكذا .

(١٨) في (ب) : على ما . وفي (ك) : بما .

(١٩) انظر من هذا الكتاب:١٤٨/١، حيث قال فيها :« أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبنى إسرائيل وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم ، وما حكاه من قولهم ، وقوله عز وجل لهم ، لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها ، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها » اهـ من كلام المصنف .

[٨٥] الآية الرابعة والعشرون منها [١]

قوله تعالى : ﴿ قال فرعونُ آمنتم به قبل أنْ آذنَ لكم ...﴾ [الأعراف : ١٢٣] .

وقال في سورة طه [٧١] : ﴿ قال آمنتم له قبل أنْ آذنَ لكم ...﴾[٢] .

للسائل[٣] أن يسأل عن موضعين من هذه الآية :

أحدهما[٤]: إظهار اسم « فرعون » لعنه الله[٥] في سورة الأعراف في هذا اللفظ وإضماره / له في مثله من سورتي[٦] طه والشعراء ؟ [٤٥/ب]

والثاني: قوله: ﴿ آمنتم به ﴾ وقال في الموضعين الآخرين : ﴿ آمنتم له ﴾ ووجه اختلافهما[٧] ؟.

والجواب عن السؤال[٨] الأول ، وهو إظهار اسم فرعون[٩] في سورة الأعراف ، وإضماره فيما سواها: أن الذكر العائد إلى فرعون بعد في سورة الأعراف، لأنه جاء في الآية العاشرة من الآية التي أضمر فيها ذكره، وهي قوله:﴿ قال نَعم وإنّكم لَمن المقرَّبين﴾[الأعراف:١١٤] وجاء في الآية العاشرة من هذه السورة[١٠]:﴿ قال فرعون آمنتم به ﴾ [الأعراف : ١٢٣] ولم يبعُد هذا الذكر في الآيتين اللتين في سورة طه والشعراء ، لأن فرعون مذكور في سورة طه في جملة قومه الذين أخبر عنهم بقوله:﴿ قال أجئتَنا لِتُخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴾[١١][طه : ٥٧] وبعده: ﴿فتولّى فرعون فجَمع كيده ثم أتى﴾ قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذِباً فيُسْحِتَكم بعذابٍ وقد خاب من افترى﴾[١٢][طه:٦٠-٦١] وهذا خطابه لفرعون وقومه، وضميرهم[١٣] منطوٍ على ضميره إلى قوله:﴿فأَجْمِعوا كيدَكم ثم ائْتوا صفاً..﴾ [طه : ٦٤] .

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) في (أ) : ﴿ آمنتم له ﴾ . والمثبت من (ب،ك) .

(٣) في (ك) : وللسائل .

(٤) « أحدهما » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٥) « لعنه الله » أثبت من (ب،ك) .

(٦) في (أ،ب) : سورة . والمثبت من (ك) .

(٧) صيغة السؤال في (ح،خ،ر،س): لم أظهر اسم فرعون في الأعراف خاصة ، ولم قال ﴿ به ﴾ في الأعراف و ﴿ له ﴾ في غيرها ؟

(٨) في (ب،ك) : الموضع . والمثبت من (ح،خ،ر،س) وهو سقط من (أ) .

(٩) في (أ،ك) : الاسم . والمثبت من (ب) .

(١٠) ليس المراد أنها الآية العاشرة في سورة الأعراف، بل في الآية العاشرة اعتبارا من الآية التي أضمر فيها ذكر فرعون، وهي قول تعالى:﴿قال نعم وإنكم لَمن المقربين﴾[الأعراف: ١١٤]. ولفظ السورة سقط من (ك).

(١١) في (أ،ك،ط) : قالوا ، وهو خطأ . والمثبت من المصحف الشريف ومن (ب) .

(١٢) في (أ) : ﴿ فتولى فرعون بجمع كيده ثم أتى ﴾ الآيتين . والمثبت من المصحف الشريف و(ب،ك) .

(١٣) « وضميرهم » سقط من (ك) .

والذكر في قوله[١٤] : ﴿ قال آمنتم له ..﴾ [طه : ٧١] إنما هو في السابع[١٥] من الآي التي جرى ذكره فيها .

وكذلك في سورة الشعراء لم يبعُد الذكر بعده في سورة الأعراف ، ألا ترى أن آخر ما ذكر فيما اتصل بهذه الآية[١٦] قوله تعالى : ﴿ قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين ﴾ [الشعراء :٤٢] وذكره بعد ذلك في الآية الثامنة[١٧] من الآية التي جرى ذكره فيها .

فلما بعد الذكر في سورة الأعراف خلافَ بُعْدِه في السورتين[١٨] . إذ كان[١٩] في إحداهما[٢٠] في السابعة ، وفي الأخرى في الثامنة ، وهي في الأعراف في العاشرة أعيد ذكره الظاهر لذلك[٢١] .

والجواب عن السؤال الثاني وهو قوله : ﴿ آمنتم به ﴾ في سورة الأعراف و ﴿ آمنتم له ﴾ في السورتين الأخريين ، وهو[٢٢] أن الهاء في ﴿ آمنتم به ﴾ غير الهاء في ﴿ آمنتم له﴾ ، وكلّ واحدة تعود إلى غير ما تعود إليه[٢٣] الأخرى .

فالتي[٢٤] في ﴿ آمنتم به ﴾ تعود[٢٥] إلى رب العالمين ، لأنه تعالى حكى عنهم أنهم[٢٦]:﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾[الأعراف:١٢١] وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام . وأما الهاء في قوله[٢٧]: ﴿آمنتم له ﴾ تعود[٢٨] إلى موسى عليه السلام ، والدليل على ذلك أنه جاء في السورتين بعدها[٢٩] :﴿إنّه لَكبيركم الذي علّمكم السحر...﴾ [طه:٧١ ، الشعراء :٤٩] فالهاء في ﴿إنه ﴾ هي التي في ﴿آمنتم له ﴾ فلا[٣٠] خلاف أن هذه لموسى عليه السلام.

---

(١٤) « في قوله » سقط من (ك) .

(١٥) في (ك) : السابع ، بدون « في » .

(١٦) وهي قوله تعالى : ﴿ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ﴾ الشعراء : ٤٩ .

(١٧) هي الآية (٤٩) من سورة الشعراء ، حيث إنها الآية الثامنة بعد الآية (٤٢) من هذه السورة .

(١٨) في (ح،خ) : في غيرها من السورتين .

(١٩) أي ذكر فرعون .

(٢٠) في (أ) : أحدهما ، وفي (ب) : في أحدهما . والمثبت من (ك)، والمعنى : في إحدى السورتين، وهي سورة طه هنا حيث جاء فيها ذكر فرعون بعد سبع آيات . وأما سورة الشعراء فجاء فيها ذكر فرعون بعد ثماني آيات .

(٢١) في (ك) : لهذا .

(٢٢) في (ب،ك) : هو ، بدون الواو .

(٢٣) « غيرما تعود » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٤) في (ك) : فالذي .

(٢٥) « تعود » ليس في (أ،ب،ك) . وأثبت من (ح،خ،ر) .

(٢٦) « أنهم » ليس في (ب،ك) .

(٢٧) « قوله » ليس في (أ،ك) وأثبت من (ب) .

(٢٨) « تعود » ليس في النسخ المعتمدة وأثبت من (ح،خ،ر) .

(٢٩) في النسخ المعتمدة :« أنها جاءت في السورتين ، وبعدها في كل واحدة منهما » والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٣٠) في (أ،ب) : ولا . والمثبت من (ك) .

والذي جاء بعد قوله : ﴿ آمنتم به ﴾ قوله[٣١] : ﴿ إن هذا لَمكرٌ مكَرتموه في المدينة... ﴾ [الأعراف : ١٢٣] أي : إظهاركم ما أظهرتم من الإيمان برب العالمين وقع على تواطؤ[٣٢] منكم ، أخفيتموه لتستولوا[٣٣] على العباد والبلاد ، ويجوز أن يكون الهاء[٣٤] في ﴿ آمنتم به ﴾ ضمير موسى عليه السلام، لأنه يقال : آمن بالرسول ، أي أظهرتم تصديقه ، وأقدمتم على خلافي قبل أن آذنت لكم فيه ، وهذا المكر مكرتموه ، وسرّ أسررتموه لتقلّبوا[٣٥] الناسَ عليّ ، فاقتضى هذا الموضع الذي ذكر فيه «المكر» إنكار الإيمان به .

فأما الإيمان له في الموضعين الآخرين[٣٦] فاللام تفيد معنى[٣٧] الإيمان من أجله ، ومن أجل ما أتى[٣٨] به من الآيات ، فكأنه[٣٩] قال : آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدي[٤٠] موسى عليه السلام من آياته ، والموضع[٤١] الذي ذكر فيه ﴿ له ﴾[٤٢] أي من أجله، وعبّر عنه باللام هو الموضع الذي قصد / فيه إلى الإخبار بـ ﴿إنّه لَكبيركم الذي علمكم السحر﴾ فلذلك خص باللام ، [٤٦/أ] والأول خص بالباء . وقد تدل[٤٣] اللام على الاتّباع فيكون المعنى : اتبعتموه لأنه كبيركم في عمل السحر ، وقد[٤٤] يؤمن بالخبر من لايعمل عليه، ولا يتبع الداعي إليه[٤٥] .

(٣١) « قوله » غير واضح في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣٢) أي اتفاق وتوافق . مصدر من تواطؤوا عليه : توافقوا (اللسان ١٩٩/١ وطئ) .

(٣٣) في (ك) : لتستوا .

(٣٤) « الهاء » سقطت من (ك) .

(٣٥) في (أ) : لتفتنوا . وفي (ق) : لتضلوا . والمثبت من (ب ،ك،م) .

(٣٦) في (ب) : بالوصفين الاخرين .

(٣٧) « معنى » ليس في (ك) .

(٣٨) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : جاء .

(٣٩) في (أ،ب) : وكأنه . والمثبت من (ك،ح،ر) .

(٤٠) في (ب) : يد .

(٤١) في النسخ المعتمدة : وفي الموضع . والمثبت من (خ) .

(٤٢) « له أي » سقط من النسخ المعتمدة وأثبت من (خ) .

(٤٣) في (ب) : يدل .

(٤٤) « وقد » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٤٥) ذكر ابن الزبير (٥٧٢/١) في هذا الموضع توجيهاً آخر فقال : « والباء تحرز التصديق ، واللام تحرز الانقياد والإذعان ، فبدئ بالباء المعطية معنى التصديق ، وهي أخص بالمقصود من اللام ، فاقتضى الترتيب تقديمها ، ثم أعقب في السورتين بعد باللام حتى كأن قد قيل لهم : أصدقتموه منقادين له في ادعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء من عند الله ، فحصل المقصود على أكمل ما يمكن» اهـ .

[٨٦] الآية الخامسة والعشرون منها[١] .

قوله تعالى:﴿ فسوف تعلمون﴾ [الأعراف:١٢٣].

وقال في سورة طه[٧١]:﴿..إنه لَكبيركم الذي علّمكم السحر فلأُقطِّعنّ أيديَكم..﴾.

وقال في سورة الشعراء [٤٩] : ﴿ ... إنه لَكبيركم الذي علّمكم السحر فلسوف تعلمون لأُقطِّعَنَّ أيديكم ﴾[٢] .

للسائل أن يسأل فيقول[٣] : قال في سورة[٤] الأعراف: ﴿ فسوف تعلمون ﴾ ولم يقل في سورة طه ، وإنما[٥] أدخل الفاء على قوله[٦] : ﴿ فلأُقطِّعنّ ﴾ [طه : ٧١] ، وأما في سورة الشعراء فإنه أتى بـ « سوف تعلمون » مع اللام فقال : ﴿ فلسوف تعلمون ﴾ فما وجه اختلاف هذه ، واختصاص بعضٍ بمكانٍ دون غيره ؟ .

والجواب أن يقال : إن قوله تعالى : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ من الوعيد المبهم المعرَّض[٧] به ، أي : فعلتَ بجهل ما تعرف من بعد نتيجته ، وطرحت[٨] بَذْرَ[٩] شرٍّ ، عند حصده تعلم نهايته[١٠] . وهذا النوع من الوعيد أبلغ من[١١] الإفصاح بقدره[١٢]، على أنه قد قرن إليه بيانه، وهو :﴿لأقطعن أيديكم..﴾ الآية [الأعراف:١٢٤]، فنطق القرآن بحكاية التعريض[١٣] بالوعيد والإفصاح بالتهديد معا.

وأما[١٤] اختصاص سورة الشعراء بقوله : ﴿ فلسوف ﴾ وزيادة اللام فلتقريب ما خوّفهم به من اطلاعهم عليه[١٥] وقربه منهم ، حتى كأنه في الحال موجود[١٦] : إذ اللام[١٧]

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) من قوله ((وقال في سورة الشعراء)) سقط من (ب) . وفي (ك) : ﴿ فلسوف تعلمون ﴾ .

(٣) في (أ) : للسائل أن يقول .

(٤) ((سورة)) أثبتت من (و) .

(٥) في (أ،ب) : ولم . والمثبت من (ك،و) .

(٦) في (أ،ب) : في قوله . والمثبت من (ك،و) .

(٧) في (ب) : المعوّض به ، وهو خطأ .

(٨) أي رميت وألقيت ، وهو من باب نفع (المصباح ٢/٣٧٠) .

(٩) البَذر -بفتح الباء -: في الحبوب كالحنطة والشعير (المصباح ١/٤٠) .

(١٠) في (ك) : من قوله ((أى فعلت)) إلى هنا بياض .

(١١) في النسخ المعتمدة : في ، والمثبت من (خ،ر) .

(١٢) في (ب،ط) : بعذره ، وهو ساقط من (ك) . والمثبت من (أ،خ،ر) .

(١٣) التعريض:أن يفهَم من اللفظ معنًى بالسياق والقرائن من غير أن يقصد استعمال اللفظ فيه أصلا (معجم البلاغة العربية ص ٤١٢) وقال الجرجاني في كتاب التعريفات(ص٦٢):« التعريض في الكلام:مايفهم به السامع مراده من غير تصريح » .

(١٤) في (أ ، ب ، ك): فأما . والمثبت من (ح،خ،ر،س،م) .

(١٥) في (ب،ك) : من اطلاعه عليهم . والمثبت من (أ) .

(١٦) في (ب) : موجوداً .

(١٧) في النسخ المعتمدة : واللام . والمثبت من (خ،ر) .

للحال ، فالجمع بينها وبين « سوف » التي للاستقبال ، إنما هو لتحقيق الفعل ، وإدنائه من الوقوع[١٨] كما قال تعالى : ﴿..وإنّ ربَّك لَيحكم بينهم يوم القيامة..﴾ [النحل : ١٢٤] فجمع بين اللام وبين يوم «القيامة » كما جمع بينها وبين « سوف » على ما قاله عز وجل :﴿..وما أمرُ السّاعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب..﴾ [النحل : ٧٧] وقد بينا أن سورة الشعراء أكثر اقتصاصاً لأحوال موسى عليه السلام في بعثه[١٩] ، وابتداء أمره ، وانتهاء حاله مع عدوّه[٢٠] ، فجمعت لفظ الوعيد المبهم مع اللفظ المقرِّب له، المحقّق وقوعه إلى اللفظ[٢١] المفصح بمعناه ، ثم وقع الاقتصار في السورة[٢٢] التى لم يقصد فيها من اقتصاص الحال ما قصد في سورة الشعراء على ذكر بعض ما هو[٢٣] في موضع البسط والشرح ، وهو التعريض بالوعيد مع الإفصاح به .

وأما[٢٤] في سورة طه فإنه اقتصر فيها على التصريح بما أوعدهم به وترك : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ وقال : ﴿..فلأقطِّعنّ أيديَكم..﴾ [طه : ٧١] إلاّ أنه جاء بدل هذه الكلمة ما[٢٥] يعادلها ويقارب[٢٦] ماجاء[٢٧] في سورة الشعراء التي هي مثلها في اقتصاص أحواله من ابتدائها إلى حين انتهائها، وهو قولُه بعده:﴿..ولأُصلِّبنكم في جذوع النخل ولَتَعْلَمُنَّ أيّنا أشدُّ عذاباً وأبقى﴾ [طه : ٧١] فاللام[٢٨] والنون في: ﴿ لتعلمُنَّ ﴾ للقسم، وهما لتحقيق الفعل وتوكيده، كما أن اللام[٢٩] في قوله:﴿فلسوف تعلمون﴾ [الشعراء :٤٩] لإدناء الفعل وتقريبه، فقد تجاوز[٣٠] ما في السورتين المقصود فيهما إلى اقتصاص الحال[٣١] من إعلاء الحق وإزهاق[٣٢] الباطل .

---

(١٨) قوله « من الوقوع » سقط من (ك) .

(١٩) في (أ) : في نفسه ، وفي (ب) : بعثته . والمثبت من (ك) ؛ كلاهما مصدر بعث .

(٢٠) انظر من هذا الكتاب: ٤٠٠/١ .

(٢١) في (أ) : إلى القصد . والمثبت من (ب،ك،د،ر) .

(٢٢) أى في سورة الأعراف .

(٢٣) « هو » أثبت من (خ) .

(٢٤) في النسخ المعتمدة : فأما . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٢٥) في (ب،ك) : بما .

(٢٦) في (ب) : ويقاربها . وفي (ك) : ويقال ، وهو خطأ .

(٢٧) « جاء » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٨) في (أ) : واللام . والمثبت من (ب،ك) .

(٢٩) في (أ،ب) : كما أتى باللام . وفي (خ) : كاللام . والمثبت من (ك) .

(٣٠) في (ك) : توازن . وفي (ح،خ) : تجاوب .

(٣١) في (ب،ك) : الحالين .

(٣٢) أى إبطال الباطل . وفي اللسان (١٤٧/١٠) :« زهق الشيء يزهق زهوقاً : بطل وهلك واضمحلّ » .

[٨٧] الآية السادسة والعشرون منها[١] .

قوله تعالى : ﴿... ثم لأُصلِّبَنّكم أجمعين﴾[٢] [الأعراف: ١٢٤] .

وقال في السورتين[٣] طه [٧١] والشعراء [٤٩] : ﴿ ... ولأُصلِّبنكم ... ﴾ بالواو .

للسائل أن يسأل عن اختصاص ما في سورة الأعراف بـ« ثم » والأخريين بالواو ؟.

والجواب أن يقال : إن السورتين اللتين اختصّتا بالواو هما / المبنيتان على الاقتصاص[٤] الأكثر والبسط الأوسع ، والواو أشبه بهذا المعنى ، لأنه[٥] يجوز أن يكون مابعدها ملاصقا لما قبلها كالتعقيب الذي يفاد بالفاء ، ويجوز أن يكون متراخيا عنه كالمهلة التي تفاد بـ « ثم» ، لا بل يجوز أن يكون مابعدها مقدّماً على ماقبلها ، ومجامعا لها ، إذ هي موضوعة للجمع ولاترتيب فيها[٦] ، فكانت[٧] الواو أشبه بهذين المكانين . [٤٦/ب]

و« ثم » تختصّ[٨] بأحد[٩] المواضع التي تصلح الواو لجميعها[١٠]، فلما كانت مقتصراً بها على بعض ما وضعت له الواو ، استعملت حيث اختصرت الحال ، فاقترن بكل مكان ما يليق[١١] بالمقصود فيه . فلذلك خصت «ثم » بسورة الأعراف[١٢]، و«الواو» بالسورتين[١٣] الأخيرتين[١٤] . والله أعلم .

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) قوله تعالى ﴿ أجمعين ﴾ ليس في (ب) .

(٣) في (ب) : في سورة .

(٤) في النسخ المعتمدة: إن السورتين اللتين جاءت الواو فيهما بهذا اللفظ منهما المبنيان على الاقتصاص، والمثبت من (ح،خ،ر،س،م).

(٥) في (خ،و) : لأنها .

(٦) القول بأن الواو لاتفيد الترتيب مردود ، حيث قال الرماني في كتابه « معاني الحروف » (ص ٥٩) : « وذهب قطرب وعلى بن عيسى الربعي إلى أنه يجوز أن تكون -أي الواو- مرتبة نحو قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولو العلم ... ﴾ [آل عمران : ١٨] وهذا كلام مرتّب ، ويؤنس بهذا أيضا قوله تعالى : ﴿ وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ... ﴾ [الفتح : ٢٤] وأنه لو كف أيديهم قبل كف أيدي عدوهم لَكان في ذلك محنة لهم ومشقة عليهم » اهـ .

قال ابن هشام في مغنى اللبيب (ص ٤٦٤) : « وقول السيرافي: " إن النحويين واللغويين أجمعوا على أنها لاتفيد الترتيب ، مردود بل قال بإفادتها إياه قطرب والربعي والفراء وثعلب وأبوعمر » اهـ .

(٧) في (ك) : وكانت .

(٨) في (أ) : تخص ، والمثبت من (ب) و(ك) .

(٩) في (أ) : ماحوى . والمثبت من (ك) . وفي (ب) : آخر .

(١٠) في (ب) : بجميعها .

(١١) في (ب) و(ك): فاقترن بكل ما كان أليف .

(١٢) في (ب) : في سورة .

(١٣) في (أ) و(ب) : في السورتين ، والمثبت من (ك) .

(١٤) في النسخ المعتمدة : الآخرين ، والمثبت من (و) : والسورتان هما : طه والشعراء .

[٨٨] الآية السابعة والعشرون منها[١] .

قوله تعالى : ﴿ قالوا إنآ إلى ربِّنا مُنقلِبون ﴾ [الأعراف : ١٢٥] .

وقال في سورة الشعراء [٥٠] : ﴿ قالوا لا ضَير إنّا إلى ربنّا مُنقلِبون ﴾ .

للسائل[٢] أن يسأل عن زيادة قوله : ﴿ لاضير ﴾ على ماذكر في سورة الأعراف واختصاص تلك بها دون هذه ؟ .

والجواب أن يقال : إنهم قابلوا وعيده بما يهوّنه[٣] ويزيل ألمه من انتقالهم إلى ثواب ربهم مع المتحقق[٤] من منقلب معذّبهم[٥] ، فجاء في سورة الشعراء -وهي التي قُصد بها الاقتصاص الأكبر -: ﴿ لاضير ﴾ أي لاضرر علينا ، فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فننعَّم[٦] أبدا، وتعذَّب أنت[٧] أبداً ، فالضرر الذي تحاول إنزاله بنا ، بك نازل[٨] ، وعليك مقيم[٩] ، ونحن نألم ساعةً لايعتدّ[١٠] بها مع دوام النعيم[١١] بعدها ، فكأنه[١٢] لم يلحقنا ضرر . وفي سورة الأعراف وقع الاقتصار على قوله : ﴿ ... إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ وفيه كفاية وإبانة عن هذا المعنى ، ودلالة بناء[١٣] على ما قُصد فيها ممّا بُيّن وشُرح في سواها[١٤] .

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) في (ك) : وللسائل .

(٣) في (ب) : يوهونه ، وهو خطأ .

(٤) في (ك) : التحقق .

(٥) هذا القول ماقاله السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام لمّا رأوا تهديد فرعون ووعيده ، وفي ذلك مايدل على إيمانهم العميق والاستهانة بتهديد فرعون وجبروته .

(٦) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : فنتنعم .

(٧) لفظ « أنت » ليس في (ب،ك) .

(٨) في (ب،ك) : يكون بك نازلا ، بدل « بك نازل » .

(٩) في (ب،ك) : مقيما .

(١٠) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : لانعتد .

(١١) في (ب) : النعم .

(١٢) في (ك) : وكأنه .

(١٣) في (ط) : نبأ ، وهو خطأ ظاهر .

(١٤) أى في غير سورة الأعراف .

[٨٩] الآية الثامنة والعشرون منها[١] .

قوله تعالى : ﴿ ... قل إنما علمُها عند الله ولكنّ أكثرَ الناس لايعلمون ﴾ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضَراً إلاّ ما شاء الله ... ﴾ [الأعراف : ١٨٧-١٨٨] .

وقال في سورة يونس [٤٨-٤٩] : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ قل لاأملك لنفسي ضراً ولانفعاً إلا ما شاء الله ... ﴾ .

للسائل أن يسأل عن الآيتين ، وتقديم النفع على الضر في الأولى[٢] ، وتأخيره عنه في الأخرى ، وهل ذلك لفائدة أوجبت في الاختيار تقديم المقدم وتأخير المؤخّر ؟ .

والجواب أن يقال : إن الأَلى[٣] بعد قوله : ﴿ يسألونك عن السّاعة أيّانَ مُرْساها قل إنما علمُها عند ربي...﴾ وبعده[٤] : ﴿...قل إنما علمها عندا لله ولكنّ أكثر الناس لايعلمون﴾ [الأعراف : ١٨٧] فكان معنى قوله : ﴿قل لاأملك لنفسى نَفعا ولاضَراً...﴾ أي[٥]: لا أملك[٦] تعجيل ثواب ولاعقاب لها ، إلاّ ما[٧] ملّكنيه الله ، فلا أملك إلاّ ما مُلّكتُ[٨] ، ولا أعلم إلا ما علّمتُ . والذي[٩] تسألون عنه أخفى الغيوب، وأنا لا أعلم منها ما هو أقرب إلى رجم الظنون[١٠] ، فكيف مايختص به[١١] علاّم الغيوب ؟ ولو علمتُ الغيبَ لاستكثرت في السنة المُخْصِبَة[١٢] ما يدفع كَلَبَ المجدبة[١٣] . وقيل[١٤] : لاستكثرت

---

(١) في (ب،ك) : من سورة الأعراف .

(٢) في (ب) : الأول .

(٣) في (ب،ك) : الأول .

(٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : بعدها .

(٥) « أي » ليس في النسخ المعتمدة ، وأثبت من (ح،خ،ر) .

(٦) في (ك) : أملك ، وهو خطأ .

(٧) تكرر « إلا ما » في (ك) .

(٨) في (ب) : ما ملكته .

(٩) كذا في أكثر النسخ . وفي (ب) : فالذي .

(١٠) أي القول بالظن . وفي اللسان (١٢ / ٢٢٧ رحم) : « الرحم : الظنون ، والرحم : القول بالظن والحدس ».

(١١) « به » سقط من (ب،ك) .

(١٢) أي في السنة التي صار فيها خِصب . والخِصب : بكسر الخاء - : ضد الجدب .

(١٣) معنى هذا القول : ولو علمت الغيب لأعددت من السنة المخصِبة للسنة المجدبة .

قال الفراء في معاني القرآن (٤٠٠/١) : « ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة ، ولعرفت الغلاء ، فاستعددت له في الرّخص » .

ذكر هذا القول الطبري (١٤٣/٩) ولم ينسبه إلى أحد . وذكره الماوردي (٧٥/٢) ونسبه إلى الفراء .

<==

لاستكثرت من العمل الصالح الذي أتحقق أنه أرفع الأعمال عند الله تعالى درجة ، لأن من علم الغيب عرف[١٥] الأفضل عند الله و لم يتركه[١٦] / إلى ما هو دونه . وقوله : ﴿ وما مسّنِيَ السوء ﴾ [الأعراف: ١٨٨] أي : ما بي جنون كما زعم[١٧] المشركون[١٨] . وقيل : الفقر[١٩] لاستكثاري من الخير الذي يُتدارَكُ به الفقرُ عند شدة الزمان . [٤٧/أ]

وأما الآية في سورة يونس فإنها فيما كان يستعجله الكفار من عذاب الله تعالى ، وقبلها : ﴿وإما نُرِينّك بعضَ الذي نَعدهم أو نَتَوَفَّيَنَّكَ فإلينا مرجعهم ثمّ الله شهيدٌ على ما يفعلون﴾ [يونس : ٤٦] أي : إنْ أريناك[٢٠] بعض مانتوعّد[٢١] به هؤلاء الكفار من العذاب في عاجل الدنيا حتى تراه نازلا بهم في حياتك ، أو[٢٢] أخّرنا ذلك عنهم إلى بعد وفاتك ووفاتهم[٢٣] ، فإن ذلك لايفوتهم ، لأن مرجعهم إلى حيث يجازى فيه العباد ، ولايملك بعضهم أمر بعض ، ويقول الكفار : ﴿ ... متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ [يونس : ٤٨] قل لا أملك ما وعدكم[٢٤] الله من هذا العذاب[٢٥] ، ولا أن[٢٦] أدفع عنكم سوء العقاب،

والسّنة المخصِبة : السنة التي صار فيها خِصب ، وفي اللسان (٣٥٦/١ خصب):« الخصب نقيض الجدب ، والمخصبة : الأرض المُكْلِئة ، والقوم أيضاً مخصبون : إذا كثر طعامهم ولبنهم وأمرعت بلادهم »، وجاء فيه أيضا: (٢٥٤/١ حدب) : « الجدب ضد الخصب . أجدبت السنة :صار فيها جدب. والكَلَبُ– بالتحريك – حدة الشتاء ، وكلّ شدة من قِبل القحط والسلطان وغيره ، وعام كَلِبٌ : جدب . ويقال : دفعت عنك كَلَبَ فلانٍ : أي شرّه وأذاه)) .

(١٤) هذا القول في تفسير الماوردي (٧٤/٢) منسوب إلى الحسن وابن جريج وهو في تفسير الطبري (رقم الأثر ١٥٤٩٥)، وفي تفسير ابن أبي حاتم (تفسير سورة الأعراف رقم الأثر ١٤٤٠) منسوب إلى مجاهد .

(١٥) جواب الشرط . أثبت من (ر) . وفي النسخ المعتمدة : وعرف .

(١٦) في (أ) : لم يتركه . وفي (ك) : لم ينزل . والمثبت من (خ) .

(١٧) في (ك) : يزعم .

(١٨) هو قول الحسن كما في تفسير الماوردي (٧٥/٢) .

(١٩) ذكره الماوردي في تفسيره (٧٥/٢) ولم ينسبه لأحد وهذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم (رقم ١٤٤٢ من سورة الأعراف) عن ابن عباس من طريق أبي زرعه ، عن منجاب عن بشر عن أبي روق عن الضحاك وهو إسناد ضعيف . لأن بشراً وهو بشر بن عمارة الخثعمي – ضعيف . (التقريب ٦٩٧) .

(٢٠) في (أ) : إن أريتك . والمثبت من (ب) وهو سقط من (ك) .

(٢١) في (أ) : مايتوعد . والمثبت من (ب) .

(٢٢) في (ك) : و ، بدل « أو » .

(٢٣) « ووفاتهم » سقط من (ك) .

(٢٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : أوعدكم .

(٢٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : من العذاب .

(٢٦) « أن » سقط من (أ) .

كما لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا إلا ما شاء الله أن يملّكنيه(٢٧) منهما ، فتقديم «ضرّ» على «نفع» في هذه الآية(٢٨) لخروجها عن ذكر العذاب الذي قال الله تعالى فيه بعدها : ﴿أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ [يونس : ٥١] ثم إنّ اللفظة التى تزاوج لفظة « الضر(٢٩) » هى لفظة « النفع » ومعناه في الآية(٣٠) : إنه لايملك إلا مايملّك الله منه عباده، وأنا(٣١) واحد منهم(٣٢) ، فلذلك أتبع ذكره ذكره(٣٣) .

---

(٢٧) في (ب) : أن أملكه .

(٢٨) أى في الآية (٤٩) من سورة يونس .

(٢٩) « الضر » سقط من (ك) .

(٣٠) في النسخ المعتمدة : ومعناه في أنه . والمثبت من (خ) و(ر) .

(٣١) « أنا » أثبت من (خ) و(ر) .

(٣٢) « منهم » أثبت من (خ) و(ر) .

(٣٣) ذكر هنا الشيخ الأنصاري توجيها آخر فقال : « قدّم النفع هنا - أى في الأعراف - على الضر ، وعكس في يونس ، لأن أكثر ماجاء في القرآن ، من لفظي : الضر والنفع معاً ، جاء بتقديم الضر على النفع ، ولو بغير لفظهما كالطوع والكره في الوعد ، لأن العابد يعبد معبوده ، خوفا من عقابه أوّلا ، ثم طمعا في ثوابه ثانيا ، كما قال تعالى:﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعا ﴾ [السجدة : ١٦] وحيث تقدم النفع على الضر تقدّمه لفظ تضمن نفعا ... فتقدم هنا النفع لموافقه قوله قبله ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ...﴾ [الأعراف : ١٧٨] وقال بعده : ﴿ لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ﴾ [الأعراف : ١٨٨] إذ الهداية والخير من جنس النفع ، وقدّم الضر في آخر يونس على الأصل ولموافقه قوله قبله ﴿ ما لايضرهم ولاينفعهم ... ﴾ [يونس : ١٨] .(فتح الرحمن للشيخ الأنصاري: ص ٢١٣) .

[٩٠] الآية التاسعة والعشرون[١] .

قوله تعالى:﴿وإماَّ يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ با لله إنه سميع عليم﴾[٢] [الأعراف:٢٠٠] .

وقال في سورة حم السجدة[٣][٣٦]: ﴿وإماَّ يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ با لله إنّه هو السميع العليم﴾ .

للسائل أن يسأل فيقول[٤] : لأيّ معنى جاء في الآية من[٥] سورة الأعراف ﴿سميع عليم﴾ على لفظ النكرة ، وفى سورة حم السجدة معرّفتين[٦] بالألف واللام مؤكّدتين[٧] بـ«هو »؟.

والجواب أن يقال : إن الأول وقع في فاصلة ماقبلها من الفواصل أفعال جماعة ، وأسماء[٨] مأخوذة من الأفعال نحو قوله تعالى: ﴿... فتعالى ا لله عمّا يشركون﴾ [الأعراف : ١٩٠] وبعده:﴿يُخْلَقون﴾ [الأعراف:١٩١] و﴿ينصرون﴾ [الأعراف:١٩٢] و﴿ لايبصرون ﴾[٩] [الأعراف : ١٩٨] و﴿ الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الأسماء المؤدِّية معنى الفعل ، أعني النكرة ، وكان المعنى[١٠] : استعذ با لله إنه يسمع استعاذتك ، ويعلم استجارتك .

والتى في سورة «حم السجدة » قبلها فواصل سُلك[١١] بها طريق الأسماء ، وهى ما في قوله تعالى:﴿..ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنّه وليٌّ حميم ﴾ وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا وما يُلَقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيم﴾[١٢][فصلت:٣٤-٣٥] فقوله:﴿وليّ حميم﴾

---

(١) في (ب) و(ك) : من سورة الأعراف .

(٢) هذه الآية تناولها المؤلف أيضا في سورة فصلت مع ما تشابهها هناك، وانظر من هذا الكتاب:١/٧٠٠ .

(٣) أي سورة فصلت . و«حم السجدة» من أسمائها لاشتمالها على السجدة .

(٤) في (أ) :للسائل أن يقول .

(٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : في سورة الأعراف .

(٦) في (ب) : معرّفين .

(٧) في (ب) : مؤكدّين .

(٨) في (ك) : أو ، بدل «و» .

(٩) في جميع النسخ : يبصرون . وأثبتت ((لا)) من المصحف .

(١٠) في (ك) : معنى .

(١١) في (ب) : يسلك .

(١٢) في (أ) : ﴿ ادفع بالتى هى أحسن ﴾ الآيتين . والمثبت من (ب،ك) .

ليس من الأسماء التى يراد بها الأفعال ، وكذلك قوله : ﴿ذو حظ عظيم﴾[١٣] ليس «ذو حظ»[١٤] بمعنى[١٥] فعل ، فأخرج ﴿ سميع عليم ﴾ بعد الفواصل التى هى على سَنن الأسماء على لفظٍ يبعُد عن اللفظ الذي يؤدِّي معنى الفعل ، فكأنه قال : إنه هو الذي لايخفى عليه مسموع ولامعلوم ، فليس القصد الإخبار عن الفعل ، كما كان[١٦] في الأولى[١٧] : إنه يسمع الدعاء، ويعلم الإخلاص ، فهذا فرق ما[١٨] بين المكانين[١٩] .

انقضت سورة الأعراف عن تسع وعشرين آية ، فيها[٢٠] ثمان وثلاثون مسألة .

(١٣) في جميع النسخ: لذو حظ عظيم . والمثبت من المصحف .

(١٤) في أكثر النسخ : ذو الحظ . والمثبت من (ك) .

(١٥) في النسخ المعتمدة : معنى . والمثبت من (خ،ر) .

(١٦) من قوله « إنه هو الذى » إلى هنا سقط من (ب) .

(١٧) في (ك) : في الأول .

(١٨) أثبتت « ما » من (ر) .

(١٩) ذكر الكرماني في غرائب التفسير (٤٣١/١) توجيها آخر فقال : « الجواب : لأن قوله ﴿ سميع عليم ﴾ في هذه السورة – أى الأعراف – خبر المبتدأ ، وشرط الخبر أن يكون نكرة في الأغلب ، وفى « حم » تكرار لما في هذه السورة ، والنكرةُ إذا تكرّرت تعرفت ، كما في قوله : ﴿ ... كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴿ فعصى فرعون الرسول ... ﴾ [المزمل : ١٥-١٦] . وزيد « هو» ليعلم أنه خبر وليس بوصف)) اهـ .

(٢٠) من هنا إلى الآخر ليس في (ك) .

سورة الأنفال

قد مرّ في سورة البقرة[١]، وآل عمران[٢] من الآيات التي تُشبه[٣] الآيات[٤] من هذه السورة ، وهذه الآية التي نذكرها فيها [٥] قد سبقت نظيرتُها في سورة الأعراف[٦] ، فذكرناها في هذا المكان [٧]، كراهة إخلاء هذه السورة[٨] من تخصيصها / بما خصصنا به [٤٧/ب] أمثالها [٩].

[٩١] الآية الأولى منها[١٠]

قوله تعالى : ﴿... فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون ﴾ [الأنفال : ٣٥].

وقال في سورة الأعراف قبلها[١١] [٣٩] : ﴿.. فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ .

للسائل أن يسأل فيقول[١٢]: إن الخبر في الموضعين عن الكفار ، فمابال أحدهما اختص بقوله: ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ والآخر اختص بقوله ﴿ بماكنتم تكسبون ﴾ ؟

والجواب أن يقال : إن التي في سورة الأعراف خبر عن قوم ذُكروا قبل هذه الآية في قوله تعالى : ﴿فمن أظلمُ ممن افترى على الله كذِباً أو كَذّب بآياته أولئك ينالهم نصيبُهم من الكتاب حتّى إذا جاءتهم رسلُنا يَتوفّوْنَهم قالوا أَيْنَ ماكنتم تَدْعون مِن دون الله ... ﴾ [١٣]

---

(١) ذلك في الآية التاسعة عشرة من سورة البقرة حسب ترتيب المؤلف، وانظر من هذا الكتاب: ٢٠٣/١ .

(٢) ذلك في الموضعين من سورة آل عمران: الموضع الأول: الآية الأولى من سورة آل عمران (انظر من هذا الكتاب: ٢١٨/١)،والموضع الثاني: الآية الخامسة من سورة آل عمران (انظر من هذا الكتاب: ٢٣٩/١).

(٣) في (أ): من سورة الأنفال الآيات التي تشبه . والمثبت من (ب) و(ك) .

(٤) في النسخ المعتمدة : الآيات التي . والمثبت من (د،م،و) .

(٥) أي في سورة الأنفال . ولفظ « فيها » ليس في (ب،ك) .

(٦) يعني الآية (٣٩) من سورة الأعراف، والتي تناولها هنا في الآية الأولى من سورة الأنفال، وهي:﴿..فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ .

(٧) « في هذا المكان » ليس في (ك) .

(٨) في النسخ المعتمدة : وكرهنا إخلاء هذه السورة . والمثبت من (ح،خ،ر،م) .

(٩) في (أ) : غيرها . والمثبت من (ك،د) ، وهو ليس في (ب) .

(١٠) في النسخ المعتمدة: من سورة الأنفال، والمثبت من (خ ، ر ، م).

(١١) « قبلها » أثبتت من (ب).

(١٢) في (أ) : للسائل أن يقول .

(١٣) في (أ) : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ إلى قوله ﴿ يتوفونهم ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

[الأعراف : ٣٧] والمعنى في قوله : ﴿ ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ أي حظّهم من العذاب [١٤] المكتوب عليهم بقدر ما كسبوه[١٥] من سيئات الأعمال ﴿ حتّى إذا جاءتهم رسُلُنا يتوفّونهم﴾ أي[١٦] يستوفونهم من دون غيرهم[١٧] ليسوقوهم إلى النار . وهذا عن الحسن[١٨] ، وبيّن ذلك بعده قولُه[١٩] : ﴿ قال ادخلوا في أممٍ قد خلت مِن قبلكم من الجنِّ والإنس في النار كلّما دخلت أمّةٌ لعنتْ أختَها حتّى إذا ادّارَكوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلُّونا فآتِهم عذابا ضِعفاً من النار قال لكلٍ ضِعفٌ ولكنْ لاتعلمون﴾[٢٠] [الأعراف : ٣٨] .

فأخبر أن أُخراهم تسأل الله أن يضّعف العذابَ على أُولاهم لأنهم ضلّوا وأضلّوا فيستحقون العذاب على قدر اكتسابهم[٢١]، فلذلك طلبوا أن يكون عذابهم ضعف عذاب

(١٤) هذ قول أبي صالح والسُّدي والحسن كما في تفسير الطبري (١٦٩/٨) وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن (٣٣٣/٢) حيث قال :« وقوله ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ أي ما أخبر الله جل ثناؤه من جزائهم نحو قوله : ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظّى ﴾ [الليل :١٤] ونحو قوله : ﴿.. يَسْلُكْه عذابا صَعَداً ﴾ [الجن : ١٧] ... ونحو ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسِلُ يسحَبون ﴿﴾ في الحميم ثم في النار يسجَرون ﴾ [غافر : ٧١، ٧٢] فهذه أنصبتهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم » انتهى كلام الزجاج . **وهناك أقوال أخرى** ذكرها المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿ ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ ، ينظر لذلك :تفسير الماوردي ٢٦/٢ ، وتفسير ابن الجوزي ١٩٣/٣ واختار الطبري (١٧٢/٨) من تلك الأقوال أن يكون المعنى ما قُدّر لهم من خير وشرٍ فقال :«وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مّما كتب لهم من خير وشر في الدنيا ، ورزق وعمل وأجل ، وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قولـه:﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تَدعون من دون الله ﴾ فأبان بإتْباعه ذلك قولـه : ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيّا عليهم في الدنيا أن ينالهم » اهـ .

(١٥) في (ك) : اكتسبوه .

(١٦) من قوله « المعنى » إلى هنا سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٧) في (أ،ك) : من بين غيرهم . والمثبت من (ب،د) . قلت: في تفسير ابن عطية (٤٩٦/٥) :« و﴿ يتوفّونهم ﴾ معناه : يستوفونهم عدداً في السَّوْق إلى جهنم » اهـ وعلى هذا فالمراد بالرسل : ملائكة العذاب .

(١٨) لم اجده في التفاسير التي تذكر الروايات بالأسانيد . وقد أورده الماوردي في تفسيره (٢٦/٢)، وابن الجوزي في تفسيره (١٩٣/٣). وأكثر المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بالرسل في الآية هم ملائكة الموت . وقال الألوسي في تفسيره (١١٥/٨): «قول الحسن خلاف الظاهر، وكان الذي دعاه إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ قالوا ﴾ أي الرسل لهم ﴿ أين ماكنتم تدعون من دون الله ﴾ أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وتستعينون بها في المهمّات ﴿قالوا ضلوا﴾ أي غابوا ﴿ عنا ﴾ لاندري أين مكانهم » اهـ .

(١٩) في (أ،ب) : بقوله . والمثبت من (ك) .

(٢٠) في (أ):﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم﴾ الآيتين ، وهو خطأ . والمثبت من (ب) . وفي (ك) :لم تكمل كتابة الآية الكريمة.

(٢١) في النسخ المعتمدة : الاكتساب . والمثبت من (ح،ر) .

هؤلاء لإثمهم(٢٢) بما كسبوا من(٢٣) ضلالهم في أنفسهم، وإثمهم بما(٢٤) اكتسبوا من إضلال غيرهم، ﴿وقالت أُولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل...﴾ [الأعراف : ٣٩] أي: كنتم(٢٥) مثلنا في الضلال ، لم يكن لكم علينا فضل في تركه أو التقلّل منه ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ أي يقول الله تعالى ذلك(٢٦) ذوقوا العذاب بقدر ما كنتم تكسبون(٢٧)، فهذا موضع يقتضي ذكر الاكتساب ، وما يجب على قدره من العقاب .

وأما الآية في الأنفال(٢٨) فهي في ذكر الكفار الذين قال الله تعالى فيهم:﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاءً وتصديةً..﴾ [الأنفال : ٣٥] أي : صفيراً وتصفيقاً(٢٩)، لم تكن صلاتهم تسبيحاً، وتمجيداً ، وخضوعاً لله تعالى كما يفعل المؤمنون ، فقال(٣٠) لهم في الآخرة:ذوقوا العذاب بكفركم(٣١)، ولم يتقدم هذه الآية مايوجب قدراً من العذاب دون(٣٢) قدر حتى يقال(٣٣):ذوقوا من العذاب(٣٤) بقدر كسبكم له(٣٥) كما كان في الآية الأولى ، وإنما ذكر كفرهم من(٣٦) حيث قال:﴿وماكان الله لِيعذّبهم وأنت فيهم وماكان الله معذّبهم وهم يستغفرون ﴾ وما لهم ألاّ يعذّبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءَه...﴾(٣٧) [الأنفال:٣٤ ـ ٣٥] وذلك كله في كفار قريش ، فلذلك جاء فيه بعد(٣٨) ﴿فذوقوا﴾: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ دون ﴿ بماكنتم تكسبون ﴾ .

---

(٢٢) في (أ،ب) : فيما . والمثبت من (ك) .

(٢٣) في النسخ المعتمدة : بضلالهم . والمثبت من (خ،ر) .

(٢٤) في (ب،ك) : فيما . و « فيما » تكرر في (ك) .

(٢٥) في (أ) : أنتم . والمثبت من (ب،ك) .

(٢٦) أشار المؤلف إلى أنه صادر من الله ، ويجوز أن يكون من كلام أولاهم ، عطفوا قولهم : ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ على قولهم : ﴿ فما كان لكم علينا من فضل ﴾ بفاء العطف الدالة على الترتب . (ينظر : تفسير ابن عطية ٥٠١/٥ ، وتفسير ابن عاشور ١٢٤/٨) .

(٢٧) من قوله « أي : يقول » إلى هنا سقط من (ك) .

(٢٨) في النسخ المعتمدة : وأما قوله في هذه السورة . والمثبت من (ح) و(خ) و(ر) .

(٢٩) والصفير هو معنى المكاء ، والتصفيق هو معنى التصدية ، قال الكرماني في غرائب التفسير (٤٤٠/١):« المكاء صوت يشبه صوت المكاء ، وهو طائر معروف ، من مكاء يمكو ، وهو أن يجعل بعض أصابع اليمنى ببعض أسابع اليسرى في فمه ، ثم يصفّر . والتصدية : ضرب إحدى اليدين على الأخرى واشتقاقه من الصدى، وهو أن تسمع مثل صياحك من أماكن تمنع الصوت من النفوذ » اهـ .

(٣٠) في (ب،ك) : فيقال .

(٣١) « بكفركم » غير واضح في (ك) .

(٣٢) « دون » ليس في (ك) .

(٣٣) في (ك) : حتى يقول .

(٣٤) من قوله « دون قدر » إلى هنا سقط من (أ) والمثبت من (ب) .

(٣٥) « له » ليس في (أ،ب) . وأثبت من (ك) .

(٣٦) « من » سقط من (ب،ك) .

(٣٧) في (أ) : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ إلى قوله ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

(٣٨) « بعد » سقط من (أ،ك) . وأثبت من (ب) .

[٩٢] الآية الثانية منها[١]

قوله تعالى:﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهَدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والّذين آوَوْا ونَصروا أولئك بعضهم أولياءُ بعض ... ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

وقال في سورة براءة [٢٠]:﴿الذين آمنوا وهاجَروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظمُ درجةً عندالله .. ﴾ .

لِم قدّم ذكر «الأموال والأنفس» في الآية الأولى على قوله:﴿في سبيل الله﴾، وأخّر في الأخرى[٢]؟

والجواب أن يقال[٣] : إن الآية الأولى في سورة الأنفال عقيب ما أنكره الله تعالى على من قال لهم :﴿..تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾[٤] [الأنفال:٦٧] وهم أصحاب النبي ﷺ لّما أَسَرُوا المشركين ، ولم يقتلوهم طمعا في الفداء[٥]، فقال تعالى:﴿لولا كتاب من الله سبق لَمَسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ [الأنفال : ٦٨] أي: فيما أخذتم من هؤلاء الأسرى[٦] من الفداء، ثم قال تعالى لّما غفر لهم ما كان منهم من ترك القتل إلى الأسرى[٧]:﴿ فكلوا مّما غنمتم حلالا طيباً..﴾ [الأنفال : ٦٩] أي : استمتعوا بما نلتم من أموال المشركين ، وبما أخذتم من فدائهم ، فعقب ذلك / بهذه الآية التي مدح فيها من أنفق أمواله في سبيل الله ، لا من يجاهد طلبا للنفع[٨] العاجل [٤٨/أ]
فقال:﴿إن الذين آمنوا وهاجَروا وجاهَدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله..﴾ فقدّم ﴿ بأموالهم وأنفسهم ﴾ على قوله : ﴿ في سبيل الله ﴾ ليعلموا[٩] أن ذلك يجب أن يكون أهمّ لهم ، وأولى بتقديمه عندهم صرفاً لهم[١٠] عمّا حرصوا عليه من فائدة الفداء .

ولم تكن كذلك الآية التي[١١] في سورة براءة ، لأنها بعدما يوجب تقديم قوله ﴿في سبيل الله﴾ على ذكر المال، لأنه قال تعالى:﴿أم حسبتم أن تتركوا ولّما يعلم الله الذين جاهدوا منكم..﴾ [التوبة: ١٦] ثم قال

---

(١) « له » ليس في (ا) . وأثبت من (ك) .

(٢) في النسخ المعتمدة: للسائل أن يسأل فيقول: ما الذي قدم له في الآية الأولى ذكر ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ على قوله ﴿في سبيل الله﴾، ثم ما له قدم له ذكر ﴿في سبيل الله ﴾ في سورة براءة على ذكر ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ ؟ والمثبت من (ح،خ،ر،س،م).

(٣) « أن يقال » ليس في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٤) أول الآية : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون ... ﴾ الخ .

(٥) أخرج مسلم في كتاب الجهاد ، باب الإمداد بالملائكة (١٧٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:« فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: « **م اترون في هؤلاء الأسارى ؟** » فقال أبوبكر : يانبي الله : هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله ﷺ :« **ما ترى يا ابن الخطاب ؟** » قلت : لا ، والله : يارسول الله : ما أرى الذي رأى أبوبكر ، ولكنى أرى أن تمكّنا فنضربَ أعناقهم..». والحديث مروي من طرق كثيرة وانظر : الدر المنثور للسيوطي (١٠٤/٤-١٠٥).

(٦) في(ك) . الأسارى .

(٧) في(ك) : إلى الأسرى قال .

(٨) في (ك) : لنفع .

(٩) من قوله « فقدّم » إلى هنا سقط من (أ)، وأثبت من (ب) وقوله « فقدم ﴿ بأموالهم وأنفسهم ﴾ » سقط من (ك).

(١٠) « لهم » ليس في (ب) .

(١١) « التي » غير واضحة في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

في إبطال ما أتى به[١٢] المشركون من عمارة المسجد الحرام ، وسقاية الحاج مع المقام[١٣] على الكفر[١٤]:﴿أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارةَ المسجد الحرام كَمَنْ آمن با لله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله..﴾ [١٩: التوبة] فكان المندوب إليه في هذه الآية بعد الإيمان با لله الجهادُ في سبيل الله[١٥]، فقال بعده مادحاً لمن تلقّى بالطاعة أمرَه[١٦]:﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ ثم ذكر ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ لمّا قدّم ذِكر[١٧] ما اقتضى الموضع تقديمه[١٨]، وأن يجعل أهمَّ إليهم من غيره ، فخالف هذا المكانُ[١٩] قولَه في سورة الأنفال ، فقُدّم فيه[٢٠] ما أخّر هناك[٢١] لذلك فأعلمه[٢٢] . وبا لله التوفيق .

انقضت سورة[٢٣] الأنفال عن آيتين ومسألتين .

---

(١٢) في (ك) : ما أتاه .

(١٣) في(ب) : والمقام .

(١٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : على الكبر .

(١٥) في (أ،ب) : في سبيله . والمثبت من (ك) .

(١٦) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : أمره بالطاعة .

(١٧) « ذكر » سقط من (ب) .

(١٨) أي تقديم « سبيل الله » .

(١٩) « المكان » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٠) في (ح،خ) : هنا .

(٢١) في (ح،خ) : ثُمَّ .

(٢٢) خلاصة كلام المصنف : قدّم في سورة الأنفال قوله ﴿ بأموالهم وأنفسهم ﴾ على قوله ﴿ سبيل الله ﴾ لأنّ آية الأنفال تقدّمها ذكر المال والفداء والغنيمة ، في قوله تعالى : ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ يعنى المال ، سمّاه عرضا لقلة بقائه ، وفي قوله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم ﴾ أي من الفداء ، وفي قوله تعالى ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً ﴾ فكان تقديم ذكر المال أليق بهذا المكان _ وأمّا آية سورة التوبة فقد تقدّمها ذكرُ الجهاد في سبيل الله ، وذلك في قوله تعالى:﴿..كمن آمن با لله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله...﴾ [التوبة :١٩] فناسب تقديم ﴿في سبيل الله ﴾ على ﴿ بأموالهم وأنفسهم ﴾ (ينظر : البرهان للكرماني :ص ٢٠٥ ، وفتح الرحمن للأنصاري : ٢٢٤) .

(٢٣) « سورة » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

سورة براءة

[٩٣] الآية الأولى منها [(١)]

قوله تعالى: ﴿ والله لايهدي القوم الظالمين ﴾ بعد قوله: ﴿أجعلتم سقايةَ الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله لايستوون عند الله ﴾[(٢)] [التوبة : ١٩] .

وقال بعده : ﴿ والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ بعد قوله : ﴿ قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم...﴾ [من التوبة : ٢٤] .

وقال في هذه السورة : ﴿ والله لايهدي القوم الكافرين ﴾ موصولةً[(٣)] بقوله : ﴿إنما النسيء زيادةٌ في الكفر ... ﴾ [من التوبة : ٣٧] .

للسائل أن يسأل عن تخصيص بعض هذه الآيات[(٤)] بـ ﴿ الظالمين﴾ ، وبعضها بـ ﴿الفاسقين﴾ وبعضها بـ ﴿الكافرين﴾، وهل ذلك لمعنىً يخصّه[(٥)] ؟.

والجواب أن يقال : إن المراد بـ ﴿ الظالمين ﴾ في الآية الأولى[(٦)] مشركو العرب الذين قاموا بسقاية الحاج ، وأنفقوا على المسجد الحرام، رجاءَ الثواب مع المقام على الكفر والعصيان ، فهم لأنفسهم بالكفر **ظالمون** ، وبعملهم[(٧)] الذي يؤمّلون[(٨)] الانتفاعَ به مع مضامّة الكفر[(٩)] واضعون الشيء غير موضعه ، فلمّا فعل هؤلاء المشركون ذلك ، وكان كل مشرك[(١٠)] ظالماً[(١١)]، وكل من وضع شيئا في غير موضعه[(١٢)] يكون[(١٣)] ظالماً، وإنما يكون

---

(١) في(ب) : من سورة براءة .

(٢) في(أ) : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ﴾ الآية . والتتمة من (ب،ك) .

(٣) في (ب،ك) : موصولاً .

(٤) في (ب،ك) : المواضع ، بدل ((الآيات)) .

(٥) في (ب) : يختصه .

(٦) في النسخ المعتمدة : الظالمون في الآية الأولى المراد بهم . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٧) في(أ،ب):وبعلمهم.والمثبت من(ك،ح،خ،ر) وهو الصواب. حيث إن عملهم هو سقاية الحاج والإنفاق على المسجد الحرام.

(٨) في (ح،خ) : يأملون , وكلاهما بمعنى واحد وهو : يرجون . وفي القاموس (١٢٤٥آمل) : أمله أملاً وأمّله : رجاه » والتضعيف أكثر من استعمال المخفّف كما في المصباح (ص٢٢) .

(٩) أي مع مصاحبة الكفر ، وهو الذي جاء في (ق) . وفي (ك) : مصاحبة ، وهو خطأ . والمضامّة مصدر من ضامّت الرحل : أقمت معه في أمر واحد منضماً إليه » (اللسان ٣٥٨/١٢ صمم) .

(١٠) في (ك) : وكل مشرك .

(١١) في (ك) : ظالم .

(١٢) في (أ) و(ك) : في غير حقه . والمثبت من (ب،د) .

(١٣) « يكون » أثبتت من (ق) .

غير ظالم إذا أنفق في حال الإسلام على المسلمين من الحجّاج دون الذين كانت صلاتهم عند البيت مُكاءً وتصديَةً، عبّر[١٤] عنهم بـ﴿ الظالمين ﴾ لانطواء هذه الصفة على الكفر، وعلى المعنى الزائد بتضييع المال في حال الشرك، والمعنى: لايهديهم[١٥] إلى نيل[١٦] الثواب الذي له ينفقون ، وبسببه يعمرون ، ولا يدلّهم[١٧] على ثمرة مايؤملون[١٨] .

وأما الموضع الثاني ، وهو : ﴿ وا لله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ فإنه تحذير لمن قال[١٩] فيهم من المسلمين : ﴿ قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارةٌ تَخشون كَسادَها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من ا لله ورسوله وجهادٍ في سبيله... ﴾[٢٠] [التوبة : ٢٤] فعرّفهم أن من آثر مراعاة[٢١] هذه الأبواب التي عدّها[٢٢] على طاعة ا لله تعالى، التي أوجبها من الجهاد في سبيله ، فليتربّص[٢٣] نازل عقاب ا لله به ، وأنه بفعله ذلك[٢٤] من جملة الفاسقين، وأنّ حكمه حكمهم ، وا لله لايهديهم إلى ما أعدّه للمؤمنين من الثواب لتعرّضهم لمخالفة[٢٥] أمر[٢٦] ا لله تعالى للعقاب[٢٧]، فكان[٢٨] ذكر « الفاسقين » أليف بهذا المكان .

وأما الموضع الثالث، وهو : ﴿ وا لله لايهدي القوم الكافرين ﴾ فإنه بعد قوله في وصف الكفار : ﴿ إنما النسيء زيادةٌ في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً... ﴾[٢٩] [التوبة : ٣٧] وهو / ماكان بعض العرب يأتيه[٣٠] من تحليل بعض الأشهر

---

(١٤) جواب « فلمّا فعل » . وفي (ك) : وعبّر ، وهو خطأ .

(١٥) في (ك) : لايهديه .

(١٦) في (ك) : سبيل .

(١٧) كذا في أكثر النسخ ، وفي (أ) : ولابد لهم .

(١٨) في (ب،ك) : يأملون .

(١٩) « قال » سقط من (ا) وأثبت من (ب) و(ك) .

(٢٠) تتمة الآية : ﴿ ... فتربّصوا حتى يأتي ا لله بأمره وا لله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ .

(٢١) كذا في أكثر النسخ ، وفي (ا) : رعاية .

(٢٢) في (ك) : عدّدها .

(٢٣) في (ك) : فيتربص .

(٢٤) في (ح،خ،ر) : وأن من يفعل ذلك .

(٢٥) في (ك) : بمخالفة .

(٢٦) « أمر » سقط من (ا) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٧) في (أ،ب) : العقاب ، والمثبت من (ك ، ر).

(٢٨) في (ك) : وكان .

(٢٩) في (ا) : ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ الآية . والمثبت من (ب،ك) .

عاماً...﴾[٢٩] [التوبة : ٣٧] وهو / ماكان بعض العرب يأتيه[٣٠] من تحليل بعض الأشهر [٤٨/ ب]
الحرم، وتحريمٍ بَدَلَه من الشهر الذي ليس بمحرّم ليوفّي عدّة الأربعة ، فيكون في ذلك[٣١] تحريم ماحلّله الله وتحليل ماحرّمه ، فأخبر الله تعالى أنّ ذلك زيادة في كفرهم ، ثم عقّبه بوصفهم بأنه[٣٢] لايهديهم ، فكان أحقّ الأوصاف في هذا[٣٣] المكان لفظة[٣٤] ﴿ الكافرين﴾ التي اقتضاها[٣٥] هذا[٣٦] المعنى والذكر المتقدّم في مكانين من الآية . والله أعلم[٣٧] .

(٢٩) في (ا) : ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾ الآية . والمثبت من (ب،ك) .

(٣٠) في (ب) : تأتيه . .

(٣١) « ذلك » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) . وفي (ر) : فيكون ذلك .

(٣٢) في (ك) : والله بدل « بأنه» .

(٣٣) في (ق) : بهذا المكان.

(٣٤) في (ك) : لفظ .

(٣٥) في (ك) : الذي اقتضاه .

(٣٦) « هذا » ليس في (أ،ب) وأثبت من (ك،ق) .

(٣٧) « والله أعلم » ليس في (ك) .

[٩٤] الآية الثانية منها(١)

قوله تعالى : ﴿ يريدون أنْ يُطفئوا نورَ ا لله بأفواههم ويأبى ا لله إلاّ أنْ يُتِمَّ نورَه ولوْ كَرِه الكافرون ﴾ [التوبة : ٣٢] .

وقال في سورة الصف [٨] : ﴿ يريدون لِيُطفِئوا نور ا لله بأفواههم وا لله متمُّ نورِه ولوْ كَرِه الكافرون ﴾ .

للسائل أن يسأل فيقول : قال تعالى في الآية الأولى:﴿يريدون أن يطفئوا نور ا لله﴾ وقال في الثانية : ﴿ ليطفئوا ﴾ فما الذي أوجب اختصاص الأولى بما اختصت به ، والثانية باللام دون أن تكون مثل الأولى بـ « أنّ » وهي(٢) الأصل في تعدّى(٣) الإرادة إليه ؟ .

والجواب أن يقال(٤) : إن الإرادة في الآية(٥) الأولى تعلّقت بإطفاء نور ا لله بأفواههم ، وإطفاءُ نور ا لله إنما يكون بما(٦) حاولوه من دفع الحق بالباطل ، فالحق(٧) يسمّى(٨) نوراً ، لأن حججه وبراهينه(٩) تضيء لطالبه فيهتدي بها إليه ، والباطلُ هو قولُهم بأفواههم، وهو ما أخبر ا لله تعالى به(١٠) قبلُ عن اليهود والنصارى فقال(١١):﴿ وقالت اليهود عزيزٌ ابن ا لله وقالت النصارى المسيحُ ابن ا لله ذلك قولُهم بأفواههم..﴾ [التوبة :٣٠] أي : هو(١٢) قول لاحقيقة له ، ولامحصول ، وبمثله لايدفَع الحقّ ، وبالأفواه لايطفَأ هذا النورُ كما يطفأ السِّراج(١٣) ، لأن هذا النور وإن أشبهه في أنه(١٤) يهدي ويبيّن(١٥) الحق من الباطل، فهو بخلافه في(١٦) الامتناع من الإطفاء كما يتهيأ(١٧) ذلك في السراج .

---

(١) في النسخ المعتمدة : من سورة براءة . والمثبت من (ح، خ،ر،س) .

(٢) كذا في أكثر النسخ . وفي (ا) : وهو .

(٣) في (ب) : في تقدير ، ولاوجه له .

(٤) « أن يقال » ليس في (ا) وأثبت من (ب،ك) .

(٥) « الآية » ليس في (ا) وأثبت من (ب،ك) .

(٦) في (ب،ك) : بدل « يكون بما » : هو ما .

(٧) في (ب) : والحق .

(٨) في (ك) : سمّى .

(٩) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : لأن حجته تضيء .

(١٠) « به » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١١) « فقال » ليس في (ا،ب) وأثبت من (ك،ح،ر) .

(١٢) « هو » ليس في (ب) .

(١٣) السراج هو المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل . (اللسان ٢/٢٩٧ سرج) .

(١٤) في (ر) : بأنه .

والنور يجوز أن يكون الآية المنيرة والحجة الساطعة[١٨] ، ويجوز أن يكون المراد به القرآن[١٩] ، ويجوز أن يكون المراد به النبي[٢٠] ﷺ كما قال تعالى: ﴿..إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب:٤٥،٤٦] فالسراج المنير يسمى نوراً ، وكل واحد من الثلاثة إذا دفعوه[٢١] جاز أن يقال : حاولوا إطفاءه[٢٢] ، والخبر عن اليهود والنصارى الذين قال فيهم عزوجل[٢٣] : ﴿..ذلك قولُهم بأفواههم يضاهِئون قول الذين كفروا من قبلُ..﴾[٢٤] [التوبة:٣٠] أي: يشاكلون[٢٥] بإثباتهم لله ابنا وشريكاً قول من أثبت مع الله آلهة: ﴿..وما أمروا إلاّ لِيعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون﴾ [التوبة : ٣١] وهذا[٢٦] واضح ، وتعدّى[٢٧] الإرادة إلى هذا المراد ظاهر، وهو وجه الكلام والأصل .

وأما[٢٨] الآية في سورة الصف ، وتعليق الإرادة فيها بالإطفاء مع زيادة اللام[٢٩] ، فإن للنحويين في ذلك مذهبين :

---

(١٥) في (و) : ويميّز .

(١٦) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : من ، بدل « في » .

(١٧) في (ك) : بيّنا .

(١٨) هذا اختيار القرطبي (١٢١/٨) حيث قال في تفسير قوله تعالى :« ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله ﴾ أي دلالته وحججه على توحيده . جعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان» . وهذا القول في تفسير الماوردي (٢٣٢/٤) منسوب إلى ابن بحر .

(١٩) هو قول ابن زيد كما في تفسير الطبري (٨٨/٢٨) وتفسير الماوردي (٢٣٢/٤) .

(٢٠) هو قول الضحاك كما في تفسير الماوردي (٢٣٢/٤) وتفسير أبي حيان (٢٦٣/٨) . قال ابن عطية(٤٦٩/٦):«ولا معنى لتخصيص شيء ممّا يدخل تحت المقصود بالنور » اهـ .

(٢١) في (و) : دافعوه .

(٢٢) « اطفاءه » غير واضح في (ب) .

(٢٣) في (ك) : قال لهم تعالى .

(٢٤) في (ب) : ﴿ ..مِن قبلُ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .

(٢٥) هو معنى قوله تعالى ﴿ يضاهئون ﴾ وهو من المضاهاة . قال الخليل في كتاب العين (٧٠/٤) : ((والمضاهاة مشاكلة الشيءِ الشيءَ)) وقال الزجاج (٤٤٣/٢) : ((يشابهون ، وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة)) أهـ . ومعناهما واحد . والراغب (ص٥١٢) اقتصر على الأول .

(٢٦) في (ب) و(ك) : فهذا .

(٢٧) في (ك) : وتعذر ، وهو خطأ .

(٢٨) في (أ،ب) : فأمّا . والمثبت من (ك،خ) .

(٢٩) في (أ،ط) : الكفر . والمثبت من (ب،ك،خ) .

أحدهما : أن اللام توضع موضع « أنْ » لكثرة ما يقال : زرتك لتكرمنى ، فاللام[٣٠] لمّا شهرت[٣١] بنيابتها عن « أنْ » وقيامها مقامها في الموقع[٣٢] ، كان تعدىّ الفعل إليها مع ما بعدها من الفعل كتعدّيه إلى « أن » وما تنصبه[٣٣] من المستقبل ، فيقال: قصدت أن تفرح ، وقصدت لتفرح[٣٤] ، وهذا لايكون إلا على سبيل التوسع دون الحقيقة .

فأما المذهب الآخر فللمحقّقين ، وهو أن الفعل معدىً إلى مفعول محذوف، واللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون منبئةً[٣٥] على[٣٦] العلة[٣٧] التي لها أنشئ الفعل .

[٤٩/أ] والمراد في الآية[٣٨] / على هذا التحقيق[٣٩] : يريدون أن يكذّبوا ليطفئوا نور الله بأفواههم ، لأن قبلها : ﴿ ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام...﴾ [الصف : ٧] ، فقوله ﴿ يريدون ﴾ لم يذكر فيه[٤٠] مفعول ما يريدونه[٤١] اعتماداً على ما نبّه عليه بقوله[٤٢] : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ فكأنه قيل: يريدون افتراء الكذب[٤٣] ليطفئوا نور الله ، وهو على نحو قوله[٤٤]:

أردتُ لكيْما يَعلمَ الناسُ أنّها ... سراويلُ قَيْسٍ والوفودُ شُهودُ
وأنْ لا يقولوا غاب قيسٌ وهذه ... سراويلُ عاديّ نَمَتْه ثمودُ[٤٥]

---

(٣٠) من (ك) : باللام .

(٣١) من قوله : « أحدهما » إلى هنا سقط من (ب) .

(٣٢) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : في الموضع .

(٣٣) في (أ) : وما تضمنه . وفي (ب) وما تضمنته . والمثبت من (ح،خ،ر،س) .

(٣٤) اللام هنا هي اللام المعترضة التي تقع بين الفعل المتعدّى ومفعوله، وعلى هذا الرأي فإن اللام زيدت في قوله ﴿ليطفئوا﴾ مع فعل الإرادة تأكيداً له لما في اللام من معنى الإرادة في قولك : جئتك لإكرامك . انظر : الكشاف ٤/٩٩ .

(٣٥) في (أ): منبهة، وفي (ك) مبنية، والمثبت من (ب).

(٣٦) في (أ) : على، والمثبت من (ب،ك).

(٣٧) أي تكون اللام لام العلة .

(٣٨) تكرر لفظ « الآية » في (ا) .

(٣٩) هو الرأى الثاني القائل بأن مفعول « يريدون » محذوف .

(٤٠) « فيه » أثبتت من (خ،م) .

(٤١) في (ب) : ما يريد قوله ، وهو غير واضح .

(٤٢) في (ك) : من قوله .

(٤٣) من قوله : « فكأنه » إلى هنا سقط من (ك) .

(٤٤) في (ب) : وعلى هذا قوله .

(٤٥) جاء في بعض النسخ : لكيلا .

أي أردت أن أنزع سراويلي ليعلم الناس إذا رأوا طولها أنها على عاديّ القامة ، ثموديّ الخِلقة .

فلهذا خصت[٤٦] الآية الثانية بدخول اللام على « يطفئوا » ، ولمّا[٤٧] كان المراد في الآية الأولى الإطفاء بالأفواه لِما دلّ عليه مفتتح العشر [٤٨]، وهو[٤٩] : ﴿وقالت اليهود عزيرٌ ابنُ الله وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله ذلك قولُهم بأفواههم﴾ [التوبة : ٣٠] كانت[٥٠] الإرادة معدّاة إلى إطفاء نور الله تعالى بأفواههم ، وهو ما حكى الله[٥١] تعالى عنهم أنه قولهم بأفواههم ، أي : يريدون أن يدفعوا الحق بالباطل من أفواههم[٥٢] ، وهذا واضح.

وجاء في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٢/٣) :

« أن قيصر بعث إلى معاوية : ابعث إليّ سراويل أطول رجلٍ من العرب ، فقال لقيس بن سعد : ما أظننا إلاّ قد احتجنا إلى سراويلك ، فقام فتنحّى وجاء ، فألقاها ، فقال : ألا ذهبتَ إلى منزلك ، ثم بعثت بها ؟ .

فقال :

أردت بها كي يعلم الناس أنها سراويلُ قيسٍ والوفودُ شُهودُ
وأنْ لا يقولوا غاب قيسٌ وهذه سراويلُ عاديّ نَمَتْه ثمودُ

بزيادة « بها » في قوله:« أردت بها كي يعلم الناس ».

قال ابن عبد البر في الاستيعاب (١٢٩٣/٣) :« خبره - أي قيس بن سعد - في السراويل عند معاوية كذِب وزور ، مختلق ، ليس له إسناد ، ولايشبه أخلاق قيس ، ولا مذهبه في معاوية ، ولا سيرته في نفسه ونزاهته ، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزوّر . والله أعلم » اهـ .

(٤٦) في (ب) : اختصت .

(٤٧) في (ب) : ولو ، وهو خطأ .

(٤٨) هكذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : مفتتحها .

(٤٩) في (أ) : وهو يريدون ، وهو خطأ .

(٥٠) «كانت» جواب « ولمّا كان المراد » .

(٥١) لفظ الجلالة ليس في (ب) .

(٥٢) في (ك) : من اقوالهم .

[٩٥] الآية الثالثة منها [١]

قوله تعالى : ﴿ وما منعهم أن تُقْبَل منهم نفقاتُهم إلا أنّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصّلاة إلا وهم كُسالَى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ [التوبة : ٥٤] .

وقال في موضعين آخرين من هذه السورة : ﴿ ...ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ [التوبة : ٨٠] .

وبعده[٢] : ﴿...ولا تَقُمْ على قبره إنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] .

للسائل أن يسأل عن الفرق بين هذه الأماكن حتى أعيد في الأول[٣] حرف الجر مع المعطوف ، ولم يُعَدْ في المكانين الآخرين ؟

والجواب أن يقال : لمّا كان الأول[٤] فيه إيجاب بعد نفي صار[٥] الخبرُ أوكدَ ، وإلى أمارة التوكيد أوحج ، ألا ترى أن قولك « ما زيد إلا فاضل » أوكد من قولك : « زيد فاضل »، وكذلك[٦] : « ما زيد إلا قائم » أوكد من قولك : « زيد قائم » ، فلما كان كذلك احتاج المعطوف[٧] على قوله ﴿بالله﴾ إلى توكيد لم يحتج إليه في قوله : ﴿ ...كفروا بالله ورسوله ﴾[٨] إذ ليس أحد من الموضعين الآخرين متضمناً إيجاباً بعد نفي[٩] كما تضمنه قوله: ﴿ وما منعهم أن تُقْبَلَ منهم نفقاتُهم إلاّ أنّهم كفروا بالله وبرسوله...﴾ الآية[١٠] .

---

(١) في (ب،ك) : من سورة براءة .

(٢) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : وما بعدها .

(٣) في (ك) : في الأولى .

(٤) في (ك) : إن المكان الأول فيه . وذلك غير واضح في (ب) .

(٥) في (ك) : فصار .

(٦) قوله « زيد فاضل وكذلك » سقط من (ب) .

(٧) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ،ب) : في المعطوف .

(٨) ذلك في الآيتين الأخيرتين . وفي النسخ المعتمدة : ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾ والمثبت هو أليق بالمقام .

(٩) أي فلمّا خلا هذان الموضعان من إيجاب بعد نفي وهو الغاية في باب التوكيد لم يؤكَّد المعطوفُ عليه بتكرار «الباء» ليكون الكل على منهاج واحد بخلاف الموضع الأول حيث أكّد الكلام فيه بالإيجاب بعد النفي ، فناسب تأكيد المعطوف بالباء .

(١٠) لفظ « الآية » ليس في (ب) وفي (ك) : بدل « الآية » : فاعرفه إن شاء الله .

[٩٦] الآية الرابعة منها[١]

قوله تعالى : ﴿...ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون ﴾ فلا تُعجبْك أموالُـهم ولا أولادُهم إنّما يريد الله لِيعذِّبَهم بها في الحياة الدنيا وتزهَقَ أنفسُهم وهم كافرون ﴾ [التوبة : ٥٤-٥٥] .

وقال[٢] بعده[٣]: ﴿ولا تُعجبْك أموالُـهم وأولادُهم إنّما يريد الله أن يعذِّبَهم بها في الدنيا وتزهَقَ أنفسُهم وهم كافرون ﴾[٤] [التوبة : ٨٥].

للسائل أن يسأل في الآيتين[٥] عن أربع مسائل:

أولـها : قولـه : ﴿ فـلا تعجبـك ﴾[٦] بالفـاء في الآيـة[٧] الأولى ، وقولـه : ﴿ولا تعجبك﴾[٨] بالواو في الآية[٩] الثانية .

والمسألة الثانية : تكرار[١٠] «لا» في قوله : ﴿ ولا أولادهم ﴾ وتركـه في قولـه : ﴿ولا تعجبك أموالـهم وأولادهم ﴾ .

والثالثه قوله:﴿إنما يريد الله ليعذِّبهم﴾ باللام، وقال في الآية الأخرى:﴿إنما يريد الله أن يعذِّبهم﴾

والمسألة الرابعة قوله:﴿في الحياة الدنيا﴾ في الآية الأولى، وفي الآخرة: ﴿في الدنيـا﴾[١١]
من غير ذكر الحياة الموصوفة بها / [١٢]. [٤٩/ب]

والجواب عن المسألة الأولى في الفاء والواو ، ومجيء الآية الأولى[١٣] على ﴿فـلا تعجبك﴾ والآخرة[١٤] على[١٥] ﴿ ولا تعجبك ﴾ هو أن يقال[١٦]: إنّ قبل الفاء قوله

(١) في (ك) : من سورة براءة . وفي (ب) : الآية الرابعة .

(٢) من هنا إلى آخر ﴿ وهم كافرون ﴾ سقط من (ب) .

(٣) في (ك) : بعدها .

(٤) في (ر) : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولاتعجبك ...﴾ .

(٥) كذا في (ب،ك) .وفي (أ) : في هذه الآية .

(٦) في (ك) : ﴿ ولاتعجبك أموالـهم ﴾ .

(٧) في (أ،ب) : في الأولى . والمثبت من (ك) .

(٨) في (ك) : ﴿ ولا تعجبك أموالـهم ﴾ .

(٩) كذا في (ب) و(ك) . وفي (ا) : في الثانية .

(١٠) في (ب،ك) : تكرر .

(١١) « في الدنيا » سقط من (ك) .

(١٢) صيغة السؤال في (ح ، خ ، ر ، م): لِم قال ﴿فلا تعجبك﴾ في الأولى بالفاء، وفي الأخرى بالواو، ولم كرر «لا» في قوله ﴿ولا أولادهم﴾ في الأولى دون الأخرى. ولم قال في الأولى ﴿لِيعذبهم﴾ وفي الأخرى ﴿أن يعذبهم﴾ ولم قال في الأولى ﴿في الحياة الدينا﴾ وفي الأخرى ﴿في الدنيا﴾ فهنا أربع مسائل:

(١٣) في (أ،ك) : أول الآية . والمثبت من (ب) .

(١٤) في (ب،ك) : والأخرى .

تعالى: ﴿..ولايأتون الصّلاة إلا وهم كُسالَى ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون﴾[١٧] [التوبة:٥٤] فأخبر عن المنافقين بما يقصدونه بأفعالهم التي يوقعونها في حالهم واستقبالهم[١٨] على معنى: أن يَكْسَلوا عن الصلاة ويتكرّهوا[١٩] الصدقات ، فإن الله تعالى ليس يجازيهم بما يسوءهم[٢٠] من أموالهم وأولادهم ، بل يجعل[٢١] ذلك عذاباً لهم مدة بقائهم بما ينالهم من النقص في أموالهم[٢٢] بما أباح منها[٢٣] للمسلمين بالقتال[٢٤] ، وما يصيبهم في الأولاد من السّبْي[٢٥] والاستعباد[٢٦] ، ثم عند الفراق يكون الألم على قدر محبة الأحياء[٢٧] ، هذا سِوى[٢٨] سوء الانقلاب[٢٩] وما[٣٠] أعدّ لهم من العذاب ليوم المآب[٣١] . فلما كان الفعل الذي قبل الفاء بمعنى الشرط صار بعدها في موضع الجزاء فخصت بالفاء لذلك[٣٢].

وأما الآية التي دخلتها « الواو » فإن قبلها أفعالا ماضية كقوله: ﴿.. إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾[٣٣] [التوبة : ٨٤]، وهذه الأفعال بمضيّها وانقضائها[٣٤]

---

(١٥) « على » سقطت من (أ،ب) وأثبت من (ك) .

(١٦) في (أ،ب): وهو، وفي (ك):هو، والمثبت من (ح ، خ ، ر ، س).

(١٧) في (ا) : ﴿ ...إلا وهم كسالى ﴾ الآية . والمثبت من (ب) و(ك) .

(١٨) كذا في أكثر النسخ . وفي (ا) : واستثقالهم .

(١٩) في (ك) : يكرهوا ، قلت: والمعنى : لا يرضون، تقول اللغة: تكرّه الشيءَ : لم يرضه.

(٢٠) في (أ،ب،ك): يسرهم، والمثبت من (م).

(٢١) في (أ،ب،ك): يعجل ، والمثبت من (ح ، خ ، ر ، س ، م).

(٢٢) في النسخ المعتمدة: في الأموال، والمثبت من (ر ، م).

(٢٣) في النسخ المعتمدة : منه . والمثبت من (ح،خ،ر) .

(٢٤) « بالقتال » سقط من (ا) وأثبت من (ب) . وفي (ك) : وبالقتال .

(٢٥) أي من الأسر ، وهو مصدر من سبى عدوّه سبياً وسباءً : أسره . (اللسان ٣٦٧/١٤ سبى) .جاء في(أ،ب،ك):السباء، والمثبت من (ح ، خ ، ر ، م). ومعناهما واحد.

(٢٦) في كلام المؤلف هنا نظر، لأن كلامه مبني على أن المنافقين يقاتَلون، فيغنم المسلمون أموالهم ويأسرون أولادهم، وهذا فهم غريب، لأن الرسول ﷺ لم يقاتل المنافقين بل قاتل الكافرين المجاهرين بكفرهم، ومعلوم أن مجاهدة الكفار تكون بالقتال، وأما مجاهدة المنافقين فتكون بالحجة والبرهان.

(٢٧) في النسخ المعتمدة: الأحباب، والمثبت من (م).

(٢٨) في (ر ، م): مثوى.

(٢٩) في (ب) : العذاب .

(٣٠) من هنا إلى قوله : « المآب » سقط من (ب) .

(٣١) أي المرجع . والمآب مصدر ميمي من آب يئوب أوْبا و إياباً : رجع (اللسان ٢١٧/١ أو ب) .

(٣٢) في (ب،ك) : الفاء ، وفي (م): فخصت الفاء بذلك.

(٣٣) كذا في (ب،ك) . وفي (ا) : ﴿ أنهم كفروا بالله ورسوله ﴾ الآية .

لاتكون شرطا فتُعقَّبَ[٣٥] بالفاء التي تدل على الجزاء ، فعُطفت الآيةُ بعدها على ما قبلها بالواو لبطلان المعنى الذي يقتضى الفاءَ . ألا ترى أنه قال : ﴿... وماتوا وهم فاسقون﴾ ولايشترط فعل مَن قد مات فيعقَّب بذكر الجزاء ، فلذلك اختلفا في الفاء والواو[٣٦] .

والجواب عن المسألة الثانية ، وهي توكيد قوله ﴿ولا أولادهم﴾[٣٧] بـ « لا » في قوله: ﴿فلا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ وتعرية الثانية منها حيث قال : ﴿ ولاتعجبك أموالهم وأولادهم﴾[٣٨] هو أن الذي أنبأ عن معنى الشرط في الفعل[٣٩] الأول ، وهو : ﴿ولا يأتون الصّلاة إلا وهم كسالى ولاينفقون إلاّ وهم كارهون﴾ [التوبة : ٥٤] بُني على أوكد ما يبنى عليه الأخبار من الإيجاب بعد النفي ، فلمّا علّقت الجملة الثانية به تعلّق الجزاء بالشرط اقتضت من التوكيد ما قُصد به مثله[٤٠] في الأول[٤١]، فكان من[٤٢] ذلك أنْ أُكِّد[٤٣] معنى النهي[٤٤] بتكرير « لا » في قوله: ﴿ فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ .

وأما الآية الثانية فهى[٤٥] مخالفة للأولى في هذا المعنى ، لأنه لا شرط ينطوى عليه الفعل الذي قبلها كما انطوى عليه الفعل الذي قبل الفاء ، ولم يتضمّن أيضاً من التوكيد المقتضى بناء ما يتعلّق به عليه فخلا من الدواعي[٤٦] إلى التوكيد ، فلم يكرّر[٤٧] فيه « لا » لذلك .

والجواب عن المسألة الثالثة وهي وصل الإرادة باللام في الأولى[٤٨] حيث قال : ﴿ليعذّبهم بها﴾ ووصلها[٤٩] بـ« أن» في الثانية حيث قال : ﴿ أنْ يعذّبهم﴾ هو أن الأولى

---

(٣٤) في (ب) و(ك) : وانقطاعها .

(٣٥) في (ب) : فيعقب .

(٣٦) في (ب،ك) : في الواو والفاء .

(٣٧) في (أ،ك) : ﴿ وأولادهم﴾ والمثبت في (ب) .

(٣٨) من قوله « وتعرية الثانية » إلى هنا سقط من (ك) .

(٣٩) في (أ) : مافي الفعل . وهو خطأ .

(٤٠) في (ب) : بمثله . وفي (ك) : ماقصد مثله .

(٤١) في (ب) : من الأول .

(٤٢) أثبتت « من » في (ك) فقط .

(٤٣) في (ب) بدل « أن أكّد » : أوكد .

(٤٤) في (ب) : لمعنى النهي .

(٤٥) في (ب) : وهي .

(٤٦) في (ك) : من الداعي .

(٤٧) في (ب) : فلم تكرر .

(٤٨) في (ب) : في الأول .

معناها : إنما يريد الله أن يزيد في نَعمائهم بالأموال والأولاد ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا[٥٠] ، فمفعول الإرادة[٥١] محذوف ، واللام لام الصيرورة ، والآية الأخيرة مخالفة للأولى في ذلك ، لأنها في الإخبار عن قوم قد[٥٢] ماتوا وانقرضوا على النفاق، فلم يضمَر للإرادة مفعول[٥٣]، وهو[٥٤] : أن يزيد[٥٥] في نعمائهم لانقطاع الزيادة بالموت عنهم ، فعُدّيت الإرادة إلى ما آل[٥٦] إليه حالهم من تعذيبهم ، فصار المعنى : إنما يريد الله – في حال إنعامه عليهم – تعذيبهم به في الدنيا ، ففرق بين الخبرين إذ كان أحدهما خبراً عن قوم معرضين لزيادة إنعام الله عليهم، والأخير[٥٧] خبراً[٥٨] عمّن انقطعت أعمالهم وبلغت نعمة الله عليهم غاية لامزيد فيها لهم ، والله يريد تعذيبهم بذلك[٥٩] بعد كفرهم ومقامهم على نفاقهم .

والجواب / عن المسألة الرابعة وهي قوله في الأولى : ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ فجعل الدنيا [٥٠/أ] صفة للحياة ، وقوله في[٦٠] الآخرة : ﴿ في الدنيا ﴾ فأغنى بذكر الصفة عن ذكر الموصوف هو أن الثانية لمّا كانت بعد الأولى ، وقد نبّه فيها على الموصوف ، كان في ذكره[٦١] هناك غِنىً عن ذكره في هذا المكان ، لاسيما[٦٢] والدنيا كاسم عَلَمٍ للحياة الأولى[٦٣] وللدار الدنيا، فأغنى كلّ ذلك عن ذكر الحياة ، والإتيان بالموصوف ، وهذه حال الصفة .

---

(٤٩) في (ب) : فوصلها .

(٥٠) في (ك) : في الدنيا.

(٥١) ذلك في قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليعذبهم ﴾ .

(٥٢) « قد » سقط من (أ) .

(٥٣) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : فلم تتضمن الآية مفعولا .

(٥٤) في (ب) : هو

(٥٥) « في » سقطت من (ك) .

(٥٦) أي رجع . ولفظ « آل » سقط من (ب) .

(٥٧) في (ك) : والآخر .

(٥٨) في (ب) : خبر . وفي (ك) : إخبار .

(٥٩) في (ك) : به في الدنيا ، وتعذيبهم بذلك كتعذيبهم بذلك بعد كفرهم ...

(٦٠) في (أ) : على ، وهو خطأ .

(٦١) في (أ) : كان ذكره .

(٦٢) في (ب،ك) : سيما .

(٦٣) في (ك) : على الحياة .

[٩٧] الآية الخامسة منها

قوله تعالى : ﴿..استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ۞ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لايفقهون﴾ [التوبة : ٨٦-٨٧] .

وقال بعدها في العشر التي تلي هذه العشر[١]:﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطَبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون ﴾ [التوبة : ٩٣] .

للسائل أن يسأل هنا[٢] عن مسألتين :

إحداهما عن[٣] قوله في الأولى:﴿ وطبع ﴾ بفعل مالم يسمّ فاعله وفي الثانية[٤] سمّى فاعله بقوله[٥] : ﴿ وطبع الله ﴾ .

والمسألة الثانية قوله في الأولى : ﴿ فهم لايفقهون ﴾ وفي الآخرة[٦]:﴿ فهم لايعلمون﴾.

والجواب عن المسألة الأولى أن قوله تعالى:﴿وطُبع﴾ في آخر آية افتتحت بقوله تعالى : ﴿ وإذا أنزلت سورة ﴾[التوبة:٨٦] والمعنى: وإذا انزل الله سورة ، فلما صُدّرت الآية بفعل[٧] عُلم أن فاعله « الله» فيما[٨] لايقتضي ذكر الفاعل به مزيةً[٩]، بل يقوم[١٠] المفعول به مقامه، كان مثل هذا الفعل في منتهى الآية محمولا عليه ، لأنه معلوم أن الله تعالى يطبع ، كما علم أن الله يُنزل[١١]، فكانت التوفقة بين آخر الآية وأولها في ذلك هو الاختيار[١٢] .

والآية الأخرى وقعت هذه اللفظة منها في موضع إشباع وتأكيد ، ألاتراها في قوله:﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء﴾ [التوبة:٩٣] فجاءت « إنما » بعد نفي

(١) في (ك،ق) : وقال بعدها في العشر التي هذه العشر.

(٢) في (ك) : ها هنا .

(٣) « عن » ليس في (ك) .

(٤) في (ب) : والثاني . وفي (ك) : وفي الثاني .

(٥) في (أ،ك) : لقوله . والمثبت من (ك) .

(٦) في (ك) : الأخرى .

(٧) في النسخ المعتمدة : في فعل . والمثبت من (ح،خ،ر) .

(٨) كذا في (أ،ب) . وفي (ك،خ) : ببناء .

(٩) قوله « به مزية » ليس في (ب،ك) .

(١٠) في (ب،ك) : يقام .

(١١) في (د) : ينزل السورة .

(١٢) في (أ،ب) : فكانت التوفقة في ذلك من آخر الآية وأولها الاختيار . والمثبت من (ك) .

مكرّر(١٣) في قوله:﴿ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى ولاعلى الذين لايجدون ما ينفقـون حـرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل وا لله غفور رحيم ﴿﴾ ولاعلى الذين إذا ما أتوك لِتحملهم قلت لاأجد ما أحملكم عليه..﴾(١٤)[التوبة:٩١-٩٢] فنفى الحـرج عمّـن قعـد عـن الجهـاد لإحـدى المعاذير التي ذكرها(١٥)، ثم ألزم الحرج(١٦) القوم الذيـن حـالهم مضـادّة لأحـوال أولئـك(١٧)، فقال:﴿إنمـا السبيل علـى الذيـن يستأذنونك وهـم أغنيـاء رضُـوا بـأن يكونـوا مـع الخوالـف..﴾(١٨) أي:الإثم يتوجّه على من يستأذن(١٩) في المُقام، وهو قادر على الجهاد بالغنى(٢٠) واليَسـار(٢١) وصحّـة الأبـدان، رضـوا بـأن يكونـوا مـع النسـاء والزَّمْنـى(٢٢) والضعفـاء ، وا لله طبـع علـى قلوبهـم، فهـم لايعلمـون ، فلمّـا كـان هـذا الموضـع موضعـا يتبيـن(٢٣) فيـه مضـادّة حالهـم لأحـوال غيرهـم لِتخالُفٍ(٢٤) بيـن أفعـالهم وأفعـال(٢٥) مَـن فُسِـخ(٢٦) في القعـود لهـم، كان(٢٧) موضـع تنبيـه وتـأكيد وتخويـف وتحذيـر، فسـمّى الفـاعل وهـو «ا لله» تعـالى ليليـق الفعل(٢٨) إذا جاء هذا المجئ بمكانه .

---

(١٣) في (ك) : تكرر .

(١٤) في (أ) : ﴿ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى﴾ الآيتين . والمثبت من (ب،ك) والتتمة : ﴿ ... قلت لا أجد ماأحملكم عليه تَوَلَّوْا وأعينُهم تفيض من الدمع حَزناً ألاّ يجدوا ماينفقون ﴾ .

(١٥) في (ب) : ذكرنا .

(١٦) في (ك) : الخروج .

(١٧) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : لحال هؤلاء .

(١٨) نسخة (أ) إلى قوله تعالى ﴿ رضوا ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

(١٩) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : يستأذنوك .

(٢٠) في (ح،خ) : للغنى .

(٢١) واليسار–بالفتح– : الغنى والثروة (المصباح ٢/٦٨٠) .

(٢٢) أي المرضى الذين يدوم مرضهم زمنا طويلا ، والزمنى جمع الزّمِن . (المصباح ، ٢٥٦/١) .

(٢٣) في (ك) : تبين .

(٢٤) في (ب) ليخالف . وفي (ك) : ليتخالفوا . والمثبت من (أ،خ) .

(٢٥) في (أ،ب) : بين أحوالهم وأحوال . والمثبت من (ك،و) .

(٢٦) أي : أذن . يقال : فسح له الأمير في السفر : أذن (المعجم الوسيط، ص ٦٨٧).

(٢٧) « كان » جواب الشرط لـ « فلمّا كان » .

(٢٨) في (ك) : هذا الفعل .

قلت : الفعل هو الطبع على قلوبهم ، فقد جاء في هذا الموضع مسنداً إلى ا لله تعالى حيث قال:﴿وطبع ا لله على قلوبهم﴾ لِيناسب ما بسط في توبيخ الذين يطلبون الإذن في التغليف عن الجهاد وهم متمكّنون من الجهاد في سبيل ا لله ، وليناسب أيضاً ما صدّر به الآية وهو « إنتما » الحاصرة التي تحصر العقاب على المتخلفين بلاعذر،

<===

والجواب عن المسألة الثانية هو أن الذين ذُكروا بالطوْل(٢٩)، وهو الفضل في النفس والمال والقدرة على الجهاد. إنما مالوا إلى الدَّعة(٣٠)، وأخلدوا(٣١) إلى الراحة، وأشفقوا من الحرّ، ولم يفطنوا أن الراحة في تحمّل التعب مع رسول الله ﷺ، وأن الدعة توجد بتحمّل المشقة(٣٢) معه، فطلبوا ماكان مطلوبهم ضده لو فقهوا(٣٣)، وتفطّنوا(٣٤)، فكان هنا موضع «يفقهون».

وأما الآية الأخرى وهي:﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء﴾ أي العقاب يتوجه(٣٥) إلى هؤلاء، وهم الذين لا يعلمون ما أعدّ الله لكل ذي عمل محقّ(٣٦) عمله(٣٧) ما(٣٨) يعلمه المؤمنون الذين/ يستجيبون للخروج، والذين تفيض(٣٩) أعينهم(٤٠)، إذ لم يُعنهم بالرّكوب(٤١). فلمّا كان بإزائهم في الآيتين اللتين(٤٢) قبلُ، ذكر من تحقّق(٤٣)، وعلم الثواب والعقاب على اليقين، وخالفهم(٤٤) هؤلاء، نفى عنهم ما أثبته لأولئك(٤٥) وهو العلم، فلذلك جاء في هذا المكان:﴿فهم لايعلمون﴾. [٥٠/ب]

قال ابن عاشور (٦/١١):«لعله للإشارة إلى أنه طبع غير الطبع الذي جُبلوا عليه، بل هو طبع على طبع أنشأه الله في قلوبهم لغضبه عليهم، فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي، وزادهم عماية» اهـ.

(٢٩) قال الخليل (٤٥٠/٧) : « الطّوْل-بالفتح-القدرة » وقال ابن دريد في الجمهرة (٩٢٦/٢) : « الطّوْل : الفضل» وقال في اللسان (٤١٤/١١ طول) : « الطول والطائل : الفضل والقدرة والغنى والسعة والعلوّ » اهـ.

(٣٠) قال في القاموس(٩٩٤، ودع):« الدعة : الخفض والسعة في العيش » وفي المصباح (١٧٥/١): « وهو في خفضٍ من العيش أي في سعة وراحة » اهـ .

(٣١) أي ركنوا إلى الراحة ورضوا بها. وفي اللسان (١٦٤/٣ خلد):« وأخلد إلى الأرض وإلى فلان، أي ركن إليه ومال إليه ورضي به».

(٣٢) في (ب) : الشقّة .

(٣٣) في (ب ، م): فقهوا له، بزيادة « له ».

(٣٤) في (ك) : وفطنوا .

(٣٥) في (ب) : متوجه .

(٣٦) في (م): يحقّ .

(٣٧) « علمه » ليس في (أ).

(٣٨) في (ر): ممّا .

(٣٩) أي تسيل، وفي اللسان (٢١٠/٧ فوض) : ((فاضت عينه تفيض فيضا، إذا سالت)) اهـ .

(٤٠) كذا في أكثر النسخ، وفي (ا) . مدامعهم . قلت : هو جمع المدمع وفي المعجم الوسيط (٢٩٦) : « المدمع . سيل الدمع ومجتمع الدمع في نواحي العين » اهـ .

(٤١) قال في اللسان (٤٣١/١) :« الرّكوب-بفتح الراء- والرّكوبة من الإبل : التي تركب، وقيل:الرّكوب: كل دابة تركَب، وقيل : الرّكوب:المركوب» .

هؤلاء هم الفقراء الذين رغبوا في الجهاد وجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه مركبا يركبونه فيخرجون معه إلى الجهاد إذ ليس معهم من الزاد والسلاح والراحلة ما يمكّنهم الخروج برسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله.

(٤٢) هما الآيتان (٩١-٩٢) من سورة التوبة .

(٤٣) في بعض النسخ: ذكر من تحقق بالدين.

(٤٤) في (ب) : وخالف .

(٤٥) في (أ،ب) : لأولاء . والمثبت من (ك،و) .

[٩٨] الآية السادسة [١]

قوله تعالى:﴿..قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبّأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملَكم ورسولُه ثم تردُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبِّئكم بما كنتم تعملون﴾[٢] [التوبة:٩٤].

وقال بعده:﴿ وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملَكم ورسولُه والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبِّئكم بما كنتم تعملون ﴾[٣] [التوبة : ١٠٥] .

للسائل أن يسأل عن شيئين في هذا المكان :

أحدهما: ذكر[٤] ﴿والمؤمنون﴾[٥] في الآية الثانية[٦] ، وتركه في الأولى .

والسؤال الثاني: قوله في الآية الأولى : ﴿ثم تردّون﴾ وفي الآية[٧] الثانية:﴿وستردون﴾ وهل لاختلافهما معنى يوجبه ويخصصه بالمكان الذي يخصه ؟

والجواب عن الأولى[٨] أن يقال: إن المخاطبين في الآية الأولى هم المنافقون ، والمخاطبون[٩] في الثانية هم المؤمنون، لأنه قال في الأولى:﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبّأنا الله من أخباركم..﴾[١٠]. والثانية قال قبلها[١١]:﴿خذ من أموالهم صدقةً تطهّرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم..﴾[١٢][التوبة:١٠٣] وبعدها[١٣]:﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات...﴾[التوبة:١٠٤] ثم قال: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

وإذا اختلف المخاطبون بما بيّنا في الآيتين كان قوله : ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ بعد قوله: ﴿ قد نبّأنا الله من أخباركم ﴾ معناه : أن الله قد أخبرنا بأخباركم[١٤] التي

(١) في (ب) : من سورة براءة .

(٢) في (ب،ك) : إلى قوله تعالى : ﴿ والشهادة ﴾ .

(٣) في (ب،ك) إلى قوله تعالى : ﴿ والشهادة ﴾ .

(٤) في (ك) : ذكره .

(٥) في (أ،ك) : والمؤمنين . والمثبت من (ب) .

(٦) في (ب،ك) : الأخيرة .

(٧) في (أ): وفي الثانية.

(٨) أي عن المسألة الأولى . وفي (ب) : عن الأول .

(٩) في (ح،خ،ر) : والمخاطبين .

(١٠) في (أ) : ﴿ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم ﴾ الآية . والمثبت من (ب،ك) .

(١١) ((قال قبلها)) أثبتت من (ح،خ،ر) .

(١٢) قوله تعالى : ﴿ وصل عليهم .. ﴾ الخ ليس في (أ) . والمثبت من (ب،ك) .

(١٣) في النسخ المعتمدة : بعده . والمثبت من (ح،خ،ر) .

(١٤) في (ا) : أخباركم .

تخفونها في أنفسكم وتجاهرون[١٥] بها من كان من المنافقين مثلكم ، وا لله سيرى مايكون[١٦] منكم[١٧] بعدُ[١٨]، ويرى رسوله[١٩] بإطلاع ا لله[٢٠] له عليه ، وأعمالُهم[٢١] التي لأجلها يحكَم عليهم بالنفاق يراها ا لله تعالى[٢٢] ويُطْلع ا لله[٢٣] عليها رسولَه ﷺ، وما كل مؤمن يعلمها ، فلذلك لم يقل في هذا المكان : ﴿ والمؤمنون ﴾ بعد قوله : ﴿ وسيرى ا لله عملكم ورسوله ﴾ .

وأما الآية الثانية[٢٤] فإنها فيمن أمر ا لله تعالى نبيّه ﷺم وهم الذين[٢٥] أوجب عليهم الصدقات بأن يقول[٢٦] لهم : اعملوا[٢٧] ما أمركم ا لله تعالى به من الطاعات كالصلوات والصدقات، فإن ا لله ورسوله والمؤمنين[٢٨] يرون ذلك. وهذه الأعمال ممّا[٢٩] ترى[٣٠] بالعين خلاف أعمال المنافقين التي تقتضي[٣١] لهم النفاق لإضمارهم خلافَ إظهارهم ، وهو مما[٣٢] لايرى بالعين ، وإنما يعلمه عالم الغيب ، فلذلك لم يذكر ﴿المؤمنون﴾[٣٣] في الأولى ، وذكروا في الثانية .

والجواب عن المسألة الثانية[٣٤]:أن معنى قوله للمنافقين:﴿.. قد نبّأنا ا لله من أخباركم وسيرى ا لله عملكم ورسولُه ﴾[٣٥] أي : سيعلم ا لله حقيقة عملكم ، وأنه عن غير صحة

(١٥) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ،ب) : وتجاهدون ، وهو خطأ .

(١٦) في (أ،ب) : وا لله يرى ما سيكون . والمثبت من (ك) وهو يوافق معنى ما في المصحف .

(١٧) « منكم » سقط من (أ) .

(١٨) أي في مستقبل أيّامكم .

(١٩) في (ك) : رسول ا لله .

(٢٠) كذا في أكثر النسخ . وفي (ا) : بإطلاعه .

(٢١) في (ك) : أعمالهم ، بدون الواو .

(٢٢) « يراها ا لله تعالى » سقط من (ك) .

(٢٣) في (أ،ب) : ويطلع عليها رسوله . والمثبت من (ك) .

(٢٤) هي قوله تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى ا لله عملكم ورسوله والمؤمنون ... ﴾ .

(٢٥) في (أ،ب) : وهو الذي . والمثبت من (ك،ح،خ،ر) .

(٢٦) في (ب) : قال .

(٢٧) في (ب) : بما .

(٢٨) في (أ،ك) : والمؤمنون . والمثبت من (ب،ح،خ،ر) .

(٢٩) « ممّا » سقط من (ك) . وفي (أ):ما. والمثبت من (ب،ح،خ) .

(٣٠) في (ك) : يرى .

(٣١) في (ر) : اتقضى .

(٣٢) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : ما . وفي (ك) : لمّا .

(٣٣) في (ب) : المؤمنين .

(٣٤) هي : لم قال ﴿ ثم تردون ﴾ في الآية الأولى ، وقال في الآية الثانية : ﴿ وستردون ﴾ .

اعتقادٍ منكم ، وأن اعتذاركم قولٌ بلسانكم ، لايطابقه منطوى ضميركم ، وهذا ظاهر، يكون الجزاء عليه خلافه ، ففُصل بينه وبين ردّهم إلى الله تعالى للجزاء عليه(٣٦) بقوله:﴿ثم﴾(٣٧) أي : عملكم ، يعلم الله مَن باطنه خلاف ظاهره، وقد أمرنا بالرضى به وحقن دمائكم له ، ثم إن الحكم إذا رُددتم إلى الله تعالى في الآخرة بخلافه فَلِبُعْدِ مابين الظاهر من عملكم ، وما تجازون(٣٨) به دخلت « ثم » .

وليست كذلك الآية الأخيرة ، لأن قبلها(٣٩) بعثا على عمل الخير بقوله تعالى/: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة : ١٠٥] وهو وعد ، والأول(٤٠) وعيد ، وبعده : ﴿وستردون ﴾ لأنه وعد بما(٤١) يشاكل أفعالهم(٤٢) ويطابق أعمالهم(٤٣) من حسن(٤٤) والثواب وجميل(٤٥) الجزاء ، ولم يبعُد عنها(٤٦) كبُعد جزاء المنافقين عمّا هو ظاهر من أعمالهم التي يراؤون بها ، ويعلم الله تعالى خلافها منهم(٤٧) ، فجرى الكلام على نسق واحد، فقال: ﴿ فسيرى الله ﴾ ﴿وستردون ﴾ ولم تدخل « ثم » التي هى للتراخي والتباعد(٤٨) ، فاختصاص كل موضع بما اختص به من اللفظ لما ذكرنا . [٥١/أ]

---

(٣٥) في (ك) : ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون ﴾ .

(٣٦) قوله « للجزاء عليه » سقط من (ك) .

(٣٧) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : ﴿ ثم تردون ﴾ .

(٣٨) في (ب): وما تجازون به . وهو خطأ .

(٣٩) يعني قوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ﴾ [التوبة : ١٠٤]. قال الآلوسي في تفسيره (١١/١٥) : « والمراد التحضيض على التوبة والصدقة والترغيب فيهما » اهـ .

(٤٠) هو قوله تعالى : ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ [التوبة : ٩٤] .

(٤١) هكذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : ما ، وفي (ب) : ممّا .

(٤٢) في (ك) : أعمالهم .

(٤٣) في (ك) : أفعالهم .

(٤٤) في (ح،ر) : من حنس .

(٤٥) في (ب) : وحزيل .

(٤٦) أي ولم يبعد هذا الجزاء والثواب عن أعمال المؤمنين .

(٤٧) في (ب) و(ك) : خلافة منها .

(٤٨) قال ابن جماعة في كشف المعاني (ص٢٠٠) : « وأمّا ﴿ ثم ﴾ في الأولى : فلأنها وعيد ، فبيّن أنه لكرمه لم يواخذهم في الدنيا ، فأتى بـ﴿ ثم ﴾ المؤذنة بالتراخي . والثانية وعد، فأتى بالواو والسين في قوله تعالى : ﴿وستردون ﴾ المؤذنين بقرب الجزاء والثواب ، وبعد العقاب . فالمنافقون يؤخر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم ، فناسب ﴿ ثم ﴾ . والمؤمنون يثابون على العمل الصالح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : ﴿ ... فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم .. ﴾ [النحل : ٩٧] » اهـ .

[٩٩] الآية السابعة منها

قوله تعالى: ﴿..ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأٌ ولانصبٌ ولامخمصةٌ في سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفّارَ ولاينالون من عدوٍّ نيلا إلاَّ كُتب لهم به عملٌ صالح إنّ الله لايُضِيع أجر المحسنين﴾ [التوبة : ١٢٠] .

وقال بعده: ﴿ ولاينفقون نفقة صغيرةً ولاكبيرةً ولايقطعون وادياً إلاّ كُتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون ﴾ [التوبة : ١٢١] .

للسائل أن يسأل في ذلك عن مسألتين :

إحداهما[١]: قوله تعالى في الآية[٢] الأولى:﴿ إلاّ كُتب لهم به عمل صالح ﴾ وقوله في الثانية: ﴿إلا كتب لهم﴾[٣] فحسب ، ولم يذكر ﴿ عمل صالح ﴾ كما ذكر في الأولى[٤] .

والمسألة الثانية: تعقيبه الأولى بقوله : ﴿ إن الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ وتعقيبه الثانية بقوله : ﴿ ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون ﴾ ووجه الاختلاف في هاتين الآيتين .

والجواب عن المسألة الأولى هو أن في جملة ماذكره[٥] تعالى مِمّا[٦] أوجب لهم الأجر أشياء ليست من أعمالهم ، لأن الظمأ[٧] ليس هو من[٨] فعل الإنسان والنّصَب[٩] والمخمصة[١٠] كذلك . فلما تضمّن[١١] ما نسق بعضه على بعض ما ليس بعملٍ لهم ، وما هو عمل لهم بقوله[١٢] : ﴿ ولايطئون موطئا يغيظ الكفارَ ولاينالون من عدوّ نيلا ﴾ أَلْحَقَ[١٣] أجر ما ليس بعملٍ لهم بما هو عمل لهم فقال[١٤] : ﴿ إلاكتب لهم به عمل صالح ﴾ أي أجر عمل صالح .

---

(١) في (ب) : أحدهما .

(٢) « الآية » ليست في (ك) .

(٣) في (أ) : ﴿ إلا كتب لهم ﴾ وفي (ك) : ﴿ إلا كتب ﴾ والمثبت من (ب) .

(٤) كذا في (ب،ك) . وفي (ا) : كما ذكرت الأولى .

(٥) في (أ) : ماذكر . والمثبت من (ب،ك) .

(٦) في (أ) : ما . والمثبت من (ب،ك) .

(٧) أي العطش . (اللسان ١١٦/١ ظمأ) .

(٨) « من » ليس في (أ) و(ك) . وأثبت من (ب) .

(٩) أي التعب . (اللسان ٧٥٨/١ نصب) .

(١٠) قال في اللسان (٣٠/٧ خمص) : « والمخمصة : الجوع ، والجماعة » اهـ .

(١١) في (أ) : بدل « تضمن » : نسق ، وهو خطأ .

(١٢) في (ك) : كقوله .

(١٣) جواب « فلما تضمن » .

وماذكر الله تعالى في الآية الثانية[١٥] كله من أعمالهم، وهو قوله:﴿ولاينفقون نفقةً صغيرةً ولاكبيرةً ولايقطعون وادياً إلاَّ كُتب لهم﴾ أي : لا يُخرجون من أموالهم ما دقّ أو جَلّ[١٦]، ولايقطعون في مسيرهم[١٧] إلى أعدائهم وادياً إلاّ كان ذلك محفوظا لهم ، معلوماً مكتوبا ، أو كالمكتوب[١٨] عندالله تعالى ليجزيهم عليه أحسن الجزاء . فلما كان ما في الثانية[١٩] عملهم كتب على جهته ، ولم يحتج إلى أن يكتب به عمل صالح ، لأنه هو[٢٠] . والأول كان فيه ماليس بعملهم[٢١] فكُتب[٢٢] به أجر مثل عملهم ، فلذلك كانت الزيادة[٢٣] في الأولى ولم تحتج إليها الأخرى[٢٤] .

والجواب عن المسألة الثانية وهي تعقيب الأولى بقوله[٢٥] : ﴿ إنّ الله لايضِيع أجر المحسنين﴾ هو[٢٦] أن من أخبر عنه بأنه أصابه ظمأ ونصب وجوع ، فقد أخبر عنه بفعل غيره، ولم يخبر عنه بفعل فعله[٢٧] هو، إلاّ أنه يحسَب[٢٨] له بما[٢٩]وصل إليه من ألم العطش

---

(١٤) من قوله « الحق » إلى هنا سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(١٥) في (ب،ك) : وما ذكر في الثانية .

(١٦) أي ما صغُر أوكبُر ، وماحقُر أو عظم ، وما قلّ أوكثر . (اللسان « مادة وقف وحلل » والمعجم الوسيط «مادة وقف وحلل ».

(١٧) في (ك) : في سيرهم .

(١٨) لا محل هنا للتشبيه، لأن العمل أو ثوابه مكتوبان حقاً في اللوح المحفوظ، وفي صحف الأعمال.

(١٩) أي في الآية الثانية . وفي (ب) و(ك) : في الثاني .

(٢٠) في (ك) : هو هو .

(٢١) في (أ) : بعلمهم ، وهو خطأ .

(٢٢) « به » ليس في (ك) .

(٢٣) هي قوله تعالى : ﴿ به عمل صالح ﴾ .

(٢٤) خلاصة كلامه : أن الآية الأولى اشتملت على ما هو من عملهم ، وهو قوله : ﴿ ولايطئون موطئا يغيظ الكفارَ ولاينالون من عدوّ نيلا ﴾ واشتملت أيضاً على ما ليس من عملهم ، وهو قوله : ﴿ ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة في سبيل الله ﴾ فتفضل الله بأن أجرى هذه الأعمال من ظمأ ونصب ومخمصة وإن لم يقصد به أصحابها تقربا إلى الله تعالى - في غالب الأزمان - مجرى عملهم في الثواب ، فناسب ذلك زيادة قوله ﴿به عمل صالح ﴾ . وماذكر في الآية الثانية مختص بما هو من عملهم ، وهو قوله:﴿ ولاينفقون نفقة صغيرة...﴾ فلذلك قال : ﴿ كتب لهم﴾ أي ثواب ذلك العمل . (انظر : كشف المعاني ٢١٠ ، وفتح الرحمن ٢٤١).

(٢٥) « بقوله » ليس في (أ،ك) وأثبت من (ب) .

(٢٦) في (أ) : وهو .

(٢٧) في (ب) : يفعله .

(٢٨) في (ب،ك) : يجب .

(٢٩) في (ا) : ما . والمثبت من (ب،ك) .

والجوع والتعب والنصب الأجرُ، فلذلك عقبه بقوله : ﴿ إن الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ أي: أجر[٣٠] من أحسن طاعة الله وتعرض منها لما تلحقه فيه هذه[٣١] الشدائد .

وأما الآية الثانية وتعقيبها بقوله : ﴿ ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون ﴾ فلأن جميع ما ذكر كان عملا لهم ، فوعدهم حسن الجزاء على عملهم[٣٢] . وذلك/ ظاهر . والله أعلم [٥١/ب]

انقضت سورة براءة عن سبعة مواضع[٣٣] فيها ثلاث عشر مسألة .

---

(٣٠) « أجر » سقط من (أ،ك) . وأثبت من (ب) .

(٣١) « هذه » سقطت من (ك) .

(٣٢) من قوله « فوعدهم » إلى هنا سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣٣) في (ح،خ،ر) : عن سبه آيات .

سورة يونس عليه السلام

[١٠٠] الآية الأولى منها[١] .

قوله تعالى : ﴿ويَعبدون مِن دون الله ما لايضرّهم ولاينفعهم..﴾ [يونس : ١٨] .

وقال في سورة الفرقان[٥٥]: ﴿ ويعبدون من دون الله مالاينفعهم ولايضرّهم...﴾.

للسائل أن يسأل عن تقديم ﴿يضرهم﴾ على ﴿ينفعهم﴾ في الآية الأولى ، وتقديم ﴿ينفعهم﴾ على ﴿يضرهم﴾ في الآية الثانية ؟ وهل صلح أحدهما مكان الآخر ؟ .

فالجواب[٢] أن يقال: إنما قدّم : ﴿ مالايضرهم ﴾ على ﴿ لاينفعهم ﴾ في الآية الأولى لأن العبادة تقام للمعبود خوفاً من العقاب أوّلا ، ثم[٣] رجاءً للثواب ثانياً ، وقد تقدم في هذا المكان ما أوجب تقديم ﴿ مالايضرهم ﴾ على ﴿ لاينفعهم ﴾ في الآية الأولى ، وهو قوله : ﴿.. إنّي أخافُ إنْ عصيتُ ربّي عذابَ يومٍ عظيمٍ ﴾ [يونس : ١٥] فكأنه قال : ويعبدون من دون الله ما لايخافون[٤] ضرراً[٥] في معصيته ، ولا يرجون نفعا في طاعته[٦]، فقدم[٧] ﴿مالا يضرهم ﴾ على ﴿ لاينفعهم ﴾ في هذا المكان لهذا المعنى ولهذا اللفظ المتقدم .

وأما سورة الفرقان فقد تقدمت[٨] فيها آيات قُدّم فيها الأفضل على الأدون كقوله[٩] عز وجل:﴿ وهو الذي مَرَج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ وهذا مِلحٌ أجاجٌ...﴾[الفرقان : ٥٣]،

---

(١) « منها » ليس في (ب) .

(٢) في (أ) : الجواب .

(٣) « ثم » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٤) في (ك) : يخاف .

(٥) في (ك) : ضرر .

(٦) في (ب،ك) : في عبادته .

(٧) في (ب) : وقدّم .

(٨) في (ك) : تقدم .

(٩) في(ب) و(ك) : لقوله .

وكقوله[١٤] بعده : ﴿ وهو الذي خَلق من الماء بشَراً فجعله نَسَباً وصِهْراً وكان ربّك قديراً﴾ [الفرقان : ٥٤] ، وصلة النسب[١٥] أفضل من صلة المصاهرة[١٦] ، كما أن العذب[١٧] من الماء أفضل من الملح[١٨]، وقال بعده : ﴿ ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ﴾ أي : يتكلّفون المشقة بعبادة مالا يرجونه لنفع ، ولايخشونه لضر ، فقدّم الأفضل على الأدون لهذا المعنى[١٩]، وللبناء على ماتقدم من الآيات[٢٠]، فجاء في كل موضع على ما اقتضاه ماتقدم[٢١]، وصح المعنى[٢٢] الذي اعتمد عليه[٢٣].

(١٤) في (أ،ب) : وقوله . والمثبت من (ك) .

(١٥) صلة النسب هي تجعل الإنسانَ ذا قربة تصله بغيره كالآباء والأبناء .

(١٦) صلة المصاهرة هي تصل الإنسانَ بأقرباء زوجه . كأقارب أحد الزوجين ، وهي قرابة بالزواج .

(١٧) أي الطيب الذي لا ملوحة فيه (اللسان ٥٨٣/١ عذب) .

(١٨) أي من الماء المالح . قال في اللسان (٥٩٩/٢ ملح) : « والمِلح والمَلِيح خلاف العذب من الماء » اهـ .

(١٩) في (ب) : لهذا المعنى الذي اعتمد له .

(٢٠) في(ح،خ) : فبنى تقديم الأفضل على ماتقدم من الآيات كما مرّ .

(٢١) في(ك) : ماتقدمه .

(٢٢) في(ك) : في المعنى .

(٢٣) في (أ،ب،ك) : له . والمثبت من (خ) .

قلت : لقد تطرق المؤلف –رحمه الله –تعالى–إلى تقديم النفع على الضر، وتأخيره عنه في الآية (٢٨) من سورة الأعراف حسب ترتيب المؤلف وانظر من هذا الكتاب:

[١٠١] الآية الثانية منها[١].

قوله تعالى : ﴿ ... فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلالُ فأنّى تُصْرَفون ﴾ كذلك حَقّتْ كلمةُ ربِّك على الّذين فَسَقوا أنّهم لايؤمِنون ﴾ [يونس : ٣٢-٣٣] .

وقال في سورة المؤمن[٢] [٥-٦] : ﴿ ...وهمّتْ كلُّ أمّةٍ برسولهم لِيأخذوه وجادَلوا بالباطل لِيُدحضوا به الحقَّ فأخذتُهم فكيف كان عقابِ ﴾ وكذلك حَقّتْ كلمةُ ربِّك على الذين كفروا أنّهم أصحاب النار ﴾ .

للسائل أن يسأل في هاتين الآيتين عن ثلاث مسائل :.

إحداها:دخول الواو على ﴿كذلك﴾ في سورة المؤمن وخلوّها منها في سورة يونس.

والثانية[٣] قوله في الأولى:﴿على الذين فسقوا﴾[٤] وفي الثانية:﴿على الذين كفروا﴾[٥].

والثالثة: قوله في يونس[٦] :﴿أنهم لايؤمنون ﴾ وفي المؤمن[٧] ﴿أنهم أصحاب النار﴾ .

والجواب عن المسألة الأولى ، وهي ترك الواو في هذا الموضع[٨] وإثباتها في سورة المؤمن: أن القصة بعد ﴿ كذلك ﴾[٩] هي التي قبلها ، فهي مرتبطة بها بعودها إليها ، وبكاف التشبيه ، فاستغنت بهذين الرابطين[١٠] عن حرف العطف، فهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة الله[١١] ، أنهم لايؤمنون ، هم الذين خوطبوا بقوله : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض...﴾ [يونس : ٣١].

وليس كذلك مافي سورة المؤمن ، لأنه[١٢] وإن تعلّق به بكاف التشبيه فإنه ينقطع عنه بأن المذكورين بعد « كذلك » غير المذكورين قبلها ، ألاترى أنّ[١٣] قوله : ﴿كذّبت قبلَهم

---

(١) في (أ،ب) : من سورة يونس عليه السلام . والمثبت من (ك) .

(٢) المؤمن من أسماء سورة غافر ، سميت سورة المؤمن لاشتمالها على حديث مؤمن من آل فرعون في قوله تعالى : ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون ... ﴾ المؤمن : ٢٨ . (ينظر : البصائر للفيروزآبادي ٤٠٩/١) .

(٣) من هنا إلى « وفي الثانية » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٤) في (ك) : الذين فسقوا .

(٥) في (ك) : الذين كفروا .

(٦) في (أ،ب) : في الأولى . والمثبت من (ك) .

(٧) في (أ،ب) : وفي الثانية . والمثبت من (ك) .

(٨) أي في سورة يونس ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ كذلك ﴾ .

(٩) في (ب) : ذلك ، هو خطأ .

(١٠) في (أ،ب) : الرباطين . والمثبت من (ك) .

(١١) في (ب) : الكلمة .

(١٢) قوله « وإن » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

قومُ نوحٍ والأحزابُ مِن بَعدِهم وهمّت كلُّ أمّةٍ برسولهم / ليأخذوه وجادلوا [٥٢/ب]
بالباطل...﴾[١٤] [المؤمن : ٥] خبر[١٥] عن الذين كانوا قبل النبي ﷺ ، وما[١٦] بعد قوله :
﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ [المؤمن : ٦] إنما هو
وعيد لمن هو[١٧] في عصره عليه الصلاة والسلام، فلما انقطع مابعد « كذلك » هنا عما قبلها
احتاج إلى الواو[١٨]، ومافي سورة يونس لمّا لم ينقطع مابعدها عما قبلها لم يحتج إليها .

والجواب عن اختصاصه بقوله : ﴿ على الذين فسقوا ﴾ في سورة يونس ، واختصاص مافي سورة المؤمن بقوله : ﴿ على الذين كفروا ﴾ فلأن[١٩] الأول في ذكر قوم أخبر عنهم بقوله: ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ... ﴾ [يونس : ٣١] فأخذ[٢٠] إقرارهم بأن الله تعالى هو الذي يرزقهم من مطر السماء ونبات الأرض ، وهو الذي يملك أسماعهم وأبصارهم ، فإن أحبّ سمعوا وأبصروا ، وإن لم يرد ذلك صمو وعموا ، وهو[٢١] الذي يخرج الحيّ من الميت كالفرخ[٢٢] من البيضة ، ويخرج الميت من الحيّ كالبيضة من الدجاجة[٢٣]، وأنه هو الذي يدبّر أمور الخلق من ابتداء أحوالهم إلى انتهائها ، وكانوا ممن أخبر الله تعالى[٢٤] عنهم بقوله : ﴿ ... والذين اتخذوا من دونه أولياءَ ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى .. ﴾ [الزمر : ٣] فباينوا بإثبات الصانع ومازعموه من معرفة الخالق من أنكره وجحد[٢٥] بآياته ، وفسقوا بأن عبدوا معه غيره ، ولم يثبتوا النبي ﷺ ونبوته الفسق الذي هو

---

(١٣) « أن » أثبتت من (ح،خ،ر) .

(١٤) من قوله تعالى ﴿ ليأخذون ﴾ إلى هنا ليس في (ك) .

(١٥) في النسخ المعتمدة : خبراً . والمثبت من (ح،(خ،ر) .

(١٦) « ما » سقطت من (أ) .

(١٧) في (أ،ب) : وعيد من . والمثبت من (ح،خ،ر) .

(١٨) في (أ،ب) : إلى الواو مالم يحتج إليها مافي سورة يونس . والمثبت من (ك) و(و) .

(١٩) في (ب،ك) : فإن .

(٢٠) « فأخذ » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢١) « وهو » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٢٢) الفرخ : ولد الطائر (اللسان ٤٢/٣ فرخ) .

(٢٣) هذا المثال إخراج ماديّ ، وقد مثّل المفسرون لما هو إخراج مادي كالمثال الذي ذكره المصنف ، وكالنخلة من النواة ، والعكس . وما هو إخراج معنويّ كإخراج العالم من الجاهل والمؤمن من الكافر والعكس .

(٢٤) « الله تعالى » ليس في (ب،ك) .

(٢٥) في (ك) وجحده .

كفر لاينفع(٢٦) معه الإقرار الأول(٢٧)، فقال تعالى : هؤلاء الذين أقروا بالصانع(٢٨) وصفات فعله(٢٩)، ثم خرجوا عما دخلوا فيه بإنكار نبوة النبي ﷺ ، وبعبادة آلهة مع الله تعالى كان ذلك فسقا لخروجهم عن حكم(٣٠) من يقر بما أقروا به ، والفسق فسقان:

أحدهما هو الكفر ، وتسميته به(٣١) لهذا(٣٢) الوجه الذي قلناه، وهو كقوله تعالى:﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾[السجدة:٢٠].

والثاني فسق ليس بكفرٍ كقوله تعالى : ﴿ ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٤] ليس المراد بهم الكافرين(٣٣) ، فأخبر عن هؤلاء بـ(٣٤)﴿ الذين فسقوا ﴾ في سورة يونس لذلك(٣٥).

وأما في سورة المؤمن فإنه لم يتقدمه مثل(٣٦) ماتقدم هنا ، بل قال تعالى قبله : ﴿مايجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلايغرُرْك تقلّبُهم في البلاد ﴾ كذّبت قبلهم قوم نوح...﴾(٣٧) [المؤمن : ٤-٥] فأخبر عن الكفار الذين في عصره(٣٨) بأنهم كفروا بمجادلتهم في آيات الله ، فشبههم(٣٩) بالقوم الذين مضوا قبلهم حيث قال : ﴿ ... وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ... ﴾ [المؤمن : ٥] ثم قال تعالى : ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ [المؤمن : ٦] فلما أراد الذين(٤٠) قدّم ذكرهم من أول القصة ، وهم الذين أخبر عنهم بقوله : ﴿ مايجادل في آيات الله إلاّ الذين

---

(٢٦) في (ك) : لاينتفع .

(٢٧) الإقرار الأوّل هو إثبات الله تعالى عز وجل خالقا صانعا . وفي (ب،ك) : بالإقرار .

(٢٨) في (ب) : فعلهم ، وهو خطأ .

(٢٩) في (ب): فعلهم، وهو خطأ.

(٣٠) « عن حكم » سقط من (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٣١) « به » سقط من (أ،ب)، وأثبت من (ك،خ) .

(٣٢) في (ب) : بهذا .

(٣٣) وإنما المراد بهم في آية سورة النور : الكاذبون ، (ينظر : قاموس القرآن للدامغاني . ص : ٣٥٩) .

(٣٤) الباء سقطت من (أ،ب) وأبتت من (ك) .

(٣٥) في (أ،ب) : كذلك ز وأثبت من (ك،خ) .

(٣٦) « مثل » ليس في (أ) .

(٣٧) في (أ): ﴿ ... كفروا ﴾ الآيتين . والمثبت من (ب،ك) .

(٣٨) في (ب) : في عصرهم .

(٣٩) في (أ) : فشبّهوا . والمثبت من (ب،ك) .

(٤٠) في (أ): الذين كفروا .وهو غير مستقيم هنا .

كفروا فلا يغررْك تقلّبهم في البلاد ﴾ [المؤمن : ٤] كان[٤١] أن يصفهم بما وصفهم به قبلُ من الكفر أولى وأدلّ على أن المعنيّين بوجوب[٤٢] النار لهم ، هم الذين قدّم ذكرهم .

والجواب عن المسألة الثالثة[٤٣] ، وهي : ﴿ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون ﴾ [يونس : ٣٣] وقوله في سورة المؤمن [٦] : ﴿ أنهم أصحاب النار ﴾[٤٤] فلأنه[٤٥] تعالى أراد أن يبين أنهم ـ وإن أقروا بالله تعالى وأثبتوه خالقاً قادراً صانعا ـ غيرُ مؤمنين ، وماداموا يعبدون غيره لايؤمنون ، فالقصد إلى إبطال مابذلوه[٤٦] بألسنتهم من الإقرار بخالقهم ، والقصد في الآية[٤٧] التي في سورة المؤمن توعّدهم على كفرهم بالنار إذ لم يتقدم/ ذكر إقرارٍ يشبه إقرار المؤمنين ، فيبطل بتركهم سائر ما[٤٨] أمرا الله تعالى به . [٥٢/ب]

(٤١) «كان» جواب الشرط لقوله : « فلمّا أراد» .

(٤٢) في (ك) : يوجب ، وهو خطأ .

(٤٣) في (أ،ب،ك) : عن المسألة الثانية ، والمثبت من (و) وهو الصواب .

(٤٤) من قوله : « وقوله في سورة المؤمن » إلى هنا سقط من (ب) .

(٤٥) في (أ) : فإنه . والمثبت من (ب،ك) .

(٤٦) في (ب) : أبدلوه . وفي (خ) : بدّلوه .

(٤٧) هي قوله تعالى : ﴿ أنهم أصحاب النار ﴾ .

(٤٨) « ما » سقطت من (أ).

[١٠٢] الآية الثالثة منها[١]

قوله تعالى:﴿ ألا إن لله مافي السموات والأرض ألا إن وعدا لله حقٌّ ولكنّ أكثرهم لايعلمون ﴾ [يونس : ٥٥] .

وقال بعده في العشر التي تلي هذه العشر : ﴿ ألا إنّ لله مَن في السموات ومَن في الأرض ومايَتَّبِع الذين يَدْعون من دون ا لله شركاء ... ﴾[٢] [يونس : ٦٦] .

وقال بعده في هذه العشر : ﴿ قالوا اتخذ ا للهُ ولداً سبحانه هو الغنى له مافي السموات ومافي الأرض إنْ عندكم من سلطان بهذا ... ﴾[٣] [يونس : ٦٨] .

للسائل أن يسأل في ذلك عن مسائل:

إحداها[٤] : لماذا كان في الآية الأولى : ﴿ مافي السموات والأرض﴾ وفي الثانية : ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ وهل صلح «من» في الآية الأولى، و«ما» في الثانية[٥] ؟.

والمسألة الثانية : ما الذي دعا إلى التوكيد في «مَن» حتى أعيدت في قوله : ﴿ ومن في الأرض ﴾، ولم تعد « ما» في الآية الأولى عند ذكر الأرض[٦] ؟ .

والمسألة الثالثة[٧] عمّا دعا إلى تكرير «ما» في قوله : ﴿ له مافي السموات وما في الأرض﴾ ولم يكررها في الآية الأولى في قوله[٨] : ﴿ ألا إن لله مافي السموات والأرض...﴾ ولم يقل : ومافي الأرض ؟ .

فالجواب[٩] عن المسألة الأولى ، واختصاص «ما» حيث اختصت ، واختصاص «مَن» حيث اختصت ، هو أن الأولى جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ ولو أنّ لكل نفسٍ ظَلمتْ ما في الأرض لافْتدتْ به ... ﴾ [يونس : ٥٤] ، فكان المعنى : أن النفس الظالمة إذا رأت عذاب ا لله تعالى لو ملكتْ جميع ما في الأرض لَبَذَلَتْه[١٠] في فداء نفسها ، وهي تحرص على اليسير

(١) في (ب) : من سورة يونس .

(٢) في (أ) : ﴿ ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض .. ﴾ الآية . والتتمة من (ب،ك) .

(٣) في (أ) : ﴿ قالوا اتخذ ا لله ولداً سبحانه ﴾ الآية . والمثبت من (ب،ك) .

(٤) في (ب) : أحدها .

(٥) في (ك) : وهل صلح ما في الآية الأولى في الثانية .

(٦) من قوله «والمسألة الثانية» إلى هنا سقط من (ك) .

(٧) في (ب،ك) : الثانية ، وذلك خطأ .

(٨) في (ب) : وقوله .

(٩) في(ك) : والجواب .

(١٠) « في» ليست في(ب،ك) .

من حُطامها[١١] في ظلم أهلها ، فكرّر على ذلك بقوله : ﴿ ألا إن لله مافي السموات والأرض ﴾[١٢] [يونس : ٥٥] أي أن النفس[١٣] الظالمة لاتملك مافي الأرض[١٤] فتفتدي به، ولو ملكته لما قبل في[١٥] فدائها ، وكيف يكون لها ذلك ؟ والله تعالى مالك مافي السموات والأرض ، وليس للعبد ذلك ، ولامحلّه هنالك[١٦] ، فوجب لهذا[١٧] المكان «ما» لقوله: ﴿ما في السموات والأرض ﴾[١٨]، والمراد : نفائس[١٩] مافي الأرض ممّا ملّكه الله تعالى العبادَ.

وأما الموضع الذي ذكر فيه «مَن» فلم يصح فيها غيرها[٢٠]، لأن قبله : ﴿ولايحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ﴾ ألا إنّ لله مَن في السموات ومَن في الأرض...﴾[٢١] [يونس : ٦٥-٦٦] والمعنى : لايحزنك ما يتوعّدك[٢٢] به الكفار من القتل وانواع المكروه[٢٣] فإن العزة[٢٤] لله تعالى ، لايمنح[٢٥] الكفارَ قدرةً على ما يريدونه منك ، بل يعطيك القدرة[٢٦] عليهم ، والغلبة[٢٧] لهم ، فإنه يملك مَن في السموات ومن في الأرض ، ولاقوة لهم إلا به ، ولاقدرة لهم إلا من عنده ، فاقتضى هذا المكان « من» كما رأيت .

---

(١١) الحُطام من كل شيء : ماتحطم منه ، والحطام من النبات : مايبس ، والحطام من الدنيا : متاعها . وحطام البيض قشرها (ينظر اللسان ١٣٨/١٢ حطم ، والمعجم الوسيط : ١٨٣) .

(١٢) قوله تعالى : ﴿ والأرض ﴾ ليس في (أ،ب) . وأثبت من (ك) .

(١٣) في (ب،ك) : أي النفس .

(١٤) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : مافي السموات ، وهو خطأ .

(١٥) في (ب) : من ، بدل « في» .

(١٦) في(ب) : هنا . وفي (ر) : ولايحتمله هناك .

(١٧) في (ك) : في هذا .

(١٨) ذلك في الآية (٥٥) من سورة يونس . وفي (أ،ك) : مافي الأرض . وفي(ب) : له مافي الأرض . والمثبت من المصحف .

(١٩) في(ب) : يقاس ، وهو خطأ .

(٢٠) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : غيره .

(٢١) نسخة (أ) إلى قوله تعالى : ﴿ ألا إن لله .. ﴾ والمثبت من (ب،ك) .

(٢٢) في (ب) : يتوعد .

(٢٣) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : والمكروه .

(٢٤) في (ب،ك) : القدرة .

(٢٥) في(ب) : ولاتمنح . وفي (ك) : وهو لايمنح .

(٢٦) فب (أ) : العزة . وفي (ب،ك) : القوة . والمثبت من (ح،خ،ر) .

(٢٧) في (أ) : الغلب . قلت : الغلب والغلبة مصدر غلب بمعنى قهر (اللسان ٦٥١/١ غلب) ، ولافرق بينهما .

والجواب عن المسألة الثانية ، والسبب في إعادة « مَن» فيها ، وترك إعادة « ما» في الآية الأولى فقال : ﴿ ومن في الأرض ﴾ وقال هناك : ﴿ ألا إنّ لله مافي السموات والأرض﴾ ولم يقل : مافي الأرض ، فلأن[٢٨] المقصود بالذكر أنه[٢٩] قادر على أن يكفى النبي ﷺ أمره هو[٣٠] ، مَن في الأرض من الكفار الذين بُعث إليهم وخوّفوه أذاهم ، فقرن إلى ذكرهم ذكر من في السموات ، وهم[٣١] أكبر شأنا[٣٢] وأعظم أمراً ، فإذا مُلكوا كان مَن دونهم أدون ، فإعادة « مَن » مع ذكر الأرض للتوكيد الذي اقتضاه القصد إلى ذكرهم .

وأما حذف « ما » في الآية الأولى عند ذكر الآرض فلأن ذكرها[٣٣] قد تقدم ، وهو: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت مافي الأرض .. ﴾ فلما قال : ﴿ ألا إن لله مافي السموات والأرض ﴾ كان « ما » في ذكر « الأرض » هناك[٣٤] ، ورجوع هذا إلى ذلك المعنى مثل ذكره في هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن التكرير[٣٥].

والجواب عن المسألة الثالثة ، وهي تكرير « ما » في قوله تعالى: ﴿...له مافي السموات ومافي الأرض ﴾ [يونس : ٦٨] مع حذفها / من الآية الأولىٰ ، هو أن قبله : ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له مافي السموات ومافي الأرض ... ﴾ [يونس : ٦٨] فنزّه نفسه تعالى عن الولد ، وأخبر أنه غنيّ عما يجلَب[٣٦] باتخاذه ، ويستفاد بمكانه ، إذ كان مالكا لكل ما في السموات ومافي الأرض، فكان الموضع موضع توكيد ، فكأنه قال : إذا كان له كل ما في السموات وكل مافي الأرض فلماذا يتخذ الولد ؟ ولايجوز عليه اجتلاب مسرّة وانتفاع به ، لأنه هو[٣٧] الغني بنفسه[٣٨]، فإعادة «ما»[٣٩] في هذا المكان لهذا الضرب[٤٠] من التوكيد ، أي [٥٣/أ]

(٢٨) في (ب) : فهو لأن .

(٢٩) في (ب) : وأنه .

(٣٠) في (أ،ك) : وهو . والمثبت من (ب،ق) .

(٣١) في (أ،ك) : وهو، والمثبت من (ب).

(٣٢) في (ب) : أكثر ثباتا .

(٣٣) في (ب) : ذكره .

(٣٤) في(ب):كان في ذكر مافي الأرض هناك. وفي (ك):كان ذكرما في الأرض هناك. و((هناك)) تشير إلى الآية (٥٤) من سورة يونس.

(٣٥) في (ب) : التكرار .

(٣٦) في(ب،ك) : يجتلب .

(٣٧) « هو » أثبتت من (ق،م) .

(٣٨) في (ب) : ولايجوز عليه اتخاذ ولد لأنه الغني بنفسه .

(٣٩) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : فأعادها .

(٤٠) في (ب) : الغني .

هو غنيّ لايحتاج إلى ولد يعينه على شيء مما(٤٢) في السموات، وهو مالك له كله ، ولا إلى(٤٣) أن يعينه على(٤٤) شيء ممّا(٤٥) في الأرض ، وهو مالك له بأسره ، فلما تأكد الكلام في مثل(٤٦) هذا المكان جاءت « ما » معادة لهذا الشأن . والله تعالى أعلم .

---

(٤١) في (ب) : الغني .

(٤٢) « مما » أثبتت من (خ) .

(٤٣) « إلى» سقطت من (أ،ب) وأثبتت من (ك،و) .

(٤٤) في (ب،ك) : في .

(٤٥) « بما » ليس في (أ،ب) وأثبت من (ك،و) .

(٤٦) « الكلام في مثل هذا » سقط من (ك) .

[١٠٣] الآية الرابعة منها

قوله تعالى : ﴿ ... وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ [يونس : ١٠٤] .

وقال في سورة النمل في آخرها [٩١] : ﴿ ... وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

للسائل أن يسأل عن اختصاص هذا المكان بـ ﴿المؤمنين﴾ واختصاص آخر سورة النمل[١] بـ ﴿ المسلمين ﴾ ؟

والجواب أن يقال [٢] : أن قبل هذه الآية[٣] في سورة يونس[٤] قوله تعالى[٥] : ﴿ ثم نُنجّي رسلَنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا نُنْجِ المؤمنين ﴾ [يونس : ١٠٣] فقال بعده: وأمرت أن أكون منهم[٦].

وأما[٧] في سورة النمل[٨] فإن قبل هذه[٩] الآية منها[١٠]:﴿ وما أنت بهادى العُمْيِ عن ضلالتهم إنْ تُسْمِعُ إلاّ مَن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾[النمل : ٨١] فكأنه قال: وأمرت[١١] أن أكون ممّن إذا سمع بآياته[١٢] آمن بها[١٣]، وكان من المسلمين الذين مُدحوا بأن النبي ﷺ يُسمعهم، إذ[١٤] ينتفعون بما يسمعونه منه ، فلما تقاربت[١٥] اللفظتان وكانتا تستعملان لمعنى[١٦] واحد ؛ حملت كل واحدة منهما على اللفظ الذي[١٧] تقدّمها ولائَمها[١٨].

---

(١) في (أ) : وذلك بـ « المسلمين » . والمثبت من (ب،ك) .

(٢) « أن يقال » أثبتت من (ح،ر،م) .

(٣) « الآية » ليسث في (أ) وأثبتت من (ب،ك) .

(٤) في (أ) : في يونس.

(٥) « قوله تعالى » ليست في (أ) وأثبت من (ب،ك) .

(٦) أي من المؤمنين ، ذلك في قوله تعالى : ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ .

(٧) في (ب) : فأما .

(٨) في (أ) : في النمل .

(٩) « هذه » ليست في (أ) وأثبتت من (ب،ك) .

(١٠) « منها » ليست في (أ،ك) ، والمثبت من (ب) .

(١١) النسخ المعتمدة بدون الواو . والمثبت من (ح،خ،ر،و) .

(١٢) في (أ) : بآية . والمثبت من (ب،ك) .

(١٣) « بها » ليس في (أ،ب) . والمثبت من (ك) .

(١٤) في (ب،ك) : أي .

(١٥) في (م): تقارنت.

(١٦) في (خ،ر) : بمعنى .

(١٧) « الذي » سقطت من (أ).

(١٨) أي وافقها . وفي اللسان (٥٣١/١٢ لأم) : لاء منى الأمر : أي وافقنى .

[١٠٤] الآية الخامسة منها[١]

قوله تعالى : ﴿.. فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ [يونس : ١٠٨] .

وقال في آخر[٢] سورة النمل [٩٢] : ﴿ .. فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ﴾ .

للسائل أن يسأل عن اختلاف الموضعين ، وقوله في الأولى: ﴿ ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ وفي الثانية : ﴿ ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ﴾[٣]؟ .

والجواب[٤] أن يقال: إن[٥] الآية الأولى فإنه لمّا قال فيها : ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي منفعة اهتدائه له، وهي دوام النعمة والخلود في الجنة فاقتضى[٦] هذا في الضلال ضدّه، فقال: ﴿ ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ أي[٧] ضرر ضلاله عليه ، وهو دوام العقاب[٨] بأليم العذاب ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ ولايلزمني أن أقِيَكم ما لاتقونه[٩] أنفسكم كالوكيل الذي يلزمه حفظ ما وُكل به ممّا يضره .

وأما الآية الثانية[١٠] في آخر سورة النمل فإنها عدل بها عند[١١] ذكر الضلال عمّا حُملت عليه في الآية التي في آخر سورة يونس[١٢] لتحمل على الفواصل التي قبلها وهي مختومة بالواو والنون[١٣]، أو الياء والنون[١٤]، فقال تعالى : ﴿ ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ﴾ أي : ممّن يعلّمكم ما يلزمكم أن تحذروه[١٥] ويخوفكم ما يجب عليكم أن تجتنبوه

---

(١) « منها » ليس في (ب) .

(٢) « آخر » ليس في (ب) .

(٣) من قوله « للسائل » إلى هنا سقط من (أ،ب) وأثبت من (ك،ق،د).

(٤) في (ب) : فالجواب .

(٥) في (أ،ك) : أما . والمثبت من (ب) .

(٦) في (ك) : واقتضى .

(٧) من بعد قوله إلى هنا سقط من النسخ المعتمدة وأثبت من (خ) .

(٨) في (ك) : العقاب الأليم .

(٩) في (ب) : ولايلزمني ماتقونه .

(١٠) في (ب،ك) : الآية التي .

(١١) في (أ،و) : عن . والمثبت من (ب،ك) .

(١٢) في (أ) : النمل ، وهو خطأ . والمثبت من (ب،ك) .

(١٣) مثل قوله تعالى ﴿ تفعلون ﴾ [يونس ٨٨] ومثل ﴿تعملون﴾ [يونس : ٩٠] .

(١٤) مثل قوله تعالى : ﴿داخرين﴾ [يونس : ٨٧] ومثل ﴿المسلمين﴾[يونس : ٩١] .

(١٥) في (خ،ر) : أن تحترزوه .

فاشتمل هذا على معنى : ﴿ ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ لأن في قوله تعالى : ﴿فإنما يضل عليها ﴾[١٦] تخويفاً وإنذاراً ، وفيه[١٧] إذا قال:﴿إنما أنا من المنذرين﴾[١٨] أي: لست ممّن يكره على ما يحميكم من النار ، ويقيكم حرّ العقاب كالوكيل الذي يُحامي على / ما وكّل به أن يناله ضرر ، مثل ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ فجاء على لفظ[١٩] ﴿إنما أنا من المنذرين﴾[٢٠] لتكون الفاصلة مشاكلة للفواصل التي[٢١] قبلها مع تأدية مثل المعنى الذي أدّته الآية[٢٢] التي شابهتها[٢٣]. [٥٣/ب]

انقضت سورة يونس عن خمس آيات فيها تسع[٢٤] مسائل[٢٥] .

---

(١٦) من قوله تعالى ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ ساقط من (ك) .

(١٧) في (ك) : فيه

(١٨) في (ا) و(ب) : إنما أنا ممن ينذر . والمثبت من (ك) .

(١٩) في (ب) : لفظة .

(٢٠) في (ب) : وما أنا ، وهو خطأ .

(٢١) « التي » أثبتت من (خ،ر) .

(٢٢) «الآية» ليست في (أ)، وأثبتت من (ب،ك) .

(٢٣) كذا في أكثر النسخ . وفي (أ) : شابهتها الأولى .

والمؤلف رحمه الله لايرجع التعبير إلى مجرد تشابه الفواصل ، وإنما جوابه يدور على أن آية النمل تؤدي نفس المعنى المراد من آية سورة يونس، وتنوعُ الأسلوب أو الصياغة لرعاية الفواصل ..

(٢٤) في (ك) : وتسع .

(٢٥) جاء في (ك):« فذلك إلى هذه الغاية مائة وآيتان تشتمل على مائة وتسع وثلاثين مسألة ، والله سبحانه وتعالى الموافق ».

قلت:الآيات التي تناولها المؤلف إلى هنا بالتوجيه يصل عددها إلى مائة وأربع آيات، وقد يكون هذا من عمل النساخ، لأن الكلام في أكثر النسخ (أ،ب،ح،خ،ر،س،م) انتهى مع قوله: انقضت سورة يونس عن خمس آيات، فيها تسع مسائل.